أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

دار القلم العربي
حلب - سوريا

أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الأول

دار القلم العربي

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ
١

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خَلفَ الفُنْدُقِ السِيَّاحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

تمتاز « السيرة النبوية » لابن زَيْني دَحْلان ـ التي نُفْرِدُها ، هنا ، بالطبع ـ بالاختصار والوضوح . فقد خلّصها واضعُها من شوائب التشتيت بـ « قيل وقال » التي رانتْ على « السيرة الحلبية » ، فجاء حذفها محققاً لما ابتغاه من الإيجاز ، غيرَ مُخلٍّ بالشمول الذي توخّاه . وزاد على ذلك أنه استفاد من كتب السِّيَر التي تقدمتْه ، مثل « سيرة ابن هشام » ، و « المواهب اللدنيّة » للقسطلاني ؛ والشروح : « كالروض الأنف » للسُّهَيْلي ، و « شرح اللقّاني » « للمواهب اللدنّية » .

فهي ، إذاً ، نسيجُ وَحْدِها ، في هذا المُقام . وإنَّ في بَذْلها مطبوعةً على حدة (بعدما كانت هامِشاً تنوء به « السيرة الحلبية » ، أو كانت رازحةً تحت وطأة كتاب آخر) لِخِدْمَةً لإحياء للتراث الإسلامي الذي تُولِيهِ دارُنا ما ترجو أن يكون كفاءَ بعض حقه وفضله .

*****

وُلِدَ أحمد بن زَيْنِي دَحْلاَن بمكة المكرمة ، سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) ، وتولىَّ فيها الإفتاء والتدريس . ومن محامد المصادفات أن تُنْشَأ ، في زمنه ، أول مطبعة في مكة ، فتولاّها ، وثمة طُبِعَتْ بعضُ تصانيفه .

ثم كانت وفاته ـ في المدينة المنوّرة ـ سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) .

فهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (اما بعد) .

فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني بن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ـ ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين أنه لما منّ الله تعالى عليّ بقراءة الشفا في حقوق النبيّ المصطفى ﷺ وكان ذلك بمدينته المنورة في عام الثامن والسبعين بعد المائتين والألف يسّر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ، ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس ، وسيرة ابن هشام ، والسيرة الشامية ، والسيرة الحلبية ، وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن ، فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته ﷺ ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق اشرف المخلوقات ﷺ لأني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث ، لها تعلق بها ألا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الأزمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها ، فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ، ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه إلا الراسخون في العلم ، مع ان الاطلاع على سيرة النبي ﷺ ومعجزاته من أعظم الأسباب التي يحصل بها قوة الإيمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي ﷺ وأحواله كأنها مشاهدة للنظار .

قال الزهري في علم المغازي : خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير ، وكان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ ومغازيه وسراياه ، ويقول : يا

بنيّ هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها . وفي ذكر السير أيضاً معرفة فضائل النبي ﷺ وكما لاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب ، وكل ذلك من الأسباب المقوية للايمان ، وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، إلى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها ، وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبيّ ﷺ وأهل بيته وأصحابه بالأولى لأن العرب إنما فضلوا بسببه ﷺ والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة .

فمن ذلك ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف ، فقال : أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً ، وفي الجامع الصغير مرفوعاً قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح قريش خالصة الله تعالى ، فمن نصب لها حرباً سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة ، وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : من يرد هوان قريش أهانه الله ، وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : فضل رسول الله ﷺ قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يُعْطاها أحد بعدهم النبوّة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ، ونصروا على أصحاب الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش .

قوله وعبدوا الله سبع سنين في رواية عشر سنين ، قال بعضهم : المراد منها السنون التي كانت في أول بعثته ﷺ فان أول المؤمنين الذي اتبعوه كانوا من قريش ، وصبروا معه على كثير من الأذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الإسلام يتقوّى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الأوس والخزرج ، وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ حب قريش إيمان وبغضهم كفر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال ﷺ : العلم في قريش وقال أيضاً : الأئمة في قريش . وقال أيضاً : لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ طباق الأرض علماً . قال جماعة منهم الإمام أحمد رضي الله عنه هذا العالم هو الشافعيّ رضي الله عنه لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقال ﷺ : قدموا قريشاً

ولا تقدموها . وفي رواية : ولا تعالموها أي لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه . وفي رواية : ولا تعلوها أي لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها في المقام الأدنى الذي هو مقام التعلم والقصد ، أن لا تحتقر . وقالﷺ : أحبوا قريشاً فان من أحبهم أحبه الله . وقالﷺ : لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله تعالى . وقالﷺ يوماً : يا أيها الناس إن قريشاً أهل أمانة من بغاها العواثر أي من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أي كبه الله على وجهه .

قال ذلك ثلاث مرات .وقالﷺ : خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس . وفي رواية وشرار قريش شرار الناس . والرواية الأولى أصح وأثبت . وقالﷺ : قريش ولاة هذا الأمر فبرّ الناس تبع لبرّهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال لي رسول الله ﷺ : من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فيبغضني أبغضهم .

وروى الترمذي عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللهﷺ : يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضني . وروى الطبراني عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللهﷺ : لا يبغض العرب إلا منافق . وروى الترمذي عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺقال : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي . وقالﷺ : أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي . وقالﷺ : إن لواء الحمد بيدي يوم القيامة وأنّ أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب : وقالﷺ : إذا ذلت العرب ذل الإسلام . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً : خير العرب مُضرَ وخير مضر عبد مناف ، وخير عبد مناف بنو هاشم ،وخير بني هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان مند خلق الله آدم ، إلا كنت في خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب. وفي الصحيحين آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغضهم ، وروى الطبراني حب قريش إيمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الإيمان وبغضهم من الكفر ، ومن أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغض العرب فقد أبغضني .

وروى ابن عساكر عن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّﷺ حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الأنصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم

القيامة . قال بعض شراح الشفا والأحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبي ﷺ وجميع الصحابة من العرب والعجم ، لا سيما جنسه ﷺ . ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فإنه لا ينفعه ، حينئذ حب الصحابة ، ولا من الروافض في بغض الصحابة ، فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ، ولا من الأروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام ، فانه يخشى منه سوء الختام .

بابٌ فيما وَردَ عَلى لسَان الأنبيَاء عَليهم الصَلاة وَالسَلام مِن التنويه بشأنه ﷺ مَع مَا وَردَ مِن ذلك عَلى لسَان آبَائه

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألهمه الله أن قال : يا رب لم كنيتني أبا محمد ؟ قال الله تعالى : يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد ﷺ في سرادق العرش فقال : يا رب ما هذا النور ؟ قال : هذا النور نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد ، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً ، وروى الحاكم في صحيحه عن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً بأعلى العرش وان الله تعالى قال لآدم عليه السلام : لولا محمد ما خلقتك .

وفي المواهب :ان آدم عليه السلام رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى وهو لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، فقال آدم : يا رب هذا محمد من هو ؟ فقال الله له : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال : يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد ، فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد ﷺ في أهل السماء والأرض لشفعناك . وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا ما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما

خلقتني بيدك أي من غير واسطة أم وأب ونفخت فيّ من روحك أي من الروح المبتدأة منك المتشرفة بالإضافة إليك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق اليّ واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله .

وروى الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد ﷺ ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فسكن صححه الحاكم . وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً أتاني جبريل فقال : إن الله تعالى يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار .

وروى ابن سبع عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : من أجلك أسطح البطحاء وأموّج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب . قال العلامة الزرقاني : وهذاليس لغيرهمن نبي ولا ملك ولله درّ من قال :

ومن عجب اكرام الف لواحد   لعين تفدّى الف عين وتكرم

وقال آخر :

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا   وأثواب شمل الإنس محكمة السدى
يشاهد في عدد ضياء مشعشعا

يزيد على الأنوار في الضوء من المدى   فقال إلهي ما الضياء الذي أرى
جنود السما تعشوا اليه تردّداً

فقال نبي خير من وطىء الثرى   وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا   وألبسته قبل النبيين سؤددا
وأعددته يوم القيامة شافعاً   مطاعاً إذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في إنقاذ كل موحد   ويدخله جنات عدن مخلدا
وإن له اسماء سميته بها   ولكنني احببت منها محمدا
فقال إلهي امنن عليّ بتوبة   تكون علي غسل الخطيئة مسعدا

بحرمــة هذا الاســم والزلفــة التي خصصــت بهــا دون الخليقــة احدا
أقلنــي عشــاري يا إلهــي فانّ لي عدواً لعيناً جار في القصــد واعتدى
فتــاب عليه ربــه وحمــاه من جنــاية ما أخطــأه لا متعمدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها فمد يده اليها فقالت الملائكة : مه يا آدم تريد بذلك نهيه . فقال : ولم وقد خلقها الله لي ؟ فقالوا : حتى تؤدي مهرهـا . قال : ومـا مهرها ؟ قالوا : أن تصلي على محمدﷺ ثلاث مرات . وفي رواية : أن آدم ـ عليه السلام ـ لما طلب منه المهر قال : يا رب وما أعطيها ؟ قال : يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة .

وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال : هبط جبريل عليه السلام على النبيﷺ فقال : إنّ ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، ولولاك ما خلقت الدنيا . وما أحسن قول العارف بالله سيدي علي وفى ـ رضي الله عنه ـ :

سكن الفــؤاد فعش هنيئــاً يا جسد ذاك النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحــت في كنف الحبيب ومــن يكن جار الــكريم فعيشــه عيش الرغد
عش في أمــان الله تحــت لوائه لا خوف في هذا الجنــاب ولا نكد
لا تختشي فقــراً وعنــدك بيت من كل المنــى لكل من أياديه مدد
رب الجمال ومرســل الجــدوى ومن هو في المحاســن كلهــا فرد أحد
قطــب النهــى غوث العوالــم كلها أعلى عليّ صار أحمــد من حمد
روح الوجــود حياة من هو واحد لولاه ما تم الوجــود لمن وجد
عيسى وآدم والصــدور جميعهم همأعــين هو نورهــا لما ورد
لو أبصر الشيطــان طلعــة نوره في وجــه آدم كان أوّل من سجد
أو لو أرى النمــروذ نور جماله عبــد الجليل مع الخليل ولا عند

لكن جمال الله جل فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

فأبشر بمن سكن الجوانح منك يا أنا قد ملأت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سرّ الندى نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى الجامع المخصوص ما دام الأبد

روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد ﷺ يلمع من جبهته كالشمس ، قال بعض العارفين : لكن إبليس لم يبصر ذلك لخذلانه ، ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة ، وتلك القبلة المقصد إلا عظم منها ، انما هو النور المحمدي الذي في جبهته . ولما جلت حوّاء عليها السلام ـ بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته ـ عليه السلام ـ ظهر ذلك النور في جبهته وكان هو وصي آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن وصل ذلك النور إلى جده عبد المطلب ، ثم الى ابنه عبد الله ، ثم إلى أمه آمنة ، وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية .

روى البيهقي في سننه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني ، إلا نكاح الإسلام ، أي نكاح كنكاح الإسلام يعني بعقد صحيح .

وروى ابو نعيم في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام قال : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم .

وفي الشفاء أن آدم ـ عليه السلام ـ لما أكل من الشجرة قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ، وتقبل توبتي ، فتاب الله عليه وغفر له ، وهذا تأويل قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ وقيل : إنّ الكلمات هي ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ وقيل : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين وقيل : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك

اني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم .

قال بعضهم : ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح في أحاديث كثيرة انه ﷺ كان في صلب نوح ـ عليه السلام ـ حين ركب السفينة وفي صلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم ﴾ وقد قال ﷺ : أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ـ عليه السلام ـ .

وأما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه ـ عليه السلام ـ والتنويه بشأنه فكثير ، فن ذلك ما روى عن جده كعب بن لؤي فإنه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى بيوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويخبرهم بأنه من ولده يأمرهم باتباعه فما كان يقوله لهم سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتاً آخرها :

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

وينشد أيضاً :

يا ليتني شاهد فحوّاء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن خطبه التي كان يخطبها : أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ، ونهار صاح ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال اوتاد ، والنجوم أعلام ، والأوّلون كالآخرين ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون . وكان بينه وبين مبعثه ﷺ خمسمائة وستون سنة ، وقيل وعشرون ، وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرّخوا به ثم بموت عبد المطلب ، ثم كان التاريخ في الإسلام بالهجرة .

ومن ذلك ما نقل عن جده ﷺ كنانة بن خزيمة أنه كان شيخاً عظيماً تقصده العرب لعلمه وفضله . وكان يقول : قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله تعالى وإلى البر والإحسان ومكارم الاخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم ، ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده ﷺ الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي ﷺ المعروفة في الحج وكان كبيراً عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا

يقضون أمراً دونه ، وهو أوّل من أهدى البدن الى البيت ، وجاء في الحديث : لا تسبوا الياس فانه كان مؤمناً وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه. وجاء في الحديث أيضاً لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين ، وفي رواية : لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إسمٰعيل ، ومن كلامه : من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة . وجاء أن خزيمة ومدركه ونزاراً كل منهم كان نور النبي ﷺ بين عينيه ، وان نزاراً لما ولد ونظر أبوه إلى نور النبي ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم ، وقال : إنّ هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمى نزاراً لذلك وكان أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلاً ، وجاء أنّ الله لما سلط بختنصر على العرب أمر الله أرمياء ـ عليه السلام ـ أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة ، وقال فإني سأخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ، ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه إلى أرض الشام ، فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر .

وحكى الزبير بن بكار : أنّ أوّل من وضع أنصاب الحرم عدنان ، قيل : وهو أوّل من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه ، وجاء أنه إنما سمي عدنان من العدن وهو الإقامة ، لأنّ الله أقام ملائكة لحفظه ، وسبب ذلك ان أعين الجن والإنس كانت اليه ، وأرادوا قتله وقالوا : لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس ، فوكل الله به من يحفظه .

وروى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم إلا بخير، وجاء أيضاً ان مضر إنما سمي بذلك لأنه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله ، ولم يره أحد إلا أحبه لما كان يشاهد في وجهه من نور النبي ﷺ .

ومن كلامه : خير الخير أعجله فاحملوا انفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما افسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق ، وهو ما بين الحلبتين وهو أوّل من حدا للإبل ، وذلك أنه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال : يا يداه يا يداه فأتت إليه الإبل من المرعى ، فلما صح وركب حداً وكان من أحسن الناس صوتاً ، وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح ، فاجتمعت اليه الابل . فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر : مضر الحمراء . وسبب ذلك أنه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما نزار أحد مضر

الذهب ، فقيل له : مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له : ربيعة الفرس قيل إن قبر مضر بالروحاء . وجاء ان معدا سمي بذلك لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ، ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر بسبب نور النبيﷺ الذي في جبهته، وخزيمة قيل إنه تصغير خزمة وإنما سمي بذلك لأنه خزم أي جمع فيه نور النبيﷺ الذي كان في آبائه . ومدركة سُمي بذلك لأنه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبيﷺ ، وكان ظاهراً بيناً فيه . والنضر إنما لقب بذلك لنضارة وجهه وإشراقه وجماله من نور النبيﷺ ، قيل ان أم النضر برة بنت ادّ بن طابخة تزوّجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر ، على ما كان عليه أهل الجاهلية إذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾ وهذا كله غلط فاحش قال ابو عثمان الجاحظ : أن كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكراً ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن ادّ بن طابخة فولدت له النضر ، قال : وإنما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب ، قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ، ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبهﷺ نكاح مقت ، وقد قالﷺ : ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام ، ومن قال غير هذا فقد خطأ وشك في هذا الخبر . والحمد لله الذي طهّره من كل وصم تطهيراً .

قال الدميري : وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه . قال الحافظ الشامي : وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدور ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفىء شرره انتهى . وقد أجمع العلماء على أن رسول اللهﷺ كان إذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه . ويقول : كذب النسابون ، وذلك لأنه اختلف فيما بين عدنان وإسمعيل إلى آدم متفق على أكثره ، وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الأسماء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر . وقال عروة : ابن الزبير ما وجدت أحداً يعرف بعد معد بن عدنان .

وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال على سبيل الإنكار : من أخبره بذلك فينبغي لمن أراد أن يذكر نسب النبيﷺ أن يوصله . إلى عدنان بن ادّ ويقف اقتداء بهﷺ وأجمعوا على ان عدنان ينتهي نسبه الى إسمعيل عليه السلام ، فهوﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّي بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله درّ القائل :

ونسبة عز هاشم من أصولها ومحتدها المرضيّ اكرم محتد
سمت رتبة علياء اعظم بقدرها ولم تسمّ إلا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردي في كتاب اعلام النبوّة : وإذا اختبرت حال نسبه ﷺ وعرفت طهارة مولده ، علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة ، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوّة .

وفهر اسمه قريش وإليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني وسمي قريشاً لأنه كان يقرّش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدّها بماله ، وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم .

وكلاب اسمه حكيم ، سمي بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب ، وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه . وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة .

وسئل أعرابي لم تسمّون أبناءكم بشرّ الأسماء نحو : كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : رزق ومرزوق ورباح ؟ فقال : إنما نسمي ابناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا ، يريد أن الأبناء عدّة للأعداء وسهام في نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

وقصي اسمه زيداً ويزيد ، ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرّقها . قال الشاعر :

ابوكم قصيّ كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبيﷺ حيث أنجده من كربة وقعت له فوجده مربوطاً ربطة ركب من جذام ادّعوا عليه قتيلاً قتله بمكة ، ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه ، وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه :

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

إلى أن قال :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصي من أكرم لئيماً شاركه في لؤمه ، ومن استحسن قبيحاً ترك إلى قبحه ، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان ، والحسود هو العدو الخفي . ولما احتضر قال لبنيه : اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان .وتزوّج قصي من خزاعة حبي بنت خليل الخزاعي فولدت له عبد مناف ، وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى خليل الخزاعي فأوصى بها إلى بنته زوج قصيّ فقالت : لا قدرة لي على فتح البيت وإغلاقه ، فجعل أبوها ذلك لأبي غبشان الخزاعي فاشترى منه قصيّ ؛ أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أزواداً من الابل ، وأثواباً فنازعته خزاعة فدعا قريشاً وبني كنانة لإعانته فأعانوه ، حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد أن اقتتلوا أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت إليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم ، فأبت خزاعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكثر القتل والجراح في الفريقين ، إلا أنه في خزاعة اكثر ثم تداعوا للصلح ، واتفقوا على أنهم يحكمون بينهم رجلاً من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلاً عريفاً فقال لهم : موعدكم فناء الكعبة غداً فلما اجتمعوا قام يعمر فقال : ألا إني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميّ هاتين فلا تباعة لأحد على أحد وقضى لقصي بأنه أولى بولاية مكة فتولاها ، وكانت خزاعة قد ازالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الأكبر ولّي أمر البيت ، بعد نابت بن إسمعيل عليه الصلاة والسلام لأنه كان جداً لنابت ، وغيره من اولاد إسمعيل لأمهم ، لأن إسمعيل تزوّج من جُرْهم فجاءه الأولاد منهم فأخذ ولاية البيت بعد نابت بن إسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمي واستمرت جرهم ولاة البيت ، والحكام لا تنازعهم

ولد إسمعيل في ذلك لخؤلتهم وإعظاماً لأن يكون بمكة بغي ثم إن جرهماً بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدى لها ، فأجمعت خزاعة لحربهم وإخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشباب . وقيل سلّط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم ، وذهب من بقي إلى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم ، وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً وقال عمرو بن الحرث أبياتاً منها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخبر ظاهر
بلى نحن كنا أهله فأبادنا صروف الليالي والدهور البواتر

ثم استقر الأمر في خزاعة إلى أن تزوّج قصيّ منهم وحصل ما تقدّم ذكره فأزاح يد خزاعة وولي أمر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصي وأحبّهم إليه ، وكان عبد مناف اشرفهم لأنه شرف في زمن أبيه ، وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه ، فأعطى قصي تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال : أما والله يا بني لألحقنك بالقوم يعني بقية اخوته وبني عمه ، وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون انت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء للعرب إلا أن تعقده أنت ، ولا يشرب رجل بمكة ، إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم إلا من طعامك ، وهذا هو المراد من الرفادة ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك يعني دار الندوة ، ولا يكون أحد قائداً لقوم في قتال إلا أنت ، فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف أبناؤهم ، فأراد بنو عبد مناف وهم : هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل ، أن يأخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار ، وأجمعوا على المحاربة ، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم ويكون معهم في المسجد ، عند باب الكعبة ، فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للإشارة إلى أنهم معهم ، وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها معهم ، فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن

فهر ، فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً لتحالفهم ، بعد أن آخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منها فهو منا ، ففعلوا ذلك ولذا أسموا لعقة الدم ، ثم اصطلحوا على ان تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبد مناف ، والحجابة واللواء لبني عبد الدار ، ودار الندوة بينهم بالاشتراك ، وقيل إن دار الندوة بقيت في يد بني عبد الدار ، حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فاشتراها بزق خمر ، ثم باعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، فقال له عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة الف واشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأينا المغبون ؟ وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها إلا من بلغ الأربعين ، وكانت الجارية إذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشقّ عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها إياه ، وينقلب بها فتحجب ، وكانوا لايعقدون عقد نكاح إلا في دار قصيّ اعني دار الندوة ولا يعقد لواء حرب إلا فيها .

وأما القيادة وهي إمارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ، ثم ابنه أمية ، ثم ابنه حرب ، ثم ابنه أبو سفيان ، فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ، ويوم الأحزاب ، وأما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، لانه أكبر من أبي سفيان ، إذ هو ابن عم أبيه ، وأيضاً كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضراً بمكة وقت خروج النفير .

وأما الرفادة وهي إطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرّقوا ، فإن قريشاً كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد . ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ، ثم ابنه هاشم ، ثم ابنه عبد المطلب ، ثم ابنه أبو طالب ، ثم أخوه العباس ، واستمر ذلك الى زمنه ﷺ وزمن الخلفاء بعده ، إلى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر .

وأما السقاية فقام بها أيضاً عبد مناف ، ثم ابنه هاشم ، ثم ابنه المطلب ، ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوّض عمه المطلب السقاية إليه ، فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل

ابن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحاً أي أفنية ودوراً ، فسأل عبد المطلب رجالاً من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا : لا ندخل بينك وبين عمك ، فكتب الى أخوا له بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل ، فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي النجار على كتابه بكى ، وسار من المدينة في ثمانين راكباً حتى قدم مكة ، فنزل الأبطح فتلقاه عبد المطلب وقال له : المنزل يا خال ، فقال لا والله حتى ألقى نوفلاً . فقال : تركته في الحجر جالساً في مشايخ قريش ، فأقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائماً وقال : يا أبا سعد أنعم صباحاً ، فقال له أبو سعد : لا أنعم الله لك صباحاً ، وسلّ سيفه وقال : ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأملأنّ منك هذا السيف : فقال : قد رددتها عليه ، فأشهد عليه مشايخ قريش .

ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثاً ثم اعتمر ورجع الى المدينة ، وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم ، وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل ، وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت : نحن أولى بنصرة عبد المطلب ، وقالوا له : إن أم عبد مناف حبي بنت خليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا ، وكتبوا بينهم كتاباً باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ، على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة .

وما أشرقت الشمس ،على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان ، والمراد من ذلك الأبد ، قيل إن السقاية انتقلت من أبي طالب إلى أخيه العباس في حياة أبي طالب وسبب ذلك أن أبا طالب كان يقذف في الماء التمر والزبيب تبعاً لأبيه عبد المطلب ، فاتفق أنه أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر ، فصرفها أبو طالب في الحجيج عامه ذلك ، فيما يتعلق بالسقاية ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً الى العام المقبل لأعطيك جميع مالك : فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لأكفلها فقال : نعم . فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لأخيه العباس . فترك له السقاية فصارت إلى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار ، حتى جاء الإسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي ﷺ ، فأراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فردّه ﷺ إلى عثمان بن طلحة بن

عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ، ثم صارت بعده لأخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة ، وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ، ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحداً أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم .

وأما عبد مناف بن قصي فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ، ووجد على بعض الأحجار كتابة منها : أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشاً بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم . وكان نور النبي ﷺ يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار ، وقوس اسمعيل ، وإياه عني القائل بقوله :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف

وابنه هاشم اسمه عمرو ويقال له عمر ، والعلا لعلوّ رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم ، فكانوا يقولون : سيكون بينهما دم ، فكان بين ولديهما إلى أن اشتدّ الأمر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة ، وأوّل العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس ، لأن هاشماً لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف ، حسده ابن اخيه أمية بن عبد شمس ، فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشماً للمنافرة ، فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره ، فلم تدعه قريش فقال هاشم لأمية ، أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية بذلك ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان ، فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر ، فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعام الناس وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما ، وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل : أقداح النضار أي الذهب ، ويقال لهم : المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب . ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم ، فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم ، فهشم الخبز

والكعك ونحر جزراً وجعل ذلك ثريداً ، وأطعم الناس حتى أشبعهم ، فسمي بذلك هاشماً ، وكان يقال له أبو البطحاء ، وسيد البطحاء ، ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، قال الإمام ابو سهل الصعلوكي في قوله ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، أراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره . وقال ابن الصلاح الأولى حمل الحديث على العموم ، وأن المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لأن سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد ، وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ، ولبعضهم ، عمرو العلا هشم الثريد لقومه :

ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر :

عمــرو العــلا ذو النــدى من لا يسابقه مر السحــاب ولا ريح تجاريه
أجفانــه كالجوابــي للوفــود اذا لبــوا بمــكة ناداهم مناديه
وأمحلــوا اخصبــوا منهــا وقــد ملئت قوتــاً لحــاضره منهــم وباديه

ولآخر

قل للــذي طلــب السماحــة والندى هلا مررت بآل عبــد مناف
الرائشون وليس يوجــد رائش والقائلــون هــلـم للأضياف

وعن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ على باب بني شيبة فمرّ رجل وهو يقول :

يا أيهــا الرجــل المحــوّل رحله ألا نزلــت بآل عبــد الدار
هبلتــك أمــك لو نزلــت برحلهم منعــوك من عدم ومــن اقتار

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : أهكذا قال الشاعر : قال : لا والذي بعثك بالحق لكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : هكذا سمعت الرواة ينشدونه ، وفي المواهب وشروحها ان نور النبي ﷺ كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه ، لا يراه حبر ، إلا قبَّل يده ولا يمرّ بشيء إلا خضع له . تغدو اليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوّج بهن . حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال : إني لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فأقدم إليّ حتى أزوّجهكا فقد بلغني جودك وكرمك وإنما أراد بذلك نور المصطفى ﷺ ، الموصوف عندهم في الإنجيل . فأبى هاشم ذلك وكانِ هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدّي الحق ويؤمن الخائف ، وكان إذا هلّ هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ، ويقول في خطبته :

يا معشر قريش إنكم سادة العرب أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً أي عقولاً ، وأوسط العرب أي أشرفها أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً . يا معشر قريش : إنكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بجوار دون بقية بني إسمعيل ، وأنه يأتيكم زوّار الله يعظّمون بيته فهم أضيافه ، وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوّار بيته ، فوربّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ، ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا قوله ما ذكره الخ ، هكذا في النسخ التي بأيدينا بلا خبر ، ولعل الخبر صحيح أو نحوه بدليل الجواب اهـ مصححة البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله كرامة زوّار بيت الله وتقويتهم ، إلا طيباً ، لم يؤخذ ظلماً ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة ومما نقل من شعر أبي طالب عم النبي ﷺ قوله في مدح النبي ﷺ :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت انساب عبد منافها ففي هاشم اشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فان محمداً هو المصطفى من سرّها وكريمها

وأما عبد المطلب بن هاشم فكان من حلماء قريش وحكمائها ، وكان مجاب الدعوة محرّماً الخمر على نفسه ، وهو أوّل من تحنث بحراء ، والتحنث التعبّد الليالي ذوات العدد كان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين ، وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، ولذلك كان يقال له مطعم الطير ، ويقال له الفياض . ولد في رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه إضافته إلى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له ، لأنه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعالاً ، عاش مائة وأربعين سنة قيل إنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشماً ، قال لأخيه المطلب حين حضرته الوفاة ، أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب وقيل : إن هاشماً تزوّج بالمدينة من بني عدي بن النجار من الخزرج ، فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقي عند أمه ، فمرّ رجل على غلمان وهم يلعبون أي ينتضلون بالسهام ، وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال : أما أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل : ممن أنت يا غلام ؟ فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف ، فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالساً بالحجر ، فقص عليه ما رأى فذهب المطلب إلى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه ، وضمه إليه خفية من أمه وقال له : يا ابن أخي أنا عمّك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة ، فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه ، فأخبرت بأن عمه قد ذهب به ، وقيل : انه استأذن امه وقال لها ان ابن أخي غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الإقامة في غيرهم ، فأذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية ، فلما قدم به مكة قالت قريش : هذا عبد المطلب ، وقيل : إن الشمس اثرت في شيبة الحمد فقالت قريش : هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم : ويحكم انما هو ابن اخي هاشم ، وقيل : إنما قيل له عبد المطلب لأنه تربى يتيماً في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبداً لمن تربى في حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات ، وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب ، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيّات الامور ، وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة ، الى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال : والله من وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء باساءته أي فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة ،

فإذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدّة له في الآخرة . ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الأصنام ووحّد الله . ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها ، وجاءت السنة بها ، منها : الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحرين الخمر والزنا ، وان لا يطوف بالبيت عريان ، نقله الحلبي في السيرة عن ابن الجوزي . وزاد في المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الإذفر وكان نور رسول الله ﷺ يضيء في غرّته وفيه يقول القائل :

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير ويستسقي الله لهم ، لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي ﷺ ، ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى ، فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم . ولما وجد النبي ﷺ كان يحضره عبد المطلب معه في الإستقساء فيسقون به . وأمر ابا طالب أن يحضر النبي ﷺ معه في الاستسقاء ، ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم .

لا هم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه .
ومن شعره حين اراد ذبح ابنه عبد الله ، وكان يضرب بالقداح عليه قوله : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود من عندك الطارف والتليد ، وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودي ، فأغلظ ذلك اليهودي القبول على حرف في سوق من أسواق تهامة ، فأغرى عليه حرب من قتله ، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة ودفعها لابن عم اليهودي ، ثم نادم عبد الله بن جدعان التميمي . ويروى أن حرباً كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق إلا تأخروا ، وتقدم هو ولا يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة ، فتقدمه التميمي فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه التميمي ومر قبله فقال

حرب : موعدك مكة فبقي التميمي دهراً ثم أراد دخول مكة فقال من يجبرني من حرب بن امية ؟ فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلاً دار الزبير بن عبد المطلب فدقّ الباب فقال الزبير لأخيه الغيداق قد جاءنا رجل إما مستجيز او طالب حاجة ، او طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل :

لاقيت حرباً في الثنية مقبلاً والصبح ابلج ضوءه للباري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده وأتيت أهل معالم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بقربه رحب المنازل مكرماً للجار

ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذي الأحجار والأستار
ان الزبير لمانعي من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصار

فقال الزبير للتميمي : تقدم فإنا لا نتقدم على من نجير ، فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه ، فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال : أجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنه كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب : اخرج فقال : كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب ؟ فألقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا أنه اجاره ، فتفرقوا ، وإلى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية ـ رضي الله عنه ـ في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاماً فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فمن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه ؟ فسكت معاوية ـ رضي الله عنه ـ وكان عبد المطلب يكرم النبي ﷺ ويعظمه وهو صغير ويقول : إن لابني هذا لشأناً عظيماً وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظماً في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه وكان النبي ﷺ وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب ، وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه ، فإذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جدّه عبد المطلب ويقول : دعوه إن له لشأناً ، ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ، ويسره ما يراه يصنع .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان عبد المطلب كان يقول لهم : دعوا ابني يجلس فإنه يحس من نفسه بشيء أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده. وفي رواية : دعوا ابني انه ليؤنس ملكاً أي يعلم من نفسه أن له ملكاً . وفي رواية : ردوا ابني إلى مجلسي فإنه تحدّثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش ، فجاء رسول الله ﷺ يوماً وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش ، فجذبه رجل فبكى رسول الله ﷺ فقال عبد المطلب : ما لابني يبكي ؟ قالوا : أراد أن يجلس على الفرش ، فمنعوه ، فقال عبد المطلب : دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ، فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب . وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ يبعث جدي عبد المطلب في زيّ الملوك وأبهة الأشراف .

ومما أكرم الله به عبد المطلب وكان من الإرهاصات لنبوّة النبي ﷺ حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحرث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم ، فعمد إلى أنفس الاموال وهي : غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل : حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفرّ إلى اليمن بقومه ، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب ، دلته على حفرها بأمارات عليها . روى ابن اسحق بسنده إلى علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال عبد المطلب إني لقائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة فقلت : وما طيبة ، فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برة . فقلت : وما برة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال : احفر المضنونة : فقلت : وما المضنونة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبداً ولا تذمّ تسقي الحجيج الأعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قربة النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قربة النمل بين أساف ونائلة اعني الصنمين اللذين يذبحون عندهما ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في

محلها وقوله : برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها ، وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وسميت أيضاً المضنونة لأنها ضنّ بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق . وفي الحديث مرفوعاً : من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها ، رواه الدارقطني .

وروى الزبير بن بكار : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك ، وقوله : لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ، وقوله : ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الأعصم ، فسره النبي ﷺ بأنه الذي بإحدى رجليه بيضاء ، رواه ابن أبي شيبة . فلما بين لعبد المطلب شأنها ودلّ على موضعها وعرف انه صدق ، غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره ، فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطي كبر وقال : هذا طي اسمٰعيل فقاموا اليه فقالوا : إنها بئر أبينا إسمٰعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها ، فقال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم واعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا : كاهنة سعد بن هذيم . قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظميء عبد المطلب وأصحابه ، حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا : إنا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوّف على نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت ، فأمرهم فحفروا قبورهم وقال : من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب ، وقعدوا ينتظرون الموت عطشاً ثم قال : والله ان إلقاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبّر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال : هلم إلى الماء فقد سقانا الله ، فاستقوا وشربوا ، ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إنّ الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي أسقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة

وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له : يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ ، لا ولد لك ؟ فقال : أبالقلة تعيرنني فوالله لئن آتاني الله عشرة الولد ذكوراً لأنحرن أحدهم عند الكعبة ، وقيل سفّه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه ، وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه ، فنذر لئن جاء له عشرة بنين وصاروا له أعواناً ليذبحنَّ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة ، واحتفر عبد المطلب زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحرث . قال ابن اسحق : فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التي كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش : والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه : ردّ عني حتى أحفر فوالله لامضينَّ لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطيّ ، فكبر وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والأسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش : إنا معك في هذا شركاء فقال لا ، ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح ، قالوا : كيف نصنع ؟ قال : اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة والأسودان على الأسياف والادراع له ، وتخلف قدحا قريش فضرب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب بالباب الغزالين من ذهب ، فكان أوّل ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم ، وأقام سقايتها للحاج ، فكانت له فخراً وعزاً على قريش وعلى سائر العرب . قال الزهري : انه اتخذ عليها حوضاً يستقي منه فكان يخرب بالليل جسداً فلما أهمه ذلك قيل له في النوم قل : لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه ، وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام ، وبل بكسر الباء مباح ، وقيل شفاء . قال ابن إسحق : ففاقت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ، ولأنها بئر إسمٰعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب ، فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب إبل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ، ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت إذ ذاك غليظة . فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس ، وكان له كرم بالطائف فكان

يحمل زبيبه إليها ويسقيه الحاج أيام الموسم ، فلما دخل ﷺ مكة عام الفتح قبض السقاية منه ، ثم ردها إليه . ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوّم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ، وأقرّ الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلاً يقول : يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت ، فاستيقظ فزعاً مرعوباً وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ، ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك ، فاستيقظ من نومه وقرب ثوراً ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك ، فانتبه وقرب جملاً وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال : وما هو أكبر من ذلك ، قال ؟ قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غماً شديداً وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء بالنذر ، فقالوا : إنا نطيعك فمن تذبح منا ؟ قال : ليأخذ كل واحد منكم قدحاً والقدح بكسر القاف والسهم قبل أن يراش ويوضع فيه النصل ، ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده ، وكان له قيم يدفعون القداح له فيضربها ، فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول : اللهم إني نذرت أن نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ، ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم إليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى أساف ونائلة صنمين عند الكعبة ـ تذبح وتنحر عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له : أساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضاً وكان أساف يتعشقها في أرض اليمن ، فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبداً معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام إليه سادات قريش : فقالوا ما تريد أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا نذبحه أبداً حتى نعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له : انطلق الى فلانة الكاهنة ، فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك ، فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم : ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فأسأله ، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشرة من

الإبل فقالت : ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أي احضروه إلى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه القداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة ثم اضربوا ايضاً وهكذا حتى يرضى ربكم . فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقرّبوا عبد الله وعشرة من الإبل وقام عبد المطلب يدعو ، فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشراً عشراً وهي تخرج على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، فخرجت القداح على الإبل فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها الاقداح ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الإبل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا ، فخرجت على الإبل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الإبل فنحرت وتركت لا يصدّ عنها انسان ولا طائر ولا سبع ، ولهذا روي أنه ﷺ قال أنا ابن الذبيحين ، وروى الحاكم في المستدرك عن معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال : يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابساً وخلفت المال عابساً هلك المال وضاع العيال فعد علي مما أفاء الله عليه يا ابن الذبيحين . قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين : عبد الله وإسمعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .[وفي هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسمٰعيل لا إسحق وفي ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل عليه السلام أن الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسمعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ، ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة ، وأيضاً مما يدل على أنه إسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليماً في قوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقاً ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ، ولما ذكر إسحق عليه السلام سماه عليماً في قوله : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم ﴾ وأيضاً فان الله بعد أن قصّ في كتابه قصة الذبح قال : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ فهذا يدل على ما تقدم قصة الذبح فتكون مع إسمعيل وايضاً فإن الله تعالى أجرى العادة البشرية أن أكبر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وإبراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق في

الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي العزم وتوطين النفس ، وقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ولبعضهم :

ان الـذبيح فديت اسمعيل نطـق الكتـاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإلـه نبينا وأبانـه التفسـير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافي بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق .

واعلم أن بعض العلماء ذكر أن أعمام النبي ﷺ اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح ، فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبي ﷺ ، وقيل : الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له ، فالأعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مر على امرأة من بني أسد ابن عبد العزى ، وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى ﷺ وكان عبد الله أحسن رجل رؤي في قريش : لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن فقال لها :

أمـا الحـرام فالممات دونه والحـل لا حل فأستبينه
يحمـي الـكريم عرضـه ودينه فكيف بالأمـر الـذي تبغينه

وفي السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبي ﷺ :

لقـد حكم البـادون في كل بلدة بأن لنـا فضـلاً على سادة الأرض
وإن أبـى ذو المجـد السـؤدد الذي نشـأ بها ما بـين نشـز إلى خفض

أي ارتفاع وانخفاض .

وروى أبو نعيم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما خرج عبد المطلب بعد نحر الإبل بابنه عبد الله ليزوّجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت :

إني رأيت مخيلة نشأت فتلألأت بخاتم القطر
فسما لها نور يضيء به ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد وقعت به وعمارة القفر
ورأيت شرفاً ينوء به ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت منك الذي سلبت وما تدري

وقد روي عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه لما بنى عبد الله بآمنة ـ رضي الله عنها ـ أحصوا مائتي امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف متن ولم يتزوّجن اسفاً على ما فاتهن من عبد الله وأنه لم تبق امرأة في قريش إلا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة .

ومن الإرهاصات التي وقعت قبل وجود النبيﷺ قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفاً لقريش وتمهيداً لمولد النبيﷺ وبعثته وأمر أبرهة ، سائس الفيل أن يحضر فيله الأعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب إطلاق إبله التي أخذها جنود أبرهة ، فلما نظر الفيل إلى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخرَّ ساجداً ، وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلاً من قومه إلى أهل مكة ليدخل الرعب في قلوبهم ، فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه، وخرَّ مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه ، فلما أفاق خرَّ ساجداً لعبد المطلب ، وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً . وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة ، اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حرباً فأتني به ، فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له : عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد أن أفاق من غشيته؟ فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع

عنه . ثم ذهب معه إلى أبرهة واستأذن له وقال : أيها الملك ، هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عزة مكة ويطعم الناس في السهل والجبال ، فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم في عين أبرهة فأجله وأكرمه ، وكره أن يجلس تحته وأن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه : قل له ماحاجتك؟ فقال له : حاجتي أن يرد الملك عليّ مائتي بعير أصابها .فقال لترجمانه : قل له: كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ، فقال عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وأن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان يمتنع مني ؟ قال : أنت وذاك فردّ عليه إبله فقلدها وأشرعها وجللها وجعلها هدياً للبيت وبثها في الحرم ، وانصرف إلى قريش وأخبرهم بالخبر ، ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال والشعب تخوّفاً عليهم من معرة الحبشة ، ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فأرسل الله عليهم طير الأبابيل وأهلكهم ، كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة إرهاصاً له ﷺ والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده ﷺ ، وكانت في عام الولادة على الصحيح أيضاً وجاء في بعض الروايات أن نور النبي ﷺ استدار في وجه عبد المطلب لما أقبل على أبرهة ، مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله ، بل الى آمنة أم النبي ﷺ لأنها ذلك الوقت كانت حاملاً به على الصحيح .

وأجاب المحققون عن ذلك بأن النور وإن كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت إلا أنه كان يستدير في وجهه مثل انتقاله ، ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة ، وذلك من جملة الإرهاصات أيضاً .

ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب، روى أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الخيثم عن أبيه عن جده قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب . قال : بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً . فأتيت كاهنة قريش فقلت لها : إني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري وقد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نوراً أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى ، وساعة تظهر ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب ريحاً فيكسر أظهرهم

ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فلم أنل فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعوراً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتـدين له الناس ، فقال عبد المطلب لأبي طالب : لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي ﷺ قد خرج أي بُعث ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السبة والعار أي أخشى أو يمنعني .

وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان : أن عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ، فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض وقد صح في أحاديث كثيرة أنه ﷺ قال : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات .وفي رواية: لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة ، وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ وروى البخاري : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه .

وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي : الذي تلخص أن أجداده ﷺ من آدم الى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم أي في الأحاديث وأقوال السلف ، وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة لا أجداد لم أظفر فيهم بنقل ، وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الأشبه انه لم تبلغه الدعوة لأنه مات وسن النبي ﷺ ثمان سنين ، وقيل : إنه كان على ملة إبراهيم - عليه السلام - أي لم يعبد الأصنام وقيل : إن الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات .

قال بعضهم : وقوله ﷺ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات دليل على أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحوّاء ليس فيهم كافر ، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية حيث قال :

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني بغي قط منذ

خرجت من صلب آدم ، ولم تزل تتنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب : هاشم وزهرة. وفي رواية : خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح أهل الإسلام،ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبيﷺ ، فانتقل النور إلى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل أوّل زوجة تزوّجها قبله بنت جندب . ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحرث وأن سبب تزوّجه أنه بعد أن بلغ الحلم نام يوماً في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً وقد كُسِيَ حلة البهاء والجمال ، فبقي متحيراً لا يدري من فعل ذلك به ، فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا : إنّ إلّه السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوّج فزوّجه قيلة بنت جندب ، فولدت له الحرث ثم لما تزوّج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور إليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في قريش خَلْقاً وخُلُقاً . وفي رواية : كان أكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش ، وكان نور النبيﷺ بيناً في وجهه .وفي رواية: يرى في وجهه كالكوكب الدري ،وفي شرح المواهب كان يتلألأ نوراً في قريش ، وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن .

قال أهل السير : فلقي عبد الله في زمنه من النساء من العناء مثل ما لقي يوسف في زمنه من امرأة العزيز ، وقد هدى الله والده فسماه بأحب الأسماء إلى الله ، ففي الحديث أحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح - كما تقدم - وكان ذا عفة وكرم وسماحة ، ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوّجه آمنة بنت وهب ، فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن قصي وقيل إن وهباً المذكور أبوها لا عمها فزوّج آمنة لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول اللهﷺ ، وانتقل ذلك النور اليها . وعن قتادة ان رسول اللهﷺأجرى فرسه مع أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - فسبقته فرس المصطفىﷺ فقالﷺ : أنا ابن العواتك إنه لهو الجواد البحر يعني فرسه . وقال في بعض غزواته : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

أنا ابن العواتك وجاءنا ابن العواتك من سليم ، والعاتكة في الأصل المتلطخة

بالطيب أو الطاهرة عن بعض الطالبيين : أنّ رسول الله ﷺ قال في يوم أحد: أنا ابن الغواطم ، واختلف الناس في عدد العواتك من جداته ﷺ فمن مكثر ومن مقل .

نقل الحافظ ابن عساكر أن العواتك من جداته ﷺ أربع عشرة وقيل إحدى عشرة وأوّلهن أم لؤي بن غالب ، واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف ، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم هاشم ، وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه ﷺ وهب . وقيل : أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكاراً أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة .

وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله ، وفاطمة أم قصي وقيل لم يرد خصوص الأمهات التي في عمود نسبه بل أراد الأعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتي قال ﷺ فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوباً حريراً اقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ، ومن جدّاته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحرث ، وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله اعلم .

والسبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال : ممن الرجل ؟ فقال من بني هاشم قال : أتأذن لي أن أنظر بعضك ؟ قلت : نعم ؟ ما لم يكن عورة ففتح إحدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الأخرى فقال : اشهد ان في احدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوّة ، وإنما نجد ذلك أي كلاً من الملك والنبوّة في بني زهرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري قال : هل لك من شاعة أي زوجة من بني زهرة ؟ قلت : اما اليوم فلا ، فقال : إذا تزوّجت فتزوّج منهم . فتزوّج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس ايضاً وقيل : غير ذلك . وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما اخبره به الحبر . وقيل : الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه ﷺ كان من أمرها أنها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اي يدفنونها حية ، ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة . فأمر أبوها بوأدها

وأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفاً يقول لا تَئِدْ الصبية وخلها البرية . فالتفت فلم ير شيئاً فعاد لدفنها ، فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في ذلك المعنى فرجع إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال : إن لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوماً لبني زهرة : فيكم نذيرة او تلد نذيراً له شأن وبرهان ، وقيل : إن الكاهن الذي في اليمن قال له : ارى نبوّة وملكاً وأراهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة ولما حملت به امه ﷺ ظهر لها كثير من خوارق العادات إرهاصاً لنبوّته ﷺ .

منها انها لم تشك لحمله ثقلاً وأتاها آتٍ في المنام فقال لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وتوفي ابوه وامه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفاً مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ، ومروا بالمدينة فتخلف عند بني عدي بن النجار وهم أخوال ابيه عبد المطلب ، لأن أمه منهم . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا : خلفناه مريضاً عند اخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه :

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحداً خارجاً في الغمائم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنون وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما توفي عبد الله قالت الملائكة : يا إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيماً لا أب له . فقال الله تعالى لهم : أنا له حافظ ونصير . وفي رواية : أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه . وقيل لجعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ لم يتم النبي ﷺ أي ما حكمة ذلك ؟ قال : لئلا يكون عليه حق لمخلوق . والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لأن أمه ماتت وعمره ست سنين ، وليعلم أنّ العزيز من أعزه الله وإن قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال ، بل قوته من الله تعالى وايضاً ليرحم الفقير واليتيم .

ولما دنت ولادتها أتاها آتٍ في المنام فقال لها : قولي إذا ولدتيه أعيذه بالواحدة من شرّ

كل حاسد ثم سميه محمداً . وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت : حمل برسول الله ﷺ وربّ الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي ا هـ .

ومن علامات حمل آمنة به ﷺ انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها .

وعن كعب الأحبار أن في صبيحة تلك الليلة اصبحت أصنام الدنيا منكوسة ، ووقع ذلك أيضاً عند ولادته ﷺ .

وروى الحاكم باسناد صحيح : أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نوراً أضاءت له قصور بصرى من أرض الشأم ، وصح أيضاً أنها رأت ذلك عند الولادة . قيل ان الذي عند الحمل كان مناماً والذي عند الولادة كان يقظة . وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج فان قريشاً كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم ، فاخضرّت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لرسول الله ﷺ .

وولد ﷺ مختوناً أي على صورة المختون مكحولاً نظيفاً ما به قذر .

ولبعضهم :

وفي الرسول مختون لعمرك خلقة ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح سليمان يحيى هوديس خاتم

وقيل ختنه جدّه وقد يجمع بأنه تمم ختانة جرياً على المعتاد .

ولما ولد رسول الله ﷺ وقع على الأرض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها . وفي رواية عن امّه أنها قالت : فلما خرج من بطني نظرت اليه فإذا هو ساجد قد رفع

اصبعيه كالمتضرع المبتهل . وفي رواية : شاخصاً ببصره الى السماء . وفي رواية : أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلاً من بني لهب فقال لصاحبه : لئن صدق هذا الغلام ليغلبنّ هذا المولود أهل الأرض اي لأنه قبض عليها وصارت في يده .

وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال : رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى . وفي رواية أنها قالت : ولما وضعته خرج معه نوراً اضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام، وأسواقها حتى رأيت اعناق الإبل ببصرى ، ولذلك قال عمه العباس - رضي الله عنه - في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك :

وأنت لما ولدت وأشرقت الـ ... أرض وضاءت بنورة الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نستبق

وقال البوصيري في الهمزية :

وتراءت قصور قيصر بالرو ... م يراها من دار البطحاء

قال في المواهب : وخروج هذا النور عند وضعه إشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزالت به ظلمة الشرك : كما قال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ .

روى السهلي : أنه ﷺ لما ولد تكلم فقال : جلال ربي الرفيع ، وروى أيضاً انه قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً . وعن عثمان بن أبي العاص عن أمه - رضي الله عنها - أنها قالت : شهدت ولادة النبي ﷺ ليلاً قالت : فلم أنظر من البيت إلا نوراً وإني لأنظر الى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن عليّ وقولها : ليلاً أي قرب الفجر جمعاً بين الروايات .

قال بعض المفسرين : إن الله أقسم بالليلة التي ولد فيها في قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل ﴾ . وقيل المراد ليلة الإسراء ، وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنها - قالت : لما ولد رسول الله ﷺ وقع على يدي فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله وإلى ذلك يشير قول البوصيري في الهمزة :

شمتتـــه الامـــلاك إذ وضعته وشفتنـــا بقولهـــا الشفاء

قال بعضهم : لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ، ويدل لهذا الحديث الذي فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيراً ، وعن آمنة أم النبي ﷺ - ورضي عنها - أنها قالت : لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة رأيت نِسْوة كالنحل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف ويحدقن بي ما رأيت اضوأ منهن وجوهاً ، وكأن واحدة من النساء تقدمت إليّ فاستندت إليها ، وأخذني المخاض واشتد عليّ الطلق ، وكأن واحدة منهن تقدمت إليّ وناولتني شربة من الماء أشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من الشهد ، فقالت : اشربي فشربت ثم قالت الثانية : ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت : بسم الله أخرج بإذن الله ، فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين . قال بعضهم : لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ، ولعل الحكمة في شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له ﷺ في الجنة مع كلثم أخت موسى - عليه السلام - وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهنّ أحد . فقد روي أن آسية لما زفت إلى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها ، وقد رضي عنها بالنظر إليها .

قالت أمه ﷺ ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة ، ولما ولد ﷺ وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لأن عادتهم إذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا ، فلما ولد ﷺ وضعوه في رواية تحت برمة ضخمة ، فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت اثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص إبهامه يشخب اي يسيل لبناً .

ولما ولد ﷺ ارسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له : يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال : ليس بشرا سوياً : فقالت : بلى ولكن سقط ساجداً ثم رفع رأسه واصبعه الى السماء فأخرجت له ونظر اليه وأخذوه ودخل به الكعبة ، ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها . وعن عكرمة أن إبليس لما ولد رسول الله ﷺ ورأى تساقط النجوم قال لجنوده : قد ولد الليلة ولد يفسد أمرنا فقال له جنوده : لو ذهبت فخبلته فلما دنا من رسول الله ﷺ بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة

وقع بعدن . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع في الأرض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات ، وعن وهب عن اربع سموات ، ولما ولد رسول الله ﷺ حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع إلاّ رمي بِشهاب وازداد ذلك عند المبعث .

وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته ﷺ ، فعن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : إني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع او ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة ـ أي محل مرتفع ـ يا معشر يهود فاجتمعوا إليه وأنا أسمع وقالوا : ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته ﷺ في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة .

وعن كعب الاحبار قال : رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد ﷺ أي من بطن أمه وموسى أخبر قومه أنّ الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا إذا تحرّك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد ﷺ وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ترويه عمن كان موجوداً وقت ولادته ﷺ قالت : كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من مجالس قريش : هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه فقال : احفظوا ما أقول لكم ، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات ، أي متتابعات ، كأنهن عرف فرس أي وتلك العلامة هي خاتم النبوّة أي علامتها ، والدليل عليها لا يرضع لليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوّته وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله . فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا : قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً ، فالتقى القوم حتى جاؤوا لليهودي فاخبروه الخبر أي قالوا له أعلمت ولد فينا مولود؟ فقال :اذهبوا معي حتى أنظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على أمه ، فقالوا : أخرجي الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى تلك الشامة فخرَّ مغشياً عليه ؛ فلما أفاق قالوا : ويلك ما لك ؟ قال: والله ذهبت النبوّة من بني إسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب .

وعن الواقدي أنه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ قبل أن يعلم به أحد من قريش ، قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة هذه الليلة في بحرتكم أي ناحيتكم هذه ، وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبراً حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب ، فسأل فقيل له : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوارة ، وكان بمر الظهران راهب من أهل الشأم يدعى عميص وكان قد آتاه الله علماً كثيراً وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة ، فيلقى الناس ويقول : يوشك أي يقرب أن يولد فيكم مولود ياأهل مكة تدين له العرب ، أي تذل وتخضع ويملك العجم ، أي ارضها وبلادها هذا زمانه ، فمن أدركه أي بعثته واتبعه أصاب حاجته أي ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، فكان لا يولد مولود بمكة إلا ويسئل عنه فيقول : ما جاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم ، اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب حتى أتى عميصاً فوقف على أصل صومعته فناداه فقال : من هذا ؟ فقال : أنا عبد المطلب فقال : كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم به وانّ نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضاً أنه وجع فيشتكي أي لا يرضع ثلاثاً ، ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لأحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه ، فقال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها وذلك جل أعمار أمته .

وتنكست الأصنام عند ولادته ﷺ وتقدم أنها تنكست أيضاً عند الحمل وعن عبد المطلب ، قال : كنت في الكعبة فرأيت الأصنام سقطت من أماكنها وخرت سجداً وسمعت من جدار الكعبة قائلاً يقول : ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ، ويطهر من عبادة الأصنام ويأمر بعبادة الملك العلام .

وفي السيرة الحلبية : أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون إلى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله ﷺ فرأوه منكساً على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردّوه إلى حاله فانقلب انقلاباً عنيفاً فردّوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا : إن هذا الأمر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتاً يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويسأله فيها عن سبب تنكسه ، فسمع هاتفاً من جوف الصنم بصوت جهري مرتفع يقول :

تردّى لمولود أنارت بنوره جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب

قال في الهمزية :

وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته ﷺ ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن ، وكان ذلك أوّل علامة رأت قريش من مولد النبي ﷺ وارتجس أي اضطرب وانشق إيوان كسرى أنو شروان ، وكان مبنياً بناء في غاية الإحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤوس ، وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة ، وليس ذلك الخلل في بنائه وإنما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه ﷺ باقية على وجه الأرض . يروى أن الرشيد أراد هدم الإيوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكي : يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الإسلام وخمدت نار فارس أي مع إيقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة ، كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضاً وإلى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله :

وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير ، وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الأحكام في منامه إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، وكان كسرى قد رأى ما هاله وأفزعه من ارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات ، فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الأمر الذي رآه تشجعاً ثم رأى انه لا يدّخر هذا الأمر عن مرازبته اي فرسانه وشجعانه ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال : تدرون فيم بعثت اليكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك ، فبينا هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية فازداد غماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الإيوان وسقوط

الشرفات ، فقال الموبذان : فأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ، ثم قص عليه رؤياه في الليل ، فقال : أي شيء هذا يا موبذان ؟ قال : حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان . فكتب كسرى عند ذلك ، من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ، فوجه إليّ رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين ، عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليسألني الملك بما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته وإلا أخبرته بمن يعلمه ، فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال : فأته فأسأله عما سألتك عنه ، ثم ائتني بتفسيره ، فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح اي الموت وعمره إذ ذاك ثلثمائة سنة ، وقيل سبعمائة سنة ، وكان جسداً ملقى لا جوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب فانه ينتفخ فيجلس ، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق . وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه ، وفي لفظ : لم يكن له عظم ولا عصب إلا بالجمجمة والكفين ولم يتحرك منه إلا اللسان ، وكان لسطيح سرير إذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوي من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به إلى حيث يشاء وإذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده ، فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته إذا لمست أثر اللمس فيها للينها ، فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جواباً ، فأنشأ يقول عبد المسيح الأبيات المشهورة التي أولها :

أصم أن يسمع غطريف اليمن

فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح اي سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكل ما هو آتٍ آتٍ ثم مات سطيح من ساعته .

وذكر الطبري أن ابرويز بن هرمز جاء له جاء في المنام فقيل له : سلم ما في يدك إلى صاحب الهراوة فلم يزل مذعوراً حتى كتب له النعمان بظهور النبي ﷺ بتهامة ، وعند موت سطيح نهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول أبياتاً منها :

شمــر فانــك ماضي العــزم شمير ولا يفرنــك تفــريق وتغيير
والخــير والشر مقرونــان في قرن والخــير متبــع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح ، قال كسرى : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وملك الباقون في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكان مدّة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعين وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الأكتاف ، قيل له ذلك لأنه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم فرّوا منه ومن جيشه ، وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقاً في قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجيء به اليه واستنطقه ، فوجد عنده أدباً ومعرفة فقـال للملـك : أيهـا الملك ، لم تفعـل فعلك هذا بالعرب ؟ فقال : يزعمون أن ملكنا سيصير اليهم على يد نبي يبعث في آخر الزمان . فقال له عمير : فأين حلم الملوك وعقلهم ؟ إن يكن الأمر باطلاً فلن يضرك وإن يكن حقاً ألفوك ولم تتخذ عندهم يداً يكافئونك عليها ويعظمونك بها في دولتهم ، فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب . وعن العباس ـ رضي الله عنه ـ عم النبي ﷺ قال : يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك إشارة أي علامة لنبوّتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه فتشير إليه بإصبعك فحيث ما أشرت إليه مال . قال : كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش ، وكان مهـده ﷺ يتحـرك بتحـريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه إذا ولدتيه محمداً .

وعن أبي جعفر محمد الباقر ـ رضي الله عنه ـ قال : أمرت أمه آمنة في المنام ، وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد ولا مانع من رؤية الأمرين فأخبرت جده فسماه ، وقيل ألهم ذلك أيضاً ولا مانع منهما . ولما سماه بمحمد قيل له : ما حملك على أن تسميه بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك ؟ فقال : رجوت أن يحمد في السماء والأرض وقد حقق الله رجاءه .

فائدة : جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر وضعه ﷺ يقومون تعظيماً له ﷺ وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي ﷺ ، وقد فعل ذكل كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم . قال الحلبي في السيرة : فقد حكى بعضهم أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه ﷺ .

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب   على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه   قياماً صفوفاً أو جيشاً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس ، وعمل المولد . واجتماع الناس له كذلك مستحسن ، قال الإمام أبو شامة ، شيخ النووي : ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور ، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك ، وشكراً لله تعالى على ما منّ به إيجاد رسول الله ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين . قال السخاوي : إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات ويغتنون بقراءة مولده، الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم .

قال ابن الجوزي : من خواصه أنه أمان في ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ، وأوّل من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل ، وألف له الحافظ ابن دحية تأليفاً سماه التنوير في مولد البشير النذير ، فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد . وكان يعمله في ربيع الأوّل ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً وطالت مدّته في الملك إلى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة . قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ، وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور ، وكان يصرف

على المولد ثلثمائة ألف دينار ، واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين ، أن النبيّ ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم ، فقالوا : هو يوم أغرق فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكراً فقال : نحن أولى بموسى منكم . وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثوبية لما بشرته بولادته ﷺ وأنه يخرج له ومن بين اصبعيه ماء يشربه كما أخبر بذلك العباس في منام رأى فيه أبا لهب.ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال :

اذا كان هذا كافر جاء دمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظنّ بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسرورا ومات موحدا

بابٌ في ذِكر شيءٍ مِن الخوارق التي ظهرت في زمَن رضاعه ﷺ

أوّل من ارضعه ﷺ أمه ثم ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب ، التي اعتقها حين بشرته بولادته ﷺ ، واختلفوا في انها ادركت البعثة وأسلمت أم لا . وكان من عادة العرب إذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له ، فجاء نسوة من بني سعد إلى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعاً إلا حليمة ، قالت حليمة : فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أي عزمنا عليه قلت لصاحبي تعني زوجها : والله اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً والله لأذهبن الى ذلك فلآخذنه ، فقال : لا بأس عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت اليه فأخذته . وفي رواية قالت : فاستقبلني عبد المطلب فقال : من أنت ؟ فقلت : امرأة من بني سعد . فقال ما اسمك ؟ فقلت : حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخٍ بخٍ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد ، يا حليمة ان عندي غلاماً يتيماً وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير إنما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به ؟ فقلت : ألا تذرني حتى أشاور صاحبي ؟ قال : بلى . فانصرفت إلى صاحبي فأخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحاً وسروراً فقال لي : يا حليمة خذيه . فرجعت إلى عبد المطلب فوجدته قاعداً ينتظرني فقلت : هلم الصبي فاستهلّ وجهه فرحاً فأخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلاً وسهلاً وأدخلتني في البيت الذي فيه محمد ﷺ فإذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن ، وتحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك ، فاشفقت أي خفت إن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، فوضعت

يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه إلي فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء ، وأنا انظر فقبّلته بين عينيه وحملته وما حملني على أخذه أي في ابتداء الأمر إلا أني لم أجد غيره ، وإلا فما ذكره من أوصافه مقتض لأخذه . وفي شرح الزرقاني على المواهب أنها لما دخلت عليه ﷺ سمع جده هاتفاً يقول :

إنّ ابن آمنة الامين محمداً خير الأنام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع نعم الامينة هي على الأبرار
مأمونة من كل عيب فاحش ونقية الاثواب والأوزار
لا تسلمنه إلى سواها انه أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة : ثم أعطيته ثديي الأيمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حوّلته الى الأيسر فأبى ، وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم : ألهمه الله أنّ له شريكاً فعدل . وفي رواية : أنّ أحد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن فوضعته في فم رسول الله ﷺ درّ اللبن منه ، قالت : وشرب أخوه معه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع ، قالت : وقام زوجي الى شارفنا فإذا هي حافل اي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا رياً وشبعاً وبتنا بخير ليلة . يقول صاحبي حين أصبحنا : والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة . فقلت : والله اني لأرجو ذلك ثم خرجنا . وركبت أتاني وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب ما يقدر على مرافقتها شيء من حمرهم حتى أنّ صواحبي يقلن لي : يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه أتانك التي كنت عليها تخفضك طوراً وترفعك طوراً آخر ؟ فأقول لهنّ بلى ، والله إنها لهي ، فيقلن : والله إن لها لشأناً قالت حليمة : وكنت اسمع أتاني تنطق والله ان لي لشأناً ثم شأناً شأني بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمني بعد هزالي ويحكنّ يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من على ظهري ، على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين ، وخير الأولين والآخرين ، وحبيب رب العالمين .

ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة ، رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ، ثم مشت قالت : قدمنا منازلنا بني سعد ولا أعلم أرضاً من أراضي الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح

عليّ حين قدمنا شباعاً لبناً أي غزيرات اللبن ،فنحلت ونشرب . وفي رواية : نحلب ما شاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع ، حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم : ويحكم أسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب يعنونني ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً ، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاماً جفر أي غليظاً شديداً . وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ لما بلغ شهرين يحْبي الى كل جانب ، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه ، وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي ، وفي خمسة حصلت له القدرة على المشي ، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان . وعن حليمة أيضاً ـ رضي الله عنها ـ قالت : انه لفي حجري إذ مرت بنا غنيمات فأقبلت واحدة منهنّ حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت ـ رضي الله عنها ـ وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه . وإلى قصة إرضاعه ﷺ يشير صاحب الهمزية حيث يقول :

وبدت في رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشاء
اصبحت شوّلا عجافاً وأمست ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل إذا غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر عليها من جنسها والجزاء
وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فانهم سعداء

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : كان أوّل كلام تكلم به ﷺ حين فطم : الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، وتكلم بهذا ايضاً عند خروجه من بطن أمه كما تقدم . وفي رواية ، أوّل كلام تكلم به في بعض الليالي وهو عند حليمة : لا إله إلا الله قدوساً قدّوساً ، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكان لا يمس شيئاً إلا

قال بسم الله.وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما دخلت به إلى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس ، حتى أن أحدهم كان إذا نزل به أذى في جسده أخذ كفهﷺ فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعاً . وكذا إذا اعتلّ لهم بعيراً وشاه . قالت حليمة ـ رضي الله عنها ـ فقدمنا مكة على أمه أي بعد أن بلغ سنتين ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت ابني عندي حتى يغلظ. وفي رواية : قلنا نرجع به هذه السنة الأخرى فإني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردّته معنا وقيل : أن أمه آمنة ـ رضي الله عنها ـ قالت لحليمة ـ رضي الله عنها ـ ارجعي بابني على الفور فإني أخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين أنت أيضاً عليه ذلك . قالت حليمة : فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع اخيه تعني من الرضاع لفي بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى اخوه يشتدّ أي يعدو فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً مستنقعاً وجهه اي متغيراً لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق ، لانه بغير ألم قالت : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بني ؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم . فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا شيئاً فوجداه وأخذاه وطرحاه ، ولا أدري ما هو . قالت حليمة : فرجعنا به الى خبائنا . وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشيء من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به وأخرجي من أمانتك . وفي رواية قالت : قال زوجي أرى أن تردّيه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه إلا حسداً من آل فلان لما يرون من عظيم بركته . قالت : فحملناه وقدمنا به مكة على أمه ، قيل وهو ابن اربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر . وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن حليمة ـ رضي الله عنها ـ كانت تحدث أنهﷺ لما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم ، فقال لي : يا أماه ما لي لا أرى إخوتي بالنهار ؟ يعني إخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنية والشيماء اولاد الحرث . قالت : فدتك نفسي انهم يرعون غنماً لنا فيروحون من ليل إلى ليل ، قال : ابعثيني معهم فكان يخرج مسروراً ويعود مسروراً . قالت : فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني اخوه . وفي رواية ابني ضمرة : يعدو فزعاً وجبينه

يرشح عرقاً باكياً ينادي : يا أمه ويا أبت ، الحقا أخي محمداً فلما تلحقانه إلا ميتاً قلت : وما قضيته ؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة : فانفلت أنا وأبوه نسعى سعياً شديداً فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره الى السماء يتبسم ويضحك . فأكببت عليه وقبّلته بين عينيه وقلت : فدتك نفسي ما الذي دهاك ؟ قال خير يا أماه . بينا أنا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة ، وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء ، فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ، ثم شق من صدري الى عانتي وأنا انظر اليه فلم أجد لذلك حساً ولا ألماً إلى آخر القصة . وفي رواية أنها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته في أعالي مكة فقالت : إني قدمت به مكة لتردّه بعد هذه القصة أضلته في أعالي مكة فقالت : إني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة أضلَّني فو الله ما أدري اين هو . فقام عبد المطلب يدعو الله أن يردّه عليه وانشد .

يا رب ردّ ولدي محمداً اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمع هاتفاً من السماء يقول : ايها الناس لا تضجوا إن لمحمد رباً لن يخذله ولن يضيعه ، فقال عبد المطلب : من لنا به ؟ فقال : انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى . فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه ﷺ تحت شجرة يجذب غصناً من أغصانها فقال له جده : من أنت يا غلام ؟ فقال : انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : وانا جدك فدتك نفسي ، واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة . وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فأركبه بين يديه على ناقته وجاء به الى جده وقال : ما تدري ما وقع من ابنك ، فسأله فقال : أنخت الناقة وأركبته الناقة وأركبته من خلفي فأبت أن تقوم فأركبته امامي فقامت . قالت حليمة ، فلما قدمت به قالت امه : ما اقدمك به ، ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ قلت قد بلغ الله وقضيت الذي عليّ وتخوّفت الأحداث فأديته عليك كما تحبين قالت : ما شأنك فأصدقني خبرك ؟ قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها قالت : فتخوّفت عليه الشيطان . قلت : كلا ، والله ما للشيطان عليه

سبيل وان لابني هذا شأناً ألا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أن خرج مني نور اضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به ، فوالله ما رأيت اي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ، ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة.وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ أنه مر بها جماعة من اليهود فقالت : ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته امه كذا ، ووضعته كذا ، ورأت عند ولادته كذا ، وذكرت لهم كل ما سمعته من امه ، وكل ما رأته هي بعد أن أخذته وأسندت الجميع إلى نفسها ، كأنها هي التي حملته ووضعته . فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض : اقتلوه . فقالوا : أويتيم هو؟ فقالت : لا هذا أبوه وأنا امه فقالوا : لو كان يتيماً قتلناه لأن ذلك عندهم من علامات نبوّته ﷺ.وعن حليمة أيضاً ـ رضي الله عنها ـ أنها نزلت به ﷺ بسوق عكاظ وكان سوقاً للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف ، كانت العرب إذا قصدت الحج أقامت بهذا السوق شهر شوّال يتفاخرون ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون ؛ وإنما سمي عكاظ لأن المعاكظة المفاخرة ، يقال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه في المفاخرة . قيل : كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال : يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكاً فزاغت اي مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله . وفي الوفاء للسيد السمهودي لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله ﷺ إلى عرّاف من هذيل يريه الناس صبيانهم ، فلما نظر إليه صاح : يا معشر هذيل ، يا معشر العرب ، فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبي ، فانسلّت به حليمة . فجعل الناس يقولون : أي صبي هذا ؟ فقال هذا الصبي ـ فلا يرون أحداً فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاماً والآلهة ليقتلنّ أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله تعالى عنها أنها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انفضاضهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق ، الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به إلى أيام الحج وكان بهذا السوق عرّاف اي منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر إليهم فلما نظر إلى رسول الله ﷺ أي نظر الى خاتم النبوّة والى الحمرة في عينيه صاح : يا معشر العرب ، ؛ اقتلوا هذا الصبي ، فليقتلنّ أهل دينكم ، وليكسرنّ أصنامكم ، وليظهرنّ امره عليكم ، ان هذا لينتظر أمراً من السماء . وجعل يغري بالنبي ﷺ فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى

مات وفي السيرة الشامية : ان نفر أنصاري من الحبشة رأوه مع امه السعدية حين رجعت به إلى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوّة بين كتفيه وحمرة في عينيه ، وقالوا لها : هل يشتكي عينيه ؟ قالت : لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره . فأبت وأتت به إلى أمه . وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة ففي بعضها عنه ﷺ بعد أن ذكر القصة قال : بينا نحن كذلك إذ بالحيّ قد أقبلوا بحذافيرهم أي باجمعهم وإذا بظئري أي مرضعتي أمام الحي تهتف اي تصيح بأعلى صوتها وتقول : واضعيفاه فأكبوا عليّ يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عينيّ ، وقالوا : حبذا أنت من ضعيف ثم قالت : ظئري واوحيداه ، فأكبوا علي ، فضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من وحيد ، وما أنت بوحيد ، إن الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض . ثم قالت : ظئري وايتيماه ، استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا عليّ وضموني الى صدورهم ، وقبّلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير اقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت : لا أراك إلا حياً بعد . فجاءت حتى أكبت علي وضمتني الى صدرها . فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في ايديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم ، فأقبل بعض القوم يقول : إن هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمسة ، فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر إليه ويداويه فقلت : يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شيء ، أن آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح ، وليس بي قلبة اي علة فقال أبي وهو زوج ظئري :ألا ترون كلامه صحيحاً ؟ إني لأرجو أن لا يكون بإبني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن ، فلما انصرفوا بي اليه قصوا عليه قصتي فقال : اسكتوا حتى اسمع من الغلام ، فانه أعلم بأمره منكم . فسألني فقصصت عليه أمري من اوله الى آخره فوثب إلي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يا للعرب ، يا للعرب ، من شر قد اقترب ، واقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ، وليخالفن امركم ، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله ، فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت : لانت أعته وأجنّ ولو علمت انّ هذا قولك ما اتيتك فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا

الغلام حتى احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا بما فعلوا يعني الملائكة ، وأصبح أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي ، ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق ، وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله :

وأتت حدّه وقد فصلته ... وبها من فصاله البرجاء
إذا أحاطت به ملائكة الله ... فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد ... لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرهاً وكان لديها ... ثاوياً لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه ... مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو ... دع ما لم يدع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفضـ ... ـض سلم به ولا الإفضاء

وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الأولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات . والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد عن أُبيّ بن كعب عن ابي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال : قلت : يا رسول الله ما أوّل ما رأيت من امر النبوّة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة إني لفي صحراء وأنا ابن عشرين سنة واشهر إذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول : أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها الخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعني بلا قصر ولا هصر أي من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له : اخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ، ثم نبذها فقال له : أدخل الرأفة والرحمة فإذا الذي أدخله يشبه الفضة ، ثم نقر إبهام رجلي اليمنى وقال : اغد واسلم فرجعت وعندي رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ، قيل إنّ الصواب أن ذلك وعمره عشر سنين وإن ذكر العشرين غلط من بعض الرواة . والمرة الثالثة عند ابتداء الوحي والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة في الشق الثاني الذي كان وعمره عشر سنين قال في السيرة الشامية : ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الحال . والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر : الحكمة فيه زيادة الكرامة ليلتقي ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من

التطهير . والحكمة في الرابع الزيادة في إكرامه ليتأهب للمناجاة وعن حليمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها كانت بعد رجوعها بهﷺ من مكة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه يوماً في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهي الشيماء ، وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبيﷺ أيضاً وكانت ترقصه وتقول :

هذا أخ لي لم تلده أمي وليس من نسل أبي وعمي
فأنمه اللهم فيمن تنمي .

ومما كانت ترقصه به اخته الشيماء :

يا ربنا ابق لنا محمدا حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه مسيدا مسودّا واكبت أعاديه معا والحسدا
وأعطه عزاً يدوم أبداً

قال الأزدي : ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة : في هذا الحر أي ما ينبغي أن يكون الخروج والوقوف في هذا الحر . فقالت اخته : يا امه ما وجد أخي حراً رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى إذا انتهى إلى هذا الموضع فجعلت تقول حقاً يا بنية قالت : إي والله فجعلت تقول : أعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني . وفي كلام بعضهم ان حليمة ـ رضي الله عنها ـ في بعض الأوقات رأت الغمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت وو ـت عليه حليمة ـ رضي الله عنها ـ بعد تزوّجه بخديجة رضي الله عنها ـ تشكو إليه ضيق العيش فكلم لها خديجة ـ رضي الله عنهـا ـ فاعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات من الإبل . وفي رواية : أربعين شاة وبعيراً ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه . وفي رواية : قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه . وفي رواية : وأجلسهم على ثوبه وفي كلام القاضي عياض : ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك .

قال في السيرة الحلبية ، نقلا عن ابن الأثير : فتكون قد عمرت دهراً طويلاً وعن أبي الطفيل قال : رايت رسول اللهﷺ يقسم لحماً بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول اللهﷺ بسط لها رداءه فقيل : من هذه ؟ فقيل : أمه التي أرضعته . وفي رواية : استأذنت امرأة على النبيﷺ قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال : أمي أمي ، وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه .

وقال ابن حجر في شرح الهمزية : من سعادة حليمة توفيقها للإسلام هي وزوجها وبنوها وغلط من أنكر إسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة وغلط من أنكر إسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار ـ رضي الله عنها ـ .

وفي السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء وأخت النبي ﷺ من الرضاع ، كانت في السبي يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت : أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله أنا أختك . قال وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك . فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فقام لها قائماً وبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، ودمعت عيناه . وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان في كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجيء أخته ، وواحدة عند مجيء أمه خلافاً لمن وهم في ذلك وأنكر مجيء الأم وقال : بل هي الأخت فقط .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : حليمة السعدية أم النبي ﷺ من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي ﷺ من الرضاع يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبي الحديث ، وقد ألف الحافظ مغلطاي تأليفاً في إسلام حليمة ـ رضي الله عنها ـ رداً على من أنكر .

بابُ وَفاة أمّه ﷺ

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربع سنين وقيل خمساً وقيل ستاً وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه . روى الزهري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمّه إلى أخوال جدّه وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهراً ، وكان ﷺ بعد الهجرة يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ، ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليّ قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، ثم رجعت به أمه الى مكة . وفي رواية أبي نعيم قال ﷺ فنظر إليّ رجل من اليهود يختلف ينظر إليّ فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : أحمد ونظر إلى ظهري فسمعته يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى إخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة ، فلما كانت بالأبواء توفيت ودفنت فيها . وقيل بالحجون ، وقيل جمعاً بين الروايتين انها دفنت أولاً بالأبواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون ، والأبواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت فى حدود العشرين سنة .

وروى ابو نعيم في دلائل النبوّة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع اي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلاّم ... فودي غداة الضرب بالسهام

بمائــة من ابــل سوام ان صح ما أبصرت في المنام
فأنــت مبعــوث إلى الأنام تبعــث في الحــل وفي الحرام
تبعــث في التحقيق والإسلام دين أبيك البــر إبراهام
فالله أنهــاك عن الأصنام أن لا تواليهــا مع الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت وكل جديد بال وكمل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهراً قالت : فكنا نسمع نوح الجنّ عليها فحفظنا من ذلك :

تبــكي الفتــاة البــرة الأمينه ذات الجمال العفــة الرزينه
زوجــة عبــد الله والقرينه أم نبــي الله ذي السكينه
وصاحــب المنبــر بالمدينه صارت لدى حفرتهــا رهينه
لو فوديت لفــوديت ثمينه وللمنــايا شفــرة متينه
لا تبــق ظعانــاً ولا ظعينه إلا أتــت وقطعــت وتينه
أمــا دللــت أيهــا الحزينه عن الــذي ذو العــرش يعلي دينه
فكلنــا والهــة حزينه نبــكيك للعطلــة أو للزينه
أو للضعيفــات وللمسكنيه

قال الزرقاني في شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطي بعد ذكر أبياتها السابقة ، وهذا القول منها صريح في أنها موحدة ، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنهاﷺ بالإسلام من عند الله ونهيه عن الأصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله وإلهيته وانه لا شريك له ، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها ، وهذا القدر كاف في التبري من الكفر ، وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وإنما يشترط قدر زائد على هذه البعثة ولا يظنّ بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً ، على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمهﷺ منهم كيف وأكثر من تحنف منهم إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنهﷺ من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا ، وأمهﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها من آياته الباهرة وما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها أضاءت له قصور الشام ، حتى رأتها ،

وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره : أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما لك للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن في كلمات أخر من هذا النمط ، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ، ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤينا أنها تحنفت في حياتها . وأما أبوه ـ رضي الله عنه ـ فنقل عنه كلماتٍ وأشعار تدل على توحيده أيضاً كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر الذي تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ، ولم ينلن منه شيئاً وكان نور النبي ﷺ يضيء في وجهه كالكوكب وقد قال ﷺ : لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات ، فالكافر لا يوصف بأنه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر. قال في المواهب : وقد روي أن آمنة آمنت به ﷺ بعد موتها ، فروى الطبراني وابن شاهين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ نزل بالحجون كئيباً حزيناً ، وفي رواية : وهو باكٍ فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسروراً ، قال يخاطب عائشة ـ رضي الله عنها ـ سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردّها أي الى ما كانت عليه من الموت . وروى السهيلي من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به ولفظه بسنده إلى عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ سأل ربه ان يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما . قال السهيلي : والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه ﷺ أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته . ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بان أبويه ﷺ ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي : مال إلى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث ، وادّعى بعضهم أنه موضوع وهذا مردود الحق أنه ضعيف لا موضوع وهذا مردود والحق أنه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال :

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفاً

فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً منيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفاً

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب ، هاشم وزهرة . قال الزرقاني في شرح المواهب : بعد ذكر حديث إحيائهما وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخراً عنها فلا تعارض بينه وبينها . وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية : أن الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم :

أيقنت أن أبا النبي وأمه أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني : الذي يظهر لي أن المراد صححوا العمل به في الاعتقاد وان كان ضعيفاً لكونه في مرتبته فيرجع لكلام السيوطي وقال التلمساني : روى إسلام أمه بسند صحيح وكذا روى إسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفاً له وسيذكر في ا لمواهب في المعجزات ان الله أحيا على يده ﷺ خمسة منهم الأبوان . قال القرطبي في التذكرة : إنّ فضائله ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون إحياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يردّ ذلك إجماع ولا قرآن وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً فقد ورد في ا لكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله ، كما قصّ الله ذلك في سورة البقرة . وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يده جماعة من الموتى .

قال الزرقاني : فأحيا ابنة الرجل الذي قال : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء إلى قبرها وناداها فقالت : لبيك وسعديك . رواه البيهقي في الدلائل . وأباه وأمه وتوفي شاب من الأنصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياته الله ، رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ، ولما مات زيد بن حارثة الأنصاري من سراة الأنصار كشفوا

عنه فسمعوا على لسانه قائلاً يقول : محمد رسول الله ﷺ الحديث رواه ابن ابي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » . وأخرج ابن الضحاك أن انصارياً توفي فلما كفن وحمل قال : محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات .
قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه وإذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد إحيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضاً بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصاً وقد ماتا في حداثة السن ، فإن والده ﷺ عاش نحو ثمان عشر سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريباً ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان ، وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجياً ولا يعذب ، ويدخل الجنة لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقد أطبقت الأئمة الاشاعرة من أهل الأصول والشافعية من الفقهاء على أنّ من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ويدخل الجنة . قال الجلال السيوطي : هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الأصول ونص على ذلك الشافعي في الأم والمختصر وتبعه سائر الأصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف ، واستدلوا على ذلك بعدّة آيات منها : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه هي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الأشاعرة ، وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وإنكارهما متفق عليه بين الأشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الأصول لقوله تعالى ذلك : ﴿ إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ .

ثم اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغ الدعوة فأحسنها من قال : انه ناج وإياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة . ومنهم من قال مسلم : قال الغزالي : والتحقيق أن يقال في معنى المسلم : وقد مشى على هذا في والدي رسول الله ﷺ قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة ، قال السيوطي : وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به إذا سئل عنهما قال : وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة ، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والمصحح منها ثلاثة :

الأول : حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة معاً مرفوعاً أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث ، أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب اليها .

والثاني : حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - موقوفاً وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي ، اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر ، في تفاسيرهم وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

والثالث : حديث ثوبان مرفوعاً أخرجه البزار والحاكم في المستدرك . وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي . قال الحافظ ابن حجر . والظنّ بآبائهﷺ كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عينهﷺ . قال القاضي عياض في الأحاديث التي فيها : انهﷺ جاء قبر أمه فبكى بكاء هائلاً بكاؤهﷺ ليس لتعذيبها وانما يأسف على ما فاتها من إدراك أيامه والايمان به . قال الزرقاني : وقد رحم الله بكاءه فأحياها له حتى آمنت به . ثم قال : وما ألطف هذه العبارة من القاضي عياض فانها صريحة في ان البكاء إنما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الأمة لا لكونها على غير الحنيفية . وقال الفخر الرازي في تفسيره : أن أبويّ النبيﷺ كانا على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام كما كان زيد عمرو بن نفيل واضرابه بل أن آباء الأنبياء كلهم ما كانوا كفاراً تشريفاً لمقام النبوّة ، وكذلك أمهاتهم وإنّ آزر لم يكن أباً لابراهيم عليه السلام ، بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ مع قولهﷺ : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . وقال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ، وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون ، منهم العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء ، فقالا : لم يتقدّم لوالديهﷺ شرك وكانا مسلمين لأنه عليه الصلاة والسلام انتقل من الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة ، ولا يكون ذلك إلا مع الايمان بالله تعالى ، وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب ، وهذا لازم في جميع الآباء ، وقد أيد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيراً وشكر سعيه ، فمن تلك الأدلة حديث البخاري : بعثت من خير قرون

بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه ، مع ما ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها . وأخرج الإمام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعني بعثت من خير قرون بني آدم الخ وأنّ الأرض الم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الإمام لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعي ، وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنيفية دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ فهو المدعي وإما أن يكونوا على الشكر فيلزم أحد أمرين إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح ، وإما ان يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع . وقال تعالى : ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ﴾ فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض في زمانهم وساق نصوصاً وأدلة كثيرة في إيمان الآباء الطاهرين من آدم إلى إبراهيم ـ عليهما السلام ـ ثم قال : وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأنّ العرب من عهد إبراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد إلى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمر بن لحي ، فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم وكان قريباً من كنانة جد النبي ﷺ . ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعداً وربيعة ومضر وخزيمة وأسداً والياس وكعباً على ملة ابراهيم . ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بإيمانهم إلا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد إبراهيم فإنه يستثني وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الأجداد ، وسلمت سلسلة النسب . قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله :

تنقل أحمد نوراً عظيما تلألأ في جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلي : ان عبد المطلب لم تبلغ الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بأن عبد المطلب

كان على الحنيفية والتوحيد . وذكر ابن سيد الناس ان الله احياه حتى آمن بهﷺ لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالأكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ، ويؤيده قولهﷺ يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الأشراف ، ذكره في السيرة الحلبية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ويؤيده أيضاً ما اتضح له من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الأحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والإشارات حتى تبين له أن محمداًﷺ هو النبي الموعود به آخر الزمن ، حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الإصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبيﷺ سيبعث كما ذكروا بحيراً الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وإن كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لأنها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة . وقد روي عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضي أنه عرف بها نبوّة النبيﷺ فمن ذلك أن قوماً من بني مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبيﷺ احتفظ به فانا لم نر قدماً اشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم إبراهيم عليه السلام ـ وبينا عبد المطلب يوماً في الحجر وعنده أسقف نجران والأسقف رئيس النصارى في دينهم ، وذلك الأسقف يحدثه ويقول : إنا نجد صفة نبي تقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده . ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول اللهﷺ فنظر اليه وإلى عينيه وإلى ظهره وقدميه فقال : هو هو : ما هذا منك . قال : هذا إبني قال : ما نجد أباه حياً قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وأمه حبلى به قال : صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه ؟ وعن أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ قالت : كنت احصن النبيﷺ أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسي يقول : يا بركة قلت : لبيك . قال : أتدرين أين وجدت ابني ؟ قلت : لا أدري . قال : وجدته مع غلمان قريباً من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم ، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول عليّ بابني أي احضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه ، وعن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف قيل أدركت الإسلام ولها صحبة قالت : تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب وذهب بالأموال واشفين اي أشرفن على الأنفس فسمعت قائلاً يقول في المنام : يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم هذا ابن أيان وقت خروجه به ويأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم نسباً طوالاً عظاماً أي طوالاً عظيماً أبيض مقرون الحاجبين أهدب

الأشفار ، اي طويل شعر الأجفان اسيل الخدين أي لا شعر بهما رقيق العرنين اي الأنف ، فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ، ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فأصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلاً وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي ﷺ وهو غلام ، فتقدم عبد المطلب فقال : لا هم هؤلاء عبيدك وإماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون ، فذهبت بالظلف والخف والحافر أي البقر والإبل والخيل والبغال والحمير ، فأشفت على الأنفس أي اشرفت على ذهابها فأذهب عنا الجدب ، وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأدوية قال : وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب : هنيئاً لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء ، وفي هذه القصة تقول رقيقة :

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا وقد عدمنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاء بالماء جوّ نوله سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت حقابه مضر
مبارك الاسم يستسقي الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر إلى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب ، وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم ، فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام ، فقال لهم : افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال : قد اصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصحح عندنا خبرك ، فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعاً وطاعة موعدكم غداً عرفات ثم أصبح غادياً اليها وخرج معه الناس وأولاه ومعه رسول الله ﷺ وهو صغير ، فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ، ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال : اللهم رب البرق الخاطف ، والرعد القاصف . رب الأرباب وملين الصعاب ، هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال ، وذهاب النفوس والأموال ، اللهم

فأتح لهم سحابا خوّارة وسماء خرّارة لتضحك أرضهم ، ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دويّ وقصدت نحو بلادهم . فقال عبد المطلب : يا معشر قيس ومضر ، انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا .

وذكر ابن الجوزي أنهﷺ في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يفد فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الأعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقطعليه فخرج مبادراً فقال : يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ، ولو لم أخرج اليك لخرب علي ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ، ثم عالجه وأعطاه ما يعالج به . وفي رواية : أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول اللهﷺ ثم قال : هو والله خاتم النبيين ، ثم قال : يا عبد المطلب هذا رمد ؟ قال : نعم . قال ان دواءه معه خذ من ريقهﷺ وضعه على عينيهﷺ فبرأ لوقته . ثم قال الراهب : يا عبد المطلب وتالله هذا الذي أقسم على الله فأبرىء المرضى وأشفي الأعين من الرمد وتقدم من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الأخلاق ، وتحنثه بغار حراء وإطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش في رؤوس الجبال من مائدته ، وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر ، وتحريمه الخمر على نفسه ، ومنعه من الزنا من نكاح المحارم ، وقتل الموءودة وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن ذلك قوله : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لأهل مكة عند مجيء اصحاب الفيل :

لا هم أن المرء يمنع رحلـه فامنـع رحالك
وانصر على آل الصليـ ـب وعابـديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله ، فكان يضرب القداح ويقول : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود ، من عندك الطارف والتليد فهل التوحيد شيء غير هذا ؟ كلا والله . وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالإجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم أنه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبيﷺ ويجلس معه ، فأراد بعض أعمامه ان يمنعه فقال عبد المطلب : ردّوا ابني الى مجلسي فانه محدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وأرجو أن يبلغ

من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كان ﷺ يبكي خلف سريره .

وروى أبو نعيم في الحلية والبيهقي أن سيف بن ذي يزن الحميري لما ولّي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم ، لأن ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم ، كعبد الله بن جدعان التميمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار ، فأخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب .

وفي الوفاء للسيد السمهودي وجدوه جالساً على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب ، فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام بين يديه واستأذنه في الكلام فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً شامخاً وانبتك نباتاً طالت أرومته ، وعظمت جرثومته ، وانت ملك العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، وكهفها الذي يلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وانت فيهم خير خلف ، فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة اي التعزية . فعند ذلك قال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن اختنا لأن أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن . نعم . قال : ادْن ثم اقبل عليه وعلى القوم . وقال مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً ومستناخاً سهلاً وملكاً سجلاً : أي كثير العطاء قد سمع مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اي العطاء إذا ظعنتم ، ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الأرزاق فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علم لو غيرك يكون لم نبح له به ولكن رأيتك معدنه

فأطلعتك طلعه أي عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه ، إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون ، الذي ادّخرناه لانفسنا ، وأحتجبناه دون غيرنا خيراً عظيماً وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاء للناس عامة ، ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال له عبد المطلب : مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر ، قال : إذا ولد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة ، فقال له عبد المطلب : أيها الملك ابت بخير آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته من مساره إياي اي مساررته اياي بما أزداد به سروراً فقال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد ، يموت ابوه وأمه يكفله جده وعمه قد ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه ، ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أي جميعاً ويستفتح بهم كرائم الأرض بعبد الرحمن ويدحض الشيطان ، أي يزجره ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، أي يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، قال له عبد المطلب : جد جدك، ودام ملكك ، وعلا كعبك فهل الملك ساري بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الايضاح ، قال والبيت ذي الحجب ، والعلامات على النقب ، إنك لجده يا عبد المطلب غير كذب ، ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟ قال : نعم أيها الملك : إنه كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً وإني زوّجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته محمداً ، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعني أبا طالب .

فقال له الملك : إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً من باب الاحتياط والإعلام بقدره ، ثم قال له : واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تداخلهم النفاسة في أن تكون لهم الرسالة ، فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ، ولولا أعلم أن الموت مجتاحي أي مهلكي قبل مبعثه لسرب بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ، أن يثرب أحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا اني أفيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنة أمره ، وأعليت على أسنان العرب كعبه ، ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ، ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة

أعبد سود وعشرة إماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضة ومائة من الإبل وكرسياً مملوءاً عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : إذا جاء الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لمن معه : لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره ، فإذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين . قال الزرقاني في شرح المواهب : وما ذكره الفخر الرازي من تفسير قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ بتنقيله في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه في تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ، ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول . فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا ، ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون ، الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد في قوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أنها لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام ، وعن قتادة في الآية قال : هي شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده .

قال الشهاب ابن حجر الهيتمي : ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أباً لابراهيم حقيقة وإنما كان عمه ، والعرب تسمي العم أباً كما جزم به الفخر ، بل في القرآن ذلك . قال تعالى : ﴿ وإله آبائك ابراهيم واسمعيل ﴾ مع أنه عم يعقوب وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف ، فقد روي بالأسانيد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا : ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر في تاريخ ابن المنذر صرّح فيه بانه عمه . قال الزرقاني : وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جداً . فخطأ من قال انه عمه ، وزعم انه تبع الشيعة وأنه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم ، وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافراً وإنما الخلاف في اسمه ، وأطال في بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هي الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل ، كيف وقد قال

اولئك السلف أنه عمه . وحكاه الرازي ونقله حافظ السنة في عصره وأقرّه وايده بما لا محيص عنه ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار وقد وافق الرازي على الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردي من ائمة الشافعية وناهيك بهما وأما الأخبار الواردة في تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم ، فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها ؛ أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ مع ضعف اكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل أو أنها منسوخة بما ورد في الأبوين مما يخالفها .

فمن الأحاديث المعارضة ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال : إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ فقال : في النار فكأنه وجد من ذلك فقال : أين أبوك أنت ؟ فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، فأسلم الأعرابي بعد فقال : لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار ، وأجمل ﷺ الجواب بقوله ، حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جرياً على عادته إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب أجابه بجواب فيه تورية وإيهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية إرتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ، ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه ، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما عبره الرواة ورووه بالمعنى ، كرواية مسلم ، أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ؟ فلما قفا دعاه فقال : ان أبي وأباك في النار . فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير ، لخصه الزرقاني في شرح المواهب ، وأحسن ما يقال فيها أن الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب هو الرواية الأولى ، فهي في غاية الاتقان ، تبين بها أن اللفظ العام هو الصادر من النبي ﷺ ، ورآه الاعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله . ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضاً بالأدلة القرآنية والأدلة الواردة في أهل الفترة ، والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرّر في الأصول .

فإن قيل : حيث قررت أن اهل الفترة لا يقضي عليهم بشيء حتى يمتحنوا فكيف حكم ﷺ على أبي السائل بأنه في النار ؟ أجاب السيوطي بجواز أنه يعصي عند الامتحان ، وأوحي اليه ﷺ بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخاً بها وبجواز أنه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصرّ ومات في عهده وهذا لا

عذر له البتة . قال الزرقاني : وفي الثالث نظر لأنه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الأب الكريم وجه إذ الفرق لائح لأن أباه بلغته البعثة والأب الشريف لم تبلغه ، اللهم إلا أن يجاب بأن الأعرابي توهم أنه لا يكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ؛ ولا ينكر هذا منه لأنه لم يكن حينئذ تفقه في الدين ، بل لم يكن أسلك كما صرح به في حديث سعد وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وبعضهم روى هذه القصة بأن السؤال عن الأم وجمع بأنه سأله مرة عن أبيه ومرة عن أمه .

ومن الأحاديث المعارضة للنجاة

حديث مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة وأجيب كما في الزرقاني بأن حديث عدم الاذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر ، بدليل أنه ﷺ كان ممنوعاً في أوّل الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له رفاء ومن الاستغفار مع أنه من المسلمين وعلل بأن استغفارة مجاب على الفور ، فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله في الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضي دينه ، فقد تكون أمه مع كونها متحنفة محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمور أخر غير الكفر ، اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار إلى أن أذن الله فيه ، بعد ذلك قال : وأما حديث أمي مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار ، لجواز أنه أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك ، وعبر بذلك تورية وإيهاماً تطيباً لقلوبهما . قال : وأحسن منه أنه صدر ذلك منه قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعاً ألعيناً كان أم لا . أخرجه الحاكم وابن شاهين عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقال بعد أن أوحى اليه في شأنه : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم ، أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فكأنه أولاً لم يوح إليه في شأنها بشيء ، ولم يبلغ القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمهما جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى اليها أمرها بعد . قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور ، وذلك أصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث ، وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن

القاضي عياض ان الأحاديث التي فيها البكاء عن قبر أمه ، تحمل على أن بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان أسفاً على ما فاتها من إدراك أيامه اي بعثته ، والايمان به . وقد رحم الله بكاءه فأحياها حتى آمنت .

ومن الأحاديث المعارضة للنجاة ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أومأ الى المقابر أي أشار إلى أنه يريد الذهاب إليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه ، ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فدعاه ثم دعانا فقال : ما أبكاكم ؟ فقلنا : بكينا لبكائك فقال : ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي وإني استأذنته في الدعاء . وفي رواية : في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي :﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ فأخذني ما يأخذ الولد للوالد اي من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ، ضعفه ابن معين وغيره . قال الذهبي فيه ابو ايوب بن هانىء ضعيف . قال السيوطي : فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع أنه معارض بالأحاديث التي فيها أن الآية نزلت في أبي طالب وأما ما يذكره بعض المفسرين من أن قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ نزلت في الأبوين ، فذلك باطل لا أصل له . بل الآية نزلت في اليهود والنصارى . قال ابو حيان : في البحر وسابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل إنها نزلت في أبي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً رأيت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار ، وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا بصر به احد قال : إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك بأجوبة : أحدها بأنها أخبار آحاد تفيد الظنّ فلا تعارض القطع بأنهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها ، وإن صحت . الثاني : قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على هؤلاء اتباعاً للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع ، والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب ، وان كنا نحن لا نعلمه . الثالث : قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدّل وغير من أهل الفترة كعمرو ابن لحي فانهم فعلوا من الضلال والإضلال ما لا يعذرون به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع . وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل

من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أي بعمله وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الأيادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية ، وعرف الله بعقله وكان يقول : سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ، ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه في كلام آخر. وروى اليعمري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً رحم الله قساً اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتي شيء من اخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنة ، وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة ، وكان يقول إني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان إلى هذه القبلة وأنا انتظر نبياً من بني إسمعيل يبعث ولا أراني أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد انه نبي ، وقال لعامر بن ربيعة : إن طالت بك حياة فأقره مني السلام قال عامر : فلما أعلمت النبي ﷺ بخبره رد - عليه السلام - وترحم عليه وقال : رأيته في الجنة يسحب ذيولاً . ومن هذا القسم أبو بكر الصدّيق - رضي الله عنه - فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ، ولذا قال بعض المحققين : كل من أبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - يلقب بالصدّيق وانه يقال فيه - كرم الله وجهه - لكن اشتهر الصديق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي - رضي الله عنهما - وكل منهما لم يسجد لصنم قط ، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حِمْيَرَ وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصّروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية ، قال الزرقاني : ولا بدع أن يكون الأبوان الشريفان كالقسم الأول ، أعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الأبوان أولى بذلك ، كما تقدم .

القسم الثاني

من أهل الفترة ممن غير وبدّل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرّم وهم الأكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر أوّل من سنّ للعرب عبادة الأصنام ، وغير دين ابراهيم وجدّه قمعة بن خندف أبو خزاعة ، وخندف زوج الياس بن

مضر ؛ وقد ذكر ابن إسحٰق في سبب تغيير عمرو بن لحي وتبديله وإشراكه انه خرج الى الشام ، وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الأصنام فاستوهبهم واحداً منها وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة ، وهو هبل وقيل : كان له تابع من الجن يقال له : ابو ثمامة : جاءه ليلة فقال : اجب ابا ثمامة فقال : لبيك من تهامة أدخل بلا ملامة . فقال : ائت سيف جدّه تجد آلهة معده ، فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب ؛ قال : فتوجه الى جدّه فوجد الأصنام التي كانت تعبد زمن نوح ، فحملها الى مكة ، ودعا الى عبادتها ، فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب ، وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو : لبيك لا شريك لك فقال الشيخ إلا شريكاً هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال : ما هذا ، فقال : قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به فقالها عمرو ، فدانت بها العرب وشرع لهم الأحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي فكانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحروا أذنها اي شقوها وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول : ان شفيت من مرضي او قدمت من سفري فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها ، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم أو ذكراً فهو لآلهتهم . وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم وإذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى ، وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الأقسام يجعلونها لطواغيتهم ، وتبعته العرب في غير ذلك ايضاً مما يطول ذكره كعبادة الجنّ والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتاً لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة .

القسم الثالث

وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله . وفي الجاهلية من كان على ذلك وإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثاني لأجل كفرهم بما تعدّوا به من الخبائث ، وقد سمى الله هذا القسم كفاراً ومشركين فإنا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى في مقام الردّ والإنكار لما ابتدعوه : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا

يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ﴾ وانما قيل لهم لا يعقلون لأنهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن اكثرهم بخلاف القليل منهم . فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الأول .

وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقاً إذا علمت ذلك تعلم أن والدي النبي ﷺ إما أن يكونا من أهل القسم الأول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم ، فيما تقدم ، وإما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين وكونهما في زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقاً وغرباً وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلّغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أحبار أهل الكتاب ، مفرّقين في أقطار الأرض كالشام وغيرها ، وما عهد لهما تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمراً طويلاً يسع الفحص عن المطلوب ، مع زيادة أن امه ﷺ مخدّرة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال ، لا تجد من يخبرها ، وإذا كان النساء اليوم مع فشوّ الإسلام شرقاً وغرباً لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه ؟ ولهذا لما بعث ﷺ تعجب أهل مكة وقالوا : ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك ، وربما كانوا يظنون أن ابراهيم ـ عليه السلام ـ بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة ، وأما أهل القسم الأوّل كقس بن ساعده وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة السلام ، في كل منهما ، انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بأنهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل ـ عليهما السلام ـ وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى : وإذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لأبائه الكرام وأمهاته الفخام .

واختلفوا في ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والأكثرون على عدم ثبوت الصحبة لأن اجتماعهم بالنبي ﷺ كان قبل بعثته وإرساله إلى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ، ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الذي دخلوا فيه ما لم يلحق أحدهم الإسلام الناسخ لكل دين ، لكن تبع لم

يدرك الإسلام قطعاً وقال فيه ﷺ قبل أن يوحى اليه فيه لا أدري تبعاً ألعيناً كان ام لآثم لما أوحى الله فيه . قال : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم أي وحد الله وصدق النبي ﷺ قبل ظهوره . وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يمت تبع حتى صدق بالنبي ﷺ لما كانت يهود يثرب يخبرونه . قال الإمام جلال الدين السيوطي : إني لم ادّع أن مسئلة الأبوين إجماعية بل هي مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها ، غير أني اخترت اقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص ، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ لأن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به ، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك عند المخاطبة ، كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الناس يقولون : أنت بنت حطب النار فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال : ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله .

وروى الطبراني والإمام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ : لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ولا ريب إن أذاه ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب وعند المالكية يقتل وإن تاب فإذا سئل العبد عن الأبوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة . إما لأنهما أحييا حتى آمنا به كما جزم الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها ، كما جزم به الأبي في شرح مسلم ، وإما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك ، كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء ، فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيئاً من ذلك . وقد نقل العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ، ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك . قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ، وسئل القاضي أبو بكر بن العربي ، أحد أئمة المالكية ، عن رجل قال : إن أبا النبي ﷺ في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً ﴾ ولا أذى أعظم من أن يقال ابوه في النار ، وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلاً من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلاً كان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ فقال له : ما

حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلاً كان أبوه يزن بالمنانية ؟ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي ﷺ مشركاً؟ فقال عمر: آه ثم سكت ، ثم رفع رأسه ثم قال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ ثم قال: لا تقل لي شيئاً ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد أطنب الجلال السيوطي ـ رضي الله عنه ـ في الاستدلال لإيمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل ، وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنا في نجاة آباء المصطفىﷺ . قال في مسالك الحنفا : وقد سئلت أن أنظم في هذه المسئلة ابياتاً اختم بها هذا التأليف فقلت :

إن الـذي بعـث النبـي محمداً   أنجـى به الثقلـين ممـا يجحف
ولأمـه وأبيه حكم شائع   أبـداه أهـل العلـم فيما صنفوا
فجماعـة أجـروهما مجرى الذي   آبائـه خـير الدعـاة المسعف
والحـكم فيمـن لم يجئـه دعوة   ان لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبـذاك قال الشـافعية كلهم   والأشعـرية ما بهـم متوقف
وبسـورة الإسراء فيه حجة   وبنحـو ذا في الـذكر آي تعرف
ولبعض أهـل الفقـه في تعليله   معنـى أرقّ من النسيم وألطف
ونحـا الإمـام الفخـر رازيّ الورى   منحـى به للسامعـين تشنف
إذ هم على الفطـر الـذي ولـدوا ولم   يظهـر عنـاد منهـم وتخلف
قال الألى ولـدوا النبـي المصطفى   كل على التـوحيد إذ يتحنف
من آدم لأبيه عبـداً لله ما   فيهـم أخـو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسـورة التوبة   نجس وكلهـم بطهـر يوصف
وبسـورة الشعـراء فيه تقلب   في الساجـدين فكلهـم متحنف
هذا كلام الشيخ فخـر الـدين في   أسراره هبطـت عليه الذرف
فجـزاه رب العـرش خـير جزائه   وحبـاه جنـات النعيم تزخرف
فلقـد تدين في زمـان الجاهليـ   ـة فرقة دين الهـدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصـ   ـديق ما شرك عليه يعكف
قد فسّر السبـكي بذاك مقالة   للأشعـري ومـا سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضـا منه على الصـ   ـديق وهو بطـول عمـر أحنف

عادت عليه صحبة الهادي فما　　في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما　　ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه　　أبويه حتى آمنا لا تحرفوا
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً　　في ذاك لكنّ الحديث مضعف
هذي مسالك لو تفرد بعضها　　لكفى فكيف بها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته　　أدباً ولكن اين من هو منصف
صلى الإله على النبي محمد　　ما جددّ الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله　　وفي رضاه يدوم ولا يتوقف

بابٌ في وفاة جدّه عَبد المطلبْ ووَصيّته لأبي طَالبْ

كان جده عبد المطلب هو الكافل لهﷺ بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده إذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وكانت وفاة جده وعمر النبيﷺ ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفي مائة وأربعين سنة ، وقيل مائة وعشرة ، وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصيّ. ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف ، وزعمت الروافض ان اسمه عمران وأنه المراد من قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ قال الحافظ ابن كثير : وقد أخطئوا في ذلك خطأ كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان ، فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى : ﴿ رب إني نذرت لكل ما في بطني محرراً ﴾ وحين أوصى به جده لأبي طالب أحبه حباً شديداً لا يحبه أحداً من ولده ، فكان لا ينام إلا إلى جنبه ، وكان يخصه بأحسن الطعام ، وقيل اقترع ابو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما ، فخرجت القرعة لأبي طالب ، وقيل بل هو ﷺ اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له ، وقيل إنه كان مشاركاً لعبد المطلب في كفالته ، وقيل كفله الزبير حتى مات عبد المطلب ، ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير ، وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه لهﷺ بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة ، فهي من علامات نبوّته . ففي خبر سيف ذي يز ن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيراً قال بعضهم : لم يبك علي أحد بعد موته ما بكى على عبد المطلب ، وكانﷺ يسعى خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان

ولم يقم لموته سوق بمكة أياماً كثيرة ، ومما رثته به ابنته أميمة قولها :

أعيني جوداً بدمع درر على ما جد الخير والمقتصر
على ما جد الجد وأرى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات كثير المفاخر جم الفخر

وكان أبو طالب مقلاً من المال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم النبيﷺ شبعوا ، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني ، فيأتي رسول اللهﷺ فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم ، وإذا كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أوّلهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب ، فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وإن كان أحدهم وحده يشرب قعباً واحداً ، فيقول أبو طالب : إنك لمبارك ، وكان ابو طالب يقرب إلى الصبيان أول بكرة النهار شيئاً يأكلونه فيجلسون وينتهبون، فيكف رسول الله ﷺ يده ولا ينتهب معهم تكرماً منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاماً على حدته ولا ينافي ما قبله لأنه يجوز أن يكون ذلك خاصاً بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء ، فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم . وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصاً مصفرة ألوانهم ويصبح رسول اللهﷺ دهيناً كحيلاً صقيلاً كأنه في أنعم عيش لطفاً من الله به . قالت أم أيمن : ما رأيت رسول الله يشكو جوعاً قط ولا عطشاً لا في صغره ولا في كبره ، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة ، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا في بعض الأوقات فلا ينافي ما سبق ، وكان يوضع لأبي طالق وسادة يجلس عليها فجاء النبيﷺ فجلس عليها فقال : إن ابن أخي ليحسر بنعيم ، أي بشرف عظيم . وكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده كذلك ، ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج به متى خرج .

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحطوشدة من احتباس المطر عنهم ، فقائل منهم يقول : اعمدوا اللات والعزى . وقائل منهم يقول: اعمدوا مناة الثالثة الأخرى. فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي : أنى

تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل ؟ قالوا : كأنك عنيت أبا طالب فقال : إيهاً فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا : يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبي ﷺ كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أي أشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجىء ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدودق الوادي اي امطر وكثر قطره وأخصب النادي والبادي . وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشاً حين تمالئوا على أذيته ﷺ بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب ، فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة اخرى قبل هذا ، فروى الخطابي حديثاً فيه أن قريشاً تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس ، فقام عبد المطلب واعتضده ﷺ فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب . ثم دعا فسقوا في الحال ، فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعني قوله : وأبيض يستسقي البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتاً لأبي طالب على الصواب خلافاً لمن قال أنها لعبد المطلب ، فقد أخرج البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتاً ، فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بإبراقها ثم بعد ذلك جاؤوا يضجون من المطر خوف الغرق ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله در أبي طالب ، لو كان حياً لقرّت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي ـ رضي الله عنه ـ كأنك تريد قوله : وأبيض يستسقي وذكر أبياتاً فقال ﷺ :أجل فهذا نص صريح من الصادق ﷺ بأن ابا طالب منشىء البيت وأوّل القصيدة :

ولما رأيت القوم لأودّ عنهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل

وقد جاهرونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول
اعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى بعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم يحاول
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه ... وراق لبر في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطاعن عن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال الزرقاني : وما أحلى قوله في ختامها عن ابن اسحق :

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

قال الإمام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري : إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوّة النبيﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من احواله ، ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوّتهﷺ جاء في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره ، وتمسك بها الشعية في أنه كان مسلماً ، وألف علي بن حمزة البصري الرافضي جزا جمع فيه شعر أبي طالب ، وقال : إنه

كان مسلماً وأنه مات على الإسلام ، وان الحشوية تزعم أنه مات كافراً وأنهم بذلك يستجيزون لعنه ، ثم بالغ في سبهم والرّد عليهم . قال الحافظ ابن حجر : قد أكثر في هذا الجزء من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت شيء من ذلك ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه ، والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الأربعة عدم إسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن ، وجاءت به السنة ، وإن كان عنده تصديق قلبي بنبوّته ، فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري .

وروى البخاري أنه ﷺ كان يقول له عند موته وقبل الغرغرة : يا عم قل لا إلّه إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة . وفي رواية أحاج . وفي رواية ، اشهد لك بها عند الله . وفي رواية . يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ على إيمانه قال له : يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها إلا لأسرّك بها . وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري : فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه بإذنه فقال : يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ ، فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع : وفي رواية قال العباس : إنه أسلم عند الموت ، وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على إسلامه ، لكن أجاب عنه القائلون بعدم إسلامه بان شهادة العباس لأبي طالب بالإسلام مردودة، لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم ، مع أن الأحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد اثبتت لأبي طالب الوفاة على الكفر .

فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال : اي عم قل لا إلّه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال ابو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزالا يردّانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا إلّه إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : والله لأستغفرنّ لك ما لم أنْهَ عنك . فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ وقوله : هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم، أن المحققين على نجاة عبد المطلب لأنه أراد حكاية ظاهر الحال لهم، مع أن عبد

المطلب له عذر وهو عدم إدراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي طالب خطاباً لرسول الله ﷺ ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء ﴾ وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرسول الله ﷺ : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الأرض الى نحو الكعبين فاستعير للنار . وفي رواية : لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار . قال الزرقاني : لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية . وقال الحافظ ابن حجر : لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو اصح منه ، فضلاً عن أنه لا يصح .

وروى ابو داود النسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : لما مات أبو طالب أخبرت النبي ﷺ بموته فبكى ، وقال : أذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ، وهذا قبل نزول ﴿ ما كان للنبي ﴾ الآية . وفي رواية : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات ، قال : اذهب فواره . قلت : انه مات مشركاً . قال : اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي ﷺ فقال : اغتسل . وروى مسلم عنه ﷺ أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب . وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه . زاد في رواية : حتى يسيل على قدميه . قال البيهقي : إن هذا الحديث يخصص قوله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ فمن خصائصه ﷺ هذه الشفاعة لعمه أبي طالب . ويؤخذ من الحديث ، أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييباً لقلب الشافع . قال السهيلي : إن أبا طالب كان مع النبي ﷺ بجملته متحيزاً ناصراً له ، إلا أنه كان مثبتاً لقدميه على ملة قريش ، حتى قال عند الموت : انه على ذلك ، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على تلك الملة فيكون من مشاكله الجزاء للعم ثبتنا الله على الصراط المستقيم . قال القرافي في قوله السابق :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل

تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول : إني لاعلم أن ما يقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته . وفي شعره من هذا النحو كثير ، كقوله حين اجتمعت قريش وجاؤوه بعمارة بن الوليد وقالوا له : خذه بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمداً نقتله . فقال : ما أنصفتموني يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ، ثم قال :

والله ان يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة او حذار ملامة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وروى أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش . وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما اشتكى ابو طالب وبلغ قريشاً ثقله . قال بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا إلى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء يعنون القتل للنبيﷺ ، فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فمشى إليه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو جهل ، وأمية بن خلف ، وابو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم فأخبروه بما جاؤوا له . فبعث أبو طالب اليهﷺ فجاءه فأخبره بمرادهم وقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، أعط سادات قومك ما سألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك . فقال رسول اللهﷺ : أرأيتكم إن أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ فقال ابو جهل : لنعطيكها وعشراً معها فما هي ؟ قال : تقولوا لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن امرك لعجيب . فأنزل الله : ﴿ صٓ والقرآن ذي الذكر ﴾ الآيات .

وفي رواية ، قالوا: يسع لحاجتنا جميعا إله واحد ، سلنا غير هذه الكلمة . وقال أبو طالب : يا أبن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها ؟ قال : يا عم ما

أنا بالذي يقول غيرها ، ثم قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقال بعضهم لبعض : والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم قالوا عند قيامهم : والله لنشتمك وإلهك الذي يأمرك بهذا. وفي رواية : لتكفَّنَّ عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا . وقال ابو طالب عند ذلك : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شحطاً أي امراً بعيداً ، فلما قال ذلك طمع رسول الله ﷺ فيه : فجعل يقول : أي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ، فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال له : والله يا ابن اخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن يظنّ قريش إني انما قلتها جزعاً من الموت لأقررت بها عينك لما رأى من شدة وجدك ، لكني أموت على ملة الأشياخ ، فأنزل الله تعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية . وفي رواية :أن اباطالب قال عند موته : يا معشر بني هاشم ، أطيعوا محمداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا . فقال النبي ﷺ : يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟ قال : فما تريدنا ابن اخي ؟ قال : أريد أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله فقال : يا ابن اخي قد علمت أنك صادق لكن اكره أن يقال الخ الحديث ، واجتمعوا مرة اخرى عند أبي طالب فأوصاهم أبو طالب فقال : يا معشر العرب انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدَّم الشجاع والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا ادركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب وعلى حربكم الب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة ـ فان فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والمهات ، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وأوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأني انظر الى صعاليك العرب ، وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه احوجهم اليه ، وأبعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب

ودادها، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة . وفي رواية : دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ، ثم هلك على كفره . وقال لهم مرة : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما تبعتم امره فأطيعوه ترشدوا .

قال الزرقاني فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ، ومع ذلك سبق فيه قدر القهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذاباً كما في صحيح مسلم . والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كلها تدل على انه مات على كفره ، وأنه كان عنده تصديق بالنبي ﷺ ، ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه ، وأما حديث العباس ـ رضي الله عنه ـ الذي فيه : أنه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص . وقالت الشيعة بإسلامه تمسكاً بذلك الحديث وبكثير من أشعاره ، لكن مذهب أهل السنة على خلافه . ونقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف ، وصح عندهم إسلامه وأن الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييباً لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفاراً ، لأنه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم ، كما تقدم نظيره في حديث الذي قال أين أبي ؟ وأيضاً لو ظهر لهم إسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي ﷺ ولما تمكن من حمايته والدفع عنه ، فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وأنجاه في باطن الأمر لكثرة نصرته للنبي ﷺ وحمايته له ومدافعته ، ولكن هذا القول ، أعني القول بإسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شأنه وإنما يفوض الأمر فيه الى الله تعالى ، فإنه اسلم للعبد . قال في السيرة الحلبية نقلاً عن الهدي النبوي لابن القيم ، وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر إسلام من أسلم منهم ، ولو أسلم ابو طالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه إلى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر اليه الأباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم ان ذلك إنما هو على بصيرة صادقة ، ويقين ثابت . ولما

مات ابو طالب نالت قريش من النبي ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي ﷺ التراب ، فدخل ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك . وكان ﷺ يقول : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ، ولما رأت قريشاً تهجموا على أذيته قال : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك . ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته أياماً وقال له : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان ابو طالب حياً فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون إليك حتى أموت . واتفق ان ابن العيطلة سب النبي ﷺ فأقبل عليه ابو لهب ، ونال منه فولى وهو يصيح : يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فأقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له : فارقت دين عبد المطلب فقال : ما فارقته وفي لفظ قالوا له : أصبوت ؟ قال : ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن أخي ان يضام حتى يمضي لما يريد ، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم ، فمكث ﷺ أياماً لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا ابا لهب ، إلى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل ابيك يزعم أنه في النار . فقال أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه فخرج ابو لهب إلى أبي جهل وعقبة فقال : قد سألته فقال مع قومه فقالا : يزعم انه في النار . فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . وفي رواية : من مات على عبادة غير الله فهو في النار . فترك ابو لهب نصرة النبي ﷺ وحمايته ، وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى ، وانه مات في الفترة أو انه كان موحداً ، وإنما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم على ما كان عليه عبد المطلب ؛ ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سبباً لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو ﷺ يريد تنفيرهم عن عبادة الأصنام ، فاللائق بالمقام أن يجعل الكلام عاماً وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم ، من غير أن يفصل لهم ، ويظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لأن ذلك أبلغ في تنفيرهم ومن تأمل إجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم . وفي رواية : من مات على عبادة غير الله فهو في النار . وجاء في رواية : من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل أنها من تصرف الرواة ، ويحتمل انها مجارة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب في النار . وهكذا كان عادته ﷺ في إجابة الجاهلين يجيب كل إنسان على حسب حاله

اللائق به وبفهمه وعقله ، ويأتي بالكلام مهملاً تحرياً للصدق ، ومن تأمل الحديث السابق في سؤال الرجل الذي قال له أين أبي يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شيء من أمثاله ، فالنبيﷺ كان أعقل العالمين واعلمهم ، فيخاطب كل واحد على حسب حاله . وكانت وفاة ابي طالب سنة عشرة من النبوّة وإنما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه إلى ذكر الكلام على أبي طالب ، والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بمن نحن فيه والله اعلم .

ومن الإرهاصات التي ظهرت على يديهﷺ وهو صغير إنه كان مع عمه ابي طالب بذي المجاز ، وهو موضع على فرسخ من عرفة ، كان سوقاً للجاهلية فعطش عمه ابو طالب فشكا الى النبيﷺ وقال : يا ابن اخي قد عطشت ، فأهوى بعقبه الى الأرض . وفي رواية : الى صخرة فركضها برجله وقال شيئاً . قال ابو طالب : فإذا أنا بالماء لم أر مثله ، فقال : اشرب فشربت حتى رويت ، فركضها فعادت كما كانت . وسافرﷺ الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه في ذلك السفر عمه الزبير فمروا بوادٍ فيه فحل من الإبل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الأرض بصدره فنزلﷺ عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادي ، ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فقال رسول اللهﷺ : اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس : ان لهذا الغلام شأنا .

وفي السيرة الهشامية : أن رجلاً من لهب كان قائفاً وكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى ابو طالب بالنبيﷺ وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه ، فلما فرغ قال : عليّ بالغلام وجعل يقول : ويلكم ردّوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكونن له شأن ، فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغﷺ اثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشام فصب به النبيﷺ من الصبابة وكثرة الشوق. وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أي لزمه وقبض عليه . وفي رواية : مسك بزمام ناقة أبي طالب وقال : يا عم الى من تكلني لا أب لي ولا أم ؟ فأخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي لأن من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر بدليل قوله : ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة

أن يموت أبوه وأمه حامل به وان تموت أمه وهو صغير . قال ابو طالب لصاحب الدير : وما النبي ؟ قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبىء أهل الأرض . قال أبو طالب : الله أجل مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضاً صاحب دير فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له أب حي قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الأمة الأخيرة لأن ما ذكر علامته في الكتب القديمة .

قال ابو طالب : سبحان الله الله أجل مما تقول . ثم قال ابو طالب للنبي ﷺ : يا ابن أخي ألا تسمع ما يقول ؟ قال : اي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له ، وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابراً عن كابر، عن أوصياء عيسى ـ عليه السلام ـ وقيل كان بحيراً من أحبار اليهود وكان قد سمعه منادياً قبل وجوده ﷺ ينادي ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد . وفي رواية : والثالث المنتظر يعني النبي ﷺ . وكانت قريش كثيراً ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاماً كثيراً وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله ﷺ في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ ، وقد كان وجدهم سبقوه ﷺ الى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيراً فما شأنك اليوم ؟

فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ، ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ فقال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا : يا حبيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سناً . قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم ، فما أقبح ان

تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم ، فقال القوم : هو الله اوسطنا نسباً وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون ابا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب ، وما تخلف عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه عمه الحرث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم .

وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث أنه أصغر من النبي ﷺ فالظاهر الأول ، ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً أو ينظر إلى أشياء من جسده ، كان يجدها عنده من صفته ﷺ ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له : اسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ : لا تسلني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغض شيئاً قط بغضبهما . فقال بحيرا : فبالله الا ما اخبرتني عما أسألك عنه فقال له : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده ، فقبّل موضع الخاتم فقالت قريش : ان لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حياً ؟ قال : فانه ابن اخي . قال : فما فعل ابوه ؟ قال : مات وامه حبلى به . قال : صدقت . ثم قال : فما فعلت امه ؟ قال توفيت قريباً . قال : صدقت . فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه يهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شراً ، فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد أدّيت اليك النصيحة فأسرع به الى بلده .

وفي رواية : لما قال له ابن أخي . قال له بحيرا : أشفيق عليه أنت ؟ قلت : نعم . قال : فوالله لئن قدمت به الشام أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشأم ، الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود ، فرجع به الى مكة . ويقال : انه قال لذلك الراهب : ان كان الأمر كما وصفت فهو في حصن من الله ، ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة

من طلب التوقي فبعثه عمه مع بعض غلمانه . وفي رواية : فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة . وفي رواية أن بحيرا قال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : ما أعلمك ؟ فقال : انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً ولا يسجد الا لنبي ، وإن الغمامة صارت تظله دونهم وإني لأعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه . وفي رواية أن سبعة من الروم عرفوه ﷺ وأرادوا قتله فردّهم بحيرا وقال لهم : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه ؟ قالوا : لا . فبايعوه بحيراً على مسالمة النبي ﷺ وعدم أخذه وأذيته . وجاء في بعض الروايات : أن النبي ﷺ رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل إن هذه الزيادة خطأ وقيل إنها صحيحة ، وإن بلالاً كان مع أمية بن خلف في تلك العير ، وكذا كان في العير أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبي ﷺ لمقاربتهما له في السن . وجاء في بعض الروايات : حتى إذا نزلوا منزلاً وهو سوق بصرى من أرض الشأم ، وفي ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال : من الذي في ظل السدر ؟ فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : والله هذا نبي هذه الأمة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم إلا محمد أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي إلا النبي الهاشمي .

قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون سفر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ معه ﷺ في سفرة أخرى وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة ، وإن ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطوراً ، فاشتبه الأمر على بعض الرواة .

واختلف العلماء في بحيرا ونسطوراً ونحوهما ممن صدق بنبوّته ﷺ هل يعدون في الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعدّ من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذي قدم من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فان ذلك صحابي روى عن النبي ﷺ حديثاً في التحذير من شرب الخمر ، وقد حفظ الله النبي ﷺ مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وأفضل قومه مروءةً وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جواراً وأكثرهم حلماً وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثاً فسموه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة .

فمن ذلك ما ذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحق ان رسول الله ﷺ قال : لقد رأيتني اي رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وحبله على رقبته يحمل عليها الحجارة فإني لا قبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم اي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة لم تكن وجيعة ، ثم قال شدّ عليك إزارك فأخذته فشددته عليّ ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري عليّ من بين أصحابي . ووقع له مثل ذلك عند إصلاح أبي طالب بئر زمزم وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال : أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي : استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة .

ومن ذلك ما جاء عن عليّ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة ، إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما ، قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها . وفي رواية : قلت لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان قال : نعم . وأصل السمر الحديث ليلاً فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت : من هذا ؟ قالوا : فلان تزوّج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت الى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك .

من ذلك ما جاء عن أم أيمن قالت : كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلف عنده ، وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك ، قالت : حتى رأيت أبا طالب غضب عليه أشد الغضب ، وجعلن يقلن إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا . وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ؟ فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعاً مرعوباً فقلن ما دهاك ؟ فقال : إني أخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهي المسّ من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي رأيت ؟ قال : إني كلما دنوت

من صنم منها أي من تلك الأصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه ، قالت : فما عاد إلى عيدهم حتى تنبأ ﷺ .

ومن ذلك ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كلما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وأنبت لها من الأرض الكلأ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله . قالت : فما ذقت شيئاً ذبح على النصب أي الأصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي فكان ما سمعه من زيد سبباً لتركه ما ذبح على الأصنام أي مؤكداً لما عنده ، فلا ينافي ان السبب الأصلي حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية ، وزيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الأوثان والذبائح التي تذبح للأوثان، ونهى عن الوأد وكان يحييها أي إذا أراد أحد ذلك أخذا الموءودة من أبيها وكفلها وكان إذا دخل الكعبة يقول : لبيك حقاً تعبداً ورقاً عذت بما عاذ به ابراهيم ، ويسجد مستقبلاً للكعبة . قال ولده سعيد ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ يوماً : يا رسول الله إن زيداً كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له . قال : نعم . واستغفر له ، وقال : انه يبعث يوم القيامة أمة وحده اي يقوم مقام جماعة . وزيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الأوثان والميتة وما يذبح للأوثان ، حتى أن قريشاً كانوا يوماً في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم ، فقال بعض هؤلاء الأربعة لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ وهؤلاء الأربعة هم : زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته ﷺ أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ ولم يدرك البعثة . وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح ، وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضاً ، وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ، ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته ، وهو الذي كان متزوّجا بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل النبي ﷺ وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش : والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم

غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ، ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الأخبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ، ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال : انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه . فخرج سريعاً يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بأصل جبل حراء. يروى انه قال لعامر بن ربيعة: أنا أنتظر نبياً من ولد اسمعيل ولا أرى أني أدركه وأنا أدين به وأصدقه وأشهد أنه نبي، وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني عليه . قال عامر : فلما أسلمت بلغته ﷺ عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين .

ومن ذلك ما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قيل للنبي ﷺ هل عبدت وثناً قط؟ قال : لا . قالوا : هل شربت خمراً ؟ قال : لا . وما زلت أعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان أي كيفية الدعوة اليهما . وعنه ﷺ قال : لما نشأت بغضت إلي الأصنام وبغض إلي الشعر .

باب رعايته ﷺ

لزيادة الرحمة في قلبه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم.قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط اي وهي من اجزاء الدراهم والدنانير يشتري بها الحوائج الحقيرة ، وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة . في رواية بالقراريط بأجياد فالأوّل لبيان الأجرة، والثاني لبيان المكان . ومن حكمة الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أصعب البهائم سكن قلبه للرأفة واللطف ، فإذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال ، ووقع الافتخار بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم عند النبيﷺ فاستطال أصحاب الإبل فقال رسول الله ﷺ : بعث موسى وهو راعي غنم ، وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت أنا وأنا راعي غنم ؛ أهلي بأجياد وهو موضع بأسفل مكة من شعابها . وقالﷺ : الغنم بركة والإبل عز لأهلها . وقال في الغنم : منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا . وفي رواية : سمنها معاش وصوفها رياش . وفي الحديث : الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم .

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكمباث وهو النضيج من ثمر الأراك فقالﷺ : عليكم بالأسود منْ ثمر الأراك فانه أطيبه ، فإني كنت أجتنبه إذ كنت أرعى الغنم ، قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا وقد رعاها ولا ينبغي لأحد عُير برعاية الغنم أن يقول كان رسول الله ﷺ يرعى الغنم ، فان قال ذلك أدب ، لأن ذلك كمال في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ، ويجري ذلك في كل ما يكون كمالاً في حق النبيﷺ دون

غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال : كان النبي ﷺ أمياً ادب .

وحضر النبي ﷺ حرب الفجار ، وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول : حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلت وقيل لم يرم ، وإنما كان يناول عموته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس ، فبسطوا يوماً رجله وقال : أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف ، فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها ، وقيل جرحه فقط ، فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله ﷺ وهو غلام ، فإذا جاء هزمت هوازن وإذا لم يجيء هزمت كنانة فقالوا : لا أبالك ، لا تغب عنا ففعل ذلك ، ويروى أنه ﷺ طعن في تلك الحروب أبا براء ملاعب الأسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم ، والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم . وسميت حرب الفجار لأن العرب فجرت فيه لأنه وقع في الشهر الحرام ويسمي الفجار الأوّل ، ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها أربعة . وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العقابس أي الأسود ، وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر ، وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ، ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤوا للوعد وكان أمر قريش وكنانة إلى عبد الله بن جدعان التميمي ، وقيل كان إلى حرب بن أمية والد أبي سفيان لأنه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيماً في حجره ، وهو ابن عمه فضنّ أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير أذنه ، فلم يشعر إلا وهو على بعير بين الصفين ينادي : يا معشر مُضر علام تفانون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو اليه ؟ قال : الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ، ونعفو عن دمائنا ، فان قريشاً وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلاً ذريعاً . قالوا وكيف ؟ قال : ندفع لكم رهناً منا الى أن نوفي لكم ذلك ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ، ودفعوا الى هوازان أربعين رجلاً فيهم حكم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ، فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم . وانقضت حرب الفجار ، وقيل ودت قريش قتلى هوزان ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافراً وهو والد هند أم معاوية زوج ابي سفيان ـ رضي الله عنهم ـ وكان

يقال : لم يسد مملق اي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب ، فانهما سادا بغير مال ، وفي كلام بعضهم :ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق ، وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا ابوه وجدّه وجد جده كلهم يعرفون بالإفلاس .

وحضرﷺ حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب ، والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار ، وأوّل من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب ، عم رسول اللهﷺ ، فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى ، وذلك في دار عبد الله بن جدعان التميمي ، كان بنو تيم في حايته كأهل بيت واحد بقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزور أو ينادي مناديه : من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان ، وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشاً ، وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن ، فاتفق أن امية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد ، فقال أمية :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا يعلنن به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشأم يحمل البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه : ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ، ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك أن شيمتك الثناء
كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، بعد أن كان مغرماً بها ، وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ، ثم أخبروه بذلك حين صحا ، فحلف لا يشربها أبداً .

وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي . وقال : لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أنكح كرمتي من لا أريد ، فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان طعاماً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدّى اليه حقه ما بل بحر صوفة . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت لرسول الله ﷺ : ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، لأنه لم يقل يوماً ما ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين . رواه مسلم اي لم يكن مسلماً لأن القول المذكور لا يصدر إلا من مسلم . وكان يكنى أبا زهير ، وقال ﷺ في اسرى بدر : لو كان ابو زهير حياً فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير ، وازدحم النبي ﷺ مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان ، فدفع النبي ﷺ أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحاً أثر فيها وقد جاء أنه ﷺ قال : كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي أي في الهاجرة ، وسميت الهاجرة بذلك لأن عمى تصغير أعمى على الترخيم ، رجل من العماليق ، أوقع بالعدّو القتل في مثل ذلك الوقت ، وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء أمره صعلوكاً وكان مع ذلك شريراً فتاكاً لا يزال يجني ، فيعقل عنه ابوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبداً ، فخرج هائماً في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقاً في جبل فدخل ، فإذا بثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج ، فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالاً من الملوك موتى .

ووجد في ذلك المحل أموالاً كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة ، وصار ينقل منه شيئاً فشيئاً ووجد في ذلك الكنز لوحاً من رخام مكتوباً عليه : أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله ، عشت خمسمائة عام ، وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ، ثم بعث عبد الله بن جدعان إلى أبيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف . وفي رواية : تحالفوا على أن يردّوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلماً زاد بعضهم ، ما بل بحر صوفة وما رسا حراً أو ثبير

مكانيها والمراد الأبد ، وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله ﷺ ، وكان يقول : ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم أي الإبل وإني اغدر بالغين المعجمة والدال المهملة أي لا أحب الغدر به وإن أعطيت حمر الإبل في ذلك . وفي رواية : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب ان لي حمر النعم أي بفواته ولو دعي في الإسلام لأجبت ، أي لو قال قائل من المظلومين : يا آل حلف الفضول لأجبت لأنّ الإسلام إنما جاء بإقامة الحق ونصرة المظلوم .

ووقع في بعض الروايات أنه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لأن حلف المطيبين كان قبل وجوده ﷺ لأنه وقع بين بني عبد مناف بن قصي وهم هاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى وبني تيم وبني الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بني عمهم عبد الدار بن قصيّ وأحلافهم بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي ، ويقال لهم الأحلاف . وأجيب بان الذين تعاقدوا في حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الأوّل فأطلق عليه انه هو السبب في هذا الحلف أعني حلف الفضول الواقع في دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه ان رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي ، وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه ، فاستدعى عليه الزبيدي الأحلاف بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصي وانتهروه أي أظهروا له الشر . فرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وابو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يردّوا إليه حقه شريفاً أو وضيعاً ثم مشوا إلى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه .

وذكر السهيلي ان رجلاً من خثعم قدم مكة معتمراً أو حاجاً ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ونادى بالحلف الفضول فإذا هم يُعْنِقون اليه من كل جانب ، وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك؟ فقال : ان نبيها ظلمني في بنتي فنزعها مني قسراً فساروا اليه فقالوا ردّها فقال : أفعل ولكن متعوني بها الليلة . فقالوا : والله ولا شخب لقيحة اي مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم .

وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال : كان بين الحسين بن عليّ بن ابي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين ، فقال الحسين للوليد : احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذنّ سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ثم لأدعوك لحلف الفضول أي لحلف كحلف الفضول ، وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ، ووافقه على ذلك جماعة منهم : عبد الله بن الزبير لأنه كان إذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم .

بابُ سَفَره ﷺ

إلى الشام ثانياً مع ميسرة غلام خديجة ـ رضي الله عنها ـ وذلك لما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له : يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ علينا الزمان ، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتي الشام ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بداً فقال ﷺ : لعلها ترسل إليّ في ذلك . فقال أبو طالب : إني أخاف أن تولّي غيرك فتطلب أمراً مدبراً فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه .
فقالت : ما علمت أنه يريد هذا وأرسلت إليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك فذكر ذلك ﷺ لعمه ، فقال : ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة ـ رضي الله عنها ـ في تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمراً ولا تخالف له رأياً وجعل عمومته يوصون به أهل العير ، ومن حين مسيره ﷺ ظللته الغمامة ، وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة ، وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم يكن منهم تاجراً فليس عندهم بشيء ، فسار ﷺ حتى بلغ سوق بصرى ، فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطوراً الراهب ، فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال : يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة ؟ فقال : رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال لهم الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى ـ عليه السلام ـ الا نبي .

وفي رواية ان الراهب دنا اليه ﷺ بعد أن عرف العلامات الدالة على نبوّته المذكورة في الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبّل رأسه وقدميه ، وقال : آمنت بك وأنا أشهد انك الذي ذكر الله في التوراة فلما رأى الخاتم قبله. وفي رواية قال : يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوّتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لي عن كتفك ، فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوّة يتلألأ ، فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى فانه قال : لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي ، صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد لا بعد في بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه ﷺ لاحتمال ان بقاءها معجزة أو أنها كانت شجرة زيتون لأن شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضاً ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها ، حتى نزل ﷺ أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره . وفي رواية قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال ميسرة : نعم . لا تفارقه أبداً قال : هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج . فوعى ذلك ميسرة ثم حضر ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة ، فقال الرجل : احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك . ثم قال الرجل لميسرة وخلابه : هذا نبيّ ، والذي نفسي بيده انه الذي تجده احبارنا منعوتاً في كتبهم ، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعاً وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية أي غرفة عالية لها رأت رسول الله ﷺ وهو على بعير وملكان يظلانه ، رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ، ودخل عليها ﷺ فأخبرها بما ربحوا فسرت ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي خالفه في البيع وقدم ﷺ بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما كانت سمته له . وفي رواية : باعوا متاعهم وربحوا ربحاً ما ربحوا مثله قط ، حتى قال ميسرة : يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة ما رأينا ربحاً قط أكثر من هذا الربح على وجهك ، وقبل ان يصلوا الى بصرى عيى بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة ، وكان رسول الله ﷺ في أوّل الركب ، فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين ، فانطلق يسعى الى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأقبل رسول الله ﷺ الى البعيرين ، ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في أوّل الركب ولهما رغاء ، وألقى الله محبة النبي ﷺ في قلب ميسرة حتى كأنه عبده ، ولما بلغوا مر الظهران

أمره النبي ﷺ بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها . وفي رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك . ووقع رؤية جبريل - عليه السلام - لجمع من الصحابة - رضي الله عنهم - قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ : من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال ، وإقبالهم على الله بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً ، نقله الحلبي في السيرة وذكر فيها أن خديجة - رضي الله عنها - استأجرت النبي أيضاً سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة ، وذلك يفيد أنه ﷺ سافر لها سفرات .

وتزوّج ﷺ خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوماً وكانت تدعى في الجاهلية والإسلام بالطاهرة ، لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضاً سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بأبي هالة بن زرارة التميمي ، ومات في الجاهلية وكانت ولدت هند بن أبي هالة ، وهو من الصحابة - رضي الله عنه - كان يروي عنه الحسن بن علي - رضي الله عنه - ويقول : حدثني خالي لأنه أخو فاطمة - رضي الله عنها - لأمها وقتل - رضي الله عنه - مع علي يوم الجمل وولدت له أيضاً ذكراً آخر يسمى هالة فهند وهالة . ذكر ان ثم بعد موت أبي هالة تزوّجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتاً اسمها هند أسلمت ، وصحبت النبي ﷺ ولم ترو شيئاً . وقيل ان عتيقاً تزوّجها قبل النباش وكان لها حين تزوّجها بالنبي ﷺ من العمر أربعون سنة أخرى ، وكانت عرضت نفسها عليه فقالت : يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك ، وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك .

وعن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخيرة ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً الى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك ان تتزوّج ؟ فقال : ما بيدي ما أتزوّج به . قلت : فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لي بذلك ؟ فذهبت

فأخبرتها فأرسلت اليه ان ائت لساعة كذا، وأرسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوّجها ، فذكر ﷺ ذلك لأعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد تدين بشريعة عيسى - عليه السلام - قبل نسخها فقال لها : إن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً نبي هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة، نبي منتظر وهذا زمانه . وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوماً فيه فجاءهن يهودي فقال : يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل ، فحصبنه بالحجارة ، وقبحنه وأغلظن له ، واغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها .

فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هي قالت : ان كان ما قال اليهودي حقاً ما ذاك إلا هذا ، فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه ابو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها ، وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، فخطبها ابو طالب من خويلد وعمروُ للنبي ﷺ ، فرضي واصدقها عشرين بكرة، وقيل اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية ، وقيل على أربعمائة دينار ، وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر - رضي الله عنه - ذلك العقد، فقال ابو طالب : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسمعيل وضئضيء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم .

فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال : الحمد الله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا عليّ معاشر قريش بأني قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ، ثم سكت ، فقال أبو طالب : قد أحببت ان يشركك عمها فقال

عمها : اشهدوا عليّ يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، فقبل النبي ﷺ النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على أن الذي أنكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلدا مات قبل حرب الفجار ، وقيل لما تزوّجها ﷺ ذهب ليخرج فقالت له : إلى أين يا محمد ؟ اذهب وانحر جزوراً أو جزورين وأطعم الناس ففعل ، وهي أوّل وليمة أولمها ﷺ . وفي رواية : فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت : مُر عمك ينحر بكراً من بكراتك وأطعم الناس ، وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل ﷺ فقال معها فأقر الله عينه وفرح ابو طالب فرحاً شديداً وقال : الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ، ودفع عنا الهموم .

يروى ان النبي ﷺ جاء يوماً عند خديجة قبل أن تتزوّج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت : بأبي أنت وأمي ما أفعل هذا لشيء ولكن أرجو أن تكون أنت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وداع الإله الذي سيبعثك لي . فقال لها : والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه أبداً وان يكن غيري فان الإله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبداً ، وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدّم بقوله :

ورأته خديجة والتقى والز هد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسر ح أظلته منهما أفياء
وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته إلى الزواج وما احـ ـسن ما يبلغ المنى الأذكياء

قال بعضهم : وتظليل الغمام له ﷺ . كان قبل النبوّة تأسيساً لها وانقطع ذلك بعد النبوة .

وحضر ﷺ بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمساً وثلاثين سنة وذلك أنه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة بخرتها فطارت شرارة في باب الكعبة فاحترقت جدرانها ، فلما ارادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا اوّل من يخرج من هذه السكة فكان ﷺ أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل . وفي رواية : أنهم قالوا : نحكم أول من

يدخل من باب بني شيبة فكانﷺ أوّل من دخل منه ، فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش أن يأخذ بطائفة من الثوب ، فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده . وذكر ابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أوّل داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد بن المغيرة واسم أبي أمية حذيفة وكان أسن قريش ، وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبي أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لأنه إذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الإسلام ، ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله :

ألا هلك الماجد الرافد وكل قريش له حاسد
ومن هو عصمة أيتامنا وغيث إذا فقد الراعد

وذكر السهيلي أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي اسنانكم ؟ فكاد يثير شراً بينهم ثم سكتوا ، وحضرﷺ معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجار من أجياد وكان يضعون إزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبيﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ، ففعل فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ونودي : يا محمد ، غط عورتك فلم ير عرياناً بعد ذلك ، وبقي بنيان قريش هذا إلى أن هدمها عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ وبناها على قواعد ابراهيم . ثم لما قتله الحجاج ردّها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن .

فائدة :

لما حوصر عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قاتل قتالاً شديداً وثبت معه أناس ثم اشتد الأمر عليهم ، فانصرفوا وأخذوا لأنفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه إلا عبد الله بن صفوان بن أمية ، فقاتل معه أشدّ القتال ، فأذن له عبد الله في الانصراف وأن يأخذ لنفسه عهداً وذمة من الحجاج ، فأبى وقال : إني أقاتل على ديني . فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله ـ رضي الله عنهما ـ فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ـ رضي الله عنه ـ .

بابُ مَاجَاءِ مِنْ أمر رسُول الله ﷺ

عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الأشجار ، ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره ، وصفته في الكتب القديمة ، وما وجد فيه اسمه مكتوباً من النبات والأحجار وغيرهما . قال ابن إسحق : كانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمنه .

أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالاً حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرونها فعرفوها .

وفي هذا تصريح بأن الملائكة كانت تذكره ﷺ في السماء قبل وجوده ، فأما أخبار الأحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة ـ رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . فقالوا له : ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم. والذي يحلف به ويودّ الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أي وينجو من تلك النار غداً . فقالوا له : ويحك وما آية

ذلك ؟ قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده الى مكة واليمن . قالوا : ومن يراه ؟ فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً فقال : ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة : والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث محمداً ﷺ وهو أي ذلك اليهودي بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغياً وحسداً . فقلنا له : ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عنبسة السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال : رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها قال : فلقيت رجلاً من أهل الكتاب من أهل تيماء وهي قرية بين المدينة والشام ، فقلت : إني امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه إلّه فيخرج فيأتي بأربعة أحجار فيعين ثلاثة لقدره أي يستنجي بها ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه شكلاً قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره ، وإذا نزل منزلاً سواه ، ورأى ما هو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الأحسن فرأيت انه إلّه باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيره فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بأفضل الدين ، فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك إلا مكة ، آتي فأسأل : هل حدث حدث ؟ فيقال : لا . ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها ، فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفياً ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته اي شيء أنت ؟ قال : نبي قلت : من نبأك؟ قال : الله قلت : وبم أرسلك ؟ قال : بعبادته وحده لا شريك له وبحقن الدماء وكسر الأوثان وصلة الرحم وأمان السبيل . فقلت : نعم . ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : ألا ترى كراهة الناس ، ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث معي كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني ، فكنت في أهلي حتى خرج الى المدينة ، فسرت اليه وقلت : يا نبي الله أتعرفني ؟ قال : نعم . أنت السلمي الذي أتيتني بمكة .

ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إنما دعانا الى الإسلام مع رحمة الله او هداه ما نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم

بعض ما يكرهون ، قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث يقتلكم قتل عاد وإرم أي يستأصلكم بالقتل ، فكان كثيراً ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به ، فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا . ففي ذلك نزلت هذه الآية : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ .

ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة ان رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الإسلام بسنين فحلّ بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا نظن أحداً من غير المسلمين أفضل منه لأن المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر أي حبس ، قلنا يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول :لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له : كم ؟ فيقول صاعاً من تمر ومدين من شعير فيخرجها ثم يخرج الى ظاهر حرثنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقي ، قد فعل ذلك غير مرة اي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع؟ فقلنا: أنت أعلم . قال : انما قدمت هذه الأرض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اي أقبل ، وقرب كأنه لقربه أظلهم اي ألقى عليهم ظله ، وهذه البلاد مهاجرة وكنت أرجو ان يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن اليه يا معشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه ، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ وحاصر بني قريظة قال لهم : نفر من هذل إخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شباناً أحداثاً يا بني قريظة ، والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

ومن ذلك خبر العباس ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان أن محمداً قائم في ابطح يقول : انا رسول الله ادعوكم الى الله ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن ، فجاءنا حبر من اليهود فقال : بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال . قال العباس ، فقلت : نعم . قال : نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة ؟ قلت : لا ، والله ولا كذب ولا خان ، وما كان اسمه عند قريش إلا الأمين . قال : هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم ، فخشيت

من ابي سفيان أن يكذبني ويرد عليّ فقلت : لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال : ذبحت اليهود ، وقتلت اليهود . قال العباس : فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من أبن أخيك فقلت : قد رأيت لعلك تؤمن به قال : لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالفتح والمدّ قلت ما تقول قال : كلمة جاءت على فمي إلا أني أعلم ان الله لا يترك خيلاً تطلع على كذا ، قال العباس : فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت : يا ابا سفيان ، تذكر تلك الكلمة ؟ قال : اي والله إني لأذكرها .

ومن ذلك ما جاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لأبي سفيان : اني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظنّ أني هو وكنت أتحدّث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف بأخلاقه إلا عتبة بن ربيعة إلا أنه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره . قال ابو سفيان فلما بعث محمد ﷺ قلت لأمية فقال أمية : أما أنه حق فاتبعه فقلت له فما منعك ؟ قال : الحياء من نساء ثقيف إني كنت أخبرهّن اني هو فكيف الآن أتبع فتى من بني عبد مناف ؟ .

وأما اخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدّم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟ فقلت : نعم . انا قال : هل ظهر احمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اي يبعث فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرّة وسباخ فإياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال الراهب : فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله ﷺ فأخبره فسر بذلك ، وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدّهما في حبل فلذلك سميا القرينين .

ومنها ما حدّث به سعيد بن العاص بن سعيد قال : لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله ﷺ ، فخرج الى الشام فمكث سنة ثم قدم فأوّل شيء سأل عنه ان قال : ما فعل محمد ؟ قال له : عمي عبد الله بن سعيد وهو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ، ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاماً وأرسل إلى سراة بني أمية أي أشرافهم فقال لهم : إني كنت بقرية فرأيت بها راهباً يقال له بكا لم ينزل

إلى الأرض منذ أربعين سنة أي من صومعته فنزل يوماً فاجتمعوا ينظرون إليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال : ممن الرجل ؟ فقلت : إني من قريش وإن رجلاً هناك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت : محمد ؟ قال منذ كم خرج ؟ فقلت : عشرين سنة . فقال : ألا أصفه لك ؟ قلت : بلى . فوصفه فما أخطأ في صفته شيئاً ثم قال لي هو والله نبي هذه الأمة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال : اقرأ لي عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية لأنها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب .

ومنها ما حدث به حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : دخلنا الشام لتجارة قبل أن أسلم ورسول الله ﷺ بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال : من أي العرب أنتم ؟ من هذا الذي يزعم أنه نبي . قال : فقلت يجمعني واياه الجد الخامس . فقال : هل أنتم صادقي فيما سألتكم عنه ؟ فقلنا : نعم . فقال : هل أنتم ممن اتبعه أم ممن ردّ عليه ؟ فقلنا : ممن ردّ عليه وعاداه فسألناه عن أشياء مما جاء بها رسول الله ﷺ فأخبرناه ، ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلاً في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فإذا صورة رجل قال : أتعرفون من هذه صورته ؟ قلنا : لا . قال : هذه صورة آدم ثم تتبع أبواباً يفتحها ويكشف عن صور الأنبياء ويقول : هذا صاحبكم ؟ فنقول : لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح باباً وكشف عن صورة فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم . هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا . قال : أتدرون متى صوّرت هذه الصورة ؟ قلنا : لا . قال : منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت أني عنده فأشرب غُسالة قدميه .

ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبي بكر فقال : هل تعرفون الذي أخذ بعقبه ؟ قلنا : هو ابو بكر فقال : هل تعرفون الذي أخذ بعقبة ؟ قلنا : هو عمر بن الخطاب . قال : أشهد أن هذا رسول الله ﷺ وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا .

ومنها ما حدث به سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وشد الياء وفي لفظ من قرية من قرى الأهواز يقال لها رامهرمز ، وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها انشأت وأما أبي فمن أصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير أهل قريته ، وكنت أحب خلق الله الى أبي لم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي قاطنها بمعنى

خادمها ، الذي يوقدها لا يتركها تخبو أي تطفأ ساعة وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل عنها في بنيان له يوماً فقال لي : يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم فاذهب الى الضيعة ، وأمرني فيها ببعض ما يريد . ثم قال لي : ولا تحتبس عني فان احتبست عني كنت اهم اليّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي أمرني بها وبعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهمن يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس ابي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم آتها . ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال: اي بنيّ اين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبتِ مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيته من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بنيّ ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه . فقلت له : كلا والله انه لخير من ديننا ، فخاف مني أن أهرب فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته . وبعثت الى النصارى قلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم ، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فأخبروني بهم فأخبروني ، فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم إلى الشام ، فلما قدمتها قلت : من أجل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الاسقف في الكنيسة والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين ـ فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك . قال : ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضاً شديداً لما رأيت منه ، ثم مات . فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم : ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً فقالوا لي : وما أعلمك بذلك ؟ فقلت: أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً: وفي رواية : وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم ، مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر

وكان نقياً من الشهوات ، ومن ثم قال في الفتوحات المكية : أجمع أهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا : ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفاً عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله : ﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله : ومن قواعد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتاً لغد ، ولا يكنزون ذهباً ولا فضة . وقال : رأيت شخصاً قال لراهب : انظر لي هذا الدينار هو من ضرب اي الملوك ، فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهي عنه عندنا قال : ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصاً ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له : أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا : رأوا نصفاً مربوطاً على عاتقه فقلت : ربط الدرهم مذموم فقالوا : نعم عندنا وعندكم وعند نبيكم ﷺ .

قال سلمان وعند ذلك جاؤوا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أي لا أظن احداً من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً فأحببته حباً شديداً لم احبه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً حتى حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي ؟ قال : أي بنيّ والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان فهو على ما كنت عليه . فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال : أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت عند خير رجل فلما احتضر قلت : يا فلان ان فلاناً أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بنيّ والله ما أعلم رجلاً على ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به ، فلما مات وغيب ، لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال : أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان ثم إن فلاناً أوصى بي إليك فالى من توصي بي وإلى من تأمرني ؟ فقال : يا بنيّ ما اعلم بقي أحد على أمرنا ان تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته ، فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرته خبري فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر ، قلت له : يا فلان إني كنت مع

فلان فأوصى بي الى فلان ، ثم أوصى فلان الى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ فقال : اي بنيّ والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أي أقبل وقرب زمان نبيّ مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرّتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوّة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن .

وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى ـ عليه السلام ـ أربعة . وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وقيل : أربعة وعشرون . قال سلمان : ثم مرّ بي نفر من كلب تجار فقلت لهم : احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه فقالوا : نعم فأعطيتهموها فحملوني حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من أعمال المدينة المنوّرة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فمكثت عنده فرأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم اتحقق ذلك فبينا انا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها اي تحققتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها وبعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله إني لفي عذق أي نخل لسيدي ، أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة أي وهم الأوس والخزرج لأن قيلة امهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبيّ . قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك . فقلت : لا شيء إنما أردت أن استثبته فيما قال . قال سلمان : وقد كان عندي شيء جمعته وهو محتمل لأن يكون تمراً ولأن يكون رطباً فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إني قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو وجاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقرّبته اليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي : هذه واحدة أي من العلامات أعني كونه لا يأكل الصدقة . قال سلمان : ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحوّل رسول الله ﷺ للمدينة فجئته

فقلت : اني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ بقباء لما قدم المدينة . قال سلمان : وكان عليه ﷺ شملتان فجلس مع اصحابه فسلمت عليه ثم ابتدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ : تحوّل فتحولّت بين يديه فقصصت عليه حديثي ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فأعجب رسول الله ﷺ .

وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي ﷺ لم يفهم النبي ﷺ كلامه فطلب ترجماناً فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية ، فمدح سلمان النبي ﷺ وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرّف الترجمة ، فقال النبي ﷺ هذا الفارسي جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان ، فقال النبي ﷺ لليهودي : ذلك أي الذي ترجمه جبريل لليهودي فقال اليهودي : يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك إليّ ؟ فقال ﷺ : ما كنت أعلمها قبل ، والآن علمني جبريل أو كما قال : فقال اليهودي : يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندي أنك رسول الله ﷺ ثم قال : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ﷺ . ثم قال ﷺ لجبريل عليه السلام: علم سلمان العربية . فقال: قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح ، وهذا الذي قدّمه سلمان للنبي ﷺ صرح في بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيئاً فوهبه له ، فجاء به للنبي ﷺ فلا يشكل ذلك بأنه مملوك لا ملك له ، ثم أسلم سلمان وصحب النبي ﷺ . ثم قال له ﷺ : كاتب يا سلمان صاحبك . قال : فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة ودية وهي الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أي الحفر أي احفر لها وأغرسها بتلك الحفر وتصيرحية ، وأتعهدها إلى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب . فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لي رسول الله ﷺ : تفقر أي احفر لها فإذا افرغت فأتني أكن أنا اضعها بيدي . قال : ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته ﷺ فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الوديّ فيضعها رسول الله ﷺ بيده فما مات منها ودية واحدة . وفي رواية : فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلة غرسها عمر ـ رضي الله عنه ـ فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله ﷺ : من غرسها ؟ قالوا :

عمر ،فقلعها وغرسها رسول الله ﷺ بيده فأطعمت من عامها .وقيل إلا نخلة غرسها سلمان بيده . قال الحلبي : يحتمل أن كلاً من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أو اشتركا في غرسها . قال سلمان : فأدّيت النخل وبقي عليّ المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل البيضة أي بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب ، فقال : ما فعل الفارسي ؟ فدعيت له فقال : خذ هذه فأدّها عما عليك يا سلمان ، قلت : واين تقع هذه يا رسول الله مما علي ؟ فقلبها على لسانه ﷺ ثم قال : خذها فان الله سيؤدّي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم ، والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله :

ووفى قدر بيضة من نضار دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قناً فأعتق لما أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

قال سلمان :وشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وقيل شهد بدراً وأحدا قبل ان يعتق أي وهو مكاتب فيكون أوّل مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل : شغل عنها قبله بالرق . ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص ، والذي تقدم هو أصح الروايات . قال الحلبي في السيرة : ونقل بعضهم الإجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبراً عالماً فاضلاً زاهداً متقشفاً ، وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل إلا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضهاويلبس بعضها .قال بعضهم: دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له : تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجري عليك رزقك ؟ فقال : اني أحب أن آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه .

وأما أخبار الكهان لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي أيام رضاعه ومنها أيضاً خبر عمرو بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ قال : والله لقد عملت أن محمداً رسول الله قبل أن يبعث فقيل : وكيف ذاك ؟ قال : فزعنا إلى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن : أقسم بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الادراج ، والريح ذات العجاج ، أن هذا الأمر آج ولقاح ، ذات نتاج ، قالوا وما نتاجه ؟ قال : ظهر نبيّ صادق بكتاب ناطق وحسام فالق . قالوا : ومن أين يظهر؟ وإلى ماذا يدعو؟ قال : يظهر

بصلاح ، ويدعو الى فلاح . ويعطل القداح ، وينهي عن الراح والسفاح وعن الأمور القباح ، قالوا : ممن هو ؟ قال : من ولد الشيخ الأكرم حافز زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد .

ومنها خبر قس بن ساعدة الأيادي وهو أوّل من قال البينة على المدّعي واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادي ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله نعرفه ، قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . ان في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، مهاد موضوع ،وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور ، أقسم قس قسماً حاتماً لئن كان الأمر رضاً ليكونن سخطاً ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ ثم قال ﷺ : أيكم يروي قوله ؟ فأنشدوه :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس بها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الإنجيل ، وبشر بك ابن البتول ، وأنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه ، فسر بذلك رسول الله ﷺ ثم قال له النبي ﷺ : يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت بين يدي القوم اقفوا أثره كان من أسباط العرب عمّر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أوّل من ترك عبادة الأصنام من العرب ، وأوّل من قال : أما بعد ، وأوّل من كتب من فلان الى

فلان . قال الجارود :كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من هواه ادّكار وليال خلا لهن نهار
وجبال شوامخ راسيات وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوساً لها هدى واعتبار

فقال النبي ﷺ : على رسلك يا جارود فسلت أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فإني أحفظه يا رسول الله ، كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، من عاش مات ، وما مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، وجمع وأشتات ، وآيات بعد آيات ، ان في السماء لخبراً ، وفي الأرض لعبراً ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يذهبون ، فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام ، فقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قس قسماً حاتماً لا حانثاً فيه ولا آثماً ، أن لله ديناً هو أحب اليه ، من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه وأظلكم زمانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه فعصاه ، ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر أياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعوّاد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد ، وزخرف ونجد ، وغره المال والولد ، أين من طغى وتمرّد وبغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الاعلى ، ألم يكون أكثر منكم أموالاً ، وأطول منكم آجالاً ، وأبعد منكم آمالاً ، طحنهم التراب بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود .

ثم أنشأ يقول الأبيات المتقدمة .

وفي رواية زيادة ان الصعب ذا القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان كلمحة عين ،وفي رواية : قال في خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة . قالوا له :وما هذا ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان ،فإذا دعاكم فأجيبوه ،ولو علمت أني أعيش الى مبعثه لكنت أوّل من يسعى اليه . وقد رويت هذه القصة من طرق متعدّدة يقوي بعضها بعضاً كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزي ببطلان هذا الحديث ثم ابن بعض طرقه يدل على أن النبي ﷺ كان حافظاً لكلامه وبعضها على انه نسي فيحتمل أنه كان ناسياً ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه ـ أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك ، واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ، ففي كل مرة ذكر شيئاً . وقد جاء في الحديث « رحم الله قساً انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام » وقيل إنه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى ـ عليه السلام ـ ومن شعره :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا خير نبيّ قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلباً في الإسلام ، أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكفر من لم يشهد . وله أشعار كثيرة منها قوله :

شهدت بأن الله حق وسامحت بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عني رسالة بأني حنيف حيث كنت من الأرض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حِمْيَرَ وتسمى به بلدهم أن بطناً من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر

رسول الله ﷺ وانتشر في العرب جاؤوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس ، فرفع طرفه الى السماء طويلاً ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم . أيها الناس قليل .

وألحق بعضهم بهذا الباب ما نقل عن تبع من ذكره للنبي ﷺ في أشعاره يروى أن الأنصار شكوا إلى تبع ما يلقون من اليهود من الأذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود : الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب واصره أعظم من أن يضيق حلمه ،أو ينخرم صفحه ، وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فآمن تبع النبي ﷺ ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله :

شهدت على أحمد أنه نبي من الله باري النسيم
فلو مدّ عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور وأمته هي خير الأمم

ومن ذلك قوله أيضاً :

ويأتي بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذي منع تبعاً من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالماً من علماء اليهود ، وقال لتبع في رواية : أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة وامسه أحمد وهذه هجرته وان منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع : ومن يقاتله وهو نبي ؟ قال له قومه : قال : وأين قبره ؟ قال : بهذه البلدة قال : وإذا قوتل لمن تكون النصرة ؟ قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ما ذكر ، وقص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل

واحد منهم مالاً وجار به فمكثوا بالمدينة وأعد داراً للنبي ﷺ قيل هي دار أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ التي نزل بهاﷺ حين هجرته فما نزل إلا في داره ، وكتب كتاباً أبقاه عندهم للنبيﷺ فصاروا يتوارثونه ويستحفظون عليه حتى بعثﷺ وهاجر فأخرجوه اليه والقصة مبسوطة في الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودي رحمه الله ـ وسيأتي التعرض لها مع زيادة على ما هنا عند ذكر نزولهﷺ بعد الهجرة في دار أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ

وألحق بذلك بعضهم اخبار كعب بن لؤي جد النبيﷺ فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعني يوم الجمعة ويذكر في خطبته النبيﷺ وبشر به ، فمن ذلك قوله · أما بعد ، فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ، ونهار وهاج ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم اعلام الى أن قال : حرمكم زينوه وعظموه ، فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ، وأنشد :

نهار وليل كل يوم بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالأحداث حين تناوبا وبالنعم الضافي علينا سرورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

ومن ذلك خبر سفيان بن مجاشع التميمي جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول : العزيز من والاه والذليل من لاحاه ، والموفور من والاه ، والموتور من عاداه ، فقال سفيان : من تذكرين لله أبوك ؟ فقالت : صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤوس ورابض شموس وماحق رؤوس وماهد رغوس وناعس ومنعوس . فقال سفيان : لله أبوك من هو قالت نبيمؤيد قد أتى حين يوجد ، ودنا أوان يولد ، يبعث الى الاحمر والأسود بكتاب لا يفند اسمه محمد . قال سفيان : لله أبوك أعربي أم عجمي ؟ فقالت : أما والسماء ذات العنان ، والشجر ذات الأفنان ، انه لمن معد بن عدنان ، فأمسك عن سؤالها ، ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمداً رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو احد من تسمى باسم النبيﷺ قبل مبعثه . وتقدمت قصة سيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبيﷺ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انه قال لعبد المطلب أيضاً : أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى

نبوة ، فكانت النبوة والخلافة العباسية .

ومن ذلك خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه لقي راهباً بالجزيرة فسأله عن دين إبراهيم فقال له : ان كل من رأيته من الأحبار والرهبان في ضلال وأنك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك أو هو خارج ، نبي يدعو إليه فارجع اليه فصدقه ، فلقيه النبي ﷺ قبل بعثته فقال : يا عم ما لي أرى قومك قد أبغضوك ؟ فقال : اما والله إن ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره ﷺ وإن كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به .

ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال : سافرت الى اليمن قبل مبعثه ﷺ فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخاً كبيراً وكنت أنزل عليه إذا جئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال : هل ظهر منكم احد خالف دينكم ؟ فقلت : لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه ﷺ وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي : انتسب يا أخا قريش ؟ فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة . قال : حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة ؟ قلت : بلى . قال : انبئك وأبشرك أن الله قد بعث في الشهر الأوّل من قومك نبياً ، وارتضاه صفياً ، وأنزل عليه كتاباً ، وجعل له ثواباً ، ينهى عن الأصنام ، ويدعو الى الإسلام ، ويأمر بالحق ويفعله ، وينهى عن الباطل ويبطله . فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من الأزد ولا ثمالة ، ولا من السرف ولا تبالة ، هو من بني هاشم وانتم أخواله يا عبد الرحمن ، أخف الوقعة وعجل الرجعة ، ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذي المعالي وفالق الليل والصباح
انك ذو السرّ من قريش يا ابن الفديّ من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى إنك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبدالرحمن : فحفظت الأبيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر ـ رضي

الله عنه ـ وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله ، فأته فلما أتيت بيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ رآني رسول الله ﷺ فضحك وقال لي : أرى وجهاً خليقاً أن أرجو له خيراً ، فما وراءك ؟ فقلت : وديعة . فقال : أرسلك مرسل برسالة هاتها ، فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حِمْيَرَ مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئكَ من اخواني حقاً .

ومن ذلك خبر مخيريق اليهودي ، كان عالماً حبراً بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته إلا أنه غلبه ألف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود أنكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا : اليوم يوم السبت . فقال : إنكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد وعهد الى قومه إن مت هذا اليوم فأموا الى محمد يصنع بها ما رآه ، ثم أسلم على يد النبي ﷺ ، وقاتل حتى قتل فجعل النبي ﷺ ماله وصدقة بالمدينة ، وكان ﷺ يقول : مخيريق خير يهود .

ومن ذلك ما رواه كعب الأحبار في صفاته ﷺ فانه كان من أحبار اليهود فأسلم في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتوفي في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخباراً كثيرة في صفات النبي ﷺ ، حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر ـ رضي الله عنه ـ مرة عن صفته ﷺ في التوراة فقال : ان فيها أن سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ، ثم يقبض ويدفن بها .

ومن ذلك خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم . قال دحية : لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلني عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي ﷺ فقال له : هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أما أنا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له : إن فعلت ذهب ملكي . قال دحية ، فقال لي الأسقف : خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره أني أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإني قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاء وخرج ودعا الروم الى الإسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه ، فلما رجع دحية الى هرقل قال له : أما قلت لك أنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم مني ، واخبار الأحبار والكهان وتصريحهم بصفاته ﷺ وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره إلا حسداً

وبغياً والله الهادي الى سواء السبيل .

وأما أخبار الكهان على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب ـ رضي الله عنه ـ وكان من دوس قوم ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعراً ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال : بينا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم جالس إذ مر به رجل فقيل له : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا : قال : سواد بن قارب الذي أتاه رئيه اي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي ﷺ وكان هذا القول لعمر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن قال وهو على المنبر ، أي منبر النبي ﷺ : أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال : أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً ؟ قال البراء : فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر ـ رضي الله عنه ـ هذا سواد فأرسل اليه عمر ـ رضي الله عنه ـ فجاء فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال: نعم. قال : أنت أتاك رئيك بظهور النبي ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ فغضب سواد بن قارب وقال : ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر : سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أي ما كنا عليه من عبادة الأصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك . وفي رواية : ان عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : اللهم غفراً قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله برسوله ﷺ وبالإسلام . وفي كلام السهيلي ان عمر ـ رضي الله عنه ـ مازح سواداً ـ رضي الله عنه ـ فقال ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ فغضب وقال له سواد : قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات أفتعيرني بأمر قد تبت عنه ؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ اللهم غفراً ثم قال : يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي وضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل . انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العبس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... ليس قدامها كأذنابها

فقلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبارها ... وشدّها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي ابن غالب يدعو الى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها ... وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ... ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... وأوم بعينيك إلى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة .وفي رواية المدينة قال البيهقي : والرواية الأولى اصح فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فلما رآني قال: مرحباً يا سواد بن قارب : قد علمنا ما جاء بك قلت : يا رسول الله قد قلت شعراً فاسمع مقالتي فقال : هات فأنشأت أقول :

أتاني رئي بعد ليل وهجعة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قول كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازرار ووسطت ... بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره ... وإنك مأمون على كل غائب
وإنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعــاً يوم لاذ وشفاعة سواك بمغــن عن سواد بن قارب

ففرح النبي ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رؤي الفرح في وجوههم ، وضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : أفلحت يا سواد . قال البراء : فرأيت عمر - رضي الله عنه - التزمه وقال : لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن ، وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر - رضي الله عنه - لم يكن حاضراً عند النبي ﷺ لما أخبره سواد ، ولما توفي النبي ﷺ وخشي سواد على قومه الردة قام فيهن خطيباً وقال : يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقاوتهم أن لا يتعظوا إلا بأنفسهم وأن من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتهم به أمس ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ، ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الأناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة .

ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة ، كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له : مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك ؟ فقال : انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أوّل خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله ﷺ .

وأما ما سمع من جوف الأصنام فكثير أيضاً فمنها خبرعباس بن مرداس - رضي الله عنه - قال : كان لأبيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة ، فلما حضرت مرداساً الوفاة قال للعباس ولده : أي بني اعبد ضماراً فانه ينفعك ولا يضرك ، فبينا عباس يوماً عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

من للقبائــل من سليم كلها أودى ضمار وعــاش أهــل المسجد
ان الــذي ورث النبــوّة والهدى بعــد ابــن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبــد مرة قبــل الكتــاب الى النبــي محمد

فحرّق عباس ضماراً ولحق بالنبي ﷺ ، وفي لفظ أن عباس بن مرداس إذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض ، فقال : يا عباس ألم تر إلى السماء قد تعب حراسها ، وان الحرب قد حرقت أنفاسها ، وأن الذي نزل عليه البرّ والتقوى صاحب الناقة القصواء قال العباس : فراعني ذلك فجئت وثناً لنا يقال له الضمار فكنست حوله ثم تمسحت به ، فإذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبائل من قريش كلها هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة قبل الصلاة على النبي محمد
إن الذي ورث النبوّة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس : فخرجت مع قومي بني حارثة إلى رسول الله ﷺ فدخلت المسجد فلما رآني ﷺ تبسم وقال : يا عباس ، كيف إسلامك ؟ فقصصت عليه القصة ، فقال : صدقت وأسلمت انا وقومي .

ومن ذلك خبر مازن بن القصوية قال : كنت أسدن أي أخدم صنماً بقرب عمان يدعى سمائل ، وسمال يقال له بادر . وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقاً ، وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتاً من جوف الصنم يقول :

يا مازن اسمع نسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبيّ من مضر بدين الله الأعز الاكبر
فدع نجيا من حجر تسلم من حر نار سقر

قال مازن : ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتاً منه يقول :

أقبل لي اقبل تسمع ما لا تجهل
هذا نبي مرسل جاء يحق منزل
آمن به كي تعدل عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فقلت : ان هذا لعجب وانه لخير يراد بي . قال مازن : فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له : ما الخبر وراءك ؟ قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذاً ، وركبت راحلتي وأتيت رسول الله ﷺ فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت :

كسرت بادر أجذاذاً وكان لنا ربا نطيف به ملأ بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه شيئاً على بال
يا راكبا بلغا عمراً وإخوتها اني لما قال ربي بادر تالي

قال مازن : فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب أي مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التي تتمايل وتتثني عند جماعها ،وألحت اي دامت علينا السنون أي اعوام القحط والجدب فذهبن بالأموال وهزلن الدراري والعيال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما اجد ، ويأتيني بالحيا ويهب لي ولداً فقال النبي ﷺ : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالخمر رياء لا إثم فيه ، وبالعهر أي الزنا العفة وأته بالحيا ، وهب له ولداً ، قال مازن : فأذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن ، وحججت حججاً ، وأخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان ، وتزوّجت أربع حرائر ، ووهب الله لي حبان يعني ولده ، وانشأت اقول :

إليك رسول الله حنت مطيتي تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم ولا رأيهم رأيي ولا نهجهم نهجي
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعاً شبابي حتى أذن الجسم بالنهج
فبدّلني بالخمر خوفاً وخشية وبالعهر إحصاناً فحصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي فللّه ما صومي ولله ما حجي

قال مازن : فلما رجعت الى قومي أنبثوني أي عنفوني ، وشتموني ، ولاموني ،

وأمروا شاعرهم فهجاني : فقلت : إن هجوتهم فانما أهجو نفسي ، فتنحيت عنهم وبنيت مسجداً أتعبد فيه فكان لا يأتي هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثاً ويدعو على من ظلمه إلا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره إلا عوفي ، ثم ان القوم قدموا وطلبوا مني الرجوع إليهم ، فأسلموا كلهم ذكره الحلبي في السيرة .

وأما ما سمع من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا يوماً في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة ، وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتاً من جوف العجل ولا نرى شيئاً يقول : يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح ، بلسان فصيح ، يشهد ان لا إلّه الا الله والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الأحمر يقال أحمر ذريحي اي شديد الحمرة ، والذي في البخاري يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، ورجل فصيح . يقول لا إلّه إلا الله . والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضاً لأنه قد جلح جلده أي كشف عنه جلده .

وأما ما سمع من الهواتف ولم يجيء على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الأصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبيﷺ قال : يا رسول ا الله لقد رأيت من قس عجباً خرجت أطلب بعيراً إلي حتى إذا عسعس الليل أي أدبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأحم قد بعث الله نبياً بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يجلو دجنات الليالي والبهم

فأدرت طرفي فما رأيت شخصاً فأنشأت اقول :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم أهلا وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم من ذا الذي تدعو اليه يغتنم

فاذا بنحنحة وقائل يقول: ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمداًﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة ان لا إله

إلا الله ، فذاك محمد المبعوث الى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمداً خير نبي قد بعث
عليه صلى الله ما حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء

قال : فلاح الصباح وإذا بالفتيق اي الفحل الكريم من الإبل يشقشق أي يهدر الى النوق فأمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب اي تعب فنزلت في روضة خضراء ، فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكث به في الأرض وهو يقول :

يا ناعي الموت والملحود في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فإذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به وإذ بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي بيده وقال : ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذي قبلك ، فرجع ثم ورد بعده فقلت : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبران لأخوين لي كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيئاً اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان ، فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر اليهما ، وأنشدا أبياتا فقال رسول الله ﷺ رحم الله قساً إني أرجو ان يبعثه الله أمة وحده اي يقوم مقام جماعة . ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من أعمال حلب ، وعليها

بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام .

ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناد له قال : كان ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يحدث ان قوماً من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوساً وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم إذ سمعوا هاتفاً يقول :

يا أيها الناس ذوو الأحكام ومسندو الحكم الى الأصنام
أما ترون ما أرى أمامي من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبي سيد الأنام من هاشم في ذورة السنام
مستعلن بالبلد الحرام جاء بهدم الكفر بالإسلام

قال أبو هريرة : فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله ﷺ انه قد ظهر بمكة أي جاءهم ذلك بغتة .

وأما خبر زميل بن عمرو العذري فهو أنه قال : كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حرام وكان سادنه رجلاً يقال له طارق وكانوا يعترون أي يذبحون الذبائح عنده ، فلما ظهر النبي ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حرام ظهر الحق وأودى حمام أي هلك ورفع منا الشرك الإسلام . قال زميل ففزعنا لذلك فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً يقول : يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق ، بوحي ناطق ، صدع صدعه بأرض تهامه ، لناصريه السلامه ، ولخاذليه الندامه ، هذا الوداع مني الى يوم القيامه ، فوقع الصنم لوجهه ، فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع ، وان لم يكن فهو من هذا النوع ، وان لم يكن فهو من هذا النوع . قال زميل : فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي ﷺ مع نفر من قومي وأنشدته :

اليك رسول الله أعملت نصها أكلفها حزناً وفوزاً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً واعقد حبلاً من حبالك في حبلي
وأشهد ان الله لا شيء غيره أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي ، ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها ، وقد روى لهﷺ قصة الجساسة مع الدجال فقال: حدثني تميم الداري الخ القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار . ومن رواية الكبار عن الصغار أيضاً ما ذكر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ مر يوماً على ابنته عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال : هل سمعت من رسول اللهﷺ دعاء كان يعلمناه ، وذكر ان عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ كان يعلمه أصحابه ويقول : لو كان على أحدكم جبل دين قضاء الله عنه قالت : نعم يقول : اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني ، برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان علي دين وكنت له كارهاً فقلته فلم ألبث إلا يسيراً حتى قضيته .

رجعنا الى خبر تميم الداري ، قال ـ رضي الله عنه ـ كنت بالشام حين بعث رسول اللهﷺ ، فخرجت الى بعض حاجاتي فأدركني الليل فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي ، فلما أخذت مضجعي إذ منادٍ ينادي : عذ بالله فان الجن لا تجير أحداً على الله ، قال ، فقلت : أيما أي أي شيء تقول ؟ فقال ، قد خرج رسول اللهﷺ وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهب ، فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبة وأخبرته فقال : صدقوك تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة ، وهو خير الأنبياء فلا تسبق اليه . قال تميم : فطلبت الشخوص حتى جئت رسول اللهﷺ . وفي رواية : فسرت الى مكة فلقيت النبيﷺ وكان مستخفياً فآمنت به . وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره إنما كان الى المدينة بعد الهجرة لأن اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم .

ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ ان رجلاً من بني تميم حدث عن بدء إسلامه قال : إني لأسير برمل عاج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً فقلت : هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك ، فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك ، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فإذا برجل شاب كالذي رأيته في

منامي وبيده حربة ، ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع ، فبينا هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى ، قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي ، فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ، ثم التفت الي الشيخ وقال : يا فتى إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها . فقلت له : وما محمد ؟ قال : نبي عربي لا شرقي ولا غربي . قلت :أين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله ﷺ فحدثني قبل أن اذكر له شيئاً بما وقع لي ودعاني الى الإسلام فأسلمت .

ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قال : خرجت في طلب إبل لي فأدركتها ، ثم أردت النوم وكنا إذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت : أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول :

ويحك عذ بالله من ذي الجلال ومنزّل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالي ما كيد ذي الجن من الأهوال
إذ تذكر الله على الأحوال وفي سهول الأرض والجبال
وقد صار كيد الجن في سفال إلا النبي وصالح الأعمال

فقلت له :

يا أيها القائل ما تقول أرشد عندك أم تضليل

فقال :

جاء رسول الله ذو الخيرات جاء بيّسين وحاميات
وسور بعد مفصلات يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الأقوام عن مناة قد كنّ في الإسلام منكرات

فقلت : أما انه لو كان لي من يؤدّي إبلي هذه الى أهلي لأتيته حتى أسلم . فقال : أنا

أوْدّيها . فركبت بعيراً منها ثم قدمت فاذا النبيﷺ على المنبر . وفي رواية : فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا أنا أنيخ راحلتي إذ خرج اليّ أبو ذرّ فقال لي : يقول لك رسول اللهﷺ ادخل فدخلت ، فلما رآني قال : فما فعل الرجل ؟ وفي رواية : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدّي إبلك ؟ أما أنه قد أدّاها سالمة ، وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من أن الإنسان إذا نزل منزلاً مخوفاً قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهائه بقوله تعالى : ﴿ وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل : أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقاً أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغياناً فيقولون سدنا الإنس والجن .

ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى أبا هنيدة ، كان أبوه من الملوك قال : وفدت على رسول الله ﷺ وقد بشر أصحابه بقدومي فقال : يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغباً في الله عز وجل وفي رسولهﷺ وهو بقية أبناء الملوك . قال وائل : فما لقيني أحد من الصحابة إلا قال بشرنا بك رسول الله ﷺ قبل قدومك بثلاث ، فلما دخلت على رسول الله ﷺ رحب بي وأدناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فأجلسني عليه ، وقال : اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده . ثم قال : أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغباً في الإسلام فقلت : يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فمنّ الله عليّ أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله ، قال : صدقت ، اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده . قال : وسبب وفودي على رسول الله انه كان لي صنم من العقيق فبينا أنا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتاً منكراً من المخدع الذي به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه وإذا قائل يقول :

واعجباً لوائل بن حجر يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر ليس بذي نفع ولا ذي ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمري

قال فقلت : أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني ؟ قال :

إرحل إلى يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتاً ثم سرت مسرعاً حتى أتيت المدينة ، فدخلت المسجد الحديث .

وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ ؟ فقال الراعي : واعجباً من ذئب يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله ﷺ بين الحرتين . وفي ر اية : بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق . وفي رواية : يخبركم بمامضى وما هو كائن بعدكم ، فساق الراعي شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله ﷺ ، فحدثه بما قال الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه أي طرفه ويخبره بما فعل أهله . وفي لفظ فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي : أخبرهم فأخبرهم . وفي رواية : أن راعي الغنم كان يهودياً . وفي رواية ان الذئب قال له : أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم قدراً منه ، وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك وبينه إلا هذا الشعب ، فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي : من لي بغنمي ؟ فقال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ، ومضى اليه ﷺ وأسلم وقال له رسول الله ﷺ : عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة .

وأما ما سمع من بعض الأشجار فكثير من ذلك ما روي عن أبي بكر - رضي الله عنه - انه قيل له هل رأيت قبل الإسلام شيئاً من دلائل نبوّة محمد ﷺ ؟ قال : نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية ، اذ تدلى عليّ غصن من أغصانها ، حتى صار على رأسي فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتاً من الشجرة يقول : هذا النبي يخرج من وقت كذا ، وكذا فكن أنت اسعد الناس به .

وأما أخبار تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع ، وما جاء عن العرب فيه

فكثير فمن ذلك خبر ابن إسحق قال : لما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها ، فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك الأمر حدث من الله في العباد . قال الله تعالى لنبيه ﷺ : حين بعثه يقصّ عليه خبرهم : اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرساً شديداً اي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهباً وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اي صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً أي أرصد له ليرمي به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها للكاهن ، وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته ﷺ لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول ، فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته ﷺ تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته ﷺ وبعد موته ومن ثم قال : لا كهانة بعد اليوم وقد حدّث بعضهم أن أوّل العرب فزعاً من الرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤوا إلى رجل يقال له عمر بن أمية ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً أي أدهاها رأياً وكان ضريراً ، وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا : يا عمروا ألم تر أي تعلم ما حدث في ا لسماء من الرمي بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمي بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها ، وان كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لأمر أراده الله لهذا الخلق ونبيّ يبعث في العرب فقد تحدث بذلك . وقوله معالم النجوم اي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البرّ والبحر وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف .

لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده ﷺ لأنا نقول : رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطىء ومن ثم حدث بعضهم ، قال : لما بعث ﷺ اي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد يا ليل ابن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا إن الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم ، فقال لهم : لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البرّ والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فإذا نجوم لا تعرف فقالوا : هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي ﷺ . وفي لفظ فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التي تعرف الخ يؤيد هذا ما

جاء في الحديث مما رواه مسلم انه ﷺ قال : النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتي أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمّتي ، فاذا هب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ولا منافاة في سؤال ثقيف ، فلا مانع من تكرّر سؤالهم مرّة لعمرو بن أمية ومرّة لعبد يا ليل وإن كلاً منهما كان أعمى ، ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم : عمرو بن أمية . وسماه بعضهم عبد يا ليل بن عمرو ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال : لما كان اليوم اي الوقت الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب .

ومن ذلك خبر أبي لهب او لهيب بن مالك وكان من بني لهب قال : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت : بأبي أنت وأمي نحن أوّل من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له : يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمي بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها . فقال : ائتوني بسحر اي قبل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر أولا من أو حذر . قال : فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه ، فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقضّ نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعاً صوته يقوله أصابه اصابه وخامره عقابه ، عاجله عذابه ، أحرقه شهابه ، زايله جوابه ، يا ويله ماحاله ، بلبله بلباله ، عاوده خباله ، تقطعت حباله ، وغيرت أحواله ، ثم أمسك طويلاً ثم قال : يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان ، أقسم بالكعبة والأركان ، والبلد المؤتمن السدان ، قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذي سلطان ، لأجل مبعوث عظيم الشان ، يبعث بالتنزيل والفرقان ، وبالهدى وفاضل القرآن ، تبطل به عبادة الأوثان ، فقلنا له : ويلك يا خطر انك لتذكر أمراً عظيماً فما ترى لقومك ؟ قال : أرى لقومي ما أرى لنفسي ، أن يتبعوا خير الإنس ، برهانه مثل شعاع الشمس ، يبعث بمكة دار الحمس ، بمحكم التنزيل غير اللبس ، قلنا له : يا خطر ومن هو ؟ قال : والحياة والعيش ، انه لمن قريش ، ما في حكمه طيش ، ولا في خلقه هيش ، فقلنا : بين لنا من اي قريش ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم ، والركن ذي الاحائم ، انه لمن نسل هاشم ، من معشر أكارم ، يبعث بالملاحم ،وقتيل كل ظالم . ثم

قال : هذا هو البيان ، أخبرني به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق فظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ، ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثلاثة أيام ، فقال : لا إله إلا الله ، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال : سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوّة أي وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمّة وحده أي يقوم مقام جماعة ، كما تقدم نظيره . وقوله : الحس بضم الحاء المهملة واسكان الميم بالسين هم قريش من الحماسة وهي الشدة سموا بذلك لتشددهم في دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الأموال والفروج ومالوا للتجارة .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن نفر من الأنصار قال : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله ﷺ : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية أي قبل المبعث ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به : مات ملك ولد مولود . فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم ، فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي يكون في الأرض فيهبط به من سماء إلى سماء أي يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توم واختلاس ، ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضاً ويصيبون بعضاً .

وفي البخاري إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كالسلسلة على صفوان فإذا نزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث : وقوله ﷺ يرمي بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه ﷺ وبين عيسى ـ عليه السلام ـ قبل مولده ﷺ وربما يعارضه ما روى عنه لم ير بالنجوم بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها ، فلما رأت قريش أمراً لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث ، وكذا حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لإبليس فقال : لعله بعث نبي عليكم بالأرض المقدسة أي لأنها محل الأنبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا : ليس بها أحد

فخرج إبليس لطلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً ومعه جبريل . وفي رواية : ان إبليس قال لما أخبروه : بأنهم منعوا من خبر السماء . قال : ان هذا الحدث حدث في الأرض فأتوني من تربة كل أرض ، فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال : من ههنا الحدث فمضوا ، فإذا رسول الله ﷺ قد بعث وأجيب بأن الرمي قبل الولادة والمبعث كان قليلاً جداً وعند الولادة كثر ارهاصاً وتخويفاً ، وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفاً للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب - رضي الله عنه - وابن عمر - رضي الله عنهما - فانه لم يكن معهوداً من قبل وهو الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فمنْ يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ وصار الرمي بعد المبعث لا يخطىء أبداً فمنهم من يقتله ، ومنهم من يحرق وجهه ، ومنهم من يخبله اي يصيره غولاً يضل الناس في البراري ، فكان ذلك سبباً لفزع العرب ، لأنه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطىء ، فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه ، فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه ، وعند مبعثه انقطعت بالمرّة ومن ثم قال ﷺ : لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد ، وبعد المبعث من كل جانب ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ويقذفون من كل جانب دحوراً ﴾ فهذا سبب الفزع .

ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب : هلك من في السماء فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة ، وصاحب الغنم كل يوم شاة ، حتى أسرعوا في إتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد - سؤال كاهنهم - كما تقدم : أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذي يرمي به شعلة نار تنقض من الكوكب والكوكب كما هو ، وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله :

بعث الله عند مبعثه الشهب حراساً وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء
فمحت آية الكهانة آيات من الوحي ما لهن انمحاء

فائدة : وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت

وتطايرت تطاير الجراد ، ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجئوا الى الله بالدعاء ، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله ﷺ : قال الحلبي في السيرة : أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل ، فكان أمراً عجيباً لم ير مثله ، ووقع في سنة ثلثمائة تناثر للنجوم تناثراً عجيباً الى ناحية المشرق والله أعلم .

وأما ما جاء من ذكره ﷺ أي ذكر اسمه وصفته وصفة أمّته في الكتب القديمة كالتوارة المنزلة على موسى ، والإنجيل المنزل على عيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وغيرهما قال تعالى : ﴿ وإنه لفي زُبُرِ الأوّلين ﴾ وقال الإمام السبكي في تائيته :

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر :

من قبل مبعثه جاءت مبشرة به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء ان اسمه في التوراة أحمد ، يحمده أهل السماء والأرض ، وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سفه نفسه ﴾ أن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً الى الإسلام فقال لهما : قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة : إني باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبي مهاجر ، فأنزل الله الآية واسمه في التوراة أيضاً « حماطاً » أي يحمي الحرم من الحرام «وقدوميا» أي الأول السابق « واحيد » وقيل أريد اي يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب أي طيب . وفيها أيضاً محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالضحوك اي طيب النفس وفيها أيضاً محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره إلى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية مأخوذة من التورية ، وهي كتمان السر بالتعريض لأن أكثرها تعاريض من غير تصريح ، واسمه في الانجيل «المنحمنا» ومعناه بالسريانية محمد .

وعن سهيل مولى خثمة قال : كنت يتيماً في حجر عمي فأخذت الإنجيل فقرأته حتى

مرت بي ورقة ملصقة بغراء ، ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد ﷺ فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال : ما لك ؟ وفتح هذه الورقة وقرأتها فقلت : فيها وصف النبي أحمد ، فقال : انه لم يأت بعد الى الآن .

وفي الإنجيل أيضاً اسمه « خبط » أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بأنه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير ، وفي الإنجيل إن أجبتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ربي فيعطيكم بارقليط ، والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اي وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب إلا محمد ﷺ .

ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وحرزاً للاميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع بالسيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله يفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . قال عطاء : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما أخطأ في حرف . وفي رواية عن كعب : وأعطى المفاتيح ليبصرن به أعيناً عوراً ويسمعن به آذاناً صماً ، ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

وعن بعض أحبار اليهود أنه قال : وقفت على جميع ما وصف به في التوراة إلا هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما ، فجاءه ﷺ شخص يطلب منه ما يستعين به ، فذكر له انه ﷺ لم يكن عنده ما يعينه به فقلت : هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ، ففعل فجئت قبل الأجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت : ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ انكم يا بني عبد المطلب أهل مطل . فقال لي عمر : أي عدوّ الله تقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله ﷺ في سكون وتؤدة وتبسم وقال : أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب ، اذهب وفه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روّعته ، فأسلم اليهودي وذكر القصة .

وفي التوراة : لا يزال الملك في يهود إلى أن يجيء الذي إياه تنظره الأمم ، اي لا يزال أمرهم ظاهراً الى أن يجيء الذي تنظره الأمم اي المرسل اليهم وهو محمدﷺ . وفي التوراة أيضاً : سوف اقيم نبياً مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه انتقم منه . وفي قوله من إخوتهم ردّ على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور في التوراة هو المسيح ـ عليه السلام ـ ووجه الردّ أن المسيح ليس من إخوتهم بل منهم لأنه من نسل داود وبمثل هذا يردّ على بعض اليهود الزاعمين أن النبي المذكور في التوراة هو يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ وقد قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ﴾ انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر ، وهو الشرك . ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرمتها الجاهلية . ويحرّم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم إصرهم من تحريم العمل يوم السبت ، وعدم قبول دية المقتول ، وأن يقطعوا ما أصابه البول .

ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي ـ رضي الله عنه ـ كان من أحبار يهود اليمن قال : لما سمعت بذكر النبيﷺ قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له : إن أبي كان يختم على سفر ويقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه ، قال النعمان : فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تحل وما تحرم ، وإذا فيه أنت خير الانبياء وأمّتك خير الأمم واسمك أحمدﷺ وأمتك الحامدون ، يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقرّبون الى الله سبحانه وتعالى بإراقة دمائهم في الجهاد ، وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ، ثم قال لي يعني أباه : فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن وصدقه ، فكان النبيﷺ يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوماً فقال له النبيﷺ : يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول اللهﷺ يتبسم فقال : اشهد اني رسول الله ثم ان النعمان قتله الأسود العنسي الذي ادعى النبوّة وقطعه عضواً عضواً وهو يقول : إن محمداً رسول الله وانك كذاب مفترٍ على الله . ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل ، وقيل الذي أحرقه الأسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب او ابن وهب ، ولما بلغهﷺ ذلك أخبر أصحابه فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل .

وفي التوراة في صفة امته ﷺ دويهم في مساجدهم كدوي النحل . وفي رواية : أصواتهم بالليل في جوّ السماء كأصوات النحل ورهبان بالليل ليوث بالنهار ، وإذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، فان عملها كتبت له عشراً . وإذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول ، أي بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن .

وروى الإمام أحمد وغيره باسناد صحيح : ان الله تعالى قال لعيسى ـ عليه السلام ـ يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم . قال : كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل ، وان الله تعالى يكمل عملهم وحلمهم من علمه وحلمه ، ويدل لذلك ما ذكره بعضهم : أن هذه الأمة آخر الأمم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الأمم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جداً نصيب هذه الأمة منه فلم ندرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم ، فأعطاهم الله من حلمه وعلمه ، وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن ، وفي الإنجيل حلماء وعلماء أبراراً أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء . وروى الدارقطني ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الاحبار : كيف تجدني يعني في التوراة ؟ قال : خليفة قرن من حديد ، أمير شديد ، لا تخاف في الله لومه لائم ، ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ، ثم يقع البلاء بعد .

وفي صحف شعيا : اسمه ﷺ ركن المتواضعين وفيها أني باعث نبياً أمياً أفتح به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأعيناً عمياً ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ، رحيماً بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الأرملة ، لو يمر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينه ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه . وشعيا عليه السلام ـ كان بعد داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وقبل زكريا ويحيى ـ عليهما السلام ـ ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم ، فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها ، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه ، فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ، ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله

بقوله : ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمدﷺ فقال يخاطب بيت المقدس : لما شكا له الخراب وإلقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمداًﷺ ، ولعل ذلك باعتبار الأغلب في حقه ﷺ من ركوبه للجمل فلا ينافي ذلك وصفه أيضاً بأنه يركب الحمار والجمل. واسمهﷺ في الزبور « حاط حاط » والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط او بارقليط ، وقيل معناه الذي يعلم الأشياء الخفية وذكر صاحب الدّر المنظم بأسناده أن النبيﷺ قال لعمر - رضي الله عنه - يا عمر ، أتدري من أنا ؟ أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الإنجيل لعيسى . وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار ، بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا ؟ أنا اسمي في التوراة أحيد ، وفي الانجيل البارقليط .

وفي الزبور حناط ، وفي صحف إبراهيم طالب طاب ولا فخر وجاء في الزبور : أني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي ، ووصف بأنه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرحم المسكين ويبارك عليه في كل وقت، ، ويدوم ذكره الى الأبد ، ووصف بالجبار . ففي الزبور : تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أجيب بأن الأول هو الذي يجبب الخلق الى الحق ، والثاني هو المتكبر . وفي الزبور أيضاً : يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد ، لا أغضب عليه أبداً ولا يعصيني أبداً ، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة يأتون يوم القيامة ، ونورهم مثل نور الأنبياء وقوله ، وقد غفرت له الخ ، أي على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب ، خلاف الأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين اي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الأبرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم .

وفي بعض ما جاء عن داود - عليه السلام - أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، وصهيون اسم مكة والإكليل الإمام الرئيس وهو محمدﷺ وفي صحف شيث أخو ناخ ومعناه صحيح الإسلام . وفي بعض الكتب المنزلة : أني باعث رسولاً من الأميين أشدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، واجعل الحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته والعدل سيرته ، والإسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة واجعل

امته خير الأمم .

وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف اعني لفظ محمد مكتوباً على الأحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير ، ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : كان نقش خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام - لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أن فص خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام - كان سماوياً أي من السماء ألقي اليه فوضعه في خاتمه ، وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا إله إلا أنا ، محمد عبدي ورسولي . فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر - رضي الله عنه - رواه بالمعنى وكان سليمان - عليه السلام - ينزعه إذا دخل الخلاء وإذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ، ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوباً : محمد تقي مصلح وسيد أمين . وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انه قال لكعب الأحبار : أخبرنا عن فضائل رسول الله ﷺ قبل مولده . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قرأت ان ابراهيم الخليل - عليه السلام - وجد حجراً مكتوباً عليه اربعة أسطر ، الأول : أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني . والثاني : أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه . والثالث : أنا الله لا إله إلا أنا ، الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي . قال الحلبي : ولينظر الرابع ، ثم نقل عن بعضهم ان في سنة أربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان ، كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرّت منها الوحوش ، فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا وإذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ، ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور ، فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع ، وفيها ثلاثة أسطر ، سطر فيه : لا إله إلا الله فاعبدون ، وسطر فيه : محمد رسول الله القرشي ، وسطر ثالث فيه : احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة او تسعة . والقيامة قد أزفت اي قربت .

وجاء ان آدم عليه السلام قال : طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد ﷺ مكتوباً عليه ، ولم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا واسم محمد ﷺ مكتوباً عليه ولقد رأيت اسمه ﷺ على نحور الحور العين وورق آجام الجنة ، وشجرة طوبى وسدرة المنتهى ، والحجب وبين أعين الملائكة قيل : ان أوّل شيء كتبه القلم في

اللوح المحفوظ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إني أنا الله لا إلّه إلا أنا ، محمد رسولي ، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي ، كتبته صديقاً وبعثته يوم القيامة من الصدّيقين . وفي رواية : مكتوب في صدر اللوح المحفوظ : لا إلّه إلا الله دينه الإسلام ، محمد عبده ورسوله ، فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة . وفي رواية : لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش : لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى : ومن خصائصه ﷺ كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش .وفيها أيضاً قال الله تعالى :ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، فسكن ، ومكتوب اسمه ﷺ على سائر الملكوت اي من السماء والجنان ، وما فيها وسائر ما في الملكوت وعن علي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ عن الله عز وجل انه قال : يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضاً ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء . وفي رواية عنه : ولا خلقت سماء ولا أرضاً ولا طولاً ولا عرضاً ولله در القائل :

لولاه ما كان فلك ولا فلك كلا ولا بان تحريم وتحليل

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال : غزونا الهند فوقفت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . وعن بعضهم قال : رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر ، الأول : لا إلّه الا الله . والثاني : محمد رسول الله . والثالث : إن الدين عند الله الاسلام . وعن بعضهم أيضاً قال : دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق عمر الفاروق ، فشككت في ذلك وقلت : انه معمول ، فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة .

ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال : عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند ، فأرسينا في جزيرة فرأينا ورد أحمر زكي الرائحة مكتوباً عليه بالاصفر : براءة من

الرحمن الرحيم ، إلى جنات النعيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال : رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمراً يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها إذا منعوا الغيث ، وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم : أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر ، وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب زمن ، فإذا أبوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض إذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب .

ومن ذلك انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ، ومنه ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوباً على جنبها الايمن لا إله إلا الله ، قال : فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراماً لها . وعن بعضهم قال : ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فأدلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فإذا مكتوب بالأسود على إحدى أذنيها : لا إله إلا الله وعلى الأخرى محمد رسول الله ، فقذفناها في البحر . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كنا عند رسول الله ﷺ وإذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء فألقاها فأخذها النبي ﷺ فوجد فيها دودة خضراء مكتوباً عليها بالأصفر لا إله إلا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة . ومنه أيضاً ما حكاه انه كان بطبرستان قوم يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة ، وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحرّ ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين ، وأحالت بين السماء والبلد . فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في البلد من اليهود والنصارى .

ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : بلغني في قوله تعالى : ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ قال : كان لوح من ذهب وقيل : لوح من رخام مكتوب فيه عجباً لمن أيقن بالموت أي بانه يموت كيف يفرح ؟ عجباً لمن أيقن بالحساب أي بأنه

يحاسب كيف يغفل ؟ عجباً لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن ؟ عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . وروى البيهقي وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب ، عجبت لمن تذكر النار ثم يضحك ، عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل ، لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . وفي لفظ لا إلّه إلا أنا محمد عبدي ورسولي .

قال الحلبي : أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولاً في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانياً في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لأجل صلاح أبيهما ، وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر : ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره . ويذكر أن هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه ؟ قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي ـ رضي الله عنهم ـ .

ومن ذلك ما جاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال مكتوب بين كتفي آدم ـ عليه السلام ـ محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً على أحد جنبيه مكتوباً لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، ومنه ما حكاه بعضهم قال : ولد عندي في عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدي أسود ، غرّته بيضاء شكل الدائرة ، ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضاً : قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلاً مكتوباً في بياض عينه اليمنى الأسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله . وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الأنوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال : وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علماً من أعلام النبوّة وذلك ان شخصاً أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني مكتوباً فيها بخط إلّهي على الجبين لا إلّه إلا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من يشاء . قال الشيخ عبد الوهاب : وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال : لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية ، كيف وهو المجانب للضلالة والغواية .

وعن الزهري قال : شخصت إلى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت

مكتوباً على حجر بالعبراني فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال : أمر عجيب مكتوب عليه : باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا إله إلا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران .

بابُ سَلام الشجَر وَالحجر عَليْه ﷺ قبْل البَعثة

عن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لأعرفه الآن قيل انه الحجر الأسود ، وقيل انه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر ، روي ان رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضي الى الشعاب ، وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجر ، إلا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، كان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحداً ولله درّ القائل . :

لم يبـق من حجـر صلـب ولا شجر إلا وسلـم بل هنـاه ما وهبا

وقال في الهمزية :

والجمادات أفصحـت بالـذي أخرس عنـه لأحمـد الفصحاء

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله . وإلى ذلك أشار السبكي في تائيته يقول :

ومـا جزت بالأحجـار إلا وسلمت عليك بنطـق شاهـد قبـل بعثة

وفي كلام السبكي يحتمل أن يكون نطق الحجر كلاماً مقروناً بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتاً مجرداً غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من أعلام النبوة . وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي - رضي الله عنه - أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لا تعقل فوافقوا عند بصرهم ، والأمر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم ، وأطال في بيان ذلك وقال : وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا ، فإنا لا نحتاج الى دليل في ذلك ، لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها أعياناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها ، وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله سبحانه وتعالى أعلم .

بابُ بيَان خبر المبعُث
وَعمُوم بعثته ﷺ

قال ابن اسحق : لما بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين ، وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالإيمان به والتصديق لله والنصر على من خالفه وأن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فهم وأممهم من جملة أمته ﷺ ، وأول ما بدىء به ﷺ من النبوة حين أراد الله تعالى إكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح اي كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياءالصبح ونوره . وفي لفظ : فكان لا يرى شيئاً في المنام إلا كان أي وجده في اليقظة كما رأى ، فالمراد بالصالحة الصادقة وإنما بدىء رسول الله ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل بالنبوة اي الرسالة ، فلا تتحملها القوى البشرية لأن القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك ، وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ، ولا على سماع صوته ولا على ما يجيء به لا سيما الرسالة ، فكانت الرؤيا تأنيساً له ، والمراد بالملك جبريل ـ عليه السلام ـ ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة ، فلوكنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم . وعن علقمة بن قيس قال : أوّل ما يؤتى به الأنبياء في المنام اي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي في اليقظة لأن رؤيا الانبياء وحي ، وصدق وحق لا اضغاث أحلام ، ولا تخييل من الشيطان إذ لا سبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة . فجيمع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون إلا حقاً ، ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر ثم أوحي اليه في اليقظة . وفي البخاري : الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة

وأربعين جزءاً من النبوّة . قال بعضهم : معناه ان النبي ﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه ، فمدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ، ومدة الوحي اليه في المنام التي هي الرؤيا ستة أشهر ، فمدّة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً ، وحينئذ يكون المعنى ، ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزءاً من نبوّتي ، ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة ، لا خصوص رؤياه . ونبوته ﷺ وإنما هي أصل جعل غيرها مقيساً عليها وشبيهاً بها . والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة وأربعين جزءاً . وحملوا الروايات الأخر اعتبار الأشخاص لتفواتهم في مراتب الرؤيا ففي بعضها جزء من خمسين وفي بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك .

وجاء عن عمرو بن شرحبيل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ، قال لخديجة : إذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد . وفي رواية أرى نوراً أي يقظة لا مناماً وأسمع صوتاً ، وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر . وفي رواية : والله ما أبغضت بغضي هذه الأصنام شيئاً قطولا الكهان وإني لأخشى أن أكون كاهناً أي فيكون الذي يناديني تابعاً من الجن ، لأن الأصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها ، والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء . وفي رواية : وأخشى ان يكون بي جنون أي لمة من الجن . فقالت : كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . وفي رواية : إن خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل ، استدلت ـ رضي الله عنها ـ بما فيه من الصفات العلية والأخلاق السنية ، على انه لا يفعل به إلا خيراً لأن من كان كذلك لا يجزى إلا خيراً . ونقل الماوردي عن الشعبي ان الله تعالى قرن إسرافيل بنبيه ﷺ ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ، فعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن ، فكان في هذه المدة بشرى بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه . وفي رواية : إنه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحياناً فلا يرى شخصه ، وسبع سنين يرى نوراً ولم ير شيئاً غير ذلك ، وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك المدة التي هي اثنتان وعشرون سنة .

وبعد ذلك حبب الله اليه ﷺ الخلوة . قال الأبوصيري رحمه الله في الهمزية :

الف النسك والعبادة والخلو ة طفلاً وهكذا النجباء

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله : طفلاً أي حين كان عند حليمة ـ رضي الله عنها ـ فقد قالت لما ترعرع ﷺ : كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ، ولما قرب الزمن الذي أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة في الخلوة ، لأن الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق ، فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى ، فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو وحده ،وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر ،فكانﷺ يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد أي مع أيامها ، وغلب الليالي لأنها أنسب بالخلوة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال ، وتارة سبع ليال ، وتارة تسع ليال ، وتارة شهراً رمضان أو غيره ، فالليالي ذوات العدد محمولة على القدر الذي يتزود له ، فإذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها .

وكانت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تزوده الكعك والزيت لأنه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لأن اللبن واللحم سريع الفساد . وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين . ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة . قال السراج البلقيني في شرح البخاري : لم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبدهﷺ ، وقال بعضهم :كان يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين ، مع الانقطاع عن الناس وقيل : كان تعبدهﷺ التفكر مع الانقطاع عن الناس ، لا سيما إن كانوا على باطل ، لأن في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية . ومن ثم قيل : الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل . إلا أنه أتم فيه من التفكر في غيره ، لعدم وجود شاغل . وقيل : كان تعبدهﷺ بالذكر ، وصححه بعضهم وقيل : كان يتعبد قبل النبوة بشرع إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقيل : بشرع موسى ـ عليه السلام ـ وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي ـ رضي الله عنه ـ تعبد ﷺ قبل نبوته بشريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة .

فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له في قلبه عين

الفهم عنه ، فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدَّثين ـ بفتح الدال ـ ثم يصير إلى إرشاد الخلق . وكان ﷺ إذا قضى جواره من شهره ذلك أوّل ما يبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعاً او ما شاء الله ، ثم يرجع الى بيته ، حتى إذا جاء الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته ، وذلك الشهر رمضان وقيل ربيع الأول ، خرج رسول الله ﷺ الى حراء كما كان يخرج لجواره ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر أعني شهر رمضان وقيل : ثامن ربيع ، وقيل : السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل مناماً ليلة السبت او ليلة الأحد ، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال : اقرأ . قال ﷺ فقلت : ما أنا بقارىء أي أنا أمي لا أحسن القراءة وكنت نائماً بنمط وهو نوع من البسط فغطني به أي غمني بذلك النمط ، بأن جعله على فمه وأنفه ، قالت حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ماذا أقرأ؟ وفي رواية ، فقلت ، والله ما قرأت شيئاً وما أدري شيئاً أقرؤه قال : اقرأ باسم ربك وفي رواية : أنه فعل ذلك به ثلاثاً قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، فقرأتها وانصرف عني ، وقد استقر ذلك في قلبي . وفي رواية : فكأنما كتب في قلبي كتاباً أي حفظته ، فرجع الى خديجة فأخبرها وقال : لقد خشيت على نفسي فقالت : كلا فوالله لا يخزيك الله أبداً . قال الحافظ الشامي : ومن اللطائف ان هذه الكلمة أي كلمة كلا التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكر لها عن القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقاً ، لأنها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور . وفي بعض الروايات ، انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل ـ عليه السلام ـ في الأفق ورآه وهو يقول له : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فأخبر خديجة ـ رضي الله عنها ـ فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ، ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له يثبت . وفي رواية . قال : وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت يا خديجة الـخ . فرجعت خديجة الى رسول ﷺ فأخبرته بقول ورقة . وفي رواية : إن ورقة بعد أن أخبرته خديجة بذلك لقي النبي ﷺ ، وهو يطوف بالبيت فقال له : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت

فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة : والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاء الناموس الأكبر الذي جاء موسى ـ عليه السلام ـ ولتكذبنه ، ولتؤذينه ولتقاتلنه ، ولتخرجنه ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى ورقة رأسه ﷺ وقبّل يافوخه اي وسط رأسه ثم انصرف ﷺ الى منزله .

وقد جاء أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دخل على خديجة ـ رضي الله عنها ـ وليس عندها رسول الله ﷺ فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة أي بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا الى ورقة بن نوفل ، وذهب به الى ورقة فقال رسول الله ﷺ لورقة : إذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد فأنطلق هارباً فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني اي وهذا كان قبل ان يرى جبريل ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرّر سؤال ورقة فلا تنافي بينْ الروايات فيحمل سؤال ورقة الذي على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على انه كان قبل ان يرى جبريل والذي وقع في المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به ، والمرة الثالثة بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن . فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبي ﷺ وذهبت به اليه فكل راوٍ اقتصر على شيء ، وقد اشتملت آية اقرأ عليه براعة الاستهلال وهي أن يشتمل أوّل الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سبق الكلام لأجله ، فانها اشتملت على الأمر بالقراءة ، والقراءة فيها باسم الله إلى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه : ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثاً للمبالغة ، وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات .وذكر السهيلي: أن في ذلك الغط إشارة إلى أنه ﷺ يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك ، فكانت الأولى إدخال قريش الشعب والتضييق عليه . والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله . والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه ﷺ جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع . ولما قرأ ﷺ تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع . وفي رواية :يرجف بها فؤاده اي قلبه ولا مانع من الأمرين حتى دخل ﷺ على خديجة فقال : زملوني ، زملوني ، اي غطوني بالثياب

فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي . وفي رواية على عقلي .

فقالت له خديجة : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً أي لا يفضحك ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل أي الشيء الذي يحصل منه التعب والأعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لأن من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له :اسمع من ابن أخيك قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل ـ عليه السلام ـ يا ليتني فيها جذعاً ، اي يا ليتني أكون في زمن الدعوة الى الله أي اظهارها شاباً حتى أبالغ في نصرتها ، يا ليتني اكون حياً حين يخرجك قومك ، قال ﷺ أو مخرجيّ هم ؟ قال ورقة نعم. لم يأت رجل بما جئت به إلا عودي أي فتكون المعاداة سبباً لإخراجه. وقد جاء ان كل نبي إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت . وفي رواية ، قال ورقة : وان أدركت يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي شديداً قوياً من الأزر وهو الشدة . وفي رواية ، قال لخديجة ، ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله ﷺ لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ، ولكنه لعله خشي ان لا تتحمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وإرساله اليه بالنبوة . فان للنبوة أثقالاً لا يستطيع حملها ، إلا أولوا العزم من الرسل .

وفي كلام الحافظ ابن حجر : اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولاً وأولاها بالصواب ، وأسلمها من الارتياب ، ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض . وقال الحافظ الإسماعيلي : ان هذه الخشية كانت قبل ان يحمل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله . وأما بعد حصوله فلا . وجاء في بعض الروايات : ان خديجة ـ رضي الله ـ عنها قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عدّاس ، وكان نصرانياً من أهل نينوى ، قرية سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ فقالت له : يا عداس اذكرك الله إلا ما اخبرتني هل عندك علم من جبريل ؛ أي فان هذا الاسم لم يكن معروفاً بمكة ولا بغيرها من أرض العرب ؟ فقال عداس : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي

أهلها أهل أوثان ؟ فقالت : اخبرني بعلمك فيه . قال : هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وعداس هذا كان راهباً وكان شيخاً كبير السن ، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر ، وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي ﷺ في الطائف وأسلم على يديه . يروى ان خديجة ـ رضي الله عنها ـ حين جاءت عداساً قالت له : أنعم صباحاً يا عداس ، فقال : كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال أدني مني فقد ثقل مسمعي ! فدنت منه ثم قالت له ما تقدم :

يروى انه قال لها حين اخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أموراً ، فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنوناً فانه سيذهب عنه ، وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها إذ هي برسول الله ﷺ مع جبريل يقرئه هذه الآيات : ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم فستُبْصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحاً ثم قالت للنبي ﷺ : فداك ابي وامي امضِ معي الى عداس ، فلما رآه عداس كشف عن ظهره ، فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه . فلما نظر عداس اليه خرَّ ساجداً بقوله : قدوس قدوس أنت والله النبي الذي بشَّر بك موسى وعيسى . قال بعضهم : الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لأن اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل ان خديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت في الأمر لشدة اعتنائها به ﷺ وتثبيتها في أمره ﷺ ، ولتقوي في قلبه وتعينه على الحق ، فنعم الوزير كانت له ﷺ ورضي الله عنها . وذكر ابن دحية انه ﷺ لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الي بحيرا الراهب وقيل : سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنَّى لك بهذا الاسم ؟ فقالت : بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه فقال لها : انه السفير بين الله وبين أنبيائه ، وان الشيطان لا يجترىء أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه .

وفي أسباب النزول للواحدي عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ وكرم وجهه قال : لما سمع النداء ﷺ يا محمد قال لبيك قال : قل اشهد أن لا إلّه الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله ﷺ ، ثم قال ، قل : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من

السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال : قل آمين ، كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فأتى ﷺ ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة : ابشر فاني اشهد انك الذي بشر بك عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ فانك على مثل ناموس ـ موسى عليه السلام ـ وإنك نبي مرسل . وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك ، وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل . قال في الكشاف : وعليه اكثر المفسرين واستبعده بعضهم . فيحتمل أن المعنى أنها من أول ما نزل لا أنها اول على الإطلاق ، وأما ما روي من أنها نزلت بالمدينة فحتمل تكرّر نزولها مبالغة في شرفها ، لا ان ذلك أول نزولها ، إذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضاً فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي ﷺ وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة . قال الجلال السيوطي : لم يحفظ أنه كانت صلاة في الإسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولاً وان الأول على الإطلاق : اقرأ باسم ربك ، فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الأحاديث . وفي الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات . وفي حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء . وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن .

ثم لم يلبث أن توفي ورقة . قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها ، والراجح عند المحققين انه لم يعد من الصحابة لعدم إدراكه الرسالة . ولما توفي قال رسول الله ﷺ : لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير ، والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى . وفي رواية :أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس . وفي رواية : لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين لأنه آمن بي وصدّقني وجزم ابن كثير بإسلامه . قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الأئمة : بناء على أنه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روي انه مات في السنة الرابعة من المبعث ، ويؤيده قوله ﷺ لأنه آمن بي وصدّقني . وفي فتح الباري : ان في سيرة ابن إسحق ان ورقة كان يمرّ ببلال وهو يعذب ، وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الإسلام ، يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شيء من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ : اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فإذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه، فتراءى له جبريل يوماً وهو في بيت خديجة وكانت قد

قالت للنبي ﷺ : أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني اي قد رأيته ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم قالت : فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها . قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان . وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وأتـــاه في بيتهـــا جبرئيل ولـــذي اللـــب في الأمـــور ارتياء
فأماطـــت عنهـــا الخمار لتدري اهـــو الوحـــي ام هو الإغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبر يل فما عاد أو أعيـــد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنـ ـز الذي حاولته والكيمياء

وفي السيرة الحلبية : روى ابن اسحق عن شيوخه أنه ﷺ كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن ، فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك ، فقالت له خديجة : أوجه اليك من يرقيك ؟ قال : اما الآن فلا وهذا يدل على انـه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الإغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ، ولعل ذلك كان تألفاً ليتحمل أعباء الوحي حين نزوله عليه وإنما كانت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تفعل هذه الأشياء لتتثبت في الأمر ويصير عندها ضرورياً . وأما هو ﷺ فكان الأمر ملتبساً عليه قبل ظهور الملك ، وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بأنه جبريل وأن الله أرسله اليه ، وأنه هو رسول الله ﷺ .

ثم بعد نزول اقرأ : أي نزول اول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه ﷺ ما كان يجده من الرعب ، وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزناً شديداً حتى غدا مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما وافى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل ـ عليه السلام ـ فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع ، فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا وافى لذورة جبل تبدى له مثل ذلك . وفي فتح الباري: جزم بأن مدّة فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بأنها كانت سنتين ونصفاً ، وقيل خمسة عشر يوماً وقيل غير ذلك ، وكان ﷺ في مدة فترة الوحي

يتردد على غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحي وعن يحيى بن بكير قال : سألت جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ عن ابتداء الوحي اي بعد فترته فقال : لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال : جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً ، فنظرت من خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً بين السماء والأرض . وفي رواية : فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي فرعبت منه ، فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني ، وفي رواية : زملوني زملوني وصبوا علي ماء بارداً ، فنزلت هذه الآية ﴿ يـأيها المـدثر ﴾ أي المتلفف بثيابه ﴿ قم فأنذر وربك فكبر ﴾ ولم يقل بعد قوله فأنذر ، وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن احد آمن من قبل ، وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيأيها المدثر . وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعني انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ، ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا يأيها المـدثر ، فيها حصل الجهر بالدعوة الى الله . ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى : ﴿ يـأيها المدثر ﴾ اعلم أن التدثير إنما يكون من البرودة التي يحصل عقب الوحي ، وذلك أن الملك اذا ورد على النبي ﷺ بعلم او حكم تلقى ذلك الروح الانساني ، وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات إلى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق ، فإذا سرّى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن . وذكر السهيلي أن من عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفة الحق بقوله : ﴿ يأيها المدثر قم فأنذر ﴾ فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبة ، وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ، ومن هذه الملاطفة قوله ﷺ لعلي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد نام وقد ترب جبينه : قم أبا تراب ، وقوله ﷺ لحذيفة وقد نام إلى الاسفار : قم يا نومان .

باب في مراتب الوحي وأقسامه

قد كمل الله تعالى لنبينا ﷺ مراتب الوحي وأنواعه ، فإحدى تلك المراتب الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . روى ابن إسحق أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتى النبي ﷺ ليلة النبوّة وغطه ثلاثاً وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناماً ، ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة ، بل روي أنه ﷺ ما كان يأتيه شيء يقظة إلا وقد أريه قبل ذلك في منامه . وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه ﷺ وجميع ما يأتيه الوحي من الأنبياء ، كان إذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال : سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره ، فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالأرض .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضرورياً يعلم به أنه وحي لا مجرد إلهام .

الثالثة : خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت انه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان جميلاً وسيماً أي حسن الوجه إذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه . قال السراج البلقيني : يجوز ان الآتي جبريل بشكله الأول إلا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ، ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب . قال في فتح الباري : والحق ان تمثل الملك رجلاً ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط . وقال العلامة القونوي : يجوز ان الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الأصلي مدبرة له ويتصل أثرها

بجسم آخر يصير حياً بما اتصل به من ذلك الأثر اي ان جسم الملك الأصلي باق بحاله لم يتغير وقد اقام ذلك الملك شبحاً آخر من عالم المثال ، وروحه متصرفة فيهما جميعاً في وقت واحد ، وقد قيل : انما سمي الابدال أبدالاً لأنهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحاً آخر شبيهاً بشبحهم الأصلي بدلاً عنه وأثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالم الأجساد والأرواح سموه عالم المثال . وقالوا : انه ألطف من عالم الأجساد واكثف من عالم الأرواح ، وبنوا على ذلك بتجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة . وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى : ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ والجواب بانه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الأولى تكلف وما ذكره الصوفية احسن .

الرابعة : كان يأتيه مخاطباً له بصوت في مثل صلصلة الجرس ، والجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلقه الجهال في رؤوس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك . والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره . وكان هذا النوع اشده عليه لأنه يرد فيه من الطباع البشرية الى الأوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ، ولأن الفهم من كلام مثل الصلصلة اثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد ، وهذا أشد . وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ، ولأن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به . وفي حديث لابن عباس - رضي الله عنهما - كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة . قال بعضهم : وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهي عنه فكيف يشبه الوحي به ، لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها ، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما . ولما كان الوحي من المسائل العويصة التي لا يماط نقاب التغور عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثل في الشاهد ، فمثلت بالصوت الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيهاً على ان الوحي يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء ، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقي من ثقل القول ما لا علم له به ، مع وجود ذلك . فإذا سري عنه وجد القول المقول بيناً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع . وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة ، على ما رواه أبو هريرة مرفوعاً إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ﴿ ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي

الكبير ﴾ .

وقد روى الإمام أحمد والحاكم وصححه، والترمذي والنسائي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : كانﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ، ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر ـ رضي الله عنه ـ والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه بهﷺ بالنسبة الى مقامه ، وجزم بعضهم بأن سماعه كدوي النحل حين يتمثل له رجلاً وبه تعلم الصفة التي كان عليها ، حين خطابه بذلك الصوت . وجاء في بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بأن جبينهﷺ يتفصّد عرقاً أي يسيل عرقاً مبالغة في كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله ، لطروّه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ، ويحصل ذلك له في اليوم الشديد البرد ، فضلاً عن غيره . وان راحلته إذا أوحي عليه وهو عليها لتبرك به في الأرض ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ فنقلت عليه حتى كادت ترضها . وفي مسلم عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول اللهﷺ إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة . وفي رواية : كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه ، وربما غط كغطيط البكر . وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ كان إذا نزل على رسول اللهﷺ السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة وإذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها .

الخامسة : أن يرى جبريل في صورته التي خلقها الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسدّ أفق السماء حتى ما يرى في السماء شيء ، فيوحي اليه ما شاء الله أن يوحيه اليه ، وهذا وقع له مرتين إحداهما في الأرض حين سأله ان يريه نفسه في الأفق ، وكانت هذه في أوائل البعثة بعد فترة الوحي . والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت ، من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة .

السابعة : ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضاً بل بسماع الكلام الأزلي لكن بلا رؤية ، كما وقع لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وزاد بعضهم ثامنة فقال : وكل به إسرافيل ـ عليه السلام ـ قبل تتابع مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة

والشيء ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن، وبعضهم نازع في هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام ، لا بواسطة ملك . وبذلك فارق النفث في الروع وزاد بعضهم عاشرة وهي مجيء جبريل في صوزة رجل غير دحية كما في الحديث الذي فيه بيان الإسلام والإيمان والإحسان ، والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثالثة لأن القصد منها التمثل في صورة رجل وإن كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافي إنه قد يأتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور . فانه ذكر فيه انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ، ودحية كان معروفاً عندهم . وبالغ بعضهم في تعديد انواع الوحي حتى أوصلها إلى ستة وأربعين نوعاً . والتحقيق انها تعود الى ما ذكر وقد روي ان جبريل ظهر له ﷺ في أوّل ما أوحى اليه في أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة .

وفي روايـــة : بجبل حراء فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أنت رسولي إلى الجن والإنس فادعهم الى قول لا إله إلا الله أي ومحمد رسول الله ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريـــل ورسول الله ﷺ ينظر اليـــه ليريـــه كيفيـــة الطهور للصلاة ، ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ، ثم قام جبريـــل يصلي مستقبلاً نحو الكعبة وأمره أن يصلي معه ، فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ، ورجع ﷺ إلى أهله ، فكـــان لا يمرّ بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليـــك يا رسول الله ، فسار ﷺ حتى أتى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فأخبرها فغشي عليها من الفرح ، ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ، ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل ـ عليه السلام ـ فكانت أوّل من صلى . وفي رواية: أنها قالت حين شاهدت ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم توضأت وصلت فكان ذلك أوّل فرض الصلاة من حيث هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي ، وإليها الاشارة بقوله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربـك بالعشي والإبكار ﴾ ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا أن آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبي ﷺ تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لأصحابه ، ثم نزلت الآية ببيان . وقال بعضهم : ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه قبل ذلك كان مطلوباً على وجه السنة والندب ، ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الأقوال .

ذكر أوّل مَن آمَن بالله تعَالى وَرسُوله ﷺ

قال في المواهب اللدنية : أول من آمن بالله وصدق برسوله ﷺ صدّيقة النساء خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقامت بأعباء الصديقية وكانت تقول للنبي ﷺ : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقري الضيف وحمل الكلّ ، وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبداً وهو من بديع علمها ـ رضي الله عنها ـ قال ابن اسحق : وآزرته ﷺ على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ وتكذيب إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس ، ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي ﷺ وهو بغار حراء وقال له : اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت : هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته . وهذا من ونور فقهها ـ رضي الله عنها ـ حيث جعلت مكان ردّ السلام على الله الثناء عليه ، ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره . قال ابن هشام : والقصب هنا اللؤلؤ المجوف . وأبدى السهيلي لنفي النصب لطيفة ، هي انه ﷺ لما دعاها الى الإيمان أجابت طوعاً ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب ، بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة ، وهوّنت عليه كل عسير ، فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها ـ رضي الله عنها ـ وإقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ، وتميزت أيضاً بانها لم تسؤه ﷺ ولم تغاضبه قط ، وقد جازاها فلم يتزوّج عليها مدّة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته ، وولدت له ﷺ من الذكور : القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ، ومن

الإناث : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ـ رضي الله عنها ـ وعنهن .

وأول ذكر آمن بعدها صديق الأمة وأسبقها الى الإسلام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ

وكان ـ رضي الله عنه ـ صدّيقاً لرسول الله ﷺ قبل البعثة وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته . وروى عنه ﷺ أنه قال : كنت أنا وأبو بكر على هذا الأمر كفرسي رهان ، فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه إشارة إلى أن كلاً منهما مجبول على التوحيد ، ولهذا لما بعث ﷺ كان أشد الناس تصديقاً له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ روى الطبراني برجال ثقات أن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ الى عبد الله وقيل : كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت : اللهم هذا عتيقك من الموت لأنه كان لا يعيش لها ولد وقيل : وسمي عتيقاً لأن النبي ﷺ بشّره بأن الله أعتقه من النار ، وقيل : لأنه ليس في نسبه ما يعاب به . وقيل : لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام ، وكنى بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة . قال الزرقاني : ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى ﷺ أو غيره ، فلما أسلم آزر النبي ﷺ في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا بكر رضي الله عنه ـ أول الناس إسلاماً واستشهد بقول حسان ـ رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأوّل الناس قدماً صدق الرسلا

وقوله : والثاني التالي أي الثاني للنبي ﷺ في الغار ، ففيه تلميح الى قوله تعالى : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ وقوله التالي اي التابع له ﷺ باذلاً نفسه مفارقاً أهله ورياسته في طاعة الله ورسوله ﷺ وملازمته ، ومعادياً للناس فيه جاعلاً نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصى ، بحيث قال ﷺ ان من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر . وقال : ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر ، واساني بنفسه وماله . وقال : إن أعظم الناس علينا مناً أبو بكر ، زوجتي ابنته ، وواساني بماله ،

قال الشعبي : عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآيـة أي آيـة ﴿ ألا تنصروه ﴾ غير أبي بكر وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض ، كما في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال النبي ﷺ لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء . وقوله المحمود مشهده أي الممدوح مكان حضوره من الناس لأنه كان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها ، وبما كان فيها من خير وشرّ وكان تاجراً . وفي السيرة الحلبية . كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صدراً معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من رؤساء قريش ومحطمشورتهم ، وكان من أعف الناس رئيساً مكرّماً سخياً ، يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ، وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب ، وكذا عقيل بن أبي طالب ، إلا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرّهم ولا يعد مساويهم ، فلذا كان محبباً اليهم بخلاف عقيل ، فانه كان يعد مساويهم وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ذا خلق حسن ومعروف ، وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فلما أسلم وتبع النبي ﷺ وآزره وشد عضده فجعل يدعو الى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه ، فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة ـ رضي الله عنه وعنهم ـ وسيأتي ذكر بعض من أسلم بدعائه .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يتوقع ظهور نبوّة النبي ﷺ لما سمعه من ورقة ومن غيره من الأحبار والرهبان والكهان ، حتى انه أوّل من بادر الى التصديق به ﷺ . يروى أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يوماً عند حكيم بن خزام إذ جاءت مولاة لحكيم فقالت : ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى ـ عليه السلام ـ فانسل أبو بكر حتى أتى النبي ﷺ فسأله عن خبره فقصّ عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له ، وأخبره بأن الله أرسله فقال : صدقت بأبي وأمي أنت ، وأهل الصدق أنت ، أنا اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله ، فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله . ولما سمعت خديجة ـ رضي الله عنه ـ مقالة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ خرجت وعليها خماراً حمر فقالت : الحمد الله الذي هداك يا ابن أبي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ، والذي صدق به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال ابن اسحق : بلغني أن النبي ﷺ قال: ما دعوت أحداً الى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما علم عنه حين ذكرته له أي انه بادر به . وقال السهيلي : وكان من أسباب توفيق الله له وانه رأى

القمر نزل مكة ثم تفرّق على جميع منازلها وبيوتها ، فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبراها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمنه تتبعه تكون أسعد الناس به ، فلما دعاهﷺ الى الإسلام لم يتوقف .

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن أبا بكر رضي الله عنه ـ خرج الى اليمن قبل بعثة النبيﷺ قال : فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيراً فقال : احسبك حرمياً . قلت : نعم قال : واحسبك نبياً . قلت : نعم قال : بقيت لي فيك واحدة قلت : وما هي ؟ قال : تكشف لي عن بطنك ؟ قلت لا أفعل او تخبرني لم ذاك ؟ قال أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل ، وأما الفتى فخواص غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامه ، وعلى فخذه الأيسر علامه ، وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ما خفي عليّ . قال : فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال : أنت هو ورب الكعبة وإني اوصيك بما هو في أمره . قلت : وما هو ؟ قال : إياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى ، وخف الله فيما خولك وأعطاك ، فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودّعه فقال : أحامل أنت مني ابياتاً إلى ذلك النبي ؟ قلت : نعم فذكر أبياتاً فقدمت مكة وقد بعثﷺ فجاءني صناديد قريش فقلت : نابكم أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا : أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شيء وذهبت الى النبيﷺ فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت : يا محمد قدحت منازل أهلك ، وتركت دين آبائك فقال : اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت : وما دليلك ؟ قال : قال : الشيخ الذي لقيته باليمن . قلت : وكم لقيت من شيخ باليمن ؟ قال : الذي أفادك الأبيات قلت : ومن أخبرك بهذا يا حبيبي ؟ قال : الملك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي . قلت : مد يدك فانا أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت . وقد سرّ رسول اللهﷺ باسلامي . وفي رواية فانصرفت وما بين لابيتها أشد سروراً مني باسلامي ولا أشد سروراً باسلامي من رسول اللهﷺ .

قال الزرقاني : يمكن الجمنع بينه وبين ما تقدم من أنه بلغه أمر النبيﷺ عند اجتماعه بحكيم بن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ، ورجوعه بعد إسلام خديجة

وتحقق الأمر عندها فلقي صناديد قريش عند وصوله ، ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية ، فأتى النبي ﷺ وأظهر اسلامه بين يديه ، ولما أسلم أظهر إسلامه للناس ، ودعا الى الله ورسوله . وفي السيرة الحلبية : ان أبا بكر - رضي الله عنه - لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه - رضي الله عنه - نعم القادر الله ، وخاتم عمر كفى بالموت واعظاً يا عمر ، وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصاً ، وخاتم علي الملك لله ، وخاتم أبي عبيدة الحمد لله . وفي المواهب وشرحها روي عن الحسن أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف سبق المهاجرون والأنصار الى بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة ؟ فقال له علي - رضي الله عنه - ويلك ان ابا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشيء : سبقني الى إفشاء الإسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر إسلامه وأخفيه تستحقر لي قريش وتستوفيه ، والله لو أن أبا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين العبرين اي الجانبين ، ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت ، ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال : ﴿ الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ﴾ وقوله : سبقني الى إفشاء الإسلام ، يدل على أسبقية إسلام علي رضي الله عنه . وان أبا بكر رضي الله عنه إنما سبقه الى الإفشاء والتحقيق ان كلاً من أبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - بادر بالتصديق والاسلام ، وعلي - رضي الله عنه - كان عند النبي ﷺ وفي بيته فيحتمل انه أسلم مع إسلام خديجة - رضي الله عنه - ، ويحتمل انه قارن إسلامه إسلام ابي بكر - رضي الله عنه - ومثل ذلك زيد بن حارثة - رضي الله عنه - فانه كان مولى النبي ﷺ وكان من السابقين في الإسلام . وكذا بلال - رضي الله عنه - كان من السابقين في الإسلام .

ففي بعض الأحاديث : أن اول الناس إسلاماً خديجة - رضي الله عنها - وفي بعضها أبو بكر - رضي الله عنه - وفي بعضها : - علي رضي الله عنه . وفي بعضها : زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وفي بعضها : بلال - رضي الله عنه - قال الحافظ ابن الصلاح : والأروع أن لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين ، بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الأحرار أبو بكر . ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال . وقال المحب الطبري : الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها ، فيقال : أول من أسلم مطلقاً خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع

المسلمين ، وأول ذكر أسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم ، كان مستخفياً باسلامه ، وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر ، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي . وروى ابن منده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان ابا بكر - رضي الله عنه - صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وهم يريدون الشام في تجارة ، فسمع أبو بكر - رضي الله عنه - كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال : من هذا الذي تحت الشجرة ؟ فأجابوه بأنه محمد بن عبد الله . فقال : هذا نبي الخ ما تقدم . فوقع في قلب ابي بكر اليقين حينئذ . وفي رواية : لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا ، فالمراد بهذا الايمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت في قلبه ، فلهذا كان يتوقع بعثة النبي ﷺ فلا ينافي انه أوّل المسلمين او ثانيهم او ثالثهم بعد النبوّة كما تقدم . قال الحلبي في السيرة : وبنات النبي ﷺ كنّ موجودات عند البعثة فيبعد تأخر إيمانهن فهن من أوّل الناس إيماناً بل هن ممن لم يتقدم لهن إشراك فلم يذكرن مع أوّل من آمن اكتفاء بذلك ولإيمان أمهن ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير : إن اهل بيته ﷺ آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعلي - رضي الله عنهم - .

وأما فاطمة - رضي الله عنها - فما ولدت إلا بعد البعثة فلا يحتاج إلى التنبيه عليها . وقد روى ابن إسحق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما أكرم الله نبيه ﷺ بالنبوة أسلمت وبناته ﷺ وكان ابو العاص زوج زينب عظيماً في قريش ، فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوّج من أحب نسائهم فأبى ، ولا يشكل تزويجه بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي ﷺ من قبل البعثة عن الجاهلية ، لأن تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا ترجعوهن الى الكفار ﴾ بعد صلح الحديبية . وقد كفاه الله ولدي أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوّجتا بعثمان - رضي الله عنه - واحدة بعد واحدة وأما ابو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب - رضي الله عنها - عنده وعن النبي ﷺ ما كلمت أحداً إلا راجعني في الكلام وألب علي إلا ابن ابي قحافة ، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه .]ومن ثم كان أسد الصحابة رأياً واكملهم عقلاً لخبر أتاني جبريل فقال : ان الله أمرك أن تستشير ابا بكر ونزل فيه وفي عمر - رضي الله عنهما - ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فكان أبو بكر - رضي الله عنه - بمنزلة الوزير من رسول الله ﷺ ، فكان يشاوره في أموره كلها . وقد جاء ان الله أيدني بأربعة وزراء : اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل ،

واثنين من أهل الأرض ابي بكر وعمر . وفي حديث صحيح : ان الله يكره ان يخطأ ابو بكر . وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده في الصحابة وجعله أوّل من أسلم ، وبعضهم قال : انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى ـ عليه السلام ـ وبعضهم جعله من أهل الفترة .

وأما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فسيأتي ذكر إسلامه في باب : بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة ، وسيأتي أيضاً أن إسلامه إنما كان بعد الهجرة الاولى ، وقيل الثانية في السنة السادسة من المبعث ، وأما عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فيأتي ذكر اسلامه قريباً في عداد من أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، واما حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ فسيأتي ذكر قصة إسلامه عند ذكر ما وقع له ﷺ من كفار قريش من الأذايا ، لأن بعض تلك الأذايا كان سبب إسلامه ـ رضي الله عنه ـ وسيأتي أيضاً أن إسلامه كان في السنة الثانية من النبوّة ، وقيل في السادسة .

ثم اسلم علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ وكرم وجهه وتقدم ان بعضهم جعل إسلامه أسبق من إسلام ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتقدم الجمع بين الأقوال بأنه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أوّل من أسلم من الأحرار البالغين ، وعن سلمان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : أوّل الناس وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ولما زوجه النبي ﷺ فاطمة ـ رضي الله عنها ـ قال لها : زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وانه لأوّل صحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنة ثمان سنين وكان عند النبي ﷺ قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لأن قريشاً كان أصابهم قحط شديد ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس ـ رضي الله عنه ـ إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ انت واحداً وانا واحداً فجاء إليه وقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبو طالب : اذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله علياً فضمه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه وتركا له عقيلاً وطالباً ، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ وقد تولى تسمية علي النبي ﷺ بنفسه وغذاه أياماً من ريقه المبارك يمصه لسانه . فعن فاطمة بنت أسد أم علي ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : لما ولدته سماه ﷺ

علياً وبصق في فيه ، ثم انـه ألقمـه لسانـه فما زال يمصـه حتـى نام قالت : فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا محمداً فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله تعالى . وعنها ـ رضي الله عنها ـ انها ارادت في الجاهلية ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي ـ رضي الله عنه ـ فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي ـ رضي الله عنه ـ أصغر إخوته ، فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك . فكل واحد أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم أسلموا إلا طالباً فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم إسلامه . وقد جاء انه ﷺ قال لعقيل ـ رضي الله عنه ـ أحبك حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمي اياك .

وسبب اسلام علي ـ رضي الله عنه ـ انه دخل على النبي ﷺ ومعه خديجة ـ رضي الله عنها ـ وهما يصليان سواء فقال : ما هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك الى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته والى الكفر باللات والعزى . فقال علي ـ رضي الله عنه ـ هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب ، وكره رسول الله ﷺ ان يفشي عليه سرّه قبل ان يستعلن أمره فقال له : يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا . فمكث علي ليلتـه ثم ان الله تبـارك وتعـالى هداه للاسلام فأصبح غادياً الى رسول الله ﷺ فأسلم على يديه ، وذلك في اليوم الثاني من صلاته ﷺ هو وخديجة ـ رضي الله عنها ـ وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي ، لأن صلاته ﷺ مع خديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت آخر يوم الاثنين وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يخفي إسلامه خوفاً من أبيه ، الى ان اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ . وفي اسد الغابة لابن الاثير : ان ابا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً ـ رضي الله عنه ـ يصليان وعلي يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصلّ على يساره فأسلم جعفر ـ رضي الله عنه ـ وكان إسلامه بعد إسلام أخيه علي ـ رضي الله عنه ـ بقليل وكان إسلام علي ـ رضي الله عنه ـ قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سني وقيل عشر ومما كتبه علي ـ رضي الله عنه ـ لمعاوية ـ رضي الله عنه :

محمـد النبـي أخـي وصهري وحمـزة سيد الشهـداء عمي
وجعفـر الـذي يضحـي ويمسي يطـير مع الملائـكة ابـن أمي
وبنـت محمـد سكنـي وعرسي مشـوب لحمهـا بدمـي ولحمي

وسبطا أحمد ابناي منها فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكمو الى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي : هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي ـ رضي الله عنه ـ حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام ؛ وزعم المازني وصوّبه الزمخشري ان علياً ـ رضي الله عنه ـ لم يقل غير بيتين هما :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره في القاموس . قال الزرقاني : وهو مردود بما في مسلم في غزوة خيبر من قول علي ـ رضي الله عنه ـ مجيباً لمرحب اليهود :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ انها قالت : قال علي ـ رضي الله عنه ـ

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من علي ـ رضي الله عنه ـ شرك أبداً لأنه كان مع رسول الله ﷺ في كفالته كأحد أولاده تبعه في جميع أموره . وفي الحديث : ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن من آل يّس وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون . وفي حديث آخر : سباق الإسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون : وحبيب النجار صاحب يّس وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان ابا بكر رضي الله عنه ـ كذلك ولما علم أبو طالب باسلام علي ـ رضي الله عنه ـ وصلاته مع النبي ﷺ

قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ أي بنيّ ما هذا الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله ورسوله ﷺ وصدقت ما جاء به ، ودخلت معه واتبعته . فقال له : اما انه لم يدعك إلا الى الخير فالزمه . ويذكر عنه أنه كان يقول : إني لأعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا إني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته . وعن ابن إسحق أن النبي ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مستخفياً من قومه فيصليان فيها ، فإذا أمسيا رجع كذلك . ثم ان ابا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به ؟ قال : هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولاً الى العباد وأنت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى ، وأحق من أجابني الى الله تعالى واعانني عليه . فقال له ابو طالب : اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه . وفي رواية انه قال له : ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني استي أبداً وهذا ينبغي ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر : صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي ﷺ يصلي وعلياً على يمينه . لكن يروى عن علي ـ رضي الله عنه ـ انه ضحك يوماً وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال : تذكرت ابا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي ﷺ فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ؟ فلما أخبرناه قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً لأني لا أحب ان تعلوني استي ، فلما تذكرته الآن ضحكت . وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله ـ رضي الله عنه ـ أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل .

ثم اسلم بعد إسلام علي ـ رضي الله عنه ـ زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ ، وهبته له خديجة ـ رضي الله عنها ـ لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام بن خويلد ، ممن سباه من الجاهلية ، لأن عمته خديجة ـ رضي الله عنها ـ أمرته ان يبتاع لها غلاماً ظريفاً عربياً ، فلما قدم سوق عكاظ وجد زيداً يباع وعمره ثمان سنين ، وقد أسر من اخواله طي . قال السهيلي : ان امه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم ، وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ، ويقال بستمائة درهم . فلما رأته خديجة ـ رضي الله عنها ـ أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشترا لها. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له ، فأعتقه رسول الله وتبناه قبل الوحي ، وقيل ان الذي

اشتراه لخديجة ـ رضي الله عنها ـ النبيﷺ فانه جاء الى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقال : رأيت غلاماً بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ، ولو كان لي ثمن لاشتريته . قالت : وكم ثمنه ؟ قال : سبعمائة درهم . قالت : خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال : انه لو كان لي لأعتقته قال : هو لك . فأعتقه . قال ابو عبيدة : لم يكن اسمه زيد ولكن النبي ﷺ سماه بذلك حين تبناه ، وهو اسم جده قصيّ . ثم انه خرج بإبل لأبي طالب الى الشام فمرّ بأرض قومه فعرفه عمه ، فقام اليه فقال : من انت يا غلام ؟ قال : غلام من أهل مكة . قال من أنفسهم ؟ قال : لا . قال : فحرّ انت ام مملوك ؟ قال : مملوك . قال : عربي انت ام اعجمي ؟ قال : عربي قال : ممن أهلك ؟ قال : من كلب . قال من اي كلب ؟ قال : من بني عبد ود . قال : ويحك ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شرحبيل . قال : واين أصبت ؟ قال : في اخوالي . قال : من اخوالك ؟ قال : طيء قال : ما اسم امك ؟ قال سعدى فالتزمه وقال : ابن حارثة ودعا اباه فقال : يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه ، وقال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثرني على أهله وولده ورزقت منه حياً فلا أصنع إلا ما شئت ، فركب معه ابوه وعمه وأخوه . وفي رواية : ان ناساً من قومه حجوا فرأوا زيداً فعرفوه وعرفهم ، فانطلقوا فأعلموا أباه ، ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه . قال الحلبي : وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس ، فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيرَّه رسول الله ﷺ بين المكث عنده والرجوع الى أهله ، فاختار المكث عند رسول اللهﷺ . وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فدائه سألا عن النبيﷺ فقيل : هو في المسجد فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن هاشم ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الأسير العاني وتطعمون الجائع ، جئناك في ولدنا عندك ، فامنن علينا وأحسن في فدائه فانا سندفع لك . فقال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة . قال : أو غير ذلك ؟ قالوا : وما هو؟ قال : أدعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على الذي اختارني فداء . قالوا : زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه ، فقال : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ابي وعمي ولم يذكر اخاه لاستصغاره ولأن الخطاب كان معهما . وفي رواية ذكرها السهيلي : ان زيد الماء جاء قالﷺ من هذان ؟ قال : هذا ابي حارثة بن شرحبيل ، فقال له النبيﷺ : انا من علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهما فقال زيد . ما انا بالذي اختار عليك احداً

انت مني مكان الأب والعم فقالا : ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال : نعم ما انا بالذي أختار عليه احداً . فلما رأى رسول الله ﷺ ما رأى أخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال : إن زيداً ابني أرثه ويرثني فطابت أنفسهما وانصرفا . قال ابن عبد البر : إن سنه حين تبناه النبي ﷺ كان ثمان سنين . وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول : هذا ابني وارثاً وموروثاً ، ويشهدهم على ذلك . وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل يقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وثأري ثأرك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ترثني وأرثك ، تطلب بي وأطلب بك ، وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر امر الإسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث .

وفي أسد الغابة ان حارثة أسلم ، وقيل لم يثبت إسلامه إلا المنذري ولما تبنى رسول الله ﷺ زيداً كان يقال له زيد بن محمد ، ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه إلا هو ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى :﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ قال ابن الجوزي : إلا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ﴾ اسم رجل كان يكتب للنبي ﷺ ، وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ وصار يقال له زيد بن حارثة ، ولا يقال له زيد بن محمد . ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة . ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم ـ رضي الله عنها ـ ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم ـ رضي الله عنه ـ وكان أسنّ منه . سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر مني وانا ولدت قبله اي لأن زيداً افضل منه لسبقه الى الإسلام .

وأول من أسلم من النساء بعد خديجة ـ رضي الله عنها ـ أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحرث الهذلية أخت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ ومن السابقات الى الإسلام أسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعنها وام أيمن ، بل ينبغي ان تكون سابقة على أم الفضل .

بيان من أسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه

ولما أسلم ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير

منهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال عثمان ـ رضي الله عنه : أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية ـ رضي الله عنها ـ ان الله أرسل محمداًﷺ وحثتني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق ـ رضي الله عنه ـ فجئته فأصبته وحده وصرت متفكراً ، فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فحثني ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ ورغبني في الإسلام قال : فما كان بأسرع من أن مرّ رسول الله ﷺ ومعه علي ـ رضي الله عنه ـ يحمل له ثوباً فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فسار النبي ﷺ فقعد ثم أقبل عليّ فقال : أجب الله تعالى الى جنته فاني رسول الله اليك وإلى جميع خلقه ، قال : فما تمالكت حين سمعته أن قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم لم ألبث ان زوّجني رقية ـ رضي الله عنها ـ وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان ـ رضي الله عنه ـ كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل . قال ـ رضي الله عنه ـ كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة ابن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها ، فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فأخبرتني ان الله أرسل محمداًﷺ . وذكر قصة إسلامه ، ثم لم ألبث ان تزوجت رقية أي بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها ، كما يأتي . ثم بعد أن توفيت تزوّج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذي النورين ولم يعرف أحد تزوّج بنتي نبي غيره ـ رضي الله عنه ـ وكان يختم القرآن كل ليلة في الوتر . وقالﷺ في حقه : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان ـ رضي الله عنه ـ أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافاً . وقال : ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد ، والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه . فقال عثمان : والله لا أدعه ولا أفارقه . فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه ، وقيل عذبه بالدخان ليرجع ، فما رجع . وقيل ان المعذب بالدخان الزبير ـ رضي الله عنه ـ ليرجع عن الإسلام ولا مانع من تعداد ذلك .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن ثمان سنين أو اثنتي عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع فيقول لا أكفر أبداً .

وأسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث ابن زهرة ، وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فسماه النبيﷺ عبد الرحمن قال : وكان أمية بن خلف صديقاً لي فقال لي يوماً : أرغبت عن اسم سماك به أبواك ؟ فقلت : نعم

فقال : أنا لا أعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الإله فكان يناديني بذلك .

وسبب إسلام عبد الرحمن ابن عوف الزهري المذكور ـ رضي الله عنه ـ ما حدث به قال : سافرت الى اليمن غير مرة وكنت إذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكن الحميري ، فكان يسألني : هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم ؟ فأقول : لا حتى كانت السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ ولا علم لي بذلك ، قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها في أخبار الكهان التي ليست على ألسنة الجان . وفي آخرها : فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر ـ رضي الله عنه ـ وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ رآني رسول الله ﷺ فضحك وقال لي : أرى وجهاً خليقاً أن أرجو له خيراً فما وراءك ؟ قلت : وديعة . فقال : أرسلك مرسل برسالة هاتها . فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني اولئك من اخواني حقاً . وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ أنت أمين في أهل الأرض أمين في أهل السماء ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أيضا سعد بن أبي وقاص الزهري ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنه ـ لقيه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فدعاه الى الإسلام ورغبه فيه وحثه عليه ، فأتى النبي ﷺ وسأله عن أمره فأخبره به فأسلم ، وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة . ومن ثم قال ﷺ وقد أقبل عليه سعد : هذا خالي فليرني امرؤ خاله . وفي كلام السهيلي : أنه عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ وكرهت أمه إسلامه ، وكان باراً بها فقالت : ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين ؟ قال فقلت : نعم . فقالت : والله لا أكلت طعاماً ولا شربت شراباً حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس أسافاً ونائلة ، وكانوا يفتحون فاها أعني أم سعد في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب ، فأبى أن يمتثل قولها . وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ الآية . وفي رواية : انها مكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب . قال سعد ، فلما رأيت ذلك قلت لها : تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً ما تركت دين محمد فكلي ان شئت أو لا تأكلي ، فلما رأت ذلك

أكلت . وفي الانساب للبلاذري عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : أخبرت أمي اني كنت اصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا يصلونها بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح : ألا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي أوعشيرته فأحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث ، فرجعت من حيث جئت وقلت : لا أعود إليك ولا أقرب منزلك ، فهجرتها حيناً ثم أرسلت إلي ان عد إلى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار ، فرجعت الى منزلي . فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشرّ وتعيرني بأخي عامر وتقول : هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعاً . فلما أسلم عامر لقي منها ما لم يلق أحد من الصياح والأذى ، حتى هاجر الى الحبشة ، ولقد جئت يوماً والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت : ما شأن الناس ؟ فقالوا : هذه أمك قد أخذت اخاك عامراً وهي تعطي الله عهداً الا يظلها نخل ولا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى يدع صبأته . فقلت لها : والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً طلحة بن عبيد الله التميمي ـ رضي الله عنه ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقيه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ فدعاه الى الله تعالى ورغبه في الإسلام ، فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبي ﷺ . وله قصة كانت هي السبب الأول في اسلامه ـ رضي الله عنه ـ قال : حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد ؟ فقلت : نعم أنا قال : هل ظهر احمد ؟ قلت ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، وهذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فإياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت.: هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم . محمد بن عبد الله الأمين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن ابي قحافة ، فخرجت حتى دخلت على ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ فأجزته بما قال الراهب فخرج ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى دخل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فسر به فأسلمت . ولما تظاهر ابو بكر وطلحة ـ رضي الله عنهما ـ بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش ، فشدهما في حبل يريد أن يفتتنا ويرجعا عن الإسلام ولم يمنعهما بنو تيم ، ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدّة ابن العدوية وقوّة شكيمته ، كان ﷺ يقول : اللهم اكفنا شر ابن العدوية ، وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم ابيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله

التيمي ، فالأول أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهذا ليس كذلك ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابدا ﴾ قال : لئن مات محمد رسول الله ﷺ لأتزوّجن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفي لفظ : يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية . قال الحافظ السيوطي : وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة أجلّ مقاماً أن يصدر عنه ذلك ، حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه. نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل : أنه أسلم على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومن العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم : عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض ، وطلحة الجواد ، والزبير بن العوّام ، وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهم ـ وزاد بعضهم سادساً وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح . وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزّازاً وكان الزبير جزاراً وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ، ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء .

ومن السابقين الى الإسلام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر ـ رضي الله عنه ـ فهي ثانية النساء إسلاماً وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس ـ رضي الله عنهما ـ ومن السابقات اسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ وأما عائشة ـ رضي الله عنها ـ فما ولدت الا بعد البعثة . ومن السابقين عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ، ومنهم ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ، ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الأرقم .

ومن السابقين الى الإسلام عبد الله بن مسعود الهذلي ـ رضي الله عنه ـ وسبب إسلامه ما حدث به قال : كنت في غنم لآل عقبة بن ابي معيط فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال النبي ﷺ : هل عندك من لبن ؟ فقلت : نعم ، ولكني مؤتمن . قال : هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . فأتيته بشاة شصوص وهي التي لاضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي ﷺ مكان الضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقورة . فاحتلب النبي ﷺ فسقى أبا بكر وسقاني ، ثم شرب ثم قال للضرع : اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله :

ورب عنـــاق ما نـزا الفحــل فوقها مسحــت عليهـــا باليمـــين فدرت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله ﷺ أسلم وقال : يا رسـول الله علمنـي فمسح رأسه وقال : بارك الله فيك فانك غلام معلم . وكان ﷺ يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه ، فلذلك كان كثير الولوج عليه ﷺ وكان يمشي أمامـه ﷺ ويستـره إذا اغتسل ،ويوقظه إذا نام ، ويلبسه نعليه إذا قام . فإذا جلس أدخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهوراً عند الصحابة أيضاً بأنه صاحب سرّ رسول الله ﷺ وبشره ﷺ بالجنة . وقال : رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد .

ومن السابقين الى الإسلام ابو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب إسلامه ما حدث به ، قال : صليت قبل أن ألقي النبي ﷺ ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربي فبلغنا أن رجلاً خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لأخي أنيس : انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتني بخبره . فلما رجع أنيس قلت له : ما عندك ؟ قال : والله رأيت رجلاً يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت : فما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر . والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت : أكفني حتى أذهب فانظر ؟ قال : نعم . وكن على حذر من أهل مكة فحملت جراباً وعصا حتى أقبلت وأتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره ان أسأل عنه ، فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوماً وما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت عليّ شحنة جوع والشحنة بالتحريك حرارة يجدها الإنسـان من جوع . ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد ، وإذا برسول الله ﷺ جاء فطاف بالبيت ثم صلى ، فلما تمت صلاته أتيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال : من الرجل ؟ فقلت : من غفـار بكسر المعجمة . قال ؟ متى كنت ؟ قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على بطني شحنة جوع . قال : مبارك انها طعام طعم باشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله ، وهي همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق . وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم .

وجاء أن أبا ذرّ أول من قال لرسول الله ﷺ : السلام عليك التي هي تحية الإسلام فهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام وبايع رسول الله ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم ،وعلى ان يقول الحق ولو كان مراً . ومن ثم قال رسول الله ﷺ ما أظلت الخضراء اي السماء ولا أقلت الغبراء أي الأرض أصدق من أبي ذرّ - رضي الله عنه - وقال ﷺ في حقه : أبو ذر يمشي في الأرض على زهد عيسى ابن مريم - عليه السلام - وفي الحديث : أبو ذرّ زاهد أمتي وأصدقها وقد هاجر أبو ذر - رضي الله عنه - الى الشام بعد وفاة ابي بكر - رضي الله عنه - واستمر بها الى أن ولي عثمان - رضي الله عنه - فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية - رضي الله عنه - وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات . وذلك ان أبا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان لقيا أبي ذر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ كانت بدلالة علي - رضي الله عنه - وأنه قال له ما أقدمك هذا البلد ؟ فقال له أبو ذر : إن كتمت علي أخبرتك . وفي رواية : أعطيتني عهداً وميثاقاً أن ترشدني أخبرتك ففعل ، قال أبو ذر : فأخبرته فأرشدني وأوصلني إلى رسول الله وأسلمت .

وفي رواية : أن علياً - رضي الله عنه - استضافه أبو ذر - رضي الله عنه - ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ، ثم في الثالث قال له : ما امرك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : ان كتمت علي اخبرتك . قال : فاني افعل . قال له : بلغنا أنه خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت اليه اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه . فقال : أما أنك قد رشدت هذا وجهي اي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث أدخل ، فان رأيت احداً اخافه عليك قمت الى الحائط كأني أصلح نعلي . وفي رواية : كأني أريق الماء فامض أنت . قال ابو ذر : فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له : اعرض عليّ الإسلام فاعرضه فأسلمت مكاني الحديث . ثم إن أبا بكر قال : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة . قال ابو ذر - رضي الله عنه - فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر - رضي الله عنه - فانطلقت معهما ففتح أبو بكر - رضي الله عنه - باباً فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام اكلته اي من الزبيب ، فلا ينافي اضافة علي - رضي الله عنه - له ، ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبي ﷺ مع علي - رضي الله عنه - فأسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فأسلم بأن يكون أبو ذرّ دخل عليه اولاً مع علي ثم لقيه في الطواف ، ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوماً عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله . ففي ليلة لم

يطفْ بالبيت أحد الخ . والا فيبعد ان يكونﷺ لم يدخل المسجد للطواف في مدة ثلاثين يوماً وقوله : من الرجل زيادة في الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل ، وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة .

وفي رواية : أنهﷺ قال لأبي ذر : اكتم هذا الأمر وارجع الى قومك فأخبرهم يأتوني ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل . قلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم . قال : وكنت في الإسلام خامساً .

وفي رواية : رابعاً أي من الاعزاب فلا ينافي زيادة من أسلم غيره على خمسة . قال ابو ذر : فلما اجتمعت قريش في المسجد ناديت بأعلى صوتي : أشهد أن محمداً رسول الله فقالوا : قوموا الى هذا الصابي فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي ، فأكب علي العباس وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم ؟ فخلوا عني . قال فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ، وأدركني العباس وخلصني فخرجت . وأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ فقلت : قد أسلمت وصدقت . فقال : ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت : ما لي رغبة عن دينكما فاني اسلمت وصدقت ، فأتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وقال بعضهم : إذا قدم رسول اللهﷺ المدينة اسلمنا ، فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثاني لأنهﷺ قال لأبي ذر : اني قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ وقد ذكر ان أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ وقف يوماً عند الكعبة في حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم : لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يعد زاداً ؟ فقالوا : بلى . فقال : سفر القيامة أبعد مما تريدون . فخذوا ما يصلحكم . فقالوا : وما يصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوماً شديداً حره ليوم النشور ، وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور .

ومن السابقين للاسلام خالد بن سعيد بن العاص وهو أوّل من أسلم من إخوته ، فيحمل عليه قول ابنته أم خالد أوّل من اسلم ابي أي من إخوته ، وسبب إسلامه انه رأى في النوم النار ، ورأى من فظاعتها وأهوالها أمراً مهولاً ، ورأى انه على شفيرها ، وان أباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول اللهﷺ آخذاً بحجزته يمنعه من الوقوع فيها . فقام من نومه فزعاً وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول اللهﷺ . فأتى ابا بكر ـ رضي الله عنه ـ

فذكر له ذلك فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أريد بك خير ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فأتاه فقال : يا محمد ما تدعو اليه ؟ قال : ادعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، فأسلم خالد . وفي الوفاء للسيد السمهودي عن ام خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت : كان خالد ابن سعيد ذات ليلة نائماً قبل مبعث رسول الله ﷺ فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينا هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فأضاء في البيت ثم أصاب مكة كلها ، ثم تحوّل الى يثرب فأصابها حتى إني لأنظر الى البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها على اخي عمرو بن سعيد وكان جزل الرأي فقال : يا أخي ان هذا الأمر في بني عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر ابيهم ؟ ثم انه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد مبعثه فقال : يا خالد أنا ذلك النور وانا رسول الله . وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد ، وعلم بذلك ابوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش ، وكان إذا اعتم لم يعتم قرشي إعظاماً له ومن ثم قال فيه القائل :

ابا أحيحة من يعتم عمته يوماً وان كان ذا مال وذا عدد

وعند إسلام ولده خالد أرسل في طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال : اتبعت محمداً وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم ؟ فقال : والله تبعته على ما جاء به . فغضب ابوه وقال : اذهب يا لكع حيث شئت وقال : والله لأمنعنك القوت قال : ان منعتني فالله يرزقني ما اعيش به . فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا : لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به مثله ، فانصرف خالد الى رسول الله ﷺ ، فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله ﷺ الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية . فكان خالد أوّل من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال : ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة . فقال خالد عند ذلك : اللهم لا ترفعه . فتوفي في مرضه ذلك . وخالد هذا أوّل من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص . قيل : وسبب اسلامه انه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها . فقص رؤياه . فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون . فكان سبباً لإسلامه وتقدم قريباً ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت

سبباً لإسلامه وانه قصها على اخيه عمر ، والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو ، وانها كانت سبباً لإسلامهما وأسلم من بني سعيد أبان بن سعيد والحكم بن سعيد الذي سماه رسول الله ﷺ عبد الله .

ومن السابقين للاسلام صهيب ـ رضي الله عنه ـ كان أبوه عاملاً لكسرى ، فأغارت الروم فسبت صهيباً وهو غلام صغير ، فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤوا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان . فلما بعث رسول الله ﷺ مر صهيب على دار رسول الله ﷺ فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر : اين تريد يا صهيب ؟ قال : أريد أن ادخل على محمد فأسمع كلامه ومايدعو اليه . قال عمار : وانا اريد ذلك فدخلا على رسول الله فأمرهما بالجلوس فجلسا : وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهّدا ، ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على امه وأبيه فسألاه أين كان ؟ فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن ، فأعجبهما فأسلما على يده . وكان إسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلاً .

ومن السابقين للاسلام حصين والد عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ وكان إسلامه بعد إسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشاً جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ ، فدخل حصين فلما رآه النبي ﷺ قال : أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة . فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ أنك تشتم آلهتنا وتذكرها . فقال : يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال : سبعة في الأرض وواحد في السماء . قال : فاذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فإذا أهلك المال ؟ قال : الذي في السماء . قال يستجيب لك وحده وتشرك معه أأرضيته في الشرك يا حصين ؟ أسلم تسلم . فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبّل رأسه ويديه ورجليه . فبكى رسول الله ﷺ وقال : بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله ﷺ لأصحابه : شيعوه الى منزله . فلما خرج من سدّة الباب اي عتبته رأته قريش فقالوا : قد صبا وتفرقوا عنه .

ولما دخل الناس في الإسلام أرسالاً أي جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله ان يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة ، وأنزل عليه : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ فشق ذلك عليهم ، وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردّوا عليه ، بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول ، وكان إذا مر عليهم في مجالسهم يقولون : هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء . واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها ، وذلك انه دخل عليهم المسجد فنهاهم وقال : أبطلتم دين أبيكم ابراهيم ؟ فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله . فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم ، وكان ذلك في سنة اربع من النبوّة ، وقيل في سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال اي عطف عليه عمه ابو طالب وقام دونه حاجزاً بينه وبينهم فاشتد الأمر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ما عدا أبا لهب منهم ، وبني المطلب بن عبد مناف اخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف بني اخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف ، فانهم كانوا من أشد الناس عليه ﷺ .

قال ابن اسحق : كان ﷺ يدعو الناس خفية بعد نزول يأيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم إذا أراد الصلاة اي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين . فبينما سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم . فضرب سعد بن ابي وقاص - رضي الله عنه - رجلاً منهم بلحى بعير فشجه فهو أوّل دم اهريق في الاسلام ، ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم ، واشتد الأمر فدخل رسول الله ﷺ هو وأصحابه مستخفين في دار الأرقم المعروفة الآن بدار الخيزران ، لأن المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران ، وهي أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد ، فوقفتها مسجداً وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من اتقى الله وقاه كل شيء فكان ﷺ وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم ويعبدون الله تعالى . واختلفوا في مدة استخفائه فقيل اربع سنين وقيل أقاموا في تلك الدار شهراً فقطوهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين

باسلام عمر وحمزة ـ رضي الله عنهما ـ

ولما نزل عليه ﷺ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف ، اشتد ذلك على النبي ﷺ وضاق به ذرعاً اي عجز عن احتماله فمكث ﷺ نحو شهر جالساً في بيته ظن عماته أنه شاك ، اي مريض ، فدخلن عليه عائدات فقال : ما اشتكيت شيئاً لكن الله امرني بقوله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فأريد أن أجمع بني عبد المطلب لأدعوهم الى الله فقلن له :ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه ابا لهب ، قيل : كني بأبي لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ما تدعو اليه . وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب ، فلما أخبرهم ﷺ بما أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ وأخذ حجراً ليرميه به . وقال : ما رأيت أحداً جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس . قيل : إن أبا لهب ظن في أول الأمر انه ﷺ يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون . فقال : هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد ، واترك الصبأة واعلم انه ليس للعرب بقولك طاقة ، وأن أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب ، فما رأيت يا ابن أخي أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به . فلما سمع مقالة النبي ﷺ قال : تباً لك ألهذا جمعتها ؟ فأنزل الله ﴿ تبت يد أبي لهب وتب ﴾ بمعنى خسرت وهلكت يداه ، والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازاً ، ولما سمع ابو لهب تبت يدا ابي لهب وتب قال : ان كان ما يقول محمد حقاً افتديت منه بمالي وولدي ، فنزل : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ ومن جملة ما كسب الولد ، الى آخر السورة . وفي رواية الصحيحين : أنه ﷺ دعا قريشاً فاجتمعوا فخص وعم فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني زهرة أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، يا صفية عمة محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً . وفي لفظ لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إلّه إلا الله ، اي لا تبقوا على الكفر اتكالاً على القرابة . فهو حث لهم على الإسلام وصالح الأعمال وترك الاتكال .

قال بعضهم : ان ذكر فاطمة ـ رضي الله عنها ـ هنا من خلط الرواة بدليل قوله إلا أن تقولوا لا إله إلا الله . وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن : لا أغني عنكن من الله شيئاً حثاً لهن على صالح الأعمال . ثم مكث ﷺ أياماً ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ وأمره بامضاء أمر الله تعالى . فجمعهم رسول الله ﷺ ثانياً وخطبهم ثم قال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو اني لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً ، ولنار أبداً يا بني عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة ، فتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب فانه قال : يا بني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه اي اقبضوه وامنعوه عن هذا الأمر بحبس او غيره قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فان التمسوه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم . فقالت له اخته صفية عمة رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنها ـ وهي أم الزبير ـ رضي الله عنه ـ أي أخي ايحسن بك خذلان ابن أخيك ؟ فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضيء اي أصل عبد المطلب نبي فهو هو قال أبو لهب : هذا والله الباطل والأماني وكلام النساء في الحجال ، فإذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم ، فوالله ما نحن عندهم إلا أكلة رأس .

فقال ابو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي ﷺ جميع قريش وهو قائم على الصفا ، وقال : أن اخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبوني ؟ قالوا : والله ما جربنا عليك كذباً . فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً إني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد . وفي رواية : ان مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوّ فانطلق يريد أهله أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف . يا صباحاه يا صباحاه أتيتم اتيتم ، انا النذير العريان اي الذي ظهر صدقه من قولهم عري الأمر إذا ظهر وقيل : الذي جرده العدوّ فأقبل عرياناً ينذر بالعدوّ فانه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى انا النذير الذي لا اتهم . وفي رواية : انه وقف على الصفا . وفي أخرى : علي أبي قبيس . وفي أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً يهتف يا صباحاه قالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد فاجتمعوا اليه . قال

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يأتي أرسل رسولاً الحديث . وفي رواية : صاح يا آل عبد مناف أني نذير . وفي أخرى : جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون . وفي رواية : خمسة واربعون وامرأتان فصنع لهم طعاماً وهي شاة مع مدّ من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة . وقال : كلواْ باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أي رووا . وفي رواية : قال ادنو عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول العقب الذي فيه اللبن فجرع منهم ثم ناولهم ، وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب في مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله ﷺ يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لقد سحركم صاحبكم سحراً عظيماً .

وفي رواية : سحركم محمد . وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله ﷺ فلما كان الغد قال : يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالأمس من الطعام والشراب . قال علي ـ رضي الله عنه ـ ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعو وشربوا حتى نهلوا فقال لهم : يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة . فقال : ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني اي يعاونني على القيام به ؟ قال علي ـ رضي الله عنه ـ أنا يا رسول الله وكان أحدثهم سناً وسكت القوم ، قال : اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام علي وقال : انا يا رسول الله فقال : اجلس . ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال : أنا يا رسول الله . قال : اجلس فأنت أخي . قال الإمام ابو العباس بن تيمية زاد في الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهي كذب باطل قالوا ، قال : فمن يجيبني الى هذا الأمر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ . وزادوا في آخر الحديث ، قال : اجلس ، فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي ، فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء ، قبل علي رضي الله عنه ـ وفي رواية :عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أمر خديجة فصنعت طعاماً ثم قال : ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلاً الحديث ، ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون على فعل ذلك عند خديجة ـ رضي الله

عنهما ـ وجاء به الى بيت ابي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخراً عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق ،وإنما فعلﷺ ذلك حرصاً على إسلام أهل بيته . فلما دعا قومه ولم يردّوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان إذا أمر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء ، وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته . وجاؤوا الى أبي طالب وقالوا : يا أبا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اي عقولنا ، ينسبنا الى قلة العقل ، وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافة فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه . ومضى رسول اللهﷺ يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة وإباء
أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعدالرجال وتضاغنوا اي أضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول اللهﷺ بينها وحض بعضهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته ، ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا اي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بأن يخذل رسول اللهﷺ فقال له : يا ابن أخي ان قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول اللهﷺ أن عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال . يا عم والله لو وضعواالشمس في يميني والقمر في يساري على أن أنزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر رسول اللهﷺ أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ، ثم قام . فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : اقبل ابن اخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول :

والله لن يصلـوا اليك بجمعهم حتـى أوسـد في التـراب دفينا
فاصـدع بأمـرك ما عليك غضاضة وابشر وقـر بذاك منـك عيونا
ودعوتنـي وزعمـت انـك ناصحي ولقـد صدقـت وكنـت ثم أمينا
وعرضـت دينـاً لا محالـة انه من خـير أديان البـرية دينا
لولا الملامـة أو حذار مسبة لوجدتنـي سمحـاً بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه ﷺ الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى ، لأن الشمس النير الأعظم واليمين أليق به والقمر النير الممحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لأن الـذي جاء به نور قال الله تعـالى : ﴿ يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ فلما أن عرفت قريش ان ابا طالب غير خاذل رسول الله ﷺ مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أي اشد وأقوى فتى في قريش واجمله ، فخذه لك ولداً بان تبناه ، وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله . فقال لهم أبو طالب : بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه . هذا والله لا يكون ابداً أرأيتم ناقة تحنّ الى غير فصيلها ؟ فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيئاً منهم .فقال له أبو طالب : والله ما أنصفوني ولكن قد أجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك . وعمارة بن الوليد هذا قد مات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار ، ومات المطعم بن عدي على كفره أيضاً . فعند عدم قبول أبي طالب اشتد الأمر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه ، من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فأجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله ﷺ ، ولكل من آمن به . وتوالى الأذى من قريش على رسول الله ﷺ وعلى من أسلم معه .

فمما وقع لرسول الله ﷺ من الأذية ما حدث به عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ قال كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال : لله علي ان رأيت محمداً ساجداً أن أطأ عنقه . فخرجت الى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلـق

الانسان من علق الى أن بلغ آخر السورة ، فسجد فقال انسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعاً فقيل له في ذلك فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى . وفي رواية : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار وسيأتي ان قوله تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ الى آخر السورة نزل في أبي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال : ذكر لنا أن أبا جهل قال يوماً لقريش : ان محمد قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم وإني أعاهد الله لأجلس له يعني النبي ﷺ غداً بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فقالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد . فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو إلى الصلاة وكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ، وقريش جلوس في انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجل منهزماً منتقعاً لونه أي متغيراً بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها . فلم يقدروا . وقامت اليه رجال من قريش وقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض علي فحل من الإبل ما رأيت مثله قط هم ان يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه وإلى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله :

وأبـو جهـل إذ رأى عنـق الفحـ ـل اليه كأنـه العنقاء

وفي رواية : ان أبا جهل قال : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار ولا مانع من وجود الأمرين معا . وذكروا في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا في اعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحـون ﴾ أي رافعـون رؤوسهـم لا يستطيعـون خفضهـا من أقمح البعير رفع رأسه : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ان الآية الأولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله ﷺ ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد . والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى اي ما وقع لأبي جهل قال : أنا ألقي هذا الحجر عليه ، فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه . فرجع إليهم فأخبرهم بذلك . وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن

الحكم ان ابنته قالت له : ما رأيت قوماً كانوا أسوأ رأياً واعجز في أمر رسول الله ﷺ منكم يا بني امية . فقال : لا تلومينا يا بنية إني لا أحدثك إلا ما رأيت . لقد أجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلاً جئناه من خلفه فسمعنا صوتاً ظننا انه ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا أي ظننا انه يتفتت ويقع علينا فما علقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله . ثم نواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت إحداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه ، وفي رواية : كان النبي ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ إلى آخر السورة . وفي رواية : انه ﷺ لما انصرف من صلاته زَبَرَه أبو جهل أي انتهزه وقال : أنك لتعلم ان ما بها أكثر نادياً مني فأنزل الله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ، سندع الزبانية ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله . وقال يوماً للنبي ﷺ لقد علمت أني امنع أهل البطحاء وانا العزيز الكريم فأنزل الله فيه : ﴿ ذق انك انت العزيز الكريم ﴾ قال الواحدي : اي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ما ذكر توبيخاً له .

ومن ذلك انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب ، جاءت امرأة ابي لهب وهي أم جميل قال بعضهم : الأولى بها ام قبيح واسمها العوزاء وقيل : أروى بنت حرب اخت ابي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف ، فيه طول تدق به الهاون الى النبي ﷺ ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فلما رآها قال : يا رسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول ، فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني . فجاءت فقالت : يا ابا بكر صاحبك هجاني . وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد فيّ الشعر ؟ قال : لا والله ما يقول الشعر أي ينشيه . وفي لفظ : لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي شاعر اي لا يحسن انشاءه فقالت له : أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول : قد علمت قريش اني بنت سيد تعني عبد مناف جد أبيها اي ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لأحد ان يتجاسر على ذمه . قال ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ قلت : يا رسول الله لم ترك ؟ قال : ولم يزل ملك يسترني بجناحيه . وفي رواية : انه ﷺ قال لأبي بكر : قل لها هل ترين عندي أحداً ؟ فسألها أبو بكر فقالت : أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحداً . وفي رواية : انها جاءت وهو ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي ﷺ أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأقبلت على ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقالت له أين صاحبك ؟ قال : وما تصنعنين به ؟ قالت : بلغني

انه هجاني ، والله وجدته لضربت بهذا الحجر فمه . فقال عمر - رضي الله عنه - ويحك انه ليس بشاعر . فقالت : اني لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدّته ، ثم أقبلت على ابي بكر - رضي الله عنه - لما تعلمه من لينه فقالت : والثواقب اي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة اي فكما هجاني لأهجونه ، وانصرفت . فقيل لرسول الله ﷺ : أنها لم ترك فقال : انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اي لأنه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ وفي رواية : أقبلت ومعها فهران وهي تقول : مذمماً أبينا ، ودينه قلينا ، وأمره عصينا ، فقلت : أين الذي هجاني وهجا زوجي ؟ والله لئن رأيته لأضربنه بهذين الفهرين . قال أبو بكر : يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك . قالت : والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك . ثم ولت ذاهبة فقلت : يا رسول الله . انها لم ترك فقال النبي ﷺ : حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات ، وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لأنه لا يقال ذلك إلا لمن ذم مرة بعد أخرى ، كما أن محمداً لا يقال إلا لمن حمد مرة بعد أخرى، وقد جاء انه ﷺ قال: ىيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وانا محمد ؟

وفي الدر المنثور للجلال السيوطي : انها أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في الملأ ، فقالت : يا محمد علام تهجوني ؟ قال : والله اني ما هجوتك ما هجاك إلا الله . قالت : أرأيتني أحمل حطباً أو رأيت في جيدي حبلاً من مسد ، وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين إنّ الحطب عبارة عن النميمة ، يقال فلان يحطب عليّ اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم . وعن عروة ابن الزبير ، مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً والله أعلم وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وأعـدّت حمالـة الحطـب الفهـ	ـر وجـاءت كأنهـا الزرقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ	ـلي من أحمـد يقـال الهجاء
وتولـت ومـا رأتـه ومـن أيـ	ـن ترى الشـمس مقلـة عمياء

وقيل : معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه ﷺ ، ولا مانع من اجتماع الأوصاف فيها . وقوله : كأنها الورقاء : يعني انها جاءت وهي

في غاية السرعة والعجلة ، كأنها في شدة السرعة والعجلة ، الحمامة الشديدة الإسراع يروى انها لما بلغتها تبت يداأبي لهب جاءت إلى أخيها ابي سفيان اي بناء على أنّ امرأة ابي لهب هي أروى بنت حرب كما تقدّم ، فدخلت في بيته وهي مضطرمة اي محترقة غضباً فقالت له : ويحك يا أحمس اي شجاع أما تغضب ان هجاني محمد ؟ فقال : سأكفيك إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعاً فقالت له : هل قتلته ؟ فقال لها يا أختي أيسرّك ان رأس أخيك في فم ثعبان ؟ قالت : لا والله فقال : كاد ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعباناً لو قرب ابو سفيان من النبي ﷺ لا لتقم ذلك الثعبان رأسه ، ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب ، قال أبو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتيب ـ رضي الله عنهما ـ رأسك من رأسي حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية ـ رضي الله عنها ـ فانه كان تزوّجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوها عتيبة بالتصغير متزوّجاً ابنته ﷺ أم كلثوم ولم يدخل بها أيضاً وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع في صدر الإسلام ، ثم حرمه تعالى بقوله : ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وبقوله تعالى في صلح الحديبية : ﴿ فلا ترجعوهنّ الى الكفار ﴾ الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام : لآتين محمداً فلأوذينه في ربه ، فأتاه فقال : يا محمد هو كافر بالنجم ، وفي رواية : برب النجم إذا هوى وبالذي دنى فتدلى ، ثم بصق في وجه النبي ﷺ وردّ عليه ابنته اي طلقها . فقال النبي ﷺ :اللهم سلط . وفي رواية : ابعث عليه كلباً من كلابك ، وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها أبو طالب وقال : ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك .

ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم : ان هذه الأرض مسبعة . فقال ابو لهب لأصحابه : إنكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا : أجل يا أبا لهب فقال :اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة ، فإني أخاف على ابني دعوة محمد ، فأجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ، ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ، ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوها بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم ، حتى ضرب عتيبة فقتله . وفي رواية : فضخ رأسه . وفي رواية : ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه . وفي رواية : فضغمه ضغمة كانت إياها فقال وهو بآخر رمق : ألم اقل لكم ان محمداً أصدق الناس لهجة ، ومات

فقال ابوه : قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمدﷺ والأسد يسمى كلباً في اللغة .

ومما وقع للنبيﷺ من الأذية ما حدث به عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع رسول اللهﷺ في المسجد وهو يصلي وقد نحر بعض الناس جزوراً ، وبقي فرثه اي روثه وكرشه فقال ابو جهل : الا رجل يقوم الى هذا القدر يلقيه على محمد ؟ وفي رواية : ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ وفي رواية : أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه إذا سجد ؟ فقام شخص من المشركين . وفي لفظ : أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط ، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبيﷺ وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك . قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فهبنا اي خفنا أن نلقيه عنه . وفي لفظ : وأنا قائم ، انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول اللهﷺ حتى جاءت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمرﷺ ساجداً حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ، ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقامﷺ فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك اي عقابك الشديد على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، اللهم عليك بأبي الحكم ابن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف .

وفي رواية : فلما قضى صلاتهﷺ قال : اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم . وفي رواية : فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان إذا دعى دعا ثلاثاً ، قال : اللهم عليك بقريش ،اللهم عليك بقريش ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام الحديث . قال ابن مسعود : والله لقد رأيتهم . وفي رواية : لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا الى القليب ، قليب بدر والمراد أنه رأى اكثرهم لأن عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة كافراً مسجوراً مجنوناً ، وعقبة بن أبي معيط أخذ اسيراً يوم بدر . وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم يطرح في القليب ، بل أهالوا التراب عليه في مكانه لانتفاخه وتقطعه ، ولا مانع أن يكون النبي ذكر هذا الدعاء

وأتى به وهو قائم يصلي . وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة . والمراد بسني يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز ، وهو الوبر والدم اي يخلط بالدم بأوبار الإبل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع ، وجاءه ﷺ جمع من المشركين فيهم ابو سفيان ، وقالوا : يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فأطبقت السماء عليهم سبعاً فشكى الناس كثرة المطر ، فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة ، وجاء انهم قالوا : ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي لا نعود لما كنا فيه ، فلما كشف عنهم عادوا . وقال بعضهم : ان هذا إنما كان بعد الهجرة ، لأنه ﷺ مكث شهراً إذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من العشاء . قال البيهقي : قد روي في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين . وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر. وفي رواية ، في البخاري أيضاً : لما أبطئوا على النبي ﷺ بالاسلام قال : اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شيء . وفي رواية : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ فأتى أبو سفيان رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت ، فدعا لهم ﷺ فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم ، فأنزل الله : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ يعني يوم بدر .

ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس : عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ، فمر رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه ووسطته اي جعلته وسطاً فكان

بيني وبين أبي بكر فأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا ، فلما حاذاهم قال ابو جهل : والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى ان نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله ﷺ : أنا على ذلك ، مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى إذا كان الشوط الرابع قاموا له ﷺ ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه ، فدفعت في صدره فوقع على استه ، ودفع ابو بكر أمية ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال : أما والله لا تنتبهون حتى يحل عليكم عقابه ، أي ينزل عليكم عاجلاً .

قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذته الرعدة ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم . ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيّه . أن هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلاً . ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أي بأيدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يوم بدر بالنظر الى غالبهم ،فلا ينافي كون عثمان ـ رضي الله عنه ـ تأخر بالمدينة لأجل مرض رقية بنت رسول الله ﷺ ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لأنه في حاجة الله ورسوله ﷺ ؛ ولا ينافي أيضاً كون عقبة بن ابي معيط حمل أسيراً من بدر وقتل بعرق الظبية صبراً اي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر . وجاء أيضاً أن عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة ﷺ حتى كادت عيناه تبرزان . وفي رواية : دخل عقبة بن ابي معيط الحجر فوجده ﷺ يصلي فوضع ثوبه على عنقه ﷺ وخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وفي البخاري ، عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ، قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكبه رسول الله ﷺ ، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله . وفي رواية ، قال : ما رأيت قريشاً أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله ﷺ ، ولقد حضرتهم يوماً وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما صبرنا لأمر قط كصبرنا لأمر هذا الرجل ، ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم

الركن ثم مرّ طائفاً بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول .

فعرفنا ذلك في وجهه ، ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها . فعرفنا ذلك في وجهه . ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك ، وما بقي رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون : يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولاً ، فانصرف رسول الله ﷺ . فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم ؟ فقال : نعم أنا الذي أقول ذلك . فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه ﷺ فقام أبو بكر - رضي الله عنه - وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم وانصرفوا ، فذلك أشدّ ما رأيتهم نالوا من رسول الله ﷺ . وفي رواية : قالوا ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا ؟ قال : بلى ، فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبي بكر - رضي الله عنه - فقيل له : أدرك صاحبك فخرج أبو بكر - رضي الله عنه - حتى دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال : ويلكم أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فكفوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر - رضي الله عنه - يضربونه . وقالت بنته أسماء - رضي الله عنها - فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا أجابه ، وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال والإكرام . وجاء انهم مرة اجتمعوا عليه ﷺ وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده إني بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه .

وعن فاطمة - رضي الله عنها - بنت النبي ﷺ قالت : اجتمع مشركو قريش في الحجر يوماً فقالوا : إذا مرّ محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله ، فسمعتهم فدخلت على أبي وأنا أبكي فقلت له : تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات وأساف ونائلة إذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك ، فقال : يا بنية اسكتي . وفي لفظ : لا تبكي . ثم خرج بعد أن توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال : شاهت الوجوه

فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر .

وكان بجواره ﷺ جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وأمية والد مروان وعقبة بن ابي معيط فكانوا يطرحون عليه الأذى في داره ، فإذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه . ولم يسلم منهم إلا الحكم وكان في إسلامه شيء . ونفاه النبي ﷺ الى الطائف وأشار صاحب الهمزية إلى أن هذه الأذايا ليست منقصة له ﷺ ، بل هي مما تزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه ، لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى ، وقد قال ﷺ : أشد الناس بلاء الأنبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله :

لا تخل جانب النبي مضاماً حين مسته منهم الأسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدّة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النار لما اختبر للنضار الصلاء

ومما وقع لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من الأذية ما ذكره بعضهم كما في السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سراً أي كما تقدم ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً الحَّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في الظهور أي الخروج الى المسجد ، فقال له النبي ﷺ : يا أبا بكر إنا قليل ، فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً ووطىء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالأرجل وضرب ضرباً شديداً وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ بنعلين مخصوفتين اي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه ، فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة .

ثم رجعوا الى أبي بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تميم يكلمونه فلا يجب ، حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال : ما فعل رسول الله ﷺ فعذلوه فصار يكرّر ذلك ، فقالت أمه : والله ما لي علم بصاحبك . فقال : اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب اخت عمر ـ رضي الله عنه ـ أي فانها كانت أسلمت وهي تخفي اسلامها فاسأليها عنه ، فخرجت اليها

وقالت لها : إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت : لا أعرف محمداً ولا أبا بكر . ثم قالت لها : تريدين أن أخرج معك : قالت : نعم . فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فوجدته صريعاً فصاحت وقالت : ان قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وإني لأرجو ان ينتقم الله منهم ، فقال لها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت له : هذه أمك تسمع . قال : فلا عين عليك منها انها لا تفشي سرك . قالت : سالم . قال : أين هو؟ قالت في دار الأرقم . فقال : والله لا أذوق طعامـاً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . قالت أمه : فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكىء علي ، حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكبَّ عليه يقبله المسلمون كذلك ؟ فقال : بأبي انت وأمي يا رسول الله ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها الى الإسلام فأسلمت .

وذكر الزمخشري في كتاب خصائص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم وأخبر قريشاً بإسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد ، ومما وقع لعبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من الأذية أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا يوماً فقالوا : والله ما سمعت قريش القرآن جهراً من رسول الله ﷺ ، فمن منكم يسمعهم القرآن جهراً ؟ فقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنا . فقالوا : نخشى عليك منهم انما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم ، فقال : دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش في أنديتهم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً صوتـه : الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا : ما بال ابن أم عبد ؟ فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ ، ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها حتـى قرأ غالـب السورة ، ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له اصحابه : هذا الذي خشينا عليك منه . فقال : والله ما رأيت اعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثله غداً . قالوا : لا قد أسمعتهم ما يكرهون .

ومما وقع له ﷺ من الأذية انه كان إذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار ، لأنهم تواصوا بذلك وقالـوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتـى خفية واستـرق السمع خوفاً منهم ، ومما وقع له ﷺ من الأذية ما كان سبباً لإسلام عمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ وهو ما حدّث به ابن اسحق قال : حدثني رجل من أسلم أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ

عند الصفا وقيل عند الحجون فأذاه وشمته ونال منه ما يكرهه وقيل : انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثاً ووطىء برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله ﷺ وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادي قريش أي محل تحدثهم في المسجد ، فجلس معهم فلم يلبس حمزة أن أقبل متوشحاً بسيفه راجعاً من قنصه أي من صيده ، وكان من عادته إذا رجع من قنصه لا يدخل إلى أهله إلا بعد أن يطوف بالبيت ، فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له : يا أبا عمارة وهي كنية لحمزة ـ رضي الله عنه ـ ويكنى أيضاً بأبي يعلى ، ولو رأيت ما لقي ابن أخيك محمداً آنفاً من أبي الحكم بن هشام تعني أبا جهل ، وجده ههنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . وقيل : التي أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له : أنه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثاً ووطىء برجله على عاتقه . فقال لها حمزة : أنت رأيت هذا الذي تقولين ؟ قالت نعم .

وفي رواية : لما رجع حمزة من صيده إذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهم : لو علمت ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليها فقال : ما ذاك ؟ قالت : أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ، ولا مانع من تعدد الأخبار من المرأتين والمولاتين ، فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد علي ذلك ان استطعت . وفي لفظ أن حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول : سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا : فقال حمزة من أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فقامت رجال من بني مخزوم عشيرة ابي جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة : ما نراك إلا قد صبأت . فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه انه رسول الله والذي يقول حق والله لا أفزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال لهم أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله قد أسمعت ابن أخيه شيئاً . وبقي حمزة على إسلامه بعد ان وسوس له الشيطان ، فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقي في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت مخرجاً . فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح الصباح فغدا الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري

أرشد هو أم غي شديدة . فأقبل عليه رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك لصادق فأظهر يا أخي دينك فوالله ما أحب ان لي ما أظلته السماء وأنا على ديني الأوّل . وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ـ يعني حمزة ـ كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ يعني أبا جهل . وسر رسول الله ﷺ بإسلام حمزة سروراً كثيراً لأنه كان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة أي اعظمهم في عزة النفس وشهامتها . ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله ﷺ قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على بعض أصحابه بالأذية سيما المستضعفين منهم الذي لا جوار لهم أي لا ناصر لهم ، فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك . حتى ان الواحد منهم لا يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذي به . وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان إذا سمع بان رجلاً أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجراً قال : والله لتكسدن تجارتك أو يهلك مالك . وان كان ضعيفاً أغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك الحرث بن ربيعة بن الأسود ، وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ، ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم ، وكان إسلام حمزة ـ رضي الله عنه ـ في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة ، وقال حمزة ـ رضي الله عنه ـ بعد أن أسلم :

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربّ عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف

آلــه النــاس شرّ جزاء قوم ولا أسقاهــم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة ـ رضي الله عنه ـ ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بني عبد الدار وابو البحتري والأسود ابن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، فأتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله ﷺ وأن يأمرهم بإزالة شكواهم وان يجيبهم الى أمر فيه الألفة والصلاح ، فأحضره وقال : يا ابن أخي هذا الملأ من قومك شكواهم أي ازل شكواهم وتألفهم فقالوا : يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح إلا وقد جلبته فيما بيننا وبينك ، فان كنت إنما جئت بهذا تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الأمر الذي يأتيك رئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب أي العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر . فقال لهم عليه الصلاة والسلام : ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . وفي رواية : اجتمع نفر من قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة . وفي رواية : ان عتبة قال يوماً وكان جالساً في نادي قريش والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده :

يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا . قالوا : بلى . فقام حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . وفي رواية : لقد فضحتنا في العرب حتى طار فيهم ان في قريش ساحراً وان في قريش كاهناً ما تريد إلا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى ،

فاسمع أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل بعضها . فقالﷺ : قل يا أبا الوليد ، اسمع . قال : يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا أي فيصير لك الأمر والنهي ، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجنّ يقرئك لا تستطيع ردّه عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول اللهﷺ يسمع منه ، قال له : أقد فرغت أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني قال : أفعل قالﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ، ثم قال : قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم ، بل ذهب الى داره فظنوا إسلامه فذهبوا اليه .

وفي رواية : رجع اليهم فقال لهم أبو جهل : أرى أبا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا : ما وراءك ؟ فقال : قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاماً ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة ، وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم . وفي رواية : فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . فقالوا : سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وفي رواية : لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمداً أبداً . وفي رواية : ان عتبة لما قام من عند النبيﷺ أبعد عنهم ولم يعد اليهم ، فقال ابو جهل : والله يا معشر قريش ما أرى عتبة إلا قد صبأ الى محمد وأعجبه كلامه ، فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت الى محمد واعجبك امره . فقص عليهم القصة وقال : والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له : ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال ؟ فقال : والله ما هو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا : والله سحرك يا أبا الوليد ؟ فقال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤوه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الأشياء ، وأرسلوا له مرّة عتبة بن ربيعة وحده .

وفي رواية لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن القوم لما عرضوا عليه الأشياء السابقة قالوا له أيضاً : فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا ، فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كالشام والعراق ، ويبعث لنا من مضى من آبائنا ، ويكون فيهم قصي ، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل ، وسله يبعث معك ملكاً يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة ، يغنيك بها عن المشي في الأسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفاً ـ كما زعمت ـ ان ربك ان شاء فعل ذلك فإنا لن نؤمن لك إلا أن يفعل ذلك. فقام رسول الله ﷺ عنهم وقالوا له مرة أيضاً : ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك . وقالوا له مرة أيضاً ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال : وما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة فنشترك نحن وانت في الأمر فان كان الذي نعبده خيراً مما تعبده أنت كنت أخذت منه بحظك وإن كان الذي تعبده أنت خير مما كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم : حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى : ﴿ قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ﴾ وعن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ ان المشركين قالوا له : اعبد معنا آلهتنا يوماً نعبد معك إلهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهراً نعبد معك إلهك سنة . فنزلت اي : لا اعبد ما تعبدون يوماً ولا أنتم عابدون ما اعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهراً ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة .

روي ذلك التقدير عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ رداً على بعض الزنادقة حيث قالوا طعناً في القرآن : لو قال امرؤ القيس : قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل . . . وكرر ذلك مرتين أو أكثر في نسق أما كان عيباً فكيف وقع في القرآن : قل يأيها الكافرون الخ السورة ، وهي مثل ذلك . وقوله : لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال . وبقوله تعالى : ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ . ولما قالوا للنبي ﷺ : ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد أنزل الله رداً عليهم : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ﴾ الآيات . وأنزل الله أيضاً : ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ الآية . وجلس رسول الله ﷺ يوماً مجلساً

فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة . فقال لهم النبي ﷺ : أليس حسناً ما جئت به ؟ فقالوا : بلى ، والله . وفي لفظ : هل ترون بما أقول بأساً ؟ فقالوا : لا . فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وكان رجلاً أعمى ، وهو ممن أسلم بمكة والنبي ﷺ مشتغل بأولئك القوم ، وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في إسلامهم فصار يقول : يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه ﷺ ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه . وفي رواية : أشار الى قائد ابن أم مكتوم ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم ، فعبس ﷺ وأعرض عنه مقبلاً على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ الآيات فكان بعد ذلك إذا جاءه يقول : مرحباً بمن عاتبني لله فيه ويبسط له رداءه . وكان كفار قريش يقترحون على النبي ﷺ آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتاً وعناداً . وكان النبي ﷺ شديد الرغبة في إسلامهم رجاء أن يسلم الناس بإسلامهم . فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه ففي إعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال تعالى : ﴿ ولو أننا نزَّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ .

وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرّة في خلقه ان اقوام الأنبياء إذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا بعذاب الاستئصال . وكان في علم الله ان هذه الأمة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفاً لها بنبيها ﷺ ، فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ﴾ أي فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لأخذوا كما أخذ الأولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره . وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر ، وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له ﷺ سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن بعث لنا قصي بن كلاب ، فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟ وفي رواية : فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك الينا رسولا كما تقول ، فقال لهم ﷺ : ما بهذا بعثت لكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به .

وقالوا له مرة : سل ربك يبعث معك ملكاً يصدقك فيما تقول ويراجعنا . وفي لفظ : قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بأن الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك ؟ وقال آخر منهم : يا محمد لن نؤمن حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك نبتغي ، فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش ، كما نلتمسه فلا بد أن يميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً . وفي لفظ : قالوا إن محمداً يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الأسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوّة، ولما قالوا لهﷺ : سل ربك أن يبعث معك ملكاً ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة . قال لهمﷺ : ما انا بالذي يسأل ربه هذا . يروى أن كثيراً من هذه الأشياء خاطبوه بها في آخر المجلس الذي كان مقبلاً عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذي كان منهم في أول المجلس بالغلظة فأيسﷺ حينئذ منهم وقام حزيناً أسفاً على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها .

وممن آذاهﷺ عبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وكان ابن عمتهﷺ وهو أخو أم سلمة زوج النبيﷺ وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وكان من أشد الناس عليه ، وهذا كله قبل إسلامه ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ عام الفتح واستشهد في غزوة الطائف . قال للنبيﷺ قبل أن يسلم : يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك اموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبداً حتى نتخذ الى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك اي كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك . فانزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات . وفيها الإشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيهم جميع ما سألوا وانهم إن كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالأمم السابقة ، وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون ، فاختار الثاني لأنهﷺ يعلم من كثير منهم العباد وأنهم لا يؤمنون وإن حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لأن الله تعالى يقول : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ .

وقد حكى الله تعالى في كتابه العزيز كثيراً من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت

قلوبهم . قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وقالوا مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ . فأجاب الله عن ذلك بقوله : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ ولما استعظموا ان يكون الرسول بشراً وقالوا : الله اعظم ان يكون رسوله بشراً منا أنزل الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴾ وأنزل الله تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم ﴾ ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بأنهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الأمر عليهم ، ولو بقي على صورته لقضي الأمر عليهم بأخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ، ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا : ان ذلك سحر أو قالوا : إنما سكِّرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلّم به الموتى ـ أي فانهم ـ لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى في الرد عليهم حين صاروا يسألون كتاباً فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشَّرة ﴾ وقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ وقال تعالى في الرد عليهم في قولهم : ﴿ أو يلقى اليه كنز ﴾ الآية .

﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ . ولما أنكروا عليه التزوّج بالنساء وطلب الذريّة كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّة ﴾ والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها . وكلما أتوا بشبهة يوهمون انها حجة ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله : ﴿ كذلك لنثبت به

فؤادك ورتلناه ترتيلاً ـ اي نزلناه كذلك أي مفرّقاً بحسب الوقائع ـ لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ ومما قالوه له : أسقط علينا السماء كسفاً أي قطعاً كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وإن يروا كِسَفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وقالوا مرة : بلغنا أن الذي يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل : عنوا كاهناً كان لليهود باليمامة . وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى : ﴿ قل هو ـ أي الرحمن ـ ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب ﴾ وقال تعالى رداً لسؤالهم رؤية ربهم : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً ﴾ .

وعن محمد بن كعب القرظي أن الملأ من قريش أقسموا للنبي ﷺ عز وجل أنهم يؤمنون إذا صار الصفا ذهباً . فقام يدعو الله أن يعطيهم ما سألوا فأتاه جبريل فقال له : ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوماً بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها إلا أمرت بعذابهم . وفي رواية : أتاه جبريل فقال له : يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول : ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهباً فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وان شئت أن لا يصير لهم الصفا ذهباً فتحت لهم باب التوبة والرحمة . وفي رواية : وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال : بل حتى يتوب تائبهم وإنما وافق ﷺ على فتح باب التوبة والرحمة لأنه ﷺ علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لأنهم خفيت عليهم حكمة إرسال الرسل ، وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون إيمانهم عن نظر واستدلال ، فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه ، إذ مع كشف الغطاء يحمل العلم الضروري فلا يحتاج إلى إرسال الرسل ويفوت الإيمان بالغيب وأيضاً لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات إلا تعنتاً واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك إذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها ، وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الأخبار بالمغيبات وأخبار الأمم السالفة ، كما قال تعالى : ﴿ أو لم تأتهم ببينة ما في الصحف الأولى أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الأنعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية : ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ وقال في آخرها : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن

يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ وهم يعلمون ان الذي جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك إلا بعد أن بلغ أربعين سنة . قال تعالى رداً عليهم : ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ .

وقال تعالى في قصة مريم : ﴿ وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ وقال تعالى في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام : ﴿ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ وقال في شأن آدم عليه السلام : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ان يوحى إليّ ألا إنما أنا نذير مبين ﴾ ثم بين قصة الملأ الأعلى بقوله : ﴿ إذ قال ربك للملائكة ﴾ الخ وقال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الأنبياء والأمم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الأمر كما أخبر ﷺ ولم يجدوا عليه خللاً في كلمة قط . قال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ وهذا لم يجدوا فيه اختلافاً قليلاً ولا كثيراً فهذه كلها آيات. وكان ابو جهل لعنه الله يقول : تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ والحاصل أنها تحيرت عقولهم فيما جاء به ﷺ فمن طبع الله على قلبه منهم قال : انه سحر وكهانة وأساطير الأوّلين ومنهم من قال : إنما يعلمه بشر يعنون عبد البني الحضرمي نصرانياً . كان النبي ﷺ يجالسه رجاء هدايته . وكان لسانه أعجمياً فردّ الله عليهم بقوله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله :

عجباً للكفار زادوا ضلالاً	بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب	منزل قد أتاهم وارتقاء

أو لم يكفهم من الله ذكر ... فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الإنس آية منه والجـ ... ـن فهلا تأتي به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه ... معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والأفـ ... ـواه الحليّ والحلواء
رق لفظاً وراق معنى فجاءت ... في حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فصل ... رقة من زلالة وصفاء
إنما تجتلي الوجوه إذا ما ... جليت عن مرآتها الأصداء
سور منه أشبهت صوراً مـ ... ـنا ومثل النظار النظراء
والأقاويل عندهم كالتماثيـ ... ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم ... عن حروف أبان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى أعجـ ... ـب الزراع منها سنابك وزكاء
فأطالوا فيه التردّد والريـ ... ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء
وإذا البينات لم تغن شيئاً ... فالتماس الهدى بهنّ عناء
وإذا ضلت العقول على علـ ... ـم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوماً : أينزل القرآن على محمد وأترك أنا ، وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك ابو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ، ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف . فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل ـ أي هلا نزل ـ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ فرد الله عليهم بقوله : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ .

وفي رواية قال بعضهم : كان الأحق بالرسالة الوليد بن المغير من أهل مكة أو عروة ابن مسعود الثقفي، من أهل الطائف ثم أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول أي التوراة وعندهم علم ليس ، عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا اخبار اليهود وقالا لهم : أتيناكم لأمر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الله . وفي لفظ : رسول الرحمن قالوا : صفوا لنا صفاته .

فوصفوا فقالوا : من تبعه منكم قالوا سفلتنـا . فضحك حبر منهم وقال : هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشدّ الناس له عداوة .ثم قالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهنّ على ما هي عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فنقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول يعنون بذلك أهل الكهف ، فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الـروح ما هي ؟ فإذا أخبـركم بحقيقـة الأولـين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤوا الى النبي ﷺ وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام : أخبركم غداً ولم يستثن أي لم يقل إن شاء الله تعالى وانصرفوا . فمكث ﷺ خمسة عشر يوماً وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحي ، وتكلم قريش في ذلك فقالوا : إن محمداً قلاه ربه وتركه ، ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبي لهب قالت له : ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك أي تركك وأبغضك.وفي رواية : قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه ﷺ ذلك منهم .

ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف ، وخبر الرجل الطوّاف وهو ذو القرنـين ، وجـاءه بالجـواب عن الـروح المذكورة في سورة الإسراء وهو أن الروح من أمر الله قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ـ أي من علمه ـ لا يعلمه الا هو ﴾ وكان في كتب أهل الكتاب أن الروح من أمر الله اي ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه . وقد جاء أنه ﷺ لما هاجر الى المدينه سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي ﷺ في سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى : ﴿ لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴾ وأنزل الله سورة الضحى ردّاً لقولهم قلاه ربه وأبغضه . فكبر ﷺ فرحاً بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير في بقية السور بعدها الى آخر القرآن . ولما أجابهم ﷺ عما سألوا ، ازدادوا بغياً وكفراً ونسبوه في ذلك الى السحر والكهانة . ومن الآيات التي ظهرت منه ﷺ وهي من أعلام نبوته ﷺ قصة الزبيدي . قال الحلبي في السيرة : بينا النبـي ﷺ جالس في المسجـد هو ومـن معـه من الصحابة إذا رجل من زبيد يطوف على خلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول : يا معشر قريش كيف تدخل عليكم الميرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل أي ينزل بساحتكم تاجر ،

وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم وما زال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه فقال له رسول الله ﷺ : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها . ثم لم يسمها لأجله سائم قال : فأكسد عليّ سلعتي فظلمني فقال رسول الله ﷺ : وأين أجمالك ؟ قال : هذه هي بالحزورة . فقام ﷺ فنظر إلى أجماله فرأى جمالاً حساناً فساوم ﷺ ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه ، وأخذها رسول الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيراً باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه ، وكل ذلك أبو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم ، هيبة من رسول الله ﷺ . ثم قال ﷺ لأبي جهل : إياك يا عمرو أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره ، فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد .

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له : ذللت في يد محمد ؟ فاما أن تكون تريد أن تتبعه ، وأما رعب دخلك منه . فقال لهم : لا أتبعه أبداً إن الذي رأيتم مني لما رأيته ، رأيت معه رجلاً عن يمينه ورجلاً عن شماله معهم رماح يشرعونها إلي لو خالفته لأتوا على نفسي ونظير ذلك أن أبا جهل كان وصياً على يتيم فأكل ماله وطرده ، فاستعان اليتيم بالنبي ﷺ على أبي جهل بعد أن بعثه كفار قريش الى النبي ﷺ وقالوا له استهزاء : ما يخلصك من أبي الحكم إلا هذا يعنون النبي ﷺ . فمشى معه ﷺ وردّ اليه ماله ، فقيل لأبي جهل في ذلك ، فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان أعطيه لطعنني ، ونظير ذلك بل أعجب منه قصة الاراشي وحاصلها أن أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الإراشي بكر الهمزة نسبة الى إراشة بطن من خثعم أجمالاً فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله ﷺ ، لزعمهم أنه لا قدرة له علىّ أبي جهل ، وكان ذلك بعد أن وقف على ناديهم وقال : يا معشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ فقالوا له : أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله اذهب اليه فهو يعينك عليه .

فجاء الى رسول الله ﷺ فذكر له حاله مع أبي جهل فقال مخاطباً للنبي ﷺ : يا عبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب وابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه فأشاروا اليك ، فخذ لي حقي منه يرحمك الله . فقام النبي ﷺ مع الرجل الى أبي جهل وضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال :

محمد . فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال : أعط هذا حقه فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل وأخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه ، قال : ثم أن الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه إلى النبي ﷺ استهزاءً فقال : جزاه الله خيراً يعني النبي ﷺ ، فقد والله أخذ لي بحقي ، وقد كانوا أرسلوا رجلاً ممن كان معهم خلف النبي ﷺ وقالوا : انظر ماذا يصنع ؟ فلما رجع الرجل قالوا له : ماذا رأيت ؟ فقال رأيت عجباً من أعجب العجب ، والله ما هو إلا ان ضرب عليه بابه ، فخرج اليه فزعاً مرعوباً وكأنه ليس معه روحه فقال : اعط هذا حقه . فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل ، فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه فعند ذلك قالوا لأبي جهل : ما رأينا مثل ما صنعت . فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلاً من الإبل ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لأكلني ، والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله :

واقتضاه النبي دين الإراشـ ـي وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن ما على مثله يعد الخطاء

وقوله : هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدوّ الله أن يلقي الحجر على النبي ﷺ وهو ساجد ، فيبس الحجر في يده ، ورجع القهقرى وهو منتقع اللون كما تقدم ، وأخبر بانه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضواً عضواً ، وابو جهل كان من أكبر أعداء النبي ﷺ ، وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وما تقدم بعض من استهزائه ، ومن استهزائه أيضاً أنه سار في بعض الأوقات خلف النبي ﷺ يخلج بأنفه وفمه يسخر به ، فاطلع عليه ﷺ فقال : كن كذلك فكان كذلك إلى أن مات . قال ابن عبد البر : كان المستهزئون الذين قال الله فيهم إنا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . قال البغوي : وكان رأسهم العاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، قيل أنه أسلم وهاجر الى الحبشة ، وقيل بقي على كفره حتى هلك والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله ﷺ والأسود بن المطلب ابن عبد العزى ، ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وإن كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من

الآية اعني إنا كفيناك المستهزئين لأنه انما هلك كافراً يوم بدر . وفي رواية : أنهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية . وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة .

ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به ﷺ أنه كان يلقي القذر على بابه ﷺ، وقد قال ﷺ كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا ليأتياني بالفروث فيطرحانها على بابي ، ومن استهزائه أيضاً أنه بصق في وجه النبي ﷺ فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً . قال الحلبي في السيرة : كان النبي ﷺ يكثر مجالسة عقبة بن ابي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاماً ودعا الناس من أشراف قريش ، ودعا النبي ﷺ ، فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله ﷺ أن يأكل وقال : ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إلّه إلا الله . فقال عقبة : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فأكل ﷺ من طعامه وانصرف الناس ، وكان عقبة صديقاً لأبي بن خلف فأخبر الناس أبياً بمقالة عقبة فأتى اليه وقال : يا عقبة صبوت ؟ فقال : والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم ، فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه ، فقال له عقبة : لك ذلك . ثم إن عقبة لقي النبي ففعل به ذلك . قال الضحاك : لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله ﷺ بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار ، فاحترق مكانها ، وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت . وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصاً في وجهه انه صار كالبرص ، وأنزل الله في حقه : ﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ قيل المراد من قوله يعضّ أنه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ، ثم يأكل الأخرى فتنبت الأولى وهكذا . ومن استهزاء الحكم بن أبي العاص انه كان ﷺ يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبي ﷺ ، فالتفت اليه النبي ﷺ فقال له : كن كذلك ، فكان كذلك ، كما تقدم . نظير ذلك لأبي جهل واستمرّ الحكم بن أبي العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة .

وكان في إسلامه شيء وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي ﷺ وأصحابه اليهم ،

فنفاه ﷺ الى الطائف ، واطلع على رسول الله ﷺ من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة ، فخرج اليه رسول الله ﷺ بالعنزة وقيل بمدرى في يده ، والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس . وقال من عذيري من الوزعة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد . وبعد ان نفاه ﷺ الى الطائف بقي الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فردّه الى المدينة وكان قد تشفع عنده ﷺ فوعده بارجاعه .

ولما مرض ﷺ مرضه الذي توفي فيه طلب عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأخبره بأشياء تقع له وقال له : انهم يقمصونك قميصاً ويريدون منك خلعه فاحذر أن تخلعه حتى تلقاني على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التي تصيبه وأمره بالصبر قيل : انه في ذلك المجلس استأذن من النبي ﷺ في إرجاع عمه الحكم الى المدينة إذا صار الأمر اليه ، فأذن له فلما كانت خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ سأل عثمان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أن يرجعه وأخبره بأن النبي ﷺ وعده بذلك ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ . ثم سأل عمر ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ ولما أدخله عثمان ـ رضي الله عنه ـ نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال : أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله ﷺ فوعدني بردّه ، وكان في رجوعه تأسيس للبلوى التي وقعت لعثمان ـ رضي الله عنه ـ فان منشأها إنما كان من مروان بن الحكم ، فسبحان الحكيم في افعاله الذي لا يسئل عما يفعل . ولذا قال بعضهم كما في بعض شراح الشفاء :

فليت عثمان لم يحكم بعودته رضي بما حكم الصدّيق في الحكم

قال الشهاب الخفاجي بعد ان صح أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ استأذن النبي ﷺ فلا وجه في التشنيع عليه بذلك والطعن في خلافته كما زعم الشيعة ، مع ان عثمان ـ رضي الله عنه ـ علم انه تاب وخلصت طويته وكان ردّه له باجتهاد منه ـ رضي الله عنه ـ في ذلك والأمور الاجتهادية لا اعتراض بها . وعن هند بن خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ مرّ بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبي ﷺ فرآه فقال : اللهم اجعل به وزغاً ، فرجف وارتعش مكانه . والوزغ الارتعاش . وفي رواية : فما قام حتى ارتعش . وعن الواقدي : استأذن الحكم بن ابي العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال : ائذنوا له لعنه الله ، ومن يخرج من صلبه إلا المؤمنين منهم ، وقليل ما هم ذوو مكر وخديعة

يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق . وكان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى به الى النبي ﷺ فأتى بمروان لما ولد فقال : هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي إن ثبت أن النبي ﷺ رآه لأنه يحتمل أنه أتى اليه ﷺ فلم يأذن بادخاله عليه ، بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ . وفي كلام بعضهم : أنه ولد بالطائف بعد ان نفي أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبي ﷺ فهو ليس بصحابي .

ومن ثم قال البخاري : مروان بن الحكم لم ير النبي ﷺ . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ انها قالت لمروان : نزل في أبيك ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم﴾ . وقالت له : سمعت رسول الله ﷺ يقول في أبيك وجدك أي الذي هو أبو العاص ابن أمية : انهم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ولي مروان الخلافة تسعة أشهر . ولما امتنع عبد الرحمن بن ابي بكر ـ رضي الله عنهما ـ من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان : أنت الذي أنزل الله فيك : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن اخرج ﴾ فبلغ ذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت : كذب والله ما هو به . ثم قالت له : أما أنت يا مروان فأشهد ان رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه تشير الى ما روي أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم . وعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ : ويل لأمتي مما في صلب هذا . وعن عمران بن جابر الجعفي ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل لبني أمية ثلاث ، مرّات وقد ولي منهم الخلافة أربعة عشر رجلاً أوّلهم معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ وآخرهم مروان بن محمد ، وكانت مدّة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهي ألف شهر والأحاديث الواردة في ذمهم يجب ان يخرج منها عثمان ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ لفضيلة صحبة النبي ﷺ مع ما ورد فيهما من الفضائل . وأيضاً لم يصدر منهما شيء من الظلم وإنما صدر ممن بعدهما .

ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء : وأخبر ﷺ بولاية معاوية ـ رضي الله عنه ـ وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لأن الملك هو السلطنة مع التغلب ، والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الأمارة ونيابة الخلافة ، وأوصى ﷺ معاوية ـ رضي الله عنه ـ إذا تملك بالعدل والرفق . قال له : إذا ملكت فاسجح . قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله ﷺ . وروى البيهقي عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال : ما حملني على الخلافة

إلا قوله ﷺ : يا معاوية إذا ملكت فأحسن . وروي انه ـ رضي الله عنه ـ تبع بالاداوة رسول الله ﷺ . فقال : يا معاوية ان وليت أمراً فاتق الله واعدل فكان ـ رضي الله عنه ـ على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال ابو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ ان معاوية سمع كلمة من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها . وأما ذم بني أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة ، منها ما رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أوثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً ومال الله دولاً وهو ما يتداول اي يأخذه واحد بعد واحد ، والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه ، فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين .

وقال ﷺ : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شرّ لأمتي من فرعون لقومه . قال الاوزاعي : كانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك . ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الجبار ، الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الأمة . وكان ماجناً سفيهاً مدمناً للخمر ، وأخبر ﷺ بأنه رأى في المنام بني أمية على منبره الشريف فأساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لأن ملك بني أمية كان ألف شهر ، فأعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب . قال في السيرة الحلبية نقلاً عن ابن الجوزي : كان لعبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها . وذلك أنّ خبيباً حدّث عن النبي ﷺ أنه قال : إذ بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً . وفي رواية : إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً أي عبيداً ومال الله دولاً ودين الله دغلاً . وفي رواية : بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ان يضرب خبيباً مائة سوط . ففعل ثم برّد ماء في جرّة وصبه عليه في يوم شات وحبسه . فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل ، فلما مات وسمع بموته سقط الى الأرض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة . فكان عمر بن عبد العزيز إذا قيل له أبشر قال : كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي ؟

وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال : كنت عند معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ ومعه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال : اقضِ حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة ، فاني ابو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة ، فلما أدبر مروان قال معاوية بن عباس ـ رضي الله

عنهم ـ أشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله ﷺ قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً وكتاب الله دغلاً ؟ فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة . فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نعم . ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية ـ رضي الله عنه ـ فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ أنشدك الله يا ابن عباس ، أما تعلم ان رسول الله ﷺ ذكر هذا ؟ فقال : ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ اللهم نعم . وقد ولي الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي ﷺ ذكره قبل وجوده فهو من أعلام نبوته ﷺ .

ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ فعمرو ابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول : غرّ محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الايام والأحداث . ومن استهزائه أن خباب بن الأرتّ ـ رضي الله عنه ـ كان قيناً بمكة اي حدّاداً يعمل السيوف ، وقد كان باع للعاص سيوفاً فجاءه يتقاضى ثمنها . فقال : يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب او خدام أو ولد ؟ قال خباب : بلى . قال : فانظرني الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك ، والله لا تكون أنت وصاحبك أبرّ عند الله ولا أعظم حظاً في ذلك . وفي لفظ : أن العاص قال : لا اعطيك حتى تكفر بمحمد . فقال : والله لا أكفر بمحمد حتى يمتك إلهه ثم يبعثك . قال : فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتي مالاً وولداً فأقضيك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ .

ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ ، انه كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة : قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا متقشفين ثيابهم رثّة وعيشهم خشن . وكان يقول للنبي ﷺ : ما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟ وما أشبه هذا القول .

ومن استهزاء الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وبأصحابه ، ويصفرون إذا رأوهم .

ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل ، وكان من عظماء قريش ، وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة ، كان يطعم الناس أيام منى حيساً وينهي أن توقد نار لأجل طعام غير ناره ، وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة ، وكانت الأعراب تثني عليه . وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفاً ثم أنه أصابته الحوائج والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها . ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدّم في قريش فصاحة . وكان يقال له : ريحانة قريش . ويقال له : الوحيد أي في الشرف والسؤدد والجاه والرياسة ، وإياه عنى سبحانه بقوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ الآيات في سورة المدثر . قال بعضهم : بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد إنه رمى النبي ﷺ بالسحر مع اعترافه بانه بريء من السحر ، لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال : انه أقرب القول فيه تنفيراً للناس عنه . وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرومونه به .

فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم : يا معشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً . قالوا: فأنت أقم لنا رأياً نقوله فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع قالوا : نقول : كاهن قال : والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا : فنقول : مجنون قال : والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته . قالوا شاعر . قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه . قالوا : ساحر . قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده . قالوا : فما تقول أنت ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً ألا أعرف انه باطل ، وان أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذوره اياه ، وذكروا لهم أمره

فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها ، بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من إسلام الأنصار وأمر الهجرة مما كان ، وقدم عليه ﷺ عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له : سلام عليكم وفيهم نزل : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ الآيات .

قال العلامة الزرقاني : فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذماً بليغاً في قوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتدٍ أثيم ﴾ الآيات . وفي قوله تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، أن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر ﴾ .

ومن استهزاء أبي لهب به ﷺ انه كان يطرح القذر على باب رسول الله ﷺ . وفي يوم من الأيام رآه أخوه حمزة ـ رضي الله عنه ـ قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابىء أحمق ، ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يطوف على الناس في أوّل أمره في منازلهم يقول : ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأبو لهب وراءه يتبعه إذا مشى يقول : يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم . قال العلامة الزرقاني : فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لأن العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به . ولذا قال ﷺ : ما أوذي أحد ما أوذيت لأنه ﷺ أصيب من قومه بأكبر البلاء ، آذوه أشدّ الإيذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون ، وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز . ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ﷺ ويجعل الدم على بابه وسلى الجزور على ظهره كما تقدم . فلما بالغوا في الإيذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي ﷺ وهو يطوف البيت وقال له : أمرت ان أكفيكهم فلما مرّ الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي ﷺ : كيف تجد هذا ؟ فقال : بئس عبد الله فأومأ إلى ساق الوليد وقال : قد كفيته ، فمرّ بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم ، فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لأخذه تكبراً وتعاظماً فأصاب عرقاً في عقبه فمرض فمات كافراً ، ثم مرّ العاص بن وائل السهمي فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال : كفيته فخرج يتنزه فنزل شعباً فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله

حتى صارت كالرحى . وفي رواية : كعنق البعير ، فمات . ثم مرّ الحرث بن قيس السهمي فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قا : عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال : قد كفيته وقيل : اشار الى أنفه فامتخط قيحاً فمات . وقيل أكل حوتاً مملوحاً فما زال يشرب عليه حتى أنقد بطنه . ثم مر الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال : كفيته . وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره . وقيل أشار جبريل الى بطنه بإصبعه فاستسقى بطنه فمات ، وقيل : خرج في رأسه قروح فمات .

وقال الزرقاني : ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة ، وقيل : خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشياً فأتى أهله فلم يعرفوه ، فأغلقوا دونه الباب ، فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشاً ، ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له . ثم مرّ الأسود بن مطلب فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قال : عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال : قد كفيته . قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رماه بورقة خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وهو يقول : قتلني رب محمد . وفي رواية : انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه ، فقال له غلامه : لا أحد يصنع بك شيئاً وقيل : ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه ، وصار يقول : من هذا طعن بالشوك في عيني ؟ فيقال له ما نرى شيئاً . وقيل : أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول : دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له . وزاد بعضهم ، وهلك ابو لهب بالعدسة يعني الجدري وهي ميتة شنيعة وعقبة بن ابي معيط قتل صبراً بعد انصرافه ﷺ من بدر . والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ أشار صاحب الهمزية بقوله :

وكفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبياً من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء ... والردى من جنوده الأدواء

فدهى الأسود بن مطلب أي عمي ميت به الاحياء .

ودهى الأسود بن عبد يغوث ... أن سقاه كأس الردى استسقاء

وأصـــاب الـــوليد خدشة سهم قصرت عنهــا الحية الرقطاء
وقضـــت شوكة على مهجــة العا ص فللّـــه النقعــة الشوكاء
وعلى الخـــرث القيوح وقد سال بهـــا رأســه وســاء الوعاء
خمســة طهــرت بقطعهـــم الأر ض فكف الأذى بهـــم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة ، فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ كما ذكر وإن كان المستهزئون غير منحصرين فيهم فلا ينافي ان منبهاً ونبيهاً ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله ﷺ وكانا يلقيانه فيقولان له : أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ ان ههنا من هو أسنّ منك وأيسر ، فان كنت صادقاً فأتنا بملك يشهد لك ويكون معك . وإذا ذكر لهما رسول الله ﷺ قالا : معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي أيضاً عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم . وفي السيرة الحلبية نقلاً عن سيرة ابن المحدث : من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشرة حسنات بعدة من استهزأ بمحمد وأصحابه .

ومن استهزاء أبي جهل أيضاً بالنبي ﷺ انه قال يوماً لقريش : يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يقذفونكم في النار يحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم ؟ وفي رواية : ان رجلاً من قريش وكان شديداً قوي البأس ، بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح . قال له : انا اكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين وقيل : ان هذا الرجل دعا النبي ﷺ الى المصارعة ، وقال : يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن . وفي رواية : ان أبا جهل قال لهم : أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ الخ ما ذكره فيهم أي لا ينبغي ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد ؟ لأن ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها ، وقد أبدى بعض المفسرين حكماً لذلك تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة . وفي رواية : ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لأحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم ، وأخرج العتبي في عيون الأخبار عن طاوس : ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار ، وما

من أحد في النار إلا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعاً من اصابعه على السماء لأذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ .

وعن كعب قال : يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك اي والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها : قال بعضهم : ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل انه قال يوماً لقريش : يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار مع ان النار تأكل كل الشجر ، إنما الزقوم التمر والزبد : فأنزل الله تعالى : ﴿ انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ . اي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه لها من الاحتراق بها ؟ وقد قال ابن سلام : انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر ، وثمر تلك الشجرة مر له ذفرة . وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان رسول الله ﷺ قال : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ؟ ومن استهزاء أبي جهل قوله : يا محمد لتتركنّ سب آلهتنا أو لنسبنّ إلهَك الذي تعبد ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم ﴾ فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل . وفي الدر المنثور للجلال السيوطي : في تفسير إنا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مرّ النبي ﷺ بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون : هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في أجسادهم فصارت جروحاً وأنتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا . قال الحلبي : فلينظر الجمع اي بين هذا وما تقدم . ثم قال وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لأنهم المستهزؤون ذلك الوقت اي فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم .

ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فإني والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه يعني النبي ﷺ . ثم يحدثهم عن

ملوك فارس لأنه كان يعلم أحاديثهم ويقول : ما حديث محمد إلا أساطير الأوّلين . ويقال انه قال : سأنزل مثل ما أنزل الله لأنه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الأعاجم . ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول : هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم . ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ والمشهور انها في شراء المغنيات ولأبعد أن تكون الآية نزلت فيهما معاً لتحققه فيهما وقوله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليه آيتنا ولّى مستكبراً ﴾ يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله ﷺ نبأ الأوّلين قال النضر ابن الحرث : لو شئنا لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأوّلين وأنزل الله تكذيباً له : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ أي معيناً له . وجاء أن جماعة من بني مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة ، تواصوا على قتله ﷺ فبينما النبي ﷺ قائم يصلي إذ سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله ، فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه ، فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من أمامهم ، ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وقيل في نزولها غير ذلك . ولا مانع من أن تكون نزلت للكل .

وجاء أن النضر بن الحرث رأى النبي ﷺ منفرداً أسفل من ثنية الحجون فقال : لا أجده أبداً أحلى منه الساعة فأغتاله ، فدنا الى رسول الله ﷺ ليغتاله فرأى أسوداً تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها ، فرجع على عقبه مرعوباً ، فلقي أبا جهل فقال : من أين ؟ فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل : هذ بعض سحره ومما تعنتوا به أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ اي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ ﴿ وكذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم ، فقال ابن الزبعرى : أنا أخصم لكم محمداً ، فدعوه له فقال : يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله ؟ فقال : بل لكل من عبد من دون الله . فقال ابن الزبعرى : خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم أن عيسى عبد من دون الله وكذا عزيز والملائكة ؟ عبدت النصارى عيسى ، واليهود عزيراً ، وبنو مليح الملائكة ؟ فضج الكفار وفرحوا . فقال

النبي ﷺ لابن الزبعرى : ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى : ﴿ وما تعبدون ﴾ وأنزل الله ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعَدون ﴾ كعيسى وعزير والملائكة وهذا الحديث إن صح كان نصاً من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر ، قيل انهم سألوه آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بأنهم سألوا آية غير معينة أولاً ثم عينوها بانشقاق القمر .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ اجتمع المشركون على رسول الله ﷺ فقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على ابي قبيس ونصفاً على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله ﷺ : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا اشهدوا . وفي رواية : فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية : انه عاد بعد بعد غروبه . وفي رواية : فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعاً بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش : سحركم محمد فقال رجل منهم : ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها أي جميع أهل الأرض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك ، فعند ذلك قالوا : هذا سحر مستمر أي مطرد ، وهذا الكلام صريح في أن رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لا أنها مختصة بأهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وستأتي ان شاء الله هذه القصة بأبسط مما هنا عند ذكر المعجزات في آخر الكتاب .

ومن الآيات التي ظهرت على يديه ﷺ في أوّل البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الصحابي المكي أسلم ـ رضي الله عنه ـ عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ، وكان شديد البأس قوياً جسيماً معروفاً بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولا يمس جنبه الأرض مغلوباً قط ، وقد صح انه ﷺ صارعه فصرعه وكان ركانة قبل إسلامه يرعى غنماً له بوادي وهو من أفتك الناس وأشدّهم ، فخرج ﷺ يوماً من بيته وتوجه لذلك الوادي

فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له : انت الذي تشتم آلهتنا وتدعو إلهك العزيز ؟ ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع إلهك أن ينجيك مني اليوم وانا أدعوك لأمر وهو أن تصارعني وتدعو إلهك وأدعو اللات والعزى ، فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها . فصارعه ﷺ فغلبه فقال : لم تصرعني وانما غلبني إلهك وخذلني اللات والعزى ، وما وضع جنبي على الأرض أحد قبلك ، ولكن عد فإن صرعتني فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له : كما قال أولاً ثم عاد ثالثة فصرعه فقال : دونكما ثلاثين من غنمي تختارها . فقال له النبي ﷺ : لا أريد ذلك ولكن أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم من النار . فقال لا إلا أن تريني آية فقال له : إن أريتك آية تسلم ؟ قال :نعم . وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها : أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه ﷺ ويدي ركانة فقال : أريتني أمراً عظيماً فمرها فلترجع ؟ فقال : أن أمرتها فرجعت تسلم ؟ قال : نعم . فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر . فقال له : أسلم ، فقال أكره أن يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها بأني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له : لا حاجة لي بها وانطلق ﷺ وسلم فلقيه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال للنبي ﷺ تخرج الى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي ﷺ وأخبر أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ بالقصة فتعجب ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وتقدم أنه لم يسلم ركانة إلا عام الفتح ـ رضي الله عنه ـ .

بابٌ في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين

قال في المواهب وشرحها : ما زال النبي ﷺ مستخفياً هو والمسلمون في دار الأرقم حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوّة وهي المدّة التي أخفى رسول الله ﷺ فيها أمره ، الى أن أمره الله بإظهاره فبادأ قومه بالإسلام وكرّر ذلك وأكده وبالغ في إظهار الحجة ، حتى كأنه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها ، كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، بل قال الزهري : كانوا غير منكرين لما يقول ، وكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يقولون : هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء ، واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوماً فوجدهم يسجدون للأصنام فنهاهم وقال : أبطلتم دين ابيكم ابراهيم ؟ فقالوا : إنما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى . فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فأجمعوا على مخالفته وعداوته إلا من عصم الله بالإسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدّم. واشتدّ الأمر بين القوم وضرب بعضهم بعضاً وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت أي تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم . وكان ذلك بإغراء من أبي جهل لعنه الله ، كان إذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه . وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهنّ حلمك ولتقلبن رأيك ولتضعنّ شرفك . وإن كان تاجراً : فلنكسدن تجارتك ولتهلكنّ مالك . وان كان ضعيفاً ضربه .

فممن عذب في الله لأجل أن يفتتن في دينه فثبت عمار ابن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ

كان يعذب بالنار وكانﷺ يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكشف عن ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه لهﷺ بان النار تكون عليه برداً وسلاماً . وعن ام هانىء بنت ابي طالب ـ رضي الله عنها ـ قالت : ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية ام عمار ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبيﷺ فقال : صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر . وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية أم عمار لأبي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيباً شديداً رجاء أن تفتن في دينها فلم تجبه لما يسأل ، ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها : ما آمنت بمحمد إلا انك عشقتيه لجماله قيل : انها أول شهيدة في الإسلام ـ رضي الله عنها ـ .

وعن بعضهم : كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه ويجعل لعمار درعاً من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ وجاء أن عمار ـ رضي الله عنه ـ قال للنبيﷺ لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال النبيﷺ : صبراً أبا اليقظان . ثم قالﷺ : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وكانت أمه سمية سابعة سبعة في الإسلام ، وقتلت وهي عجوز كبيرة . ورؤي مرة في ظهر عمار ـ رضي الله عنه ـ أثر كالمخيط فسئل عنه فقال : هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة ، وجاء أنهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهراً فقيل للنبيﷺ قد كفر عمار : فقال : كلا والله إن الإيمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي أنه كان يعذب حتى لا يدري ما يقول . ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ وقتل بصفين ووردت في فضائله أحاديث كثيرة ـ رضي الله عنه ـ .

وممن كان يعذب في الله خباب بن الأرتّ ـ رضي الله عنه ـ ففي البخاري عن خباب ابن الأرتّ ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيت النبيﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدّة شديدة فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد محمراً وجهه فقال : إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ، ما دون عظمه من لحم وعصب

ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه . وعن خباب بن الأرت أيضاً ـ رضي الله عنه ـ ويحكي عن نفسه قال : لقد رأيتني يوماً وقد أوقد لي نار ووضعوها على ظهري فما أطفأها إلا ودك ظهري أي دهنه . وكان خباب ـ رضي الله عنه ـ قيناً أي حدّاداً وكان قد سبي من أهله في الجاهلية ، فاشترته امرأة تسمى أم انمار . فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديد وقد أحمتها في النار فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال اللهم انصر خباباً فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب ، فقيل لها : اكتوي فكانت تأمر خباباً فيأخذ الحديد فيكوي به رأسها ، وكان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه واعتقه وهم كثيرون ، منهم : بلال ـ رضي الله عنه ـ وكان مولى لأمية بن خلف الجمحي ، واشترى حمامة ام بلال ـ رضي الله عنها ـ وعامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ وأبا فكيهة ـ رضي الله عنه ـ وجارية بني المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وامة بني زهرة .

فمما كان يعذب به بلال ـ رضي الله عنه ـ ما رواه ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي الرمل إذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى ، فيأبى ذلك . وقيل : ان بلالاً ـ رضي الله عنه ـ كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي ﷺ أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف إسلامهم فأخرجوا إلا بلالاً ـ رضي الله عنه ـ فانه كان يرعى غنمه ويكتم إسلامه ، فجاء يوماً الى الأصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول : خاب وخسر من عبدك ، فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له ، اصبوت ؟ قال : ومثلي يقال له هذا ؟ فقالوا له : ان اسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الإبل ينحرونها للأصنام ومكنهم من تعذيب بلال ـ رضي الله عنه ـ ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لأمية بن خلف ، فكان يتولى تعذيبه فلا ينافي ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول : أحد أحد ، فقال ورقة : نعم أحد أحد والله يا بلال ، ثم إن ورقة بن نوفل قال لأمية : والله لئن قتلتمموه لأتخذته حناناً أي لاتخذت قبره منسكاً ومترحماً .

يروى أن بلالاً ـ رضي الله عنه ـ حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة

وهانت نفسه عليه في الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم ، وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ، وهذا كما وقع له أيضاً عند موته . كانت امرأته تقول : واكرباه وهو يقول : واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه ، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله درّ أبي محمد الشقراطي حيث قال في قصيدته المشهورة :

لاقى بلال بلاء من أمية قد أحله الصبر فيها أكرم النزل
إذا أجهدوه بضنك الأسر وهو على شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد عالوا عليه صخور أجمة الثقل
فوحد الله إخلاصاً وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل
أن قد ظهر ولي الله من دبر قَدْ قُدّ قلب عدوّ الله من قبل

يعني ان كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزي عدوّ الله أمية بقد قلبه يوم بدر ، لأنه قتل يومئذ كافراً وكان قد وصل السيف إلى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما في الجاهلية . فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته : يا أنصار رسول الله ﷺ هذا رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا . قال عبد الرحمن ـ رضي الله عنه ـ فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه علياً لأشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه . ثم تبعونا وكان أمية رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا قلت له : أبرك فبرك فألقيت نفسي عليه لأمنعه فنهسوه بأسيافهم حتى قتلوه أي ضربوه بأسيافهم ، فشبه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم الاسنان ، فعلم أن النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه وكان قتله على يديه تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ وإنّ جندنا لهم الغالبون ألا إن حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين ﴾ قيل : ان أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ هنأ بلالاً بأبيات منها قوله :

هنيئاً زادك الرحمن خيراً اقد أدركت ثأرك يا بلال

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال ابو قحافة والد أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أراك تعتق رقاباً ضعافا فلو انك اعتقت رجالاً جلداً يمنعونك

ويقومون دونك . فقال : يا أبت انما أريد ما عند الله تعالى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ الى آخر السورة . قال في السيرة الحلبية : مر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ قال : أنت أفسدته فأنقذه بما ترى . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به ؟ قال : قبلت هو لك فأعطاه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ غلامه ذلك وأخذ بلالاً فأعتقه . وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب : بلغني أن امية بن خلف قال لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في بلال حين قال : أتبيعنيه ؟ قال : نعم أبيعه بقسطاس يعني عبداً لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركاً يأبى الإسلام فاشترى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بلالاً به. ويروى انه لما ساوم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أمية بن خلف في بلال قال امية لأصحابه : لألعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها أحد باحد ثم تضاحك وقال : اعطني عبدك قسطاس . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت ذلك فتضاحك . وقال : لا والله حتى تعطيني معه امرأته. قال: ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت فتضاحك . وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته . قال : ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم قال : قد فعلت . قال : لا والله حتى تزيدني مائتي دينار . فقال ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ أنت رجل لا تستحي من الكذب قال : واللات والعزى لئن أعطيتني لأفعلن . قال هي لك فأخذها وأخذ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بلالاً فأعتقه . وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل برطل من ذهب . وقيل غير ذلك : يروى ان سيده قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد شرائه أنه لو أبيت إلا بأوقية لبعناكه أي لو قلت لا أشتريه إلا بأوقية لأخذته . فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لو طلبت مائة أوقية لأخذتها به .

ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالاً إلا ليد كانت له عنده فكافأه بها ، أنزل الله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلى آخر السورة . فقوله : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾ فهو أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقوله : ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ﴾ فهو أمية بن خلف وقوله : ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾ هو أمية وقوله : ﴿ سيجنبها الأتقى ﴾ هو أبو بكر . وفي قوله الأتقى تصريح بانه أتقى البرية إذ التقدير الأتقى من كل احد لأنّ الحذف يفيد العموم . والمراد من كل أحد غير الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولما بلغ النبي ﷺ ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ اشترى بلالاً قال له :

الشرك يا أبا بكر . فقال : قد أعتقته يا رسول الله اي لأنّ بلالاً ـ رضي الله عنه ـ قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين اشتراه : ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني ، وإن كنت إنما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى ، فأعتقه . ويروى ان النبيﷺ لقي أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : لو كان عندي مال اشتريت بلالاً فانطلق العباس ـ رضي الله عنه ـ فاشتراه فبعث به إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أي ملكه له بثمنه فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الأقوال ، ويمكن ان يقال ان العباس ـ رضي الله عنه ـ رغب أمية في بيع بلال فلما ظهر له الرضا ببيعه أرسل الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لعلمه برغبة أبي بكر في شرائه وعقته . فأطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى اعلم .

وقد اشترى ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال ـ رضي الله عنها ـ ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول ، وكان لرجل من بني تيم من قرابة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومنهم أبو فكيهة ، وكان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمر به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد أخذه صفوان بن أمية وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيداً إلى الرمضاء ، فوضع على بطنه صخرة فاخرج لسانه وأبيّ بن خلف عم صفوان يقول : زده عذاباً حتى يأتي محمداً فيخلصه بسحره ، فاشتراه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقه .

وممن كان يعذب فاشتراه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ ام عنيس ، وكانت أمة لبني زهرة كان الأسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها ، فاشتراها ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها لطيفة ، قيل كانت بنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قبل ان يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم اشتراها ، وأعتقها وكذا اشترى لبينة جارية الموئل بن حبيب وأعتقها ، واشترى أيضاً الزنيرة ـ على وزن سكينة ـ وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى إلا الإسلام ، وكان أبو جهل لعنه الله يقول : ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه ، افتسبقنا زنيرة إلى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضاً : لو كان خيراً ما سبقتنا زنيرة اي ومن كان مثلها . فأنزل الله في شأنها : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا أي مشيرين اليهم ـ لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾

ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها . فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى.وجاءها ابو جهل لعنه الله وقال لها : انما فعل بك ما ترين اللات والعزى ، وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم : والله هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما . ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يردّ عليّ بصري ، فردّ الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة . فقالت قريش : هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فأعتقها وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم في الشمس لتؤثر حرارتها فيهم .

وأما النبي ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب وبما كان يظهره الله لأعدائه من الآيات وخوارق العادات ، كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أبا جهل ، وأما أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمنعه الله بقومه من توالي الأذى وشدته وكان يناله بعد الأذى ، وسيأتي انه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس ، وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة الى الحبشة ، روى ابن إسحق أن سبب الهجرة الى الحبشة أنه ﷺ لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم ، فكانت أوّل هجرة في الإسلام وذلك في رجب سنة خمس من النبوة ، فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ، ومنهم من هاجر بأهله . فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ ورضي عنهما وأبو سلمة بن عبد الأسد هاجر ومع زوجته أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغماً كل منهما لأبيه فارين بدينهما ، فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة .

وممن هاجر بأهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية ، وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية ـ رضي الله عنهما ـ ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لأنها مولاة أبيها وهو النبي ﷺ ، وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو والعامريان وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ وخرجوا مشاة

متسللين سراً ثم استأجروا سفينة بنصف دينار ،وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً وكان أول من خرج عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ مع امرأته رقية ـ رضي الله عنها ـ فقالﷺ : ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط ـ عليه السلام ـ ثم أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما ، فقدمت امرأة فقالت : قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقالﷺ : صحبهما الله وكانت رقية ـ رضي الله عنها ـ ذات جمال بارع وكذا عثمان ـ رضي الله عنه ـ ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن :

أحسن شيء قد يرى إنسان رقية وبعلها عثمان

ويروى أنهﷺ أرسل رجلاً الى عثمان ورقية ـ رضي الله عنهما ـ في حاجة ، وقيل بطعام ليحمله إليهما ، فأبطأ عليه الرسول ، فلما جاء قال لهﷺ : ان شئت أخبرتك ما حبسك قال : نعم . قال : وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال : نعم . والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب . ويذكر أن نفراً من الحبشة كانوا ينظرون ـ رقية ـ رضي الله عنها ـ فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعاً.وقد جاء في وصف عثمان ـ رضي الله عنه ـ قولهﷺ قال لي جبريل ـ عليه السلام ـ إن أردت أن تنظر في أهل الأرض شبيه يوسف ـ عليه السلام ـ فانظر الى عثمان ـ رضي الله عنه ـ وجاء فضله ـ رضي الله عنه ـ أن لكل نبي رفيقاً في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولما وصلوا الحبشة اكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين ، وقالوا : جاورنا بها خير جار على ديننا وعبَدْنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد ، وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي . فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية في

أشراف قريش فقال : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم ينكروا شيئاً من ذلك . وأجازوا جواره وقالوا : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا ولا يستعلن به ، فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يعبد ربه في داره ولا يستعلن به مدة ، ثم ابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقصف عليه اي يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ، ويعجبون من قراءته وبكائه ، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ رجلاً بكاءً إذا قرأ لا يملك عينيه . فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره وهو قد بنى له مسجداً وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه ، فان احب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى إلا أن يعلن فسله أن يردّ عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك أي نغدرك . فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد عليّ ذمتي وجواري ، فاني لا أحب ان تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لابن الدغنة : فإني أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أي حمايته .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها ، كموافقة ابن الدغنة في وصف الصديق ـ رضي الله عنه ـ لخديجة ـ رضي الله عنها ـ فيما وصفت به النبي ﷺ عند ابتداء نزول الوحي عليه كما تقدم ، وذلك يدل على عظيم فضل الصديق ـ رضي الله عنه ـ واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال . وجاء في بعض الأحاديث : كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان فسبقته الى النبوّة فتبعني ولو سبقني يعني لو جاءته النبوة لتبعته .

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ خلقوا من طينة واحدة . ثم في شهر شوّال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم ، وسبب شيوع هذا الخبر أن النبي ﷺ قرأ بمحضر من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد في آخرها ، فلما سجد سجد معه المشركون إلا رجلاً واحداً وهو أمية بن خلف أخذ كفاً من تراب ووضع جبهته عليه استكباراً من أن يسجد : وقال : يكفيني هذا . والصحيح في سبب سجودهم أنهم توهموا

أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وقيل : ان الشيطان ألقى في أسماعهم في خلال القراءة بعد قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ﴾ تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترجى ، وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق ألخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون . وقالوا انها كذب لا أصل لها . وطعنوا في الأحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم إنما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط . والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبي ﷺ بل الشيطان ألقاها الى أسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين .

وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمينته ﴾ الآيات وقيل : ان بعض الكفار هم الذي نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي ﷺ ، فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته ﷺ ويتكلمون بالفحش خوفاً من إصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله بإغراء من الشيطان . وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ ولما تبين الأمر أنزل الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ الآيات ولا إشكال حينئذ في الآية . والله سبحانه وتعالى أعلم . ولما بلغ أرض الحبشة خبر إسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بارض الحبشة وقالوا : إن المسلمين قد أمنوا بمكة من الأذى فأقبلوا من أرض الحبشة سراعاً حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا : ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ، ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر ، فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا : قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهداً بأهلنا ثم نرجع ، فدخلوها ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فانه دخل بلا جوار ومكث قليلاً ثم أسرع الرجوع الى الحبشة . وعن عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة المخزومي ، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذي ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد ردّ على الوليد جواره وقال : اكتفى بجوار الله فبينما هو في مجلس من مجالس قريش إذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل إسلامه ـ رضي الله عنه ـ فقعد ينشدهم من شعره ، فقال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ صدقت فقال :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم ؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على ردّ جواره ، وقال له : قد كنت في ذمة منيعة . فقال عثمان : ان عيني الأخرى الى ما أصاب اختها الفقيرة . وقال الوليد عد الى جوارك . فقال : لا بل أرضى بجوار الله تعالى . وكان من جملة من رجع الى الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر إسلام قريش أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قبل أن يتزوّج بها رسول الله ﷺ وكان ابو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي ﷺ ، لأن أمه برة بنت عبد المطلب . ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله أبي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من مخزوم أي جاؤوا اليه وقالوا : يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه ؟ فقال لهم أبو طالب : انه استجار بي وانه ابن أختي وأنا إن لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخي . وقام ابو لهب مع أبي طالب على اولئك الرجال وقال لهم : يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه ؟ لتنتهنّ أو لأقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد ؟ قالوا : ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وأجازوا ذلك الجوار خوفاً من أن يكون أبو لهب مع أبي طالب في نصرة النبي ﷺ ، وذلك لأن أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبي ﷺ ومعاداته . فكان ابو لهب لقريش ولياً وناصراً ، فخافوا من خروجه من بينهم . ولما نصر أبو لهب أبا طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبي ﷺ وأنشأ ابياتا يحرضه فيها على نصرة النبي ﷺ فلم يفعل ، ثم لما تبين للمسلمين الذي رجعوا من الحبشة ان قريشاً لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة .

فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله اي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة ، وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس ، والمقداد بن الأسود وعبد الله بن مسعود وعبيدالله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانية . وبقيت أم

حبيبة ـ رضي الله عنها ـ على إسلامها وتزوّجها رسول الله ﷺ كما سيأتي . وعن أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ قالت : رأيت في المنام آتياً يقول : يا أم المؤمنين ففزعت وأوّلتها بأن رسول الله ﷺ يتزوّجني فكان كذلك . وعن ابي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وهو باليمن ، فخرج هو ونحو خمسين رجلاً في سفينة مهاجرين اليه ﷺ فألقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فأمرهم جعفر بالإقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه ﷺ عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله . وكان أصحاب النبي ﷺ مقيمين عند النجاشي على احسن مقام بخير دار عند خير جار ، فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . ولكن المحققون على ان عبد الله بن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وإنما كان معه في سفرة أخرى ، وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي . وأما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط ، وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لأبي طالب يربيه بدلاً عن النبي ﷺ ويعطيهم النبي ﷺ يقتلونه .

وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشي فرساً وجبة ديباج وأهدوا هدايا لعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو أن يردّوا من جاء اليهم من المسلمين ، فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعدوا واحد عن يمينه والآخر عن شماله ، وقيل : أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له : ان نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش ليردّهم اليهم . قال : واين هم ؟ قالوا : بأرضك . فأرسل في طلبهم . وقال له عظماء الحبشة : ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم . فقال لهم : لا والله حتى أعلم أي شيء هم . فقال عمرو : وهم لا يسجدون لك . وفي رواية : لا يخرّون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس إذا دخلوا عليك رغبة عن سننكم ودينكم فلما جاؤوا له قال لهم جعفر ـ رضي الله عنه ـ أنا خطيبكم اليوم . وفي رواية : لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ فقال جعفر ـ رضي الله عنه ـ أنا خطيبكم اليوم وإنما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله ﷺ ويكون ما يكون . وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله : فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال : جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله ، فقال النجاشي : نعم يدخل بأمان

الله وذمته ، فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك : لا تسجدوا . فقال عمرو لعمارة : ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به الملك . وفي رواية اخرى : لم يذكر فيها أن الملك قال لهم : لا تسجدوا وذكر بدله ان عمرو بن العاص قال للنجاشي : ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود ؟ فقال النجاشي : ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها ؟ فقال جعفر : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى أرسل فينا رسولاً وأمرنا أن لا نسجد إلا لله عز وجل . واخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضاً ، وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لأن الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت ، وأمرنا بالزكاة أي مطلق الصدقة لأن زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة ، وقيل المراد من الزكاة الطهارة . قال عمرو بن العاص للنجاشي : فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يقولون انه ابن الله . قال النجاشي : فما تقولون في ابن مريم وأمّه ؟ قال جعفر : نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم . فقال النجاشي : يا معشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه المبشر به عيسى في الإنجيل ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله انه قال له : كن فكان ، وفي رواية : ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان : أنشدكم بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يومُ القيامة نبياً مرسلاً صفته ما ذكر هؤلاء ؟ قالوا : اللهم نعم . قد بشر به عيسى فقال : من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي . فعند ذلك قال النجاشي : والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون انا الذي أحمل نعليه وأوضيه اي اغسل يديه . وقال للمسلمين : انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها . وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني . وفي رواية : قال لهم : اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثاً أي غرم أربعة دراهم أو ضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردّها عليهما . وفي رواية : ان النجاشي قال : ما احب ان يكون لي دير من ذهب أي جبل وان أوذي رجلاً منكم ردّوا عليهم هداياهم ، فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه . وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه . وقد بينت عائشة ـ

رضي الله عنها ـ السبب في قول النجاشي : ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي ، وهو أن والد النجاشي كان ملكاً للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيباً حازماً ، وكان لعمه اثنا عشر ولداً لا يصلح واحد منهم للملك ، فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لأبيه فمشوا لعمه في قتله ، فأبى وأخرجه وباعه ، ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها إلا النجاشي ذهبوا وجاؤوا به من عند الذي اشتراه ، وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة . وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشار له رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدّة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه ، خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده . ويدل لذلك ما سيأتي انه عند وقعة بدر ، أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فإذا هو قد لبس مسحاً وقعد على التراب والرماد فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : انا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه وتعالى ، إذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعاً . وإن الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمداً ﷺ هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الأراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة ، وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه .

وذكر السهيلي أنه كان إذا قرىء عليه القرآن يبكي حتى تخضلّ لحيته ، وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن . وعن جعفر ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطيعون من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا اليه هدية أي هيئوا له هدية ، ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرساً وجبة ديباج لأنه يجوز أن يكون بعض الأدم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك ، وبقية الأدم فرق على أتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة . وفي الرواية السابقة : لأن ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي ان يسمعنا لهم أي قبل أن يكلمنا ، وحسن له بطارقته ذلك لأنهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم : إذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم موافقة لما وضب

عليه قريش ، فقد ذكر أنهم قالوا لهما : ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم . ثم قدّما النجاشي هداياه ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاءآ الى الملك قالا له : أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا إلا السفهاء ، وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم ، فقال بطارقته : صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم ، فأسلمهم اليهما ليردّاهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي وقال : لا هاء الله اي لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم ، جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم ، فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما وإلا منعتهم عنهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قال جعفر ـ رضي الله عنه ـ ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال : من حضره ما لكم لا تسجدون للملك ؟ قلنا : لا نسجد إلا لله تعالى . فقال النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملوك ؟ قلنا : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته ، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع اي نترك ما كان يعبد من آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، وأمرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة وركعيتن بالعشي والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة أيام من كل شهر لأن صوم رمضان إنما فرض بالمدينة وامرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، أي ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعدا علينا قومنا ليردّونا الى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث فلما قهرنا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . فقال النجاشي لجعفر : هل عندك شيء مما جاء به ؟ قلت : نعم قال : فاقرأ علي فقرأت عليه صدراً من كهيعص أي لكونها فيها قصة مريم وعيسى ـ عليهما السلام ـ فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته

وبكى أساقفته . وفي رواية : هل عندك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال جعفر : نعم . قال : فاقرأه علي .

قال البغوي : فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا : زدنا يا جعفر من هذا الحديث ، فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي : هذا والله الذي جاء به موسى . وفي رواية : ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى - عليه السلام - كان مقرراً لما جاء به موسى . وفي رواية : بدل موسى عيسى ويؤيده ما في رواية انه قال : ما زاد هذا على ما في الإنجيل إلا هذا العودمشيراً لعود كان في يده أخذه من الأرض . وأنزل الله في النجاشي وأصحابه ﴿ وإذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول ﴾ الآيات في سورة المائدة . وفي رواية : أن جعفراً قال للنجاشي : سلهما أعبيد نحن أم أحرار ؟ فان كنا عبيداً أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم ،فقال عمرو بل احرار . فقال جعفر :سلهما هل أرقنا دماً بغير حق فيقتص منا ، هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه ؟ فقال عمرو : لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة : هل لكما عليهم دين ؟ قالا : لا قال : انطلقا ، فوالله لا أسلمهم اليكما أبداً ، ولو أعطيتموني ديراً من ذهب أي جبلاً من ذهب ، ثم غدا عمرو الى النجاشي أي أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له : أنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً أي يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله . وفي لفظ : ان عمراً قال للنجاشي : ايها الملك إنهم يشتمون عيسى وأمه في كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك أي أجابه بما تقدم في الرواية الأولى . هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل ، ويمكن ان يقال ان مجالسهم تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ، ومرة مع عثمان - رضي الله عنهما - .

وروى الطبراني عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما أي من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيراً دميماً وكان عمارة رجلاً جميلاً ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهي في السفينة ، فقال عمارة لعمر : مر امرأتك فلتقبلني أي تقبل معي . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ عمارة عمراً ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمار حتى أدخله السفينة ، فأضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة ، بل قال لامرأته : قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه ، فلما

أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال : انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال ، فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة وذلك وكرر تردّده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوماً فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال : ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال : لولا أنه جاري لقتلته ، ولكن سأفعل به ما هو شرٌ من القتل فدعا بساحر فنفخ في إحليله نفخة صار منها هائماً على وجهه مسلوب العقل ، حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات على تلك الحال ، ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش إلى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استأذنه في المسير اليه لعله يجده ، فأذن له عمر ـ رضي الله عنه ـ فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره ، حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش ، إذا وردت ويصدر معها إذا صدرت ، فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول : أرسلني وإلا أموت الساعة ، فلم يرسله فمات من ساعته ، وسيأتي بعد غزوة بدر إن شاء الله إنهم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضاً وعبد الله بن أبي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وأبو ربيعة هذا وهو ابو عبد الله ، وأبو ربيعة هذا وهو أبو عبد الله كان يقال له : ذو الرمحين وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لأمه ، فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر . وذكر بعضهم ان إرسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الأولى للحبشة ، والصواب ان إرسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن ابي ربيعة إنما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وإن كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين .

ذكر إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ

قد انجز الكلام من الهجرة الأولى الى الهجرة الثانية وإسلام عمر ـ

رضي الله عنه ـ إنما كان بعد الهجرة الأولى وقبل الهجرة الثانيـة ، قال ابن اسحق : أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس وقيل : أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام ، وكان إسلامه بسبب استجابة دعاء النبي ﷺ فيه فانه قال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام وهو ابو جهل ، وكان المسلمـون تسعـة وثلاثـين رجـلاً فكمـل الله به الأربعين ، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يحدث عن إسلامه قال : بلغني إسلام أختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال : وكنت من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال : أين تذهب ؟ إنك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قال : وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت فرجعت مغضباً وقد كان ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة فيكونان معه ويصيبان من طعامه ، وقد ضم الى زوج اختي رجلـين فجئـت حتـى قرعـت البـاب فقيل : من هذا ؟ فقلـت : ابـن الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي ، فدخلت عليها ، فقلت : يا عدوّة نفسها ، قد بلغني عنك انك صبأت اي خرجت عن دينك ثم ضربتها .

وفي رواية : ان عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الأرض وجلس على صدره فجاءت اخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسـال الدم ، فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت : اتضربني يا عدوّ الله على أن أوحد الله ، لقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب ، فما كنت فاعلاً فافعل . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وانا مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب ؟ اعطنيه انظره ، وكان عمر قارئاً فقالت له : لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ، ولا تتطهر ولا يمسه إلا المطهرون ، قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه .

وفي رواية : قال أعطوني هذه الصحيفة أقرأها وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقـرأ الكتب قالت أخته : لا أفعل . قال : ويحك وقع في قلبي مما قلت فأعطنيها أنظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت . قالـت : انـك رجس .

فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فخرج ليغتسل فخرج خباب إليها فقال : أتدفعين كتاب الله الى كافر ؟ قالت : نعم إني أرجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت أفكر من أي شيء اشتق أي أخذ ، ثم رجعت الى نفسي وأخذت الصحيفة فاذا فيها : ﴿ سبح الله ما في السموات والأرض ﴾ فجعلت اقرأ وأفكر حتى بلغت : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فقلت : أشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وفي رواية : فأخرجوا الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت : أسماء طيبة طاهرة : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ،الله لا إلّه إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ فعظمت في صدري وقلت : من هذا فرّت قريش ؟ فلما بلغ : ﴿ فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ تشهد .

وفي رواية : كان مع سورة طه ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾ وأن عمر انتهى الى قوله تعالى : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ ويمكن الجمع بانه وجد السور الثلاث في صحيفة او صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ : ﴿ إنني أنا الله لا إلّه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ قال: ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره ، دلوني على محمدﷺ ، فخرج القوم الذين كانوا عند أخته يعني زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الأرتّ أحد الرجلين الذين ضمهما المصطفىﷺ إلى سعيد ، وكان خباب يقرئهم القرآن ، والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني ، وحمدوا الله تعالى ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب أبشر فان رسول اللهﷺ دعا يوم الاثنين فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر أوبعمرو ، وإنا نرجو أن تكون دعوته لك ، فأبشر فلما عرفوا مني الصدق قلت : أخبروني بمكان رسول اللهﷺ قالوا : هو في أسفل الصفا فجئت الى رسول اللهﷺ في بيت في أسفل الصفا وهي دار الأرقم كانﷺ مختفياً فيها بمن معه من المسلمين ، ويقال لها اليوم دار الخيزران . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فقرعت الباب فقيل : من هذا ؟ قلت :

ابن الخطاب . قال : وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ ولم يعلموا بإسلامي ، فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب ، فقال ﷺ : افتحوا له فان يرد الله به خيراً يهده . وقال حمزة - رضي الله عنه - لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك ؟ كان قتله علينا هيناً . ففتحوا له ، قال : فدخلت وأخذ رجلان بعضدي قيل إن حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي ﷺ فقال : أرسلوه ، فأرسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة .وفي رواية : فاستقبله النبي ﷺ في صحن الدار ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي ﷺ ، فلما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال : أما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ، ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله ﷺ فعل ذلك ليثبته الله على الإسلام ، ويلقي حبه الطبيعي في قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان ، فكان كذلك حتى كان الشيطان يقرّ منه وليكون شديداً على الكفار في الدين فصار كذلك .

وفي رواية : فقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال : يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله ﷺ وبما جاء من عند الله . ثم قال ﷺ بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه : أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهد قلبه ، اللهم اهد عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب ، اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيماناً . قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فكبر النبي ﷺ وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافي هذا إتيانه بالشهادة في بيت أخته قبل خروجه الى النبي ﷺ ، لاحتمال تكرر ذلك منه . قال عمر - رضي الله عنه - وكان الرجل إذا أسلم استخفى باسلامه فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال : بلى . والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم . قلت : ففيم الخفاء يا رسول الله ؟ علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر : والذي بعثك بالحق نبياً لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان . قال عمر - رضي الله عنه - وأحببت أن يظهر إسلامي وأن يصيبني ما أصاب من أسلم من الضرر والإهانة ، فذهبت الى خالي وكان شريفاً في قريش وهو أبو جهل ، فأعلمته أني صبوت .

وفي رواية : قال عمر رضي الله عنه لما أسلمت تذكرت اي أهل مكة اشد عداوة لرسول الله ﷺ ، حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت فذكرت أبا أهل فجئته ، فدققت عليه

الباب فقال : من بالباب ؟ فقلت : عمر بن الخطاب فخرج اليّ وقال : مرحباً وأهلاً يا ابن اختي ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك . وفي لفظ : لأبشرك ببشارة قال أبو جهل : وما هي يا ابن اختي ؟ فقلت .. إني آمن بالله وبرسوله محمدﷺ وصدقت ما جاء به . فضرب الباب في وجهي وهو معنى أجاف الباب الثابت في بعض الروايات ، وقال قبحك الله وقبح ما جئت به . ثم ما زال عمر ـ رضي الله عنه ـ يراجع النبيﷺ في الخروج من دار الأرقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك ، فخرجوا في صفين في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة ـ رضي الله عنهما ـ حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها . وفي رواية : خرجوا في صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ لأن الله فرق به بين الحق والباطل .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت : اني صبوت ، فرفع صوته بأعلاه ، ألا ان ابن الخطب قد صبا . وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لما أسلم عمر قال اي قريش ، أنقل للحديث فقيل له جميل بن حبيب فغدا عليه ، وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال : اعلمت يا جميل إني قد أسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت ابي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبأ . ويقول عمر من خلفه : كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إلّه إلا الله وان محمداً رسول الله . فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى قال خالي ما هذا ؟ قالوا ابن الخطاب . فقام على الحجر وأشار بكمه إلا أني اجرت ابن اختي فانكشف الناس عني لجلالة خالي عندهم . قال بعضهم : أن أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبي جهل أخوان فأبو جهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازاً لأن عصبة الأم أخوال الابن .

وفي السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضي الله عنه حين أسلم فألقاه عمر رضي الله عنه الى الأرض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد ، إلا أخذه عمر ـ رضي الله عنه ـ بشر اسيفه وهي طرف أضلاعه ، وعند ابن اسحق أن العاص بن وائل السهمي أجار عمر منهم حينئذ ، فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما جاره .

وروى البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : بينا عمر في الدار خائفاً إذ جاء العاص بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير ، فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك انهم سيقتلوني لأني أسلمت ، قال : لا سبيل إليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال : اين تريدون ؟ قالوا : ابن الخطاب الذي قد صبأ . قال : لا سبيل إليه فكرَّ الناس وانصرفوا . ثم ردّ عمر ـ رضي الله عنه ـ الى العاص جواره قال : فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام .

وفي رواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في سبب إسلامه قال : بينا أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله ، فما نشبنا أن قيل هذا نبي . وروى ابو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر ـ رضي الله عنهم ـ أن أبا جهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمداً مائة ناقة حمراء أو سوداء أو الف أوقية من فضة . وفي رواية : أن ابا جهل بن هشام قال : يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم . وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار الا من قتل محمداً فله علي مائة ناقة حمراء أو سوداء أو الف أوقية من فضة . فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ أنا لها . قالوا : انت لها ، وتعاهد معهم على ذلك . وفي رواية : فقلت له : يا ابا الحكم الضمان صحيح؟ قال: نعم فخرجت متقلداً السيف متنبكاً كنانتي . أريد رسول الله ﷺ فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت أنظر اليه فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يا آل ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلت في نفسي : ان هذا الأمر ما يراد به إلا أنا . ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول :

يا أيها الناس ذوو الاجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسند الحكم الى الأصنام ... اصبحتم كراتع الأنعام
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظرين من تهام ... وقد بدا للناظر الشآمي
محمد ذو البرّ والإكرام ... أكرمه الرحمن من إمام

قد جاء بعد الشرك بالإسلام يأمر بالصلاة والصيام
والبرّ والصلات للأرحام ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقاً إلى الإسلام بلا فتور وبلا إحجام

قال عمر : فقلت : والله ما أراد الا أرادني ثم مررت بالضمار فإذا هاتف من جوفه يقول :

أودى الضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب وقبل بعث محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضمار ومثله ليت الضمار ومثله لم يعبد
أبشر أبا حفص بدين صادق يهدى إليك وبالكتاب المرشد
واصبر أبا حفص فانك آمر يأتيك عز غير عز بني عدي
لا تعجلنّ فأنت ناصر دينه حقاً يقيناً باللسان وباليد

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فوالله لقد علمت أنه أرادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام ، وكان يخفي إسلامه فرقاً من قومه ، فقال : اين تذهب ؟ قلت : أريد هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش فأقتله . فقال نعيم : يا عمر اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض ؟ وبالغ في منعه ، ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشيء آخر فقال له : ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ وذكر له إسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم ، وذكر القصة بطولها وقيل : أن الذي لقيه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وكان قد أسلم قبل عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً . قال : انت أصغر وأحقر من ذلك . تريد أن تقتل محمداً وتدعك بنو عبد مناف تمشي على الأرض ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت ، فأبدأ بك فأقتلك . فقال سعد : أشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشدّ كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا . قال سعد لعمر : مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعد بن زيد وبأختك ؟ فقال : صبا ؟ قال : نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ فتركه عمر ، وسار الى أخته الى آخر القصة . ولا مانع أنه لقي كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ما ذكر .

وفي رواية : أن سبب إسلامه ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي ﷺ فقال : لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، وقلت : ان دنوت منه أستمع لأردّ عنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت وداخلني الإسلام ، فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في أثناء طريقه فرآني فظنّ أني إنما تبعته لأؤذيه فنهمني اي زجرني بشدة . ثم قال : ما جاء بكم في هذه الساعة ؟ قلت : جئت لأؤمن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله . ثم قال : هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات . ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم إنما يطلق حقيقة على زجر الأسد ففيه من شجاعته ﷺ ما لا يخفى .

وفي رواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقّة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت : هو شاعر كما قالت قريش . فقرأ : ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾ فقلت : كاهن علم ما في نفسي فقرأ : ﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾ الى آخر السورة ، فوقع الإسلام مني كل موقع .

وذهب مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبي ﷺ فوجداه في بيته قائماً يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته ﷺ وكان يقرأ في سورة الحاقّة فلما وصل الى قوله تعالى : ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ دخلهما رعب شديد فقال احدهما للآخر : الوحا الوحا أي الرواح بسرعة خوفاً من نزول العذاب ، والحاصل أن الأسباب المقتضية لإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ تكررت وكثرت وكان السبب في ذلك أن يمكن الله الإسلام في قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه ﷺ وكان الأمر كذلك .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ قال جبريل للنبي ﷺ : لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر لأن الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين ، وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان إسلام عمراً عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ رواه ابن ابي شيبة والطبراني . قال المشركون انتصف القوم .

وروي أنه لما أسلم قال : يا رسول الله لا ينبغي ان يكتم هذا الدين أظهر دينك ، فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادي لا إلّه إلا الله محمد رسول الله قال :

فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفي منه ، ثم تقدم أمامهﷺ ليطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه . رواه ابن ماجه . وقال صهيب : لما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ ولما رأت قريش عزة النبيﷺ بمن معه وباسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ وعزة أصحابه بالحبشة وفشوا الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبيﷺ وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا . وقالوا لقومه : خذوا منادية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأمرهم ، فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله معهم ومنعوه ممن أراد قتله ، وأجاب كل منهم أبا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم ، وإنما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب في المناصرة وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدة :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلاً غير آجل

وقال في قصيدة أخرى :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا اي تشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوهم أي يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول اللهﷺ للقتل اي يخلوا بينهم وبينه ، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلّت يده ، وهلك على كفره ، وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ فشلّت يده وهو بغيض كاسمه ، هلك على كفره . وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليهﷺ فشلّت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافراً . وقيل : بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي . وقد اسلم ـ رضي الله عنه ـ يوم الفتح وكان من المؤلفة . وقيل : بخط طلحة بن أبي طلحة العبدري . وقيل : بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخاً وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها في الكعبة ، هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب ، فانحاز بنو

هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم ، إلا أبا لهب ، فكان مع قريش ، فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة أمام المغازي حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادّة وكانوا لا يصل اليهم شيء إلا سراً ، ويخرجون من الموسم الى الموسم لأجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك . وفي الصحيح : انهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر . وفي كلام السهيلي : كانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام ليقتاته ، فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر قريش ، التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً مضاعفة ، حتى يرجع الرجل منهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به . فيغدو التجار على أبي لهب بما كسد في أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الأسواق والمبايعة اي عموماً .

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة الخروج الاخير ، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى . وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري اسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من أشدّ الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي . وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت قريش فمشوا اليه حين اصبح فكلموه فقال : اني غير عائد لشيء خالفتكم فيه فانصرفوا . ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملاً أو حملين فغالظته قريش اي أغلظوا له في القول وهموا بقتله ، فقال لهم ابو سفيان بن حرب : دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما أني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان احسن بنا . وكان ممن يصلهم بالطعام أيضاً حكيم بن حزام فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة زوج النبيﷺ ورضي عنها وهي معه في الشعب ، فقال أبو جهل لحكيم : تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فحضرهما أبو البحتري فقال لأبي جهل : ما لك وماله ؟ فقال له أبو جهل : يحمل الطعام لبني هاشم . فقال له أبو البحتري : طعام كان لعمته عنده أفتمنعه ان يأتيها به ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال احدهما من الآخر . فأخذ ابو البحتري لحى بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديداً ، فانكف عن ذلك . وأبو البحتري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول اصح ، وهو

ممن قتل كافراً يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً أو غافلة . فاذا نام الناس أمر أحد بنيه او اخوانه او بني عمه ان يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ، ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها . وهذا على ما جرت به العادة من الاحتراس بالأمور العادية وإلا فهو ﷺ محفوظ ومعصوم من القتل . وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهم بالشعب ثم ان الله تعالى اوحى الى النبي ﷺ ان الأرضة كانت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم ، فلم تدع سوى اسم الله فقط ، وكانوا يكتبون باسمك اللهم .

وفي رواية : لم تترك الارضة في الصحيفة اسماً لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك وقطيعة رحم ، قال الحلبي والرواية الأولى اثبت من الثانية ، وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الأرضة من بعضها ما عدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فأخبر النبي ﷺ عمه ابا طالب بذلك فقال يا ابن اخي أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم قال : والثواقب ما كذبتني قط ، فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى اتوا المسجد ، فأنكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ اليهم فقال ابوطالب : يا معشر قريش ، جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم ، فأتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح ، وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها . فأتوا بها وهم لا يشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبي ﷺ ، فوضعوها بينهم وقبل ان تفتح قالوا لأبي طالب : قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال : انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ، ان ابن أخي اخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم .

وفي رواية : أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى ، فان كان كما يقول فأفيقوا اي اقلعوا عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وان كان باطلاً دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا : رضينا ، ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ فقالوا : هذا سحر ابن أخيك ، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً . وقد جاء أنّ أبا طالب قال لهم بعد ان وجدوا الامر كما أخبر به ﷺ : علام نحصر ونحبس ، وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على

من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب .
وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحرث العامري وزهير بن أبي أمية المخزومي وأمه عائكة بنت عبد المطلب عمة النبيﷺ والمطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف وابو البحتري بن هشام وزمعة بن الاسود ، فمشى هشام ابن عمرو إلى زهير بن ابي امية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي اللهعنهما فقال : يا زهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت ؟ فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها . فقال : أنا معك . فقال : ابغنا ثالثاً ومشيا جميعاً الى المطعم بن عدي فقالا له : أرضيت ان يهلك بطناً من بني عبد مناف وانت شاهد ؟ فقال : انما أنا واحد فقالا : انا معك . فقال : ابغنا رابعاً ، فذهبوا الى أبي البحتري فقال : ابغنا خمساً فذهبوا الى زمعة ابن الأسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلاً بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب ، وقال لهم زهير : انا أبدؤكم وأكون اوّل من يتكلم ، فلما اصبحوا غدوا الى أنديتهم . وغدا زهير وعليه حله فطاف بالبيت ، ثم اقبل على الناس فقال : يا اهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال له ابو جهل : كذبت والله لا تشق . فقال زمعة بن الاسود : انت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت . فقال ابو البحتري : صدق زمعة . فقال مطعم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك . فقال ابو جهل : هذا امر قضي بليل . واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال ، فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها .

وفي رواية : قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذاهو الصحيح في ذكر القصة . ان السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انما كان بعد اخبار النبيﷺ عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم . وآخر في حكاية القصة وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوّة ، بناء على ان مكثهم كان سنتين او في السنة العاشرة ، بناء على انه كان ثلاث سنين وفي الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله :

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة إن كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امره والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الأتاء
وزهير والمطعم بن عديّ وابو البحتريّ من حيث شاؤوا
نقضوا مبرم الصحيفة ، إذ شد دت عليهم من العدا الأنداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسأ ة سليمان الأرضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخـ رج خبأ له الغيوب خباء

وتقدم انه اسلم من هؤلاء الخمسة : هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن ابي امية ، واما المطعم بن عدي فمات بمكة كافراً ، واما ابو البحتري وزمعة بن الاسودي فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسئل عما يفعل ، وتوفي ابو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع او عشر من النبوة . وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة ايام توفيت خديجة رضي الله عنها وقد اشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله :

وقضى عمه ابو طالب والد هر وفيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا م ونالت من احمد المناء

ودخل النبيﷺ على خديجة وهي في الموت فقال : تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيراً وروى الطبراني انهﷺ أطعمها من عنب الجنة ، وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنها دفنت بالحجون ونزلﷺ في حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيدهﷺ ، وكان عمرها اذ ذاك خمساً وستين سنة . وحزنﷺ عليها وعلى عمه أبي طالب حزناً شديداً . حتى سمي ذلك العام عام الحزن . وقالت له خولة بنت حكيم : يا رسول الله كأني اراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضي الله عنها فقال : اجل ام العيال وربة البيت . وقال عبيد الله بن عمير : وجد عليها حتى خشي عليه . وكانت مدة اقامته معها خمساً وعشرين سنة . ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة .

وقال في السيرة الحلبية : وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وهو شهر

رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها . فلما انقضت عدتها تزوجها ﷺ وأصدقها اربعمائة درهم ، وكانت رأت في نومها ان النبي ﷺ وطىء عنقها فأخبرت زوجها فقال : ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله ﷺ . ثم رأت في ليلة أخرى ان قمراً انقض عليها من السماء وهي مضطجعة ، فأخبرت زوجها فقال : لاالبث حتى اموت ، فمات من يومه ذلك . وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت : قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج ؟ قال : من ؟ قلت : ان شئت بكراً وإن شئت ثيباً ؟ قال : فمن البكر؟ قلت : احق خلق الله بك عائشة بنت ابي بكر ، وكان ﷺ قد رأى في المنام انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة ، فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ، ثم يقول : ان يكن هذا الأمر من عند الله يمضه ، حتى قالت له خولة ما ذكر . فعلم ان الله سيقضي امره حين انطقها بذلك ولا علم لها . ثم قال لها : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول ، قال : فاذهبي فاذكريها عليّ قالت : فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها : ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قلت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه قالت : وددت ذلك ، ادخلي على ابي فاذكري ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً باقياً على دين قومه لم يسلم . قالت : فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قلت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قلت : ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال : كفء كريم فما تقول صاحبتك ؟ قلت : تحب ذلك . قال : ادعيها الي فدعوتها قال : اي بنية ، ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله ارسل يخطبك وهو كفء كريم ، اتحبين ان ازوجك منه ؟ قالت : نعم . فقال لخولة : ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجه اياها ، وكان اخوها عبد الله بن زمعة غائباً فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه . ولما اسلم رضي الله عنه كان يقول : لقد كنت في السفه يوم أحثي التراب على رأسي : اذا تزوج رسول الله ﷺ سودة يعني اخته .

ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قد ارسلني رسول الله ﷺ اخطب عليه عائشة ، قالت : انتظري ابا بكر رضي الله عنه حتى يأتي ، فجاء ابو بكر فقلت : يا أبا

بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : ارسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال : وهل تصلح اي تحل له انما هي بنت أخيه ، فرجعت الى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له : فقال ارجعي اليه فقولي له : انا اخوك وأنت أخي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي أي تحل فذكرت ذلك له ، فقالت أم رومان: ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو بكر ، والله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه . فقام ابو بكر ودخل على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته ام ابنه جبير فقال ابو بكر للمطعم بن عدي : ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير؟ فأقبل المطعم على امرأته وقال لها : ما تقولين يا هذه ؟ فأقبلت على ابي بكر رضي الله عنه وقالت له : لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه . فأقبل ابو بكر على المطعم وقال له : ماذا تقول انت ؟ فقال : انها لتقول ما تسمع اي فقولي مثل قولها . فقام ابو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع وقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوّجه إياها اي عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ، ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين . وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشاً وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي ﷺ وقال لهم ايضا : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره ، فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ، ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبي ﷺ ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب .

فدخل ﷺ يوماً بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيل عن رأسه وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية ، فان الله مانع اباك ، وكان ﷺ يقول : ما نالت قريش مني شيئاً اكرهه اي اشد الكراهة حتى مات ابو طالب . ولما رأى قريشاً ، تهجموا عليه قال : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ، ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته أياماً وقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً اذ كان أبو طالب حياً لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت . فلم يزل ابو جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من اشراف قريش يحتالون على ابي لهب حتى صدّوه عن ذلك ، وتأخر عن النبي ﷺ وترك نصرته ، ورجع الى ما كان عليه من معاداته . فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته ﷺ وهموا باخراجه والفتك به ، خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش

الخاطر ، مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصاً من ابي لهب وزوجته ام قبيح حمالة الحطب ، من الهجو والسب والتكذيب .

وعن علي رضي الله عنه انه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ بعد موت ابي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له ﷺ : أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فوالله ما دنا منا احد إلا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول : اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟ .

وكان خروجه ﷺ الى الطائف في شوّال سنة عشر من النبوة ، وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا ويناصروه على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

قال في السيرة الحلبية : ومن ثم اي من اجل أنه ﷺ خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنساً لأهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة ، فهو راحة الأمة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا إخوة ثلاثة احدهم عبد يا ليل واسمه كنانة ، ولم يعرف له إسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له إسلام ايضا والاخ الثالث حبيب . قال الذهبي : وفي صحبته نظر ، وهؤلاء الثلاثة اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس إليهم ﷺ وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اي يشقها ويقطعها : ان كان الله أرسلك ، وقال له آخر : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال له الثالث : والله لا أكلمك ابداً ، لئن كنت رسولاً من عند الله كما تقول لانت اعظم خطراً أي قدراً من ان ارد عليك الكلام ، وان كنت تكذب ما ينبغي لي أن أكلمك . فقام ﷺ من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم : اكتموا علي وكره ﷺ أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه . ثم قال له هؤلاء الثلاثة من اشراف ثقيف : اخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه . فلما مر ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه . وفي رواية : حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان ﷺ اذا أزلقته الحجارة اي وجد ألمها قعد الى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجاً فلما خلص منهم

ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة اي شجرة من شجر الكرم .

وفي رواية : ان الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، فلما دخل الحائط رجعوا عنه . وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي ﷺ . هل أتى عليك يوم اشدّ من يوم احد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد مالقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد يا ليل هناك ، لا عقبة مني التي اجتمع فيها مع الأنصار . ثم بين ذلك بقوله : اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من الغم الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك ، وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت ، قال ﷺ : فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك ، وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت ان اطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : لا بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له ، وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه .

وفي رواية : جاءه جبريل فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال وقد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئاً إلا بأمرك ، فقال له : ان شئت دمدمت عليهم الجبال وإن شئت خسفت بهم الأرض . قال : يا ملك الجبال ، فاني آني بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا إلّه إلا الله . فقال ملك الجبال : أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم ، وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه وإغضائه ﷺ حيث قال :

جهلت قومه عليه فأغضى ... واخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعباء

وقوله في أوّل الحديث لعائشة ـ رضي الله عنها ـ لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش إذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن ثقيفاً ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قومك وما ردوا به عليك ، ظاهره انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ، ويحتمل أنه أراد قريشاً لما دعاهم إلى الايمان فقالوا : شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك ، فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال ، فلذا قال : ان شئت أطبق

عليهم الأخشبين قيل : هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذ.. تحت العقبة بمنى ، ويحتمل أن المراد إطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم . ولما ألجوهﷺ الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دماً فلما رأيا ما لقي ، تحركت له رحمهما لأنهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود وضعه عداس في طبق بأمرهما وقالا له : اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل ، فلما وضعﷺ يده في القطف ليأكل قال : بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال لهﷺ : من اي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني من نينوى ، وهو بلد قديم مقابل الموصل . فقال لهﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ، والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته ، وأنت أمي في أمة أمية ؟ قال : ذاك أخي وهو نبي مثلي فأكبّ عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم - رضي الله عنه -

وفي رواية : أنه قال : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، ونظر اليه ابنا ربيعة فقال احدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك : فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا فقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي . قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه . ويروى ان عداساً لما أراد سيداه الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان ؟ والله ما تقدر له الجبال . فقالا له : ويحك يا عداس سحرك بلسانه . وفي الإصابة عن الواقدي قيل : قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة - رضي الله عنه - وعنهم . وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر .

ويروى أنهﷺ لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحيلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو : اللهم اليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين ، الى من تكلني الى عدوّ بعيد يتجهمني ؟ أم الى صديق قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك اوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا

والآخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوّة إلا بك .

رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي ظالب قال : لما توفي أبو طالب خرج النبيﷺ ماشياً الى الطائف ، فدعاهم الى الإسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزلﷺ نخلة وهو موضع على ليلة من مكة ، فصرف الله اليه سبعة من جنّ نصيبين ، وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته ، وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤوا يستمعون قراءته . والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن ﴾ الآيات . ثم أنزل الله : ﴿ قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجنّ ﴾ وقيل انهم صرفوا مرتين فمرة قبل نزول قل أوحي ، والمرة الثانية بعد نزولها وأنها هي هذه المرة أي التي كان فيهاﷺ بنخلة ، وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن ، وقيل قرأ في الركعة الأولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي ، وأقامﷺ بنخلة أياماً ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ، ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله ابن الأريقط فبعثه الى الأخنس بن شريق الثقفي ليجيره ، فاعتذر وقال : إني حليف ، والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذاراً وإلا فالنبيﷺ لو لم يعلم أن الحليف يجير لما بعث له ، ثم بعثﷺ لسهيل بن عمرو العامري لأن جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي ، جد النبيﷺ ، فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب أي قد لا تجيز جوارها ، فبعثﷺ الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له : اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك ، وقال للرسول : قل له فليأت فرجع اليهﷺ فأخبره ، فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم بن عدي وركب على راحلته ونادى يا معشر قريش إني أجرت محمداً ، فلا يؤذه أحد منكم . ثم بعث الى رسول اللهﷺ ان أدخل فدخل رسول اللهﷺ المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ، ومطعم بن عدي وولده مطيفون بهﷺ .

وفي رواية : أنهﷺ بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول اللهﷺ : طف ، ووقف أربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفيهم في المطاف مدة طوافهﷺ وكذا أبوهم المطعم فأقبل ابو سفيان على المطعم وقال له : أمجير أم تابع ؟ فقال : بل مجير فقال : إذن لا تخفر أي لا تزال

خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت ، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه ، ولا بدع في دخوله ﷺ في جوار كافر وأمانه وإن حكمة الحكيم القادر قد تخفى ، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . وفي حديث : بأقوام لا خلاق لهم . وهذا السياق يدل على ان قريشاً كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله ﷺ مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله . ولهذا المعروف الذي فعله المطعم بن عدي قال ﷺ في أسارى بدر : لو كان المطعم ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتني لتركتهم له .

وفي أسد الغابة : أن جبيراً ولد المطعم بن عدي أسلم بين الحديبية وفتح مكة ، وجاء الى النبي ﷺ وهو كافر ، فسأله في أسارى بدر فقال : لو كان الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم لشفعناه لأنه فعل معه ﷺ هذا الجميل . وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدمّ وهذا من شيمه ﷺ تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ، ولم يذكر قوله صبح الإسراء كل أمرك كان قبل هذا اليوم سهلاً هو يشهد انك كاذب ،وكان ﷺ لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولما مات المطعم بن عدي ، وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر ، رثاه حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بقوله :

عيني ألا أبكي سيد الناس واسفحي	بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما
وأبكي عظيم المشعرين كليهما	على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا	من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا	عبيدك ما لبى مهلّ وأحرما
فلو سئلت عنه معدّ بأسرها	وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا : هو الموفي بخفرة جاره	وذمته يوماً إذا ما تذمما

هذا الفعل من حسان ـ رضي الله عنه ـ مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبي ﷺ ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر ، لأن الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله هذا مع النبي ﷺ من أقوى المحاسن ، فلا ضير في ذكره به .

بابُ خَبَر الطفيل بن عمرو الدّوسي رَضِيَ الله عَنه

كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفاً في قومه شاعـراً نبيلاً ، قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا : يا أبا الطفيل ، كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيماً له ، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمره بنا أي اشتد ، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ، ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه . قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أي قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت الى المسجد كرسفاً اي قطناً فرقاً أي خوفاً من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فإذا برسول الله ﷺ قائماً يصلي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن أسمع بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : أنا ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني ان أعلم من هذا الرجل ما يقول ؟ فان كان الذي يأتي به حسناً قبلت ، وان كان قبيحاً تركت . فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي : كذا وكذا حتى سددت أذني بكرسف حتى لا أسمع قولك ، فأعرض علي أمرك فعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن اي قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوّذتـين وقيل : انما نزلتا عليه بالمدينـة ، وقيل تكرر نزولهما . فلما سمـع القـرآن قال : والله ما سمعت قط قولاً أحسن من هذا ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وقلت : يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا ارجع اليهم فأدعوهم الى الإسلام فادع الله أن يكون عوناً عليهم ، فقال : اللهم اجعل له آية قال : فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر أي وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه ، وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : في غير وجهي فإني أخشى ان يظنوا انه مثلـه ، فتحـول في رأس

سوطي ، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم . ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله :

وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل : فأتاني أبي فقلت : اليك عني يا أبت ، فلست مني ولست منك . فقال له يا بني . قلت : قد أسلمت وتابعت دين محمدﷺ فقال أي بني ديني دينك ، فأسلم . قال : ثم أتتني صاحبتي يعني زوجه فذكرت لها مثل ذلك أي قلت لها اليك عني ، فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت محمداًﷺعلى دينه . قال : فديني دينك . فأسلمت ثم دعوت دوساً الى الإسلام فأبطئوا علي ثم جئت رسول اللهﷺ فقلت : يا رسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : اللهم اهد دوساً وأت بهم . قال الطفيل : فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الإسلام حتى هاجر النبيﷺ الى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه ، وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ومنهم أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ فأسهم لنا مع المسلمين وقيل : لم يعط أحداً لم يحضر القتال إلا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ومنهم الأشعريون أبو موسى الأشعري وقومه فقد تقدّم انهم هاجروا من اليمن يريدون النبيﷺ فرمى بهم الريح الى الحبشة .

باب ذِكر الإسراء والمعرَاج

اعلم أنه لا خلاف في الإسراء بهﷺ إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال ، وجاء بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الأحاديث على تعدد الإسراء وانه وقع لهﷺ ذلك ثلاث مرات أو أكثر ، وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام ، وكانﷺ لا يرى شيئاً في اليقظة إلا بعد أن يريه الله اياه في المنام ، فبعض تلك الإسراءات التي كانت في المنام ، سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر . وكان الإسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الأول ، وقيل في رمضان ، وقيل في شهر رجب وهو المشهور ، وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطوارهﷺ من الولادة والهجرة والوفاة وقيل : ليلة الجمعة وكان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج بهﷺ الى السموات ، ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ وإلا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ، ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ، ثم استقبلوه في السموات ، ورجعﷺ من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه ، فصدقه الصدّيق وكل من آمن إيماناً قوياً ، وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم . وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعدّ أبوابه لهم باباً باباً ، فيطابق ما عندهم وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر ، وكل ذلك مشهور ، وفي الكتب مسطور ، فلا حاجة لنا الى الإطالة به ، فإن قصة الإسراء والمعراج قد أفردت بالتأليف .

وفي السيرة الحلبية : أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل ـ عليه السلام ـ ان يربط

فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين ، فخرقها وربط البراق بها . قال الإمام أبو بكر ابن العربي في شرح الموطأ أن صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى ، فانها صخرة قائمة في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه . في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي ﷺ حين صعد عليها ومن الجهة الأخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة ، فهي معلقة بين السماء والأرض ، وامتعنت لهيبتها من أن أدخل تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط علي بسبب ذنوبي ، ثم بعد مدّة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراهامنفصلة عن الأرض، لا يتصل بها من الأرض شيء ولا بعض شيء . وبعض الجهات أشد انفصالاً من بعض انتهى .

يروى انه ﷺ لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانيء بنت أبي طالب أخت علي ـ رضي الله تعالى عنه وعنها ـ وانه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لأنه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه ﷺ فتعلقت بردائه أم هانيء وقالت : أنشدك الله أي أسألك به يا ابن عم ، أن لا تحدّث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك . وفي رواية : أني أذكرك الله ان تأتي قوماً يكذبونك وينكرون مقالتك ،فأخاف أن يسطوا بك ، فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت : وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري ، فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فإذا هو قد خرج قالت : فقلت لجاريتي نبعة وكانت حبشية وهي معدودة في الصحابة ـ رضي الله عنها ـ اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت أخبرتني ان رسول الله ﷺ انتهى الى نفر من قريش في الحطيم ، وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وقيل ما بين الركن والمقام ، وذلك النفر الذي انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل ابن هشام فأخبرهم بمسراه .

وفي رواية : انه لما دخل المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه ، وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى ، وما هو دليل على علوّ مقامه ﷺ الباعث على اتباعه ، فقعد حزيناً فمرّ به عدوّ الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس اليه ﷺ فقال كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟ قال : نعم . أسري بي الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال : نعم . فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحده أي ينكره ﷺ الحديث الذي حدّث به ان دعا قومه اليه . قال : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما

حدّثتني ؟ قال ؟ نعم . قال : يا معشر بني كعب بن لؤي ، فانقضت اليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا اليهما فقال : حدث قومك بما حدثتني . فقال رسول الله ﷺ : أني أسري بي . قالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس ، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وصليت بهم وكلمتهم . قال أبو جهل كالمستهزىء : صفهم لي . قال : أما عيسى ـ عليه السلام ـ ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان . وفي رواية : كأنما خرج من ديماس أي حمام ، وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة . وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بي خَلقا وخُلقاً .

وفي رواية : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه ﷺ . فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الإسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً .وقال المطعم بن عدي :أن أمرك قبل الروم كان أمراً يسيراً غير قولك اليوم ، هو يشهد انك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل الى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، تزعم انك اتيته في ليلة واحدة ؟ واللات والعزى لا أصدقك ، وما كان هذا الذي تقول قط . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يا مطعم بئسما قلت لابن أخيك ، جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق . وفي رواية : حين حدّثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدّقه الصديق ، وكل من آمن بالله فيه نظر إلا أن يراد من ثبت على الإيمان . وفي رواية : فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس ؟ قال : وقد قال ذلك : قالوا : نعم . قال : لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا : انصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم . إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة اي لانه يخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الأرض في ساعة من ليل او نهار فأصدقه . فمجيء الخبر له مما تعجبون منه . فقال المطعم : يا محمد صف لنا بيت المقدس ، أراد بذلك إظهار كذبه ، وعرف الصديق ـ رضي الله عنه ـ قصده . وان رسول الله ﷺ لا يكذب قط . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صف لي يا رسول الله فاني قد جئته ، أراد بذلك إقامة البرهان على قومه بظهور صدقه ﷺ ، فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول : باب منه في موضع كذا ، وباب منه في موضع كذا ، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يقول : أشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه .

وفي رواية عنهﷺ قال : لما كذبتني قريش وسألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها قالوا : كم للمسجد من باب ؟ فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط . فجلى الله لي بيت المقدس . وفي رواية : فجيء بصورته وأنا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته اي علاماته ، وكانوا يعلمون أنهﷺ لم يدخل بيت المقدس قط ، فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر - رضي الله عنه - يصدقه على كل مقالة يقولها . فلما فرغﷺ من الوصف لم يخطىء في شيء منه . قالوا : صدق الوليد بن المغيرة اي في قوله أنه ساحر . فأنزل الله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس ﴾ قالت نبعة جارية أم هانىء : وسمعت رسول اللهﷺ يقول يومئذ : يا أبا بكر إن الله قد سماك الصديق ومن ثم كان علي - رضي الله عنه - يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء - رضي الله عنه - وفي رواية : ان كفار قريش لما أخبرهم بالإسراء الى بيت المقدس ، ووصفه لهم قالوا له : ما آية ذلك يا محمد أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط ؟ هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اي لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه ؟ قال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فندّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بمحل كذا ، مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان . وفي رواية : فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة ، والمراد الوضوء اللغوي . ثم قالﷺ : وانتهيت الى عير بني فلان ، فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدري اكسر البعير أم لا .

وفي رواية : ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه . فسلمت عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا : كله صدق ، فقالوا : اصدق الوليد أي في قوله إنه ساحر ، ثم قالوا لهﷺ : متى تجيء عير بني فلان ؟ فقال لهم : يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك ، وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس أن تغرب أو دنت للغروب ، فدعا

رسول الله ﷺ ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى اقدم العير كما وصف ﷺ . قال الإمام السبكي :

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فازدادوا إيماناً الى إيمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغياناً على طغيانهم . قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ومع ذلك لم يخبرهم ﷺ بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت ، وقد أفردت قصة الإسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله :

فطوى الأرض سائرا والسموا ت العلى فوقها له إسراء
قصف الليلة التي كان للمخـ ـتار فيها على البراق استواء
وترقى الى قاب قوسيـ ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأماني حسري دونها ما وراءهن وراء

باب عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل من العرب أن يحموه ويناصروه على ما جاء به من الحق

اعلم أنه ﷺ أخفى رسالته في أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها في السنة الرابعة من النبوة ، ودعا الى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف ، يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي في أسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز . وكانت العرب إذا حجت أي أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوماً ، ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم به أيام الحج ، وكان ﷺ يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ، وعن جابر - رضي الله عنه - قال كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول : ألا رجل يعرض على قومه فان قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي . وعن بعضهم ، قال : رأيت رسول الله قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى ، يقول : يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل : ابو لهب يعني عمه . وفي لفظ : رأيت رسول الله ﷺ بسوق اي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان ، أي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول : يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب ، فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي : انه غلام عبد المطلب . فقلت : ومن الذي يرجمه ؟ قيل هو عمه عبد العزى يعني أبا لهب .

وفي السيرة الهشامية عن بعضهم ، قال: إني غلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف في منازل القبائل من العرب فيقول : يا بني فلان أني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنبيء عن الله ما بعثني به ، وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فقلت لأبي : من هذا الرجل الذي يتبعه يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعني أبا لهب .

وروى ابن اسحق انه ﷺ عرض نفسه على كندة وكلب ، وعلى بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة ، فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أنقاتل العرب دونك ؟ وفي رواية : أنهدف نحورنا للعرب دونك أي نجعل نحورنا هدفاً لنبلهم فإذا أظفرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك ، وأبوا عليه . فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم ، وكان فيهم شيخ ادركه السن لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش احد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا ، فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف أي هل لهذه القضية من تدارك ؟ والذي نفس فلان بيده ما يقولها اي ما يدعي النبوّة كاذباً أحد من بني اسمعيل قط . وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم .

وروى الواقدي أنه ﷺ اتى من بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة الحضارمة ، فردوا عليه ﷺ أقبح الردّ وقالوا : أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكون أحد من العرب أقبح عليه من بني حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ، ومن ثم جاء في الحديث شرّ قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها ومن اقبح القبائل في الرد عليه ﷺ ثقيف ، ومن ثم جاء شرّ قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف ، ودفع مرة هو وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . وكان أبو بكر رضي الله عنه نساباً اي ذا

معرفة بالانساب فقال لهم : من أي ربيعة من هامتها او من لهازمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى . قال : من أيها ؟ قالوا : من ذهل الأكبر . قال : أمنكم حامي الذمار ، ومانع الجار ؟ فلان قالوا لا ، قال : أمنكم قاتل الملوك وسالبها ؟ فلان قالوا لا قال : أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان ؟ قالوا : لا فقال : لستم من ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر . فقام اليه شاب حين أبقل وجهه اي طلع شعر وجهه فقال له : آن على سائلنا ان نسأله كما سألنا ، يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك فممن الرجل انت؟ فقال ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ أنا من قريش. فقال الفتى : بخ بخ أهل الشرف والرياسة ، ثم قال : فمن اي قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال الفتى : أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصيّ الذي كان يدعى مجمعاً ؟ قال : لا . قال : فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ؟ قال : لا قال : أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال : لا . واجتذب ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ زمام ناقته ورجع الى رسول الله ﷺ وأخبره ، فتبسم رسول الله ﷺ وكان علي ـ رضي الله عنه ـ حاضراً فقال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لقد وقعت من الأعراب على باقعة اي داهية اي ذي دهاء . قال : أجل يا أبا الحسن ، ما من طامّة إلا فوقها طامّة والبلاء موكل بالمنطق وكان الأعرابي لما ذكر له قصياً وهاشماً وعبد المطلب يقول : ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الأشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على اولئك الاشراف ، فواحدة بواحدة . والجزء من جنس العمل .

وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انه ﷺ لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة ، وكان معه أبو بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ سألهم وقال لهم : ممن القوم ؟ فقالوا من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ، هؤلاء غرر أي سادات في قومهم ، وفيهم مفروق ابن عمرو وهانىء بن قبيصة ، ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كيف العدد فيكم ؟ قال مفروق : إنا لنزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة ، فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كيف المنعة فيكم ؟ قال مفروق : علينا الجهد أي الطاقة ولكل قوم جد أي حظ وسعادة ، أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لأنه من عند الله يؤتيه من يشاء . فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال

مفروق : إنا لأشد ما يكون غضباً حين نلقى وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد من الخيل على الأولاد والسلاح على اللقاح أي نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الإبل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ، ويديل علينا مرة اخرى ، لعلك اخو قريش ؟ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أو قد بلغكم انه أي أخا قريش رسول الله ﷺ ؟ فها هوذا .

فقال مفروق : بلغنا انه يذكر ذلك فإلام يدعو ؟ فتقدم رسول الله ﷺ وقال : أدعو الى شهادة أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ، والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشاً قد تظاهرت اي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد . قال مفروق : وإلام تدعونا أيضاً يا أخا قريش ؟ قال رسول الله ﷺ : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ قال مفروق : ما هذا من كلام أهل الأرض عرفناه. ثم قال : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فقال مفروق : دعوت والله الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك ، وكان مفروقاً أراد أن يشاركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال : هذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانىء : قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، وإني أرى أنا إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أوّل ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العواقب ، وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر ، وكان هانىء أحب ان يشركه في الكلام مثنى بن حارثة .

فقال : هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة ، وأن أحببت أن نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون أنهار كسرى فعلنا أننا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نأوي محدثاً وأني أرى ان هذا الأمر الذي تدعونا اليه هو ما تكرهه الملوك . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم إذ أوضحتم بالصدق ، وان دين الله عز وجل لن ينصره إلا

من أحاط به من جميع جوانبه . أرأيتم ان لم تلبثوا إلا قليلاً حيث يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا مثلاً رسول الله ﷺ : ﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ ثم نهض رسول الله ﷺ .

قال العلامة الحلبي : وهؤلاء لم أقف على إسلام واحد منهم إلا أن في الصحابة شخصاً يقال له : المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هانيء بن قبيصة فيه أنه صاحب حربنا ، ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وقادة فيكون من الصحابة .

وفي أسد الغابة : ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال : لا أعرف لمفروق إسلاماً والله أعلم ، ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج وقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم ، ثم قال لهم ﷺ : كيف العدد فيكم ؟ قالوا : كثير مثل الثرى قال : كيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة جاورنا فارساً فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال : افتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : انا رسول الله . ثم مرّ بهم أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله ﷺ فقال لهم أبو لهب : لا ترفعوا لقوله رأساً فانه مجنون يهذي من أم رأسه فقالوا : لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر .

وفي رواية : أنه لما سألهم قالوا له : حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال : ان بيننا وبين الفرس حرباً فإذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا ، فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم : ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه ؟ قالوا محمد . قال : فهو عزكم فنصروا على الفرس ، فقال رسول الله ﷺ : بي نصروا أي نصروا بذكرهم اسمي ، ولا زال ﷺ يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول : لا أكره أحداً على شيء من رضي الذي أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه ، وانما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، فلم يقبله ﷺ أحد من تلك القبائل ويقولون : قوم الرجل أعلم به ، اترون ان رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه .

وعن ابن اسحق : لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم ، وفي مستدرك الحاكم : ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة إذ لقي رهطاً من الخزرج لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب ، وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم : أبو امامة اسعد ابن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن ناب وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان ، وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده . فقال لهم النبي ﷺ من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : ألا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا :بلى .من أنت ؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا . وفي رواية : إنه وجدهم يحلقون رؤوسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى ، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم ، وكان قد أخذهم النبي ﷺ في موضع بعيد من الناس خوفاً من أن يراهم أحد ، فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والأوس والخزرج أهل شرك وأوثان ، وكانوا إذا كان بينهم شيء تقول اليهود : ان نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكانوا يصفونه لهم بصفاته ، فلما كلمهم النبي ﷺ عرضوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود ، فوجدوها متحققة فيه فقال بعضهم لبعض : بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه .

وفي رواية : فلما سمعوا قوله أيقنوا به وإطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله أنه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبي ﷺ : تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ قالوا : يا رسول الله إنا تركنا قومنا يعنون الأوس والخزرج ، بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . وقولهم : بينهم من العداوة والشر ما بينهم . أصل هذه العداوة أن الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم ، فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب

مائة وعشرين سنة . وفي رواية ، قالوا له : إنما كانت بعاث عام أوّل وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم . فقالوا : ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم العام المقبل .

ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله ﷺ منهم بذلك وهذا ابتداء إسلام الأنصار ، فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي ﷺ فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ. فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلاً وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديد وعقبة بن عامر بن ناب ، والسبعة تتمة الاثني عشر هم : معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء، أخو عوف المذكور قبل وذكوان ابن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة بن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج ، وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعده والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان . وأقام العباس المذكور بمكة إلى أن هاجر النبي ﷺ فهاجر فهو أنصاري مهاجري واستشهد بأحد ـ رضي الله عنهم ـ .

يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية : تأخذون محمداً ﷺ على حرب الأحمر والأسود ، فان كنتم ترون انكم إذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه ، وان صبرتم على ذلك فخذوه . قال بعضهم : والله ما قال ذلك إلا ليشدّ العقد . وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الأوس ، فأسلموا كلهم وبايعوا النبي ﷺ كما روى عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه ﷺ في معروف ، ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم . ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد هذه المبايعة : فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره مفوّضاً الى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضاً في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه . وقيل : إنما كانت بيعة العقبة

الثانية على الايواء والنصر ، وما يتعلق بذلك . وإما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيئاً الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك .

وجاء في رواية : أنه ﷺ قال لهم : أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه ، فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل : عبد الله واسم امّه عاتكة ، وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ومصعب بن عمه معه ـ رضي الله عنهما ـ يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الإسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الإسلام . وقيل : ان مصعباً بعثه أولاً حين بعثوا الى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ، ان ابعث الينا رجلاً من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله .

وفي رواية : كتبوا له بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله ﷺ مصعب ابن عمير العبدلي ـ رضي الله عنه ـ وكان يقال له المقري ـ ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب بالمدينة نزل على أبي امامة أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ وكان مصعب يؤم القوم الأوس والخزرج لأنهم لما بينهم من العداوة ، كرهوا أن يؤم بعضهم بعضاً ، وجمع بهم مصعب ـ رضي الله عنه ـ أوّل جمعة في الإسلام قبل قدومه ﷺ ، لأنه ﷺ لم يتمكن من إقامة الجمعة بمكة فأمرهم باقامتها بالمدينة ، وكانوا أربعين رجلاً واشتهر ان أوّل من جمع بهم أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ ولا مخالفة لأن مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ كان عند أبي أمامة أسعد بن زرارة فكان هو المعاون على إقامة الجمعة ، ولولا أسعد بن زرارة ما قدر مصعب على إقامتها ، وهذا لا ينافي أن الخطيب والإمام هو مصعب بن عمير فنسب إقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا . قيل : إنهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي ﷺ ، وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ كتب الى مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ أما بعد ـ فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذي يليه يوم السبت فأجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره فتقرّبوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اي صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي ﷺ وأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ بعد أن اشتد عليهم امره في أوّل مجيئه ، وكادوا يقتلونه ، ثم هداهم الله به .

روى ابن إسحق: أن أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - خرج بمصعب بن عمير - رضي الله عنه - إلى حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجل ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اي بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه . فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دارينا تثنية دار ، وهي المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فأزجرهما وانهها .

وفي رواية : قال له : ائت اسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً ، فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه فأصدق الله فيه فوقف عليهما وقال : ما جاء بكما الينا ؟ تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة .

وفي رواية : قال : يا أسعد مالك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا ؟ وفي رواية : علام أتيتنا في دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه ؟ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره اي منعنا عنك ما تكره . قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن فقال : ما أحسن هذا واجمله ، كيف تصعنون إذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين ، فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ، ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر اليه سعد مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا : تفعل ما أحببت . وقد حدثت ابن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك لينقضوا عهدك . فقام سعد مغضباً مبادراً ، فأخذ الحربة من يده وقال : والله ما

أراك أغنيت شيئاً . ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب : لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما مبتسماً ثم قال لاسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، تغشانا في دارنا بما نكره . فقال له مصعب :لتقعدنّ. فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وعرض عليه القرآن فاعجبه ذلك وصار يقول : ما احسن هذا . ثم قال لهما : ما تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ فقال : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين ، فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً الى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعرفون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وإيمننا أي وأبركنا نفساً وأمراً . قال : فان كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : والله ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، فأسلموا في يوم واحد كلهم . إلا ما كان من الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الأشهل فانه تأخر إسلامه الى يوم أحد ، فأسلم واستشهد ـ رضي الله عنه ـ ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه ﷺ أنه من أهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الى الإسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الأنصار إلا جماعة من الأوس . لأنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الأسد ، وكان شاعراً لهم ، وكانوا يسمعون منه ويطيعون ، لأنه كان قوالاً بالحق معظماً قد ترهّب في الجاهلية ، ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ، ودخل بيتاً له واتخذ مسجداً . وقال : اعبد إلّه إبراهيم ولا يدخل عليّ فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الإسلام ، ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير . وسبب تأخر إسلامه أنه لما أراد الإسلام عند قدوم النبي ﷺ المدينة لقيه عبد الله بن أبي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الإسلام وقال ابو قيس : ما اتبعه إلا اخر الناس ، فلما احتضر ارسل اليه ﷺ ان قل لا إله إلا الله اشفع لك بها عند الله ، فقالها . ثم أن مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين

والأنصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة واخبر النبي ﷺ بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبي ﷺ بمكة ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة أي أن يوافوه في الشعب الأيمن ،إذ انحدروا من أسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذي يقال له مسجد العقبة ، ومسجد البيعة وأمرهم ﷺ أن يأتوا اليه بليل وان لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً ويكون إتيانهم في ليلة اليوم الذي فيه النفر الأوّل .

فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين ، وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له : يا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطباً للنار غداً ثم دعوناه للإسلام فأسلم. وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبة فمكثنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ بعد هدأة من الليل ، يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا .

وفي رواية : ان رسول الله ﷺ سبقهم وانتظرهم ، وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول الله ﷺ سبقهم وانتظرهم ، فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضاً أبو بكر ـ رضي الله عنهما ـ لأن العباس أوقف علياً على فم الشعب عيناً له ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً ، فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم إلا العباس ـ رضي الله عنه ـ فلما جلسوا كان العباس ـ رضي الله عنه ـ أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج ، والمراد ما يشمل الأوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الأوس كثيراً ان محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى إلا الإنحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده . فقال البراء بن معرور : انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل

مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ .

وفي رواية : أن العباس ـ رضي الله عنه ـ قال : قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوّة وجلد وبصيرة بالحرب ، واستقلال بعداوة العرب قاطبة ، ترميكم عن قوس واحدة فرووا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرّقوا إلا عن ملأ واجتماع ، فان أحسن الحديث أصدقه وقوله : قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الأنصار وافقوه على مناصرته فأباه ، ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرف نفسه على القبائل فلم يجد موافقاً غير الأنصار . وأجيب بأن المراد لم يجد موافقاً كل الموافقة غير الأنصار ، وهذا لا ينافي أنه وجد من يوافق في بعض الأشياء دون بعض ، فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا : ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى ، وقيل المراد بالناس أهله وعشيرته ، وعندما تكلم العباس ـ رضي الله عنه ـ بما ذكر قالوا له : قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . وفي رواية خذ لنفسك ما شئت . فقال النبي ﷺ : أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي ان تمنعوني ما تمنعون به أنفسكم وابناءكم. قال ابن رواحة : فاذا فعلنا فما لنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : لكم الجنة . قالوا : ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل . وفي رواية وتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ، ورغب في الإسلام فقال : أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم ؟ وقيل لما قالوا له : نبايعك قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والمنعة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني ، إذا قدمت عليكم ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة .

فأخذ البراء بن معرور بيده ﷺ وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك بما نمنع به أزرنا أي نساءنا وأنفسنا ، لأن العرب تكنى بالأزار عن المرأة. وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أي السلاح ورثناها كابراً عن كابر ، وبينا البراء يكلم رسول الله ﷺ إذ قال أبو الهيتم بن التيهان : نقبله على مصيبة المال وقتل الأشراف .فقال العباس ـ رضي الله عنه ـ اخفوا حرمكم أي صوتكم ، فان علينا عيوناً . ثم قال ابو الهيتم : ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالاً أي عهوداً وإنا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا . فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ،

والهدم الهدم أي دمي دمكم اي تطلبون بدمي وأطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد . وفي رواية : بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اي حرمي حرمكم تقول العرب إذا أرادت تأكيد المحالفة : هدمي هدمكم اي اذا أهدرتم الدم أهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم ، أنا منكم وانتم مني احارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

فعند ذلك قال لهم العباس ـ رضي الله عنه ـ عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، يد الله فوق أيديكم ، لتجدّن في نصرته وتشدّن أزره قالواجميعاً : نعم . قال العباس : اللهم إنك سامع شاهد وأن ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه . اللهم كن لابن أخي شهيداً ثم قال رسول الله ﷺ لهم : أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وفي رواية انه ﷺ قال لهم : إن موسى أخرج من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فلا يجد أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ، فانما يختار لي جبريل أي لأنه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد ابن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبدالله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيتم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك ، كل واحد من قبيلة . ثم قال لأولئك النقباء : أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم - عليه السلام ـ وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين ، وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة . قال : يا معشرَ الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس اي على من حاربه منهم وإلا فهو ﷺ لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة إلا بعد ان هاجر الى المدينة ، وكان قبل ذلك مأموراً بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الأنصار ولا مخالفة بين الأقوال ، لأنّ كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوي البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك ، وقالوا : يا رسول الله ما لنا إن نحن وفينا ؟ قال : رضوان الله والجنة . قالوا : رضبينا ابسطيدك فبايعوه ، وأوّل من بايعه البراء بن معرور ، وقيل أسعد ابن زرارة ، وقيل : ابو الهيتم بن التيهان ، ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة ، لأنه ﷺ كان لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أحرزن قال : اذهبن فقد باعيتكن ، وكانت هذه البيعة على حرب الأسود والأحمر أي العرب والعجم ، فهؤلاء

الثلاثة الذين بايعوه أولاً لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الأولية فيهم حقيقة وإضافية . وقيل : إن أبا الهيتم بن التيهان قال : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيباً من بني إسرائيل موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ وان عبد الله بن رواحة قال : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيباً من الحواريين عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فقال أسعد بن زرارة : أبايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على أن أتم عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي في نصرك. وقال النعمان بن حارثة : أبايع الله يا رسول الله ، وأبايعك على الإقدام في أمر الله عز وجل ، لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي لا أعامل بالرأفة والرحمة . وقال عبادة بن الصامت : أبايعك يا رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم . وقال سعد بن الربيع : أبايع الله وأبايعك يا رسول الله على ان لا أعصي لكما أمراً ولا أكذب لك حديثاً .

فلما تمت البيعة وهي بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشدّ صوت وأبعده : يا أهل الجباجب وهي منازل منى . وفي رواية يا أهل الأخاشب هل لكم في مذمم والصباة يعني بمذمم محمداً وبالصباة من تابعه ؟ فانهم قد أجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الباء الموحدة أي شيطان يسمى بهذا الاسم ، اسمع أي عدوّ الله أما والله لأفرغنّ لك فهرب . وعند ذلك قال لهم النبي ﷺ : انفضوا الى رحالكم . وفي رواية : لما بايع الأنصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل : يا معشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الأنصار الذين كانوا يبايعون النبي ﷺ ، فقال رسول الله : لا يروعكم هذا الصوت إنما هو عدوّ الله إبليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة ، وصراخ إبليس الذي هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعد والله إبليس أزب العقبة ، لأنه من الأبالسة وانه أتى باللفظين معاً . وقد حضر البيعة جبريل ـ عليه السلام ـ كما تقدم . فعن حارثة بن النعمان قال : لما فرغوا من المبايعة قلت : يا نبي الله ، لقد رأيت رجلاً عليه ثياب بيض أنكرته قائماً على يمينك . قال : وقد رأيته ؟ قلت : نعم . قال : ذاك جبريل ـ عليه السلام ـ ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم . وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج ، وقال عمرو بن العاص : فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه ابن الحجاج فلم يرعه ما راعنا . فقال : هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه ؟ قلنا : لعله إبليس

الكذاب ، ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت إبليس ، قوله : ليس يسمعه أحد مما تخافون لأن سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلّتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا : يا معشر الأوس والخزرج ، بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا ، والله ما من حي أبغض الينـا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وكل واحد يقول لهم : وما كان قومي ليفتاتوا عليّ بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني وصدقوا ، لأنهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ، ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الأنصار فوجدوه حقاً . فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا إلا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فأما سعد فمسك وعذب في الله . وأما المنذر فأفلت ثم انقذ الله سعداً من أيدي المشركين . روي عنه ـ رضي الله عنه ـ انه قال : لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي ، ولا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني حتى أدخلوني مكة ، فأوى الي رجل وهو ابو البحتري بن هشام ، مات كافراً وقال : ويحك أما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد ؟ قلت : بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحرث بن حرب بن امية وهو اخو أبي سفيان فقال : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج يضرب بالأبطح يهتف باسمكما فقال : من هو؟ فقال : يقال انه سعد بن عبادة فجاءآ فخلصاه من أيديهم .

وعن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال : بينا أنا مع القوم أضرب إذ طلع علي رجل أبيض وضيء ، زائد الحسن ، فقلت في نفسي : ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلطمني لطمة شديدة ، فقلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الأنصار المدينة أظهروا الإسلام إظهاراً كلياً وتجاهروا وإلا فقد تقدّم أن الإسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة ،وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو ، وكان لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لأن الدماء كانت تمنى أي تصب عنده تقرباً اليه ، وكان يعظمه ، فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ، ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر الذي فيها خرء الناس منكساً بعد إخراجه

من داره ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ؟ ثم يعود يلتمسه حتى إذا وجده غسله فإذا غسله غدا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ، ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال : ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك ، فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها خرء الناس ، فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده . ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر ، فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم ـ رضي الله عنه ـ وحسن إسلامه وأنشد أبياتاً منها :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن

ـ أي حبل ـ وأمر رسول الله ﷺ من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لأن قريشاً لما علمت انه ﷺ أوى أي استند الى قوم أهل حرب ونجدة ، ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى ، وجعل البلاء يشتد عليهم . وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد ، وشكوا اليه ﷺ واستأذنوه في الهجرة فمكث أياماً لا يأذن ، ثم قال : أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ، ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي ، والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج ﷺ اليهم مسروراً . وقال : قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فأذن حينئذ . وقال : من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالاً أي متتابعين يخفون ذلك .

وفي رواية : أريت في المنام أني هاجرت من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وهلي اي وهمي الى أنها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ،ولعله أنسى قول جبريل ليلة الإسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة . ثم تذكره بعد ذلك في قوله : قد أخبرت بدار هجرتكم ، وقبل الهجرة آخى ﷺ بين المسلمين من المهاجرين على المؤاساة ، والحق فآخى بين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة ـ رضي الله عنهما ـ وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ وبين الزبير وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ وبين عبادة بن الحرث وبلال ـ رضي الله عنهما ـ وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ وبين أبي عبادة وسالم مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ وبين سعيد ابن زيد وطلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنهما ـ وبين علي بن أبي طالب ونفسه ﷺ .

وقال : أما ترضى ان أكون أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت . قال : فأنت أخي في الدنيا والآخرة . وأنكر ابن تيمية مؤاخاة المهاجرين بعضهم بعضاً قال : والمؤاخاة إنما بين المهاجرين والأنصار . قال : ولا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري لأن المؤاخاة إنما شرعت لإرفاق بعضهم ببعض . قال الحافظ ابن حجر : وهذا رد للنص بالقياس والحكمة في مؤاخاة المهاجرين ، ان بعضهم كان أقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ،وبهذا ظهر مؤاخاته ﷺ لعليّ ـ رضي الله عنه ـ لأنه ﷺ كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة وبعدها .

وفي الصحيح : أن زيد بن حارثة قال : ان بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤاخاة ، وكان أوّل من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ وهو أخوه ﷺ من الرضاع وابن عمته ، وهو اول من يدعى للحساب اليسير لأنه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة ، فلما بلغه إسلام من أسلم من الأنصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الأولى ، خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار . ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة في حجرها ، وخرج يقود البعير . فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منها اليها فقاموا اليه وقالوا له : يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه ، فجاء رجال من قوم أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ وقالوا : ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها . ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطأ ، وأخذ الولد قوم أبيه ففرّق بينها وبين زوجها وولدها ، فكانت تخرج كل غداة إلى الأبطح تبكي حتى مضت سنة ، فمرّ بها رجل من بني عمها فرحمها وقال لقومها : أما ترحمون هذه المسكينة فرّقتم بينها وبين ولدها وزوجها ؟ فقالوا لها: إلحقي زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردّوا عليها ولدها فركبت بعيراً وجعلت ولدها في حجرها ، وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي اي صاحب مفتاح الكعبة ، وكان عثمان مشركاً يومئذ ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ فشيعها الى المدينة حتى إذا وافى على قباء قال لها : هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول : ما رأيت صاحباً أكرم من عثمان بن طلحة فإنه لما رآني قال : إلى أين ؟ قلت : إلى زوجي . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : لا ما معي إلا الله تعالى وابني هذا . فقال : والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ، ثم استأخر حتى

إذا نزلت جاء وأخذ البعير ، فحطعنه ثم قيده في شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال : اركبي فإذا ركبت أخذ بخطامه فقادني وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أوّل من هاجر لقول بأنه أبو سلمة بأن أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه ، وأما مصعب فكان بإرسال منه ﷺ وقال بعضهم : أن أبا سلمة أول من هاجر أي من بني مخزوم ، فلا ينافي أنه ليس بأول بالنسبة لغير بني مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وقيل : ليلى بنت أبي حثمة وقيل : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ رضي الله عنها ـ ثم هاجر عمار وبلال وسعد .

وفي رواية : ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً أي بعد العقبة الثانية فنزلوا على الأنصار في دورهم فأووهم وواسوهم . ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعباس بن أبي ربيعة في عشرين راكباً وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يهاجر معه وقال : تجدني أو أجدك عند محل كذا . ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مستخفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى اسهماً في يديه ، واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة أي علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعاً . ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال : شاهت الوجوه ،لا يرغم الله إلا هذه المعاطس يعني الأنوف من أراد أن تثكله أمه أي تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي ـ رضي الله عنه ـ فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه .

وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر ـ رضي الله عنه ـ أخوه زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان أسن من عمر ـ رضي الله عنه ـ وأسلم قبله وشهد بدراً والمشاهد كلها ، واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده ـ رضي الله عنه ـ في خلافة الصديق ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول : أخي سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي ، وحزن عليه حزناً شديداً . وممن هاجر مع عمر ـ رضي الله عنه ـ سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذور ،وممن هاجر عبد الله بن جحش ـ رضي الله عنه ـ ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان ـ رضي الله عنها ـ وأما أختها أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ فكانت مع الذين هاجروا إلى الحبشة في صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخي عبد الله بن جحش فتنصّر بالحبشة ثم مات ، وبقيت هي

بأرض الحبشة مع المسلمين الذي كانوا بها ، ثم أرسل ﷺ في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها ، فزوجها من النبي ﷺ على يد النجاشي وجعفر بن أبي طالب . ثم هاجرت الى المدينة ـ رضي الله عنها ـ فصارت من أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ زوجات النبي ﷺ ثم أن أبا جهل وأخاه الحرث بن هشام قبل إسلامه فإنه أسلم بعد ذلك ـ رضي الله عنه ـ قدما المدينة والنبي ﷺ بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له : إن أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك .

وفي رواية لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له : أنت أحب ولد أمك إليها وأنت في دين منه البر للوالدين فارجع الى أمك وأعبد ربك كما تعبد في المدينة . فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء . وقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ ما يريدان إلا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو أشتد عليها حر الشمس لاستظلت . فقال عياش : أُبر أمي ولي مال هناك آخذه ؟ فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى إلا ذلك . فقال له عمر : فحيث صممت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان نابك منهما ريبة فانج عليها ، فأبى ذلك وخرج راجعاً معهما إلى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أي شدا يديه إلى خلف وجلداه نحواً من مائة جلدة وقيل : كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقاً في وقت النهار . وقالا : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا . ولما جيء به مكة ألقي في الشمس وحلفت أمه أنه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ، ثم حبس بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما في قيد ، وكان ﷺ بعد الهجرة يدعو لهم في قنوت الصبح فيقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسروا ، فتكه أخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة ، فأسلم فأراد الهجرة فحبسوه وقيل له : هلا أسلمت قبل أن تفتدي ؟ فقال : كرهت اليسار .

ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفياً وخلص عياشاً وهشاماً وجاء بهما المدينة . فسر رسول الله ﷺ بذلك وشكر صنيعه ، وممن هاجر قبل النبي ﷺ سالم مولى أبي حذيفة ، وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان

أكثرهم أخذاً للقرآن ، وسمع النبي ﷺ قراءته فقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله . وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يثني عليه كثيراً حتى قال لما أوصى عند موته : لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً ما جعلتها أي الخلافة شورى . قال ابن عبد البر المعنى أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم ـ رضي الله عنه ـ يوم اليمامة وأرسل عمر ـ رضي الله عنه ـ بميراثه لعتقته فأبت أن تقبله وجعلته في بيت المال ، ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبي ﷺ قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا . ثم تريد أن تخرج بمالك ، لا والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلوا سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب . وفي الخصائص الكبرى عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال لما خرج رسول الله ﷺ الى المدينة وخرج معه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد كنت أردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له : جئتنا فقيراً حقيراً صعلوكاً فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ لا يكون ذلكم أبداً قال : فقلت لهم هل لكم إن أعطيتكم أواقي من الذهب ؟

وفي لفظ : ثلث مالي . وفي لفظ : مالي وتخلوا سبيلي تفعلوا ؟ قالوا : نعم . فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثاً فقلت : يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل ـ عليه السلام ـ وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال : أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلاً وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي شيء منه ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا : نعم . فقال لهم ما تقدم .

وفي رواية قالوا له : دلنا على مالك ونخلي سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل . وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم : إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوالي راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾ قال : فلما قدمت المدينة وجدت النبي ﷺ وأبا بكر جالسين فلما رآني أبة بكر ـ رضي الله عنه ـ قام فبشرني بالآية التي

نزلت فيّ . وفي رواية : فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي أبو بكر : ربح بيعك أبا يحيى فقلت : وبيعك هلا تخبرني ما ذاك ؟ فقال : أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان رومياً أغارت خيل على دجلة أو الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام بمكة حيناً فلما بعث رسول الله ﷺ اسلم ، وكان إسلامه وإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ في يوم واحد . قال صهيب ـ رضي الله عنه ـ صحبت النبي ﷺ قبل أن يوحى اليه وكان ـ رضي الله عنه ـ فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة .

وفي المعجم الكبير للطبراني : عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال : قدمت على رسول الله ﷺ وبين يديه تمر وخبز فقال : أدن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لي : أتأكل وبك رمد ؟ فقلت : يا رسول الله أمصه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله ﷺ . قال سهل بن عبد الله التستري ـ رضي الله عنه ـ أن صهيباً كان من المشتاقين لم يكن له قرار ، كان لا ينام بالليل وكان يقول أن صهيباً إذا ذكر النار طار نومه وإذا ذكر الجنة جاء شوقه وإذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها بعضهم على وجه آخر هو أنه ﷺ رآه يأكل قثاء ورطباً وهو أمرد إحدى عينيه فقال : أتأكل رطباً وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة . فضحك رسول الله ﷺ .

قال الحلبي : ولا مانع من التعدد أي لكل من القصتين ولما أذن ﷺ لأصحابه في الهجرة وخرج الناس أرسالاً متتابعين وهاجر أيضاً عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ واشتد الأذى على المستضعفين ومكث ﷺ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر أو من كان مستضعفاً محبوساً عند قريش وكان الصديق ـ رضي الله عنه ـ كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة الى المدينة فيقول : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أن يكون الصاحب هو النبي ﷺ وقد حقق الله رجاءه . وفي رواية للبخاري : استأذن أبو بكر النبي ﷺ في الخروج فقال له ﷺ على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك ؟ بأبي وأمي قال : نعم . فحبس أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ، ثم أن قريشاً لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا أنهم صار لهم أصحاب من غيرهم وأنهم أصابوا منعة لأن الأنصار قوم أهل حلقة أي سلاح وبأس حذروا خروجه ﷺ ، وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب .

قال الحلبي : دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب إلى المسجد أعدت للإجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلا إن بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي ، قد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته ، وكان اجتماعهم يوم السبت . ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمره ﷺ ، وكان المجتمعون مائة رجل ، وقيل : خمسة عشر. وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لأنه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني جمح وبين الحرث وبني كعب وبني تيم وبني عدي وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأي والحجا عنهم أحد ، وجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا : من الشيخ ؟ قال : من نجد سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأياً ونصحاً قالوا: أدخل فدخل وإنما تمثل في صورة شيخ نجدي لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل يعني النبي ﷺ قد كان من أمره ما رأيتم وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً فقال قائل وهو أبو البحتري بن هشام : أحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله . فقال النجدي : ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره . فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو العامري : ولم يعلم له إسلام : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله : والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى تبايعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأياً غير هذا فقال أبو جهل : والله إن لي فيه رأياً أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ثم يعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فنعقله لهم . فقال النجدي لعنه الله : القول ما قال لا رأي غيره.

فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل : إن قول أبي جهل الذي صوّبه إبليس أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفاً فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة إذ لا يمكن عشرين مثلا أن يضربوا شخصاً ضربة واحدة فقال لهم : خمسة رجال ثم أتى جبريل النبيﷺ فقال : لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه ، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أي يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة . قال الحافظ الدمياطي في سيرته : فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون القتل به ليلاً وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم ، فلا يتم لهم أخذ ثأره فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ علياً فنام مكانه وغطي ببرد لهﷺ بقولهﷺ : اتشح ببردي هذا الحضري الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكانﷺ ينام في برده ذلك إذا نام فكان علي ـ رضي الله عنه ـ أوّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول اللهﷺ لأنه امتثل أمر النبيﷺ قبل أن يقول له لن يخلص إليك شيء فصدق عليه أنه بالإمتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي ـ رضي الله عنه ـ :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إلَه خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإلَه من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقى وفي حفظ الإلَه وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وكان القوم في الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي ميعط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعهﷺ فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يس ﴾ الى قوله : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ثم انصرفﷺ . وفي رواية الإمام أحمد : حتى لحق بالغار أي غار ثور ، فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ، ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانياً فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل إنه إبليس في صورة النجدي فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً قال : قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً . وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على

رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطلعون فيرون علياً في الفراش مسجى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد عليه برده . قال الزهري : وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه . وذكر السهيلي : أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا ، وكان تسور الجدار ممكناً لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع في الظاهر ، والمانع في الحقيقة باطناً حمية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم وإظهار عجزهم ، فأقاموا بالباب يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ حتى يقوم في الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا قام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري . وصدق الله قول النبي ﷺ له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل : إنهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار عليّ في وجوههم فعرفوه فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري . وقيل : أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا : لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا . وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيراً لهذه النعمة قوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ الآية . ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة بقوله تعالى : ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ .

والحكمة في هجرته إلى المدينة أن تتشرف به الأزمنة والأمكنة والأشخاص لا أنه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم أنه قد تشرف بها لأن شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل - عليهما الصلاة والسلام - فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الإجماع على أن فضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش . قال السيد السمهودي : والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته ﷺ فهو منبع الخيرات .

وكان خروجه ﷺ من مكة أوّل يوم من ربيع الأوّل وقدم المدينة لإثنتي عشرة خلت منه وكان مدّة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة . قال صرمة بن قيس الأنصاري الصحابي - رضي الله عنه -

ثوي في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقي صديقاً مواتياً

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ روى الحاكم عن علي ـ رضي الله عنه ـ ان النبي ﷺ قال لجبريل : من يهاجر معي ؟ قال : أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدّي عنه الودائع التي كانت عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ للناس . قال ابن إسحق وليس أحد بمكة عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما يعلمون من صدقه وأمانته .

روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : بينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر ـ في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً أي مغطياً رأسه .
وفي رواية للطبراني : عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشياً ، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت : يا أبت هذا رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر فدا له أبي وأمي ، والله ما جاءني به في هذه الساعة إلا أمر حدث . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فدخ فتنحى أبوبكر :عن سريره وجلس عليه رسول الله ﷺ فقال ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال أبو بكر. إنما هم أهلك بأبي انت وأمي ، وذلك أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان أبوها قد عقد لها عليه ﷺ وأسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها ، فلا يخشى عليه منهما وقيل : إن قول أبي بكر بمنزلة قول الصديق حريمي حريمك وأهلي أهلك ، يعني أنا وأنت كالشيء الواحد . فقال ﷺ : قد أذن لي في الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الصحبة يا رسول الله . قال ﷺ : نعم . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فرأيت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يبكي وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله ﷺ : بل بالثمن .
وفي رواية قال : لا أركب بعيراً ليس هو لي . قال : فهو لك . قال : لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به . قال : أخذتها بكذا وكذا .
وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي ﷺ : انه يرجو الهجرة وإنما فعل النبي ﷺ ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه ـ عليه السلام ـ في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى ، وان تكون على أتم الأحوال وإلا فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قد أنفق ماله في حب الله تعالى ورسوله ﷺ ، فقد روى ابن حبان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أنفق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على النبي ﷺ أربعين

ألف درهم . وروى الزبير بن بكار عنها ـ رضي الله عنها ـ ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما مات ما ترك ديناراً ولا درهماً . وفي الصحيح ، قال ﷺ : ليس أحد من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر . وروى الترمذي ، مرفوعاً ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة . وروى ابن عساكر عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ إن أعظم الناس علينا مناً أبو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وإن خير المسلمين مالاً أبو بكر ، أعتق منه بلالاً وحملني الى دار الهجرة ، فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر ، وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى ﷺ ، بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه ، وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب . وفي رواية : شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بغار ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال ، وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت : والله إنك لأحب أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك اخرجوني ما خرجت منك ، رواه الامام أحمد والترمذي .

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ انه قال : ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك . وروى ابو نعيم عن ابن إسحق بلاغاً انه كان من قوله ﷺ أيضاً ، لما خرج مهاجراً : الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام ، اللهم أصحبني في سفري ، واخلفني في أهلي ، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني ، وعلى صالح خلقي فقومني ، واليك رب فحببني ، وإلى الناس فلا تكلني ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم ، الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين من أن يحل بي غضبك أو ينزل عليّ سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك ، وتحوّل عافيتك وجميع سخطك . لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة إلا بك . ولم يعلم بخروجه ﷺ إلا علي ـ رضي الله عنه ـ وآل أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ ومنهم عامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ لأنه مولى لأبي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه . روي انهما خرجا من خوخة في ظهر بيته

ليلاً . وروي أن أبا جهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا ، ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاهاوأسفلها وبعثوا القافة وهوة الذي يعرف الأثر في كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجدا الذي ذهب قبل ثور أثره هناك . فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور . ويروى انه قعد وبال في أصل شجرة هناك .

ثم قال ههنا انقطع الأثر ولا أدري أخذ يميناً أم شمالاً أم صعد الجبل

وفي رواية : قال لهم القائف : هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه إلا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش : ما وراء هذا شيء ، وشق على قريش خروجه ﷺ وجزعوا لذلك ، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّه عن سيره ذلك بقتل أو اسر ، ولله در الشيخ شرف الدين الأبوصيري ـ رضي الله عنه ـ حيث قال :

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحنّ جذع اليه اليه وقلوه وودّه الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

ولما دخل ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخادّ ويكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صدّ المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاءً وفاقاً لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل .والحماية في الحرم فلا يتعرّض له . وفي المثل آمن من حمام الحرم. ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهي العصي الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : ما لك ؟ فقال : رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر : أدخلوا الغار فقال أمية بن خلف : وما أريكم أي حاجتكم إلى الغار ؟ إنّ فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر ـ

رضي الله عنه ـ ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال : كلا إن ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا فعل هذا وقيل : إنّ القائف قعد وبال أيضاً .

وفي رواية : أنهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه النبيﷺ إلى آخر الحديث . روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا : لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود ، فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت ؟ فسدّت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمي على القائف الطلب ورحم الله القائل :

والعنكبوت أجادت حَوْك حلتها فما تخال خلال النسج من خلل

روي أن حمام مكة أظلتهﷺ يوم فتح مكة أيضاً فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال :هي جند من جنود الله . وقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلاً بمحبة النعكبوت حديثاً فقال فيه : أخبرنا والدي قال : وأنا أحبها قال : أخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله ﷺ أحبها ، ويقول : جزى الله العنكبوت عنا خيراً فانها نسجت عليّ وعليك يا أبا بكر في الغار ، حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا .

وأما ما يروى من حديث العنكبوت شيطان مسخ الله فاقتلوه ، فهو حديث ضعيف . نعم ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب :

ودود القزان نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت أجلّ منها بما نسجت على رأس النبي

وروي انهﷺ قال : اللهم أعم أبصارهم اي اجعلها كالعمياء عنا ، فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار ، وهذا يشير اليه قول صاحب البردة ـ رضي الله عنه ـ :

أقسمت بالقمر المنشق ان له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف ومن الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

يعني انهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله ـ عليه السلام ـ لأن عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه ـ عليه السلام ـ لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً فمهما أحسًا بالانسان فرا منه . وقد روي ان المشركين لما مرّوا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا : لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام، فلما سمع ﷺ حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت ، وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه . وان وقاية الله عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن باعالي من الأطم وهي الحصون . ولله درّ الأبوصيري من شاعر وما أحسن قوله أيضاً في قصيدته اللامية التي أولها :

إلى متى أنت باللذات مشغول ... وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

حيث قال فيها :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به ... كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ ... صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على ... وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها ... وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ... كأنّ أبصارهم من زيغها حول

وفي صحيح البخاري : عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : حدثني ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار . وفي رواية : فرفعت رأسي فرأيت أقدامهم فقلت له : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله ﷺ : ما ظنك باثنين الله

ثالثهما ؟ أي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته إليهما في المعية المعنوية المشار إليها بقوله : ان الله معنا .

قال بعض أهل السير : ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما قال ذلك قال له النبي ﷺ : لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته ﷺ العميمة ، وان كان الذي ذكره ما ذكر له اسناداً متصلا لكن حسن الظن بالأئمة يقتضي انهم لا يذكرون مثل ذلك إلا بتوقيف . وقد روي : أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال : نظرت الى قدمي رسول الله ﷺ قد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعوّد الحفاء والجفوة ، قيل : ان ذلك من خشونة الجبل وكان ﷺ حافياً ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الأرض ، وقيل : انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم .

وفي وبعض الروايات : أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يحمل النبي ﷺ على كاهله في بعض الطريق لشدّة محبته له ﷺ . وفي رواية : ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ، فسأله ﷺ عن ذلك فقال : اذكر الطلب فامشي خلفك ، واذكر الرصد فامشي امامك وعن يمينك وشمالك ، لا آمن عليك . فقال : لو كان شيء احببت ان تقتل دوني ؟ فقال : أي والذي بعثك بالحق ، ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال ليلة من ليالي ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ خير مما أعطي عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه ، فلما انتهيا الى الغار قال : مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار فاستبرأه ، وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله ﷺ ليقيه بنفسه خوفاً من أن يكون في الغار شيء من الهوام ويروى انه قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك ، فان كان فيه شيء نزل بي قبلك . فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى حجراً قطع من ثوبه وألقمه الحجر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي حجر فوضع عقبه عليه . ويروى فألقمة أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ لاشتهاره بكونه مسكن الهوام . ثم بعد استبرائه قال لرسول الله ﷺ : أدخل فاني سوّيت لك مكاناً ، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ونام وسد أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما بقي من ثقوب الغار برجليه فلدغ في رجله من الحجر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى ﷺ .

وفي رواية : فجعلت الحيات والأفاعي تلسعنه وجعلت دموعه تتحدّر من ألم لسعها ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فاستيقظ وقال : ما لك يا أبا بكر ؟ قال : لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده . وفي رواية : فلما أصبحا رأى رسول الله ﷺ على أبي بكر أثر الورم ، فسأله فقال : من لدغة الحية : فقال : هلا أخبرتني ؟ قال : كرهت أن أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم . وفي رواية لأبي نعيم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ فلما أصبح قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أين ثوبك ؟ فأخبره بالذي صنع فرفع يديه ، وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة . فأوحى الله اليه قد استجبنا لك . وفي رواية ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال له ﷺ رحمك الله صدّقتني حين كذبني الناس ، ونصرتني حين خذلني الناس ، وآمنت بي حين كفر بين الناس ، وآنستني في وحشتي . قال الزرقاني : والظاهر كما قال شيخنا يعني الشبراملسي انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن إذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتي لهما بالغار كابنه وابن فهيرة . ويروى أيضاً أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما دخل الغار أصاب يده شيء ، فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول :

هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق ـ رضي الله عنه ـ وقد تمثل به النبي ﷺ إذ أصابه حجر فدميت اصبعه والممتنع عليه ﷺ إنما هو إنشاء الشعر لا إنشاده . ثم إن هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ ويروى أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن ، كل ذلك خوفاً على رسول الله ﷺ . وقال : إن قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الأمة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر ، وإن هلكت أنت هلكت الأمة بهلاك الدين ، فعند ذلك قال له رسول الله ﷺ : لا تحزن إن الله معنا يعني بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى ، وليس المراد بالعلم فقط ، لأن ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ السكينة أمنة اي حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأمنها مما تكرهه وقوله : عليه الضمير عائد على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ المعبر عنه بقوله صاحبه في قول الأكثر .

قال البيضاوي : وهو الأظهر لأنه كان منزعجاً لا على النبي ﷺ ، لأنه لم تزل السكينة معه . قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقوله : وأيده الضمير عائد على النبي ﷺ بجنود لم تروها يعني الملائكة اي ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتأمل بعين البصيرة في أمر المصطفى ﷺ وشفقته على الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما علم النبي ﷺ حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول ﷺ قلبه ببشارة : ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ وكانت تحفة النبي ﷺ أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهو الثاني في الإسلام ، والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لأنه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظاً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلما وقى الرسول ﷺ بماله ونفسه ، جوزي بمؤازرته معه في رمسه ، وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الأمصار : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ وكفى للصديق بهذا شرفاً . ولقد أحسن حسان ـ رضي الله عنه ـ حيث قال له النبي ﷺ : هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ قال : نعم . قال : قل وأنا اسمع فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوّ به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت . وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ انه قال لجماعة : أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل : أنا اقرأ ، فلما بلغ : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ بكى ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : والله انا صاحبه . وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ رآني رسول الله ﷺ أمشي أمام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا ابا الدرداء ، تمشي أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة ؟ فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أتاني جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ حب أبي بكر واجب على أمتي . قال بعضهم : وتأمل قول موسى ـ عليه السلام ـ لبني اسرائيل : ﴿ كلاً ان معي ربي سيهدين ﴾ وقول نبينا ﷺ للصديق : ﴿ إن الله معنا ﴾ فقدم المسند اليه للاشارة إلى انه لا يزول عن الخاطر لشدّة التعلق به أو لأنه يستلذ به لكونه محبوباً للعباد إذ لا انفكاك لأحد عن الاحتياج إليه أو لتعظيمه بوصفه بالألوهية لأن سائر

صفات الكمال تتفرع عليه موسى ـ عليه السلام ـ خص نفسه بشهود المعية له وحده ، ولم يتعد ذلك الشهود الى أتباعه حيث قال : ان معي ربي ، ونبيناﷺ تعدّى منه شهوده الى الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال : معنا لأنه أمدّ الصديق ـ رضي الله عنه ـ بنوره فشهد سرّ المعية ، ومن ثم سرى سر السكينة الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وإلا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود إذ ليس في طوق البشر ذلك الثبوت إلا بذلك الإمداد ، وفرق بين معية الربوبية في قصة موسى ـ عليه السلام ـ ومعية الألوهية في قصة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فانه في قصة موسى قال : ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والإصلاح وقال في قصة نبيناﷺ : إن الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال ، وكان مكثهﷺ مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما في الغار عبد الله بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ وهو غلام شاب ثقف أي فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر إلى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدّة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به أي يطلب لهما فيه المكروه إلا حفظه ، حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ مولى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ يرعى غنماً لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء ، فيحلبان ويشربان . ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث وكان عامر ـ رضي الله عنه ـ أميناً مؤتمناً حسن الإسلام ، وكان ممن يعذب في الله ، فاشتراه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقه ، واستشهد ببئر معونة في حياة النبيﷺ .

وفي بعض الروايات : ان اسماء ـ رضي الله عنها ـ كانت تأتيهما من مكة ، إذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول اللهﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلاً وهو على دين كفار قريش ، فسخره الله لهما ليقضي الله أمره ، ولم يعرف له إسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث . وفي رواية الزهري : حتى أذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل . وفي رواية : فأجازهما أسفل مكة ثم

مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إذا سأله سائل عن النبي ﷺ من هذا الذي معك يقول هاد يهديني الطريق ! وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يكثر الأسفار للتجارة فكان معروفاً عندهم والنبي ﷺ لكونه قليل الأسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دون النبي ﷺ فيسأله عنه فيجيبه بقوله : هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بلاكم إلا ويوري في كلامه . ويروى ان النبي ﷺ قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أله الناس أي اشغل الناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب اي ولو صورة كالتورية ، فكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يجيبهم بنحو ما تقدم . وفي الصحيحين : أنهم مروا بصخرة فنام النبي ﷺ في لهاظ ورأى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ راعياً معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى قام ﷺ فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ، وهي معدودة من الصحابيات ـ رضي الله عنها ـ لأنها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية ، تختبىء بفناء القبة ثم تسقي وتطعم من يمر بها ، وكان القوم مرملين مسنتين أي مقحطين فطلبوا منها لبناً أو لحماً أو تمراً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً وقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا القرى ، فنظر ﷺ الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسألها ﷺ : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك تريد أنها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : نعم . بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً أي لبناً في الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجليها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء فجيء له بإناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحل فيه ثجاً أي حلباً قوياً ، وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم وقال : ساقي القوم آخرهم شرباً ، ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللاً بعد نهل أي ثانياً بعد الأول ثم حلب ثالثاً وتركه عندها .

وفي رواية ، قال لها : إرفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك ثم ركبوا واذهبوا . وفي بعض الروايات : انها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراماً له ﷺ فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها ﷺ هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقي أكثر لحمها عند أم معبد ، وبقيت الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه اكتم بن أبي الجون الخزاعي ـ رضي

الله عنه ـ فإنه أسلم بعد ذلك ، قال السهيلي : وله رواية عن النبيﷺ ، وهوفي في حياته أقبل يسوق غنماً عجافاً فلما رأى اللبن عجب وقال : ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت ؟ فقالت : انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، أي رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة : فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أي كامل الحسن في عينيه دعج وفي أشفاره وطف أي طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع أي طول ، وفي لحيته كثاثة إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن ، حلو المنطق لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس إذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم واحسنهم من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً أو أحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به أي يستديرون حوله إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا لأمره محفود أي مخدوم محشود أي عنده قوم ، لا عابس ولا مفند أي ليس كثير اللوم فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته .

وفي رواية : ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً وما زالت قريش تطلب النبيﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنهﷺ ووصفوه لها فقالت : ما أدري ما تقولون قد صادفني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريده ثم أسلمت ـ رضي الله عنها ـ وهاجرت . قال السيد السمهودي في الوفاء : هاجرت هي وزوجها وأسلما . وفي خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد في أثرهم ليسلم فيقال إنه أدركهم ببطن ريم ، فبايعه وانصرف . وفي شرح السنة للبغوي: هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك . روى ابن إسحق عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ انها قالت لما خفي علينا أمر رسول اللهﷺ ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت إليهم فقال : أين أبوك يا أبنة أبي بكر ؟ فقلت : والله لا أدري أين أبي . فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة واحدة خرج منها قرطي . ثم انصرفوا . قالت : ولما لم ندر أين توجه رسول اللهﷺ أتى رجل بعد ثلاث ليال . وفي رواية خمس ليال يغني بأسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل : إنه من الجن وقيل سمعوا هاتفاً على أبي قبيس وهو ينشد هذه الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم أن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها الحالب ... يردّدها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء ـ رضي الله عنها ـ فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه ﷺ ورحم الله الأبوصيري حيث يقول :

وتغنت بمدحه الجن حتى ... أطرب الإنس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ قال حسان ـ رضي الله عنه ـ بعد إسلامه مجيباً للأبيات :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجده
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمي وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في قوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جدّه ... بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد ، تعرّض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ـ رضي الله عنه ـ فإنه أسلم بالجعرانة عند منصرفه ﷺ من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كناني حجازي ، وسبب تعرضه لهما ما

رواه البخاري عنه قال : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر - رضي الله عنه - دية أي في كل واحد منهما لمن قتله وأسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت .

قال أبو بكر - رضي الله عنه - تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال : لا تحزن إن الله معنا ، وكان النبي ﷺ لا يلتفت وأبو بكر - رضي الله عنه - يكثر الإلتفات قال : فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة ؟ قلت : هذا الطلب قد لحقنا وبكيت . قال ﷺ ما يبكيك ؟ قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك . فقال ﷺ : اللهم اكفناه بما شئت . وفي رواية : اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين . وفي رواية : الى بطنها فطلب الأمان . وفي رواية : انه سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانياً وقرب حتى سمع قراءة النبي ﷺ فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالأمان قال : وكنت أرجو أن اردّه فآخذ المائة الناقة ، وروي في بعض التفاسير : أنه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الأرض . وجاء في رواية : أن سراقة لما دنا من النبي ﷺ صاح وقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ فقال النبي ﷺ : يمنعني الجبار الواحد القهار . ونزل جبريل - عليه السلام - وقال : يا محمد إن الله عز وجل يقول جعلت الأرض مطيعة لك فأمرها بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : يا أرض خذيه ، فأخذت الأرض أرجل جواده الى الركب ، فساق سراقة فرسه فلم يتحرك ، فقال : يا محمد الأمان لو أنجيتني لأكونن لك لا عليك . فقال : يا أرض أطلقيه فأطلقت جواده ، فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال : أنا سراقة . انظروني اكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وأنا أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا الي . وفي رواية : قد علمت يا محمد أن هذا من دعائك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن أردّ الناس عنكما ولا أضركما . وفي رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار . ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع وردّاهم عنكم . قال : فوقفا لي

ودعا له ﷺ أن الله ينجيه مما هو فيه . قال : فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت انه سيظهر أمر رسول الله ﷺ . قال : فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لن يحصلهما .

وفي رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وأن يكتم عنهم ثلاث ليال قال : وعرضت عليهما الزد والمتاع فلم يرزآني اي لم ينقصاني مما معي شيئاً . وفي رواية قال : هذه كنانتي فخذ منها سهماً فانك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك ، فقال : لا حاجة لنا في إبلك ودعـا له . وفي رواية : عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله ﷺ : يا سراقة ، إذا لم ترغب في دين الإسلام فاني لا أرغب في إبلك ومواشيك ، وفي رواية : ولم يسألاني شيئاً إلا أن قال : أخف عنا . قال : فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم . وفي رواية : إني لأعلم أن سيظهر أمرك في العالم ، وتملك رقاب الناس فعاهدني إني إذا أتيتك يوم ملكك تكرمني ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له . وفي رواية لأنس - رضي الله عنه - فقال : يا نبي الله مرني بما شئت . قال : تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا ، فكان أوّل النهار مسلحة له أي حارساً له بسلاحه . وفي رواية : أنه قال للقوم لما رجع اليهم : قد عرفتم نظري بالطريق وبالأثر ، وقد استبرأت لكم فلم أر شيئاً فرجعوا .

وجاء في الحديث : من تمام القصة ان النبي ﷺ قال لسراقة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ وفي رواية : إذا تسوَّرت بسواري كسرى ؟ قال كسرى بن هرمز ، قال نعم ، فعجب من ذلك فما آتى بهما في خلافة عمر - رضي الله عنه - وبتاجه ومنطقته وكان عمر - رضي الله عنه - قد سمع بوعد النبي ﷺ لسراقة من أبي بكر - رضي الله عنه - فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقاً لهذه المعجزة وإظهاراً لها وقال : ارفع يديك وقال : الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعـرابياً من بنـي مدلج . ورفع عمر - رضي الله عنه - صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين ،ومما جيء به لعمر - رضي الله عنه - مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعاً في سيتن ذراعـاً منظوماً باللؤلؤ والجواهر الملوّنة على ألوان زهر الربيع ، كان يبسطه في إيوانه ويشرب عليه إذا عدمت الزهور فقطع عمر - رضي الله عنه - البساط وقسمه على المسلمين فأصاب علياً - رضي الله عنه - قطعة باعها بخمسين ألف دينار ، وفي القصة أيضاً انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته . قال سراقة : فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ

من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب ، فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب ، فقلت : يا رسول الله هذا كتابك ، قال : يوم وفاء وبرّ ، ادنه فدنوت منه وأسلمت . وفي رواية عن سراقة ـ رضي الله عنه ـ إلى قومي فأتيته فقلت : أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا وإلا آمنت منهم . فأخذﷺ بيد خالد فقال : اذهب معه فافعل ما يريد . فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ الآية ، فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم .

قال ابن إسحق : ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقة لامه في تركهم . وفي رواية : ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فأنكر أنه رأى محمداًﷺ فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل في تركهم فأنشده سراقة :

أبا حكم والـلات لو كنـت شاهدا لأمـر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمـت ولـم تشـكك بأن محمداً رسـول ببرهـان فمـن ذا يقاومه
عليك بكف القـوم عنـي فانني أرى أمـره يومـا ستبـدو معالمه

والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله :

غرت سارقـة أطماع فسـاخ به جواده فانثنـى للصلـح مطلبا

وقال صاحب الهمزية :

فاقتفـى أثـره سراقـة فاستهـ ـوته في الأرض صافـن جرداء
ثم ناداه بعـد ما سمعـت الخسـ ـف وقـد ينجـد الغـريق النداء

واجتازﷺ في طريقه ذلك بعبد يرعى غنماً فاستسقاه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ اللبن فقال : ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت عام أوّل وما بقي لها لبن . فقال : ادع بها فدعا بها فاعتقلهاﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت . وجاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بمحجن وهو الترس فحلبﷺ فسقى أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك . قال : أو

تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم . قال : فاني محمد رسول الله . قال : أنت الذي تزعم قريش انه صابىء ؟ قال : انهم ليقولون ذلك . قال : اشهد انك نبي وأن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك إني قد ظهرت فأتنا .

ومما وقع لهم في الطريق انهﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين فكسا الزبير ـ رضي الله عنه ـ رسول اللهﷺ ثياباً بيضاء وكذاً لقي طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ النبيﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فكساهما .

وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ قال : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبيﷺ حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم فلقيتهﷺ فقال : من أنت ؟ قلت : بريدة . فالتفت رسول اللهﷺ الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : برد أمرنا وصلح . ثم قال : ممن أنت ؟ قلت : من أسلم . قال : سلمنا . ثم قال : ممن ؟ قلت من بني سهم قال : خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبيﷺ : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله . فقال بريدة : اشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين . فلما أصبح قال بريدة : يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ، ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة . ولما سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول اللهﷺ من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونهﷺ حتى يردهم حر الظهيرة . وكان خروجهم ثلاثة أيام وهي المدّة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار ، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس ، وإذا رجل من اليهود صعد على لطم أي محل مرتفع من آطامهم اي من محالهم المرتفعة لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول اللهﷺ وأصحابه مبيضين أي لابسين ثياباً بيضاء وهي التي كساهم إياها الزبير وطلحة في الطريق . فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال بأعلى صوته : يا معشر العرب . وفي رواية : يا بني قيلة ، وهم الأنصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرونه .

وفي رواية : لما دنوا من المدينة بعثوا رجلاً من أهل البادية الى أبي أمامة اسعد بن

زرارة وأصحابه من الأنصار ، ولا مانع من الأمرين . فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهو مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما : ادخلا آمنين مطمئنين . وفي رواية فاستقبله ﷺ زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا : اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف ، وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل ، وكان نزوله ﷺ عند كلثوم بن الهدم ، لأنه كان شيخ بني عمرو بن عوف ، وهم بطن من الأوس ، وكان كلثوم يومئذ مشركاً ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ وتوفي قبل غزوة بدر بيسير ، وقيل أسلم قبل وصوله ﷺ المدينة وعند وصوله ﷺ نادى كلثوم ، يا نجيح لغلام فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ نجحت يا أبا بكر ، وكان ﷺ يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد ابن خيثمة لأنه كان عزباً لا أهل له هناك ، وكان منزله يسمى منزل العزاب . وبهذا يجمع بين قول من قال : نزل على كلثوم ومن قال : نزل على سعد بن خيثمة ، ونزل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ .

ولما توجه ﷺ المدينة أمر علياً ـ رضي الله عنه ـ أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام علي ـ كرم الله وجهه ـ بالأبطح ينادي : من كان له عند رسول الله ﷺ وديعة فليأت تؤدّى اليه أمانته . فلما نفذ ذلك ، ورد عليه كتاب رسول الله ﷺ بالشخوص اليه ، فابتاع ركائب ، وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ، ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبي ﷺ وكان علي ـ رضي الله عنه ـ في طريقه يسير الليل ويكمن النهار ، حتى تفطرت قدماه . ولما وصل اعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ، وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ، ولا مانع من وقوع ذلك من علي ـ رضي الله عنه ـ مع وجود ما يركبه لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً رغبة في عظيم الأجر .

وسري السرور الى القلوب بوصول النبي ﷺ قال البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ . وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير أي الأسطحة عند قدومه ، يعلن بقولهنّ طلع البدر علينا الخ . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهراً :

طلـع البـدر علينا من ثنيات الوداع
وجـب الشـكر علينا ما دعـا لله داعي
أيهـا المبعـوث فينا جئـت بالأمـر المطاع

ولما استقر رسول الله ﷺ قام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ للناس وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر وإن كان النبي ﷺ أسنّ منه فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فيعرّف بالنبي ﷺ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يردان تظليل الغمام يغني عن تظليل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لأن ذلك كان قبل البعثة إرهاصاً لنبوته ﷺ ولم ينقل احد وقوع ذلك بعد البعثة ٠ وكان خروجه ﷺ من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وقيل : كان لبثه بضع عشرة ليلة ، وأسس ﷺ بقباء المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ، وهو الذي نزلت فيه الآية ، وقيل إنه مسجد المدينة . وروى كل منهما في أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بأن كل منهما يسمى المسجد الذي أسس على التقوى .

وروى الطبراني : عن الشموس بنت النعمان ـ رضي الله عنها ـ قالت : نظرت الى رسول الله ﷺ حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتي الرجل من أصحابه فيقول : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكفيك فيقول : لا حتى أسسه ، وجاء انه ﷺ لما أراد بناءه قال : يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجراً فوضعه . ثم قال ﷺ : يا أبا بكر ، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجري ثم قال : يا عمر خذ حجراً فضعه الى جنب حجر أبي بكر . ثم قال : يا عثمان خذ حجراً فضعه الى جنب حجر عمر ، قال بعضهم : كأنه أشار الى ترتيب الخلافة . وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة ، وكان ﷺ بعد تحوّله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ، ماشياً تارة وراكباً أخرى فيصلي فيه . وقال ﷺ : من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة . ولما نزل قوله تعالى : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ أرسل رسول الله ﷺ يسألهم عن ذلك فقال : ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به ؟ فقالوا : يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط إلا غسل فرجه اي بعد الاستنجاء بالأحجار . وفي رواية : ثم نتبع الأحجار الماء . فقال : هو هذا زاد في

رواية : ولا نام الليل كله على الجنابة .

ولما ركبﷺ وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماشٍ وراكب ، ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصاً على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له ، حتى دخل المدينة الشريفة . وصار الخدم والصبيان يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، ولعبت الحبشة بحرابها فرحاً برسول الله ﷺ وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء : يا رسول الله أخرجت ملالاً لنا أو تريد داراً خيراً من دیارنا ؟ قال : اني أمرت بقرية تأكل القرى اي تغلبها وتقهرها ، والمراد أن أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم ، فخلوا سبيلها ، يعني ناقتهﷺ ثم أدركته صلاة الجمعة في مسجد بني سالم بن عوف ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين ، وكانوا مائة وهي أوّل جمعة صلاها ﷺ بالمدينة ، وخطب بها وهي أوّل خطبة خطبها في الإسلام . ومن خطبهﷺ تلك ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزيء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته . وفي رواية : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ثم ركبﷺ بعد صلاة الجمعة متوجهاً الى المدينة وهو مردف أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ خلفه إكراماً له وإلا فقد كانت له راحلة ، ولما ركبﷺ أرخى لناقته زمامها وهي تنظر يميناً وشمالاً ، وكلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه المقام عندهم يقولون : يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة ، فيقول خلو سبيلها يعني ناقته فانها مأمورة .

وفي ذلك حكمة بالغة هي أن يكون تخصيصه ـ عليه السلام ـ لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك في صدر أحد منهم شيئاً . ولما مرّ على بني سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا : يا رسول الله ؛ أقم عندنا في العز والثروة والمنعة . وفي رواية : انزل فينا ، فان فينا العدد والعدّة والحلقة أي السلاح ، ونحن أصحاب الحلائف والدرك ، كان الرجل من العرب يدخل هذه الهجرة خائفاً فيلجأ الينا . فقال لهم خيراً وقال لهم : خلوا سبيلها ،يعني ناقته فانها مأمورة ،وهوﷺ متبسم ويقول : بارك الله فيكم . فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة

ابن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم فأجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها ، حتى وردت دار بني ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم يخلوا سبيلها فأنها مأمورة ، فانطلقت حتى مرت بدار بني النجار وهم أخواله ﷺ اي أخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدي بن النجار بمثل ما تقدم . وفي رواية : انهم قالوا له ﷺ : نحن أخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوز لغيرنا يا رسول الله ، ليس أحد من قومك أولى بك منا لقرابتنا . فأجابهم بمثل ما تقدم وبانها مأمورة . فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك في محل المسجد أو محل بابه او منبره عند دار بني مالك بن النجار ، وكان ذلك الموضع الذي بركت فيه مربد السهل وسهيل ابني رافع ابن عمرو والمريد الموضع الذي يجفف فيه التمر وقيل : كل شيء حبست فيه الإبل او الغنم ثم ثارت ، وهو ﷺ حتى بركت على باب أبي أيوب خالد بن زيد الانصاري وهو من بني مالك بن النجار ، ثم ثارت وبركت في مبركها الأول عند المسجد .

وقال الحافظ ابن حجر : أشارت الى أنه منزله حياً وميتاً ، وألقت جرانها بالأرض يعني باطن عنقها وازرمت يعني صوتت من غير أن تفتح فاها ، ونزل عنها ﷺ وقال : هذا المنزل إن شاء الله . واحتمل ابو أيوب رحله باذنه ﷺ وأدخله بيته ر ه زيد بن حارثة ، وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده ـ عليه السلام ـ فأكرمهم الله بنزوله ﷺ عندهم . وفي رواية : انها استناخت به أولاً فجاء ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله . فقال : دعوها ، فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحت ، فنزل عنها . وقال : رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين أربع مرات ، وأخذه الذي كان يأخذه عند الوحي وسري عنه فقال : هذا ان شاء الله يكون المنزل ، فأتاه أبو أيوب فقال : إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك . قال : نعم . فنقله وأناخ الناقة في ظلاله . فلما نقل رحله قال ﷺ : المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته ﷺ ، فكانت عنده . قال أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ لما نزل على رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكنت في العلو .

وفي رواية : لما نزل ﷺ في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وأم أيوب في العلو ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل . فقال : يا أبا أيوب إن الأرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت . فكان النبي ﷺ في سفله

وكنـا فوقـه في المسـكن . فلما خلـوت الى أم أيوب يعني زوجتـه قلـت لها : رسـول الله ﷺ أحـق بالعلـو منـا تنـزل عليه الملائـكة وينـزل عليه الوحـي ، فما بت تلك الليلة لا أنام ولا أم أيوب بحالـة هنيئـة ، بل بشر ليلـة تلك الفـكرة . وفي رواية أن أبا أيوب انتبـه ليلاً فقـال : نمشي فوق رسـول الله ﷺ فتحوّلـوا وباتـوا في جانب . زاد في رواية : فلقد انكر لنا حب فيه ماء فقمت انا وأم أيوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوّفاً أن يقطر على رأس رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه . فلما قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب ، قال : لم يا أبا أيوب ؟ قلت : كنت أحق بالعلو منا ، تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي . فقال ﷺ : السفل أرفق بنا . قلت : لا يكون ذلك والذي بعثك بالحق ، لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً . زاد في رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرّع اليه ﷺ حتى تحوّل الى العلو وأبو أيوب في السفل .قال أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوماً بعشائه وقد جعلنا فيه بصلاً أو ثوماً فردّه ولم أر ليده فيه أثراً ، فجئته فزعاً فسألته فقال : اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه ، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وهذا لا ينافي أن الطعام كان يأتيه أيضاً من غير أبي أيوب . فقد ورد انه ما من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثـة والأربعة يحملون اليه الطعام ، وأن جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة . واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه ـ عليه السلام ـ في بيوت أزواجه ، وان أوّل هدية دخلت عليه ـ عليه السلام ـ في بيت أبي أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه ﷺ وقال : يا رسـول الله أرسلـت بهـذه القصعة اليك أمي . فقال : بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن إسحـق أن هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه له ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبّع الحميري ، لما مر بالمدينة في رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم .

روى ابن عساكر : انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب ، وكان في مائة ألف وثلاثين ألفاً من الفرسان ، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرجالة . ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها ، فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا : ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد ﷺ ، فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي ﷺ ، وببناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار ،

واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه ، وأعطاهم عطاء جزيلاً وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه . وكتب كتاباً للنبي ﷺ فيه إسلامه ومنه :

شهـدت على أحمـد أنه رسـول من الله باري النسم
فلـو مدّ عمـري الى عمره لكنـت وزيراً له وابـن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي ﷺ ان ادركه ، وإلا لمن يدركه من ولده وولد ولده أبداً الى حين خروجه . وكان في الكتاب ، انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ، ومن موته الى مولده ﷺ ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فتداول الدار التي بناها تبع للنبي ﷺ الملوك الى أن صارت لأبي أيوب ، وهو ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ، ولما خرج ﷺ أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى ، فلما رآه ﷺ قال له : أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الأوّل ؟ فبقي أبو ليلى متفكراً ولم يعرف رسول الله ﷺ ، فقال : من أنت ؟ فاني لم أر في وجهك أثر السحر ، وتوهم أنه ساحر ، فقال : أنا محمد ، هات الكتاب . فلما قرأه قال : مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات . قال ابن اسحق :وأهل المدينة الذين نصروه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ولد أولئك العلماء الأربعمائة وهم الأوس والخزرج ، فعلى هذا إنما نزل ﷺ في منزل نفسه لا في منزل غيره . وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : شهدت يوم دخول النبي ﷺ فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه ﷺ المدينة ، وخرجت جويريات من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحـن جوار من بنـي النجار يا حبـذا محمـد من جار

فخرج اليهنّ رسول الله ﷺ قال : أتحببنني ؟ قلن : نعم يا رسول الله . فقال : الله يعلم أن قلبي يحبكن . وفي رواية : وأنا والله أحبكنّ ،قال ذلك ثلاثاً وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق ينادون : جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله ﷺ .

وجاء في رواية : أنّ ناقته ﷺ حين بركت في دار بني النجار أي محلتهم جاء رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر ـ رضي الله عنه ـ وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل ، وجاء انه ﷺ قال : خير دور الأنصار بنو النجار ،ثم بنو عبد الأشهل ،ثم بنو الحرث ،ثم بنو ساعدة . وفي كل دور الأنصار خير .

ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ وكان من بني ساعدة ، وجد في نفسه . وقال : خلفنا فكنا آخر الأربع أسرجوا إليّ حماري ، فأتى رسول الله ﷺ فكلمه ابن أخته سهل فقال : أتذهب لرسول الله ﷺ لترد عليه ورسول الله ﷺ اعلم وليس حسبك أن تكون رابع أربع ، فرجع وقال : الله ورسوله اعلم ، وامر بحماره ان يفك عنه سرجه . وفي رواية : قال له : اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله ﷺ دارك في الدور الأربع التي سمي وما لم يسمّ اكثر مما سمي . فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله ﷺ . ومكث ﷺ في دار ابي أيوب سبعة أشهر ألى أن بنى المسجد وبعض مساكنه ، ولما تحوّل رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحوّل المهاجرون فتنافس فيهم الأنصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من الأنصار إلا بقرعة بينهم ، وكان المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم . ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ بالحمى .

روى النسائي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما قدم النبي ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ ، وأصابت الحمى ابا بكر وبلالاً وعامر بن فهيرة ، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . فأذن لي فدخلت عليه وهم في بيت واحد فقلت : يا أبت ، كيف تجدك ، ويا بلال كيف تجدك ،وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إذا أخذته الحمى يقول : اذا قيل له كيف تجدك ؟

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت : فقلت إنا لله إن أبي يهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرى مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت : هذا والله ما يدري ما يقول ، أي لأنها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلاً في الحث على حفظ الحرم ، وكان بلال

إذا أقلعت عنه الحمى يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته وقلت : يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى ، فنظر الى السماء وقال : اللهم حبِّب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا وصححها لنا ، وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها ! حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها وقد تكرّر دعاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها .

قال العلامة الزرقاني : والظاهر ان الإجابة حصلت بالأوّل والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المدّ بها ما لا يكفيه بغيرها ، وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة ، والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حم ولا يمر بها طائر إلا حم وسقط . قال الزرقاني : والذي نقل عنها سلطان الحمى وشدّتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة لما نقل شيئاً واستجاب الله لرسوله ﷺ فسكن حب المدينة في قلوب أصحابه حتى قال عمر ـ رضي الله عنه ـ اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، فاستجاب الله دعاءه ـ رضي الله عنه ـ فرزقه الشهادة على يد أبي لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه ﷺ . قال السهيلي : بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جلبت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه .

وقد جاء في حديث أصيل الغفاري : انه قدم من مكة فسألته عائشة ـ رضي الله عنها ـ كيف تركت مكة يا أصيل ؟ فقال : تركتها حين ابيضت أباطحها ، وأحجن ثمامها ، واغدق اذخرها ، وأبشر سلمها ، فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال : تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر ، وكان ﷺ قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ، ولما أراد ﷺ بناء المسجد الشريف قال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم أي بستانكم اي اذكروا لي ثمنه

لاشتريه منكم . قالوا : لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، فأبى ذلكﷺ وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير ، أدّاها من مال أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وكان من جملة محل مسجدﷺ مسجد لأبي أمامة أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربداً للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو هما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقيل : في حجر أسعد بن زرارة ، وجمع بانه كان في حجرها وبعض منه كان حائطاً اي بستاناً فيه نخل ، وبعض منه كان خرباً ، وبعض منه كان فيه قبور ، وبهذا جمع بين الأحاديث التي في بعضها أن موضع المسجد كان مربداً . وفي بعضها : كان بستاناً . وفي بعضها : كان مسجداً لأسهد بن زرارة ، الى غير ذلك . فأمرﷺ بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت ، وبالخرب فسويت بإزالة ما كان فيها ، وبالنخل فقطعت ، وجعلت عمداً للمسجد . ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريدة وجعلت عمدة خشب النخل .

روى محمد بن الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب ، لما أراد رسول اللهﷺ ان يبني المسجد قال : ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى ، والأمر أعجل من ذلك قيل : وما ظلة موسى ؟ قال : كان إذا أقام أصاب رأسه السقف ، فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول اللهﷺ . قال بعضهم : ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع ، فهو تشبيه تام لأنه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع . وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول اللهﷺ قال : لما بنى رسول اللهﷺ مسجد المدينة وضع حجراً ثم قال : ليضع ابو بكر حجره الى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر ابي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ، ثم ليضع علي . ففيه إشارة الى ترتيبهم في الخلافة ـ رضي الله عنهم ـ بل صرح به في رواية : انه سئل عن ذلك فقال : هؤلاء الخلفاء بعدي . قال الإمام أبو زرعة : اسناده لا بأس به ، فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه .

وفي رواية : هؤلاء ولاة الأمر بعدي ، وأما ما اشتهر من أن النبيﷺ لم يستخلف ، فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته ، وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ، ولا ينافي قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدي ، لأنه ليس نصاً لجواز أن يراد الخلافة في العلم والإرشاد وأيضاً لما كان قوله ذلك متقدماً على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت ، لم يكن نصاً سالماً من المعارضة . ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الإشارة .

ثم قال للناس: ضعوا أي الحجارة فوضعوا، وعمل المسلمون في بناء مسجده ﷺ وهو ﷺ معهم ، وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر - رضي الله عنه - ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ قال : إني أريد من الله الأجر فمسح ﷺ التراب عن ظهره وقال له : للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية ، فكان كما أخبر ﷺ .

فقد أخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن أبي سنان الدؤلي الصحابي - رضي الله عنه - قال : رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب ، فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال : صدق الله ورسوله ، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه . ان رسول الله ﷺ قال : ان آخر شيء تزوده من الدنيا شربة لبن ، والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل يعني لقوله ﷺ وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل - رضي الله عنه - ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة .

روى البخاري في صحيحه : انه ﷺ كان ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل الـٰـن قول عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - :

هذا الحمال لا حمـال خيبر هذا أبـرّ ربنـا وأطهر

ويقول أيضاً قول عبد الله بن رواحة :

اللهـم إن الأجـر أجـر الآخرة فارحـم الأنصـار والمهاجرة

وأصل البيت لا هم الخ . وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الأنصار وبعده :

وعافهـم من حرّ نار ساعره فانهـا لكافـر وكافرة

والتمثيل بشيء من الشعر ليس يمتع إنما هو إنشاء لا إنشاد . ووضع النبي ﷺ يوماً رداءه وهو يعمل ، فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ، ويقولون :

لئـن قعدنـا والنبـي يعمل ذاك اذن للعمـل المضلل

ويروى :

لذاك منا العمل المضلل

وروى البيهقي عن الحسن : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ، أعانه أصحابه وهو معهم ، يتناول اللبن حتى اغبرّ صدره الشريف ﷺ وكان عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - رجلاً متنطعاً أي متأنقاً مترفهاً ظريفاً ، وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه ، فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأنشد يقول :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعناً على عثمان - رضي الله عنه - فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرجز به ولا يدري من يعني به . فمرّ بعثمان بن مظعون فقال: يا ابن سمية لأعرفنّ بمن تعرّض ومعه حديدة فقال : لتكفن أو لأعترضنّ بها وجهك . فسمعه ﷺ فغضب . ثم قالوا لعمار إن رسول الله ﷺ قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال : أنا أرضيه كما غضب . فقال : يا رسول الله ما لي ولأصحابك ؟ قال : ما لك ولهم . قال : يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون عليّ لبنتين ، فأخذ ﷺ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول : يا ابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك ، تقتلك الفئة الباغية . وقوله : يحملون علي الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي ﷺ . وجعل ﷺ قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتاً الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان - رضي الله عنه - فأتناول سقفها بيدي . وعن الواقدي قال : كان لحارثة بن النعمان - رضي الله عنه - منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ ، وكان ﷺ بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة ، فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن ، وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان - رضي الله عنه - وزينب

أخرت عند زوجها أبي العاص بن الربيع حتى أسر ببدر ، فلما منّ عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم ابي بكر وعائشة وأسماء ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال أبي بكر ونزل آل النبي ﷺ عندنا ، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته فأدخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ، ذكره الطبراني |وأما عائشة ـ رضي الله عنها ـ فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه ﷺ بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار .

قال السهيلي : لنذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشدّ أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة ، أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم إخوة ، وأنزل الله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ اي في التوادد ،وشمول الدعوة : وكان جملة الـذين/آخى بينهم تسعين ، خمسة وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصـار وكانـت المؤاخـاة بينهـم على الحـق والمواساة والتوارث . وبذل الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك جهدهم وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، وأن لا يعينوا عليه أحداً . وانه ان دهمه بها عدوّ ينصروه وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار ابي طلحة زيد بن سهل ـ رضي الله عنه ـ زوج أم انس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فآخى ﷺ بين أبي بكر وخارجة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ وكان صهراً لأبي بكر لأنه زوج ابنته لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وبين عمر وعتبان بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ وبين بلال وابن رويم الخثعمي ـ رضي الله عنهما ـ وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير ـ رضي الله عنهما ـ وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ـ رضي الله عنهما ـ وبين عبـد الرحمـن بن عوف وسعد بن الربيع ـ رضي الله عنهما ـ وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن : يا عبد الرحمن اني من أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك وعندي امرأتان ، فأنا مطلق إحداهما ، فاذا انقضت عدّتها فتزوّجها . فقال : بارك الله لك في أهلك ومالك .

ثم قال عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالاً ـ رضي الله عنه ـ وتوفي أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ في

السنة الأولى من الهجرة وحزن ﷺ عليه حزناً شديداً. وكان ـ رضي الله عنه ـ نقيباً لبني النجار ، فلم يجعل رسول الله ﷺ لهم نقيباً بعده وقد قالوا له ﷺ : اجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم . فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم أخوالي وأنا نقيبكم ، وكره أن يخص بذلك بعضهم دون البعض . فكان من مفاخرهم كون النبي ﷺ نقيبهم وبنى رسول الله ﷺ بعائشة ـ رضي الله عنها ـ على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال .

ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة ، فإذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا ، وكان بلال ينادي : الصلاة جامعة . ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم : نتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود . وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة . وقال بعضهم : نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة . فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ في منامه رجلاً يحمل ناقوساً قال : فقلت له يا عبد الله ، أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به الى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك ؟ قلت : بلى فاستقبل القبلة وقال : الله أكبر الله اكبر الى آخر الأذان والإقامة . فلما أصبح اتى النبي ﷺ وأخبره فقال : انها رؤيا حق ان شاء الله . قم مع بلال فألق عليه فانه أندى منك صوتاً . قال : فقمت مع بلال ـ رضي الله عنه ـ فجعلت ألقيه عليه ويؤذن . قال : فسمع بذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فخرج يجر رداءه يقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ، بل روى انه رآه أربعة عشر رجلاً وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه ﷺ ، فما كان الاعتماد إلا على الوحي وكانت تلك المنامات سبباً في ذلك .

بَاب مُعَـاداة اليهُود

وعند ظهور الإسلام وقوّته بالمدينة ، قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً لما خص الله به العرب ،وأنزل الله فيهم: ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر ﴾ الآيات ، فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي وأبو ياسر ، وجدي بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الاشرف ، وعبد الله بن صوريا،وابن صلوباً ومخيريق ، ثم أسلم وصحب ـ رضي الله عنه ـ وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبي ﷺ ، وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الأذان والإعلان بالشهادة له ﷺ .

وعن صفية أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بنت حيي بن أخطب اليهودي قالت : كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر ، وكانا من أحبار اليهود وأعظمهم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لأبي : أهو هو؟ قال : نعم . والله قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته ، والله ما بقيت . وفي رواية ، قالت :ان عمي أباياسر حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال : يا قوم ، اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه . ثم انطلق أبي الى رسول الله ﷺ وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم : أتيت من عند رجل فوالله لا أزال له عدواً فقال له أخوه أبو ياسر : أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعد لا نهلك . فقال : والله لا نطيعك ، ثم وافق ياسر أخاه حيياً فكانا أشدّ اليهود عداوة لرسول الله ﷺ ، جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما ومن كان موافقاً لهما : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

الحق ﴾ .

ومن شدة عداوة اليهود للنبي ﷺ ان لبيد بن الأعصم اليهودي صنع سحراً للنبي ﷺ في مشط ومشاطة ، وهي ما يخرج من شعر رأسه ﷺ ، أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدم النبي ﷺ ، وجعل مثالاً من شمع وقيل : من عجين كمثال النبي ﷺ ، ثم غرز فيه أبراً وجعل معه وتراً عقد فيه احدى عشرة عقدة ، وجعل ذلك في بئر ذر ، وإن فكأن يخيل اليه ﷺ أن يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالأكل والشرب والنكاح ، ومكث سنة وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعين يوماً ثم جاء جبريل للنبي ﷺ وأخبره بذلك السحر وبمكانه ، فأرسل ﷺ علياً وعمار بن ياسر - رضي الله عنهما - فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ممسوخاً ، فجعل كلما حل عقدة وجد ﷺ في نفسه بذلك خفة ، حتى قام كأنما نشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما إحدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة ، وجعل جبريل - عليه السلام - يقول : باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك . ثم انه ﷺ أحضر لبيداً فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير . وقيل لرسول الله ﷺ : لو قتلته . فقال ﷺ :قد عافاني الله!وما وراءه من عذاب الله أشد . وفي رواية : اما أنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شراً .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الأوس والخزرج قبل مبعثه ، اي يقولون : سيبعث نبي صفته كذا وكذا ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم فبعد أن ظهر الإسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء - رضي الله عنهما - يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستخفون علينا بمحمد ﷺ ، ونحن أهل كفر وشرك ، وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا. فقال سلام بن مشكم ، وهو من عظماء يهود بني النضير : ما جاء بشيء نعرفه هو الذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وكان مالك بن الصلت من أحبار اليهود وكان يبغض النبي ﷺ ويلبس على اليهود ، وأخذ منهم كثيراً من المال فحضر يوماً عند النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - هل تجد فيها : ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود ؟ فغضب والتفت الى عمر - رضي الله عنه - وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء فكان هذا

منه كفراً بنبيناﷺ وبموسى ـ عليه السلام ـ وبما أنزل عليه . فقالت له اليهود : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ فقال : انه أغضبني فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف ، وأنزل الله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ وأنزل أيضاً : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا وكفروا به ﴾ .

ويروى ان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبيﷺ يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي الذي وعدت أنك باعثه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . وفي لفظ : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون . وفي لفظ ، يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم ويقتلهم . وفي لفظ : ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوماً : اللهم إنا نسأل بحق النبي الذي وعدت ان تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان .

وممن كان من أحبار اليهود حريصاً على رد الناس عن الإسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم . مر يوماً على الأنصار الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون ، فغاظه ما رأى من إلفتهم بعدماكان بينهم من العداوة فقال : قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه ، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين : قد قال شاعرنا كذلك ، فرده عليه الآخرون وقالوا : قد قال شاعرنا كذلك ، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت ، فنادى هؤلاء يا آل الأوس ، ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ، ثم خرجوا للحرب . وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله اتقوا الله ، أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ فعرف القوم انها

نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوّهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ وأنزل الله في شاس بن قيس : ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ الآية . وأنزل الله في الأنصار : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ وصار اليهود يسألون النبي ﷺ عن أشياء تعنتاً وحسداً وبغياً ، ليلبسوا الحق بالباطل .

فمن جملة ما سألوه ﷺ عنه الروح ، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل اي جريدة من جريد النخل إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض : لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون . وفي رواية : لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على انه النبي الأمي ، وأنتم تكرهون نبوّته ﷺ فقاموا اليه فقالوا : يا أبا القاسم ما الروح ؟ وفي رواية : أخبرنا عن الروح . فسكت : قال ابن مسعود : فظننت انه يوحي اليه ، فقال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، فقالوا : كذا نجد في كتابنا التوارة ، وتقدّم ان هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ، ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت ﷺ ينتظر هل يوحى اليه إجابتهم بشيء غير ما أجاب به كفار قريش بمكة ، او بالجواب الأوّل بعينه ؟ فأوحى الله اليه الآية بعينها . فقرأها عليهم فقالوا : كذا نجد في كتابنا .

وجاء يهوديان مرة الى النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فقال لهما : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا ببريء الى سلطان ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ، وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت ، فقبّلا يديه ورجليه ﷺ وقالا : نشهد أنك نبي . قال : ما يمنعكما ان تسلما ؟ فقالا : نخاف إن أسلمنا تقتلنا

اليهود ، وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافي في أن بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطيها موسى ـ عليه السلام ـ وهي التسعة المفصلات التي هي : العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأن تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى ـ عليه السلام ـ ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم .

وقيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إلّه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إلّه إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ان حبرين من أرض الشام لم يعلما بمبعثه ﷺ ، فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر : ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان ، فأخبرا بهجرة النبي ﷺ ووجوده في تلك المدينة فجاءا اليه فلما رأياه ﷺ قالا له : أنت محمد ؟ قال : نعم . قالا : نسألك مسئلة إن أخبرتنا بها آمنا . فقال : اسألاني . فقالا : أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ شهد الله ﴾ الآية . فتلاها ﷺ عليهما فآمنا . وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ ان رهطاً من اليهود جاؤوا الى النبي ﷺ وقالوا : أخبرنا عن ربك من أي شيء خلق ؟ فغضب ﷺ حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له : خفض عليك وأنزل الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الى آخر السورة أي هو متوحد في صفات الجلال والكمال ، منزه عن الجسمية ، واجب الوجود لذاته ، اي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره ، وكل ما عداه محتاج اليه . وقيل : ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم : هل كان المسيح يأكل الطعام ؟ قالوا : لا يأكل الطعام فأنزل الله سورة الإخلاص إبطالاً لألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ لأن الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام .

وذكر السيوطي في الإتقان : أن سورة الاخلاص تكرّر نزولها جواباً للمشركين بمكة حين قالوا : صف لنا ربك . وجواباً لعبد الله بن سلام حين قال : أنسب ربك يا محمد ؟ كما سيأتي في خبر إسلامه وجواباً لأهل الكتاب بالمدينة . فقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف ، وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله وكان من ولده يوسف الصدّيق ، وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى : ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ وكان من يهود بني قينقاع ، جاء الى

رسول الله ﷺ وسمع كلامه في أوّل يوم دخل فيه رسول الله ﷺ دار أبي أيوب ، والذي سمعه قوله ﷺ : يا أيها الناس أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

فعنه ـ رضي الله عنه ـ قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل اليه الناس بالجيم اي أسرفوا ، فكنت ممن أتى اليه . قال : فلما رأيت وجهه ، عرفت انه وجه غير كذاب أي لأن صورته ﷺ وهيئته وسمعته تدل على العقلاء على صدقه ، وانه لا يقول الكذب . قال عبد الله : فسمعته يقول : يا أيها الناس ، أفشوا السلام الخ . وعند ذلك قلت : أشهد أنك رسول الله حقاً ، وأنك جئت بحق ، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأسلموا ، وكتمت اسلامي من اليهود . ثم جئته ﷺ في بيت أبي أيوب وقلت له : لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأختبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ، فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا أني أسلمت ، فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الإنسان بالباطل ، وهم أعظم قوم عضيهة أي كذباً ، وأنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ وخذ عليهم ميثاقاً أني أن اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، فأرسل رسول الله ﷺ اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق أسلموا ، قالوا : ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك قال : فأي رجل فيكم ابن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . وفي رواية : خيرنا وابن خيرنا قال : أفرأيتم إن شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل عليّ أن تؤمنوا ؟ قالوا : نعم . فدعاه فقال : يا ابن سلام اخرج عليهم ، فخرج عليهم فقال : يا عبد الله بن سلام أما تعلم أني رسول الله تجدوني عندكم مكتوباً في التوراة والانجيل ، أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم ؟ قال ابن سلام : بلى ، يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقاً ، وإنه جاء بالحق .

زاد في رواية : انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته . فقالوا : كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا ، وهذه لغة رديئة جاءت الى الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا . قال ابن سلام : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم

أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب ، فأخرجهم رسول الله ﷺ وأظهرت إسلامي وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ـ يعني الكتاب والرسول ـ ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى : ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ﴾ الآية : وقوله تعالى : ﴿ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وفي الخصائص الكبرى للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر : أن ابن سلام اجتمع بالنبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي ﷺ : أنت ابن سلام عالم أهل يثرب ؟ قال : نعم . قال : نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي ؟ قال : أنسب ربك يا محمد ؟ فتوقف ﷺ فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فقال ابن سلام : أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان واني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ أنت عبدي ورسولي إلى آخر ما تقدم عن التوارة . وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم إسلامه ولكن قد يقال : كيف قال : فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب ؟ وكيف قال : عرفت صفته واسمه ؟ وكيف أسلم ثانياً وأجيب بأنه فعل ذلك ثانياً بالمدينة إقامة للحجة على اليهود ، وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام ، فانه جاء الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكماً فانهم يرجعون اليّ ، فأدخله وخبأه ، وأرسل اليهم فجاؤوه فقال لهم : اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم ، قالوا : قد رضينا ميمون بن يامين . فقال : اخرج اليهم فخرج وقال : أشهد أنه رسول الله فأبوا أن يصدّقوه ، وقد أشار الى إنكارهم نبوته ﷺ مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله :

عرفوه وأنكروه وظلما كتمه الشهادة الشهداء

أو نور الإلّه تطفئه الأفواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الإلّه منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم ﴾ قال الله تعالى للأحبار من اليهود : أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي ﷺ بأن تصدقوه وتتبعوه أوفِ بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال ، ولا تكونوا أوّل كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي ، وبما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم .

وقد روى في سبب إظهار إسلام عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ زيادة على ما تقدم انه ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء رجل فأخبر بقدومه ﷺ وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي من تحتي جالسة ، فلما سمعت بقدومه ﷺ كبرت فقالت لي عمتي : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت على هذا . فقلت لها : أي عمتي فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قالت : يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة ؟ فقلت لها : نعم . قال ابن سلام : وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسراً لذلك ساكتاً عليه حتى قدم المدينة ، فجئته فقلت له : اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أوّل الساعة ؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع الى أبيه أو إلى أمه ؟ فقال النبي ﷺ : أخبرني بهنّ جبريل آنفاً ، فقال ابن سلام : ذاك يعني جبريل عدوّ اليهود من الملائكة لأنه ينزل بالخسف والهلاك وقيل : لأنه يطلع النبي ﷺ على سرهم ثم قال ﷺ : أما أوّل الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب ، وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، أي وهي القطعة المعلقة بالكبد ، وهي في الطعم في غاية اللذة ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وإن سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد إليها وقد سأل علماء اليهود النبي ﷺ عن أشياء كثيرة فأجابهم عنها ، منها أنهم سألوه مرة فقالوا : أخبرنا عن علامة النبي فقال : تنام عيناه ولا ينام قلبه . وسألوه : أي طعام حرمه إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة ؟قال : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه فكان احب

الطعام إليه لحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها قالوا : اللهم نعم أي حرمها ردعاً لنفسه ومنعاً لها من شهواتها .

وقيل لأنه كان به عرق النساء . وكان إذا طعم ذلك هاج به وذكر أن سبب نزول قوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ قول اليهود له ﷺ كيف تقول : إنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب البانها ، وكان ذلك محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فنحن أولى بإبراهيم منك ومن غيرك . فأنزل الله تعالى الآية تكذيباً لهم ، بأن هذا إنما حرمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن إبراهيم ونوح فكيف يكون محرماً عليهما ؟ ومن ثم جاء : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ وجاء أنه ﷺ قال لرجل من علماء اليهود : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا . قال : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم . قال : والإنجيل ؟ قال : نعم . فناشده هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو . فنظرنا فإذا أنت لست هو قال : ولم قال ذاك معه من أمته سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولاعتاب وإنما معك نفر يسير . قال : والذي نفسي بيده لانا هو وأنهم لاكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً . وسألته اليهود أيضاً عن الرعد والبرق فقال : الرعد صوت ملك موكل بالسحاب ، والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى . وقيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه ؟ فنزلت . وقالوا مرة إغاظة له ﷺ ما يرى لهذا الرجل همة إلا في النساء والنكاح فلو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ .

فقد جاء ان سليمان ـ عليه السلام ـ كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد إحصانه أي لأن شريفاً في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان ، فكرهوا رجمها لشرفهما ، فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ أي قالوا لهم : إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه ﷺ فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك . فقال لجمع من علمائهم : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة على من زنى بعد إحصان الرجم ؟ فأنكروا ذلك فقال عبد الله ابن سلام : كذبتم فإن فيها آية الرجم : ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ فاحضروا التوراة

فوضع واحد منهم على يده على تلك الآية فقال له ابن سلام : ارفع يدك عنها فرفعها ، فإذا فيها آية الرجم . وجاء في بعض الروايات أن احبار اليهود وهم كعب بن الأشرف وسعيد ابن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا في بيت مدراسهم حين قدم رسول الله ﷺ ، وقد زنى رجل من اليهود بعد إحصانه بامرأة محصنة من اليهود قالوا : إن أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله ، وقلنا فتيا نبي من أنبيائك وإن أفتانا بالرجم خالفناه لأنا خالفنا التوراة ، فلا علينا من مخالفته .

وفي رواية : الصحيحين : عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن اليهود جاؤوا الى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا بعد إحصان فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تجدون في التوراة قالوا : نفضحهما بالسواد بأن نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل إدبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : إرفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا : صدقت يا محمد فيها آية الرجم .

وفي رواية : لما جاؤوا اليه ﷺ وقالوا : يا أبا القاسم ، ما ترى في رجل وامرأة زنيا بعد الإحصان ؟ فقال لهم : ما تجدون في التوراة ؟ فقالوا : دعنا من التوارة . فقل ما عندك ، فأفتاهم بالرجم فأنكروه ، فلم يكلمهم رسول الله ﷺ حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال : يا معشر يهود أخرجوا إليّ أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهود فقالوا : هؤلاء علماؤنا فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد إحصان ؟ فقالوا : يحمم أي يسوّد وجهه ويجتنب فقال عبد الله بن سلام : كذبتم فإن فيها آية الرجم وفي رواية : لما سألهم أجابوه إلا شاباً منهم فإنه سكت فألح عليه ﷺ في النشدة فقال : اللهم إذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ، ولكن رأينا أنه إن زنى الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله ﷺ : أنا أحكم بما في التوراة ، وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى أنه ﷺ لما أمرهم بالرجم أبوا أن أن يخذوا به فقال له جبريل ـ عليه

السلام ـ إجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي ﷺ فقال ﷺ لهم : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور ويسكن فدك يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله تعالى على موسى ـ عليه السلام ـ في التوراة ورضوا به حكماً فقال له النبي ﷺ : أنشدك الله الذي لا إلّه إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم وأغرق فرعون ، وظلل عليكم الغمام ، وأنزل عليكم المن والسلوى ، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال : نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال : خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب .

وفي رواية قال في جوابه للنبي ﷺ : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد ؟ قال : إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم . فقال ابن صوريا : والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى ، فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم أنها قضية واحدة لم تكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبي ﷺ فيها طالت وأيامها اتسعت ، فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة ، فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر ، واختلفت العبارات فكل من حفظ شيئاً رواه ، فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه . وجاء في بعض الروايات : أن ابن صوريا سأل رسول الله ﷺ عن أشياء يعرفها من أعلام نبوّته ، فأجابه عنها فلما تحققها قال : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي ، وهذا مما يدل على إسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة .

وقال الحافظ ابن حجر : لم أقف لعبد الله بن صوريا على إسلام من طريق صحيح والله أعلم . ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله ﷺ : أئتوا بالشهود فجاؤوا بأربعة فشهدوا أنهم أو اذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد : قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبباً لنزول قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ الآية . ونزول : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ وما معها من الآيات وفيها : ﴿ فأولئك هم الكافرون ، وأولئك هم الفاسقون ﴾ وعن عمرو بن ميمون

قال : رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لأهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ، ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعاً فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة ، فجاؤوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما ورجمتهما معهم قال بعضهم : لو صح هذا لكانوا من الجن إذ التكاليف في الإنس والجن دون غيرهما . وقد ذكر غير واحد أن أحبار اليهود غيروا صفته ﷺ التي في التوراة خوفاً من انقطاع نفقتهم ، فانها كانت على عوامهم لقيام الأحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم : لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فإنا نخشى عليكم الفقر ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - أي من العلم بصفة النبي ﷺ - التي يجدونها في كتابهم ﴾ فقد كان في كتابهم أنه ﷺ أكحل العين ربعة ، جعد الشعر حسن الوجه فمحوه . وقالوا نجده طويلاً أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك إلى أتباعهم وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله ﴾ الآية . وكان اليهود إذا كلموا النبي ﷺ قالوا : راعنا سمعك واسمع غير مسمع ، ويضحكون فيما بينهم لأن ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم ، فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي ﷺ ففطن سعد بن معاذ لليهود يوماً وهم يضحكون فقال لهم : يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لأضربن عنقه فأنزل الله : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ .

وفي رواية : أن اليهود لما سمعوا الصحابة - رضي الله عنهم - يقولون له ﷺ : إذا ألقي عليهم شيئاً يا رسول الله راعنا أي أنظرنا وتأن علينا حتى نفهم ، وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود ، فلما سمعوا المسلمين يقولون له ﷺ راعنا ، خاطبوا رسول الله ﷺ براعنا يعنون بذلك السبة . ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم : يا أعداء الله عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده إن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه بالسيف . فقالوا : ألستم تقولونها أنتم فنزلت . وجاءه ﷺ جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له : يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب ؟ قال : لا . فقالوا : والذي تحلف به ما نحن إلا كهيئتهم ما من ذنب نعلمه بالنهار إلا كفر عنا بالليل ، وما من

ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار . فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الـذين يزكون أنفسهم ﴾ الآية . وجاء أن جماعة من أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسد ، اجتمعوا وقالوا : نبعث إلى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤوا اليه فقالوا : يا محمد ، قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإن اتبعناك اتبعك كل اليهود ، وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك ، فأبـى ذلك . وأنزل الله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ الآية .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان رجل من اليهود من التجـار وفي رواية : من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله فقـال : أخزى الله الكاذب . وفي رواية : أحرق الله الكاذب . فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهلـه . ولما نزل قولـه تعـالى : ﴿ ومن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال حيي بن أخطب : يستقرضنا ربنـا وإنمـا يستقرض للفقير الغني فأنزل الله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقيل في سبب نزولها إن أبا بكر ـ رضي الله عنـه ـ دخـل بيت المدراس فقال : ففنحاص بن عازوراء إتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله فقال : يا أبا بكر ما لنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير فغضب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً . وقال : لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله ﷺ فذكر له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما كان منه فأنكر قوله ذلك ، فنزل ﴿ لقد سمع الله ﴾ الآية . وقيل : في سبب نزولها أيضاً أن رسول الله ﷺ أرسل أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد إسلام عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ يأمرهم في ذلك الكتـاب بالإسلام وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فلما قرأ فنحـاص الكتاب قال : قد احتاج ربكم سنمده .

وفي رواية : قال : يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان حقاً ما تقول فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال : لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنـي أن أضربه بالسيف إلا أن رسول الله ﷺ لما دفع إلي الكتاب قال : لاتفتت علي بشيء حتى

ترجع الي فجاء فنحاص إلى النبيﷺ وشكا أبا بكر - رضي الله عنه - فقالﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله إنه قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله تعالى قال فنحاص : والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقاً لأبي بكر - رضي الله عنه - وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء : إنما قلنا إن الله فقير ونحن أغنياء لأنه استقرض أموالنا فقال له : إن كان استقرضها لنفسه فهو فقير وإن كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافىء عليها فهو الغني الحميد ، وقد انضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أنهم دخلوا في دين الإسلام تقية من القتل لما قهرهم الإسلام بظهوره و اجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود في السر وفي الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون .

وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبيﷺ ثلثمائة ، منهم الجلاس ابن سويد بن الصامت وأنه قال يوماً : إن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد - رضي الله عنه - من جلاس وكان عمير يتيماً في حجره ، ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن إليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال : لئن كان ما يقوله محمد حقاً فلنحن شر من الحمير . فقال له عمير : يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي يداً ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها أي أمسكت عنها ليهلكنّ على ديني ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى ، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مقالة جلاس ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى جلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال ، فقال عمير بن سعد : لقد قلت : فتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته وجاء أنهﷺ استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال ، وقال : اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق . فقال النبيﷺ : آمين . فنزل : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر - الى قوله - فان يتوبوا يك خيراً لهم ﴾ فاعترف الجلاس وتاب وقبل منهﷺ توبته وحسنت توبته . ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير .

فكان ذلك مما عرف به حسن توبته - رضي الله عنه - وقالﷺ لعمير : لقد وفت اذنك ومنهم ، نبتل بن الحرث قال النبيﷺ : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث ، كان يجلس إليهﷺ ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم : إنما محمد أذن من حدثه بشيء صدقه فأنزل الله تعالى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون

هو أذن قل أذن خير لكم ﴾ الآية . وجاء جبريل إلى النبيﷺ فقال له : يجلس معك رجل صفته كذا ، فقال للحديث الذي تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار .

وفي رواية : ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ، ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا قبل مجيئهﷺ قد نظموا له الخرز ليتوّجوه ، ثم يملكوه لأن الأنصار من آل قحطان ولم يتوّج من العرب إلا قحطان ولم يبق من الخرز الذي يتوّج به إلا خرزة واحدة كانت عند سمعون اليهودي وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقالهﷺ من قباء الى المدينة أنه عرّج على عبد الله بن أبي بن سلول يريد النزول عنده تألفاً له ، وكان عبد الله جالساً محتبياً ، فلما رأى النبيﷺ يريد النزول عنده قال : اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم .

فقال له سعد بن عبادة : يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما ردّ بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول اللهﷺ ، ووقع له في بعض الأيام أنهﷺ قيل له : يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول أي متألفاً له ليكون ذلك سبباً لإسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق ، فانطلق النبيﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبيﷺ قال له : اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول اللهﷺ أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال : فنزل ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ كذا في البخاري وفيه أيضاً أن رسول اللهﷺ مرّ على عبد الله بن أبي بن سلول في جماعة فقال : لقد آذانا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فاستأذن رسول اللهﷺ أن يأتيه برأسه فقالﷺ : لا ولكن برّ أباك وكان عبد الله بن أبي جميل الصورة ممتلىء الجسم ، فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾الآية .وعن الزهري قال: أخبرني عروة عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول اللهﷺ ركب حماراً على أكاف وأردف أسامة خلفه يعود سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ في بني الحرث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفى المسلمين عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن أُبي وجهه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا فسلم

رسول الله ﷺ ، ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن .

فقال ابن ابي : أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ، إرجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فأغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال ، فلم يزل ﷺ يخفضهم حتى سكتوا . ثم ركب ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ فقال رسول الله ﷺ : يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي ؟ قال : كذا وكذا فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله أعف عنه وأصلح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ .

كان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبي أبوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه ومن نفاقة ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال نزلت : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا ﴾ الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه ، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي : انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء ، فأخذ بيد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : مرحباً بالصدّيق سيد بني تيم وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيده عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال : مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ . ثم أخذ بيد علي ـ رضي الله عنه ـ فقال : مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال علي ـ رضي الله عنه ـ : اتق الله يا عبد الله ولا تنافق ، فإن المنافقين شرّ خليقة الله . فقال له عبد الله : مهلاً يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ، ثم افترقوا .

فقال لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ فأثنوا عليه خيراً فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فنزلت الآية : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ إلى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز ـ يعني نفسه وأصحابه ـ منها الأذل ﴾ يعني النبي ﷺ وأصحابه . فرد الله عليهم بقوله : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ وستأتي القصة

إن شاء الله تعالى ، وبالجملة فقد لاقى ﷺ من شدّة الأذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيئاً كثيراً ولكنه بالنسبة لأذى أهل مكة كالعدم ، فإنه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوّة من أوّل يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى : ﴿ لن يضرّوكم إلا أذى ﴾ وكان جبريل يأتيه بغالب الأجوبة لأسئلتهم ، ومع ذلك صبر في أوّل قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين . ثم لما قوت شوكة الإسلام واشتد الجناح أذن له ﷺ بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها بمكة، وكلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الأذى . ثم أنجز الله له وعده عملاً بقوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ .

بابُ مغازيه ﷺ

وأذن الله لرسوله ﷺ في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة . قال الزهري : أوّل آية نزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾ أخرجه النسائي بإسناد صحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ الآية .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فهي أوّل آية نزلت في القتال وقيل قوله تعالى : ﴿ قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ وقيل أوّل آية نزلت فيه : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين ﴾ الآية ، كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يأتون النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم : اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال ،حتى هاجر فأذن له بالقتال، وحكمة تأخير الإذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم ، فلما بغى المشركون وأخرجوه ـ عليه السلام ـ من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقرّ ـ عليه السلام ـ بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار إسلام ومعقلاً يلجئون اليه ، شرع الله جهاد الأعداء فبعث ـ عليه السلام ـ البعوث والسرايا وعزا بنفسه . وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه الى العدوّ وسرية وبعثاً وخرج بقولهم غالباً غير الغالب ،فإنهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم : غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل . واستمر ﷺ هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً

أفواجاً وجاؤوا بعد الفتح من أقطار الأرض طائعين ، وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعاً وعشرين وهي : غزوة ودّان ، غزوة بواط ، غزوة العشيرة ، غزوة صفوان ، وتسمى : غزوة بدر الأولى ، غزوة بدر الكبرى ، غزوة بني سليم ، غزوة بني قينقاع ، غزوة السويق ، غزوة قرقرة الكدر ، غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، غزوة ابحران بالحجاز ، غزوة أحد ، غزوة حمراء الأسد ، غزوة بني النضير ، غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ، غزوة بدر الأخيرة ، وهي غزوة بدر الموعد ، غزوة دومة الجندل ، غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ، غزوة الخندق ، غزوة بني قريظة ، غزوة بن لحيان ، غزوة الحديبية ، غزوة ذي قرد ـ بضمتين ـ غزوة خيبر ، غزوة وادي القرى ، غزوة عمرة القضا ، غزوة فتح مكة ، غزوة حنين والطائف ، غزوة تبوك ، وأما سراياه التي بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتي كلها مفصلة إن شاء الله تعالى .

قال العلامة الحلبي في السيرة : لا يخفى انه ﷺ مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابراً على شدّة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بذلك أي بالإنذار وبالصبر على الأذى والكف بقوله تعالى : ﴿ وأعرض عنهم ﴾ وبقوله : ﴿ واصبر ﴾ ووعده بالنصر والفتح . ولما كثرت أتباعه ﷺ وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب ، أذن له في القتال . وقد ذكروا في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ألم تر الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ أن جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ منهم : عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص ، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً بمكة فقالوا : يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا في قتال هؤلاء ، فيقول لهم : كفوا أيديكم عنهم فإني لم أؤمر بقتالهم : فلما هاجر ﷺ إلى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ، فأنزل الله ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ الآية ، وكانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بمكة وبعد أن هاجروا قبل أن يؤذن لهم بالقتال في غاية من الحذر ، لأن العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى أنهم أعني المسلمين كانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا

يصبحون إلا فيه . ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟

فأنزل الله عليهم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ .

ثم أذن في القتال أي أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الأشهر الحرم بقوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ الآية ثم أمر به مطلقاً بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا المشركين كافة ﴾ ثم استقر أمر الكفار معه ﷺ على ثلاثة أقسام ؛ القسم الأول : محاربون وهم الكفار المحاربون ، إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة . والقسم الثاني : أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على أن لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه ، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم . والقسم الثالث : أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم : من دخل في الإسلام تقية وهم المنافقون ، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضاً عنهم إلا فيما يتعلق بشرائع الإسلام وأوّل ما ابتدأ به ﷺ التعرض لعير قريش لأخذ ما فيها ليكون ذلك سبباً لافتتاح القتال ، ولتقوى قلوب أصحابه على القتال شيئاً فشيئاً ، وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير ، فيستعينوا بها فكان أوّل بعثوه وسراياه ﷺ ، أن بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في رمضان وقيل في ربيع الأوّل في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين فخرجوا يعترضون عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة أي يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها ، وكان فيها أبو جهل ـ لعنه الله ـ في ثلثمائة راكب . وقيل : في ثلاثين ومائة . فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحاً للفريقين .

فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال : وقال النبي ﷺ في مجدي هذا : إنه ميمون النقيبة ، مبارك الأمر أو قال رشيد الأمر . ولما قدم رهط مجدي هذا على النبي ﷺ كساهم ومجدي لم يعلم له إسلام ولم يذكره أحد في الصحابة ، مع أنه سعى في هذا الصلح المبارك ، وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أوّل التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي ﷺ معهم ، فلربما إن المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا

الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الإسلام ، فلهذا قال النبي ﷺ في مجدي : إنه ميمون النقيبة مبارك الأمر ، أو قال رشيد الأمر : وإنما بعث النبي ﷺ في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحداً من الأنصار ، بل أبقاهم حتى غزا بهم بدراً وهو معهم لأنهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الأمر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل : كان في هذه السرية جماعة من الأنصار والله اعلم .

سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله

وكانت إلى بطن رابغ في شوّال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلاً ، وقيل : في ثمانين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار يلقى أبا سفيان بن حرب ، وقد أسلم عام الفتح ـ رضي الله عنه ـ وقيل : مكرز بن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل ، وقد أسلم في عام الفتح ـ رضي الله عنه ـ وكانوا في مائتي رجل ، فلما التقوا لم يقع بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ رمى بسهم فكان أوّل سهم رمى به في الإسلام . وقيل إنه نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهماً ، ما منها سهم إلا ويجرح إنساناً، أو دابة . ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوّة وشوكة وفرّ من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي ﷺ ، قال بعضهم : ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوّال وقيل أنه ﷺ عقد رايتيهما معاً ، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية لأمر اقتضاه والله أعلم ثم :

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الأولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عيراً لقريش ، فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالأمس ، فرجعوا ولم يلقوا كيداً وأوّل مغازيه التي خرج فيها بنفسه ﷺ غزوة ودان .

قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة . وقال زين العابدين بن الحسين ابن علي رضي الله عنهم : كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن . وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها . فأول غزوة خرج فيها ﷺ غزوة ودّان بفتح الواو وتشديد الدال ، وهي قرية جامعة من أعمال الفرع . وبعضهم يسميها غزوة الأبواء فمنهم من اضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الأبواء لأنهما متقاربان في وادي الفرع ، خرج ﷺ إليها في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس إثني عشر شهراً من مقدمه المدينة يريد عيراً لقريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله : يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل : لم يكن ﷺ مريداً لهم بل مريداً للعير التي لقريش فقط ، فلما لقي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحاً . وكان خروجه ﷺ في ستين راكباً من المهاجرين ليس فيهم احد من الأنصار فلم يدرك العير التي أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة ، على أنهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً ولا يعينون عليه عدواً وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، وإنه إذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله ﷺ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم اي قصدهم بسوء ، بشرط أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، وكان لواؤه ﷺ أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف إلى المدينة راجعاً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته ﷺ .

غزو بواط

بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء ، جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأوّل ، وقبل الآخر ، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عيراً لتجار قريش عدتها الفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع ﷺ ولم يلق كيداً اي حرباً . وكان اللواء بيد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه .

غزوة العشيرة

بضم العين المهملة مصغراً وبالشين أو بالسين آخره هاء ، بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فمنسوبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليهاﷺ في جمادى الأولى ، وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل : في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة ، وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ، ويقال إن فيها خمسين الف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير ابو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون ، وقيل تسعة وثلاثون رجلاً منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر ، وحل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالحﷺ في هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة .

قال الواقدي : ان هذه الغزوات الثلاث كانﷺ يخرج فيها فتلقى تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهاباً وإياباً ، وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ، ثم رجعﷺ ولم يلق كيداً .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحق : ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم إلا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة اي الابل والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة ، وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة فخرجﷺ حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر ، وتسمى بدر الأولى ، فرجع ولم يلق كيداً وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه .

سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضي الله عنه الاسدي

أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد رضي الله عنه . روى ابو القاسم البغوي

عن سعد بن أبي وقاص قال : بعثناﷺ في سرية قال : لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماهﷺ أمير المؤمنين ، فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا بنا فيه. القول بأن عمر رضي الله عنه أول من تسمى بأمير المؤمنين ، لأن المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل إثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف ، وكان يعتقب كل إثنين منهم بعيراً وكتب لهﷺ كتاباً وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمر به ولا يستكره من اصحابه أحداً ، فلما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم فقال : سمعاً وطاعة . واخبر أصحابه إنه نهاه أن يستكره أحداً منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - رضي الله عنهما - بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه ، فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه ، حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشاً ، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً أي جلوداً وتجارة من تجارات قريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل إبنا عبد الله المخزوميان والحكم ابن كيسان ، فنزلوا قربهم فهابوهم فأرشدهم عبدالله بن جحش الى ما يزيل رعبهم ، فحلق بعض أصحابه رأسه. وأشرف عليهم ، فلما رأوهم آمنوا وقالوا : عمار أي معتمرون لابأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاماً فتشاور المسلمون وقالوا : نحن في آخر يوم من رجب او في اول يوم من شعبان ، اي شكوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا ، فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتالهم اي قتل من قدروا عليه منهم ، فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان ، وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أوّل غنيمة في الإسلام ، وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام . فقسمها عبد الله بن جحش رضي الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله ﷺ باجتهاد منه وقيل : قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبيﷺ بعد غزوة بدر ، وقال لهم النبيﷺ : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم إخوانهم فيما صنعوا ، وتكلمت قريش فقالوا : إن محمداً أسفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام ، وقالت :

اليهود تتفاءل بذلك عليه ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله بن عمر ، وعمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب ، وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، وبعثت قريش تعير النبي ﷺ بفعل أصحاب السرية ، فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل : قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة - يعني الكفر - أكبر من القتل ﴾ فكان في ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية ، وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش رضي الله عنه :

تعـدّون قتـلاً في الحـرام عظيمة ... وأعظـم منـه لو يرى الرشـد راشد
صدودكم عما يقـول محمد ... وكفـر به والله راء وشاهد
وإخراجـكم من مسجـد الله اهله ... لئـلا يرى لله في البيت ساجد
فإنـا وإن عيرتمونـا بقتله ... وأرجف بالاسـلام باغ وحاسد
سقينـا من ابـن الحضرمـي رماحنا ... بنخلـة لما أوقـد الحـرب واقد
دمـاً وابـن عبـد الله عثمان بيننا ... ينازعـه غل من القيد عاقد

وبعثت قريش الى رسول الله ﷺ في فداء الأسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان فقال ﷺ : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين في طلب بعيرهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً ﴿ ومن يضلل الله فلا هادي له ﴾ وفي شهر رجب هذا حوّلت القبلة الى الكعبة بعد أن كانوا يصلون الى بيت المقدس وفي شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر . وأما زكاة المال فقيل فرضت في هذا الشهر أيضاً وقيل سنة تسع ، وقيل قبل الهجرة والله اعلم .

غزو بدر الكبرى

ويقال العظمى ويوم وقعة بدر وهو يوم الفرقان المذكور في قوله تعالى ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل ، وهو

يوم البطشة الكبرى المذكور في قوله تعالى ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ فهو يوم أعز الله فيه الاسلام ، وقوي أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال الله تعالى ممتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة - اي قليل عددكم - لتعلموا ان النصر إنما هو من عند الله ﴾ لا بكثرة العدد والعدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام ، إذ منها كان ظهوره ، وبعد وقوعها اشرق على الآفاق نوره . ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين ، فهو عند الله من الأبرار فقد قالﷺ : لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم .

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدّة البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر ، أو وأربعة عشر ، او وخمسة عشر ، وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التي خرج رسول اللهﷺ في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها اي رجوعها من الشام فعند قفولها ندب المسلمين اي دعاهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ان ينفلكموها ، فانتدب ناس أي أجابوا ، وثقل آخرون لظنهم أن رسول اللهﷺ لم يرد حرباً ، ولم يحتفل بها رسول اللهﷺ أي لم يهتم بها بل قال : من كان ظهره أي ما يركبه حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه ،وكان أبو سفيان لقي رجلاً فأخبره انهﷺ قد كان عرض لعيره في بدايته ، وأنه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الأخبار ويبحث عنها ، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً من رسول اللهﷺ ، فسمع من بعض الركبان أنهﷺ استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفاً شديداً فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وأن يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره ، إذا دخل مكة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم هو وأصحابه ، وكانت تلك العير فيها أموال قريش ، حتى قيل إنه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير إلا حويطب بن عبد العزى .

ويقال : إن في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ، وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل : إنها تسعة وثلاثون رجلاً . فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليالٍ رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وهي مختلف في إسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك . وفي رواية قالت له : لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فإنهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها : ما رأيت ؟ قالت رأيت راكباً اقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام . وقوله : يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت : فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت : رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت اي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة فقال لها العباس : والله إن هذه لرؤيا أي عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد . ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها ففشا الحديث . قال العباس : فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا ابا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة . قلت وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب أما رضيتم إن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم . وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ، ثم قال ابو جهل : وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : أنفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً انكم أكذب أهل بيت في العرب : قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير أمر إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .

وفي رواية : أن العباس قال لأبي جهل : هل أنت منته يا مسفر استه ؟ أي يا مأبون أو جبان فان الكذب فيك وفي أهل بيتك . فقال : من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولاً ولا خرفاً ثم ان العباس لقي من أخته عاتكة أذى شديداً حين أفشى من حديثها . قال العباس : فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني تقول لي : اقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ؟ ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت فقلت لهنّ ، وأيم الله لا تعرضنّ له وان عاد قتلته ، فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب ارى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه اتعرضه ليعود الى بعض ما قال فأوقع به إذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أي يعدو ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله أكل هذا الفرق أي الخوف مني فإذا هو يسمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره اي قطع أنفه وأذنه وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز اموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى ان تدركوها . وفي لفظ : إن أصابها محمد لن تفلحوا أبداً الغوث الغوث . قال العباس : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعاً وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة .

ويروى أنهم قالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج . وقال سهيل بن عمرو : أتاركون أنتم محمداً والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالاً فهذا مالي ، ومن أراد قوة فهذي قوتي ، ولم يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب خوفاً من رؤيا عاتكة وكان يقول : رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام ابن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ديناً فأفلس بها فقال له : أخرج وديتي لك . وهشام هذا قتل كافراً في هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً فجاء إليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي إستجمر فإنما أنت من النساء فقال له : قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيهاً وكان أبو جهل هو الذي

سلط عقبة على ذلك .

وجاء أبو جهل أمية بن خلف فقال له : يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي ؟ وفي رواية : من أشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوماً أو يومين فتجهز أمي مع الناس ، وسبب إرادته التخلف أن سعد بن معاذ قدم مكة معتمراً فنزل على أمية لأن أمية كان إذا قدم المدينة للذهاب إلى الشام في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لأمية : أنظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت ، وقال أمية لسعد : إذا انتصف النهار . فبينما سعد يطوف إذ أتاه ابو جهل فقال : من هذا الذي يطوف ؟ فقال له سعد : أنا سعد ابن معاذ . فقال له أبو جهل : أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ وفي لفظ : آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً ، فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته ، فصار أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي وجعله يسكت فقال سعد لأمية : إليك عني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه قاتلك . قال إياي ؟ قال : نعم قال : بمكة . قال سعد : لا أدري . قال أمية : والله ما كذب محمد ، فكاد يحدث أي يبول في ثيابه فزعاً ، فرجع الى امرأته فقال : ما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : زعم انه سمع محمداً يزعم انه قاتلي . قالت : والله ما كذب محمد .

فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته : ما علمت ما قال لك اخوك اليثربي ؟ قال : فاني لا أخرج . فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة اتاه عقبة بن أبي معيط بالمجمرة وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم ، فخرج ناوياً ان يرجع عنهم ومعنى كونه ﷺ قاتله ، انه كان ﷺ سبباً في قتله وإلا فهو ﷺ لم يباشر إلا قتل أخي أمية ، وهو أبي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي إن شاء الله تعالى . ومن ثم جاء في رواية : أن سعد بن معاذ قال لأمية ، إن أصحابه يعني النبي ﷺ يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون ، منهم أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ، فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل ، أجمعوا على المقام وعدم الخروج ، فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث.

يروى ان عداساً الذي اجتمع بالنبي ﷺ بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال

لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة : بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان إلا لمصارعكما ، فأرادا عدم الخروج ، فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ، ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيام وقيل : في يومين ، وأجمعوا السير اي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل : كانوا ألفاً وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ، وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضي الله عنه وهو الأب الخامس للإمام الشافعي رضي الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول لشدة إسراعهم ، ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم ، كما قال تعالى ﴿ أُخرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط ﴾ وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلاً كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر ، وفيهم أنزل الله ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ وهؤلاء الاثناءعشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البختري وزمعة بن الاسود وأبي بن خلف وامية بن خلف والنضر بن الحرث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به النبي ﷺ يوم أحد ، وقيل في هؤلاء وهؤلاء .

ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لان قريشاً كانت قتلت شيخاً من كنانة ، فمر شاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه ثم إن اخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش ، رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفاً من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم ، وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه ، فجاءهم إبليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني ، وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم : أنا لكم جار من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، وخرج معهم إبليس ووعدهم ان بني كنانة قد اقبلوا لنصرهم ، وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم ، كما قال تعالى ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ ثم بعد ان خرج ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر ابي سفيان فأخذ طريق الساحل وَجَدَّ في السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع ، وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل ، وقال : والله لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم فيه ثلاثة أيام ، وننحر الجزر ،

ونطعم الطعام ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان بالمعازف اي بالملاهي ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

وهذا هو الرياء الذي أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾ ولما بلغ أبا سفيان كلام أبي جهل قال : هذا بغي ، والبغي منقصة وشؤم ، لان القوم انما خرجوا لنجاة اموالهم ، وقد نجاها الله تعالى ، ولما قال أبو جهل ما قال ، رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة ، وقيل : ثلثمائة فلذا قيل : لم يقتل أحد منهم ببدر ، وقيل قتل منهم رجلان ، وكان قائد بني زهرة الأخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لهم فقال لهم : يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، فانه كان في العير وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم ان تخرجوا في غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعني ابا جهل ، فقال له ابو جهل : ما كذب محمد قط ، كنا نسميه الأمين ، لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرسي رهان ؟ فرجع الأخنس ببني زهرة والأخنس هذا اختلف في اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه . قيل ان الأخنس جاء الى النبيﷺ فأظهر الاسلام ، وقال : الله يعلم اني لصادق . ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ـ الى قوله ـ وبئس المهاد ﴾ قال الحلبي نقلا عن الاصابة : ولا مانع من انه اسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بني هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش : لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع . ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريباً من الماء ، وسيأتي أن رسول اللهﷺ نزل بعيداً عن الماء أولاً ثم انتقل وقرب منه . ولما خرج رسول اللهﷺ من المدينة استعمل عليها والياً أبا لبابة ابن عبد المنذر الأوسي رضي الله عنه واستعمل ابن ام مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدي رضي الله عنه على قباء وأهل العالية لشيء بلغه عن اهل مسجد الضرار .

وعقدﷺ لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضي الله عنه وكان أمامهﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن ابي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ ، وقيل مع الحباب ابن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر ، او وأربعة عشر ، او وخمسة

عشر . وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوي ، وفرس للمقداد ، وقيل : للزبير . وقال بعضهم : كان معهم خمسة أفراس فرسان له ﷺ وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد ، وتقدم ان قريشاً عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل : كانوا ألفاً وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ، ولما عد ﷺ أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال : عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر .

ولما أراد ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ، ولما نظر الى أصحابه قال : اللهم انهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك فما رجع منهم أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عارياً وأصابوا طعاماً من أزواد قريش وأصابوا فداء الأسارى فاغتنى به كل عائل . وسار ﷺ حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلاً من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، وكان قد بعث ﷺ رجلين يتجسسان أخبار عير ابي سفيان ، فمضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا الى تل قريب من الماء ، وأخذا يستقيان من الماء ، فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها : إن أتاني العير غداً او بعد غد اعمل لهم اي أخدمهم ثم أقضيك الذي لك ، فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا ، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير ، وفي حرب النفير اي القوم النافرين للحرب يعني ان النبي ﷺ خير أصحابه بين ان يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير . وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم : ان الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش . وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح . قال تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ وفي رواية : استشار النبي ﷺ أصحابه وقال لهم : ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول اي مسرعين فما تقولون : العير أحب اليكم من النفير؟ قالوا : نعم . اي قالت طائفة منهم : العير أحب الينا من لقاء العدو . وفي رواية : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير؟ .

وفي رواية : يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو ، فتغير وجه رسول الله ﷺ . قال أبو أيوب : وفي ذلك أنزل الله تعالى ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾ الآية . وروى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : أقبلت عير لأهل مكة من الشام فخرج النبيﷺ يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها ، فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأخصر مغنما من ان يلقوا النفير . وفي رواية : ان النبيﷺ استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال : فأحسن اي جاء بكلام حسن . ثم قام عمر فقال : فأحسن . روى ابن عقبة انه قال : يا رسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا أسلمت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته . ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون . وفي زواية : ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا اي ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال لهﷺ خيراً ودعا له بخير .

قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر قصة المقداد : فرأيت النبيﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله . وروى ابن ابي حاتم عن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال لنا رسول اللهﷺ ونحن بالمدينة : اني أخبرت عن عير أبي سفيان ، فهل لكم ان تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا . قلنا : نعم فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال : قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم . فأعاد فقال المقداد : لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿ إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن نقول إنا معكما مقاتلون ، قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد ، وأنزل الله في ذلك ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة : أيها الناس أشيروا عليّ وإنما يريد الأنصار لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله انا برآء من ذمامك اي من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا . وكان ﷺ يخشى أن تكون الأنصار لا ترى وجوب نصرته عليها إلا ممن دهمه أي جاءه فجأة من العدوّ بالمدينة فقط ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدوّ . فلما قال ذلك اي كرر قوله أشيروا علي ، قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس بل هو سيد الأنصار . قال الزرقاني : كان فيهم كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين قال : والله

لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، اي نعم ، قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أمرت .

وفي رواية : ولعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى أن لا ينصروك إلا في ديارهم واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ولعلك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره فامض لما شئت ، وصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت ، وما امرت به من أمر فأمرنا نتبع أمرك ، ولئن سرت بنا حتى تأتي برك الغماد لنسيرن معك . وفي رواية : فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان نلقى عدوّنا ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله ان يريك منا ما تقرّ به عينك . فسر على بركة الله . زاد في رواية ابن مردويه : فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا تكونن كالذين قالوا لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون . قال الحافظ ابن حجر : ان المحفوظ ، أن هذا الكلام للمقداد وان سعداً انما قال ما ذكر عنه أولا . وروى مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه قال مثل ما قال سعد بن معاذ ، ولفظه عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ استشار الناس حين بلغه إقبال أبي سفيان فتكلم ابو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا ان نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا ان نضرب أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا .

قال في المواهب : وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ . قال الحافظ ابن حجر : ويمكن الجمع بأنه ﷺ استشارهم مرتين : الأولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد ابن عبادة بما ذكر . والثانية : كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ . وقال الطبراني : ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية ، واختلف في شهوده بدراً والله اعلم .

قال الزرقاني : ان سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الأنصار ويحضهم على الخروج فنهش اي لدغته حية قبل ان يخرج فأقام فقال ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً ثم ضرب له بسهمه وأجره ، كما ان عثمان بن عفان رضي

الله عنه تخلف لتمريض زوجه رقية بنت النبيﷺ ورضي عنها ، فانها كانت مريضة وجعل النبي له اجر رجل وسهمه فهما معدودان من البدريين ، وان لم يحضرا ثم قالﷺ : سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين إما العير وإما النفير اي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الأخرى ، لأن وعد الله لا يتخلف ويشير الى هذه قوله : والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم اي الذين يقتلون ببدر . ولما وصلوا الى بدر أراهمﷺ مواضع مصارعهم .

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ ليرينا مصارع أهل بدر ويقول : ان هذا مصرع فلان غداً ان شاء الله تعالى ، ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، فما ماط أحدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ، ثم ارتحلﷺ من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريباً من بدر ، وبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتجسسون الأخبار فأصابوا راوية لقريش ، معها غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا : لمن أنتما ؟ وظنوهما لأبي سفيان فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما ، فلما أوجعوهما ضرباً قالا . نحن لأبي سفيان فتركوهما فلما فرغ ﷺ من صلاته قال : اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموها ، صدقا والله انهما لقريش ، ثم قال لهما : اخبراني عن قريش ، قالا : هم وراء هذا الكثيب اي التل من الرمل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قال : كثير . وفي لفظ : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم تنحرون أي من الجزر كل يوم ؟ قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقالﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحرث ، وسهيل بن عمرو ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى ، والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع ، والقصوى البعدى من المدينة أي التي هي ابعد من الاخرى عن المدينة . ونزل المسلمون على كثيب أعفر ، قيل المراد أحمر وأبيض ليس بالتشديد تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقهم

المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم . ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم إذا صهلت من شدة الخوف . وألقى الله الأمنة والنوم على المسلمين ، بحيث لم يقدروا على منعه ، وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لأنهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظمأ ، وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال : تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم ، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا ؟

فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملئوا الاسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام والحوافر ، وزالت عنهم وسوسة الشيطان ، ورد الله كيده في نحره ، وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة ، وأصابهم ما لم يقدروا معه على الارتحال ، وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ـ اي بالصبر على مجالدة العدوّ وبالوثوق على لطف الله ـ ويثبت به الأقدام ﴾ حتى لا تسوخ في الرمل . وعن علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه . وفي رواية يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده يا حي يا قيوم ، يكرر ذلك حتى أصبح . قال قتادة : كان النعاس يوم بدر ، ويوم أحد وكان كله أمنة . لكنه في بدر كان ليلاً قبل القتال . وفي أحد كان وقت القتال . قال ابن مسعود : النعاس في مصاف القتال من الايمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . لأنه في الأول يدل على ثبات الجنان ، وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بالصلاة .

قال علي رضي الله عنه : فلما ان اطلع الفجر نادى رسول الله ﷺ للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ ثم خطب وحض على القتال في خطبته . فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : أما بعد ، فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه إلى أن قال : وان الصبر في مواطن اليأس مما يفرج الله به الهمّ وينجي به من الغم الحديث .

وقال ابن اسحق في حكاية وقعة بدر : فخرجﷺ يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه . يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا تتقدمه ولا تتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : فان هذا ليس بمنزلٍ فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فاني أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغوّر ما وراءه من القلب اي ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبني عليه اي على ذلك الماء الذي ننزل عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون . فقالﷺ : أشرت بالرأي وفي رواية فنزل جبريل فقال : الرأي ما أشار به الحباب ، فنهضﷺ ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وفي رواية : ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا القلب التي كانت تلي العدو ، فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله إنما حصل بعد إشارة الحباب رضي الله عنه وكان مع قريش رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضي الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم ببدر ، فأغفى ثم قام فزعاً فقال لأصحابه ، : هل رأيتم الفارس الذي وقف علي ؟ فقالوا : لا . قال : وقف عليّ فارس ، وقال : قتل ابو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وابو البحتري وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالاً من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر . وقال : أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالاً ممن أسر . قال : ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره اي نحره ، ثم أرسله في العسكر فما من خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه . فقال له أصحابه : انما لعب بك الشيطان .

ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت أبا جهل قال : جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غداً من يقتل . وفي لفظ آخر : قال ابو جهل : هذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ؟ ولما خرجوا من مكة كان أوّل من نحر لهم أبو جهل ، نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ، ومن ذلك المجل رجع بنو عدي تفاؤلاً بذلك وبعد أن استقر النبيﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالموضع الذي أشار به الحباب ، قال سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله الا نبني

لك عريشاً تكون فيه وندع عندك ركائبك ، ثم نلقي عدونّا فان أعزنا الله وأظهرنا ، كان ذلك ما احببناه وان كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً ، منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فاثنى عليه ﷺ خيراً ودعا له بخير وقال : يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم ، ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان ﷺ فيه وأبو بكر رضي الله عنه . وعن علي رضي الله عنه انه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ قالوا : أنت . قال : أشجع الناس ابو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي اليه احد من المشركين؟ فكان ابو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ، ، فوالله ما دنا منا أحد إلا وأبو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى أحد اليه إلا أهوى اليه ابو بكر رضي الله عنه .

وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضاً على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الأنصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه أيضاً ثبوته يوم وفاة النبي ﷺ ، وقتاله أهل الردة ، وغير ذلك . والعريش شيء يشبه الخيمة يستظل به فبني له ﷺ . قال السيد السمهودي : ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه . ثم لما اصبحوا عدل النبي ﷺ صفوف اصحابه واقبلت قريش ورآها ﷺ وقال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي ، وكان كافراً ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقالوا : احرز لنا أصحاب محمد أي انظر عدتهم ، فجال بفرسه حول عسكر النبي ﷺ ثم رجع اليهم فقال : ثلثمائة رجل يزيدون او ينقصون قليلاً ، ولكن أمهلوني حتى انظر أللقوم كمين أو مدد ؟ فذهب في الوادي حتى أبعد ، ثم رجع اليهم وقال : ما رأيت شيئاً ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع اذ تروهم خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي لا يريدون ان يقبلوا الى اهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف ، قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم . والله ما نرى ان نقتل منهم رجلاً حتى يقتل رجل منكم ، فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا ابا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل

لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر؟ فقال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس .

وفي رواية : قال له حكيم : تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي اي الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة ، وتتحمل ما أصاب محمد من تلك العير ، فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك . فقال عتبة : نعم . قد فعلت هو حليفي ، فعلي عقله اي ديته وعليّ ما أصيب من المال . ونعم ما قلت يا حكيم ، ونعم ما دعوت اليه . فركب عتبة جملاً له احمر وصار بجيله في صفوف قريش يقول : يا قوم ، اطيعوني فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما أخذ في العير وقد تحملت ذلك . ثم قال : انشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح يعني قريشاً ان تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات يعني الأنصار . وقد رآه النبي ﷺ في القوم وهو على جمله فقال : إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا .

وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيباً فقال : يا معشر قريش ، والله ما تصنعون شيئاً ان تلقوا محمداً وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله ، او رجلاً من عشيرته . فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون . يا قوم اعصبوها اليوم برأسي اي اجعلوا عارها متعلقاً بي وقولوا جبن عتبة ، وأنتم تعلمون أني لست بأجبنكم . ثم قال عتبة لحكيم : انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعني أبا جهل . قال حكيم : فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعاً له من جرابها أي أخرجها فقلت : يا أبا الحكم ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ سجره وهي كلمة تقال للجبان . ثم جاء ابو جهل لعتبة وقال له : لو غيرك يقول هذا لاعضضته بظر أمه ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .

وفي رواية : وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبي جهل فأخبره فقال : والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى ان محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه يعني أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه ـ فانه كان مع النبي ﷺ ومن السابقين في الاسلام ، فيخوفكم عليه ثم افسد ابو جهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمي وقال له : هذا حليفك يريد الرجوع بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه ، وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب وتهيئوا للقتال

والشيطان معهم لا يفارقهم في صورة سراقة يقول لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فخرج الأسود المخزومي ، وكان شرساً سيء الخلق . فقال : أعاهد الله لأشربّن من حوضهم أولا لأهدمنه او لأموتن دونه . فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً . ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبرّ يمينه فقتله حمزة في الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومي اخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج ام سلمة رضي الله عنها والأسود اوّل قتيل قتل يوم بدر من المشركين ، وهو اوّل من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو اوّل من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة .
ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اي خودة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له اي تعمم به ، ثم خرج بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الأنصار وهم : عوف ومعاذ ابنا الحرث الأنصاريان التجاريان ، وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصارية وعبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنهم . فقال عتبة ومن معه لهم : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة أكفاء كرام إنما نريد قومنا . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم . ثم قال ﷺ : قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة . قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من انتم ؟ لأنهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم . قال ابن اسحق ، فقال : عبيدة عبيدة . وقال : حمزة حمزة . وقال : علي علي . قالوا نعم . اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم المسلمين عتبة وكان اسنّ الثلاثة وبارز حمزة شيبة . هذه رواية ابن إسحق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فيها : برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على ان علياً برز للوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فدنفا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه وكانت الضربة التي اصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤوا به الى النبي ﷺ ومخ ساقه بسيل ، وأضجعوه الى جانب موقفه ﷺ ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريف فوضع خده عليها ، وقال له رسول الله ﷺ : أشهد أنك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيداً ؟ وفي رواية : انه قال : أشهيدا أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال :

وددت والله أن ابا طالب كان حياً ليعلم اننا احق منه بقوله :

ونسلمـــه حتـــى نصرع حوله ونذهــل عن ابنائنـــا والحلائل

ثم أنشأ يقول :

فان يقطعـــوا رجلي فانـــي مسلم أرجـــى به عيشـــاً من الله عاليا
وألبسنـــي الرحمـــن من فضـــل منه لباســـاً من الإســـلام غطـــى المساويا

وفي هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدةوعلي رضي الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث عبد بن المطلب بن عبد مناف قال ابو ذر رضي الله عنه ان قوله تعـالى ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة . وعن علي رضي الله عنه قال : انا اوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، فينا نزلت هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال في أعين المشركين قليلاً استدراجاً لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيراً ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلاً ليقوى جأشهم على مقاتلتهم .

ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة . وأنزل الله تعالى : ﴿ وإذ يركموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ﴾ ومن ثم قال تعالى ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ اي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي العين وقد ذكرواان قباب بن أشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضي الله عنه قال في نفسه يوم بدر : لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمداً وأصحابه ، وعنه رضي الله عنه قال : لما اسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله ﷺ فقالوا : هو ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت عليه فقال : يا قباب أنت القائل يوم بدر : لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمداً وأصحابه ؟ قال قباب : والذي بعثك بالحق ما تحدث به لساني ولا ترفرفت به شفتاي ولا سمعه مني احد ، وما هو إلا شيء هجس في قلبي أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده

ورسوله . وان ما جئت به هو الحق ، وحينئذ يكون معنى قوله ﷺ : انت القائل ؟ اي في نفسك ، فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته ﷺ .

قال ابن اسحق : لما قتل المبارزون خرج ﷺ من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده اي سهم لا نصل فيه ولا ريش ، مرّ ﷺ بسواد بن غزية حليف بن النجار وهو خارج من الصف ، فطعنه ﷺ في بطنه بالقدح ، وقال استو يا سواد فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني اي مكنـي من القـوادي القصـاص من نفسك ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقد أي خذ القود فاعتنق سواد النبي ﷺ ، وقبّل بطنه فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ فقال : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمسّ جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، ثم لما عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، قال لهم : ان دنا القوم منكم فانضحوهم اي ادفعوهم عنكم بالنبل ، واستبقوا نبلكم اي لا ترموها على بعد ، فان الرمي مع البعد يخطىء غالباً ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم . وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ، ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس اي مشى كل فريق جهة الآخر ، ودنا بعضهم من بعض ، واقبل نفرمن قريش حتى وردوا حوضه ﷺ فقال : دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا حكيم بن حزام ، فانه أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر ، وأمر ﷺ أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم ، وكان ﷺ قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله إياهم في منامة قليلاً ، فأخبر أصحابه فكان تثبيتاً لهم .

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه متوحشـاً سيفـه في نفـر من الأنصـار على باب العريش ، يحرسونه ﷺ ، ورسول الله ﷺ في العريش هو وابو بكر رضي الله عنه ليس معه فيه غيره وهوعليه الصلاة والسلام يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر . قال تعالى ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقـد سبقـت كلمتنـا لعبادنـا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾ ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجراً بين الصفين وقال: لا أفرّ إلا إن فرّ هذا الحجر .

وكان أوّل من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه فكان مهجع أوّل قتيل من المسلمين . وجاء عنه ﷺ ان مهجعاً سيد الشهداء اي من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو اوّل قتيل من الأنصار ثم

حارثة بن سراقة ، وقد جاءت امه الى رسول الله ﷺ بعد أن قدم من بدر وهي عمة انس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقالت : يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا . فقال : يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان ، وحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك وتقول ، بخ بخ لك يا حارثة . وفي رواية : قال لها ويحك أو هبلت أهي جنة واحدة ، انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الأعلى ثم دعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ، ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما . ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أسر ، وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ان يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه ﷺ قال لحارثة يوماً : وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقاً . قال : انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة . قال : يا رسول الله عزلت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري .فكأني بعرش ربي بارزاً ، وكأني انظر الى أهل الجنة يتزورون فيها ، وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها . قال : ابصرت فالزم عبد بذر الله الايمان في قلبك ، اي انت عبد الخ . فقال : ادع الله لي بالشهادة ، فدعا له رسول الله ﷺ بذلك . وقال ابو جهل لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد : لنا العزى ولا عزى لكم ، ونادى منادي رسول الله ﷺ : الله مولانا ولا مولى لكم ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، وسيأتي وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من ابي سفيان في يوم أحد وانه أجيب بمثل هذا الجواب ، وصار رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يعني العريش يوم بدر : اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد . وفي رواية : ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض . وفي رواية : اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين اي لأنه ﷺ علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة : وفي لفظ : اللهم لا تودع مني ولا تخذلني أنشدك ما وعدتني ، وما زال يدعو ربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ ابو بكر رضي الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفاك تناشد ربك فسينجز لك ما وعدك . وفي رواية : لينصرنك الله وليبيضنّ وجهك . وفي رواية : ألححت على ربك وانما قال أبو بكر رضي

الله عنه ذلك لأنه شق عليه تعب النبيﷺ في إلحاحه بالدعاء لأنه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول اللهﷺ ، وقيل : لان الصديق رضي الله عنه، كان في مقام الرجاء والنبيﷺ في مقام الخوف ، لأن الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين في الفضل سواء .

ذكره السهيلي : قال بعضهم : إن مقام الخوف يقتضي أن يجوز فيه أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معيناً في تلك الوقعة وإنما كان مجملاً ، فبفرض تأخره لا ينافي انه أعطاه ما وعده ربه ، والجواب الاول اولى أعني كونه شق عليه تعب النبيﷺ وحين رأى المسلمون القتال قد نشب ، عجوا بالدعاء إلى الله تعالى . وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر ، اللهم أنشدك ما وعدتني .

وروى النسائي والحاكم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبيﷺ فاذا رسول اللهﷺ يقول في سجوده : يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ، فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات ، وقال في الرابعة ففتح عليه . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ونظر رسول اللهﷺ الى المشركين فتكاثرهم ، والى المسلمين فاستقلهم ، فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه يحرسه . وفي رواية : عن علي رضي الله عنه قام ابو بكر شاهراً السيف على رأسهﷺ لا يهوي اليه أحد إلا أهوى اليه ، فقال عليه الصلاة والسلام ، وهو في سجوده : اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم اني أنشدك ما وعدتني .

وفي الصحيح : أن رسول اللهﷺ لماكان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول اللهﷺ سنة من النوم ثم استيقظ مبتسماً فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل على ثناياه النقع اي الغبار أي إشارة الى مناصرتهﷺ ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور ، وذلك انه لما التحم القتال وعج النبيﷺ والمسلمون بالدعاء أنزل الله الملائكة كما قال تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ أي متتابعين ، وقيل ردفاً لكم ، وقيل وراء كل ملك ملك آخر . ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أمدّ الله نبيهﷺ يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة . وجاء أيضاً أن الله أمدّه بثلاثة آلاف : ألف مع جبريل

وألف مع ميكائيل وألف مع إسرافيل . وقيل : وعدهم الله أن يمدهم بألف ثم زيدوا في الوعد بألفين ، وقيل أمدهم الله بثلاثة آلاف ، ثم أكملهم خمسة آلاف . قال تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ اي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع إسرافيل ؟ ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ﴾ وقيل إن المدد يوم بدر كان بألف ، ويوم احد بثلاثة آلاف . ثم وقع الوعد باكمالهم خمسة آلاف لو صبروا . وجاء ان الملائكةكانوا على صور الرجال ، فكان الملك يمشي أمام الصف في صورة رجل ويقول : أبشروا فانّ الله ناصركم عليهم ، ويظنّ المسلمون أنه منهم وجاء انهم يقولون للمسلمين : أثبتوا فان عدوّكم قليل اي قليل في نظركم وإن كثروا عدداً . قال تعالى ﴿ وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ﴾ حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه اتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مائة .

وروى البيهقي عن حكيم بن حزام : أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الأفق فاذا الوادي يسيل نملاً أي نازلاً من السماء فوقع في نفسي ان هذا شيء أيد بهﷺ وهو الملائكة وروي بسند حسن عن جبير بن مطعم قال : رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الأسود مبثوثاً حتى امتلأ الوادي فلم أشك انها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم ، وإنما نزلت الملائكة تشريفاً للنبيﷺ وأمته ، وإلا فملك واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم لوط ، وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة . وقد قال تعالى في إهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ﴾ فأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ، أن انزال الجند من خواصهﷺ تشريفاً له ولم يقع ذلك لغيره ، وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين في بعض الفعل ليكون الفعل منسوباً للنبيﷺ ولأصحابه وليهابهم العدو حيث يعلم أن الملائكة تقاتل معهم ، وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر، لمات أهل الأرض خوفاً من شدّة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم ، وجاء في حديث مرسل : ما رؤي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة إلا ما رؤي يوم بدر ، وجاء أن ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني

في جند من الشياطين اي مشركي الجنّ في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رأيته وقال للمشركين ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ وتقدم أنه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بني كنانة ، وكان وحده ويجوز ان يكون جنده لحقوا به فلا منافاة . فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام المخزومي أخي ابي جهل ، انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث : يا سراقة أتزعم انك جار لنا ؟ فقال : ﴿ اني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ فتشبث به الحرث وقال له : والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ، فضربه إبليس في صدره فسقط وفرّ من بين يديه . قال الحرث : ما علمت انه الشيطان إلا بعد ان أسلمت .

وذكر السهيلي : ان من بقي من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له : يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال : والله ما علمت بشيء من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله ، فعلموا انه إبليس . يروى انه لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهباً حتى سقط في البحر ، ورفع يديه ، وقال : يا رب موعدك الذي وعدتني ، اللهم إني أسألك نظرتك اياي يعني قوله تعالى ﴿ إنك من المنظرين ﴾ وخاف أن يخلص اليه القتل . وفي قصة مجيء الشيطان وفراره ونكصه ، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

سرنا وساروا الى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم . إن الخبيث لمن والاه غرر

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال ابو جهل لعنه الله يا معشر الناس ، لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لانرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال ، وصار يقول : لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجنّ سبعون ، لكن لم يثبت انهم قاتلوا ، بل كانوا مدداً فقط .

وجاء ان جبريل عليه السلام جاء للنبيﷺ وقال له : يا محمد إن الله بعثني اليك

وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى . ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش الى الناس فحرضهم وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبراً لا أدخله الله الجنة ، فقال عمير بن الحمام ـ بضم الحاء وتخفيف الميم ـ ، وفي يده تمرات يأكلهنّ بخ بخ ، وهي كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه ، أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه . وفي رواية : أنه ﷺ قال ﴿ قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فقام عمير بن الحمام وقال : بخ بخ فقال رسول الله ﷺ له : لم تبخبخ اي لم تتعجب ؟ فقال : رجاء ان أكون من أهلها .

وفي رواية : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء ان أكون من أهلها . فأخذ تمرات فجعل يلوكهنّ ثم قال : والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فنبذهنّ وقاتل وهو يقول :

ركضاً الى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصى . وفي رواية : قبضة من تراب . وفي رواية : قال لعلي رضي الله عنه : ناولني فاستقبل قريشاً ثم قال : شاهت اي قبحت الوجوه ، اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ، ثم نفحهم اي رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه . وفي رواية : وانفه وفمه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه ، فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ووقع مثل ذلك في غزوة أحد وغزوة حنين ، وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل ﷺ بنفسه يوم بدر قتالاً شديداً وكذا أبو بكر رضي الله عنه فكما كانا في العريش مجتهدين في الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعاً بين المقامين ، ولما خرج ﷺ من العريش قال ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ .

وروى ابن سعد انه : لما انهزم المشركون دنا رسول الله ﷺ في أثرهم بالسيف مصلتاً

يتلو هذه الآية ﴿ سيهزم الجمع ويولون البر ﴾ وهذه الآية نزلت بمكة ، وكانت هزيمة الجند يوم بدر . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت : أي جمع ؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله ﷺ في آثارهم بالسيف مصلتاً يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط . والى رميه ﷺ بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله :

ورمـى بالحصى فأقصـد جيشاً ما العصـا عنـده ومـا الالقاء

وقال ﷺ لأصحابه : من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فهو له . ولما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله ﷺ الى سعد بن معاذ رضي الله عنه ،فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم . فقال له رسول الله ﷺ لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ قال : اجل ، والله يا رسول الله كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الاثخال في القتل اي الإكثار منه والمبالغة فيه ، أحب إليّ من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبي ﷺ قال لأصحابه : اني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا إكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله اي بل يأسره . وقال من لقـي أبـا البختري بن هشام فلا يقتله اي لأنه ممن قام في نقض الصحيفة . ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله .

فقال ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : انقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ لئن لقيته يعني العباس لألجمنه السيف ، وقال ذلك لأن أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أوّل من قتل من الكفار مبارزة ، وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة . فبلغت تلك المقالة رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : والله لأنه أوّل يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . ثم قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنقه يعنـي أبـا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق ، فأبى رسول الله ﷺ ، فكان ابو حذيفة رضي الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا ان تكفرها عني الشهادة ، فقتل شهيداً يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب ، وأهل الردة في جملة

من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل : ستمائة رضي الله عنهم أجمعين . ولقي المجذر أبا البختري فقال له : ان رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك فقال : وزميلي اي رفيقي ؟ وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة . فقال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ الا بك وحدك . قال : لا والله لأموتن أنا وهو جميعاً لا تتحدث عنا نساء مكة أني تركت زميلي يقتل حرصاً على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال ، والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به ، فأبى الا ان يقاتلني فقاتلني فقتلته . وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل : عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسنّ اولاد ابي بكر رضي الله عنه . وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لأبيه ابي بكر رضي الله عنه لقد اهدفت لي اي ارتفعت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك اي اعرضت ، فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم اعرض عنك ، والمراد من كونه أهدف له اي ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ : متعنا بنفسك يا أبا بكر . أما علمت انك عندي بمنزلة سمعي وبصري . وأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين : لم يسلم ابن مالي يا خبيث . فقال له عبد الرحمن : كلا ما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري ، تقاتل عليها شيوخ الضلال .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه الى الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبي ﷺ : متعنا بنفسك أما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ولا مانع من التعدد حتى في نزول الآية واستبعد بعضهم كون ابي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها اولا في بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة . وبه يردّ ما ذكر ان سببها ان أبا بكر رضي الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي ﷺ بشر فلطمه لطمة سقط منها . فاخبر ابو بكر النبي ﷺ فقال له : لا تعد لمثلها . فقال : والله لو حضرني السيف لقتلته .

وفي كلام الزمخشري : ان عبد الرحمن أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال ، فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه . واما ابو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنه فأسلم عام الفتح رضي الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضي الله عنه ثم توفي بالمدينة ، ولم يعرف خليفة ولي الخلافة في حياة ابيه غير ابي بكر رضي الله عنه .

وفي هذا اليوم أعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركاً وكان أبوه قد قصده ليقتله ، فولى عنه ابو عبيدة لينكف عنه ويرجع ، فلم ينكف فرجع اليه وقتله . وانزل الله تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الآية .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : لقيت أمية بن خلف وكان صديقاً لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذاً بيده ، وكان معي أدراع استلبتها من القوم فانا أحملها ، فلما رآني امية ناداني باسمي الاوّل يا عبد عمرو ، فلم أجبه . فناداني يا عبد الإله فأجبته ، وذلك انه كان قال لي لما سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك ؟ فقلت : نعم فقال : الرحمن لا أعرفه ولكني اسميك بعبد الإله فلما ناداني بعبد الآله قلت : نعم . ثم قال هل لك فيّ فانا خير لك من هذه الادراع التي معك ؟ قلت : نعم فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط . ثم قال لي : يا عبد الآله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره ؟ قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب قال : ذاك الذي فعل بنا الافاعيل ، قال عبد الرحمن : ثم خرجت امشي بهما فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ان يترك الاسلام كما تقدم ، فقال بلال : يا انصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لانجوت ان نجا فقلت : يا بلال أبأسيري تفعل ذلك ؟ قال : لا نجوت ، ان نجا وكررت وكرر ذلك ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا ، فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف اي سله من غمده وضرب رجل علي بن امية ، فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط .

وفي رواية البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالاً لما استصرخ الأنصار قال :

خشيت ان يلحقونا ، فخلفت لهم ابنه لأشغلهم به فقتلوه ثم اتونا حتى لحقوا بنا ، وكان امية رجلاً ثقيلاً فقلت : أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، فأصاب احدهم رجلي بسيفي اي ظهر قدمه ، والذي باشر قتله مع بلال معاذ ابن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن أساف فهم اشتركوا في قتله . قال ابن اسحق : وأما ابنه علي فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف ، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول : رحم الله بلالاً ذهبت ادراعي وفجعني بأسيري . وفي رواية : فلا أدراعي ولا أسيري ، وهنأ أبو بكر رضي الله عنه بلالاً حين قتل امية بأبيات منها قوله :

هنيئـا زادك الرحمـن خيراً فقـد أدركت ثأرك يا بلال

وقال رسول الله ﷺ : من له علم بنوفل بن خويلد ؟ فقال علي رضي الله عنه أنا قتلته . فكبر رسول الله ﷺ وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه . فانـه لما التقـى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني نوفل بن خويلد . . .

وفي صحيح مسلم : عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال : اني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي واذا انا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فغمزني احدهما سراً من صاحبه فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ فقلت : نعم وما حاجتك به ؟ قال : بلغني انه كان يسب النبي ﷺ ، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت إلا عجل منا أي الأقرب اجلا ، فغمزني الآخر فقال مثلها سراً من صاحبه ، فعجبت لذلك اي لحرص كل منهما على ذلك ، واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب اي ألبث ان نظرت الى ابي جهل يزول في الناس أي يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما : ألاترِيان هذا صاحبكما الذي تسألان عنـه ؟ فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اي أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح ، وسيأتي ان ابن مسعود رضي الله عنه هو الذي تمم قتله ، ثم انصرفا الى رسـول الله ﷺ فأخبراه فقال : ايكما قتلـه ؟ فقـال كل واحـد منهما : انـا قتلتـه . قال : هل مسـحتما سيفيكما ؟ قالا : لا ، فنظر رسول الله ﷺ في السيفين فقال : كلاهما قتله ، وقضى بسلبه لهما ، الا السيف ، فسيأتي انه قضى به لابن مسعود .

قال ابن اسحق : ان ابا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول :

ما تنقــم الحــرب العــوان مني بازل عامــين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي

فأذاقه الله الهوان وقتله شرّ قتلة ، وجعل ذلك حسرة عليه وجاء في الحديث : ان الله قتل ابا جهل ، فالحمد لله الذي صدق وعده .

ولما انقضى القتال وانهزم المشركون امر رسـول الله ﷺ ابـي جهـل ان يلتمس في القتلى . وقال : ان حفي عليكم اي بان قطع رأسه وأزيل عن جثته فانظروا الى اثر جرح في ركبته ، فاني ازدحمت يوماً انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان وكنت أشف منه اي اكبر منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اي خدش على احداهما جحشاً لم يزل اثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله : ان النبي ﷺ صارع ابا جهل فصرعه ، فخرج الناس يلتمسونه في القتلى ، وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال عبد الله : فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ، ثم قلت له : قد اخزاك الله يا عدوّ الله قال وبم أخزاني ؟ أعار علي رجل قتلتموه اي ليس بعار على رجل قتلتموه . وفي رواية : لا رجل اعمد من رجل قتلتموه اي انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم ، اي فلا عار علي في قتلكم اياي ، وفي رواية : وهل اشرف من رجل قتله قومه ؟ ثم قال له : لو غير أكار قتلني ، والأكار الزراع يعني الأنصار لأنهم كانوا أصحاب زرع اي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان أعظم لشأني ، ولم يكن عليّ نقص . ثم قال لابن مسعود: اخبرني لمن الدبرة اي النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا ؟ قلت : لله ولرسوله ﷺ . وسأل ابن مسعود عن اهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا . فقال له : أولئك الملائكة . فقال : هم الذين غلبونا لا أنتم . وهذا غاية في كفره وعناده ، حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ . ثم ان ابن مسعود رضي الله عنه وطىء على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز رأسه . فقال له : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقـى صعباً .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : فضربته بسيفي لأحز رأسه فلم يغن عنـي شيئـاً

فبصق في وجهي وقال : خذ سيفي واحتز به رأسي من عرشي ليكون أبهى للرقبة والعرش عرق في اصلي الرقبة ففعلت كذلك . وجاء انه قال لابن مسعود رضي الله عنه : احتز من اصل العنق ليرى عظيماً مهاباً في عين محمد وقل له : ما زلت عدواً لي سائر الدهر ، واليوم اشد عداوة ، ولما اتى النبيﷺ برأسه وأخبره بقوله قال : كما اني أكرم النبيين على اللهوأمتي أكرم على الله ، كذلك فرعون هذه الأمة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الأمم ، اذ فرعون موسى حين ادرك الغرق قال : آمنت انه لا إلّه الا الذي آمنت به بنو اسرائيل . وفرعون هذه الأمة ازداد عداوة وكفرا .

وفي رواية : قال ابن مسعود رضي الله عنه : ثم جئت برأسه الى رسـول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدوّ الله ابي جهل . فقال رسول اللهﷺ : الله الذي لا إلّه غيره ورددها ثلاثاً قلت : نعم والله الذي لا إلّه غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله ، وجاء انه سجد خمس سجدات شكراً . وفي رواية : صلى ركعتين وقال : الحمد لله الذي اعز الاسلام واهله الله اكبر الحمدلله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . وكون ابي جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له : خذ سيفي الى آخر ما تقدم بنا في كونه وصل الى حركة المذبوح إلا ان يقال يجوز ان يكون في اول الأمر حين ضربه الانصار ، وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فذفف عليه ابن مسعود رضي الله عنه .

قال ابن قتيبة : ذكر ان ابا جهل قال لابـن مسعـود رضي الله عنـه وهما بمـكة : لأقتلنك . فقال : والله لقد رأيت في النوم اني اخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ، ولئن صدقت رؤياي لأطأن على رقبتك ولأذبحنك ذبح الشاة ، فكان في تذفيف ابن مسعود رضي الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا . جاء في رواية : ان ابن مسعود وجده متقنعاً في الحديد وهو منكبّ لا يتحرك ، فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انتهيت الى ابي جهل وهـو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ، ومعي سيف جيد ، ومعي سيف رديء فجعلـت أنتف رأسه وأذكره نتفاً كان ينتف رأسي بمكة ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدبرة ؟ ألست برويعينا بمكة فقتلته ؟ ثم سلبته فلما نظر اليه إذ هو ليس به جراح وإنما

هي اخدار وأورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اي آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين اي في داخل بدنه ، فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ، ومن ضرب ابن عفراء له حتى اثبته فأتى ابن مسعود رضي الله عنه النبيﷺ فاخبره به اي بالضرب الذي كهيئة السياط فقال : ذاك ضرب الملائكة . وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم ، قال: كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقياً فننظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك اي يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف . وقد جاء ان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين ، فعلمهم الله ذلك بقوله : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ اي مفصل ، فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار . وفي رواية وصف ذلك الأثر بالخضرة ولا منافاة لأن الأخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس او اليد من فعل الملائكة . وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين ، وفي الوجه والأنف واكثره فوق الأعناق والبنان ، وفسر بعضهم الأعناق بالرؤوس ، والضرب في الأعناق تارة يفصلها وتارة لأوفى الحالين يرى اثر ذلك اسود في العنق ليستدل به على انه من فعل الملائكة .

وجاء ان النبيﷺ وقف على القتلى والتمس ابا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال : اللهم لا تعجزني فرعون هذه الأمة ، فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث . وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه لما قال رسول اللهﷺ : من ينظر لنا ما صنع ابو جهل ؟ انطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد . وفي رواية : ترك فأخذ بلحيته فقال : انت ابو جهل ، الحديث . ولما جاء ابن مسعود يخبر النبيﷺ بأنه وجده فقتله اي تمم قتله قال له عقيل بن ابي طالب وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو أسير عند النبيﷺ : كذبت ما قتلته . قال : فقلت له بل انت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته . قال فما علامته ؟ قلت : ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق . قال : نعم وهذا هو اثر الجحش الذي جحشه اياه النبيﷺ كما تقدم . ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبيﷺ بقتل ابي جهل ومجيئه برأسه ، لاحتمال ان

يكون اخبر أولاً ثم رجع وجاء برأسه ، وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل ان يكون في اصل قتل ابي جهل ، وانه يعتقد انه ما قتل بل هو حي مع قومه ، او التكذيب في ان ابن مسعود هو القاتل . ويريد ان القاتل غيره كالأنصار . ثم ان النبيﷺ بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى اوقفه على ابي جهل فقال : الحمد لله الذي أخزاك يا عدوّ الله . هذا كان فرعون هذه الأمة ورأس قاعدة الكفر .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ونفلني سيفه اي اعطانيه وكان قصيراً عريضاً فيه قبائع فضة وحلق فضة . وعن قتادة : ان رسول اللهﷺ قال : ان لكل امة فرعوناً وان فرعون هذه الأمة ابو جهل ، قتله الله شرّ قتلة ـ بكسر القاف ـ لبيان الهيئة قتلته الملائكة . وفي رواية : قتله ابن عفراء اي وابن الجموح ، وقتلته الملائكة واجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : رأيت ابا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون : ابو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه اي أسرعت قطعه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت ، الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقي ، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي وأجهضني القتال اي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ، ثم جئت بها الى رسول اللهﷺ ، فبصق عليها وألصقها فلصقت . قال ابن اسحق : وعاش رضي الله عنه الى خلافة عثمان رضي الله عنه وهو صحيح سليم . ثم بعد ضربة ابن الجموح لأبي جهل جاءه وهو عقير معوذ ـ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ـ ابن عفراء فضربه حتى اثبته اي اثخنه وتركه وبه رمق ، حتى جاء ان مسعود فذفف عليه هكذا بجمع بين الروايات ، فان في بعضها قتله ابن الجموح ، وفي بعضها : ابن عفراء ، وفي بعضها : ابن مسعود رضي الله عنهم ومعوذ هذا لا يزال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

وجاء في بعض الروايات : ان ابن الجموح ومعاذاً ومعوّذاً ابني عفراء اشتركوا في قتل ابي جهل ، فلعل معاذاً اعان اخاه معوّذاً وكان معه في ذلك ، وقد جاء في الحديث : رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ، قيل له : يا رسول الله من قتله معهما ؟ قال : الملائكة وعفراء اسم امهما وأبوهما اسمه الحرث وقيل : ان معاذ بن عمرو

ابن الجموح اخوهما لأمهما . فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح ان يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء ، فلا تنافي بين الروايات . ولذا قال ﷺ : يرحم الله ابني عفراء ، قد اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس ائمة الكفر . وقد كان ابو جهل اشد الناس عداوة وحسداً للنبي ﷺ ولم يلق ﷺ من احد من الأذية مثل ما لقي من ابي جهل لعنه الله . وكان مقارباً للنبي ﷺ في السن ، وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة . فلما بعثه الله ﷺ كان أشد الناس له حسداً وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر ، وهو يوم البطشة الكبرى ، وكان أشد الناس اجتهاداً في إخراج النفير . ولما أرادوا الخروج من مكة اخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأجل الفئتين ، وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ ان تستفتحوا ـ اي تطلبوا الفتح اي النصر ـ فقد جاءكم الفتح ﴾ الآية ، ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال : اللهم أقطعنا للرحم فأحنه اي أهلكه الغداة . اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره . وفي لفظ : اللهم اولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ﴿ ان تستفتحوا ﴾ الخ شامل لذلك كله .

وفي رواية : انه قال يوم بدر : اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك . وفي رواية : اللهم انصر خير الدينين . اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث . وقد استجاب الله دعاءه . وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . وكان رأسه اول رأس حمل في الاسلام . وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم إلا جبريل عليه السلام . فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل : حمراء . وقيل : بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر ، وبعضهم بعمائم بيض ، وبعضهم بعمائم سود ، وبعضهم بعمائم حمر ، جمعاً بين الروايات . بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد ارخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اي وبيض وسود ، وكان الزبير بن العوّام رضي الله عنه يوم بدر متعمماً بعمامة صفراء . فقال ﷺ : نزلت الملائكة اي بعضهم بسيما ابي عبد الله يعني الزبير وقد ذكر ان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالاً شديداً حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار اي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك إذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد . وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال : احد أحد . كانت خيل الملائكة بلقاً مسوّمة اي مزينة وكان ذلك بوضع الصوف في نواصي الخيل وأذنابها . وفي

رواية العهن الاحمر والابيض . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني رجل من بني غفار قال : اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة اي الغلبة وقيل : بمعنى الهزيمة ، والأول ارجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل واذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول : اقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه اي غشاؤه فمات مكانه . وأما انا فكدت أهلك ثم تماسكت . وقوله : أقدم ـ بضم الدال ـ من التقدم كلمة يزجر بها الخيل ، وحيزوم قيل : اسم فرس جبريل ـ عليه السلام ـ وفي اثر مرسل ان رسول الله ﷺ قال لجبريل ـ عليه السلام ـ من القائل يوم بدر من الملائكة : اقدم حيزوم ؛ فقال جبريل : ما كل أهل السماء أعرف .

قال ابن كثير : وهذا الاثر يردّ قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد أن يقول احد من الملائكة لفرس جبريل اقد م حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل .

وفي رواية : جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه : أقدم حيزوم ، فنزلوا عن ميمنة رسول الله ﷺ . ثم جاءت سحابة اخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته ﷺ ، فاذا هم على الضعف من قريش ، فمات ابن عمي . وأما انا فتماسكت وأخبرت النبي ﷺ وأسلمت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظلل بني اسرائيل في التيه هو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . وعنه ايضا قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم ، فنظر الى المشرك أمامه فخر مستلقياً فننظر اليه ، فاذا هو قد حطم أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع . فجاء ذلك الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ذلك من مدد السماء . . .

وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال : هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط . ثم جاءت اخرى كذلك ، ثم جاءت اخرى كذلك ، فكانت الأولى جبريل نزل في ألف من الملائكة امام النبي ﷺ ، وكانت الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ ، وكانت الثالثة إسرافيل في الف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ .

وفي مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كأشد القتال

يعني جبريل وميكال .

وانكسر سيف عكاشة رضي الله عنه وهو بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن الأسدي رضي الله عنه وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله جذلاً من حطب أي أصلاً من أصول الحطب ، وقال : قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عند عكاشة ، وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده ، في قتال اهل الردة في زمن الصديق رضي الله عنه ثم لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة ، وسيأتي مثل ذلك في غزوة احد لعبد الله بن جحش رضي الله عنه وجاء في فضل عكاشة رضي الله عنه انه ممن يدخل الجنة بغير حساب ، وانكسر سيف سلمة بن اسلم رضي الله عنه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده اي عرجوناً من عراجين النخل وقال : اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده ، وضرب خبيب رضي الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله ﷺ ولأمه ورده فانطبق ، ورمى رفاعة بن مالك رضي الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله ﷺ ودعا له فما آذاه شيء منها ورجعت كما كانت .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالقتلى من المشركين ان ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا في القليب فطرحوا في القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأه ، فذهبوا ليحركوه فتزايل اي تقطعت اوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة .

قال السهيلي : وانما ألقوا في القليب ولم يدفنوا لأنه عليه الصلاة والسلام كره ان يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم ، فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم . وفيه أيضاً إشارة الى أن الحربي لا يجب دفنه ، بل يجوز اغراء الكلام على جيفته ولما ألقي عتبة والد أبي حذيفة رضي الله عنه في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن له رسول الله ﷺ فقال له : فعلك دخلك من شأن ابيك شيء ؟ فقال : لا والله ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام ، فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً .

وجاء ان أبا حذيفة رضي الله عنه أراد ان يبارز أباه ويقتله لما طلب المبارزة فنهاه

النبيﷺ عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد إلقائهم في القليب بثلاثة ايام جاء رسول اللهﷺ حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول : يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً ؟ فاني وجدت ما وعدني الله حقاً وجاء في بعض الطرق ناداهم بأسمائهم ، فقال : يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خاتمة ويا أبا جهل بن هشام ، وانما ذكر أمية بن خلف وإن لم يكن من أهل القليب لأنه كان قريباً من القليب . وفي رواية : قال لهمﷺ بئس عشيرة كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، واخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس . فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، كيف تكلم أجساد الأرواح فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئاً . وفي رواية : يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون . وعن قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول اللهﷺ توبيخاً وتصغيراً وندمة وحسرة عليهم . والمراد باحيائهم شدة تعلق ارواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا لأن الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به ، وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه إذا سلم ولا يصير الميت به حياً كحياة الدنيا ، لكنه قد يقوى في نحو الأنبياء والشهداء والصالحين ، حتى يصير كالحي في الدنيا ، ولا يردّ على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ لأن المراد لا تسمعهم سماع قبول ، وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطي في قوله :

سماع موتى كلام الخلق قاطبة   جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى   لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء في بعض الروايات : ان النبيﷺ نادى اهل القليب وقال لهم : ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه . قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم ، وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون ، لأن الاربعة المذكورين هم اعظم رؤساء قريش ، وبقية أصحاب القليب من بني عبد مناف ستة : عبيدة، والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، والحرث بن عامر ، وطعيمة بن عدي . ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد ، وزمعة ، وعقيل ابنا الاسود ، والعاص بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو

قيس بن الوليد ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ، وعلي بن أمية بن خلف ، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي ، والاسود بن عبد الاسد اخو ابي سلمة ، وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي ، وامية بن رفاعة . فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة . ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض اشعاره فقال :

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله ... كواكب في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه ... فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية ... فشردهم مثل النعام بمجهل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا ... فجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع ... حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة إذا غدا ... فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرت ... اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله ... غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليباً في القليب وقومه ... يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخاً ... ففتح من أسماعهم كل مقفل
وأخبر ما أنتم بأسمع منهم ... ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذا تضاحكوا ... فعاد بكاء عاجلاً لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه ... ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئي ... وحبك ذخري في الحساب وموئلي
عليك صلاة يشمل الآل عرفها ... وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر ، فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب ، فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله . قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا أدري أعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال : اسقني فأردت أن أفعل فقال الأسود الموكل بتعذيبه : لا تفعل فان هذا من المشركين الذي قتلهم رسول الله ﷺ ببدر . قال الزرقاني : هو أبو جهل . وقد رواه

الطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما . وفي رواية ابن منده عن ابن عمر رضي الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي او دعاني بدعاية العرب ، وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني : يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ، ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي : قد رأيته ؟ قلت : نعم قال : ذاك عدوّ الله أبو جهل ، وذاك عذابه الى القيامة . وروى ابن ابي الدنيا عن الشعبي ، ان رجلا قال للنبي ﷺ : انـي مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض ثم يخرج ، فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال ﷺ : ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة .

وكان جملة من قتل من المشركين سبعين ، وأسر منهم سبعون ، فمن القتلى أهـل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم ، والباقـون من باقيهـم وكان من أفضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم وهم من بني هاشم . وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش : ابـو العـاص بن الـربيع وزوج السيدة زينب بنت النبي ﷺ ورضي عنها أسلم قبيل فتح مكة ، واثنى عليه المصطفى ﷺ في مصاهرته ورد عليه زينب رضي الله عنه وعنها . وأبو عزيز زرارة بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضي الله عنه ، والسائب بن عبيد ، كذلك أسلم رضي الله عنه بعد الفداء وعدي بن الخبار ، والسائب بن ابي حبيش ، وأبـو وداعـة السهمـي ، وسهيل بن عمرو العامري ، أسلموا في فتح مكة ، وخالد بن هشام المخزومي وعبد الله بن السائب ، والمطلب بن حنطب ، وعبد الله بن أبي بن خلف أسلم يوم الفتح وقتـل يوم الجمل ، وعبد الله بن زمعة أخو سودة ، ووهب بن عمر الجمحي ، وقيس بن السائب المخزومي ، وقسطاس مولى أمية بن خلف ، والوليد بن الوليد .

قال في المواهب : وكان العباس رضي الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديماً وكان يكتم إسلامه ، وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين ، وكان النبي ﷺ يطلعه على اسراره حين كان بمكة ، وكان يحضر مع النبي ﷺ حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويرحضهم على مناصرته كما تقدم ذلك في حضوره بيعة العقبة التي كانت مع الأنصار قبل الهجرة . فهذا كله يدل على اسلامه ، وكان النبي ﷺ امره بالمقام بمكة ليكتب

له اسرار قريش وأخبارهم ، ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما امكنه التخلف عنهم ، ولهذا قال النبي ﷺ يوم بدر : من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرهاً ولا ينافي ذلك قوله ﷺ له لما طلب منه الفداء : ظاهر امرك انك كنت علينا لان كونه عليهم في الظاهر لا ينافي كونه مكرهاً في الباطن ، فعامله النبي ﷺ بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضي الله عنهم حيث فعل مثل ذلك بآبائهم وأبنائهم وعشائرهم .

وجاء ان العباس رضي الله عنه كان له مال وديون في قريش ، وكان يخشى إن أظهر إسلامه ضياعها عندهم فكان يخفي إسلامه باذن من النبي ﷺ ، ولم يظهرالنبي ﷺ إسلامه للصحابة رفقاً به وخوفاً على ضياع ماله ، وللنبي ﷺ غرض في إخفاء إسلامه ليكون له عيناً ينقل أخبار القوم ، ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه ، فهو لم يظهر إسلامه لهم الا يوم فتح مكة . وهذا لا ينافي اسبقية اسلامه وانه اظهره للنبي ﷺ وأصحابه بعد وقعة بدر ، كما يأتي ، لان الذي تأخر الى فتح مكة ظهوره لأهل مكة . وكان العباس رضي الله عنه كثيراً ما يطلب الهجرة الى رسول الله ﷺ ، فيكتب له النبي ﷺ مقامك بمكة خير لك . وفي رواية : استأذن العباس رضي الله عنه النبي ﷺ في الهجرة فكتب اليه : يا عم أقم مكانك الذي انت فيه ، فان الله عز وجل يختم بك الهجرة ، كما ختم بي النبوة ، وكان كذلك . فقد كان آخر المهاجرين لانه استقبل النبي ﷺ بالابواء ولا علم له بخروج النبي ﷺ بفتح مكة فرجع معه وكان الذي أسر العباس رضي الله عنه كعب بن عمرو الأنصاري السلمي ويكنى بأبي اليسر رضي الله عنه فقيل للعباس : كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك ؟ فقال : ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة الأشم ، وهو جبل عظيم من جبال مكة .

وفي رواية : عن علي ـ رضي الله عنه ـ فجاء رجل من الأنصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس : ان هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاري : أنا اسرته يا رسول الله . فقال ﷺ : اسكت فقد أيدك الله بملك كريم . وفي رواية : قال له النبي ﷺ : كيف أسرته ؟ فقال : قد أعانني الله عليه بملك كريم . ولما أسر رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الأسرى فصار يئن فسمع النبي ﷺ أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله ؟ قال : أنين العباس . فقام رجل وأرخى وثاقه ، وكان العباس رضي الله عنه رجلاً طويلاً فأراه النبي ﷺ بعد رجوعه الى المدينة بالأسرى ان يلبسه قميصاً وكان ذلك بعد ان حصل

الفداء وإظهاره إسلامه ، فلم يجدوا له قميصاً يكون على طوله فكساه عبد الله بن أبي بن سلول قميصه ، ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس المنافقين ، جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبي ﷺ يطلب قميصه ﷺ ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبي ﷺ ، فأعطاه ﷺ قميصه تطيبياً لقلب ابنه وتألفاً لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ وجعل ﷺ فداء العباس رضي الله عنه أربعمائة اوقية . وفي رواية : مائة أوقية . وفي رواية . أربعين أوقية من ذهب ، وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن ابي طالب ثمانين اوقية ، وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث كذلك .

وفي رواية : قال له افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين اوقية . وقال للنبي ﷺ : تركتني فقير قريش ما بقيت . وفي لفظ : تركتني اسأل الناس في كفي . فقال له رسول الله ﷺ : فأين المال الذي دفعته لام الفضل ؟ يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم . وفي رواية : فللفضل كذا وعبد الله كذا . فقال : والله اني اشهد انك رسول الله ان هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل . أنا اشهد ان لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله . وفي رواية : قال للنبي ﷺ : لقد تركتني فقير قريش ما بقيت . فقال له : كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل ؟ وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت . وفي رواية : اين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل ؟ فقال : اشهد ان الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه إلا الله ، وأتى الشهادتين اي نطق بهما بحضرة النبي ﷺ وأصحابه ، فلا ينافي القول بأسبقية إسلامه وانه كان يكتمه والنبي ﷺ يعلم ذلك .

ومما يؤيد ذلك أنه جاء في بعض الروايات : ان العباس رضي الله عنه قال : علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين ؟ وفي رواية : وكنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني ؟ فقال له النبي ﷺ : الله اعلم بما تقول ، ان بك حقاً فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا . وقد أنزل الله تعالى في العباس رضي الله عنه ﴿ يا ايها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ منكم ويغفر لكم ﴾ وعند نزول الآية قال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ : وددت انك كنت اخذت مني أضعاف ما أخذت . وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالاً عظيماً حتى كان عنده مائة عبد في يد كل

عبد مال يتجر فيه ، وكان يقول واني لأرجو من الله المغفرة . وقيل : ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلاً فقط ، بدليل انه جاء في رواية : انهﷺ قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب : افد نفسك يا نوفل . قال : مالي شيء افدي به نفسي . قال : افد نفسك من مالك . وفي رواية : من رماحك فقال : اشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لي بمكة رماحاً غير الله اي وفدى نفسه ولم يفده العباس رضي الله عنه .

وكان من الاسرى النضر بن الحرث العبدري بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من أشد الناس عداوة للنبيﷺ ، وكان يقول في القرآن انه أساطير الأولين . ويقول لو شئنا لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الأقاويل ، فنظر اليه النبيﷺ وهو أسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه : محمد والله قاتلي ، فانه نظر إلي بعينين فيهما الموت . فقال له : والله ما هذا منك ، الا رعب . ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدري : يا مصعب انت اقرب من هنا اليّ رحماً فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين ، هو والله قاتلي . فقال له مصعب : انت كنت تقول في كتاب الله ما تقول ، ثم أمر النبيﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه . وذكر بعضهم ان النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وكان من المؤلفة . وقيل بل أسلم قديماً وهاجر الى الحبشة والله أعلم .

ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل : انما هي بنته رثته ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها :

يا راكباً ان الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ... ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته ... ام كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولأنت نجل نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
او كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق

ظلـــت سيوف بنـــي أبيه تنوشه لله ارحـــام هنـــاك تشقق
صبـــراً يقـــاد الى المنية متعباً رسف المقيد وهـــو عان موثق

وفي رواية : بدل قولها أمحمد ، البيت :

أمحمـــد يا خـــير ضمـــن كريمة في قومهـــا والفحـــل فحـــل معرق

وحين سمع ذلك ﷺ بكى وقال : لو بلغني هذا الشعر قبل قتلـه لمننت عليه اي لقبول شفاعتها عنده فلا ينافي ان ما فعله حق .

ومن الأسرى ايضاً : عقبة بن ابي معيطبن ذكوان المكنى بأبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ، وهو من المستهزئين به ﷺ كما تقدم ، فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهي شجرة يتظلل بها وقال حين قدم للقتل : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . وجاء عن ابن عبـاس - رضي الله عنهما - ان عقبـة لما قدم للقتـل نادى : يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبراً؟ فقال له النبي ﷺ : بكفرك واجترائك على الله ورسوله ﷺ . وفي رواية : ببزاقك في وجهي ،وتقدم أن عقبة كان يكثر مجالسة النبي ﷺ ، فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله ﷺ فأبى رسول الله ﷺ ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال : صبأت يا عقبة ؟ قال : لا . ولكن أبى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست في نفسي .فقال له أبي : وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمداً فلم تطأ قفـاه وتبـزق في وجهه ، وتلطم عينه . فوجد النبي ﷺ ساجداً ففعل به ذلك ، ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه ، وصار اثر ذلك باقياً في وجهه الى موته ، وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد ، وكان شديد السفه والفجور . وانزل الله تعالى فيه ﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ ويروى ان النبي ﷺ قال له بمكة : لا ألقاك خارج مكة ، إلا علوت رأسك بالسيف . وفي رواية : لما قال : مالي أقتل من بينك صبراً قال له النبي ﷺ : بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله . وقيل : ان النبي ﷺ قال له : لست من قريش هل أنت إلا يهودي من أهل صفورية ، وذلك لان أمية جدّ أبيه خرج الى

الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية ، وهو نسبة لموضع من ثغور الشام : فولدت ذكوان وهو والد ابي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية . واختلف في من باشر قتله فقيل : عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه ، وقيل : ان عاصم بن ثابت خاله لا جده ، لأن ام عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت ، وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هو الصحيح . وقيل : قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويحتمل أنهما اشتركا في مباشرة ذلك . وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة .

وذكر ابن قتيبة ان طعيمة بن عدي اخا المطعم بن عدي كان من جملة الأسرى ، وان النبي ﷺ أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث ، وعقبة بن أبي معيط . والصحيح عند أهل السير والمغازي ان طعيمة بن عدي قتل في معركة القتال قتله حمزة رضي الله عنه وسيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة أحد ، ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور .

ثم استشار رسول الله ﷺ اصحابه في الأسرى فقال لهم رسول الله ﷺ : ما ترون في هؤلاء الأسرى ، ان الله قد مكنكم منهم . وفي رواية : انه ﷺ استشار أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم فيما هو الأصلح من الأمرين القتل أو أخذ الفداء . فقال ابو بكر : يا رسول الله أهلك وقومك . وفي رواية : هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، قد اعطاك الله الظفر بهم ، ونصرك عليهم ، أرى ان تستبقيهم ، وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله ان يهديهم بك فيكونون لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : ما تقول يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا رسول الله قد كذبوك واخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى ابو بكر ، ولكني أرى ان تمكنني من فلان قريب لعمر . وفي رواية : نسيب له فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل أخيه فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه ، حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . وقال ابن رواحة : انظروا وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا . وفي رواية : ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله ﷺ ، ثم عاد ﷺ فقال : يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم ، فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اضرب اعناقهم فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فعل ذلك ثلاثاً ، وهو يعرض عنه لما جبل عليه ﷺ من الرأفة والرحمة في حالة إيذائهم له ، فكيف في حال قدرته عليهم ؟ فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أرى ان تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم ، فذهب عنه ﷺ ما

كان من الغم ، ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع انه احد الثلاثة المستشارين .

قال العلامة الزرقاني : لأنه لما رأى تغير المصطفى ﷺ حين اختلف الشيخان ، لم يجب او لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال : انظر وادياً كثير الحطب فأضرمه عليه ناراً . فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك . وفي رواية : ثكلتك أمك فدخل ﷺ فقال : اناس يأخذ بقول عمر ، وأناس بقول ابي بكر ، وأناس بقول ابن رواحة . ثم خرج فقال : ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، مثلك يا أبا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ، ومثلك في الأنبياء مثل ابراهيم ، قال ﴿ فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ . ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على اعداء الله . ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ . ومثلك في الأنبياء مثل موسى اذ قال ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ . الآية . لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول ابي بكر رضي الله عنه وقال : لا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق . فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام ، فسكت ﷺ فما رأيتني في يوم اخاف ان تقع على الحجارة مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ : الا سهيل بن بيضاء . وانزل الله تعالى ﴿ ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله ان الله غفور رحيم ﴾ .

فجاء عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ وأبو بكر يبكيان فقال : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما . فقال ﷺ : أبكي للذي عرض على اصحابك من الفداء . وفي رواية ، قال : ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت منه إلا ابن الخطاب . وفي رواية : وسعد بن معاذ لانه أيضاً كره الأسر وحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لأنه اشار باضرام النار وليس بشرع . قال بعضهم : في هذه الآيات دليل على انه يجوز الاجتهاد للأنبياء لان العتاب لا يكون فيما صدر عن وحي . وقال السبكي في قوله تعالى ﴿ ما كان

لنبي ـ اي غيرك يا محمد ـ ان يكون له أسرى ﴾ الخ اي وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم . وعن الأعمش في قوله تعالى ﴿ لولا كتاب من الله ﴾ سبق اي بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً ممن شهد بدراً . ويؤيده حديث : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل في الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الأولى ، وانه كان الأولى الاثخان بالقتل . لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم المقدر ، ووقوعه قبل خلق السموات والارض . وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقاً لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف .

وروى الحاكم باسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال : جاء جبريل الى النبيﷺ يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسرى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عاما مقبلاً مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا . وفي رواية قالوا : بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون ففادهم .

ثم ان استقر الأمرعلى الفداءفرّق رسول اللهﷺ الأسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم اهلهم وعشائرهم بالفداء ، وقيل تفريقهم بين أصحابه انما كان بعد وصوله المدينة . وقال : لما فرقهم استوصوا بهم خيراً .

قال ابن اسحق : فكان ابو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال : مر بي اخي ورجل من الأنصار يأسرني فقال له : شدّ يديك به فان امه ذات مناع لعلها تفديه منك . قال : فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول اللهﷺ اياهم بنا ، ولما قال اخوه للأنصاري شد يدك به قال : يا اخي هذه وصايتك بي ؟ ثم أرسلت أمه اربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضي الله عنه وتوامت قريش على ان لا يعجلوا في طلب فداء الاسرى . قالوا : لئلا يتغالى محمد وأصحابه في الفداء ، فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي ، بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم ، وقد قالﷺ لما رأى ابا وداعة أسيرا : ان له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال وكأنكم به

قد جاء في طلب أبيه فجاء وفداه فكان اوّل أسير فدي ، واسم ابي وداعة الحرث ثم أسلم رضي الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة . وعند ذلك بعثت قريش في فدا الأسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم ، وكان من اربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف . ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة ، فاذا علمهم كان ذلك فداءه . وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبيﷺ في أساري بدر ، فقال لهﷺ : و لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم لنفعناه . وفي رواية : لو كان مطعم حياً وكلمني في هؤلاء النفر . وفي رواية : في هؤلاء النتني لتركتهم له لان المطعم أجار النبيﷺ ، لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ، وسماهم نتنى لكفرهم ، وكان موت المطعم قبل وقعة بدر ، وهو على كفره واما جبير ابنه فأسلم رضي الله عنه .

وكان من الاسرى ابو العاص بن الربيع رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبيﷺ ورضي عنها . وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وكنيته ابو العاص واسمه لقيط وقيل : مقسم بكسر الميم ، وقيل : هشيم واشتهر بكنيته ، وابوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف . فلما أسر ابو العاص بعثت زينب رضي الله عنها في فدائه قلادة لها ، كانت أمها خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها ابو العاص ، فلما رأى النبيﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة : ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا . وشرط عليهﷺ ان يخلى سبيل زينب اي ان تهاجر الى المدينة ، ولم يكن في ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرماً ، وانما حرم ذلك بعد لان الأحكام انما شرعت بالتدريج. فلما بعثﷺ وأسلم أهله وبناته ولم يسلم ابو العاص زوج زينب لم يفرق بينهماﷺ ، وقد كان كفار قريش منوا الى أبي العاص وسألوه ان يطلق زينب بنت رسول اللهﷺ وقالوا له : نزوجك اي امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال : والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي أفضل امرأة من قريش . وأثنى عليه النبيﷺ بذلك خيراً وشكر له ذلك . فلما وصل ابو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها وقد كانﷺ أرسل زيد بن حارثة ورجلاً من الانصار وقال لهما : تكونان بمحل كذا لمحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها ، فلما ارادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو اخو زوجها ، قدّم لها بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً ،

يقودها في هودج لها ، وكانت حاملاً . فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق اليها هبار بن الأسود رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح ، فوقعت وألقت حملها . ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال : والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه ابو سفيان في رجال من قريش وقال : كف عنا نبلك حتى نكلمك . ثم قال له : انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بزينب علانية ، على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، فيظن الناس ان ذلك من ذل اصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس ان قد وودناها ، فسر بها سراً فألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلاً حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه .

وفي رواية : انهﷺ قال لزيد بن حارثة : الا تنطلق فتجيء بزينب ؟ قال : بلى ، يا رسول الله : قال : فخذ خاتمي فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً فقال : لمن ترعى ؟ قال : لأبي العاص . قال : فلمن هذه الغنم ؟ قال : لزينب بنت محمد ، فتكلم معه . ثم قال له : ان اعطيتك شيئاً تعطها إياه ولا تذكره لأحد ؟ قال : نعم ، فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم ، فعرفته فقالت : من اعطاك هذا ؟ قال : رجل . قالت : فأين تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا . فسكنت حتى إذا كان الليل خرجت اليه ، فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي ، على بعير . قالت : لا ، ولكن اركب أنت بين يديّ فركب وركبت خلفه حتى اتت المدينة ، وذلك بعد شهر من بدر . وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها اي اخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان ان يكون معها حين خرجت ، ثم أسلم زوجها رضي الله عنه وهاجر وردّها اليهﷺ بغير عقد بل بالنكاح الأول وقيل : عقد له عليها عقداً آخر وولدت له امامة التي كان يحملهاﷺ على ظهره وهو يصلي . ثم لما كبرت تزوّجها عليّ رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها لعليّ بذلك . ولما حضرت علياً رضي الله عنه الوفاة قال لها : اني لا آمن ان يخطبك معاوية بعد موتي ، فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عشيراً . فلما توفي علي رضي الله عنه وانقضت عدّتها ، أرسل معاوية رضي الله عنه يخطبها ، وبذل لها من المهر مائة ألف دينار ، فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا

الرجل أرسل يخطبني فان كان لك حاجة في فأقبل ، فجاء وخطبها من الحسن بن علي رضي الله عنه فزوّجها منه وقيل : زوّجها منه الزبير بن العوّام بوصية من ابيها له عليها ، ويمكن الجمع بينهما .

وكان من جملة الأسرى عمرو بن ابي سفيان بن حرب أخو معاوية أسره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقيل لابي سفيان افد عمراً ابنك فقال : ايجمع على دمي ومالي قتلوا حنظلة ، يعني ابنه وهو شقيق ام حبيبة ام المؤمنين رضي الله عنها وأفدى عمراً ، دعوة في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم . فبينما ابو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بني عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمراً فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، فمضى بنو عمرو ابن عوف الى رسول الله ﷺ فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه ان يعطيهم عمرو بن ابي سفيان فيفكون به صاحبهم ، ففعل رسول الله ﷺ فبعثوا به الى ابي سفيان ، فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسرى ، والظاهر انه مات على شركه .

وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمـرو العامـري ، وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها . وكان يخطب قريشاً ويحثهم على قتال النبي ﷺ ، فلما أسر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : دعني انزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه اي يخرج فلا يستطيع الكلام ،لأنه كان اعلم والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن ابدا .فقال له رسول الله ﷺ: لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسى ان يقوم مقاماً لا تذمه فكان كذلك فانه أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن إسلامه ، وصار من فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله ﷺ أراد اكثر اهل مكة الرجوع عن الاسلام ، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس ، تشبه خطبة ابي بكر رضي الله عنه التي خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي ﷺ ، وقال سهيل في خطبته : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت ، ألم تعلموا ان الله قال ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ وقال ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

قال : والله اني لأعلم ان هذا الدين يمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها ،

فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم ، وكلمة الله تامة ، وان الله ناصر من نصره ، ومقو دينه ، وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوّة ، فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه . فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان في قيامه ذلك المقام معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر به قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر ـ رضي الله عنه ـ عسى ان يقوم مقاماً لا تذمه ، ولما أسر سهيل قدم مكرز بن حفص في فدائه فلما ذكر قدراً ارضاهم به قالوا له هات . قال ليس عندي هنا شيء ولكن اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى تبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً في محله حتى جاءهم الفداء .

وكان في الاسرى الوليد بن الوليد ، اخو خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فأفتكه اخواه هشام وخالد ، فلما سلموا فداءه وافتكوه ووصل الى مكة اسلم فعاتبوه في ذلك . فقال : كرهت ان يظنّ بي اني جزعت من الأسر ثم لما أسلم اراد الهجرة فحبسه اخواه هشام وخالد فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت ويقول : اللهم انج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي ﷺ في عمرة القضاء .

وكان في الاسرى وهب بن عمير الجمحي رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وبقي بالمدينة مع الأسرى ، وكان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ، فجلس عمير يوماً مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما في العيش خير بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه عليّ فقال له عمير : صدقت اما والله لولا دين عليّ ليس لهعندي قضاءوعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لكنت آتي محمدا حتى اقتله ، فان لي فيهم علة ، ابني اسير في أيديهم ، فاغتنمها صفوان وقال له : علي دينك انا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا . قال عمير : فاكتم عني شأني وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك . ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه اي سنه وسمه اي جعل فيه السم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضي الله عنه هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب ما جاء الا

بشر ، فدخل عمر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله هذا عدوّ الله عمير ابن وهب ، قد جاء متوشحاً بسيفه قال : فأدخله عليّ فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فأمسكه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الانصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده فانّ هذا الخبيث غير مأمون . ثم دخل به عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ثم قال عمير : انعموا صباحاً وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم يعني ولده وهباً فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف ؟ قال : قبح الله السيوف وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : أصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت الا لذلك . فقال له النبي ﷺ : بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فتذاكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين عليّ وعيال لخرجت حتى أقتل محمداً ، افتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى تقتلني له ، والله حائل بيني وبين ذلك . قال عمير : أشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك ، فيما تأتي به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان ، فوالله اني لأعلم انه ما اتاك به الا الله تعالى ، فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا ذلك واسلم ابنه أيضا رضي الله عنه . ثم قال عمير : يا رسول الله اني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فأنا احب ان تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، والا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لأهل مكة : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ان لا يكلمه أبداً وان لا ينفعه ولا يواسيه أبداً فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ بيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان ، فقال : قد عرفت حيث لم يبدأني قبل منزله ، انه انتكس وصبأ ولا أكلمه ابداً ولا انفعه ولا عياله بنافعة ابداً ، ثم ان عميراً رضي الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة حجر والذبح له ، أهذا دين ؟ أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، فلم يجبه صفوان بكلمة

وعند فتح مكة هو الذي استأمن النبي ﷺ لصفوان ثم اسلم صفوان رضي الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه ﷺ واديا مملوءاً من النعم ، فقال : أشهد ان الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ، ولا تطيب به الا نفوس الانبياء ، اشهد ان لا اله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ ، وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش .

ومنّ رسول الله ﷺ على نفر من الأسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي ﷺ والمسلمين بشعره فقال : يا رسول الله اني فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم ، فمن عليه رسول الله ﷺ . وفي رواية : قال له : ان لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن ففعل واطلقه وأخذ عليه عهداً ان لا يظاهر عليه احداً . ولما وصل الى مكة قال : سحرت محمداً . ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرّض على قتال المسلمين بشعره فأسر ، فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه ، فقال : أعتقني واطلقني فاني تائب . فقال ﷺ . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من طرح أهل القليب في قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بشيراً لأهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضي الله عنه بشيراً لأهل السافلة بما فتح الله على رسول الله والمسلمين وأركب ﷺ زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل : العضباء فجعل عبد الله بن رواحة ـ رضي ارلله عنه ـ ينادي في أهل العالية : يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم . ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر فلان ، وفلان من أشراف قريش ، فصار عدوّ الله كعب بن الأشرف اليهودي يكذبها ويقول : ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . قال اسامة بن زيد رضي الله عنهما : فأتانا الخبر بالمدينة حين سوّينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها زوج عثمان رضي الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوجه ﷺ ابنته الأخرى ام كلثوم ، وتوفيت عندها أيضاً رضي الله عنها فقال ﷺ : زوّجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته اياها وما زوجته إلا بوحي من الله . وفي رواية :لو ان لي أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة .

قال العلامة الحلبي : وام عثمان بنت عمته ﷺ أروى بنت عبد المطلب توأمه عبد الله أبي النبي ﷺ . ولما جاء زيد بن حارثة بشيراً قال رجل من المنافقين لأبي لبابة - رضي الله عنه - قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبداً . قد قتل محمد وغالب أصحابه ، وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب . قال اسامة : فبلغني ذلك فجئت حتى خلوت بأبي وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت : أحق ما تقول ؟ قال : اي والله انه لحق ما أقول يا بني ، فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت : انت المرجف برسول الله ﷺ ؟ لتقدمنك الى رسول الله ﷺ ، اذا قدم فيضرب عنقك فقال : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ثم أقبل ﷺ راجعاً الى المدينة . ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه : من قتل قتيلاً فله سلبه ،من أسر أسيراً فهو له . وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه ، وأسهم لجماعة قد تخلفوا بأمر منه ﷺ منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبي ﷺ ورضي عنها فهو معدود من أهل بدر ، وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبي ﷺ وجعل له سهماً في الغنيمة ، ومنهم أبو لبابة رضي الله عنه خلفه ﷺ على أهل المدينة ، وعاصم بن عدي خلفه على أهل قباء والعالية . ومنهم من أرسله لكشف امر العدو وتجسس خبره فلم يجيء الا وقد انقضى القتال وهما : طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد . ومنهم الحرث بن حاطب أمره النبي ﷺ على بني عمرو بن عوف .

ولما قارب رسول الله ﷺ المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه ، فتلاقوا معه بالروح وتلقته الولائد عند دخول المدينة يقلن :

طلـع البـدر علينا من ثنيات الوداع
وجـب الشـكر علينا ما دعـا لله داعي

وتلقاه أسيد بن حضير وقال : الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك .

وأما أهل مكة فأول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي ، رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهده ، ويقول : قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان وفلان من اشراف قريش ، وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن امية وكان جالساً في الحجر : والله ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه قالوا له : ما

فعل صفوان ابن امية ؟ فقال . هو ذاك جالس في الحجر ، وقد رأيت أباه واخاه حين قتلا ، ثم قدم ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضي الله عنها ، وكان مشركاً من أشد الناس على النبي ﷺ ، ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس ، والتقيا مع النبي ﷺ بالأبواء وهو متوجه الى فتح مكة ، فلما قدم أبو سفيان بن الحرث على أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم اليّ عندي الخبر والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله لا يقوم لها شيء اي لا يقاومها شيء ، فقال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ وكان ذلك الوقت مولى للعباس رضي الله عنه ثم وهبه للنبي ﷺ فقلت له : والله تلك الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني فقامت أم الفضل زوج العباس رضي الله عنها وهي لبابة بنت الحرث الهلالية اخت ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم ، الى عمود فضربت به رأس ابي لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت : استضعفته أن غاب سيده ، قال أبو رافع : فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة ، وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ، ويقولون انها تعدي أشد العدوى ، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى قتله الله ، وبقي بعد موته ثلاثة ايام لا يقرب احد منه . فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . واما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي ﷺ ، واسلمت ايضاً اختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها واما عتيبة بالتصغير فمات كافراً عقره الأسد في طريق الشام في حياة ابيه بدعوة النبي ﷺ حين طلق ابنة النبي ﷺ ، وسفه عليه فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك كما تقدم ، ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند اهل مكة ما صاروا اليه من القتل والأسر ، ناحت قريش على قتلاهم اكثر النوح واستداموه شهراً ، وجز النساء شعورهنّ ، وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ، ويخرجن الى ازقة ، ثم أشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثأرهم وتواصوا على ذلك .

ولما بلغ النجاشي الخبر اي خبر نصرة رسول الله ﷺ ببدر فرح فرحاً شديداً وطلب

جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضي الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالساً على التراب لابساً أثواباً خلقة فقالوا له : ما هذا ايها الملك ؟ فقال لهم : ان أبشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو أرضكم عين لي ، فأخبرني ان الله نصر نبيه ﷺ ، وأهلك عدوه فلان ابن فلان ، وفلان ابن فلان ، وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر ، كثير الأدراك كنت أرعى فيه غنماً لسيدي من بني ضمرة فقال له جعفر رضي الله عنه : مالك جالساً على التراب وعليك هذه الأخلاق ؟ قال : إنا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام ، ان حقاً على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل تواضعاً عندما احدث لهم نعمة ، وفي رواية : كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدثت له من الله نعمة ازداد تواضعاً فلما أحدث الله نصرة نبيه ﷺ أحدثت هذا التواضع ، ولما اوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل رؤوسهم قالوا : ان ثأرنا بأرض الحبشة ، فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا ، فأرسلوا عمرو ابن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله عنهما فانهما اسلما بعد ذلك الى النجاشي ، ليدفع اليهما من عنده من المسلمين . وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي مرة ثالثة ستأتي ان شاء الله ، وفيها قصة إسلامه .

ولما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة مؤيداً منصوراً خافه كل عدوّ بها وحولها ، وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن ابي في الاسلام ظاهراً وقالت اليهود تيقناً أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة ، وبقي على كفرهم آخرون ﴿ ومن يضلل الله فلا هادي له ﴾ .

وكان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، منهم ستة من الخزرج واثنان من الأوس ، فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث ابن المطلب قطعت رجله في المبارزة مع عتبة بن ربيعة ، وأخيه وولد فمات بالصفراء فدفنه ﷺ بها ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل انه اول قتيل وأوّل من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الأمة ، وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمي وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما . روي ان النبي ﷺ استصغر عميراً فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة ، وعاقل بن بكير

الليثي ، وصفوان بن بيضاء الفهري ، وذو الشمالين عمير، وقيل الحرث ، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، والثمانية الأنصاريون الخزرجي منهم ، عوف بن عفراء وحارث بن سراقة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح ، والأوسي ، منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء .

روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ان الذين قتلوا من أصحاب محمد ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذا طلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : يا عبادي ماذا تشتهون ؟ فقالوا : يا ربنا هل فوق هذا من شيء ؟ قال : فيقول ماذا تشتهون ؟ فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في اجسادنا فنقتل كما قتلنا . قال في المواهب : ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لأنه وعدهم الظفر بقريش حيث قال ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ﴾ ولم يعدهم انه لا يقتل منهم احد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوّهم كما وعد الله ، فكان وعد الله مفعولاً ، ونصره للمؤمنين ناجزاً ، والحمد لله على ذلك ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما . وفي المواهب وشرحها : قال ابن مرزوق في شرح البردة : ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم إذا اجتازوا بذلك الموضع أي بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان ، وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب أي شديد لا سهولة فيه ، فتجيب فيه حوافر الدواب اي تكون بصوت يشبه تصويتها في الأرض الصدى فيقولون لي : ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الإبل وأخفافها لا تصوت في الارض، ثم لما من الله عليّ بالوصول الى ذلك الموضع المشرق بالنور نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان ، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وأنا سائر في الهاجرة الا واحد من عبيد الأعراب الجمالين يقول : أتسمعون الطبل ؟ فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة ، وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجوّ بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح والهيبة فشككت وقلت : لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فجلست على الأرض او ثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً

وسمعت صوتاً لا أشك أنه صوت طبل ، وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة . ثم نزلنا ببدر أسمع ذلك الصوت يومي أجمع المرّة بعد المرة . ولقد أخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اهـ . كلام ابن مرزوق .

قال العلامة الزرقاني : قال صاحب تاريخ الخميس : ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الأربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوماً فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء ، فما سمعت شيئاً فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتاً كهيئة الطبل الكبير سماعاً محققاً بلا شك مراراً متعددة ، وسمعه الناس كلهم كما سمعت ، وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعاً محققاً وكان الوقت صحواً ،اثقاً لا ريح فيه اهـ .

وقد جاء في فضل أهل بدر أحاديث وآثار ، فمنها ان جبريل ـ عليه السلام ـ اتى النبي ﷺ فقال : ما تعدون اهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها . قال جبريل عليه السلام : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . وفي رواية . أن للملائكة الذين شهدوا بدراً في السماء لفضلاً على من تخلف منهم .

وروى الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أطلع الله على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، أو فقد وجبت لكم الجنة اي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفوراً . وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع في الذنوب في المستقبل ، ولو فرض حصول شيء منها يلهمون توبة عنها لتغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه إباحة الذنوب ولا الاغراء عليها . وقد كان ﷺ يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم . ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبي ﷺ وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه ، فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي ﷺ فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين : قم يا فلان ، قم يا فلان ، بعدد الواقفين فعرف رسول الله ﷺ الكراهة في وجه من أقامه ، فقال : رحم الله رجلاً يفسح لأخيه . فنزل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ الآية ، فجعلوا يقومون لهم

بعد ذلك ويجلسونهم ، وجاء عن كثير من العلماء ، ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الأعداء وظلم الظالمين إلى غير ذلك من الفوائد والخواص ، وقد أفردت بالتآليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم ، وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتآليف . وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم .

أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الثاني

دار القلم العربي

السِّيرَة النَّبَوِيَّة

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُورِيَة ـ حَلَبْ ـ خَلفَ الفُنْدُقِ السِّيَاحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

فهرست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

غـزوة بَني سـليم

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وعلى الصلاة ابن أم مكتوم ، بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على أن قضاء الأعمى غير صحيح . وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ﷺ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام ﷺ ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ، ولم يلق حرباً وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها ﷺ وانحدر بها الى المدينة ، وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير ، وكانت مدة غيبته خمس عشر ليلة .

غزوة بني قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم : أشهر قوم من اليهود ، كانت منازلهم بطحان مما يلي العالية وكانوا أشجع اليهود ، وكانوا صاغة ، وكانوا حلفاء عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ، وعبد الله بن أبي سلول ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لأنه ﷺ كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوّه ، وقيل على أن يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوّه ، فهم أوّل من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله ﷺ ، وسبب غدرهم ونقضهم العهد أن امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الأنصار الساكنين بالبدر ، وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب ليباع من إبل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يرادونها عن كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر . فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة . فبلغ الخبر النبي ﷺ فقال : ما على هذا أقررناهم ، فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال : أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار . وتشبث به عبيد الله بن أبي ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ الى قوله : ﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ فجمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قوم أي تظننا أنا مثل قومك ، ولا يغرنك أنك لقيت

قوماً لاعلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنـا نحـن الناس . وفي لفظ : لتعلمن : أنك لم تقاتل مثلنا أي لأنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً وأشدهم بغياً . وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتَحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقا ﴾ يعني وقعة بدر وأنزل الله تعـالى : ﴿ وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذا اليهم على سواء ﴾ الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ، وكان خروجـه في نصف شوّال ، واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبـا لبابـة الأنصـاري رضي الله عنـه فقـذف الله في قلوبهم الرعب وكانـوا أربعمائـة حاسر وثلثمائـة دراع ، فسألـوا رسـول الله ﷺ أن يخلي سبلهم ، وأن يجلوا من المدينة أي يخرجوا منها وأن لهم النساء والذرية ، ويجعلون بقية الأموال للنبي ﷺ ، ومنها الحلقة التي هي السلاح .

ولم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم ، جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين ، وخمس له ﷺ ثم أجلاهم الى الشام . وقيل انهم نزلوا على أمر ركسول الله ﷺ فأمر بهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألحّ عليه فقال : يا محمد ، أحسن في موالي فأعرض عنه ﷺ ، فأدخل يده في جيب درع رسـول الله ﷺ من خلفـه فقـال له رسـول الله ﷺ : ويحـك أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ، ثم قال : ويحك أرسلني ، فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فأنهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ : والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ أربعمائـة حاسر أي لا درع له وثلثمائـة دراع ، وقد منعوني من الاحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال ﷺ : خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، وتركهم من القتل وقال له : خذهم لا بارك الله لك فيهم .

وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ الآية . ثم أمر ﷺ أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعـد ثلاث أي بعـد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث : فقال : لا ولا ساعة واحدة ، وتولى إخراجهم وذهبوا إلى أذرعات بلدة بالشام ، ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين

بدعوته ﷺ في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم . ويذكر أن ابن أبيّ قبل خروجهم جاء الى منزله ﷺ ليسأله في إقرارهم ، فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه في الحائط فشجه فانصرف مغضباً فقال بنو قينقاع : لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا تنتصر له ، وتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى إخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في إخراجهم . ووجد ﷺ في منازلهم سلاحاً كثيراً لأنهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالاً وأشدهم بأساً وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي قوساً تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت إذا رمى بها ، وقوساً تدعى الروحاء وقوساً تدعى البيضاء ، وأخذ درعين درعاً يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال أنها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ، والأخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف . ووهب ﷺ درعاً لمحمد بن مسلمة ودرعاً لسعد بن معاذ . رضي الله عنهما وقسم بقية الأموال والسلاح كما تقدم .

قتل أبي عفك اليهودي

وقدّم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال: ثم في شوّال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك ـ بفتح المهملة والفاء ـ اليهودي وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة ، وكان يحرّض الناس على قتال النبي ﷺ ويقول فيه الشعر فقال ﷺ : من لي بهذا الخبيث ؟ فقال سالم بن عمير : على نذر أن أقتل أبا عفك او أموت دونه ، فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة ، نام أبو عفك بفناء منزله ، وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم أعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش ، فصاح عدوّ الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض ، فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير ـ رضي الله عنه ـ الى النبي ﷺ فبشر بذلك فدعا له بخير .

غـزوَة السويق

لما أصاب قريشاً في بدر ما أصابهم ، حلف ابو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمداً. فخرج في مائتي راكب من قريش ليسيرٌ يمينه ، حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ، ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود ، وقصد حي بن أخطب وكان من رؤساء بني النضير ، وكان مجيئه اليه في الليل : فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لأنه خافه ، فانصرف وجاء إلى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم ، فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ، ثم خرج به إلى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلاً ، منها ووجدوا رجلاً من الأنصار وهو معبد بن عمرو وحليفاً للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فعلم بهم الناس فخرج رسول اللهﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار ، وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة . واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب ، فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم ، وانصرف رسول اللهﷺ راجعاً الى المدينة ، وكانت غيبتهﷺ خمسة أيام ، ورأى أبو سفيان انه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمداً .

وحكى بعضهم أن أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، وهذا يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة . ومن ثم قال الدميري : إن الحكمة في عدم بيان الغسيل في آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوماً قبل الإسلام ، وذلك من بقية دين إبراهيم وإسمعيل ـ عليهما السلام ـ فهو من الشرائع القديمة . قال بعضهم : كانوا في ا لجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم ، وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثني عليه ثم يقول رحمه

الله ثم يدفن ، وما ذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال : إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية دين ابراهيم واسمعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ كما بقي فيهم الحج والنكاح . وكان الحدث الأكبر معروفاً عندهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وإن كنتم جُنُباً فاطهروا ﴾ فلم يحتاجوا الى تفسيره . وأما الحدث الأصغر فلم يكن معروفاً عندهم قبل الإسلام ، فلهذا لم يقل وإن كنتم محدثين فتوضئوا ، بل قال فاغسلوا ، ونازع بعضهم في ثبوت ذلك عندهم وقال : إن أبا سفيان إنما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء ، فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لأن هذا اللفظ صار عند أهل الإسلام كناية عن التمتع بالنساء ، فساوى المراد منه ما قصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال .

ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها

بنت رسول الله ﷺ بعلي - رضي الله عنه - وهي الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم - رضي الله عنها - كما اختاره المقريزي والزركشي والحافظ السيوطي في كتابيه ، شرح النقاية وشرح جمع الجوامع ، بالأدلة الواضحة التي منها : ان هذه الأمة أفضل من غيرها . والصحيح أن مريم ليست نبية ، بل حكى الإجماع على انه لم يتنبأ أمرأة قط وقد قال ﷺ : مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها ، رواه الترمذي وقال ﷺ : يا بنية ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين : قالت يا أبت فاين مريم ؟ قال : تلك سيدة نساء عالمها ، رواه ابن عبد البر ، وقد أخرج الطبراني باسناد على شرط الشيخين . قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها ، وكان تزّوجها من علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة ، عقد عليها في صفر وقيل في المحرم وقيل في رجب وقيل في رمضان ، ودخل بها في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف . وكان سنّ علي - رضي الله عنه يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوّج عليها رضي الله عنه حتى ماتت . وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبي ﷺ فسكت ولم يرجع اليهما شيئاً ، وفي رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء ؟ فانطلقا الى علي رضي الله عنه يأمرانه أن يخطبها لنفسه ، قال علي - رضي الله عنه - فنبهاني لأمر كنت غافلاً عنه ، فقمت أجرّ ردائي فرحاً بما نبهت له حتى أتيت النبي ﷺ فقلت : تزوّجني فاطمة ؟ قال : أوعندك شيء ؟ فقلت فرسي وبدني يعني درعه . قال : أما فرسك فلا بذلك منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعمائة وثمانين درهماً .

قال الزرقاني : ثم ان عثمان رضي الله عنه ردّ الدرع الى علي رضي الله عنه

فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى ﷺ فدعا لعثمان بدعوات ، ولما جاء علي رضي الله عنه بالدراهم وضعها في حجر النبي ﷺ فقبض منها قبضة فقال : أي بلال ابتع بها لنا طيباً وأمرهم أن يجهزوها ، فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف ، وقال لعلي رضي الله عنه إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك ، فأرسل ﷺ أسماء بنت عميس، فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضي الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته ﷺ حتى قعدت في جانب البيت وعلي رضي الله عنه في جانب آخر. ثم جاء رسول الله ﷺ بعدما صلى العشاء الآخرة فقال : أهمنا أخي ؟ قالت أم أيمن : أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال : نعم أي هو كأخي في المنزلة والمؤاخاة ، فلا يمتنع على تزويجي إياه بنتي . ودخل ﷺ وقال لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ ائتيني بماء ، فقامت تعثر في ثوبها من الحياء إلى قعب في البيت ، فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أي وضعه في فمه ورمى به في القعب ثم قال لها : تقدمي ، فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال : اللهم أني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . ثم قال أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي .

وفي رواية • ثم قال لعلي : ائتني بماء . قال : فعلمت الذي يريده ، فقمت فملأت العقب ماء فأتيته به فأخذه فمج فيه ثم صب على رأسي وبين ثديي ثم قال لي : أدبر ، فصب بين كتفي . ثم قال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ، ثم قال له : ادخل بأهلك باسم الله والبركة . وفي رواية : انه ﷺ توضأ في اناء ثم أفرغه على عليّ وفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ ثم قال : اللهم بارك فيهما وبارك لهما في شملهما وهو بالتحريك الجماع ، وفي رواية : في شبليهما والشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفاً واطلاعاً منه ﷺ على أنها تلد الحسن والحسين رضي الله عنهما فأطلق عليهما شبلين . وفي رواية انه ﷺ دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوّذه بقل هو الله أحد والمعوذتين . والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة في كل رواية على البعض . وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه خطبها علي رضي الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فقال ﷺ لعلي : قد أمرني ربي أن أزوّجها منك . وروى الطبراني مرفوعاً برجال ثقات ، ان الله أمرني أن أزوّج فاطمة رضي الله عنها من علي رضي الله عنه قال أنس : ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لي : إدع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف

وعدة من الأنصار رضي الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان علي رضي الله عنه غائباً قال ﷺ : الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمدﷺ أن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام ، وألزم به الأنام ، فقال عزَّ من قائل وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً فأمر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري الى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرني أن ازوّج فاطمة من علي ابن ابي طالب فاشهدوا أني قد زوّجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي ، ثم دعا ﷺ بطبق من بسر ثم قال : انتهبوا فانتهبنا ودخل علي رضي الله عنه فتبسم النبيﷺ في وجهه ثم قال :

ان الله عز وجل أمرني أن أزوّج فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك ؟ قال : قد رضيت بذلك يا رسول الله أي بعد أن خطب خطبة منها : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوّجني ابنته على صداق مبلغ أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول : واشهدوا . وقالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : اشهدوا أني قد زوّجته كذا ، رواه ابن عساكر . ثم قالﷺ : جمع الله شملكما وعز جدكما أي حظكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيراً طيباً . وفي رأواية أبي الحسن بن شاذان : لما زوّجه وهو غائب قال : جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الامة . فلما حضر علي رضي الله عنه تبسم رسول اللهﷺ وقال : إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة ،وان الله أمرني أن أزوّجكما على أربعمائة مثقال فضة . فقال : رضيتها يا رسول الله . ثم خرّ عليّ رضي الله عنه ساجداً شكراً لله تعالى ، فلما رفع رأسه قالﷺ : بارك الله لكما وبارك فيكما وأعزّ جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب . قال أنس رضي الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب .وقد روى الطبراني والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ : لم يبعث الله نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري ، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه والعقد لعلي رضي الله عنه وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر أو على أنه لم يرد به العقد بل إظهار ذلك . ثم عقد معه لما حضر كما

علم من الروايات السابقة ، أوعلى تخصيصه بذلك لأنهﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فله أن يزوّج من شاء لمن شاء جمعاً بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور ، وقد ذهب المالكية إلى أن التفريق اليسير لا يضرّ فلعل غيبة علي كانت قريبة جداً ، وقد يفهم من ظاهر الحديث أنه أتى في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده ، وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقاً ، ومنه الشافعي مطلقاً .

وكانت وليمة علي رضي الله عنه آصعاً من شعير وتمر وحيس ، والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديداً . وفي رواية : أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار .

وكان جهاز فاطمة رضي الله عنها خميلة اي بساطاً له خمل اي هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريراً مشروطاً . وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش . وعن الحسن البصري : كان لعلي وفاطمة رضي الله عنهما قطيفة إذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤوسهما . وجاء انهﷺ مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ، ثم دخل في الرابع في غداة باردة وهما في لحاف واحد فقال : كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما أخذ علي إحداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها ، وأخذت فاطمة الأخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها . وعن أنس رضي الله عنه قال : جاءت فاطمة الى النبيﷺ فقال : يا رسول الله إني وابن عمي مالنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار . فقال : يا بنية ، اصبري فان موسى بن عمران أقام مع أمرأته عشر سنين ما لهما فراش إلا عباءة قطوانية أي بيضاء كثيرة الخمل . وفي مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحى مما تطحن ، فأتى النبيﷺ سبى فانطلقت فلم تجده ، فأخبرت عائشة فلما جاءﷺ أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضي الله عنها فجاءﷺ الينا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت لأقوم فقال : على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال : ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني ؟ قلنا : بلى . قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام إذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثاً وثلاثين ، وسبحا ثلاث وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، فهنّ خير لكما من خادم ولم يتزوّج علي رضي الله عنه عليها حتى توفيت رضي الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبي جهل قامﷺ على المنبر وقال :

إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، انما هي بضعة مني يريني ما رابها ويؤذيني ما أذاها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله عند رجل أبداً ، فترك علي الخطبة .

قال أبو داود : حرم الله على عليّ رضي الله عنه أن ينكح على فاطمة رضي الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وألحق بعضهم أخواتها بها ، ويحتمل اختصاصها بذلك رضي الله عنها وعنهنّ وقد ورد في فضائل علي رضي الله عنه أحاديث كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما ورد لأحد من الصحابة رضي الله عنهم ما ورد لعلي كرم الله وجهه أي من ثنائه ﷺ عليه وسبب ذكل كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم ، فاضطر الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه رداً على الخوارج وغيرهم : وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما نزل في أحد من الصحابة في كتاب الله ما نزل في عليّ كرم الله وجهه . نزل في علي ثلثمائة آية . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي كرم الله وجهه ، وقد أفردت مناقبه التأليف رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

سريّة محمّد بن مُسلمَة

التي قتل فيها كعب بن الأشرف اليهودي لعنه الله وكانت لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة ، بعثﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي ومعه أربعة من الأنصار الى كعب بن الأشرف اليهودي ليقتلوه . قال ابن إسحق أن كعب بن الأشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبو اعرابياً من بني نبهان اصاب دماً في الجاهلية ، فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوّج عقيلة بنت أبي الحقيق ، فولدت له كعباً . وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة ، شاعراً مجيداً ساد يهود الحجاز بكثرة ماله ، فكان يعطي أحبار يهود ويصلهم . فلما قدم النبيﷺ المدينة جاء أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة الى كعب بن الأشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل ؟ فقالوا : هو الذي كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيئاً . فقال لهم : قد حرمتم كثيراً من الخير أرجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثير . فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به أولاً ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر ، فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله ، وكان يهجو رسول اللهﷺ في أشعاره ويحرّض كفار قريش على قتاله . وكان النبيﷺ حين قدم المدينة مأموراً بتألف الناس وبالصبر على الأذى كما قال تعالى : ﴿ ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ﴾ لأنهﷺ ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى ، مختلفة أحوالهم وعقائدهم ، فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الإسلام .

وكان المشركون واليهود يأذون المسلمين أشد الأذى فصبروا على ذلك ، وكان كعب بن الأشرف من أشدّ الناس أذى للنبيﷺ وللمسلمين ، وكان قد عاهد النبيﷺ أن لا

يعين عليه أحداً ، فنقض العهد وسبه وسب أصحابه . وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب: أحق هذا ترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرّنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي ﷺ ، فنزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيض ، فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبي ﷺ وينشد الأشعار ، فبلغ النبي ﷺ ذلك فدعا حساناً فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضي الله عنهما ، فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت : مالنا ولهذا اليهودي فخرج من عندها وصار يتحوّل من قوم الى قوم ، فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي ﷺ فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة . ثم رجع الى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكرهّن بسوء ، فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله ﷺ : من لنا بابن الأشرف . وفي رواية : من لكعب ابن الاشرف أي من ينتدب لقتله ؟ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا : وجاء في رواية : إنه حالف قريشاً عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبي ﷺ أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم : إن الله أخبرني بذلك ، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ .

عن عروة بن الزبير قال : انبعث عدوّ الله يهجو رسول الله ﷺ والمؤمنين ويمتدح عدوّهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستقواهم على رسول الله ﷺ فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه ؟ واي ديناً أهدى في رأيك وأقرب الى الحق ؟ فقال : أنتم اهدى سبيلاً وأفضل . فأننزل الله تعالى : ﴿ ألم تر الى الذين أوتو نصيباً من الكتاب ﴾ الآية ، وخمس آيات فيه وفي قريش ، فجزم عروة بانها نزلت في كعب ونحته ما روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم كعب مكة قالت له قريش : ألا ترى إلى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية ؟ وقال : أنتم خير ، فنزل فيهم : ﴿ ان شانئك هو الأبتر ﴾ ونزلت : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ،

الى نصيرا ﴾ .

واخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حُيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأبا رافع ، والربيع ، وعمارة وهوذة ، فلما قدموا مكة قالت قريش : هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الأولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم فقالوا : دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله : ﴿ ألم تر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، الى قوله : ملكاً عظيماً ﴾ ولذا قال الجلال والبيضاوي : انها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة ، وساق نحو القصة . وزاد البيضاوي أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الأشرف له ﷺ ونقضه العهد ، ما جاء ان كعباً صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو رسول الله ﷺ الى الوليمة ، فإذا حضر فتكوا به .

ثم دعاه فجاء ﷺ ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه ، فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ؟ ولما قال ﷺ من ينتدب لقتل كعب ؟ قال محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه : أنا أتكفل لك به يا رسول الله . وفي رواية : انه اقتله قال : فافعل ان قدرت . وفي رواية : انت له ثم قال له : ان كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فشاوره فقال : توجه اليه واشْكُ اليه الحاجة وسله أن يسْلفكم طعاماً فمكث محمد بن مسلمة ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال : لم تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا ؟ قال : انما عليك الجهد . ثم أتى أبا نائله وعباد بن بشر والحرث ابن أوس وأبا عبس بن جبر فاخبرهم بما وعد به رسول الله ﷺ من قتله فاجابوه وقالوا : كلنا نقتله . ثم أتوا رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي قولاً غير مطابق للواقع يسر كعباً لنتوصل به الى التمكن من قتله . وقال : قولا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك ، فأباح لهم الكذب لأنه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه في أن يشكوا منعه ويعيبوا دينه ، لأن كعباً كان يحرض على قتل المسلمين وكان في قتله خلاصهم ، فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه إياهم للقتل ، فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالايمان ، ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفراً ، لكنه يباح بالإكراه وهذا بمنزلته . فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف

فقال : ان هذا الرجل يعني النبي ﷺ قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل .

وفي رواية : ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا وإني قد أتيتك استسلفك قال كعب : وأيضاً والله لتملنه قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين . وفي رواية : وأحب أن تسلفنا طعاماً . قال : وأين طعامكم : قالوا : أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه . قال : ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ؟ ثم أجابهم بانه يسلفهم ، وقال : ارهنوني . قالوا : اي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك واي امرأة تمتنع منك لجمالك ؟ وقولهم هذا له على سبيل التهكم وإن كان هو في نفسه جميلاً قال فارهنوني ابناءكم . قالوا : وكيف نرهنك ابناء فيسيب أحدهم فيقال رهن بوسق او بوسقين ؟ هذا عار علينا ولكن نرهنك للامـة يعني السلاح مع علمك بحاجتنا . قال : نعم إنما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح ، فواعده أن يأتيه . وجاءه أيضاً ابو نائلة وقال له : ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني . قال : افعل قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل ، حتى جاع العيال وجهدت الأنفس . واصحبنا قد جهدنا وجهد عيالنا .

فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الأمر سيصير الى ما أقول فقال : إني أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك وان معي أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء . فقال : إن في الحلقة لوفاء وكان ابو نائلة أخاً لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع ، فجاءه محمد بن مسلمة وابو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث بن اوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر ، وكلهم من الأوس ، ولما فارقوا النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ثم رجع ﷺ الى بيته وكان ذلك بالليل . وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه ابو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب في ملحفته فاخذته امرأته بناحيتها وقالت : انك امرؤ وتحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال لها : انه ابو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت والله إني لأعرف في صوته الشر . وفي رواية ، قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، قال انما هو ابن اخي محمد

بن مسلمة ورضيعي ابو نائلة ، إن الكريم لو دعى الى طعنه بليل لأجاب فنزل فتحدث معه ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي الى شعب العجوز اسم موضع كان قريباً منهم نتحدث به بقية ليلتنا ؟ فقال : إن شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم أن أبا نائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، وأمسكه من شعره وقال : اضربوا عدوّ الله .

وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه : إذا ما جاء كعب فإني قائل بشعره أي آخذ به فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه . فنزل اليهم متوحشاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة : ما رأيت كاليوم طيباً . فقال : عندي أعطر نساء العرب وأجملهن . فقال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم فشمه ثم أشم أصحابه . ثم قال : أتذأن لي ؟ قال : نعم ، فيحتمل أن كلاً من محمد بن مسلمة وأبي نائلة استأذنه في ذلك . وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه ، فلما تمكن أبو نائلة او محمد بن مسلمة من إمساكه وضربوه بأسيافهم ، وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت عليه نار . قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوّ الله فجزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ، ثم انتهوا اليه فأخبروه بمقتل عدو الله فقال : أفلحت الوجوه قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أصاب ذباب السيف الحرث بن أوس بن معاذ رضي الله عنه ، فجرح في رجله أو في رأسه حتى نزف الدم ، فتفلﷺ على جرحه فلم يؤذه بعد ، وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودي ، إلا وهو يخاف على نفسه . وفي رواية : فلما أصبحﷺ قال : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت . وفي رواية : فأصبحت يهود مذعورين فأتوا النبيﷺ فقالوا : قتل سيدنا غيلة . فذكرهم صنعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين ، فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى أن يكتبوا بينهم وبينه

صلحاً فكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه . وَفي قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر :

صرخت به فلم يعرض لصوتي ... ووافى طالعاً من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادي ... فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها ... لشهران وفي أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا او جاعوا ... وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي صريعاً ... وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي إيماننا بيض حداد ... مجربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردي ... به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه ... فقطره ابو عبس بن جبر
وكان الله ساد سنافا بنا ... بانعم نعمة واعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام ... هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لأنه نقض عهد النبيﷺ وهجاه وسبه : وكان عاهده أن لا يعين عليه أحداً ، ثم جاء مع أهل الحرب معيناً عليه قال القاضي عياض : إن محمد بن مسلمة لم يصرح له بالأمان في شيء من كلامه إنما كلمه في أمر البيع والشراء ، واشتكى اليه وليس في كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدراً . وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأمر به فضربت عنقه ، وإنما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهدهﷺ ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان . قال الحافظ ابن حجران كعباً كان محارباً حيث ترجم لقصته البخاري بالفتك بأهل الحرب والكذب في الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

غزوة غطفان

ويقال لها غزوة ذي أمر ـ بفتح الهمزة والميم وشد الراء ـ وغزوة أنمار وهي بناحية نجد ، وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة وسببها ان جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة جمعهم دعثور ابن الحرث المحاربي سماه بعضهم غورث بن الحرث ، فخرج ﷺ إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما سمعوا بمجيئه ﷺ هربوا في رؤوس الجبال ، وأصاب المسلمون رجلاً منهم يقال له حبار وقيل حبان ، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره بخبرهم وقال : لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ للإسلام فأسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع ، وأخذ ذلك الرجل بالنبي ﷺ والمسلمين طريقاً وهبط بهم على قومه ، فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر ، فعسكر به ﷺ وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه ، فنزع رسول الله ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها ، وكان ذلك بموضع قريب من المشركين ، فكانوا ينظرون اليه وهم في رؤوس الجبال واشتغل المسلمون بشؤونهم . فقال المشركون لدعثور وكان شجاعاً سيد قومه : قد انفرد محمد فعليك به ، فأقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه ﷺ . فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال له النبي ﷺ : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فأخذ السيف رسول الله ﷺ وقال له : من يمنعك مني ؟ قال له : أجل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فرد عليه رسول الله ﷺ سيفه ، ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الإسلام . وأخبرهم أنه رأى رجلاً طويلاً دفع في صدره فوقه على ظهره قال : فقلت إنه ملك فاسلمت وعلمت انه رسول الله ولا أكثر عليه جمعاً فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديكم

عنكم ﴾ وقيل : نزلت في بني النضير حين ارادوا اغتياله ﷺ كما سيأتي : وقيل : نزلت في كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف . قال القشيري : وقد تنزل الآية في قصة ثم تنزل في أخرى لاذكار ما سبق . ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

غـزوة بـحران

ـ بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة ـ موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بني سليم أيضاً فخرج ﷺ في ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادي الأولى ولم يظهر وجهاً للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وكان قد بلغه ان جمعاً كثيراً من بني سليم اجتمعوا بجران فأحثّ السير حتى بلغها وكان قبل وصوله إليها لقي رجلاً فأخبره ان القوم قد تفرقوا ، فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا في مياههم . فرجع ولم يلق كيداً وأطلق الرجل ، وكانت غيبته عشر ليال .

وفي هذه السنة عقد لعثمان رضي الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد موت اختها رقية ، وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر ، وفي شعبان من هذه السنة تزوّج ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضي الله عنه ، وفي رمضان تزوّج زينب بنت جحش .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى القردة :

ـ بالقاف المفتوحة وسكون الراء ـ اسم ماء من مياه نجد وسببها أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ، وكلهم أسلموا عام الفتح رضي الله عنهم ومعهم فضة كثيرة . فبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب ، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها ، وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله ﷺ فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم ، وكانت هذه السرية في جمادي الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة .

غزوة أحُد

وهو جبل مشهور بالمدينة ، وكانت في شوّال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة من شوّال وسببها ان قريشاً لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن ابي جعل وصفوان بن أمية ، وكلهم أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ، ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى ابي سفيان رضي الله عنه ، فأنه أسلم بعد ذلك أيضاً، والى كل من كان له تجارة في تلك العير التي كانت سبب وقعة بدر، وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا : ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينوا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأراً عمن أصاب منا ونحن طيبوا النفس ، إن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمد . فقال ابو سفيان : وأنا أوّل من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال ، فسلم لأهل العير رؤوس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار ديناراً ، فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار . وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة . وقال صفوان بن أمية لأبي عزة الجمحي : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك عليّ أن رجعت ان أغنمك وإن أصبت اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال : ان محمداً قد منّ علي وأطلقني يعني يوم بدر واخذ عليّ ان لا أظاهر عليه أحداً حين أطلقني ، فلا أريد أن اظاهر عليه . قال : بلى فأعنا بلسانك . فخرج أبو عزة ومسافع يستنقران الناس بأشعارهما فقيل : ان مسافعاً لم يعرف له إسلام وقيل : أسلم بعد ذلك . وأما أبو عزة فجيء به إلى النبيﷺ فأمر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ، ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فضرب عنقه ، فإنه أسلم بعد ذلك غلاماً حبشياً يقال له وحشي رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها . فقال له : اخرج مع الناس فان انت

قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فانت حر لأن حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر ، وقيل ان ابنه سيده طعيمة قالت له : ان قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لا أرى في القوم كفؤاً له غيرهم ، فانت عتيق .

فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا ، وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع ازواجهن منهن هند بنت عتبة زوج ابي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها، وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فأنهما أسلما أيضاً وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام ، وربطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص ، وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال ، وعدم الهزيمة والفرار . وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوّال .

وكتب العباس للنبي ﷺ وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال ، فجاء كتابه للنبي ﷺ وهو بقباء ، وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها . ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا . ثم نزل ﷺ على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال : والله إني لأرجو أن يكون خيراً فاستكتمه إياه ، ولما خرج رسول الله ﷺ من عنده قالت له امرأته : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال لها : يا أم محمد ما أنت وذاك . فقالت : قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ، فاسترجع واخذ بيدها ولحق النبي ﷺ وأخبره خبرها وقال : يا رسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه . فقال له رسول الله ﷺ : خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الأحابيش الذين حالفوا قريشاً وهم بنو المصطلق وبنو لهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً واحدة ، ما سجاليل ووضح نهار ومارسا حبيش مكانه ، فسموا آحابي باسم الجبل . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين فارساً من الأوس . وكان ابو عامر الراهب في المدينة مقاوماً للنبي ﷺ ومباعداً له ومنكراً لنبوته . وكان قبل ذلك مترهباً يزعم انه ينتظر النبي ا المبعوث ويذكر للناس كثيراً من صفاته

ويقول لهم : قد قرب خروجه . فلما هاجرﷺ الى المدينة واتضحت صفاته للأنصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيساً في الأوس كعبد الله بن أبيّ في الخزرج فكل منهما حسد النبيﷺ . لكن عبد الله بن أبي دخل في الإسلام ظاهراً وهذا خرج من المدينة كافراً مباعداً فدعا عليه النبيﷺ بأنه يموت وحيداً طريداً ، فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلاً عن الراهب ، وأما أبنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وهو من المستشهدين بأحد وهو الذي غسلته الملائكة . ومات أبو عامر الفاسق كافراً بأرض الروم وحيداً طريداً إجابه لدعائهﷺ ، لأنه لما فتحت مكة خرج فاراً الى الروم .

ثم ان القوم بعد أن تجهزوا وأخرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء ثاني عشر شوّال ، فأقاموا به الأربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهمﷺ فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر . وقد رأى النبيﷺ رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال : والله إني قد رأيت خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي اي طرفه الذي يضرب به ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وكأني مردف كبشاً ، فاما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة . وقد صدّق الله رؤياهﷺ فكان الرجل الذي من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين ، فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم .

وقال عروة بن الزبير وجماعة : كان الذي بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدوّ أصابوا وجهه الشريفﷺ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ، ثم قالﷺ لأصحابه : امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . وفي رواية : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فأن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وأرسل النبيﷺ لعبد الله بن أبيّ ابن سلول يستشيره تألفاً له ولم يستشره قبل ذلك ، فكان رأي عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع رأيهﷺ فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدراً وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها : يا رسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم

اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنًا عنهم . فقال ابن أبي : يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا أصاب منا ولأخذها علينا إلا أصبنا منهم ، فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا . وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبيﷺ ورضي الله عنه ، وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الأنصار رضي الله عنهم : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدوّنا إنا كرهنا الخروج جبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا . زاد حمزة والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة . وقال النعمان : يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلها فقالﷺ : لم ؟ فقال : لأني أحب الله ورسوله وفي لفظ : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا أفر يوم الزحف . فقال ﷺ : صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عندهﷺ موافقة رأيهم وإن كرهه ابتداء ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم بان لهم النصر ما صبروا أي مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيؤ لعدوّهم . ففرح الناس بذلك لأنهم لا غرض لهم في الدنيا وزهرتها ، لما وقر في قلوبهم وارتحاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم . ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه في الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أي عاوناه في لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه ، وغير ذلك مما تعاطاه عند إرادة الخروج ، وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد ابن معاذ رضي الله عنه وأسيد بن حضير : استكرهتم رسول اللهﷺ على الخروج فردوا الأمر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الأوس وهو في الأنصار كالصديق في المهاجرين رضي الله عنهم .

قال الزرقاني : فهو أفضل الأنصار فخرجﷺ وقد لبس لامته وهي بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه ما صنعوا وقالوا : ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت . وفي رواية : فان شئت فاقعد فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وعقدﷺ لواء للأوس وجعله بي أسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر . وقيل بيد سعد بن عبادة ، ولواء للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي

طالب رضي الله عنه ، ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل : طلحة بن أبي طلحة العبدري . فقال : نحن أحق بالوفاء منهم ، فأخذه من علي ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد البر الدار أكبر اولاد قصي ، فجعل ابوه قصّي القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرقادة ودار الندوة كلها إليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ، ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدر ، والقيادة والسقاية والرقادة لبني عبد مناف ، وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قالﷺ : نحن أحق بالوفاء منهم . وفي شرح الزرقاني على المواهب : انه لما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، أعطى رسول اللهﷺ الراية علياً رضي الله عنه ، وكان في المسلمية مائة دارع وهو لابس الدرع ، وركبﷺ فرسه السكب وقيل خرج ماشياً وخرج السعدان أمامه يعدوان : سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة :

فإن يسلـم السعـد إن يصبـح محمد بمـكة لا يخشى خلاف المخالف

وكانا دارعين وردﷺ جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهم . ثم اجاز رافع بن خديج لما قيل له إنه رامٍ فخرج وأصيب بسهم ، فقالﷺ : أنا أشهد له يوم القيامة . وعاش الى زمن عبد الملك ، بن مروان ، ولما أجازه قال سمرة ابن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعه ، فأعلم النبيﷺ بذلك فقال : تصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه . ورأىﷺ جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال : وقد أسلموا قالوا : لا يا رسول الله . قال : مروهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين . وكان المسلمون الخارجون معهﷺ ألفا رجل . ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع وهو ومن معه من المنافقين . وكانوا ثلثمائة ، فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والأحابيش المحالفين لهم . وقال ابن أبي حين أراد الرجوع : عصاني واطاع الولدان ومن لا رأي له علام ، نقتل أنفسنا : أرجعوا أيها الناس . فقال لهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر رضي الله عنه ، وكان خزرجياً كابن ابي : أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعدما حضر عدوّهم قالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناهم فلما أبوا قالوا :

أبعدكم الله سيغني الله عنكم . قال موسى بن عقبة لما انخذل ابن أبي بمن معه سقط في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتًا أن تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الأوس . وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه : نزلت هذه الآية فينا إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بني سلمة وبني حارثة ، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول : ﴿ والله وليهما ﴾ أي الدافع عنهما . قال الحافظ ابن حجر : اي أن الآية وان كان في ظاهرها عتاب عليهم لكن في آخرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم . قال ابن اسحق : قوله : ﴿ والله وليهما ﴾ أي الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غيروهن منهم في دينهم وفي الصحيح أيضاً عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، لما خرج ﷺ الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه ﷺ فرقتين ، فرقة تقول فقاتلهم ، وفرقة تقول لا نقاتهلم فنزل : ﴿ فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم إلى كفرهم بما كسبوا ﴾ .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفاً ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطفٌ المشركون بالسبخة ، وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك وصار سيفاً لله سله على المشركين ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، فإنه أسلم بعد ذلك ، وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فانهما أسلما بعد ذلك . وقال النبي ﷺ للزبير بن العوام : استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه وأمر جماعة آخرين ان يكونوا بإزاء خيل اخرى للمشركين ، ولم يكن مع المسلمين إلا فرس أو فرسان . قال الحلبي : وما وقع في الهدي لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير ابن النعمان الأوسي البدري ، المستشهد يوم أحد رضي الله عنه ، وهو أخو خوات بن جبير رضي الله عنه ، وكان الرماة خمسين رجلاً فأقامهم النبي ﷺ على جبل صغير مرتفع وقال لهم : احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا ، وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما ثتبم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم . وفي رواية قال لهم : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم أي مشينا عليهم وهم قتلى ، فلا تبرحوا حتى أرسل أليكم . وفي رواية ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا

تشركونا ، اللهم اني أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله ﷺ سيفاً وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، وكان مكتوباً عليه :

في الجبـــن عار وفي الأقــدام مكرمة والمرء بالجبـــن لا ينجــو من القدر

فقام رجال وبسطوا ايديهم كل انسان منهم يقول انا يا رسول الله ، منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم ، فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الأنصاري رضي الله عنه فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : ان تضرب به في وجه العدوّ حتى ينحني . قال : أنا آخذه يا رسول الله . قال : لعلك ان أعطيتكه تقاتل في الكيول أي مؤخر الصفوف ؟ قال : لا يا رسول الله . فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ،فلما رآه ﷺ يتبختر قال : إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموطن . وليس في هذه القصة دليل على أن أبا دجانة أشجع من النفر الـذين منعهم النبي ﷺ إعطاء السيف بل هذه خصوصية لأبي دجانة ، ولعل ذلك يوحي من الله تعالى لإظهار شأن الأنصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم . قال الزبير رضي الله عنه : لما منعنيه رسول الله ﷺ وأعطاه أبا دجانة قلت : والله لانظرنّ ما ينصع أبو دجانة ، فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء مكتوباً في أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب ، وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار ومن فرَّ لم ينج من النار ،فعصب بها رأسه فقالت الأنصار : أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول :

أنـــا الـــذي عاهدنـــي خليلي ونحـــن بالسفـــح لدى النخيل
أن لا أقــوم الدهــر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحداً من المشركين إلا قتله قال أنس : ففلق ابو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير : وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف عليه اي قتله ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله ان يجمع بينهما . فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ، وضربه ابو دجانة فقتله . ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال ابو دجانة : رأيت انساناً يحمي الناس اي يشجعهم حمساً شديداً ، فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه

ولول اي دعا بالويل أي قال : يا ويلاه ، فعلمت انه امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة . وعن الزبير رضي الله عنه قال : خرج ابو دجانة بعدما أخذ السيف واتبعه فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه وهتكه وفلق به المشركين . وكان إذا كل شحذة بالحجارة ثم يضرب به العدوّ وكأنه منجل ، حتى اتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تغني تحرض المشركين ، فحمل عليها فنادت يا لصخر ، فلم يجبرها أحد ، فانصرف عنها فقلت له : كل سيفك رأيته فأعجبني غير أنك لم تقتل المرأة . قال : كرهت ان أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها . وكان أوّل من انشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبي ﷺ الفاسق ، لأنه كما تقدم كان في المدينة فلما هاجر ﷺ اليها حسده وكفر به ، وخرج الى مكة وكان يعد قريشاً انه لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فخرج بمن معه من خرج من قريش والأحابيش فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر فقالوا : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شر . قاتلهم قتالاً شديداً . قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه ، وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن :

ويها بني عبد الدار   ويها حماة الأدبار
ضرباً بكل بتار

وويها كلمة إغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان ، والأدبار الأعقاب اي الذين يحمون اعقاب الناس ، والبتار والقاطع ويقلن أيضاً :

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق
مشى القطا البوارق   والمسك المفارق
ولدر في المخانق   ان تقبلوا العانق
ونفرش النمارق   أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

والطارق النجم . قيل : المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان ﷺ إذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول : اللهم بك اجول ، وبك أصول ، وفيك

اقتال ، حسبي الله ونعم الوكيل . وعند اصطفاف القوم نادى ابو سفيان رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك : يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم ، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن .

وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثاً فقام اليه الزبير رضي الله عنه ، فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول : فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه . فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : لكل نبي حواريّ وان حواريّ الزبير . وقال ﷺ : لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه .

وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة ؟ كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ، فاختلفا ضربتين . وفي رواية : فالتقيا بين الصفين فبدر علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته ، فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض اصحابه أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم ، وعرفت ان الله قد قتله ، وفي رواية : قال له رسول الله ﷺ : ما منعك أن تجهز عليه ؟ فقال ناشدني الله والرحم . فقال : اقتله فرجع اليه فقتله . فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة . وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة : فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره . فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول : أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فأصاب حجزته فقتله ، فحمله مسافع ابن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح فقتله . ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضاً فقتله .

وكانت أمهما معهما واسمها سلافة ، فكان كل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين

رمى يقول : خذها وأنا ابن ابي الأفلح ، فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه ، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الإبل ، فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه . فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة ، وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما : عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصّي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه ، وقيل : حمزة رضي الله عنه . ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف ابن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صواب غلامهم وكان عبداً حبشياً فقتله علي ، وقيل : سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما . ثم لم يزل اللواء طريحاً حتى أخذته عمزة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها إسلام ، فرفعته لقريش فلا ثوابه أي استداروا حوله ، وقد كان أبو سفيان قبل القتال ، قال لأصحاب اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار انكم قد تركتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فأما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهموا به وتواعدوا وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟ وذاك الذي أراد أبو سفيان . ولما صرع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة استبشر النبيﷺ وأصحابه أي لأنه كبش الكتيبة اي الجيش أي حاميهم ، الذي رأىﷺ انه مردفه في رؤياه المتقدمة . ثم قال : أولت ذلك أني أقتل صاحب الكتيبة ، فهذا كبش الكتيبة .

وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم ،وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت هو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر ، وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهي شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب . وخرج عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما فأنه أسلم بعد ذلك فقال : من يبارز ؟ فنهض اليه أبو بكر رضي الله عنه شاهراً سيفه ، فقال له رسول الله ﷺ : شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك ، وتقدم عبد الرحمن المبارزة أيضاً يوم بدر وقد وقع للصديق رضي الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موتهﷺ

خرج مع الجيش لقتال اهل الردة شاهراً سيفه فأخذ علي كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال : الى اين يا خليفة رسول الله ﷺ : أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد : شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلي رضي الله عنه مع الجيش .

وفي أوّل الأمر يوم أحد حملت اليه خيل المشركين على المسلمين ثلاثاً والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أي أضعفوهم قتلاً ولما حميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن : ويها بني عبد الدار الخ الأبيات المتقدمة . ثم أنزل الله نصره على المسلمين فساروا يحسون الكفار حساً أي يقتلونهم قتلاً كما قال تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه ﴾ حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل . قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة اي ما في ساقها من الحلي وهي وصواحبها مشمرات هو أرب ، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم ، واشتغلوا عن الحرب . فقال اصحاب عبد الله ابن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبي ﷺ بالبقاء بمكانهم : الغنيمة اي قوم قد غلب اصحابكم فما تنتظرون ؟ فقال لهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ يعني قوله : لا تبرحوا فأبوا ان يطيعوه وقالوا : والله لنأتين الناس ولنصيبنّ من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا . فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتم قوله ﷺ ، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، ووقعت الهزيمة في المسلمين . قال الحافظ ابن حجر : وفيه شؤم ارتكاب النهي وانه يعم ضرره من لم يقع منه ، كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ولذا قال تعالى : ﴿ ولقد صَدَقَكُم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنك من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنك والله ذو فضل على المؤمنين ، اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم ﴾ أي أصابتكم الهزيمة التي أغمتكم بسبب إدخالكم الغم على

النبي ﷺ في مخالفة أمره .

ومع ذلك فقد أخبر الله في كتابه بأنه عفا عنهم بقوله : ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ وصرخ إبليس لعنه الله أي عباد الله يعني المسلمين أخراكم أي احترز من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه ، فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدّة ما دهنهم ، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل اليه وقت انهزام المشركين ، ولم تزل قدمه شبراً واحداً عن موقفه ، كما في شرح الزرقاني وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذي يتعارفون به وهو أمت أمت ، فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، فقال ابنه : غفر الله لكم وترك ديته وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى ويا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتبهوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى بلغ الذين قتلهم أحداً وثلاثين رجلاً كلهم من شجعانهم ، وكان رضي الله عنه يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله ﷺ وهو يقول أنا أسد الله . وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعي فقال : هل من مبارز ، فبرز له حمزة رضي الله عنه وقال : هلم يا ابن مقطعة البظور أي لأن أمه أم أنمار مولاة شريق والد الأخفش ، كانت ختانة بمكة . ثم قال له حمزة رضي الله عنه : أتحادّ الله ورسوله اي تحاربهما وتعاندهما ؟ ثم شد عليه حمزة رضي الله عنه فضربه ضربة قتله بها ، فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضي الله عنه . وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : أني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضي الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها الي فوقعت في ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة ، فأقبل نحوي ثم وقع فأمهلته حتى مات ، فجئته فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضي الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر . فقالت ابنة طعيمة لوحشي : أن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فانت عتيق . وفي رواية : قال لي مولاي جبير بن مطعم أن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال أن كلاً من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك . وجاء في بعض الروايات عن وحشي رضي الله عنه : فإنه أسلم بعد

ذلك . قال : وخرجت ما أريد أن اقتل ولا أقاتل إلا حمزة وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطىء ، ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحرب مسيلمة الكذاب ، وكان يقول : أرجو ان هذه تكفِّر تلك ، وهذا لا ينافي ما ورد إن الذي قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري أو أبو دجانة رضي الله عنهم ، لاحتمال أن يكون وحشي ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين في قتله لعنه الله . وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة ، وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، وكان حامل اللواء فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ، فأخذ اللواء ملك في صورته وفي رواية ، لما قتل أعطى النبي ﷺ الراية علياً رضي الله عنه ، فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم ، فلما ظهر وشاع اعطى النبي ﷺ الراية لعلي رضي الله عنه ، وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة ـ بكسر الميم ـ لعنه الله وهو يظنه رسول الله ﷺ لأن مصعباً رضي الله عنه إذا لبس لامته يشبه النبي ﷺ ، فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ان محمداً قد قتل .

روى ابن سعد : ان مصعباً رضي الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أي أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول : وما محمد إلا رسول . الآية . قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد ، وقيل إن الصارخ الذي قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل إبليس لعنه الله ، وانه تصوّر في صورة جعال بن سراقة الضمري ، وكان رجلاً صالحاً ممن أسلم قديماً ، ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون واستمروا إلى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل . قال الحافظ ابن حجر : انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فلما رجعوا حتى انقض القتال وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذبّ عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة ، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي .

ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذي نطق

به الشيطان وهو على صورته وشهد خوّات بن جبير وأبو بردة بان جعالاً كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة : لما غاب النبيﷺ عن أعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين :لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . وقال بعض منهم : لو كان نبياً ما قتل فارجعوا الى دينكم الأول . وفي ذلك أنزل الله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ﴾ الآيات . وقال رجل منهم لم يعرف اسمه : ليت لنا رسولاً الى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت . فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما : يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وشهد له بهذه المقالة عند النبيﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذي تمكن الايمان في قلوبهم . وروى ابن إسحق أن أنس ابن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، فقال : إن كان قتل فيما تصنعون بالحياة بعد ، قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال أنس : ولقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أوّل قتال قاتلته المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم أني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد الجنة ورب النضر أني أجد ريحها دون أحد قال سعد : فما أستطيع أن أصف ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنه بالرمح ورمية بالسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته عرفته ببنانه ، وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وإنما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضي الله عنه . وممن قال مثل مقاله أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه ، فإنه قال : يا معشر الأنصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم .

فنهض اليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم . وثبت النبي ﷺ وقت رجوع المسلمين لم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين . قال ابن سعد : ما زال ﷺ يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان اقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره : كنا إذا اشتد البأس اي حمي القتال اتقينا برسول الله ﷺ أي فيجعلونه في وجه القوم ويكونون خلفه ﷺ وروى البيهقي عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه : فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبراً واحداً وأنه لفي وجه العدو وتفيء اليه طائفة من اصحابه مرة وتفترق مرة ، فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه . وروى أبو يعلي بسند حسن عن علي رضي الله عنه : قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت : والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى ان الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم يقاتلهم ﷺ .

وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن ألحق حتى القى رسول الله ﷺ ، فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقري حتى أتوا الجبل ففعل ذلك مراراً ولا أدري من هو ، ؛ وبيني وبينه المقداد ، فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه إذ قال المقداد يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك فقلت : وأين هو ؟ فأشار اليه فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى وأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدّد رميته وأجب دعوته . فكان سعد مجاب الدعوة . قال : حتى إذا فرغ النبل من كنانتي نثر ﷺ لي ما في كنانته وانكشف الناس عنه ﷺ وعن سعد رضي الله عنه قال : لقد رأيتني والنبي ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي ، حتى أنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول : إرم به . وجاء ان سعداً رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فداك أبي وأمي

ففدّاه ذلك اليوم ألف مرة . وعن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ قال : فداك أبي وأمي إلا لسعد رضي الله عنه ، يعني يوم أحد . فلا ينافي أن النبي ﷺ قال مثل ذلك للزبير رضي الله عنه يوم الخندق كما سيأتي إن شاء الله . وكان ﷺ يفتخر بعد ويقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله أي لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهر وكانت أم النبي ﷺ منهم وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه وثبت معه ﷺ أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضي الله عنهم وكذا علي رضي الله عنه .

قال في فتح الباري : فقد صحت الأحاديث بأن علياً رضي الله عنه ممن ثبت ، وبعض الرواة لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعده مصعب ، فلا يحتاج إلى أن يقال ثبت وسبعة من الأنصار وهم : أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير ، وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضي الله عنهم . وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع . وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي الروايات ، لأن اختلاف الأحاديث لاختلاف الأحوال فانهم تفرقوا في القتال فلما ولي من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذبّ عن نفسه ، ثم عرفوا بقاءه ﷺ فتراجعوا اليه أولاً . ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به . وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعماراً وابن مسعود رضي الله عنهم . وفي بعض الرويات : لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الأنصار . ولعله في بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر .

وثبت انه ﷺ لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الي يا فلان إلي يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه ، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ وجاء إنه ﷺ قال يومئذ : أنا النبي لأكذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك . قال الحلبي : فليتأمل فان المحفوظ أنه ﷺ إنما قال ذلك يوم حنين وإن كان لا مانع من التعدد ، وممن ثبت معه ﷺ ابو طلحة زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس بن مالك رضي الله عن فانه استمر بين يدي النبي ﷺ يحوز عنه بحجفته وكان رجلاً رامياً شديد الرمي فنثر له النبي ﷺ كنانته

بين يديه وصار رضي الله عنه يقول : نفسي لنفسك فداء ، ووجهي لوجهك وقاء فلم يزل يرمي بها . وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله ﷺ يشرف أي ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له ابو طلحة : يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ، وتطاول أبو طلحة رضي الله عنه بصدره يقي رسول الله ﷺ ، وما زال النبي ﷺ يرمي عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوفر . وفي رواية : حتى تقطع الوتر وبقي في يده قطعة قدر شبر فأخذ القوس عكاشة بن محصن رضي الله عنه ليوتر له ، فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال : مدة يبلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثاً وكان ﷺ أقرب الناس الى القوم .

وممن كان مشهوراً بالرماية سهل بن حنيف رضي الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ في هذا اليوم ، وكان بايع النبي ﷺ يومئذ على الموت فثبت معه ﷺ حتى انكشف الناس عنه ، وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ : انبلوا سهلاً أي أعطوا نبلاً ، وممن ثبت مع النبي ﷺ أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهي زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضي الله عنه قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى ، فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال دونه وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة اليّ روى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قمئة يقول : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضي الله عنه ، فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدوّ الله كان عليه درعان .

وجاء في رواية : خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله ﷺ : بارك الله عليكم أهل بيت . فقالت له نسيبة رضي الله عنها . ادع الله أن نرافقك في الجنة . فقال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة . وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا . وقال ﷺ في حقها : ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دوني ، وقد جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحاً ما

بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضي الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة ، وكان ابنها عبد الله ابن زيد رضي الله عنه مشاركاً كالوحشي في قتل مسيلمة . فعنها رضي الله عنها قالت : قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولاً وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت : أقتلته . فقال : نعم فسجدت شكراً لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشي له بحربته ، وجاء انه شاركهما في ذلك أبو دجانة رضي الله عنه وأنزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس . قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه في صدره ، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قال تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً يغشي طائفة منكم ﴾ الآية .

وعن كعب بن عمرو والأنصاري رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنة أي لأنه لا ينعس إلا من يأمن فما منهم أحد إلا غط غطيطاً حتى ان الحجف اي الدرق تتناطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما شعر ،وتقدم في غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء أن النعاس في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان وأما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقاً فمنهم من ذهب الى المدينة لقيتهم أم أيمن رضي الله عنها ، فجعلت تحثوا التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أي أعطني سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ، ويشكل على استقبال أم أيمن إياهم أنه جاء انها في الجيش تسقي الجرحى . فقد جاء أن حباب بن الفرقد رمى بسهم فأصاب أم أيمن وهي تسقي الجرحى فتكتشفت فاغرق عدو الله في الضحك . فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع الى سعد سهماً لا نصل له وقال : إرم به فرمى به فوقع عدو الله مستلقياً حتى بدت عورته ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : استقاد لها سعد أجاب الله دعوته . وفي رواية : اللهم استجب دعاء سعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة ، وقد يقال لا منافة بين كون أم أيمن كانت في الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة ، لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة .

وممن قاتل دون رسول الله ﷺ ابو دجانة الأنصاري رضي الله عنه ؛ فقد جاء انه تترس دون رسول الله ﷺ أي جعل نفسه ترساً ، فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه

حتى كثر فيه النبل ، وممن قاتل دونهﷺ عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه حتى أثبتته الجراحة أي اصابت مقاتله فقالﷺ : أدنو مني فوسده قدمه الشريف فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريفﷺ .

وممن قاتل دون رسول اللهﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول اللهﷺ كما مر ، فرجع الى المشركين فقال : قتلت محمداً كما تقدم وقيل : ان القاتل لمعصب بن عمير بن خلف الجمعي اخو أمية بن خلف المقتول ببدر الذي كان يعذب بلالاً رضي الله عنه . يروى أنه أقبل أبي بن خلف يوم أحد نحو النبيﷺ وهو يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل مصعباً فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول اللهﷺ أن يخلوا طريقه ، فأقبل وهو يقول : يا كذاب اين تفر ، فتناول النبيﷺ الحربة من الحرث بن الصمة والزبير بن العوام رضي الله عنه ، فرماه النبيﷺ بها فأصابت عنقه وخدشته خدشاً غير كبير واحتقن الدم أي لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلني والله محمد ، فقالوا له : ذهب والله فؤادك وفي رواية :عقلك إنا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمي بها فما بك والله من بأس ما أجزعك إنما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة . وفي رواية : لو كان بربيعة ومضر . وفي رواية : لو كان بأهل الأرض لماتوا أجمعون إنه قال لي بمكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني أي فضلاً عن هذه الضربة ، وكان أبي يقول بمكة للنبيﷺ : يا محمد إن عندي العود يعني فرساً له أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها والفرق ـ بفتح الراء مكيال معروف يسع اثني عشر مداً فيقول له رسول الله ﷺ : أنا أقتلك إن شاء الله ، فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفىﷺ .

وعن سعيد بن المسيب أن أبي بن خلف قال حين افتدى ببدر من الأسر : والله إنّ عندي لفرساً أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتل عليها محمداً فبلغت رسول اللهﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى . ويمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبيﷺ . وفي رواية : أبصرﷺ ترقوتة من فرجة من سابغة الدرع وهي ما يغطي العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعاً من أضلاعه . وفي رواية : طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مراراً وجعل يخور كما يخور الثور ، إذا ذبح ، وأنهﷺ حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ، ثم استقبله فطعنه في عنقه ولا منافة لان الترقوة في

أصل العنق ولا مخالفة أيضاً بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة. وناهيك بعزمه ﷺ لأن كون الطعنة خدشه إنما هو بحسب ما يظهر للرائي وإلا فالطعنة شديدة في الباطن وذلك أقوى في النكاية ليكون من المعجزات أيضاً . ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مراراً عن الفرس ، وكونه خار كالثور الذي يذبح الطعن في العنق يفضي الى كسر الضلع من خوارق العادة .

وجاء في رواية : أنه ضربه تحت إبطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه ، وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل ﷺ بيده الشريفة أحداً إلا أُبيّ بن خلف لا قبل ولا بعد . ثم مات عدوّ الله وهم راجعون إلى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف . وقيل : مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إني لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل وإذا نار تأجج لي فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فناداني : يا عبد الله فلا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال : اسقني ، فأردت أن أفعل وإذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول : لا تسقه هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبيّ بن خلف لعنه الله ، رواه البيهقي . ويدل لهذا ما جاء في الحديث : كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ في الصور ، وجاء اشد الناس عذاباً من قتله نبي .

وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقاً لأصحاب السعير أي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله ، فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص إلا أمر عظيم ورسول الله ﷺ أكملهم لطفاً ورفقاً وشفقة على عباد الله . وتقدّم ان ابن عمر رضي الله عنهما مرَّ ببدر وإذا رجل يعذب ويئنّ فناداه : يا عبد الله . قال : فالتفت اليه فقال : اسقني ، فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه : لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قتلهم اصحابه ، رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد ، وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه ببدر للنبي ﷺ فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه إلى يوم القيامة . وقد حفر أبو عامر الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفراً في موضع المعركة وزعم أن ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي ﷺ في حفرة منها فأغمي عليه ﷺ وجحشت اي خدشت ركبتاه ،

فأخذ علي رضي الله عنه بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف ، إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه . فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر وقذف ﷺ بالحجارة حتى وقع لشقه ، ورماه عتبة بن ابي وقاص أخو سعد بن ابي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وشق شفته السفلى ودعا عليه ﷺ ، فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه ، كما رواه الحاكم في المستدرك قال : قال حاطب رضي الله عنه ، لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجه عتبة ؟ فأشار إلى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي رضي الله عنك .

وأما ما ذكره ابن منده من انه أسلم واستند لقول أخيه سعد في ابن أمة زمعة عهد إلى أخي عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على إسلامه لاحتمال أن يكون عهد إليه وهو في كفره ، بأن أمة زمعة حملت منه ، وقد شدد أبو نعيم في الإنكار على ابن منده في ذكره في الصحابة ، واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه ﷺ دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه ، فقال : اللهم لا تحوّل عليه الحول حتى يموت كافراً . فما حال الحول حتى مات كافراً إلى النار . قال الحافظ ابن حجر أن ذكره في الصحابة غلط وليس في الآثار ما يدل على إسلامه بل فيها ما يصرّح بموته على الكفر ، فلا معنى لايراده في الصحابة أ هـ .

وروى ابن اسحق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله ، وصح أنه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر أي منتن الفم ، أهتم أي مكسور الثنايا ، يعرف ذلك في عقبه . وجاء ان الذي جرح وجهه الشريف ﷺ عبد الله بن قمئة وفي رواية : عبد الله بن شهاب الزهري جدّ الإمام الزهري من قبل أبيه شهد أحداً مع الكفار ثم أسلم رضي الله عنه ، وهو الذي شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهي ما ارتفع من لحم خدّه ، فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته ﷺ وهشمت البيضة على رأسه أي كسرت وسال الدم على وجهه ، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً .

وفي الصحيح عن قيس قال : رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبي ﷺ يوم

أحد ، وجاء أن طلحة رضي الله عنه جرح يوم أحد تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشل اصبعاه اي السبابة والتي تليها ، وكان ابو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة . وروى النسائي والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال : أدرك المشركون رسول الله ﷺ فقال : من للقوم ؟ فقال طلحة : أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار قال : ثم قاتل طلحة قتالاً شديداً حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن . فقال ﷺ : لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جوّ السماء . وانتزع ابو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا في وجنته ﷺ وعضّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه ، فكان ساقط الثنيتين . قال بعضهم : ولما سقط مقدم أسنان ابي عبيدة صار أهتم ، ولم يرقط أهتم أحسن من أبي عبيدة لأن ذلك الهتم حسن فمه وقيل : إن عقبة بن وهب بن كلدة هو الذي نزع الحلقتين من وجنته ﷺ وقيل : أنه أبو بكر رضي الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدم من وجنته ﷺ ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام : من مس دمه دمي لم تصبه النار . وفي رواية : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا وأشار اليه فاستشهد في هذه الغزوة رضي الله عنه .

وفي رواية : من سره أن ينظر إلى من لا تمسه النار فلينظر إلى مالك بن سنان . ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ قال : خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ﷺ : أقماك الله وهو يمسح الدم عن وجهه ، فسلط الله على ابن قمئة تيساً جبلياً فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة في نكاله وخزيه ووباله وجعل ﷺ يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ قال الاوزاعي : بلغنا أنه لما جرح ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول : لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء . ثم قال : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . فاعتذر عنهم ، وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه . وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر أن يُشْرَك به ﴾ ولا قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ وعن معمر بن راشد عن الزهري قال : ضرب وجه النبي ﷺ يوم أحد

بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها ، فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة . فان قيل : كيف شجّ وجهه ﷺ وكسرت رباعيته ؟ والله تعالى يقول : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ أجيب : بأن هذه الآية نزلت بعد ، وعلى تسليم أنها نزلت قبل ، فالمراد عصمته من القتل .

قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له . وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ فانه لم يتفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ما اتفق له ﷺ في كثرة طائعي أمة أجابته ، ولا في كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة ، وكان أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الشيطان ، قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه ، وهو أحد الثلاثة المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ الخ . قال : عرفت عينيه ﷺ تزهران اي تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك في أنه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فعرفناه بكتفيه إذا مشى ففرحنا ، حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون . وفي خصائص العشرة أن الزبير رضي الله عنه ثبت يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه على الموت . وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله ﷺ إلا علي بن أبي طالب فممنوع بل ثبت مع علي رضي الله عنه غيره كما تقدم . وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً رسول الله ﷺ وهو متوجه للشعب وهو يقول : لا نجوت إن نجا فوقف رسول الله ﷺ فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ، فمشى اليه الحرث ابن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه ، وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد بن أبي جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله اصحابه ووثب ابو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله ﷺ . ثم أراد ﷺ أن يعلو الصخرة التي في الشعب ، فلما ذهب لينهض لم يستطع لأنه ﷺ ضعف لكثرة ما

خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ : أوجب طلحة اي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع . وقد قيل : إن طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف أي لعرج كان به ، فلما حمل النبي ﷺ تكلف استقامة المشي لئلا يشقّ عليه ﷺ . فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي ﷺ عطشاً شديداً وقد جاء علي رضي الله عنه بماء في درقته ليغسل به جرح النبي ﷺ فلم يشرب ﷺ من ذلك لتغير وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء ، فلم يجد ثم ذهب إلى موضع بعيد فأتى بماء عذب ، فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير . وجاء أن نساء المدينة خرجن ومعهنّ فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ، فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته ، وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار حتى صار رماداً فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم . وبينا رسول الله ﷺ في الشعب مع بعض اصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنهم لا ينبغي لهم أن يعلونا ، اللهم لا قوّة لنا إلا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم ، حتى هبطوا من الجبل ، ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا او لا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ﴾ .

وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أرددهم . قال سعد : فأخذت سهماً من كنانتي فرميت به رجلاً منهم فقتلته ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به ، فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم فقلت : هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند نبيه . وجاء في رواية عن سعد رضي الله عنه قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد ، فيردده عليّ رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت أنه ملك وصلى ﷺ ظهر ذلك اليوم ، وهو جالس من الجراح التي أصابته ﷺ وصلى المسلمون خلفه قعوداً ، ثم نسخ وقيل : إن الذين صلو قعوداً هم الذين أصابتهم الجراح . قد جاء انه وجد بطلحة رضي الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية ، وقطعت اصبعه . وفي رواية : أنامله . وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم

قال : رأيت يد طلحة بن عبيد الله التي وقى بها رسول الله ﷺ شلاء ونزف الدم بطلحة رضي الله عنه حتى غشي عليه . فجاءه أبو بكر رضي الله عنه ونضح الماء في وجهه حتى أفاق فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه : هو بخير وهو أرسلني . فقال : الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أي قليلة ، وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وجرح عشرين جراحة فأكثر . وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الأصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الإسلام على قومه بني عبد الأشهل . فلما كان يوم خروج النبي ﷺ إلى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الإسلام أي رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل في عرض الناس أي جانبهم ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة .

فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا : والله إن هذا الاصيرم فسألوه : ما جاء بك مناصرة لقومك ام رغبة في الاسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله ، ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث ان مات في ايديهم . فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : حدثوني برجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضي الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذي سماه النبي ﷺ الفاسق . ويقال لأبي عامر بن صيفي ، وتقدم أن أبا عامر خرج من المدينة مباعداً للنبي ﷺ ، ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي ﷺ فاستأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه ، فنهاه ﷺ وقد دعا ﷺ على أبي عامر أن يموت طريداً وحيداً ، فأستجاب الله دعوته فخرج الى الشام بعد فتح مكة فمات وحيداً طريداً ، قال السبكي في تائيته :

ومات ابن صيفي على الصفة التي ذكرت وحيداً بعد طرد وغربة

وسبب قتل أبنه حنظلة رضي الله عنه أنه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس وهو غلط والصواب شداد بن الأسود فحمل عليه فقتله فقال ﷺ : إن صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة . وفي رواية : رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف الفضة ، فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، وكانت من المؤمنات

الصادقات فقالت : خرج جنباً فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروساً تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد ، وكان استأذن رسول الله ﷺ في الدخول بها ، فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ ، فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله ﷺ بالخروج إلى العدو ، فعجل عن الغسل إجابة للداعي . وفي رواية : إنها قالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدوّ . وفي رواية : أنه غسل أحد شقيه ، ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر ، فلذلك غسلته الملائكة . وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقاً لقوله ﷺ . وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت .

وجاء أنها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بأنه دخل بها خشية أن يحصل له موت ، فيكون في ذلك نزاع . قالت : لأني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة . وعبد الله هذا هو الذي ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية ، وكان ذلك سبباً لوقعة الحرة .

ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق ، وقد جاء أن أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد أن يمثل بقتلاهم : فقال له النبي ﷺ أن قريشاً أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبّه الله على فيه . وعساك إن طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى .

فقال ابو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله . فقال : صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم . وجاء ان النبي ﷺ أراد أن يدعو عليهم أي يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافي أنه قد دعا عليهم في بعض الأوقات فأنزل الله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال : لئن ظفرت بهم لأمثلن بأربعين منهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ فقال : إصبر واحتسب . وأقبل رجل من المشركين مقنعاً بالحديد يقول : انا ابن عوف فتلقاه رشيد الأنصاري الفارسي فضربة على عاتقه فقطع الدرع فقال : خذها ، وأنا الغلام الفارسي ورسول الله ﷺ يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله ﷺ : هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري ؟ وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدوا كأنه كلب وهو يقول : أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق

رأسه فقال : خذها وأنا الغلام الأنصاري . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أحسنت يا أبا عبد الله ، وكان يومئذ لا ولد له ، وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسود يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد . فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له : قد عذرك الله . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله إني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك . وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج ونوجه إلى القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى أهلي فقتل . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبرّه منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته .

وفي رواية : أنه قال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى اقتل المشي برجلي هذه صحيحة في الجنة فقال له ﷺ : كأني أنظر اليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة . ويمكن الجمع بأنه في أوّل دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة .

واصيبت يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل : صارت في يده فأتى بها رسول الله ﷺ فقال له : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً فقال : يا رسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلي يحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يرددنني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فقال : آفعل يا قتادة وفي رواية : وأن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني أن تقذرني ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسه جمالاً . وعند الطبراني عن قتادة رضي الله عنه قال : كنت أتقي السهام بوجهي دون وجهه ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها الي موضعها . وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدّهما أي أقواهما نظراً ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وفي رواية : أصيبت عيناي وهو من تصرف الرواة ، بل قال الدارقطني : ان هذه الرواية تفرد بها عمار ابن نصر . قال النووي : وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة . وروى الأصمعي عن أبي معشر قال : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال : ممن الرجل فقال :

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فقال عمر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاد أبعد أبوالا

وفي رواية فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفاري واسمه كلثوم بن الحصين ابن خالد بسهم فوقع في نحره فبصق عليه ﷺ فبرىء ، وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه ﷺ عرجون نخلة فعاد في يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضي الله عنه ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي فقتل علي رضي الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ، ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بن الرشيد في بغداد بمائتي دينار . وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر : ألا إن سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون . واشتغل المشركون ذكوراً وإناثاً بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشراف أصحابه .

وجاء وحشي بعد ان مات حمزة رضي الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به إلى هند بنت عتبة وقال لها : هذا كبد حمزة قاتل أبيك ، فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة . وجاء في رواية : أن النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد . وكانت هند نذرت أن تأكل من قلب حمزة رضي الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشي فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها . ولما أراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته وقال : انعمت فعال إن الحرب سجال حنظلة بحنظلة ، يوم أحد بيوم بدر أعل هبل . وسبب قوله ذلك أنه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال اعل هبل أي زد علواً فقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه : أجبه فقل : الله أعلى وأجل . وقوله انعمت فعال ـ بسكون التاء ـ أي اجابت بنعم في فعلها البالغ ففعال معدول

عن فاعله صيغة مبالغة يعني بالغت هذه الفعلة أي الوقعة . ثم قال له عمر رضي الله عنه : لا سواء اي لا نستوي نحن وانتم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . فقال ابو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقالﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أي لا ناصر لكم . قال ابن اسحق : وعلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه بكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليّ عمري حتى ترم اعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عياد بن المطلب المطالبية اخت مسطح بن اثاثة فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقاني ، قال الحافظ ابو الربيع في الاكتفاء : هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها . ثم ان الله هداها للإسلام وعبادة الله ، وترك الاصنام واخذ يحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الإسلام فصلحت حالها ، وتبدلت أقوالها ، حتى قالت لهﷺ : والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إليّ أن بذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب إليّ أن يعزوا من أهل خبائك . وكان إسلامها وإسلام زوجها أبي سفيان عام الفتح . وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبيﷺ فقال له : إن شئت يرجعها الله إليك أحسن مما كانت وإن شئت عيناً خيراً منها في الجنة فرمى بها وقال : خيرا منها في الجنة . وشهد غزوة اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول : الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ، ثم قلعت عينه الأخرى . وتوفي بالمدينة سنة إحدى أو

أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وكان أبو سفيان رضي الله عنه في أوّل دخوله في الإسلام مكرهاً فتألفه النبيﷺ حتى شرح الله صدره للهدى وحَسُنَ إسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة . وقال له العباس رضي الله عنه بعد اسلامه : أين قولك : أنعمت فعال وقولك اعل هبل ؟ فقال للعباس : قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للإسلام . فإياك ان تصغي إلى طعن الطاعنين فيه أو في أحد من أصحاب النبيﷺ . وقد قالﷺ الله الله في أصحابي وأصهاري وهو من أصهاره .

وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد ، وكانا من أشد الناس على المسلمين ، ثم أسلما وحسن إسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفاً من سيوف الله صبه الله على المشركين ، وصار عكرمة إذا فتح المصحف يصيح ويقول : هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه ، فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين وقال ابو سفيان يوم أحد : الحرب سجال . وفي رواية : يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر . وقد قال تعالى : ﴿ إن يمسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ثم قال ابو سفيان : انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني .وفي رواية : والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني .

ويروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة ويقول : ذق عقق اي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذي كنت عليه يا عاق قومه جعل إسلامه عقوقاً . فقال الحليس : يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون . فقال ابو سفيان : اكتمها عني فانها زلة ثم بعد إجابة عمر لأبي سفيان . قال له ابو سفيان : هلم يا عمر فقال له رسول اللهﷺ : ائته فانظر ما شأنه فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر اللهم لأوانه ليسمع كلامك الآن قال : إنك عندي أصدق من ابن قمئة وأبرّ أي لأن ابن قمئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبيﷺ فقال لهم : قتلت محمداً كما تقدم . وفي رواية أن أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى : أفي القوم محمد ثلاثاً فنهاهم ﷺ أن يجيبوه ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثاً ثم قال : أفي القوم عمر بن الخطاب ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم إذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إن الذي عودت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوءك . ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم

بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل . ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه فقال له : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ؟ فان كانوا قد جنبوا الخيل اي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الإبل أي ركبوا مطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرنّ اليهم فيها ثم لأناجزهم . قال علي أو سعد بن أبي وقاص : فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة بعدما تشاوروا في نهب المدينة ، فاشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا فإنكم لا تدرون ما يغشاهم .

ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الأموات ؟ : أي لأن النبي ﷺ رأى الأسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الأنصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه : أنا أنظره لك يا رسول الله ، فقال له : ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ كيف يجدك ؟ فنظر أبي فوجده جريحاً وبه رمق اي بقية روح فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الاموات ؟ فقال : قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وقد انفذت إلى مقاتلي ، فأبلغ رسول الله صل ﷺ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيراً ما جزى الله نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم أي يصل اليه شيء من الأذى وفيكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره وفي رواية : اقرأ على قومي السلام وقل لهم : يقول لكم سعد بن الربيع : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله مالكم عند الله عذر فقال رسول الله ﷺ : رحمه الله نصح لله ولرسوله حياً وميتاً .

ثم خرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل : رأيته بتلك الصخرات وهو يقول : أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر يعني أبا سفيان واصحابه ، واعتذر اليك مما صنع هؤلاء اي بانهزامهم فجاء رسول الله ﷺ نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به ، فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر ﷺ إلى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه

وقال : أصاب بمثلك ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا .

وقال : رحمة الله عليك فقد كنت فعولاً للخيرات وصولاً للرحم ، أما والله لأمثلن بسبعين منهم . ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه قالوا : لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب ، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبروا وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفي كلام بعضهم : أن هذه الآية مكية . قال الحلبي : يجوز أن تكون مما تكرر نزوله .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه ، فانه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشي وقال : يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ، يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فيقال هذا من الندب المحرم هو تعديد محاسن الميت لأن ذلك مخصوص بما إذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المكروه ، وهو النداء بذكر محاسن الميت لأن محل كراهته إذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفاً لنحو صالح على سلوك طريقته وقال ﷺ : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

وأمر رسول الله ﷺ الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها : يا أمة الله إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت له : لم وقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لأحتسبنّ ولأصبرن ان شاء الله تعالى .

فجاء الزبير فاخبر النبي ﷺ بذلك فقال : خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له . وفي رواية : أن صفية لقيت علياً و الزبير رضي الله عنهما فقالت لهما : ما فعل حمزة فأرياها انهما لا يدريان أي رحمة بها فجاءت النبي ﷺ فقال : إني أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته . وفي رواية : أنها لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت : لا أرجع حتى أرى رسول الله ﷺ . فلما

رأته قالت : يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قالﷺ : هو في الناس . قالت : لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله ﷺ : دعها . فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول اللهﷺ .

ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية ، قال : ألا كفن فرمى رجل من الأنصار بثوبه عليه ثم قام آخر ورمى بثوبه عليه فقال : يا جابر هذا الثوب لأبيك وهذا لعمي . وفي رواية : جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الأنصار ولعله والد جابر رضي الله عنه وفي رواية : كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الإذخر . وفي رواية . الحرمل . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قتل مصعب ابن عمير يوم أحد وكفن في بردين غطى بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه بدا رأسه . وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك إلا نمرة إذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول اللهﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر ، وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتى مكة شباباً وجمالاً ولباساً وعطراً فلما أسلم رضي الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يوماً صائماً فجيء له بطعامه فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه ، وقد بسطلنا من الدنيا ما بسطوأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام انس رضي الله عنه . قال : قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في القبر الواحد .

وقال ﷺ في حق حمزة : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أي يتطاول جزعهن وفي رواية : لولا تجد صفية في نفسها ويكون سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع . وفي رواية : حتى تأكله العافة ويحشر في بطونها لشدة غضب الله على من فعل به ذلك . ثم صلي عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة رضي الله عنه واحداً بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة . ثم يرفع ، ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه إثنين وسبعين صلاة ولم يغسلهم . وفي رواية : ولم يصلّ عليهم وهذا هو الذي في صحيح البخاري ولفظه أمر النبيﷺ بدفن شهداء أحد ولم يصلّ عليهم ولم يغسلوا ، وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو ان

الصلاة بمعنى الدعاء . وحملوا على ذلك أيضاً حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للأحياء والأموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك .

قال السهيلي : لم يروعن رسول الله ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في أحد ، وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الأئمة بعده نعم جاء أن حنظلة كان جنباً فغسلته الملائكة كما تقدم .

وممن مثل به عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم : اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلني ثم يجدع أنفي ويقطع أذني فاذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت ، وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لأن المنهى عنه أن يكون ذلك لضرر نزل به ، وتقدم ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة فصار سيفاً في يده ، وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد ، وإنما كان حمزة خاله لأن أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، أبو الحكم هذا قتل كافراً في ذلك اليوم أعني يوم أحد قتله علي رضي الله عنه كما تقدم .

وقال ﷺ : ادفنوا عبد الله بن عمرو وهو وعمرو ابن الجموح في قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمر ، وهذا هو والد جابر رضي الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجاً بعمة جابر أخت عبد الله بن عمرو ، وجاء ان عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنه أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده إلى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو وهذا وهو أيضاً قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كانما ماتا بالأمس فأزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : استصرخنا إلى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم ، فأتيناهم فاخرجناهم طرايا تنثني أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة ، وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث الدم وذكر انه فاح من قبورهم مثل المسك وفي لفظ : على رأس خمسين سنة مع ان أرض

المدينة سبحة بتغير الميت في قبره من ليلة ، وإنما لم يتغيروا لأن الأرض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وزاد قارىء القرآن والعالم العامل ومحتسب الأذان ، ويدل له حديث الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره اي كشهيد المعركة لا يأكله الدود . وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي فقال :

لم تأكل الأرض جسماً للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب اذ انه لإلـه يجري الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لأنه كان ابن عمه . وذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحاً فمرَّ صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال : الآن شفيت نفسي حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ، قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل ، وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضي الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادي رسول الله ﷺ يقول ردوا القتلى إلى مضاجعهم . فأدرك المنادى واحداً لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه .

وجاء أنه ﷺ قال في قتلى أحد : أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله : أنا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ وقال النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه : ان الله كلم أباك كفاحاً فقال : سلني أعطك فقال : أن أردّ إلى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل : ا... إنهم لا يرجعون إلى الدنيا قال : أي رب فأبلغ من روائي فانزل الله :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ الآية . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم ينه وقال : تبكيه أولا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال إنما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضي الله عنه قال : أصيب أبي يوم أحد فمرّ بي النبي ﷺ وأنا أبكي فقال : أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ؟ ومر رسول الله ﷺ بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد ، فلما نعوا لها أي بلغها خبر موتهم قالت : ما فعل رسول الله ﷺ أي ما فعل به ؟ قالوا خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبيرة فهو من اضداد ، ويعلم المراد بالقرينة . وفي رواية : انها مرت بأخيها وزوجها وابنها وابيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت : من هذا ؟ قيل لها : أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث ، بل صارت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت بمن عطب . واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا : قال مجاهد : حضرت الملائكة ولم تقاتل ، وما قاتلت إلا يوم بدر . ولكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيناهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل . قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أُحد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه ﷺ خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال : سألني رسول الله ﷺ وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت : رأيته في جنب الجبل فقال : الملائكة تقاتل معه . قال الحرث : فرجعت الى عبد الرحمن فإذا بين يديه سبعة صرعى فقلت : ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت ؟ فقال : اما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله ﷺ . قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم . وتقدم أنه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب ، وجاء أنه لما تصوّر الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله ﷺ يقول : تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال : لست بمصعب . فعرف رسول الله ﷺ انه ملك . وفي رواية : أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول

الله ﷺ يقول : اقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب ؟ قال : بلى ، ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه ، وتقدم ان النبي ﷺ أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه . وجاء في رواية : ابو الروم ويجمع بين الأحاديث باحتمال أن يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن .

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون وحوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد ، وقال : اصطفوا حتى اثني على ربي عز وجل . فاصطف الرجال خلفه صفوفاً وخلفهم النساء فقال : اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن اضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت . ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما أبعدت ، ولا مبعد لما قربت الحديث . ثم توجه ﷺ إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته ﷺ أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله ﷺ : احتسبي فقالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة قالت : إنا لله وإنا اليه راجعون غفر الله له هنيئاً له الشهادة : ثم قال لها : احتسبي . قالت : من يا رسول الله ؟ قال : أخاك عبد الله بن جحش قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها : احتسبي . قالت : من يا رسول الله ؟ قال : زوجك مصعب بن عمير فقالت : واحزناه ، وصاحت وولولت . فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة لبمكان ما هو لأحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها . ثم قال لها : لم قلت هذا ؟ قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحنن الله عليهم الخلق ، فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة .

وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدْو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله ﷺ فقال له سعد : يا رسول الله أمي فقال ﷺ : مرحباً بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ فقالت : أما إذا رأيتك سالماً فقد اشويت المصيبة اي استقللتها . ودعا رسول الله ﷺ لمن قتل باحد بعد أن قال لأم سعد : يا أم سعد أبشري وبشّري أهلهم إن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهليهم . قالت : رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ! ثم قالت : يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا . فقال : اللهم أذهب

حزن قلوبهم وأجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهنّ وأبنائهن وإخوانهن فقال حمزة : لا بواكي له وبكى ﷺ ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بين المغرب والعشاء ، وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة . ولما وصل رسول الله ﷺ المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذّن بلال لصلاة المغرب ، فخرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ﷺ المغرب .

فلما رجع من صلاة المغرب إلى بيته سمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن يرجع النساء إلى بيوتهن وفي رواية : خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وأن بلالاً أذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ ، فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافات لاحتمال أن يكون الأمر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة اخرى فقال لهن : ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الأنصار ، فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الأنصار بعد ذلك لا تبكي على ميتها الا ابتدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها ، وباتت وجو الأوس والخزرج تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفاً من قريش أن تعود إلى المدينة . وجاء انه ﷺ نهى نساء الأنصار عن النوح فقال له الأنصار : بلغنا يا رسول الله أنك نهيت عن النوح وإنما هو شيء تندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه . فقال ﷺ : إن فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً .

وجملة القتلى من المسلمين يوم أحد سبعون : أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ، وقيل ثمانون : أربعة وسبعون من الأنصار وستة من المهاجرين . قال الحافظ ابن حجر : لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمر وحليف بني عبد شمس . والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر . فانه جاء أن حمزة وحده قتل أحداً وثلاثين ، فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أو دفنوهم ، ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا

الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا : ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا : لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين فقال : أليسوا يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله ؟ فقال : بلى ولكن تعوذا من السيف ، وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال ﷺ : نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة . فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير . وكان من عادة عبد الله ابن أُبي بن سلول انه إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر قام فقال : يا أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك ، فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له : اجلس يا عدوّ الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني إنما قلت شراً . وقال له بعض الأنصار : ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في قوله : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبي ﷺ وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة . بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ .

ومن الحكم في ذلك ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلي ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ ولو انغلبوا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً ومستوراً عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهر ومن الفعل والقول ، كانخذالهم وقولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصرحاً

به . وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدّوا لهم وتحرزوا منهم . ومن الحكم في ذلك أيضاً أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشاماختها وتكبرها وتعاظمها . فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ، ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ، قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ قال ابن اسحق : أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدقكم في الايمان بي والصبر على ما أصابكم أي أعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر علمي لكم ويكون ما أظهره مطابقاً لما سبق في علمي .

ومنها ان الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم الله اليها إكراماً لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل بقاء العدوّ كما قال تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن يمسكم قرْح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ وقد قالﷺ : والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيي ، ثم أقتل ثم أحيي ، ثم اقتل ثم احيي ثم أقتل ، ومنها ان الله أراد إهلاك اعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا أنهم على شيء من ظفرهم الصورى بالمسلمين فزاد عتواً وتجبيراً وطغياناً في إيذاء أوليائه . ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى : ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا الكافرين ﴾ أي يهلك الكافرين الذي حاربوا يوم أحد ولم يسلموا ، والمعنى إنْ كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم . ومنها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآم والأسقام تعظيماً لأجورهم تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره . قال تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه وبيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا

واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

قال ابن اسحق : أنزل الله في شأن أحد ستين آية من آل عمران . وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها . ﴿ واذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

غزوة حمراء الأسد

بفتح الحاء والمدّ مضافة إلى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحُلَيْفة وكانت صبيحة أحد إذ وقعة أحد يوم السبت ، والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة . وكانت لطلب العدوّ الذين كانوا بالأمس . قال الواقدي : باتت وجوه الأنصار على بابه ﷺ خوفاً من كثرة العدوّ ، فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمر والمزني فاخبر النبي ﷺ أنه قد أقبل من عند أهله بملل بميم ولامين اسم موضع قرب المدينة إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون : ما صنعتم شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم قد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول : لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم ، فاني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم . فقال ﷺ : أرشدهم صفوان وما كان برشيد ، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب . ودعا ﷺ ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا : يا رسول الله اطلب العدوّ لا يقتحمون على الذرية أي يدخلون ، فلما صلى الصبح تدب الناس واذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج أي أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله ﷺ يامركم بطلب العدوّ وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحداً وأراد بذلك إظهار الشدّة للعدوّ فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ في الإيمان وحب النبي ﷺ ، وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد أحداً ، وأيضاً خاف اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهراً فلا يمكنه منعهم .

وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أنصرف المشركون عنه ﷺ خاف ان يرجعوا فقال : من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم ابو بكر والزبير .زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعليّ وعمار

وطلحة وسعد وابن عوف وابو عبيدة وحذيفة وابن مسعـود . قال الحافـظ ابـن كثـير : والمشهور عند أهل المغازي أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانـوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون . قال العلامة الشامي في سيرته : والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وإنما خرجﷺ مرهباً للمشركين ، لما بلغه انهم يريدون العـود فخرج لإرهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوّة ، وأن الذي أصابهـم لم يوهنهم عن عدوّهم ولم يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة .

وذكر ابن سعد : أنه ﷺ ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ولهم زجل ويأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضىﷺ بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج ، حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما .

وروى النسائي والطبراني بسنـد صحيح عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا : لا محمـدا قتلتـم ولا الكواعـب أردفتـم بئسما صنعتـم ارجعوا ، فسمع بذلك رسول اللهﷺ فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة فأنزل الله عز وجل : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ وخرج ﷺ وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ، ولقيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له : يا طلحة أين سلاحك ؟ فقال : قريب ، فذهب وأتى به ، وبه بضع وسبعون جراحة منها بصـدره فقال له النبيﷺ : يا طلحة أين تظنّ القوم ؟ فقال : بالسيالة فقالﷺ ، ذلك الذي ظننت ، أما انهم يا طلحـة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ، وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يا ابن الخطاب أن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن . ولما وصلﷺ حمراء الأسد أقام بها الأثنين والثلاثاء والأربعاء ، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهـب صوت معسكرهـم ونيرانهـم في كل وجـه فكبـت الله بذلك عدوّهم ، وكان اللواء في هذه الغزوة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحق : ان النبيﷺ لقي بحمراء الأسد معبد بن أبي

معبد الخزاعي ، وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضي الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبي ﷺ مسلمهم وكافرهم ، كلهم يحبونه ﷺ فقال : يا محمد ، والله لقد أعز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ، لوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا : أصبنا في أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرنّ عليهم فلنفرغنّ منهم .فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك ؟ قال : محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال : لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فاني أنهاك عن ذلك فملئوا رعباً من ذلك ورجعوا إلى مكة .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب بعد الذي كان منه يوم أحد فرجع إلى مكة وقال ﷺ : إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقذف الله في قلبه الرعب ، ثم رجع ﷺ بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة ، وقد غاب خمساً وظفر ﷺ عند رجوعه إلى المدينة بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة ، فأمر بقتله ، وحاصل قصته أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت : ام كلثوم بنت النبي ﷺ ورضي عنها من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان فقالت : ليس هو ههنا . فقال : أرسلي اليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه ، فجاء عثمان رضي الله عنه فلما نظر اليه قال : أهلكتني وأهلكت نفسك . فقال : يا ابن عم ، لم يكن أحد أمسّ بي منك رحماً فأجرني ، فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت اليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ فأمر بقتله .

فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لآخذ له أماناً فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً وأقسم أنه إن وجده بعدها قتله . وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء

الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله ﷺ الى المدينة فخرج معاوية هارباً فقال : ﷺ إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه . وقيل : انما قتلاه بعد أن جاءا به الى النبي ﷺ ، فأمر بضرب عنقه صبراً بأن أوثقوه حتى أمر بقتله .

وفي سيرة ابن هشام وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد أسر ببدر ، ثم منّ عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما منّ عليه وأطلقه رجع إلى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السب والهجاء ، فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الأسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائماً فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يا رسول الله أقلني وامنن عليّ ودعني لبناتي وأعاهدك أن لا أعود . فقال : والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرّتين . وفي رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمداً . وفي لفظ : سحرت محمداً مرّتين ، إن المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين اضرب عنقه يا زبير . وفي رواية : يا عاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ قيل : ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي أوّل رأس حملت في الاسلام إلى المدينة أي على رمح ، فلا ينافي أنّ أوّل رأس حملت رأس كعب بن الأشرف فلا تعارض ، قال بعضهم في معنى قوله ﷺ : لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره ﷺ .

وفي هذه السنة كانت ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان ، وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن علي رضي الله عنهما . وفي هذه السنة أيضاً حرمت الخمر في شوّال بعد وقعة أحد .

سرية أبي سلمة

عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى قطن ـ بفتح القاف والطاء

وبالنون ـ جبل بناحية فيد ـ بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره ـ وهو اسم ماء لبني أسد بنجد ، بعثﷺ أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد الأسـديين . وسبب ذلك انه بلغهﷺ أنهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربـه ﷺفنهاهـم قيس بن الحرث فلم ينتهوا ، فدعاﷺ أبا سلمة وعقد له لواء وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم ، فخرج فأسرع السير حتى انتهى إلى أدنى قطن ، فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا في كل وجه . وفي رواية : خافـوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلاً وشاء فأغار عليها ولم يلق كيداً أي حرباً . وفي رواية : فعسكر به اي يقطن وتفرق قومه ثلاث فرق ، فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا في ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين ، وقد أصابتا نعماً وشاءً ، فانحدر بها أبو سلمة إلى المدينـة وأخرج منها صفي رسول الله ﷺ عبداً وأعطي الوليد بن زيد الطائي وهو الدليل ما رضي به ، ثم خمسها وقسم الباقي على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناماً ، ومدّة غيبته في تلك السرية عشرة أيام والله أعلم .

سرية عبد الله

ابن أنيس رضي الله عنه الجهني السلمي الأنصاري بعثـهﷺ وحـده يوم الاثنـين لخمس خلون من المحرّم ، على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي ثم اللحياني وكان بعرنة ، موضع قريب من عرفة ، لأنه بلغهﷺ أنه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله : ائته فاقتله . فقال : صفه لي يا رسول الله حتى أعرفه . قال : إذا رأيته هبته ، وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان . قال عبـد الله : وكنت لا أهاب الرجال ، فقلت : يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال : آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن اقول ، فقال : قل ما بدا لك وقال : انتسب لخزاعـة ، فأخذت سيفي وخرجت أعتـزي لخزاعـة ، فلما وصلـت اليه بعرنـة لقيتـه يمشي ووراءه الأحابيش ، فهبته وعرفته بنعت النبيﷺ فقلت : صدق الله وصدق رسوله . وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشي وأومىء برأسي إيماء ثم دنوت منه فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معـك قال : أجل إني لفي الجمع له ، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي فقلـت له : عجبـاً لما

أحدث محمد من هذا الدين المحدث ، فارق الآباء وسفه احلامهم . قال : إنه لم يلق أحداً يشبهني ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهذ الأرض ، حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال : هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه ، قال : اجلس . قال : فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته وقتلته .

وفي رواية انه قال : مشيت معه حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ، ثم أقبلت فصعدت جبلاً ودخلت غاراً وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار ، وضربت العنكبوت على الغار ، وأقبل رجل معه أداوة ضخمة ونعلاه في يده ، وكنت حافياً فوضع أداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار ، ثم قال لأصحابه : ليس أحد في الغار ، فانصرفوا راجعين ، فخرجت فشربت ما في الاداوة ولبست النعلين ولم يرني أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما ، فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفاً من الطلب أن يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته ﷺ بالمسجد فقال ﷺ : أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري ، فدفع إليّ عصا وقال : تخصر بها في الجنة فان المتخصرين في الجنة قليل ، فكانت العصا عنده حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه ففعلوا . والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه ، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرّم . قال موسى بن عقبة وقد أخبر ﷺ أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضي الله عنه والله أعلم .

بعث الرجيع

وهي سرية عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه من السابقين الى الإسلام ، روى الحسن بن سفيان قال : لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال ﷺ لمن عنده ، كيف تقاتلون ؟ فقام عاصم ابن ثابت رضي الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة اي الملاعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف ، وكانت المجالدة .

فقال ﷺ : هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم ، وشهد رضي

الله عنه العقبة وبدراً وأحداً ، وكان بعثه في صفر على رأي ستة وثلاثين شهراً من الهجرة فيكون في أول السنة الرابعة . والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعفان ، وإنما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه ، وسبب هذا أن بني لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشوا إلى عضل والقارة وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة ، فجعلوا لهم إبلاً على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج اليهم نفراً من أصحابه ، فقدم سبعة نفر مظهرين الإسلام فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام . وقيل إنه ﷺ أراد أن يبعث عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش ، فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للأمرين جميعاً وهم : عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخبيب بن عديّ الأوسي البدري وزيد بن الدثنة ـ بفتح الدار وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة ـ وعبد الله ابن طارق وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد ، وبعضهم مغيث بن عوف ، وأمر ﷺ عاصم بن ثابت ، وقيل : مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدوا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً ليعينوهم على قتلهم ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتي رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا في مقابلتهم مالاً لعلمهم انه لا شيء أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد ﷺ يمثلون به ويقتلونه ، بمن قتل منهم ببدر وأحد ، فأبوا ان يقبلوا منهم ، فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم . وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلاً ورغبوا في الحياة .

وفي رواية : لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه في الأرض ، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار ، لأنهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصاً وذلك قرب وقعة أحد ، وقتل سفيان بن خالد الهذلي ، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النوى فأنكرت صغرهنّ وقالت : هذا تمر يثرب فصاحت في قومها وقالت : قد أتيتم من قبل العدوّ فجاؤا في طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كنوا في الجبل فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً ، فنزل إليهم

على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، وقال عاصم ابن ثابت رضي الله عنه : أيها القوم ، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ثم قال : اللهم أخبر [illegible] رسولك ، فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى ، وكان عنده سبعة اسهم فقتل لكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال : اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره أي عن أن يمثلوا به بعد القتل ، فقتلوا عاصماً وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدي وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق : هذا أول الغدر لا أصحبكم إن لي بهؤلاء يعني القتلى أسوة فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه . وقيل مشى معهم حتى إذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد ابن الدثنة حتى باعوهما بمكة ، باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل بمكة ، وقيل : انهم باعوا خبيباً بأمة سوداء والذي اشتراه بنو الحرث بن عمر بن نوفل بن عبد مناف ، لأن خبيباً هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وبنو الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سيروعة واخوهما لامهما حجير بن أبي إهاب حليف بني نوفل ، وقد اسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبيﷺ ورضي عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك ، وقتل زيداً بأبيه أمية ، وكان شراؤهما في ذي القعدة ، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم فقتلوا زيداً ، وأما خبيب فكذلك مكث أسيراً حتى خرجت الأشهر الحرم ، ثم اجمعوا على قتله ، وكانوا في أول الأمر أساؤوا اليه في حبسه فقال لهم : ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم ، فأحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهي ماوية مولاة حجير ، وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضي الله عنهما .

روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال : قال لي خبيب وكانوا جعلوه عندي يا موهب أطلب إليك ثلاثاً أن تسقيني العذب وأن تجنبني ما ذبح على النصب وأن تعلمني إذا أرادوا قتلي . وقالت ماوية زوج موهب : كان خبيب رضي الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له : هل لك من حاجة ؟ قال : لا إلا أن تسقيني العذب ولا تطعميني ما ذبح على النصب ، وتخبريني إذا أرادوا قتلي . فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك ، وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى

ليستحد به أي يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله ، فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله ، ما كنت لأغدر قالت زينب : والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يأكل قطفاً أي عنقوداً من عنب مثل رأس الرجل ، وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب . وروت ماوية أيضاً مثل ذلك وقالت : وما أعلم في الأرض حبة منه وما كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً . قال في المواهب : وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهاناً لنبيه ﷺ لتصحيح رسالته ، ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال : اتركوني أصلِّ ، فتركوه فصلّى ركعتين قال موسى ابن عقبة : صلاهما في موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ، ثم انصرف اليهم وقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت وفي رواية : لسجدت سجدتين أخريين ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق منهم ، أحداً ، وأقتلهم بدداً أي متفرقين ، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي .

وفي رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالأرض خوفاً من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حي غير ذلك الرجل الذي لبد في الارض . قيل : إن ذلك الرجل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما . فقد حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : كنت مع أبي أي حين قتلوا خبيباً فجعل أبي يلقيني إلى الارض خوفاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه . قال العلامة الزرقاني : إن دعوة خبيب اصابت منهم من سبق في علمه تعالى أن يموت كافراً ، وأما من سبق في علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه . وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فإنما هلك بدداً لأنهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أُحد وبدر لأن الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفي رواية : أن خبيباً رضي الله عنه قال : اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه ، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فأخبره أصحابه بذلك . وروى موسى بن عقبة أن النبي ﷺ قال ذلك اليوم وهو جالس : وعليك السلام خبيب قتلته قريش ، ثم أنشأ خبيب رضي الله عنه يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإلَـه وان يشأ يبـارك على أوصـال شلوٍ ممزع
لقـد جمـع الأحـزاب فيَّ وألبوا قبائلهـم واستجمعـوا كلَّ مجمع
إلى الله أشـكو غربتـي بعـد كربتي ومـا أرصـد الاحـزاب لي عنـد مصرعي

قال الزرقاني في شرح المواهب : روي أن قريشاً طلبوا جماعة ممـن قتـل آباؤهـم وأقرباؤهم ببدر ، فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم : هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب ، فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه إلى الكعبة فقـال : الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته ، فلم يستطع أحد أن يحوّله . وقد ذكر ابن اسحق زيادة في الشعر المتقدّم وكذا الواقدي وغيره وهذا لفظهم :

لقـد جمـع الأحـزاب حولي وألبوا قبـائلـهـم واستجمعـوا كل مجمع
وكلهـم مبـدي العـداوة جاهد علي لأنـي في وثـاق وضيع
وقـد جمعـوا أبناءهـم ونساءهم وقربـت من جزع طويل ممنع
الى الله أشـكو غربتـي ثم كربتي ومـا أرصـد الأحـزاب لي عنـد مصرعي
وذلك في ذات الإلَـه وإن يشأ يبـارك على أوصـال شلـوٍ ممزع
وقـد خـير وافي الكفـر والموت دونه وقـد هملـت عينـاي من غـير مجزع
ومـا بي حذار الموت إنـي لميت ولـكن حذاري حجـم نار مسفع
ووالله ما أخشى إذا مت مسلماً على أي جنـب كان في الله مضجعي
فلسـت بمبـد لعـدو تخشعاً ولا جزعـاً إنـي إلى الله مرجعي

قال الحافظ ابن حجر : وفي هذا إنشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته في دينه وفي رواية : قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحرث ابن عامر فقتله ، وقد اسلم عامر الفتح رضي الله عنه ،وكان يقـول ما أنا قتلت خبيباً لأني كنت صغيراً ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة وجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة فطعنه بها حتى قتله . وكان خبيب هو الذي سنّ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة لأنه فعـل ذلك في حياة النبـيﷺ ، فاستحسن ذلك من فعله . وأخبرﷺ أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمـل العبد . وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أي طعنوه بها طعناً خفيفاً وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمداً

مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه . وقيل : إن زيد ابن الدثنة قالوا له ذلك أيضاً عند قتله فأجابهم بمثل ذلك . فقال أبو سفيان رضي الله عنه : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . ثم بعد ان قتلوا خبيباً رضي الله عنه أبقوه على خشبته مصلوباً مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه ، فأرسلﷺ الزبير ابن العوّام والمقداد بن الأسود . وفي رواية : عمرو بن أمية الضمري فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً ، فحمله الزبير على فرسه ، وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فإبتلعته الأرض والذي أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه .

فقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن عمرو بن أمية قال : بعثني رسول اللهﷺ وحدي عيناً إلى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدي لأنزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلاً فقطعت عنه وألفيته فسمعت وجبة خلفي فالتفت فلم أر خبيباً وكأنما ابتلعته الأرض فلم أرَ له أثراً حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسلهﷺ أولاً . ثم أرسل الزبير والمقداد ، فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير إلى آخر ما تقدّم ، وبعثت قريش في طلب عاصم بن ثابت رضي الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه به كرأسه ، لأنه كان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر . قال الحافظ ابن حجر : ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن ابي معيط فان عاصماً قتله على قول ابن إسحق صبراً بأمر النبيﷺ بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذي قتله هو علي رضي الله عنه ولعلهما اشتركا في ذلك ، فنسب الى كل منهما ، وجاء في رواية : أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري ، وكان عاصم قتلهما يوم أحد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه ، وهو ما انفلق من الجمجمة ، وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة ، فمنعه منهم الدبر أي الزنابير ، بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شيء منه وفي رواية للبخاري : فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً . وفي رواية : فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم ، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا ، فقالوا : دعوه حتى يمسي فنذهب الدبر عنه فنأخذه ، فبعث الله سيلاً فاحتمل عاصماً فذهب به . وفي رواية : فاحتمله السيلا فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار . وقيل : إن الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى اخذ المسلمون فدفنوه

، وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً بمصافحة ونحوها ، فأعطاه الله ذلك ، والمراد انه قوي رجاؤه في الله فعاهده على ذلك . او المراد انه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركاً من مسه ، أو المراد سأل الله ذلك .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله لعبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته ففيه استحابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين لقوله : اللهم إني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ، ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ، ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة رضي الله عنهم ، لأن المزية لا تقتضي الأفضلية والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية بئر معونة

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه إلى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الإسلام أو مدداً لهم ، وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان ، وقيل : هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين قريب منه وهو إلى حرة بني سليم اقرب .
قال الزرقاني : والظاهر أنه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث ﷺ مع المنذر المطلب السلمي رضي الله عنه ليد لهم على الطريق ، وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به ، وكان مع رعل بطن من بني سليم ، ومع ذكوان بطن منهم ايضاً . وتعرف هذه السرية ايضاً بسرية القراء ، وكان من أمرها كما قاله ابن إسحق عن شيوخه أنه قدم على رسول الله ﷺ أبو براء عامر ابن مالك بن جعفر العامري ، واختلف في إسلامه وصحبته بعد ذلك .

قال اذهبي : والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الأسنة فعرض النبي ﷺ الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية : انه أهدى الى النبي ﷺ فرسين وراحتين فقال ﷺ : لا أقبل هدية مشرك ، وعرض عليه الإسلام فقال : يا محمد إني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً وقومي خلفي فلو أنك بعثت معي نفراً من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك

فانهم إن اتبعوك فما أعز أمرك . وفي رواية : لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام : إني أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء : أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري ، فابعثهم فبعث ﷺ المنذر ابن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون . قال قتادة : كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل. وزاد ثابت البناني عن انس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لأهل الصفّة ويأتون به إلى حجر أزواجه ﷺ ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون ، فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا ام سليم خال انس بن مالك رضي الله عنه بكتابه ﷺ ، إلى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافراً بالإجماع ، وليس هو عامر بن طفيل الأسلمي الصحابي رضي الله عنه ، فلما أتى حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل لم ينظر في كتابه بل استمر في طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله .

وفي رواية الطبري : فخرج حرام فقال : يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله اليكم م فآمنوا بالله ورسوله ، فخرج رجل برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر . وفي الصحيح : فجعل يحدثهم فأومأوا الى رجل فاتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة . قال ابن إسحق : وهذا الذي طعنه هو عامر بن الطفيل ، وقيل : أنه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه وكان مسلماً يكتم إسلامه لامرأة من قومه : هل لك في رجل إن صح كان نعم الراعي فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول :

أبا عامر ترجوا المودّة بيننا وهل عامر الا عدوّ مداهن
إذا ما رجعنا ثم لم يك وقعة بأسيافنا في عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم إن عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا : لن نخفر ابا براء اي لن ننقض عهده وذمامه لأنه قد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصاري الخزرجي البخاري

البدري رضي الله عنه ، فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً باصابة سهم وإلا عمرو بن أمية الضمري فانه أسر وأطلق ، قال ابن اسحق : كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الأنصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة ، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل ، واما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة ، زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضي الله عنه : جاء خبرهم الى النبي ﷺ على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال : هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفاً على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ، ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافراً . وقال حسان رضي الله عنه لربيعة ابن عامر : ملاعب الأسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء :

ألا من مبلغ عني ربيعاً ... بما قد احدث الحدثان بعدي
أبوك ابو الفعال ابو براء ... وخالك ما جد حكم بن سعد
بني أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب اهل نجد
تحكم عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة إن أضرب عامراً ضربة او طعنة ؟ قال : نعم فرجع فضرب عامراً ضربة أشواه بها ، فوثب عليه قومه فقالوا العامر : اقتص فقال : قد عفوت . ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ، ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو ابن امية الضمري رضي الله عنه وكان أسيراً في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فقال : هذا عامر بن فهيرة فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع الى السماء حتى إني لانظر الى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع . وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ، ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك . فقد روى ابن إسحق عن عروة بن الزبير ان عامر بن

الطفيل لما قدم على النبي ﷺ قال له : من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع ؟ قال : هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه ، وروى ابن المبارك عن عروة أيضاً قال : كان الذي قتله رجلاً من بني كلاب اسمه جبار ابن سلمي . وذكر انه لما طعنه قال : فزت والله . قال : فقلت في نفسي ما قوله فزت . فأتيت الضحاك ابن سفيان فسألته فقال : بالجنة . قال : فأسلمت ، ودعاني إلى ذلك ما رأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علواً .

قال البيهقي يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ، ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولاً بلفظ : لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى أني لأنظر الى السماء بينه وبين الأرض ولم يذكر فيها ثم وضع . وروى ابن سعد مرفوعاً : ان الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين . قال الجلال السيوطي : قويت الطرق وتعددت بمواراته في السماء ، وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات ان عامر بن الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوّز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافراً بالاجماع . كما تقدم .

روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : ما رأيت رسول الله ﷺ وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته ، وقد جرت عادة العرب قديماً بأن الرسل لا تقتل ، ودعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهراً . وفي رواية : أربعين يوماً يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحياه قال أنس رضي الله عنه : وبلغ الله نبيه ﷺ على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم . وفي رواية : فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ . قال السهيلي : هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وإنما ذكر بني لحيان وإن كانوا لبسوا معهم في هذه الوقعة وإنما هم في قصة أصحاب الرجيع لأن الخبر أتى النبي ﷺ بكل من الوقعتين في ليلة واحدة ، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ، ولهذا جمع البخاري القضتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك . قال العلامة الزرقاني : لما اصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه ﷺ فقال لها : اذهبي الى رعل وذكوان وعصية ، فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة . قال : وإنما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب

على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم ، كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الأشياء لأنه سبق في عمله تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع . اهـ

غزوة بني النضير

هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم ، واختلف اهل السير في السنة التي كانت فيها ، فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري أنها كانت بعد غزوة بدر ، وقبل أحد وذهب ابن إسحق الى انها كانت بعد بئر معونة ، ورجح المحققون من الحفاظ قوله : قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة ، وسببها ما تقدم قريباً ان عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة ،وكان عتقه إياه عن رقبة كانت على امه ، فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب .

وفي رواية : أنهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو ، فقال لهما عمرو : من أنتما ؟ فذكرا له أنهما من بني عامر ، فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن أنه ظفر بثأر بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة ، وجاء وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال له : لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي أعطي دينهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ، ثم خرج ﷺ الى بني النضير ليستعين بهم في دية ديتك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم ، فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك أن تزورنا ، وأن تأتينا ، اجلس تطعم وترجح بحاجتك ونقوم فنتشاور ، ونصلح أمرنا فيما جئتنا به . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه أحد من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان ﷺ قاعداً الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا : من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال : أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة .

وفي رواية .

فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم ، وفي رواية : قالوا لما رأوا قلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود : لا تفعلوا فوالله ليخبرنّ بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه . وفي رواية : قال لهم : يا قوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله لئن فعلتم ليخبرنّ بأنا قد غدرنا به وإن هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن إسحق : وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضي حاجة خوفاً أن يقطنوا له فيؤذوا أصحابه . ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعاً الى المدينة ، ثم إن أصحابه ﷺ استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حي بن اخطب اليهودي : لقد عجل أبو القاسم كنا نريد أن نقضي حاجته ونقريه ، وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حي هو المتولي امر ذلك ، وكان سيد بن النضير وهو والد صفية رضي الله عنها .

وفي رواية : بينما بنو النضير على إرادة القاء الحجر إذ جاء رجل من اليهود فقال : ما تريدون ؟ فذكروا له الأمر فقال : أين محمد ؟ قالوا : هذا محمد ، يعنون تحت الجدار فقال لهم : والله لقد تركت محمداً داخل المدينة فسقط في أيديهم أي ندموا وقالوا : قد أخبر بأمرنا . وفي رواية فقال لهم كنانة بن صويراء :هل تدرون لم قام محمد ﷺ ؟ قالوا :والله ما ندري ولا تدري أنت . فقال : والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله إنه لرسول الله ، فأبوا ان يقبلوا قوله ، ولما انتهى أصحابه اليه ﷺ قالوا : قمت ولم نشعر فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به . قال موسى بن عقبة : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم ﴾ وقيل : نزلت في الأعرابي الذي اخترط سيف النبي ﷺ وهو نائم تحت شجرة ، وأراد أن يقتله ، فاستيقظ ﷺ فقال الأعرابي : يا محمد من يمنعك مني ؟ قال : الله ، فسقط السيف من يده فأخذه النبي ﷺ وقال للأعرابي: من يمنعك مني ؟ فقال: كن خير آخذ ، فعفا عنه فأسلم وجاء الى قومه ودعاهم إلى الإسلام وقال : جئتكم من عند خير الناس ، وقيل في سبب نزولها غير ذلك ، ولا مانع أن تكون نزلت في الجميع .

وقال ابن اسحق ثم أمر النبي ﷺ أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير ، ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية قباء ، فنزل بهم وحاصرهم ست ليال ، وقيل خمسة عشرة يوماً . وقيل قريباً من عشرين ، فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلاً لهم يسمى العجوة ، وآخر يسمى اللين . وكان ذلك أحرق لهم لأن ذلك خير أموالهم ، فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضاً ، فنادوه يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم إصلاح ؟ حتى أن بعض المسلمين وقع في نفوسهم من هذا الكلام شيء فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فساداً ، وبعض المسلمين قالوا ، بل نقطع لنغيظهم بذلك والدين وقع في نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، فاعتقدوا ان ذلك ان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ يعني اليهود ، قال بعضهم : واللينة أنواع التمر ما عدا العجو والبني وقيل : اللينة كرام النخل . وقيل : كل الأشجار للينها وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعاً وقال السيد السمهودي مائة وبضع وثلاثون نوعاً كان موضع نخل بني النضير الذي حرق بالبويرة تصغير بورة وهي الحفرة ، وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب .

قال ابن اسحق : وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول بعثوا الى بني النضير حين هموا بالخروج أن أثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب في قلوبهم فلم ينصروهم . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصركم والله يشهد إنهم لكاذبون ولئن أخرجوا الا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكفّ عن دمائهم ، وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى .

وروى ابن سعد أن النبي ﷺ حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة

سريعاً ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن أخرجوا من بلدي ، فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشراً فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه ، فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون واكتروا من أناس من أشجع إبلاً فأرسل اليهم عبد الله بن أبي لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فان معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شيء ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حي بن أخطب فيما قاله عبد الله بن أبي فأرسل الى رسول الله ﷺ إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، وكان قد نهى حيياً عن فعله ذلك أحد سادات بني النضير ، وهو سلام بن مشكم . وقال : يا حيي منتك نفسك والله يا حيي أن قول ابن أبي ليس بشيء وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً ، فيجلس في بيته ويتركك فأبى . ولما أرسل حيي أنا لا نخرج أظهر ﷺ التكبير وكبر المسلمون بتكبيره ، وقال : حاربت يهود وسار إليهم عليه الصلاة والسلام في أصحابه مشاة على أرجلهم لقرب الموضع وقيل : ركب رسول الله ﷺ على حمار فصلى العصر بفناء بني النضير ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبي ولم يعنهم ، وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام ابن مشكم لحيي : أين الذي زعمت ؟ قال : ما اصنع ملحمة كتبت علينا ، وبنى لرسول الله ﷺ قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بني خطمة ودخلها ﷺ ، وكان عزوك اليهودي رامياً فيرمي فيبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ، ثم فقد عليّ رضي الله عنه في ليلة قرب العشاء فقال الناس : يا رسول الله ، ما نرى علياً . فقال : دعوه فانه في بعض شأنكم ، فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً فشد عليه عليّ رضي الله عنه فقتله وفر من كان معه ، وبعث ﷺ خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤوسهم في بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا : نحن نخرج من بلادك ؟ فقال : لا أقبله اليوم . ثم قال لهم : إخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة وهي الدروع والسلاح ، فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ، لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وأيدي المؤمنين يخربون باقيها. فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالاً وخزياً لهم وقيل : كانوا يخربون بيوتهم بأديهم حسداً

وبغضاً للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن المدينة، قال الله تعالى: ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي - ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ أي مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل لو أن الله رأى مصلحة في إجلائهم وإن حربهم قد يؤدي الى سفك دماء المسلمين، وقد يرجع حلفاؤهم ويعينوهم وولى ﷺ إخراجهم محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، وحملوا النساء والصبيين على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر والمعصفر وحلي الذهب والفضة وأظهروا التجلدا عظيما .

قال ابن إسحق : خرجوا بالنساء والابناء والأموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ، ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما . قال : وحدثني بعض آل يامين أن النبي ﷺ قال ليامين : ألم ترَ ما لقيت من ابنَ عمك وما همّ به في شأني ؟ يعني عمرو بن جحاش الذي هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقبل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة ، وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير، ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ، ودان لهم أهل خيبر فبقوا هناك حتى أهلكهم الله في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وذهب بعضهم الى اذرعات واريحاء من أرض الشام وروى موسى بن عقبة : أنهم قالوا إلى أين نخرج يا محمد : قال إلى الحشر يعني أرض المحشر وهي الشام ، وقيل الحشر الجلاء فأوّل الحشر الجلاء ، والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف ، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً لكونهم إخوانهم ، وقبض ﷺ ما تركوه من الأموال والدروع والسلاح ، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وهي الخوذة وثلثمائة وأربعين سيفاً ، فكانت أموال بني النضير صفياً أي مختاراً لرسول الله ﷺ أي خاصة به لأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ، ولم يقع قتال بينهم فكانت حبساً لنوائبه ﷺ . فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب ، وما فضل جعله في السلاح والكراع اي الخيل . هذا ما ذهب اليه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه .

وجاء في بعض الروايات : أنه خمسها . واليه ذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فقال : قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم اي مشقتهم عن

الأنصار اي بحسب الواقع ونفس الأمر ، وإن كان الأنصار يرون ذلك من أعظم النعم . قال تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وكانوا قد قاسموهم في الأموال والديار لما هاجروا وآخر بينهمﷺ فذهب كل انصاري بالمهاجري الذي آخر بينه وبينهﷺ الى منزله وكفاه المؤنة ، ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فأي أنصاري تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجري فبلغت مؤاساتهم الغاية القصوى رضي الله عنهم ، حتى ورد في الصحيح : ان سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان انظر اعجبهما اليك اطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك . ثم قال : دلوني على السوق وصار يبيع ويشتري حتى كان أكثر الصحابة مالاً رضي الله عنه وعنهم .

وروى الحاكم عن أم العلاء رضي الله عنها : قالت طار لنا عثمان ابن مظعون في القرعة ، فكان في منزلي حتى توفي رضي الله عنه . قالت : فكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ، فلما غنمﷺ أموال بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال : ادع لي قومك . قال ثابت الخزرج . فقالﷺ : الأنصار كلها . فدعا له الأوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم وإيثارهم إياهم على أنفسهم . ثم قال : إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه : يا رسول الله ، بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا وقالت الأنصار : كلهم رضينا وسلمنا يا رسول الله . فقالﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وفي رواية : وأبناء أبناء الأنصار رضي الله عنهم . وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً ، غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما ، وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفاً له ذكر عندهم . وفي رواية : أنهﷺ قال للأنصار : ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة . فقالوا : بل أقسم هذه فيهم ، واقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار فوالله ما مثلنا إلا كما قال الغنوي :

جزى الله عنـا جعفـراً حـين ازلقت بنـا نعلنـا في الواطئـين فزلت
ابـوا أن يملونـا وإن كان امنا تلاقـي الـذي يلقـون منـا لملت

وكان ﷺ يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح . قال ابن إسحق : ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها . قال السهيلي اتفاقا . وفي البخاري : عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال : قل سورة النضير . قال الداودي : كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن أنه يوم القيامة او لإجماله فكره النسبة الى غير معلوم . وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : سورة الحشر في بني النضير ، وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله :

خدعـوا بالمنافقـين وهل ينفـق إلا على السـفيه الشقاء
ونهتهـم ومـا انتهـت عنـه قوم فأبيد الأ ماروا النهاء
أسلموهـم لأول الحشر لا ميعادهـم صادق ولا الايلاء
سكن الرعـب والخـراب قلوباً وبيوتـاً منهـم نعاهـا الجلاء

غزوة ذات الرقاع

وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار وغزوة صلاة الخوف ، لوقوعها فيها . وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة ، واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك . فقال ابن اسحق : إنها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادي الأولى . وقيل : إنها كانت سنة خمس ، ومال البخاري الى أنها كانت بعد خيبر ، وخيبر إنما كانت سنة سبع . واستدل لذلك بأمور منها : أن هذه الغزوة حضرها ابو موسى الأشعري رضي الله عنه ، وهو إنما جاء بعد فتح خيبر . وقال الغزالي : إنها آخر الغزوات ، وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالي ، بأن مراد آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف . ونازع بعضهم في ذلك ، وسبب تسميتها بذات الرقاع أنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع . وقيل : إن الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك ، وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل : لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترفيع الصلاة فيها ،لأنهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي ﷺ ، وبعضها معه فأشبه ذلك إصلاح خلل الثوب برقعة . قال السهيلي : وأصح الأقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر أي من الأشعريين ، بيننا بعير تعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري أي من الحفاء ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ما قاله ابن اسحق .

قال : غزا رسول الله ﷺ نجداً يريد بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابنا عم . وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا جموعاً لمحاربته ﷺ ، فأخبر أصحابه وأمرهم

بالتجهز . ثم خرج في أربعمائة من أصحابه . وقيل سبعمائة . وقيل : ثمانمائة . واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه . وقيل : عثمان بن عفان رضي الله عنه وسار إلى أن وصل الى موضع يسمى وادي الشقرة ، وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل ، وأخبروه انهم لم يروا أحداً ، فسار حتى نزل نخلاً وهو موضع من نجد من أراضي غطفان ، فلم يجد فيب مجالسهم إلا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا ، وتفرقوا في رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤوا لمحاربة جيش النبيﷺ ، فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا ، حتى صلى النبيﷺ بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر ، ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله في قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منهﷺ .

وفي هذه الغزوة ، نزلﷺ ليلاً في شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح ، فقالﷺ بعد نزوله : من يكلؤنا ؟ فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا : نحن يا رسول الله ، فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضي الله عنهما : أنا أكفيك أوّل الليل وتكفيني أنت آخره ، فنام عمار وقام عباد رضي الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتي أصابهن رسول اللهﷺ غائباً ، فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثني حتى يصيب محمداً أو يوثق في أصحاب محمد دماً ، فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال : هذه راية القوم ففوّق سهما فوضعه في عباد فانتزعه ، فرماه بآخر فانتزعه أيضاً فرماه بآخر فانتزعه ، فلما غلبه الدم قال لعمار : اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عماراً جلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد : أي أخي ما منعك أن توقظني له في أوّل سهم رماك به ؟ فقال : كنت أقرأ في سورة يعين سورة الكهف فكرهت أن أقطعها . وفي رواية : جعل رسول اللهﷺ شخصين من أصحابه يقال : هما عباد بن بشر بن الأنصار وعمار ابن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدّو ، فرمى احدهما اي وهو عباد بن بشر بسهم فأصابه ونزفه الدم ، وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ، ثم رماه بثان وثالث وهو يصلي ولم يقطع صلاته . وقد قال عباد معتذراً عن ترك إيقاظ صاحبه . لولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول اللهﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي .

وفي هذه الغزوة أيضاً وقعت قصة الرجل الذي اخترط سيفهﷺ وهو نائم تحت الشجرة ، وقد تقدمت قريباً استطراداً عند ذكر عزم بني النضير على الغدر بهﷺ ، واسم

الرجل غورث وقيل دعثور وقيل : إنهما قصتان لرجلين في غزوتين هذه وغزوة أمر . وتقدم أيضاً أن ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه بإسلامه ، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضي الله عنه بشيراً بسلامته وسلامة المسلمين .

غزوة بدر الأخيرة

وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها ، فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى ، وتسمى هذه أيضاً بدر الموعد ، للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد ، وتسمى بدراً الثالثة وكانت في شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول إبن اسحق قال ابن إسحق : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادي الأولى وجمادي الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان وقيل : كانت في ذي القعدة وميعاد أبي سفيان هو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد ، الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله ﷺ لعمر : قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ، فخرج رسول الله ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس ، واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجي رضي الله عنه ، وجمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً ، حتى نزل موضعاً قريباً من مر الظهران . وقيل : نزل عسفان ثم بدا له الرجوع ، وكان قد دبر ذلك في نفسه وهو بمكة لما ألقى الله في قلبه من الرعب .

روى ان نعيم بن مسعود الأشجعي : قدم مكة فاخبر قريشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم فسكره ابو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيراً على أن يذهب الى المسلمين ويخذلهم ، وضمنها له سهيل بن عمرو ، وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وأرجف المسلمين بكثرة العدو : حتى قذف في قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية في الخروج ، حتى خشي عليه الصلاة والسلام أن لا يخرج معه أحد ، فجاءه العمران أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا : أن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه ، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون ان هذا جبن ، فسر لموعدهم فوالله ان في ذلك لخيراً إن شاء الله ،

فسرﷺ بذلك وقال : والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد ، فأذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعبهم به ، وقال ابو سفيان لقريش : قد بعثنا نعيماً يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد في تخذيلهم ، لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع ، فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لأنه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه ، وإن خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب قالوا : نعم ما رأيت . فلما أراد الرجوع قال : يا معشر قريش ، لا يصلحكم أي لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر إلا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق . يقولون : انما خرجتم تشربون السويق وأما النبيﷺ فخرج على الموعد هو وأصحابه ، وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب . وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان : والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترأوا علينا ورأونا قد اخلفناهم . وأقامﷺ وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان لميعاده ، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ الذين استجابوا الله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ـ وهو نعيم بن مسعود ـ ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه ـ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقيل : إن قوله : الذين استجابوا الى اجر عظيم إنما نزلت في شأن حمراء الأسد وهو خروجهم في أثر قريش بعد وقعة أحد ، وهذا هو الصحيح . وقوله : الذين قال لهم الناس الخ ، نزلت في غزوة بدر الصغرى ، ولا مانع أن يكون صدر الآية مشيراً إلى الأمرين والله سبحانه وتعالى اعلم .

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة ،وكانت في شهر ربيع الأول سنة خمس من الهجرة وسببها أنه بلغهﷺ أن بها جمعاً عظيماً يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فخرجﷺ في الف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكانﷺ يسير الليل ويكمن النهار ، فلما دنا منهم قال له مذكور العذري رضي الله عنه وكان هو الدليل مع النبيﷺ : أقم لي حتى اطلع لك على سوائم القوم ، فانها ترعى هنا . فخرج العذري فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فأخبره ، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجهة . وجاء الخبر أهل دومة فأصابهم الرعب فتفرقوا فرقاً من المنصور بالرعبﷺ ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا ، فأقام بها أياماً وبعث السرايا وفرقها ، فرجعوا سالمين . وأصابوا رجلاً من القوم فجاؤوا به للنبيﷺ فسأله عنهم فقال : هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ، ورجع النبيﷺ ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى اعلم .

غزوة المريسيع

وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم ، وتسمى غزوة بني المصطلق ، وهم بطن من خزاعة . وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها : أنه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي . سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، فدعاهم الى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه ، وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه ، واستأذن النبي ﷺ أن يقول فإذن له فأتاهم ولقي الحرث بن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له : من الرجل ؟ قال منكم ، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن اطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصله . قال الحرث ، فنحن على ذلك فعجل علينا ، فقال لهم بريدة : اركب الآن وإتيكم بجمع كثير من قومي ، فسروا بذلك ورجع هو الى النبي ﷺ فأخبره خبرهم .

فندب ﷺ الناس وخرج مسرعاً في جمع كثير ، وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قطمثل خروجهم في هذه الغزوة ، وكان سعه ﷺ ثلاثون من الخيل : عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الفقاري . وقيل : غيلة ابن عبد الله الليثي رضي الله عنهم ، وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وأصاب ﷺ في طريقه عيناً أي جاسوساً للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئاً ، فعرض عليه الاسلام فأبى فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه ، وبلغ الحرث ومن معه مسيره ﷺ ، وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه ، وخافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا ، وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال ،

وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه ، وقيل : لعمار بن ياسر رضي الله عنه ، وراية الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه ، وأمَّر عمر فنادي في الناس : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فأبى المشركون أن يقولوها ، فترامـوا بالنبل ساعة . ثم أمرﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد ، قتلوا عشرة وأسروا باقيهم ، وكانوا اكثر من سبعمائة ، وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء ، وكانت الإبل ألفي بعير ، والشاء خمسة آلاف شاة ، وكان المسبي مائتي بيت ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابة ، أصابه رجل من رهـط عبادة ابن الصامت رضي الله عنه خطأً ، .

وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث فاختص بها النبيﷺ وأعتقها وتـزوج بها . وخرج الخبر الى الناس أن النبيﷺ تزوّج بها فقال الناس : اصهار رسول اللهﷺ فأرسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضي الله عنها : فما أعلم امرأة كانت أعظـم بركة على قومها منها رضي الله عنها . وقيل : انها طلبت قومها من النبيﷺ ليلة دخوله بها ، فوهبهم لها ، وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا أنه تزوّجها أطلقوا الأسرى ، فكان ذلك زيادة إكرام من الله لنبيهﷺ حتى لا يسأل أحداً منهم في ذلك بشيء أو مجاناً ، ثم هدى الله أكثرهم للإسلام .

وجاء ان جويرية رضي الله عنها قالت : رأيت قبل قدوم النبيﷺ بثلاث ليال كانَّ القمر يسير من يغرب حتى وقع في حجري فكرهت ان اخبر بها احدا من الناس ، حتى قدم ﷺ ، فلما سبينا رجوت الرؤيا ، فلما أعتقني وتزوّجني ما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني بفك الأسرى ، فحمدت الله تعالى ، وجاء ان بعض الأسرى ، انما أطلقوا بفداء ، ولعل هذا قبل التزوّج بها رضي الله عنها . وجاء عن جويرية رضي الله عنها انها قالت : لما أتانا رسول اللهﷺ ونحن على المريسيع سمعت أبي يقول : أتانا مالاً قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة . فلما أسلمت وتزوّجني رسول اللهﷺ ورجعنا ، جعلت انظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى ، فعلمت أنه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ثم ان أباها الحرث قدم على النبيﷺ المدينة بعد رجوعه يريد فداء ابنته وفكاكها ، فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يريد ان يفيد ابنته بها ، فرغب في بعيرين منها كانا من أفضلها فاعقبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم اقبل على رسول اللهﷺ فقال : يا محمد ، أصبت ابنتي وهذا فداؤها . فقال له رسول الله

ﷺ : فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحرث : اشهد ان لا إلّه الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك احد إلا الله وقيل : انه اسلم قبل ذلك ، وهذا إظهار لإسلامه . ثم أمره رسول الله ﷺ ان يخبر ابنته بأسلامه فقالت له : أحسنت واجملت : فقال لها أبوها : يا بنية ، لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت : اخترت الله ورسوله ، فرضي ابوها بذلك وفي هذه الغزوة نزلت آية التميم .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره قال ابن عبد البرهي غزوة بني المصطلق . قالت : حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ما صنعت عائشة رضي الله عنها ؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء . قالت : عائشة رضي الله عنها : فعاتبني ابو بكر رضي الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول . وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله ﷺ على فخذي فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التميم فتيمموا . فقال اسيد بن حضير رضي الله عنه : ما هي باوّل بركتكم يا آل أبي بكر . قالت : فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته . وفي رواية ، قال أسيد لها : جزاك الله خيرا ما نزل بك امر تكرهينه ، إلا جعل الله لك منه مخرجاً وللمسلمين فيه خيراً . وقال لها رسول الله ﷺ : ما أعظم بركة قلادتك . وقال لها ابو بكر رضي الله عنه : والله يا بنتي انك كما علمت مباركة .

وفي هذه الغزوة كانت قصة الأفك ، فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة هل كان ذلك في غزوة واحدة أو غزوتين ؟ فقيل : في غزوة واحدة وهي غزوة بني المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا ، هل قصة آية التميم أسبق ام قصة الأفك ؟ واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضي الله عنه : ما هي بأوّل بركتكم يا آل ابي بكر أي بل مسبوقة بغيرها من البركات ، فهو يشعر بان هذه القصة كانت بعد قصة الافك . وبعضهم اخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان في غزوتين قالوا مرة في غزوة ذات الرقاع ومرة في غزوة بني المصطلق واستدل كل قائل بأدلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك في غزوة بني المصطلق قطعاً والاختلاف

إنما هو في قصة التميم هل هي في تلك الغزوة ، وبه جزم ابن عبد البر وجماعة ، او في غزوة ذات الرقاع او غيرها . وبه جزم آخرون والله اعلم وحاصل قصة الافك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب فأنا احمل في هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين إذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون اني فيه ، وكان النساء اذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم . انما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعقل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوي حتى اناخ راحلته فوطىء على يدها فقمت اليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك . وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله ابن ابي بن سلول فانه كان أول من أشاعه في العسكر لأنه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس ، فمررنا عليه فقال : من هذه قالوا : عائشة وصفوان فقال : فجربها ورب الكعبة وفي لفظ ما برئت منه وما برىء منها . وفي رواية ، قال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وصار يقول امرأة نبييكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم اشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ . وقال عروة بن الزبير : اخبرت ان حديث الافك كان يشاع ويتحدث به عند ابن ابي فيشر ويستمعه ويستوشيه : وقال عروة ايضاً لم يسم من اهل الافك الاحسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح ابن اثاثة رضي الله عنه ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنها في ناس آخرين لا علم لي بهم ، غير انهم عصبة كما قال الله تعالى : ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم ﴾ وكانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول :

انه الذي قال

فـان ابـي ووالـده وعـرضي لعـرض محمـد منكـم وقـاء

قالت عائشة رضي الله عنها : فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشي من ذلك ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم عليّ ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت ، فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا اي موضع قضاء حاجتنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا قالت : وأمرنا امر العرب الأول في البرية اي في الخروج اليهاقالت : فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمى ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عارم خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئسما ، قلت: اتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت: اي هنتاه اي يا هذه أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت عائشة رضي الله عنها ، فقلت لها ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك قالت : فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال : كيف تيك ؟ فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبويّ قالت : وأريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فأتيتهما فقلت لأمي : ماذا يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قطوضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها . قالت فقلت : سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ، قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي قالت : ودعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي اي طالب لبث نزوله يسألهما ويستشيرهما في فراق اهله قالت : فأما اسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة : هم اهلك ، ولا نعلم ، ألا خيراً . وأما علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية اي التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : اي بريرة هل رأيت من شيء

يريبك ؟

قالت له بريرة رضي الله عنها : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قط اغمصه غير انهاجارية حديثة السن ، تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن اي الشاة فتأكله قالت : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي الا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً يعني صفوان بن المعطل رضي الله عنه ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على اهلي الا معي ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله اعذرك منه ، فان كان من الأوس قبيلتنا ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . قالت عائشة رضي الله عنها : فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل : فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه اي لو كان من الخزرج إذا امرنا رسول الله ﷺ بقتله ، فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ . قالت عائشة رضي الله عنها . فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت : واصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأني دمع ولا أكتحل بنوم حتى اني لا أظن ان البكاء فالق كبدي .

فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي . قالت : فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت : ولم يجلس عندي منذ قبل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحي إليه في شأني بشيء قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطره فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ عني فقال أبي : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال : قالت أمي ، والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ

من القرآن كثيراً اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدّقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف عليه السلام حين قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون : ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي وأنا اعلم أني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ولكن والله ما ظننت ان الله تعالى منزل في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليّ والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام . وأقبل على عائشة مغضباً قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما قام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج احد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذ . ما كان يأخذه عند نزول الوحي من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحي ، حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات قالت : فسرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة أما الله فقد برأك اي بما اوحاه اليه من القرآن قالت : فقالت لي أمي : قومي اليه ﷺ فقلت : لا والله لا أقوم اليه فاني لا احمد إلا الله عز وجل الذي برأني قالت : وانزل الله تعالى ﴿ ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين ، وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم .

قال السهيلمي : ان من نسب عائشة رضي الله عنها . الى الزنا كغلاة الرافضة ، كان كافراً لأن ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر . وفي الخصائص للسيوطي : من قذف أزواجه ﷺ فلا توبة له البتة ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره ، وقيل : يختص القتل عن قذف عائشة رضي الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن يزيد الرفاعي ، وكان من عظماء اهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة رضي الله عنها ونسب اليها شيئاً من القبيح ، فقال الحسن لغلامه ، يا غلام اضرب عنقه ، وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله ، وقال : هذا رجل من شيعتنا . فقال : معاذ الله ، هذا طعن على رسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثاً وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر

وهي الطاهرة المبرأة يا غلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها ، فضرب عنقه . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن اثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فأنزل الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه : بلى ، والله اني لأحب ان يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا انزعها منه أبداً وكفَّر عن يمينه . وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة .

لطيفة وهي ان ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديباً له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول :

لا تقطعن عادة برّ ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح يحط أمر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده يقول :

قد يمنع المضطر من ميتة اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة تكون إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوتب الصديق في حقه

قالت عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش ام المؤمنين رضي الله عنها عن أمري فقال لها : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها ، الا خيراً قالت عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني اي تضاهينني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع ، وطفقت اختها حمنة تحارب لها . ولما بلغ صفوان بن المعطل رضي الله عنها ما قاله الناس قال : سبحان الله ، فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى أنه كان حصوراً أي عنيناً وأن معه مثل الهدية . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه . ويكفي شهادة الله له ولعائشة رضي الله عنها بالبراءة بقوله في ختم تلك الآيات ﴿ أولئك ﴾ أي

صفوان وعائشة ـ ﴿ مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي هذه الغزوة

قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الا عزمنها الاذل وسبب ذلك ان رجلاً من المهاجرين اسمه جهجاه ابن مسعود كان أجيراً لعمر رضي الله عنه ويقود له فرسه ، انطلق ليملأ قرباً للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس بالامساك ليملأ قِرَب النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنازعه رجل من الأنصار وكان أجيراً لعبد الله بن ابي فتنازعا ، فضرب المهاجري الانصاري فقال الأنصاري : يا للأنصاري ، وقال المهاجري يا للمهاجرين ، فأقبل جمع من الجيش وشهروا والسلاح حتى كادوا فأن يقتتلوا ، فأسمع الله رسوله ﷺ فقال : ما هذا ؟ فأخبروه فقال : دعوها فانها منتنة يعني دعوى الجاهلية . وقال عبد الله بن أبي اوقد فعلوا ؟ أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم هكذا . وفي رواية انه قال : والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها انا فرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا وأنكرونا ملتنا ، والله ما اعدنا أي اظننا يعني معاشر الأنصار وقريش الا كما قال الأولى اي الأقدمون في امثالهم : سمن كلبك يأكل وأجع كلبك يتبعك : والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ وقال أيضاً لأصحابه : لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم أغراضاً للمنايا ، فقتلتم دونه يعني النبي ﷺ فأيتمتم اولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضّوا من حول محمد ، والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه ﴾ .

فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه فجاء الى النبي ﷺ فأخبره ، وشاع كلام ابن ابيّ بين الناس فقال له بعض الأنصار انطلق الى رسول الله ﷺ واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى ، فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي ﷺ واعتذر ، وحلف انه ما قال ذلك ، فقبل النبي ﷺ عذره ظاهراً تألفاً له كما كانت عادته ﷺ مع المنافقين ، ثم أنزل الله تكذيباً لابن ابي وتصديقاً لزيد بن ارقم ﴿ إذ جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك

لرسول الله ﴾ لآيات ، فقال النبي ﷺ لزيد بن أرقم رضي الله عنه : يا ذا الأذن الواعية إنّ الله صدّق مقالتك ، وتلا ﷺ الآيات ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله دعني أضرب عنق ابن أبيّ فانه رأس المنافقين ، فقال النبي ﷺ : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال : لما كان من امر ابن أبيّ ما كان جئت الى رسول الله ﷺ وهو في فيء شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت : يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال : تقحمت بي الناقة ، فقلت : يا رسول الله ، أتأذن لي ان أضرب عنق ابن أبي أومر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله ﷺ : كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل اصحابه وفي رواية قال عمر : يا رسول الله ، إن كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً فقال ﷺ : لا آمر ولكن ائذن بالرحيل ، وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها اي لشدة الحر ، ولعل النبي ﷺ أراد إطفاء الشر ، وخشي من اتساع الأمر بين المهاجرين والأنصار فارتحل الناس .

وجاء إلى رسول الله ﷺ أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوّة وسلم عليه اي قال : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال : يا بني الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها اي لانه كان لا يرحل إلا إذا برد الوقت ، فقال له رسول الله ﷺ : ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ فقال اسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أنت والله تخرجه إن شئت ، وهو والله الذليل وانت العزيز ، ثم قال : ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه وانه ليرانك قد استلبته ملكاً . ثم سار رسول الله ﷺ بالناس سيراً حثيثاً بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وساروا يومهم ذلك وليلتهم ، وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالثامن .

وكان لعبد الله بن أبيّ بن يسمى الحباب فسماه النبي ﷺ عبد الله يوم موت ابيه ، وكان مؤمناً صادقاً رضي الله عنه فجاء الى النبي ﷺ لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل ابيه فقال : يا رسول الله ، انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه ، فإن كنت تريده فمرني أنا احمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل

أبرّ بوالده مني واني اخشى ان تأمر به غير فيقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . وفي رواية فمرني فوالله لأحملنّ إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لأخشى يا رسول ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله ﷺ : ما اردت قتله ولا امرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين اظهرنا ، ولما انتهى رسول الله ﷺ الى وادي العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبيّ حتى امسك بناقة ابيه وقال : والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلم اليوم من الأعزّ ومن الأذلّ . وفي رواية حتى تقول رسول الله ﷺ الأعزّ فأنت الأذلّ أو لأضربنّ عنقك . فلما رأى منه الجدّ قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله ﷺ لأبنه جزاك الله خيراً ، وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً وقدم المدينة في رمضان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

غـزوَة الخنـدَق

وتسمى غزوة الأحزاب ، قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع ، وقال ابن اسحق : سنة خمس في شوّال وبذلك جزم اهل المغازي ، ومال البخاري الى قول موسى ابن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود ، منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم ، وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم : إنا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله . قال ابن اسحق فقالت لهم قريش : إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أن ديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ الم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً الى قوله . وكفى بجهنم سعيراً ﴾ فسرت قريش ، يقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قبس بن عيلان فدعوهم الى حربه ﷺ ؛ واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، إن هم نصروهم ، وأخبروهم أن قريشاً تابعوهم على ذلك ، .

فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب ، وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفاً وخمسمائة ، بعير ، ولاقتهم بنوسليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية ، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه . وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري ، وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله

عنه ، وخرج الحرث بن عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه ، وكان قومه الذين خرجوا معه اربعمائة وخرجت اشجع وهم اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد اسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف ـ كما قال ابن اسحق ، وكان المسلمون ألفاً ، وقيل : ثلاثة آلاف ، وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرساً ، ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب وما أجمعوا عليه من الأمر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين ، اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس ، وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، إنا كنا بفارس ، إذا حوصرنا خندقنا علينا ، فأمر رسول الله ﷺ بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين وأمر ﷺ أصحابه بالجدّ ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بالطاعة . وكان الخندق في شامي المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جل سلع ، وخط ﷺ لكل عشرة من الناس عشرة أدرع يعملون فيها ، وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون : سلمان منا . وقالت الأنصار : سلمان منا فقال النبي ﷺ : سلمان منا أهل البيت ، وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملاً ضعيفاً ويعتذرون بالضعف .

وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال ﷺ : اللهم لا عيش الا عيش الاخرة . فاكرم الانصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وأصله . لا هم ان العيش عيش الاخرة فنطق به النبي ﷺ : اللهم لا عيش الخ ، لأنه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفي البخاري ايضاً عن أنس رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ﷺ ما بهم من النصب قال :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة

وأراد ﷺ تسلية أصحابه وتهوين الأمر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدروته وكونه مع المنغصات التي لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع

الدنيا قليل وقال المهاجرون والأنصار مجيبين للنبي ﷺ :

نحـن الـذين بايعـوا محمداً على الجهـاد ما بقينـا أبدا

وفي رواية انه ﷺ كان يجيبهم بقوله : اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافي . وفي انشاد الشعر تنشيط على العمل ، وبذلك جرت عادتهم في الحرب واكثر ما يستعملونه الرجز .

وفي البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة ﷺ ، وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضي الله عنه :

والله لولا أنـت ما اهتدينا ولا تصدقنـا ولا صلينا
فانزلن سكينـة علينا وثبـت الاقـدام ان لاقينا
إن الألى قد رغبـوا علينا إذا أرادوا فتنـة أبينا

ورفع صوته بقوله : أبينا أبينا . وأخرج البيهقي عن سلمان رضي الله عنه انه ﷺ حين ضرب في الخندق قال : باسم الآله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا . فحبذا رباً وحب ديناً

وهو من كلام بعض أصحابه ، يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه ان يكون مقصوداً كونه شعراً موزوناً ، أما اذا خرج موزوناً بلا قصد فلا يسمى شعراً ، وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوّته ﷺ ، منهـا ما في صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت اي ظهرت لنا كديه شديدة ، بضم الكاف مصغراً وهي القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول فجاؤوا للنبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال : رشوها بالماء ، فقام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فسمى ثلاثاً ثم ضرب فعاد المضروب كثيباً اهيل اي رملاً يسيل وفي رواية : دعا باناء من ماء فنقل فيه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية . قال من حضرهـا فوالذي بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فأساً ولا مسحاة .

وفي رواية للبراء بن عازب رضي الله عنهما : عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعول ، فاشتكينا ذلك للنبي ﷺ فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال : باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لا بتي المدينة فقال · الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله اني لأبصر قصر المدائن الأبيض الأن أي مدائن كسرى وفي رواية : والله اني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان امتى ظاهرة عليها فابشروا بالنصر ، فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال : باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاتي الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا : ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً . قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ، انه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما إفتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما فتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك ، ومن إعلام نبوته ﷺ ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل ، فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة ، فأحب أن يدعو النبي ﷺ وبعض أصحابه عليه ، فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ، ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات .

وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بجفنة من تمر لأبيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها ﷺ : هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم امر بثوب فبسط له ثم قال لأنسان : اصرخ في أهل الخندق ان هلم الى الغداء ، فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمريزيد حتى صدروا عنه ، وأنه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام . وقيل عشرين يوماً وقيل : اربعة وعشرين وقيل : شهراً . ولما فرغ رسول الله ﷺ من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم ، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من

المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع ،وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم ، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ، وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه ، ولواء الأنصار سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وكانﷺ في تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير خوفاً على الذراري من بني قريظة .

وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد صالح رسول اللهﷺ على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى ان يفتح له فقال له حيي : ويحك يا كعب افتح لي أكلمك . فقال له : اذهب عني إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قدعاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ،فإني لم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً ، فنسبه حيي الى البخل وقال له: والله ما أغلقت دوني إلا تخوّفاً على جشيشتك أن آكل معك منها ، والجشيشة بالجيم والشين البر يطعن غليظاً . ويقال : الدشيش بالدال ، ولم يزل به حتى فتح له فقال : ويلك يا كعب ان توافقني جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان ، وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء ، ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبريء مما كان بينه وبين رسول اللهﷺ ، وأعطاه حيي عهداً على انه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ان أدخل معك في حصنك يصيبني ما اصابك ، ثم أرسل حيي بن اخطب الى قريش ان يأتيه منهم الف رجل ، والى غطفان ان يأتيه منهم الف ليغيروا على المدينة ، وجاء الخبر بذلك الى رسول اللهﷺ فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذراري اشد من الخوف على اهل الخندق .

ولما بلغ رسول اللهﷺ ان بني قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بني قريظه فيأتيني بخبرهم ؟ قال الزبير رضي الله عنه فقلت : أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لي رسول اللهﷺ بين ابويه في الفداء اي قال : فداك ابي وأمي وفي رواية انهﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال : انطلقوا لتنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فان كان حقاً

فالحنو إليَّ لحناً اعرفه ولا تفتوا في اعضاد الناس اي تكلموا إليَّ بكلام فيه إشارة وتلويح ، ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفاً على الناس أن يقع لهم تثبيط واصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس ، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كام بني قريظة في شأن عهدهم مع رسول الله ﷺ فقالوا : من رسول الله ؟ وتبرأوا من عقده وعهده .

وقال بعضهم : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله ﷺ فلحنوا له كما أمرهم وقالوا : عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع أي غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال ﷺ : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضي الله عنه ، لاحتمال انهم أرسلوا دفعة او بعد إرساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لأنهم حلفاؤهم فيحتمل ان يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم ، فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فآتاهم عدوهم من فوقهم اي من اعلى الوادي من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم اي من أسفل الوادي من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضي الله عنهما أذ جاؤوكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ، ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أي الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين ، كما قال تعالى ﴿ واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ قال ذلك معتب بن قشير ، وكان منافقاً قال : كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائطوقيل : إن قائل ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدنية فقالوا : يا رسول الله ان بيتنا عورة من العدو اي غير حصينة فاذن لنا نرجع الى ديارنا فإنها خارج المدينة . قال تعالى ﴿ وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً ﴾ .

ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يريد قتل النبي ﷺ في زعمه على فرس له يسوس الخندق فوقع في الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل ، رماه المسلمون بالحجارة . ثم نزل اليه علي رضي الله عنه فقتله . وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله ﷺ إنا نعطيكم الدية اي وأذنوا لنا في دفنه . وفي رواية انهم اعطوا في جسده

عشرة آلاف على ان يدفع اليهم ليدفنوه ، فردّ اليهم النبيﷺ أنه خبيث لموته كافراً محارباً لله ورسوله ، وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ، ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا إرَبَ لنا في ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا انهم لا يدعون الطلائع بالليل ، يطمعون في الغارة ، ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا : والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها ، وصار المشركون يتناوبون فيغدوا أبو سفيان وأصحابه يوماً ، ويفسدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول اللهﷺ أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم ، وكان النبيﷺ ، يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم : أبشروا بعون الله ونصره ، إني لأرجو ان أطوف بالبيت العتيق ، وآخذ المفتاح وليهلكنّ كسرى وقيصر ، ولتنفقن أموالهما في سبيل الله ، يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ، ثم أنهﷺ أراد أن يعطي عيينة ابن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا ، فمنعه السعدان رضي الله عنهما وقالا : كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة إلا بقرى او ببيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة ، والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقالﷺ : انتما وذاك وفي رواية ان النبيﷺ بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث بن عوف المزني . في ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه ، فجا آمستخفيين من أبي سفيان والتقيا مع النبيﷺ فوافقاه على ذلك ، بعد أن طلبا النصف بأبى عليهما إلا الثلث فرضيا بذلك . وأراد ان يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضي الله عنه فقيل : أمره النبيﷺ فكتب ، ثم استشار سعداً وقيل : قبل ان يكتب بعثﷺ الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا : يا رسول الله امر تحبه فتصنعه ام شيء امرك الله به لا بدلنا من العمل به ، ام شيء تصنعه لنا ، وفي رواية فان كان امراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي ما لهم عندنا إلا السيف فقال رسول اللهﷺ : لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فاردت ان اكسر شوكتهم الى امرٍ مّا فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعني غطفان على الشرك بالله وعبادة

الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعاً وإن كانوا ليأكلوا العلهز في الجاهلية من الجهد ، فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنابك وبه نقطعهم أموالنا . وفي رواية نعطي الدنيئة ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم : فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ، فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ، وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل : انه منع من كتابتها .

وجاء في رواية : أنه ﷺ قال له : شق الكتاب فشقه سعد ، وقال لعيينة والحرث : ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعاً صوته . وروى البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى الحرث يعني ابن عوف الى النبي ﷺ فقال : يا محمد ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً فقال : حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود ، وقيل : ان ذكر سعد بن الربيع وهم لأنه استشهد يوم احد فكلمهم النبي ﷺ فقالوا : لا والله ما أعطينا الدنيئة في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر الحرث فقال : غدرت يا محمد ، ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم ، وكان منهم عمرو بن عبدود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ، ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر ورضي الله عنه ، وقد اسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما ، وأما هبيرة فمات على كفره ، فلما صاروا بالسبحنة بين الخندق وسلع ، طلب عمرو بن عبدود المبارزة وقال : من يبارز ؟ فقام علي رضي الله عنهم وقال : أنا له يا نبي الله : فقال ﷺ : اجلس إنه عمرو ثم كرر عمر وو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول : اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها ، أفلا تبرزون لي رجلاً فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله فقال : اجلس انه عمرو ، فقال : وان كان عمرو فأذن له رسول الله ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال : اللهم أعنه عليه ، اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين .

وفي رواية : أنه ﷺ رفع عمامته إلى السماء وقال : إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد ، وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً انت خير الوارثين ، فمشي اليه علي رضي الله عنه فقال : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى

أحدى خلتين أي خصلتين إلا قبلتها قال له : أجل ، أي نعم . قال علي رضي الله عنه : فأني أدعوك الى الله وإلى رسولهﷺ وإلى الإسلام فقال : لا حاجة لي بذلك . قال له علي فاني ادعوك الى البراز .

وفي رواية : انك كنت تقول : لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث إلا قبلتها قال : أجل . قال علي : فاني أدعوك ان تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتسلم لرب العالمين . فقال : يا ابن أخي أخر عني هذه قال : واخرى ترجع بلادك فان يك صادقاً كنت أسعد الناس به ، وان يك كاذباً كان الذي تريد قال : هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبداً كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت ، اي لأنه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهني حتى يقتل محمداً ، قال : فالثالثة قال : وما هي ؟ قال : البراز فضحك عمرو وقال : ان هذه لخصلة ما كنت اظن أن أحداً من العرب يروّعني بها . وفي رواية يروم مني هذه ثم قال له عمرو : من أنت ؟ لأن علياً رضي الله عنه كان مقنعاً بالحديد فما عرفه عمرو ، فأجابه وقال علي : قال ابن عبد مناف ، فقال : أنا علي بن أبي طالب فقال : غيرك يا ابن اخي من أعملك من هو أشد منك ، فاني أكره أن أهريق دمك ، وان اباك كان صديقاً لي . وفي لفظ : كنت نديماً له فقال له علي رضي الله عنه : انا والله ما اكره ان أهريق دمك . وفي رواية قال عمرو : يا ابن اخي ، فوالله ما احب ان أقتلك فقال علي : لكني والله احب ان اقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك اي اخذته الحمية .

وفي رواية فغضب فقال له علي : كيف اقاتلك وانت على فرسك ؟ ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ، فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر ، واقبل على علي رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة ، فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقنة فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، فضربه عليّ على حبل عانقه وهو موضع الرداء من العنق ، وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون . فلما سمع رسول اللهﷺ التكبير عرف ان علياً رضي الله عنه قد قتل عمراً ، ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو النبيﷺ وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هلا سلبته درعه ؟ فانه ليس في العرب درع خير منها . فقال : انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت . قال

الحاكم : سمعت الأصم قال : سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل علي عمراً . إلا بقوله تعالى ﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾

وفي تفسير الفخر الرازي : انه ﷺ قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود : كيف وجدت نفسك معه ؟ قال : وجدت ان لو كان اهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله ﷺ يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله ﷺ : هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ، ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له : يا ابا عبد الله ما رأينا مثل سيفك . فقال : والله ما هو السيف ولكنها الساعد : وقيل : ان الذي قتل نوفلاً علي رضي الله عنه وفي رواية ان رجلاً من المشركين قال يوم الخندق : من يبارز ؟ فقال ﷺ : قم يا زبير فقالت أمه صفية ؟ واحدى يا رسول الله فقال : قم يا زبير فقام فقتله ، ثم جاء بسلبه الى النبي ﷺ فنفله اياه .

وفي رواية ان نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة احسن من هذه يا معشر العرب ، فنزل اليه على رضي الله عنه فقتله ويمكن ان علياً والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله ورجعت الخيول مهزومة . وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضي الله عنه بأبيات ، فلما رجعوا الى ابي سفيان قال : هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء فارجعوا .

وجاء في رواية : ان الزبير رضي الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج ام هانيء اخت علي رضي الله عنهما ، فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس أي يجعلها على مؤخر ظهرها ، فأخذها الزبير رضي الله عنه وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن وهب على علي رضي الله عنه ، فأقبل علي رضي الله عنه عليهما فأما ضرار فولي هارباً ولم يثبت ، وأما هبيرة فثبت اولاً ثم ألقى درعه وهرب ، وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه اخوه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يشتد في اثره فكر ضرار راجعاً وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال : يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلي عندك غير مجزي بها فاحفظها ، ووقع له مع عمر رضي الله عنه نظير ذلك في أحد فانه التقى معه

فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال : ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم منّ الله على ضرار بالاسلام ، فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه .

وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الأنصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ، ويقال لهذا العرق عرق الحياة ، وكان الذي رمى سعداً هو ابن العرقة العامري ، والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه ، واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى ام فاطمة ، سميت العرقة لطيب ريحها ، وهي جدة خديجة رضي الله عنها ام ابيها. وابن العرقة هذا اسمه حيان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤي وقيل : العرقة انما هي أم عبد مناف ابي حيان . ولما رمى سعداً قال : خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضي الله عنه : عرق الله وجهك في النار . وقيل : أن الذي قال ذلك هو النبيﷺ ثم قال سعد رضي الله عنه : اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعني قريشاً فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرعيني . وفي رواية حتى تشفيني من بني قريظة وفي لفظ : اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوارسولك وكذبوه وأخرجوه ، وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتني حتى تقرعيني من بني قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها ، وما مات حتى حكم في بني قريظة كما يأتي . وقيل : ان الذي أصاب سعداً أبو أسامة الجشني حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حيان والله اعلم .

واستمرت المقاتلة في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصلّﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وصار المسلمون يقولون : ما صلينا فيقول رسول اللهﷺ : ولا أنا ، فلما انكشف القتال جاءﷺ الى قبته فامر بلالاً فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم قام لكل صلاة وصلى هو واصحابه وجاء في رواية جابر رضي الله عنه : انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووي بأنهما قضيتان جرتافي أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما . وفي رواية ان التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع في بعض تلك الأيام .

وجاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت

الشمس ملأ الله أجوافهم وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا . ثم ان طائف من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيراً محملة شعيراً وتمراً وتيناً حمل ذلك حي بن اخطب مدداً وتقوية لقريش ، فأخذها الأنصار وأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها أهل الخندق ، ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال : ان حيياً لمشؤوم ، ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضي الله عنه على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشهم اي تقاربوا منهم ساعة . وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان رضي الله عنه فقتله . ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الاغارة فاقام المسلمون في شدة من الخوف .

وفي الصحيحين دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزرهم وقام ﷺ في الناس فقال : يا أيها الناس ، لا تتمنو القاء العدو واسألوا الله العافية ، فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اي السبب الموصل . الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ، ودعا ﷺ بقوله : يا صريخ المكروبين ، يا مجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي ، فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي . وقال له المسلمون : هل من شيء نقوله فقد بلغت الروح الحناجر ؟ قال : نعم قولوا اللهم استرعو راتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً وأعلم ﷺ اصحابه وصار يرفع يديه ويقول : شكراً شكراً .

وجاء ان دعاءه ﷺ كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر ، فعرف السرور في وجهه اي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ، ويتحرى ذلك اليوم ، وأما الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر، فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه ، وهو اليوم الذي اصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبي ﷺ يختلف الى ثلمة في الخندق ، والثلمة الخلل في الحائط .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يذهب الى تلك الثلمة فاذا اخذه البرد جاءني فأدفأته في حضني فاذا دفىء خرج الى تلك الثلمة ويقول : ما أخشى ان يؤتى

المسلمون إلا منهـا ، فبينما رسـول الله ﷺ في حضنـي صار يقـول : ليت رجـلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة ، الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ : من هذا ؟ فقال سعد بن ابي وقاص : اتيت أحرسك يا رسول الله فقال : عليك هذه الثلمة فاحرسها ، ونام ﷺ حتى غط ، ثم قام في قبته يصلي لأنه كان ﷺ اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ، ثم خرج ﷺ من قبته فقال : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ، ثم نادى : يا عباد بن بشر ، قال : لبيك . قال ، هل معك أحد قال : نعم أنا في نفر حول قبتك يا رسول الله ، وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ لم يحرسها فبعثه ﷺ يطيف بالخندق واعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال : اللهم ادفع عنا شرّهم ، وانصرنا عليهم ، لا يغلبهم غيرك ، وإذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا ، ثم ان نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم إسلامه ، وأتى رسـول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني اسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت . وفي رواية أن نعيماً لما سارت الأحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء ، فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي ﷺ : ما جاء بك يا نعيم ؟ قال : جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فأسلم ثم قال : يا رسول الله إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له ﷺ : إنما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعه بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضاً مع سكون الدال وضمها اي ينقضي أمرها بالمخادعـة ففيه التحـذير من مكر الكافرين وأنه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار ، وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه . وفي الحديث ايضاً الاشارة الى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلـذا قصر الحـرب على الخدعـة في قولـه : فان الحـرب خدعة ، فهو كقوله الحج عرفه ثم قال نعيم : يا رسول الله إني اقول اي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال : قل ما بدا لك فانت في حل ، فخرج نعيم حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما قادماً رأوني رحبوا بي وعرضوا عليّ الطعام والشراب ، فقلت : اني لم آت لشيء من هذا إنما جئتكم تخوفاً عليكم لأشير عليكم برأيي قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم : اكتموا عني قالوا : نفعل . قال : لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضـير من إجلائهـم واخـذ اموالهم وان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وابناؤكم ،

لا تقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم اي عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم فان رأو انهزة اي فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم ، والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه اي يقاتلوه .

قالوا : لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا : نحن فاعلون : قال : ولكن اكتموا عليّ قالوا نفعل . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من أشراف قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وأنه قد بلغني امر قد رأيت ان ابلغكموه نصحاً لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال : تعلمون أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وانا عندهم أناقد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أنا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من اشرافهم اي سبعين رجلاً فنعطيك إياهم فتضرب اعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارنا يعنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ، فأرسل اليهم نعم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلاً واحداً واحذروهم على أسراركم ، ولكن اكتموا عني ولا تذكروا هذه الامر . قالوا لا تذكره ثم خرج حتى اتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس لي ، ولا أراكم تتهموني قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا علي قالوا : نعم . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كان ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز اي نقاتل محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم : إن اليوم اي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدي في السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً سبعين رجلاً فقالوا : صدق والله نعيم .

وفي رواية ان بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولاً يقول لهم : ما هذا التواني والرأي ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا إليهم رهناً سبعين رجلاً من أشرافكم فانهم يخافون إن أصابكم ما تكرهون ،

رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جواباً ، وجاءهم نعيم وقال لهم : كنت عند ابي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال : لو طلبوا مني عناقاً ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم ، وجاء حيي بن اخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا : لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهناً عندنا ، وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح اي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها ، وصارت الريح تلقي الرجال على امتعتهم وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم ، وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم . قال الله تعالى ﴿ فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب ﴾. قال ﷺ : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .

وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحاً صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم في ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين اي لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه إذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون : إن بيوتنا عورة اي من العدوّ لأنها خارج المدينة ، وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة ، فأذن لنا نرجع ، الى نسائنا وابنائنا وذرارينا فيأذن ﷺ لهم قيل : ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فراراً كما قال الله تعالى ﴿ يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم إنما رجع لألم البرد والجوع الشديدين ، أو الخوف الحقيقي على بيوتهم ، أو لفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب ، فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال ﷺ : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا يا رسول الله . قال ذلك ثلاثاً والزبير رضي الله عنه يجيبه بما ذكر فقال ﷺ : لكل نبي حواري اي ناصر وإن حواري الزبير ، وهذا قاله ﷺ له أيضاً عند إرساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا ؟ كما تقدم ، وسيأتي قوله له ذلك ايضا في خيبر .

وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية : انه ﷺ قال : اي رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ : يكون معي يوم القيامة وفي لفظ : يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثاً فما قام أحد من شدة الجوع والبرد ، فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله

عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤال ذلك ثلاثاً لأن له حسدة وشدة لا يملك معها نفسه ان يحدث بالقوم شيئاً مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي ، فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند ائمة السير ، وهو ان المرسل انما هو حذيقة رضي الله عنه ، ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وإنما إرسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد ، كما تقدم قال حذيفة رضي الله عنه لما دعاني رسول الله ﷺ لم أجد بداً من القيام حيث نوّه باسمه فجئته ﷺ فقال : تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت : والذي بعثك بالحق ان قد رعت أي ما قدرت على مابي من الجوع والخوف والبرد فقال : اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا . قال حذيفة رضي الله عنه : فلم يكن لي بد من الذهاب فقمت مستبشراً بدعائه ، فما شق علي شيء مما كان . وقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم . وفي رواية ، انه ﷺ لما كرر قوله ألارجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ ولم يجبه احد قال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، حذيفة ابن اليمان . قال حذيفة رضي الله عنه : فمر عليّ رسول الله ﷺ وما عليّ الامرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا فقلت : حذيفة فقال ﷺ : حذيفة قال : حذيفة فتقاصرت بي الأرض قلت : بلى يا رسول الله قال : قم فقمت فقال : انه كان في القوم خبر فاتني بخبرهم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الاحياء منك من البرد ، قال : لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع اليّ فقلت : والله ما بي ان اقتل ولكن اخشى ان أؤسر فقال : انك لن تؤسر ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته . قال حذيفة فمشيت كأني في حمام وفي رواية فأذهب الله عني القرأى البرد والفزع أي الخوف وفي رواية فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي قراً ولا فزعاً ، الا خرج ، وما وجدت منه شيئاً وخرجت كأنما أمشي في حمام فلما ولينا دعاني فقال لي : لا تحدث شيئاً .

في رواية لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضربن بسيف حتى تأتيني ، فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فدخلت في غمازهم فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليعرف كل امرىء جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليس لي على يميني وقلت : من انت ؟ قال : معاوية بن ابي سفيان . وقبضت بيدي على من على يساري وقلت : من انت ؟ قال : عمرو بن العاص . فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال ابو سفيان : يا معشر قريش والله انكم

لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ووثب على جمله فما حل عقاله إلا وهو قائم اي فانه لما ركبه كان معقولاً فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن ابي جهل : انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس ، فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول : ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم . ثم قال لعمر وبن العاص رضي الله عنه : يا أبا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فأنا لا نأمن من أن نطلب ، فقال عمرو : أنا أقيم . وقال لخالد بن الوليد : ما ترى أبا سليمان ؟ فقال : أنا أيضاً أقيم ، فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر . قال حذيفة رضي الله عنه : ولولا عهد رسول الله ﷺ أليّ حين بعثني ان لا احدث شيئاً لقلته يعني أبا سفيان بسهم . وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم .

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه : فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون : الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضر بهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم ، فلما انتصف الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارساً معتمين فخرج الي منهم فارسان قالا : أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم : قال حذيفة رضي الله عنه : ثم أتيت رسول الله ﷺ فوجدته قائماً يصلي فاخبرته الخبر ، فحمد الله تعالى واثنى عليه . وفي رواية : فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد وجعلت أقرقف فأومأ إلي رسول الله ﷺ بيده قد نوت منه ، فسدل علي من فضل شملته فنمت ولم أزل نائماً حتى الصبح أي طلوع الفجر ، فلما أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله ﷺ : قم يا نومان اي يا كثير النوم وإنما جاءه البرد بعد رجوعه لأن النبي ﷺ إنما قال له : لا بأس عليك من حرو ولا برد حتى ترجع الي وقد رجع .

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه : لما دخلت بينهم نظرت في ضوءنا نار توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الأحزاب وهو يقول : الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتي ابيض الريش لأضعه في كبد القوس لأرميه في ضوء النار ، فذكرت قوله ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي ، فلما جلست فيهم أحس ابو سفيان انه

قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فقلت : من انت ؟ قال : معاوية ابن ابي سفيان ، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي فقلت : من انت ؟ قال : عمرو بن العاص ، فعلت ذلك خشية ان يقطن بي فبدرتهم بالمسئلة ثم تلبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشاً اي بقية قريش وبني كنانة وقيساً وقلت : ما امرني به ﷺ أي فانه ﷺ قال له : ادخل حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشاً فقل : يا معشر قريش انما يريد الناس إذا كان غداً ان يقال ابن قريش أين قادة الناس أين رؤوس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال ، فيكون القتل فيكم . ثم اتت بني كنانة فقل إذا كان غداً فيقال : اين الرماة ؟ فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم . ثم اتت قيساً فقل : يا معشر قيس إنما يريد الناس إذا كان غداً ان يقال : اين احلاس الخيل اين الفرسان ؟ فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم . ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم .

وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم أي حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء ، بل تطيش عقولهم ، وترعد اقدامهم ، وقد استجاب الله لرسوله ﷺ فأرسل عليهم ريحاً وجنوداً فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الأسدي : أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال : وإلى ذلك اشار سبحانه وتعالى بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ الآية وكذا قوله تعالى ﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ وتقدم ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ فقال : نعم . قولوا اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه : فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال : فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في مائتي فارس في ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفي حديث جابر رضي الله عنه : انه ﷺ أتى مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر في

وجهه ، ومما دعا به ﷺ كما تقدم قوله : يا صريخ المكروبين ، يا مجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي ، فأتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحاً وجنوداً ، فأخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلاً : شكراً شكراً . وهبت ريح الصبا ليلاً فقلعت الأوتاد ، وأطفأت النيران ، وألقت عليهم الأبنية ، وأكفأت القدور على أفواهها ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصباء ، وسمعوا في جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح ، فارتحلوا هاربين في ليلتهم وتركوا ما إستثقلوا من متاعهم ، فغنمه المسلمون وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة ، وكان قد أقام بالخندق محاصراً خمسة عشر يوماً وقيل : اربعة وعشرين يوماً وقيل : شهراً . وقال ﷺ بعد انصراف الأحزاب : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا .

وفي رواية : الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم ، وقد كان كما أخبر ﷺ ، ففي ذلك علم من أعلام نبوته ﷺ .

وفي السيرة الحلبية أن أبا سفيان قبل ان يرتحلوا كتب كتاباً وأرسله للنبي ﷺ فيه : باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك في جمع وأن ا أريد ان لا اعود ابداً حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق ، وفي رواية : قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وإنما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك مني يوم كيوم أحد ، فارسل له رسول الله ﷺ جوابه فيه : أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ، الى صخر بن حرب ، فقد أتاني كتابك وقديماً غرك بالله الغرور ، أما ماذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل ، حتى اذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى . وقد حقق الله قوله ﷺ وكسر اللات والعزى وغيرهما من الأصنام وأعز الله الاسلام فإخبار بذلك قبل وقوعه علم من اعلام نبوته ﷺ .

وقد ذكر ابن اسحق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضي الله عنه وسيأتي بيان وفاته ، وأنسر بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الأوس ، ومن الخزرج ، الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد ، وزاد الحافظ الدمياطي ، قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن ابي خالد .

وذكر الحافظ ابن حجر في الكنى : ابا سنان بن صيفي بن صخر وقال : شهد بدراً

واستشهد في الخندق وقتل من المشركين ثلاثة : منبه بن عبيد العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وعمرو بن عبد ود .

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : انه ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج او العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وهذا من السجع المحمود . وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد ، والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . .

غزوة بني قريظة

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وحاصلها انهﷺ لما انصرف من الخندق دخل المدينة في اليوم الذي انصرف فيه لسبع يقين من ذي القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها ، وقيل بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ودعا بماء فبينا هوﷺ يغتسل ، وقد غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول اللهﷺ في الغسل يرجل رأسه قد رجل احد شقيه . وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر ، أتاه جبريل عليه السلام معتجراً بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه . وفي رواية : عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز ان الاعتجار بالعمامة على تلك الأمة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة ، وهي كساء له وبرمن ديباج أحمر : فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية ، قال : يا رسول الله ، غفرا الله لك او قد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن ، إلا من طلب القوم ؟ يعني الاحزاب وقد بلغنا الأسد يعني حمراء الأسد أن الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون ، فقال رسول اللهﷺ : ان في أصحابي جهداً فلو أنظرتهم أياماً . فقال جبريل: انهض اليهم اي بني قريظة ، فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ، ولأدخلن عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل من معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الأنصار .

وفي البخاري عن انس رضي الله عنه قال : كأني انظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم لموكب جبريل حين سار لبني قريظة .

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت : لما رجع النبيﷺ يوم الخندق بينا هو عندي

إذ دق الباب . وفي رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله ﷺ اي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت في اثره فاذا رجل على دابة والنبي ﷺ متكىء على معرفة الدابة يكلمه ، فرجعت فلما دخل قلت : من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه ؟ قال : ورأيتيه ؟ قلت : نعم . قال : بمن شبهتيه ؟ قالت : بدحية الكلبي . قال : ذلك جبريل أمرني ان امضي الى بني قريظة وهذا يؤيد أنه ﷺ كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة رضي الله عنها . وجاء في رواية عنها : فكأني برسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو اي جبريل ينفض رأسه من الغبار ، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً وهو بلال رضي الله عنه أن ينادي في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة .

وفي رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلِّها . فقيل للذين لم يصلوا الظهر : ألا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة . وللذين صلوها لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة وبعث مناديا يقول : يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث علياً رضي الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، ولبس ﷺ السلاح والدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيق بالضم وقبل ركب حماراً وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب في بعض الطريق حماره . وفي بعضه: فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، ومر بنفر من الأنصار وقد لبسوا السلاح ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم دحية الكلبي مرّ على بغلة بيضاء . وفي رواية ، على فرس أبيض عليه الأمة وأمرنا بحمل السلاح . وقال لنا : رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا . فقال رسول الله ﷺ : ذاك جبريل ، بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم ، فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وغرز اللواء عند اصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه ﷺ فسكت المسلمون ، وقالوا : السيف بيننا وبينكم ، فلما رأى عليّ رضي الله عنه رسول الله ﷺ مقبلاً أمر أبا قتادة الأنصاري ان يلزم اللواء ورجع اليه ﷺ وقال : يا رسول الله ، لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لعلك سمعت منهم لي أذى . قال : نعم . قال : لو رأوني لم يقولوا شيئاً ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم ؟ قال : يا اخوان

القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا ابا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وفي رواية : نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم وقال : أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوتَ ، وهو ما عبد من دون الله ،هـل أخـزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته أتشتموني ؟ فجعلوا يحلفون ما قلنا ، ويقولون : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وفي رواية : ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير : يا أعداء الله ، لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعاً إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جُحر فقالوا : يا ابن الحضير ، نحن مواليك ، وخاروا اي خافوا . فقال : لا عهد بيني وبينكم ، وانما قال لهـم : يا اخـوة القردة والخنازير لأن اليهود مسخ شبابهم قردة وشيخوهـم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ، ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بدعن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر إلى أن جاؤوا بعد صلاة العشـاء الآخـرة امتثالاً لقوله ﷺ : « فلا يصلينَّ العصر إلا في بني قريظة ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . وبعضهم قال : نصلي ما أراد رسول الله ﷺ منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها ، وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل : وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ، ولا عنفهم رسول الله ﷺ لأن كلاً من الفريقين مأجور بقصده لأنهم مجتهدون ولم يعنف الذين اخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر . وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة وقيل : خمسة عشر يوماً ، وقيل : شهراً ، وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه. وقال رسول الله ﷺ يومئذ : نعم الطعام التمر . واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهـم حصنهـم حـين رجعت الأحزاب وفاء لكعب بما عاده عليه . كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم .

قال كبيرهم كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنـي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل ، وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يك من بني اسرائيل ، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ولم يكن البـلاء والشـؤم إلا من هذا

الجالس يعني حيي بن أخطب ، أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصاراً وتكونون آمنتم بالكتابين الأول والآخر يعني التوراة والقرآن ، اي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وأن مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة ، ولما قال لهم كعب ذلك قالوا ، لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب : فاذا أبيتم عليّ هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً أي ولداً يخشى عليه وأن نظفر فلعمري لنجدنّ النساء والابناء قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال : فان أبيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة . قالوا : نُفسد سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ . وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمداً فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان ابيتم ان تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية ، فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا : نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه ، وان القتل خير من ذلك قال : فاني بريء منكم . وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى قال : مر ، اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام وخلى سبيله ، وبعد ذلك لم يدر أين هو : ولما أخبر رسول الله ﷺ خبره قال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي ﷺ لحصارهم : يا بني قريظة لقد رأيت عبراً رأيت دار إخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز ، والجلد والترف والرأي الفاضل والعقل ، قد تركوا أموالهم تملكها غيرهم وخرجوا خروج لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم العهد في الذل والسبي ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم ﷺ ، فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله ، انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوّفهم بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال : والتوراة التي نزلت على موسى يوم طور سيناء إنه العز والشرف

في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم إلا مقدمة جيش النبي ﷺ قد حلت بساحتهم فقال : هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل إلا الحلقة فأبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ .

فعاد شاس اليهم بذلك ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه لنستشيره في امرنا أي لأنه كان مناصحاً لهم لأن ما له وولده وعيا له كانت في بني قريظة ، وكانوا محالفين للأوس وهو منهم فأرسله رسول الله ﷺ اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم ، فرق لهم وقالوا : يا ابا لبابة اترى ان تنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده الى حلقه اي انه الذبح ، اي وفي لفظ : ما ترى أن محمداً قد أبى أن ننزل ، إلا على حكمه ؟ قال : فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة فوالله ، ما زالت قدماي من مكانهم حتى عرفت اني خنت الله ورسوله اي لأن في ذلك تنفيراً لهم عن الانقياد له ﷺ ، ومن ثم أنزل الله في ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ وقيل الذي نزل في ذلك قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ . والحق انّ كلاً من الآيتين نزل فيه : الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته .

وفي رواية عن ابي لبابة رضي الله عنه : لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله ﷺ ان يرسلني اليهم دعاني فقال : إذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الأوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال : يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ، ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له ارضاً ، ولم نكثر عليه جمعاً ابدا ، ما ترى فإنا قد اخترناك على غيرك انزل على حكم محمد ؟ قال ابو لبابة : نعم فانزلوا ، وأومأ الى حلقه بالذبح . قال ابو لبابة فندمت واسترجعت فقال لي كعب : ما لك يا ابا لبابة ؟ فقلت : قد خنت الله ورسوله ، ثم نزلت من عندهم وانّ عيني لتسيل من الدموع ، ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يلق

رسول الله ﷺ وارتبط في المسجد بعمود من عمده وهي التي كانت عند باب ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، وكان أكثر تنقل النبي ﷺ عندها وتعرف باسطوانة ابي لبابة ، واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر ، وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت او يتوب الله عليّ مما صنعت ، وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة أبداً ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبداً ، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأ قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ، واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ، ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد اغرب ثم مكث ابو لبابة رضي الله عنه مربوطاً ست ليالٍ لا يذوق طعاماً ولا شراباً وتأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع ، وقيل مكث مربوطاً بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم باعادة الربط حتى خرَّ مغشيا عليه ، ثم انزل الله توبته على النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ .

وكان نزول توبته ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك فرحاً بالتوبة لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، قالت : فقلت يا رسول الله ممَّ تضحك أضحك الله سنك ، قال : تيب على أبي لبابة . قالت : قلت أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ان شئت ، فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس اليه ليطلقوه وقبل قالوا له : قد تيب عليك فحلّ نفسك ، فقال : لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني ، فجاءه رسول الله ﷺ وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال : يا رسول الله إن من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي . فقال له ﷺ يجزيك الثلث إن تتصدق به .

وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال : فكنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليالٍ لا آكل فيهن شيئاً ولا أشرب وقلت : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ ، وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بني قريظة فاني رأيت كاني في حمأة أي طين أسود سنة اي صغيرة فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهراً جارياً فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد ريحاً طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال : لتدخلن في أمر تغمّ له ثم يفرج الله عنك فكنت اذكر قوله وأنا مرتبط فارجو

أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما أسمع الصوت من الجهد ورسول الله ﷺ ينظر اليّ حتى أنزل الله توبتي . ثم أن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل : سبعمائة وخمسين مقاتلاً وهو الذي تقدم عن حيي بن اخطب : وقيل : كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل : كانوا أربعمائة ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك اتباعاً لا يعدون فلا تخالف ، وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفاً واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الأوس فقالوا : يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد فعلت ، يعنون بني قينقاع ، لأنهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول .

وقد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبي بن سلول فوهبهم له على ان يجلوا كما تقدم فظنت الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج ، فلما كلمته الأوس ابى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم : أما ترضون يا معشر الأوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى فقال ذلك الى سعد بن معاذ وقيل : انه ﷺ قال لهم : اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الأوس حينئذ وقيل: ان بني قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله ﷺ . قال ابن هشام : حدثني من أثق به أن علياً رضي الله عنه صاح على بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ، ثم تقدم هو والزبير قال : والله لا أذوقنّ ما ذاق حمزة أولا ، لأقتحمنّ حصنهم فخافوا . وقالوا : ننزل على حكم سعد .

قال الحافظ ابن حجر : كانهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى ﷺ ، فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها : فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فلما استشاروا أبا لبابة قالوا : انتزل على حكم سعد فحصل في سبب ردّ الحكم الى سعد أمر أن احدهما سؤال الأوس والآخر إشارة ابي لبابة وكانوا حلفاء سعد ، وكان سعد ابن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد النبوي في خيمة رفيدة رضي الله عنها ، وقد كان ﷺ قال لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب ، ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله ﷺ وهم

يقولون له : يا ابا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت من ابن ابي ما صنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال بعضهم : واقوماه ، فلما إنتهى سعد الى رسول الله ﷺ والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله ﷺ : قوموا الى سيدكم .

وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا : يا ابا عمر وان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : احكم فيهم يا سعد فقال : الله ورسوله احق بالحكم قال : قد امرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد اي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله ﷺ عليكم بذلك ، عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت قالوا : نعم . قال : وعلي من ههنا مثل ذلك ، وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ثم قال سعد لبني قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به سعد . قال سعد : فإني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء ، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار . فقالت الانصار : اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال : اني احببت ان يستغنوا عنكم . فقال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية .

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات قد طرقني بذلك الملك سحرا ، والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر أن يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك ، فجمع فوجد فيها الف وخمسمائة سيف ، وثلثمائة درع ، وألفا رمح ، وخمسمائة ترس وحجفة ، ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء ، وماشية وشياة كثيرة ، وخمس ذلك مع النخل والسبي ، ثم قسم الباقي على الغانمين .

وفي رواية ثم امر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت أسهم القسمة ثلاث آلاف واثنين وسبعين سهماً لأن المسلمين ثلاثة آلاف ، والخيل ست وثلاثون ، وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ، ثم ان رسول الله ﷺ أمر بالاسارى ان يكونوا في دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية في دار بنت الحرث التجارية ، ثم غدا ﷺ الى المدينة ، ثم خرج الى

سوق المدينة فخندق فيها خنادق اي حفر فيها حفائر وفي رواية شق أخدوداً وجلس ﷺ ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤوا أرسالاً تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق . وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد : يا كعب ما ترى يصنع بنا ؟ قال : انتم في كل موطن لا تعقلون ، الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل ، قد دعوتكم الى غير هذا فابيتم علي ؟ قالوا ليس حين عتاب ، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق ، وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها ، وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتى به معهم عدو الله حيي بن أخطب ، مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال : الم يمكن الله منك يا عدوّ الله ؟ قال : بلى . أبى الله إلا تمكينك مني ، والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل .

وفي رواية ، قال : بلى ، ولقد قلقنا كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه ، ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بني قريظة قال له ﷺ : يا كعب قال : نعم ، يا أبا القاسم . قال : ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقاني ، أما أمركم باتباعي وأنكم ان رأيتموني تقرؤوني منه السلام ؟ قال : بلى ، والتوراة يا أبا القاسم ، لولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود ، فأمر رسول الله ﷺ أن يقدم فتضرب عنقه ، ففعل به ذلك . وكان المتولى لقتلهم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقيل : ان بعضاً منهم تولى قتله الأوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب ابن المنذر رضي الله عنهما قالا : يا رسول الله ، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم ، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه : ما كرهه من الأوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله . وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لا تبق داراً من الأوس إلا فرقت فيها منهم ، فمن سخط فلا يرغم الله إلا أنفه فابعث إلى داري أوّل دورهم ، ففرق ﷺ منهم فيها فقتلوهم . قال بعضهم : إن الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الأوس فقتلوا من بعث به إلى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله ﷺ ، وإزالة لما حاك في صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير رضي الله عنهما ، فلا تنافي وبقي ﷺ عند الأخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب ،

فرد عليهم التراب . وكان الذين أرسلوا الى الأوس حملوا بعد القتل الى الأخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة . كما تقدم ولم يقتل من النساء إلا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بيانه . وقيل: مزنة ، كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لأنه أحب ان لا تبقى بعده فيتزوّجها غيره، وقد أسهم النبي ﷺ لخلاد بن سويد هذا وقال : إن له أجر شهيدين ، وأسهم لسنان بن محصن وقدمات في زمن الحصار .

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت : لم يقتل من نسائهم ، إلا امرأة واحدة قالت : والله إنها لعندي تتحدث وتضحك ظهراً وبطناً اي وكانت جارية حلوة ورسول الله ﷺ يقتل رجالها أي لأنها دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وبنو قريظة يقتلون إذ هتف هاتف باسمها : اين بيانة ؟ فقالت : ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت لها مالك ؟ ويلك . قالت : اقتل : قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته .

وفي لفظ : قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها : كيف قتلك زوجك ؟ قالت أمرني أن ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئة ، فأدركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وانا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحابّ الزوجان فلما اشتد الحاحه قلت لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال ، كادت ان تنقضي وتتبدل بليالي الفراق ، وما أصنع بالحياة بعدك ؟ فقال زوجي إن كنت صادقة في دعوى المحبة تعالي ، فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصين الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة . فالقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحداً منهم فيقتله ، فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها : فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت انها تقتل .

وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخاً كبيراً وكان قد منّ على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث ، وهي الحرب التي كانت بين الأوس والخزوج قبل قدومه ﷺ المدينة ، وكان الظفر فيها اللأوس على الخزرج . وذلك ان الزبير بن بطا اخذ ثابت بن قيس فجزّ ناصيته ثم خلى سبيله ، فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له : يا ابا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ فقال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال : اني أردت أن أجزيك

بيدك عندي . قال : ان الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ، ثم أتى ثابت الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير على منة وقد احببت ان اجزيه بها ، فهب لي دمه فقال رسول الله ﷺ : هو لك فأتاه فقال له : ان رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك . فقال شيخ كبير : لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال ثابت : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وامي امرأته وولده فقال : هم لك فجئته فقلت : اهلك وولدك لك . فقال : أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ قال : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله ، ماله ؟ قال : هو لك فأتيته فقلت له : قد أعطاني رسول الله ﷺ ما لك فهو لك فقال اي ثابت : أما أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذي عليك ما فعل بالذي كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسيد ، سيد بني قريظة قلت : قتل قال : فما فعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجدب ويطعمهم في المحل حيي بن أخطب ؟ فقلت : قد قتل قال : فما فعل بمقدّمنا بكسر الدال مشددة إذا شددنا وحمينا إذا فررنا عزال بتشديد الزاي ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت : قتل : قال : ما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قلت : قتلوا : قال : فاني أسألك يا ثابت بيدك عندي ألا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، إرجع الى دار قد كانوا حلولاً فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لي بذلك ، فما أنا بصابر إفراغة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة اي مقدار الزمن الذي يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت، فقلت له : ما كنت لأقتلك . فقال لا أبالي من قتلني فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضي الله عنه قوله : ألقي الأحبة قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

وفي رواية إن النبي ﷺ قال لثابت بن قيس : لك أهله وماله إن أسلم أو لم يسلم . ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون في السبي . قال عطية القرظي : كنت غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي عن القتل وكان رفاعة القرظي قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر ، وكانت إحدى خالاته ﷺ اي خالات جده عبد المطلب ، لأنها من بني النجار فقالت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فوهبه لها فأسلم رضي الله عنه واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة من نساء بني قريظة ريحانه بنت شمعون بن زيد القرظي ، فتزوجها بعد ان اسلمت وحاضة حيضة وكان جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا اي نصف اوقية ، وأعرس بها في المحرم سنة ست وقيل : كان يطؤها

بملك اليمين وله أشار سبحانه وتعالى الى قصة بني قريظة بعد ذكر قصة الأحزاب بقوله ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ .

وقد أشار صاحب الهمزية ، الى ذلك والى نقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه ﷺ ، واغترارهم بالاحزاب بقوله :

وتعدّوا الى النبي حدوداً كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الأحزاب إخوا نهم أننا لكم أولياء
وبيوم الأحزاب إذ زاغت الأبـ صار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا في احمد منكر القو ل ونطق الأراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو ء سفاهاً والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سماً ولم يد ر اذا الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه فهو من سوء فعله الزباء
اوهو النحل قرصها يجلب الحتـ ف اليها وماله إنكاء

ولما انقضى شأن بني قريظة قال ﷺ : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم ، وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بني قريظة ، فانه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق وقال : اللهم لا تمتني حتى تقرّعيني من بني قريظة وقيل : إن دعاءه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين .

وفي لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفى صدره من بني قريظة ، فاستجاب الله دعوته ، وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال : اللهم إنك تعلم انه ليس أحد أحب حب إلى ان أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه ، اللهم اني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فان كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأفجرها اي الجراحة واجعل موتي فيها ، فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم اي أهل المسجد إلا

الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بني غفار ، وهو زوج رفيدة الأسلمية فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا م من قبلكم ؟ فاذا سعد يسيل جرحه دماً له هدير فات منها .

وجاء في رواية ان عنزاً مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ، ولم يحضر النبيﷺ موته ، بل جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد من هذا العبد الصالح ؟ وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه ، واهتز العرش لقدومها ؟ فقام رسول اللهﷺ سريعاً يجرُ ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قدمات وجا أنه شهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة ما وطئوا الأرض إلا يومهم ذاك .

واختلف العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل : إن اهتزازه تحركه فرحاً بقدوم روح سعد وقيل : جعل الله حركته علامة للملائكة على موته ، وقيل : المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه إهتز له ، ومنه اهتزت الأرض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم فانهملا يريدون اضطراب جسمه وحركته ، وانما يريدون ارتياحه لها وإقباله عليها . وقيل : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون : ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة ، فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفاً عليه لمحافظته على الحق ، ولذا قال كثير من المحققين إنه كان في الأنصار كالصدِّيق رضي الله عنه في المهاجرين ، ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته ، وكان رجلاً بادناً وكأنّ المنافقين قالوا ذلك استهزاء به ، وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد ، فقال النبيﷺ رداً عليهم : ان الملائكة كانت تحمله ، ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت :

وقوبل ام سعد سعدا صرامة وحدا وسوددا ومجدا وفارسا سعدا سدبه مسدا

فقالﷺ : كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه . وفي رواية : قال لها لا تزيدي على هذا . وكان فيا علمته والله حازماً في أمر الله قوياً في امره كل النوائح تكذب إلا أم سعد ، وروى انه قال لها : ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك

يضحك الله له ، وذلك كناية عن إقبال الله عليه بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان .

وروى البيهقي : انه ﷺ حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت : احتسبتك عند الله عز وجل ، وعزّاها ﷺ وهو واقف على قدميه على القبر ، فلما سوّى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الخدرية ، وهي أوّل من بايع النبي ﷺ من نساء الأنصار . وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال ﷺ لهم : اتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين ، وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة ، وإن أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لأن المنديل أدنى الثياب لانه معدّ للوسخ والامتهان ، فغيره أفضل منه بالأولى . واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال : قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ، ثم نظر اليها بعد ذلك ، فإذا هي مسك ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله سبحان الله مرتين تعجباً من كون تراب قبره صار مسكاً . ثم قال : الحمد لله شكراً على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ، ثم فرج الله عنه . وعن جابر رضي الله عنه قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبّح ﷺ ، فسبّح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا . وجاء انه ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة الى الخد فابتاع لهم بها سلاحاً وخيلاً وفي رواية : بعث بها سعد ابن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحاً وخيلاً كثيراً ، ثم قسمها رسول الله ﷺ على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية القرطاء وحديث ثمامة

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم من بطن من بني بكر ، وكانوا ينزلون بنا حية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ، ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على

طريق البصرة الى مكة ، وهي الى مكة اقرب ، وبها جبل يسمى البكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليالٍ بعث ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري في ثلاثين راكباً إبلاً وخيلاً ، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشنّ الغارة عليهم اي يفرق الخيل المغيرة على العدوّ ففعل ما أمره به ، فلما أغار عليهم هرب سائرهم ، اي باقيهم بعد من قتل ، وكان المقتول منهم عشرة وقيل : نحو العشرين : واستاق مائة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ، وغاب تسع عشرة ليلة ، واسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفي روى ابن اسحق عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن خيلاً لرسول الله ﷺ أخذت رجلاً ولا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، فربطوه بسارية من سواري المسجد بأمره ﷺ لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه .

فخرج اليه ﷺ فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل نادم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك أن تنعم تنعم على شاكر فتركه ، حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قلت لك : فقال : أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قال : والله يا محمد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك وقد اصبح وجهك أحب الوجو إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره النبي ﷺ أي بخيري الدنيا والآخرة او بالجنة او بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره ان يعتمر فلما قدم مكة يلبي وينفي الشريك عن الله قال له قائل : صبوت اي خرجت عن دينك ؟ قال : لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ ، وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه :

ومنا الذي لبى بمكة معلناً برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئاً فكتبوا اليه ﷺ . إنك تأمر بصلة

الرحم ، وإنك قد قطعت ارحامنا ، فكتب ﷺ الى ثمامة ان يخلي بينهم وبين الحمـل . وروى البيهقي في الدلائل ، ان ثمامة بن اثال الحنفي لما أتى به النبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة ثم رجع ، فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أي الوبر والدم ، فجاء ابو سفيان الى النبي ﷺ فقال : ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ قال : بلى قال : فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع وفي رواية انشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلي بينهم وبين الحمـل ، فانظـر الى هذا الحلـم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريباً في وقعة الأحزاب ، ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ بل جاء في بعض الروايات : انه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفي قصة ثمامة رضي الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر في المسجد والمن على الأسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحـب ، وان الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له ان يستمر في ذلك الخير وملاطفة من يرجى إسلامه من الأسرى ، إذا كان في ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعثت السرايا الى بلاد الكفار ، وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله وإبقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لانه اقسم ان بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه اليه ﷺ من العفو والمن من غير مقابل . وجاء في بعض الروايات : أنه بعد ان أسلم جاؤوه بالطعام فلم ينل منه إلا قليلاً وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون فقال ﷺ : مم تعجبون من رجل أكل اول النهار في معى كافر وأكل آخر النهار في معى مسلم ؟ ان الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معى واحد . ثم صار ثمامة رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقاً كثـيراً من قومه ، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضي الله عنه ، بل جاء انه قام مقاماً حميداً بعد وفاة النبي ﷺ حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ ثم قال لهم : فاين هذا من هذيان مسيلمة ، فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين رضي الله عنه ونفع به .

غـزوة بـني لحيـان

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكانت في غرة شهر ربيع الاوّل سنة ست من الهجرة وقبل سنة خمس وقيل : اربع . وسببها انه ﷺ وجد أي حزن على عاصم بن ثابت واصحابه وجداً شديداً والمراد بأصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وإن كانوا في سرية وحدهم فأظهرﷺ انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ، وسلك على غراب وهو جبل بنا حية المدينة ثم على طريقة الى الشام ، ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ، ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب ، واد بينه وبين عسفان خمسة اميال ، وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة ، فسمعت به بنو لحيان فهربـوا في رؤوس الجبـال خوفـاً من المنصـور بالرعبﷺ ، فلم يقدر على احد منهم فأقام يوماً او يومين يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم ، ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث ابا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية اميال يضاف كراع اليه ، وكراع جبل اسود بطرف الحرة ممتد اليه ، ثم رجعﷺ هو وأصحابه ولم يلقوا كيداً .

قال ابن اسحق : انهﷺ لما ما حصل من غرتهم ما اراد قالﷺ : لو أنَّا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضي الله عنه مع عشرة فوارس وانصرفﷺ الى المدينة وهو يقول : آيبون تائبون لربنا حامدون ، أعوذ بالله .

من وعثاء السفر وكآبة المنظر في الأهل والمال ، اللهم بلغنا بلاغاً صالحـاً ينظـر الى خـير مغفرتك ورضوانك . وفي الصحيح ،عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانﷺ إذا أوفى على ثنية أوفد قد كبر ثلاثاً ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وكانت غيبته ﷺ عن المدينة في هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

غـزوَة الغـَابة

وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحـو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان ، وكانت في ربيع الأول سنة ست وقيل في جمادي الأولى وقيل : في شعبان وفي البخاري : انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وبعد الحديبية بعشرين يوماً وفيها انه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذي لا مالك له ، بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم ، وبذي قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين . وكان ابو ذرّ وابنه وامرأته رضي الله عنهم فيها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في اربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذرّ رضي الله عنه واسمه ذر ، وكان يرعى الابـل واسروا المرأة واسمها ليلى .

وفي رواية ان ابا ذرّ رضي الله عنه استأذن النبي ﷺ للقاحه فقال ﷺ : إني اخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقـال ﷺ : لكأنـي بك قد قتـل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكأ على عصاك : قال ابو ذر رضي الله عنه بعد ذلك : عجباً لي يقول لي ذلك وأنا ألحّ عليه فكان والله ما قال . فلما كان الليل احدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابني فقتلوه وأسروا امرأتي ثم أنها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبي ﷺ لأنهم اوثقوها ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانطلقت وركبت ناقة للنبي ﷺ ليلاً على حين غفلتهم .

وفي رواية : انهم اوثقوا المرأة فانفلتت ليلاً من الوثاق فأتت الابل فكانت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لأنها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتي ذكره فلم ترغ فقعدت في عجزها ثم زجرتها ، فانطلقت

وعلموا بها فطلبوا فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها ، فلما قدمت على النبيﷺ أخبرته بذلك وقالت ؟ يا رسول الله اني نذرت لله تعالى أن أنحرها ان نجاني الله عليها فقال : بئسما جزيتها إن حملك الله عليها ونجاك أن تنحريها إنه لا نذر لأحد في معصية ، ولا لأحد فيما لا يملك إنما هي ناقة من أبلي ، ارجعي الى اهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح في يومهم ذلك ، جاء الصريخ فنادى : الفزع الفزع ونودي : يا خيل الله اركبي وركبﷺ في خمسمائة وقيل : سبعمائة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه في ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضي الله عنه في رمحه وقال : امض حتى تلحقك الخيول وأنا على اثرك فأدرك اخريات العدوّ .

وفي البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجت قبل ان يؤذن بالأولى ، وكانت لقاح رسول اللهﷺ ترعى بذي قرد ، فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : اخذت لقاح رسول اللهﷺ ؟ قلت : من اخذها ؟ قال : غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه يا صباحاه ، فأسمعت ما بين لابتي المدينة . وفي رواية للطبراني وابن اسحق : فأشرفت من سلع ثم صحت يا صباحاه فانتهى صياحي الى النبيﷺ ، فنودي في الناس الفزع الفزع ، فترامت الخيول اليه فكان اوّل من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد ابن زيد الأنصاري واسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز ابن نضلة وابو قتادة وابو عياش .

وفي رواية : ان النبيﷺ امر سعد بن زيد وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقيل : امر المقداد فساروا وتقدمهم ابو قتادة فأدرك في طريقه مسعدة بن حكمة الفزاري فقتله وسجاه ببرده ، فلما وصل المسلمون اليه وهو مسحي استرجعوا اي قالوا انا لله وإنا اليه راجعون ، ظناً منهم ان المسحي هو ابو قتادة ، وانه قتل . فقال النبيﷺ : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه . وقيل : ان قتيل ابي قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزاري ويحتمل أن له اسمين ، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه ، ولقي عكاشة بن محصن رضي الله عنه في طريقه أبان بن عمرو وابنه عمراً على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً . واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز ابن نضلة من بني أسد بن خزيمة ممن شهد بدراً رضي الله عنه قال ابن اسحق : كان أوّل فارس لحق بالقوم فقال : قفوا يا معشر بني اللكيعة ، فحمل عليه رجل

منهم فقتله ، وتحول على فرسه ملحقه أبو قتادة فقتله ، وتحوّل على الفرس وأدرك سلمة بن الأكوع رضي الله عنه القوم . قال ابن اسحق : إن سلمة رضي الله عنه صرخ واصباحاه ، ثم خرج يشتد في آثار القوم فكان مثل السبع ، وكان يسبق الخيل في جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفي البخاري عنه ، رضي الله عنه : ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد اخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول ، خذها وانا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، وارتجز حتى استنفذت اللقاح وثلاثين بردة .

وفي صحيح مسلم : فاقبلت أرميهم بالنبل وارتجز فما زلت أرميهم وأعقرهم ، فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست في اصلها ثم رميته فعقرته ، فاذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله ﷺ من بعير الا خلفته وراء ظهري ، ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يتخففون بها ، فاتوا مضيقا فاتاهم عيينة ممداً لهم ، فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال : من هذا ؟ قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعني الشدة والأذى ، ما فارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شيء في ايدينا وجعله وراء ظهره ، فقال عيينة : لولا أنه يرى وراءه طلباً لكم لترككم ، ليقم اليه اربعة منكم قال سلمة : فصعدوا في الجبل فقلت لهم : اتعرفونني ؟ فقالوا : من انت ؟ قلت : ابن الاكوع ، والذي أكرم وجه محمد ﷺ لا يطلبني رجل منكم فيدركني ، ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : اظن ، فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ وقوله : اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع ، والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع ، اي رضع اللؤم وقيل : معناه اليوم يعرف من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره . وقيل : معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ، ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء ، فنزلوا بذى قرد وأقام يوماً وليلة . قال سلمة : لما لحق رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله ، ان القوم يعني غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثني في مائة لاستنفذت ما في أيديهم من السرح ، وأخذت باعناق القوم اي اسرتهم وقتلتهم .

وفي رواية لمسلم : وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ، ثم أتيت النبي ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فإذا هو قد أخذ كل شيء استنفذته منهم ، ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة وشوى له

من كبدها وسنامها فقلت : يا رسول الله ، خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : أتراك كنت فاعلاً ؟ قلت : نعم ، والذي أكرمك . فقال رسول الله ﷺ : يا ابن الا كوع ملكت فأسجح اي قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة كان بالكسر السهولة اي لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو ، فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمل على نصر الاسلام ثم قال ﷺ : إنهم الآن ليقرون في قومهم يعني أنهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في أثرهم لأنهم لحقوا بأصحابهم ، وزاد مسلم : فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها أو اغبرة فتركوها وقالوا : أتاكم القوم ، وخرجوا هراباً وفيه معجزة له ﷺ حيث اخبر بذلك ، فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال ﷺ : خير فرساننا اليوم ابو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة ، فأعطاني سهم الراجل والفارس جميعاً . وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، فجاءت الإمداد ، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهو الى رسول الله ﷺ ، فاستنقذوا عشر لقاح أفلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح .

وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين : انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم : بان سلمة قال ذلك بحسب ظنه ، وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم . ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده ان معها زيادة عليها ، لما روى ان معها جملاً كان لأبي جهل ، ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة ابي ذر رضي الله عنهما ، وكان عودها بعد عود النبي ﷺ المدينة كما تقدم وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتجسس الخبر ، ورجع وقد غاب خمس ليال ، وأردف اسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه ، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وبعث اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر ، فيحتمل ان الجزائر المنحورة مما بعثه ، او مما اخذوه من القوم .

قال الحافظ بان حجز : وفي القصة من الفوائد جواز العدو التشديد في الغزو والإنذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه ، واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ، ومحله حيث يؤمن الافتتان ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية الغمر

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه ، الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبني أسد ، على ليلتين من فيد ، بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس : قلعة بطريق مكة ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلاً عقب أمره ﷺ له بالخروج دون تراخ ، فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفاً اي خلية عن سكانها لهربهم ، فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريباً ، فقصدوها فأصابوا رجلاً منهم فأمنوه فدلهم على تعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالأبل على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيدا .

سرية محمد بن مسلمة الأنصاري

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً من طريق الربذة ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، ومعه عشرة الى بني ثعلبة ، فورد عليهم ليلاً بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم ، فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم ، فما شعر المسلمون الا بالنيل قد خالطهم ، فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه ، السلاح ، فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد إليه ، وقد قتلوا من القوم رجلاً ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً يضرب كعبة ، فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى ، فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فجمله حتى ورد به المدينة جريحاً ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر ابن الجراح امين هذه الأمة أحد العشرة المبشرّين رضي الله عنهم في ربيع الآخر في اربعين رجلاً الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا احداً ، ووجد نعماً ، وشاء فانه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث ابي عبيدة رضي الله عنه طلب ثأر المقتولين وقيل : ان سببه ان بني ثعلبة وانماراً اجمعوا على ان يغيروا على سرح المدينة ، وهي ترعى بهيفاء ، وهو موضع على سبعة اميال من المدينة ، فبعث ﷺ ابا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه واخذ نعماً من

نعمهم فاستاقه وشيئاً من متاعهم ، وقدم به المدينة فخمسّه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه

الى بني سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة ، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ست ، فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بني سليم فاصابوا نعما وشاء ، ووجدوا جماعة منهم فأسروهم ، فكان فيهم زوج حليمة المزينة . فلمارجع زيد بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزينة نفسها وزوجها ، والظاهر انها اسلمت. وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك ، وقال لا أعلم لها إسلاماً ولا صحبة ولا ترجمة ، وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضي الله عنها ، ولم يذكر واعدة الابل والغنم والاسرى والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا الى العيص

قالت عائشة رضي الله عنها : ما بعث رسول الله ﷺ ، زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية الا امّره عليهم ولو بقي لاستخلفه ، أخرجه ابن أبي شيبة . وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ، ومع زيد بن حارثة رضي الله عنه سبع غزوات ، يؤمّره علينا رسول الله ﷺ ، والعيص موضع على اربع ليالٍ من المدينة ، وكانت غزوة زيد هذه في جمادي الأولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيداً ومعه سبعون راكباً وقيل : مائة وسبعون ليتعرض لها فأدركها واخذها وما فيها ، واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف ، واسر منهم ناساً منهم : ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف ، واسمه لقيط او الزبير او هشيم او مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد اخت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها . وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة وهو زوج زينب بنت النبي ﷺ ورضي عنها فلما قدم المدينة أسيراً أجارته زوجته السيدة زينب رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ، بعد ان استجار بها ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر .

وفي رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت : ايها الناس اني قد أجرت أبا العاص ،

فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : ايها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . ثم قال : والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من هذا حتى سمعت ما سمعتم ، المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت ، ثم دخل ﷺ منزله دخلت عليه زينب ، فسألته أن يرد عليه ما اخذ منه فقبل ، وقال لها أكرمي منواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له . وفي رواية ان زينب رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : ان ابا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فأبوا وا دوالي قد أجرته فقال النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك ، وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فانتم أحق به ، فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً . ثم ذهب الى مكة فأدى الى كل ذي مال ماله . ثم قال : هل بقي لأحد منكم عندي ما، لم يأخذه ؟ قالوا : لا قال : هل أوفيت ذمتي ؟ قالوا : اللهم نعم ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده لا تخوفاً ان تظنوا اني ، انما أردت ان آكل أموالكم ، فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج فقدم المدينة .

وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضي الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه ، فخرج الى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه ، فبلغ ذلك زينب فقالت : يا رسول الله ، اليس عقد المسلمين وعهدهم واحداً ؟ قال : نعم . قالت : فاشهد أني قد أجرت ابا العاص ، فلما رأى ذلك الصحابة رضي الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح ، فقالوا له : إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله ﷺ فهل لك أن تسلم ، فتغنم ما معك من أموال أهل مكة ؟ فقال : بئس ما أمرتموني به ان افتتح ديني بغدرة ، فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل : ان اسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ، ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان اسلم وهاجر ردها ﷺ اليه بالنكاح الأول وقيل بنكاح جديد ، وهذا هو الذي عليه العمل ، لأن الاسلام فرق بينهما . قال الله تعالى ﴿ لاهنّ حل لهم ولاهم يحلون لهنّ ﴾ وقيل ، ان هذه الآية متأخرة عن هذه

الوقعة ، فلم يكن اختلاف الدينين مقتضياً للتحريم ، إلا بعد نزولها . وفي الصحيحين : انه ﷺ اثنى على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال : حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي. وانه ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما . مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه ، وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي ﷺ ، وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى الطرف

ـ بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء ـ ككتف وهو ماء اي ماء عين ، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة بطريق العراق ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ست ، فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاءً ، وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون ﷺ سار اليهم بنفسه ، وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى حسمى

ـ بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصوراً ـ وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى ، وذلك من جهة الشام ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع ، فتكون بعد الحديبية لأنها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية ، وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله ﷺ اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام ، وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لأنه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفاً على ملكه ، فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمى ، فقطعوا عليه الطريق ، وأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا عليه إلا سمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب ، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ، ممن كان أسلم فاستنفذ والدحية متاعه .

وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم ، واستنفذوا ما كان في أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في خمسمائة رجل ورد معه دحية ، فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة ، فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا

عليهم فقتلوا فيهم ، فاوجعوا أي اكثروا فيهم القتل ، وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا من الأبل الف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان ، فرحل رفاعة ابن زيد الجذامي في نفر من قومه ، فدفع لرسول الله ﷺ كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد ، اني بعثته الى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله وإلى رسوله ﷺ ، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن ادبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة ، فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضي الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضي الله عنه قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال : اقرأ أم الكتاب ، فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ثغرة لقوم التي جاؤوا منها، الا من ختر ، وكانت أخت حسان في الأسارى ، فقال له زيداً خذها ، فقالت امرأة تنطلقون بناتكم وتذرون امهاتكم ؟ فقال زيد لاخت حسان : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه فأمسوا في اهليهم ، فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صحبوا رفاعة فقال له حسان بن ملة : انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى ، قد غرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشدّ عليه رحله ، وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله ﷺ فلما رآهم آلاح لهم بيده ، ان تعالوا من وراء الناس ، فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال : يا رسول الله ، ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين اي عندهم فصاحة لسان وبيان ، فقال رفاعة ، رحم الله من لم يحدنا في يومنا هذا إلا خيراً ثم دفع كتابه اليه ﷺ فقال : دونك يا رسول الله ، فقال ﷺ : يا غلام إقرأه وأعلن ، فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال ﷺ : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرار . فقال رفاعة : انت أعلم يا رسول ، لا نحرم عليك حلالاً ولا نحلّ لك حراماً .. فقال ابو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هذه .

فقال ﷺ : صدق ابو زيد ، اركب معهم يا علي فقال : ان زيداً لن يطيعني ، فقال : خذ سيفي هذا فاعطاه سيفه ، فقال : ليس لي راحلة : فحملوه على بعير

وخرجوا ، فاذا رسول لزيد على ناقةمن إبلهم فأنزلوه عنها فقال : يا علي ما شأني ؟ قال : ما لهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء ، فأخذوا ما في أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل ، وأخبروهم بان النبيﷺ إنما بعث علياً رضي الله عنه الى زيد ابن حارثة رضي الله عنه يأمره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم وفي رواية فقال علي رضي الله عنه لزيد : ان رسول اللهﷺ يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسرا وسبي أو مال . فقال زيد رضي الله عنه علامة من رسول اللهﷺ اي أطلب علامة فقال علي رضي الله عنه : هذا سيفه فعرفه زيد ، فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال : من كان معه شيء من أو مال فليرده فهذا رسول رسول اللهﷺ ، فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضي انهم كانوا يطؤون الجواري بلا استبراء ، وهو كذلك لأن وجوبه انما كان في سبي هوازن والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة ايضا

رضي الله عنه الى وادي القرى ، وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام ، وكانت في رجب سنة ست ، سار رضي الله عنه الى وادي القرى فلقي به بني فزارة ، وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى ، منهم ورد بن مرداس رضي الله عنه ، وحمل منهم جريح به رمق والله اعلم .

سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل

ـ بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره ، ـ وهو حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وبينها وبين المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة ، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة ، وقد ذكر ابن اسحق في اوّل هذه القصة حديثاً في أوله زيادة لا بأس بذكرها. فقال : حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول اللهﷺ في مسجده ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وابو سعيد إذا قبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : احسنهم خلقاً . قال : فأي المؤمنين أكيس ؟ قال : اكثرهم للموت ذكراً واكثرهم له استعداداً قبل أن ينزل به ، أولئك هم الاكياس . ثم سكت الفتى وأقبل

علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهنّ ،انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينتقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم ، إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسول إلا سلط عليهم عدوّ من غيرهم ، فأخذوا ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجرأوا فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم . ثم أمر عبد الرحمن بن عوف ان يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناه ﷺ منه فاقعده بين يديه وعممه بيده .

وفي رواية : نقضها ثم عممه بها فارسل من خلفه اربع اصابع او نحو ذلك . ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن واعرف ، ثم أمر بلالاً أن يدفع اليه اللواء ، دفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه ﷺ ثم قال : خذها يا ابن عوف ، اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فأخذ عبد الرحمن اللواء .

وفي رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال : ان استجابوا لك أي أطاعوك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم ، فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا ابوا اوّل ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ، ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً ، وكان ملكهم ورئيسهم ، واسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج ما ضر بنت الاصبغ ، وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها . وفي رواية ان عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي ﷺ يخبره باسلام من اسلم من القوم ، وانه أراد ان يتزوّج فيهم . فكتب اليه ﷺ أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولاً فان استجابوا لك فتزوّج ابنة ملكهم لاحتمال أنه أراد إن أسلم الجميع ، مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية ، فكتب اليه احتياطاً فولدت له بعد ذلك سنة بضع و عشرين من الهجرة أباسلمة ، وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء ، وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله ، وقيل : اسمعيل توفي سنة أربع وتسعين والله اعلم .

سرية علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم ، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة ، وسببها انه بلغه ﷺ ، أنهم ساعون في جمع الناس يريدون ان يمدوا يهود خيبر ، فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النار حتى انتهى الى الغمج ـ بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم ـ اسم ماء بين فدك وخيبر، فوجدوا به رجلاً فقالوا : ما أنت ؟ قال : باغ اي طالب لشيء ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ لا علم لي به ، فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم ، على ان يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا : فسر بنا حتى تدلنا . قال : على أن تؤمنوني . قالوا : أن دللتنا عليهم او على سرحهم أمناك وإلا فلا أمان لك . قال : فذاك . فخرج بهم دليلاً حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى ارض مستوية ، فاذا نعم كثيرة وشاء فقال : هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال : أرسلوني فقالوا : حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا ، فقال الدليل : علام تحبسوني وقد تفرقت الأعراب ؟ قال علي حتى نبلغ معسكرهم ، فانتهى بهم اليه فلم يرَ احد ، فأرسلوه وساقوا النعم والشاء معهم ، وكانت خمسمائة بعير والفي شاة ، وهربت بنو سعد بالطعن ، وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيداً . ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله اعلم .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى ام قرفة

ـ بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث ـ وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل ، أمنع من أم قرفة ، لأنها كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً ، كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة ، وكان لها عشرة بنين وبنتان ، وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام ، وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة ، وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أ[illegible] واخذوا ما كان معهم ، وقدم على رسول الله ﷺ فاخبره وفي رواية : ان زيدا رضي الله عنه حلف ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة ، فرجع وأخبر النبي ﷺ فبعثه اليهم في جيش وقال لهم : اكمنوا النهار وسيروا

الليل ، فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة ، فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظوراً فحين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه ، فيبصر مسافة يوم فاكثر فيقول : اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم ، فاذا كان العشاء اشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول : ناموا لا بأس عليكم ، فلما كان الصحابة على نحو ليلة اخطأ دليلهم الطريق ، فسار في آخر حتى امسوا وهم على خُطا فعاينوا الحاضرين من بني فزارة ، فحمدوا خطأهم ، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا واحاطوا بمن حضر من بني فزارة فقتلوهم واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة ، وكانت ذات شرف في قومها ، وأخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس ابن المحسر وقيل : ابن سحل الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلاً عنيفاً ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها ، وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ وقيل : لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت : اغزوا المدينة واقتلوا محمداً ، وقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي ﷺ ، فقام ﷺ اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله ، وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه هو الذي أسر بنت أم قرفة ، فسألها رسول الله ﷺ فوهبها له ، ثم وهبها ﷺ لخاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل ابي رافع عبد الله أو سلام بشد اللام ابن أبي الحقيق ـ بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغراً ـ اليهودي وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق ، وأعان المشركين بالمال الكثير ، بعث اليه ﷺ عبد الله ابن عتيك ـ بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف ـ الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه في رمضان سنة ست وقيل : في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب .

وفي البخاري ، قال الزهري ، بعد قتل كعب بن الأشرف الواقع سنة ثلاث ، قال ابن اسحق : ان الزهري اخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال : لما قتلت الأوس كعب بن الأشرف في عدوانه للنبي ﷺ ، بعد اذنه ﷺ وتحريضه عليه استأذنته الخزرج في قتل سلام بن ابي الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان مما صنع الله لرسوله ﷺ ان الأوس والخزرج كانا

يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، اي يحمل كل منهما على الآخر ، والمرادان كلاً من الأوس والخزرج يدفع عن النبي ﷺ يتفاخر بذلك لا يصنع الأوس شيئاً فيه عنه ﷺ غناء ، إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الاسلام ، واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا أبداً ، فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الاشرف ، فذكروا إسلام بن أبي الحقيق فاستأذنوه ﷺ في قتله ، فأذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وابو قتادة واسمه الحرث بن ربعي والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان الأسلمي حليف بني سلمة ، بطن من الخزرج فأمرهم ﷺ بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا او امرأة ، فذهبوا الى خيبر فكمنوا ، فلما هدأت الزجل عن الحركة جاؤوا الى منزله ، وكان في حصن مرتفع ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه : اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل الحصن ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كي لا يعرف ، كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حماراً لهم فخرجوا بقيس يطلبونه ، فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه ، كأنه يقضي حاجته مخافة ان يعرف فناداه البواب : يا هذا ، ان كنت تريد ان تدخل فأدخل فاني أريد ان أغلق الباب ، لأنه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد أي المفاتيح على وتد في كوة ، فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر الناس عنده .

وفي رواية فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، وكان في غرفة عالية له اليها عجلة من خشب ، فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلق علي من داخل ، وقلت : ان القوم ان نذروا به لم يخلصوا الي حتى أقتله ، فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله في بيت مظلم ، قد طفيء سراجه لا أدري أين هو ، وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية ، فقدّمه أصحابه ليتكلم بكلام أبي رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع منه ، فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت : من أنت ؟ قال : جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت : ذاك صاحبك . فلما رأت السلاح أرادت

ان تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت . قال : فقلت أبا رافع لأعرف موضعه . فقال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وانا دهش ، فما اغنت شيئاً ولم اقتله ، وصاح ابو رافع فخرجت من البيت وكمنت غير بعيد فقالت امرأته : يا أبا رافع هذا صوت عبدا لله بن عتيك . قال : ثكلتك أمك واين عبد الله بن عتيك ؟ قال : ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرت صوتي فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمك الويل ان رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، فضربته ضربة اثخنتمه ولم أقتله ، فصاح وقام اهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف اي حده في بطنه حتى دخل في ظهره ، وسمعت صوت العظم فعرفت اني قد قتلته ، فجعلت افتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أرى اني قد انتهيت الى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم خرجت وكمنت في موضع ، واوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبوان حتى إذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامناً وقلت : لا أخرج الليلة حتى اعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعي على السور فقال : أنعي ابا رافع تاجر الحجاز ، فانطلقت الى اصحابي فقلت :النجاء أي أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع .

وفي رواية فعصبت رجلي ، وأتيت أصحابي أحجل فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فاني لا ابرح حتى اسمع الناعي ، فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال : أنعي أبا رافع ، فقمت امشي مابي قلبة فادركت أصحابي قبل ان يأتوا النبي ﷺ ، فبشرته ﷺ : وفي رواية فانتهيت الى النبي ﷺ فحدثته فقال : أبسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة ﷺ فكأني لم أشتكها قط . وجاء في رواية : ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع ، قال : فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي ، وقلت : أني لابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم نظرت في وجهه فقالت : فاظ أي مات وإله يهود فما سمعت من كلمة كانت الذ في نفسي منها ، ثم أدرك أصحابه فأخبرهم الخبر .

وجاء في بعض الروايات : أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشي أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ، ثم لما أتاه ﷺ مسح عليه فزال عنه جميع الألم ببركته ﷺ . وفي رواية للحاكم عن عبد الله ابن انيس رضي الله عنه قال : توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كمنا اقعدنا منا واحد يحرسنا فاذا رأى ما يخافه اشار

الينا ، فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فأشرت اليهم فخرجوا سراعاً ثم لحقتهم ، فدخلنا المدينة فقالوا : ماذا رأيت ؟ قلت ما رأيت شيئاً ولكن خشيت ان تكونوا عييتم فأردت ان يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ فيمن قتل أبي أبي الحقيق وهو على المنبر ، فلما رآنا قال : افلحت الوجوه .

وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة ، وأسر وقتل من اعان عليه ﷺ بيده أو ماله او لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربتهم ، وإيهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل ، والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته . ووقع في بعض الروايات : أنّ الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس ، والصواب ما في صحيح البخاري : ان الذي قتله عبد الله بن عتيك ، وفي قتل ابي رافع وكعب بن الأشرف يقول حسان رضي الله عنه :

لله درّ عصابة لاقيتهم	يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم	مرحاً كاسد في عرين معرف
حتى أتوكم في محل بلادكم	فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه

الى اسير - بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء - ابن رزام - براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم - اليهودي بخيبر ،وكانت في شوّال سنة ست ، وسببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها اسيراً فقال : والله ما سار محمد الى احد من يهود ولا بعث أحداً من اصحابه الا أصاب منهم ما اراد ولكني اصنع ما لم يصنع اصحابي : فقالوا : وما عسيت ان تصنع ؟ قال : أسير في غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد في عقر داره - بفتح العين وضمها وسكون القاف - أي اصلها، فانه لم يغزِ أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوّه بعض ما يريد قالوا : نعم ، ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه ﷺ ، وبلغه ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سراً ليستكشف له الخبر ، فسأل عن خبره وغرته أي غفلته فاخبر بذلك ، وذلك

انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائطوفرق الثلاثه في ثلاثة من حصونها ، فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ، ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله ﷺ لليالٍ بقين من رمضان ، فأخبره بكل ما رآه وسمعه ، وقدم عليه أيضا خارجة ابن حسيل بمهملتين مصغراً فاستخبره ﷺ ما وراءه فقال : تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود ، فندب ﷺ الناس له فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له . قال : نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا : نعم فقالوا : ان رسول الله ﷺ بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك ، فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا : ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل . قال : بلى قد ملك الحرب وخرج .

وفي رواية لابن اسحق ، فلما أقدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له : إنك ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية ، فحمله اي أسيراً عبد الله بن رواحة حتى إذا كانوا بقرقرة ، موضع على ستة اميال من خيبر ، ندم اسير على مسيره الى رسول الله ﷺ وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ، ففطن له وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه اسير بمخرش في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : وأهوى اسير بيده الى سيفي ففطنت له ، فدفعت بعيري وقلت غدراً اي عدواً لله مرتين ، فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف ، فانذرت عامة فخذه وساقه فسقطعن بعيره ، ومال اصحاب النبي ﷺ على أصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم ، غير رجل واحد اعجز ناشداً ، اي جرياً أفلت على رجليه ، ولم يصب من المسلمين احد ولله الحمد ، فما قتلوا اليهود بعد التأمين . الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله ﷺ وكان ﷺ يحدّث أصحابه فقال : تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن اصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا ، فجلس ﷺ في أصحابه فانتهينا ، فحدثناه الحديث فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين ، وتفل ﷺ على شجة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلم تفح ولم تؤذه حتى مات .

وفي رواية ، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : ومسح ﷺ وجهي ودعا لي وقطع لي قطعة من عصاه فقال : امسك هذه معك علامة ، بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها

فانك تأتي يوم القيام متخصرا ، فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلي قيل : فيحتمل انّ هذا وهم من بعض الرواة ، والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وأنه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشيء لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله اعلم .

قصّة عَكل وعَرينة

وهي سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه ، كان أحد رؤساء قريش ، استشهد عام الفتح وعكل حي من قضاعة وعرينة حي من بجيلة ، وكانت هذه السرية في جمادي الأولى سنة ست ، وقيل : في شوال سنة ست وسببها ان ناساً من عكل وعرينة سبعة او ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ ، فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام ، وكانوا حين قدموا المدينة سقاماً مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا : يا رسول الله ، كنا اهل ضرع اي ماشية وإبل ولم نكن أهل ريف ، وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل ، فأمر لهم بذود من الابل وهي من الثلاثة الى العشرة ومعها راع ، وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ اسمه يسار ، وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك في ع نيه ، واستاقوا الذود فجاء الصريح بما وقع منهم ، فبعث ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين قريباً من العشرين وأمّر عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبي ﷺ حين بعث الطلب في آثارهم قال : اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك حمل ، فأعمى الله عليهم السبيل .

وفي رواية فجاء الخبر في اول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم ، وفي رواية : فبعث في آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت : مررت بقوم قد نحروا بعيراً فاعطوني هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ، ولم يفلت منهم انسان فربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فامر بهم ، فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا اعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا ،

وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما مر فكان ذلك قصاصاً اي كالقصاص قال انس رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم اي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية : كانوا يستسقون اي يطلبون الماء فلا يسقون لا ولا ارتدوا فلا حرمة لهم . وأنزل الله في هؤلاء ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون ورسوله ﴾ الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا .

وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها ان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حراية ، ان قلنا ان قتلهم كان قصاصاً والمماثلة في القصاص، وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء ، واما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال ابناء السبيل إبل الصدقة في الشرب وفي غيره قياساً عليه باذن الامام والله اعلم .

سرية عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه الى أبي سفيان

بعثه ﷺ الى ابي سفيان ليقتله غيلة لأن أبا سفيان أرسل للنبي ﷺ من يقتله ، وذلك ان ابا سفيان قال لنفر من قريش : ألا أحد يغدر محمداً فانه يمشي في الأسواق ؟ فأتاه رجل من الأعراب في منزله فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلباً ، وأشدهم بطشاً ، وأسرعهم شداً اي جرياً فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ، ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير فأسيرو وأسبق القوم عدواً ، فاني هاد بالطريق فقال . أنت صاحبنا فأعطاه بعيراً ونفقه وقال : أطو أمرك . فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً ، وصبح ظهر الحرة ، صبح سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، حتى دل عليه فعقل راحلته ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله ، فلما رآه النبي ﷺ قال : ان هذا ليريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد ، فذهب لينحني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخله إزاره أي طرفه وحاشيته ، فإذا بالخنجر فأسقط في يده اي ندم وقال : دمي دمي أي اتركوا دمي او خلوا دمي ، فاخذ أسيد بلبيه اي منحره وخنقه أشد الخنق . فقال ﷺ : أصدقني ما أنت ؟ قال : وإنا آمن ؟ قال نعم ، فأخبره بخبره فخلى عنه ﷺ فأسلم رضي الله عنه ، يا محمد والله ما كنت أفرق اي اخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب قلى وضعفت نفسي ، ثم إنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد . فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان

حزب ابي سفيان حزب الشيطان ، فجعلﷺ يتبسم فاقام الرجل اياماً ثم أستأذن النبيﷺ في الخروج ، فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ، ثم بعثﷺ عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه ، وقيل ، جبار بن صخر الى ابي سفيان وقال : أن اصبتما منه غرة فاقتلاه ، فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً فرآه معاوية ابن ابي سفيان .

وفي رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلاً فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : ان القوم إذا تعشوا جلسوا بافنيتهم ، وانهم ان رأوني عرفوني ، فإني اعرف بمكة من الفرس الأبلق ، فقال : كلا ان شاء الله . قال عمرو : فابى ان يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله إنا لنمشي بمكة ، اذ نظر اليّ رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن امية . فوالله ان قدمها الا لشر فقيل : ان هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن ابي سفيان ، وقيل غيره فاخبر أبا سفيان وقريشاً بوجود عمرو بمكةلا فخافوه وطلبوه وكان فاتكاً جرياً في الجاهلية ، والفتك القتل على غفلة ، فجشد اي جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه، فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقي عمرو رجلاً من رؤوس المشركين ، وهو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله ، وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست ادين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان الأخبار فقتل احدهما وأسر الآخر ، فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول اللهﷺ خبره ويضحك ، ثم دعا له بخير .

وفي سيرة ابن هشام ، بعد قوله السابق ان قدمها إلا لشرّ فقلت لصاحبي : النجا فخرجنا نشتد حتى اصعدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعني به عبد الله بن مالك التيمي ، المتقدم ذكره ، يقود فرساً له ويختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت : ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا قال : ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ،

ورجعت فدخلت مكاني ، وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا ، من ضربك قال عمرو ابن امية وغلبه الموت ، فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال احدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن امية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن امية ، فلما حاذى الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا اي مهبطمسيل ، فرمى الجثة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجاء ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفاً ، فبينا انا فيه اذ دخل علي شيخ من بني الديل اعور في غنيمة له فقال : من الرجل ؟ فقلت من بني بكر فمن أنت ؟ قال : من بني بكر . فقلت : مرحباً فاضطجع ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست ادين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ، ثم امهلته حتى اذا نام اخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية - بكسر المهملة وفتح التحتية - ، ما عطف من طرقها ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت ، حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش ، كانت قريش بعثتهما عيناً الى المدينة فقلت ، استأسرا فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم واستأسر الاخر ، فأوثقته رباطاً وقدمت به المدينة . وقد مر انه ﷺ بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فانزلاه وخافا الطلب فألقياه فابتلعته الأرض ، ويمكن ان عمرو بن امية ، التقى معهما حين إرسالهما لإنزال خبيب ، وكان هو راجعاً من مكة فشاركهما في إنزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قصّة الحديبيّة ويُقال غزَوة الحديبيّة

ـ بتخفيف الياء وتشديدها ـ وهي بئر يسمى المكان باسمها ، وقيل ، شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة أميال من مكة . وسببها ان النبيﷺ رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحَابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فخرج ﷺ يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب ، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق من العرب ، وساق معه الهدى واخرجوه بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائراً للبيت ومعظما له ، واخرج معه زوجته ام سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وقيل : ابو رهم كلثوم بن الحصين ، وقيل : استعملهما معاً ، وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة . وقيل : ألف وخمسمائة ، وقيل : الف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من الف وأربعمائة فمن قال : الف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال : واربعمائة ألغاه وأما رواية الف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة ، أو ان الألف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الأتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرجﷺ معه بسلاح الاسلام المسافر السيوف في القرب ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا أي جاسوساً له من خزاعة ، وسار النبيﷺ حتى اذا كان بغدير الأشطاط أتاه جاسوسه فقال : ان قريشاً جمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة .

وفي رواية انه لقيه بعسفان فقال : هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل ، قد تلبسوا جلود التمر وقد نزلوا بذي طوي يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا ، والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها ، والمراد أنهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرز في رواية قال : له : اني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وكذا وقريش في أنديتها . إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت اسمع أهل مكة يقول :

هيوا لصاحبكم مثلي صحابته سيروا اليه وكونوا معشرا كرما

بعد الطواف وبعد السعي في مهل وأن يحوزهم من مكة الحرما .

شاهت وجوههم من معشر ثكل لا ينصرون اذا ما حاربوا صنماً

فارتجت مكة وتعاقدوا على أن لا تدخل عليهم عامهم هذا ، فقالﷺ : هذا الهاتف سلفع شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك ، اذ سمعوا من أعلى الجبل صوتاً يقول :

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما وخاب سعيهم ما اقصر الهمما
اني قتلت عدو الله سلفعة شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله في نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقالﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس أترون ان اميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم ؟ فان يأتونا كان الله عزَّ وجلَّ قد قطع عيناً من المشركين والا تركناهم محروبين وفي رواية : أترون أن نميل : ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين ، وان يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله ؟ أم ترون أن نؤمّ البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : الله ورسوله أعلم يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن

صدنا عنه قاتلناه فقال : امضوا على اسم الله . ويروى ان المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبي بكر قال : والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون فقالﷺ ، فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ أمتنا لا لقوله تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبيﷺ : ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة في خيل لقريش ، فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن ابي جهل طليعة وهي مقدمة الجيش ، فخذوا ذات اليمين .

وفي رواية ، قال : من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التي هم بها فقال رجل : من أسلم وهو حمزة بن عمرو الأسلمي انا يا رسول الله ؟ فسلك بهم طريقاً وعراً فخرجوا منه بعد ان شقّ عليهم ، وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم : قولوا انستغفر الله ونتوب اليه ، فقالوا ذلك فقال : والله إنها للحظة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها وفي رواية : فقالﷺ واسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض - بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة - موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقتهم ركضوا راجعين الى قريش .

وفي رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا همّ بقترة الجيش أي غبارة كذا أطلقه بعضهم وقيد بعضهم بالغبار الأسود فانطلق يركض نذير القريش وفي رواية : ان خالداً دنا في خيله حتى نظر المصطفىﷺ والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة ، فأمرﷺ عباد بن بشر فتقدم ذي خيله فقام بازائه فصفّ أصحابه وحانت صلاة الظهر ، فصلاها بهمﷺ فقال خالد : قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ، ولكن ستأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من انفسهم وأبنائهم ، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى ﴿ واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلنقم طائفة منهم معك ﴾ الاية . فحانت صلاة العصر والعدوّ جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف ، فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف ، فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون ، فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان . ثم سار النبيﷺ حتى إذا كان

بالثنية التي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار - بكسر الميم وتخفيف الراء - بركت ناقته القصواء فقال الناس : حل حل وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير فتمادت على عدم القيام ، فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء أي حرنت وبركت من غير علة ، والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ، ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه ، لكن سبق في علم الله انهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلقاً منهم ويستخرج من أصلابهم ناساً يسلمون ويجاهدون ، وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، فلو طرق الصحابة مكة لما أمن ان يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ﴿ ولو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ - وجواب لو محذوف - أي لأذن لكم في الدخول والقتال ، وإنما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله في رحمته من يشاء أي من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أي لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً . ثم قال ﷺ عقب قوله حبسها حابس الفيل : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أي من ترك القتال في الحرم والجنوح الى السلم والكف عن إراقة الدماء .

وفي رواية : لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله إلا أعطيتهم إياها أي أجبتهم اليها ، وإن كان فيها تحمل المشقة ، ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية ، ثم قال للناس انزلوا . فقالوا : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلاً قليلاً فاخذوه حتى نزحوه ، وشكوا اليه العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الأعجم . وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة . وقيل البراء بن عازب رضي الله عنه ، فوضعه في البئر ويمكن ان الجميع تعاونوا في ذلك قال : فوالله ما زال يجيش أي يفور الماء حتى صدروا عنه اي رجعوا رواء بعد ورودهم . وفي رواية . فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوساً على شفير البئر .

وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، انه ﷺ جلس

على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال : دعوها ساعة فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ، وعند غير البخاري : توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ، ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله . وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم قال : عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه فقال . مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك . فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين . وكان قصة الركوة قبل قصة البئر . وقد اخرج الامام احمد عن جابر رضي الله عنه القصة وفيها : فجاء رجل بأداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ما غيره فصبه ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم إنصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال : أسبغوا الوضوء : قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه . واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة . ووقع في بعض الروايات : انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا ألفاً وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه : انهم أصابهم مطربا لحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم .

وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه ﷺ فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة ، وكان ذلك قبل إسلامه فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي ﷺ ، وتقدم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الإسلام فقال بديل للنبي ﷺ : غوّرت أي أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك ، فقال : لم نجيء لقتال ، فتكلم ابو بكر رضي الله عنه فقال له بديل : أنا لا آتيهم ولا قومي ثم قال : اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ - المطافيل ، والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها - يريد ، انهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزوّدوا بألبانها أولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ان دعا اليه الأمر ليكون أدعى إلى عدم الفرار ، وخص كعب بن لؤي وعامر بن لؤي لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما ، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو

عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ، ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذي منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر ، وقوله اعداد مياه الحديبية .

قال الحافظ ابن حجر : يشعر بأنه كان بها مياه كثيرة وان قريشاً سبقوا إلى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون ، وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله ﷺ مجيباً لبديل : إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين وان قريشاً قد انهكتهم الحرب أي أضعفت قوّتهم وأهزلتهم وأضعفت أموالهم وأضرت بهم ، فان شاؤوا ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم ، فإن أظهر أي إظهار الله تعالى ديني بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤوا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا أي ، وإن لم أظهر فقد جموا ـ بفتح الجيم وشد الميم المضمومة ـ يعني استراحوا من القتال .

وفي رواية : فان ظهر الناس عليَّ فذلك الذي يبغون . وفي رواية : وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة وإنما ردد الأمر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعدا الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعمه ، ثم قال وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا ، حتى تنفرد سالفتي وهي صفحة العنق . كنى بذلك من القتل اي حتى أموت وأبقى منفردا في قبري . وقيل : المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم في نصر دين الله ، ولينفذن الله أمره . وفي هذا تصريح بما كان عليه ﷺ من القوة والثبات في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والإبقاء على من كان من أهلها بذل النصيحة للقرابة ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول فاذن له .

قال الزرقاني في شرح المواهب : وفي هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الإسلام على غيرهم ، ولو كانوا من أهل دينهم . ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله ، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم ببعض ، ولا يلزم من ذلك جوازا الإستعانة بالمشركين على الاطلاق ا هـ . وبديل بن ورقاء كان سيد قومه ، وأسلم يوم الفتح بمر الظهران ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل : أسلم قبل الفتح . وقال ابن منده وابو نعيم : أسلم قديماً ولعله كان يكتم إسلامه ،

والمشهور هو الأوّل . وخزاعة قبيلة من الأزد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشاً فقال ناس منهم : هذا بديل وأصحابه وإنما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد ، فرأى بديل أنهم لا يستخبرونه فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبيﷺ وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا .

وفي رواية : إنا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال : سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء ولكن أخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً ، حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال ذو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول : ولم يكن ابو سفيان حاضراً هذه القضية على الصحيح بل كان غائباً في بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفي رواية : فأشار عليهم عروة بن مسعود الثقفي بأن يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه وإلا تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام : أخبرونا بالذي رأيتم وسمعتهم . قال : سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبيﷺ ، فرجعوا الى قريش فقالوا : إنكم تعجلون على محمد إنه لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت فقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتالاً بل جائزاً بل جاء زائراً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبداً . فقام عروة بن مسعود الثقفي وقد أسلم رضي الله عنه عند منصرفه ﷺ من الطائف ، وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ فأحدهما الوليد بن المغيرة ، كان بمكة ومات كافراً والثاني عروة بن مسعود الثقفي وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش: يا قوم ألستم بالوالد اي مثل الوالد في الشفقة على ولده ؟ قالوا : بلى .قال :أولست بالولد أي مثله في النصح لوالده ؟ قالوا : بلى ، بل جاء أن أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، فأراد انهم ولدوه . في الجملة قال: فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ما أنت عندنا بمتهم . قال : ألستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ اي دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى ، قال : فان هذا يعني النبيﷺ قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح وانصاف ، اقبلوها ودعوني آتيه اي أجيء اليه قالوا : ائته فأتى عروة بن مسعود النبيﷺ فجعل يكلم النبي ﷺ بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبيﷺ نحواً من قوله لبديل السابق ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً وعند قول النبيﷺ فان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم . قال عروة أي محمداً : أخبرني إن استأصلت

قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وان تكن الأخرى أي وإن تكن الغلبة لقريش فاني والله لأرى وجوها أشواباً يعني أخلاطاً من الناس خليقاً أن يفروا عنك ويدعوك .

وفي رواية : فكأني بهم لو لقيت قريشاً قد أسلموك فتؤخذ أسيراً فأي شيء أشد عليك من هذا ؟ وإنما قال ذلك لأن العادة جرت أن الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها القرار ، بخلاف من كان من قبيلة واحدة ، فانهم يأنفون الفرار عادة وما دريء عروة ان مودّة الإسلام أعظم من مودّة القرابة ، وقد ظهر له ذلك بعد مبالغة المسلمين في تعظيمه ﷺ ،فلما قال عروة بن مسعود ما قاله ، وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعداً خلف النبي ﷺ : امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة ، واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء : هذا مبالغة من ابي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيراً . لمعبوده ، وعادة العرب الشتم بذلك . فقال عروة : من هذا يا محمد ؟ واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي ﷺ فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي ﷺ : هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطباً لأبي بكر : أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يدلك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ، ولكن هذه بها اي جعلت عدم إجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت إلي بها .

قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها ابو بكر رضي الله عنه بعون حسن . وفي رواية : أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث ، وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته ﷺ ، وكانت تلك عادة العرب ، وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائماً على رأس النبي ﷺ ومعه السيف يقصد الحراسة وعليه المغفر . قال عروة بن الزبير : ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة ، وقام على رأس النبيب ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : ففيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدوّ ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبرة ، فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية

النبيﷺ ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة او غيرها ، وفعل المغيرة ذلك إجلالاً وتعظياً للنبيﷺ وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول اللهﷺ فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة : ما افظك وأغلظك ، وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل ، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي ﷺ ، وما علم حينئذ انه لا نظير له فاللائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه ، لكن كانﷺ يغضي اي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفاً له ولقومه ، والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ وفي رواية : فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب . وقال ليت شعري من هذا الذي قد أذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشرّ منزلة . فتبسم النبيﷺ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك شعبة .

وفي رواية : هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف انه ابن أخيه قال : أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف . وفي رواية : وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل إسلامه ، فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك ، خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فاحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من أحلافهم فغار منهم ولم يواسه احد منهم ، فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء الى المدينة فاسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه : ما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلتهم وجئت بإسلابهم الى رسول اللهﷺ ليحسن او ليرى رأيه فيها . فقال النبيﷺ : أما الإسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شيء اي لا أتعرض له لكونه أخذ غدراً ، لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدراً حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة وهي تؤدّى إلى أهلها مسلماً كان او كافراً ، وبإنما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله ﷺ ترك المال في يده لإمكان إسلام قومه فيردّ اليهم أموالهم ، وقيل : انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربياً ، والحربي إذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفاً ما فعله المغيرة من قتل اصحابه وأخذ أموالهم ، فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والأحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا

منه دية ثلاثة عشر نفراً واصطلحوا . وقيل : ان عروة بن مسعود ليس عماً للمغيرة نفسه بل عم أبيه ، ولا ضير في ذلك فعم الأب عم عند العرب ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب ، أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل : ثلثمائة . وقيل ألف امرأة .

ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبيﷺ بعينه فقال حين حدث الحديث : والله ما تنخم يعني رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركاً ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره اي أسرعوا إلى فعله وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيماً له ، فكان في فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم ، كيف يظن بنا أن نفرعنه ونسلمه لعدوّه ، بل هم أشد اغتباطاً اي تعلقاً وتمسكاً به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم ، فرجع عروة الى أصحابه فقال : اي قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط بعلمه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله ما يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وفي رواية : واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده إجلالاً وتوقيراً وما يحدّون النظر اليه تعظيماً له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم .

وفي رواية : فقال عروة : أي قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ، ولقد رأيت الهدي معكوفاً وما أراكم الا ستصيبكم قارعة ، وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيمه ﷺ ، وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره ، فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح ، فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له لسلام وكان سيد الأحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش : دعوني آته يعني النبيﷺ أي أذهب اليه فقالوا : ائته ، فلما أشرف على النبيﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البَدْنَ يعني التي تُهدى للحرم فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حرباً فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة ، فلما رأى الحليس ذلك قال متعجباً : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا أي يمنعوا عن البيت وفي

رواية قال : أبى الله ان تحج لخم وجذام وكندة وحِمْيَرَ ويمنع ابن عبد المطلب .

وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده ، وقد حبس عن محله ولم يصل الى رسول الله ﷺ ، وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد ، فقال : هلكت قريش ورب الكعبة أن القوم إنما أتوا عماراً فقال ﷺ : اجل يا أخا بني كنانة . قال الحافظ ابن حجر : فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعاً بين الروايتين . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْنَ قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ، فقالوا له : اجلس إنما انت أعرابي لا علم لك ، فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظما له ، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وما جاء له أو لأنفرنّ بالاحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

وفي القصة دليل على ان كثيراً من المشركين كانوا يعظمون حرمات الإحرام والحرم ، وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكاً منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ، ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره احد في الصحابة إلا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال : دعوني آته ، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر . وفي رواية : غادر . قال الحافظ ابن حجر : ما زلت متعجباً من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة ابي جندل الى أن رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدران عتبة بن ربيعة قال القريش : كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا ، وذلك ان حفص بن الأخيف ، كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا ، فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرّه فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفاً بالغدر ، وذكر الواقدي ايضاً ان مكرز أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلاً فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس ، وانفلت مكرز فكان ﷺ أشار إلى ذلك حين قال وهو رجل فاجر او غادر ، فجاء الى النبي ﷺ وجعل يكلمه فقال له النبي ﷺ نحو مما قال لبديل وأصحابه . فبينما هو يكلمه . إذ جاء سهيل ابن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وكان ملازماً للجهاد حتى استشهد يوم

اليرموك ، وقيل : مات بالشام بطاعون عمواس ، وكان يقول : والله لا ادع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة انفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها ، لعلّ امري ان يتلوا بعضه بعضاً :

قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه : كان محمود الإسلام من حين اسلم ، ولما جاء خبر وفاة النبيﷺ أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدّون ، فخطب الصدّيق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها ، وقد قال النبيﷺ لعمر رضي الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفاً يسرك ، فكان ذلك الموقف هو خطبته لأهل مكة وتثبيتهم . فكان ذلك من أعلام نبوّتهﷺ قيل : إن وصول سهيل بن عمرو الى النبيﷺ كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبيﷺ ، وقيل : إن مكرزاً رجع الى قريش فاخبرهم بقولهﷺ وان ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز ، وجمع بانه رجع فاخبرهم ، ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي ﷺ : قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى . قال ابن إسحق : دعت قريش سهيل بن عروة فقالت : اذهب الى هذا الرجل ولا تكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبداً فأتى سهيل فقال النبيﷺ لما رآه مقبلاً : قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل ، فلما انتهى الى النبيﷺ برك على ركبتيه وجلس النبيﷺ متربعاً ، وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد ، وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول ، وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر : اخفض صوتك عند رسول اللهﷺ ، فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما . وهذا يقتضي أن إرسال سهيل ابن عمرو كان قبل أن يرسل النبيﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة ، جرى على ذلك كثير من أهل السير .

وقال آخرون : إن إرسال سهيل بن عمرو ، كان بعد إرسال النبيﷺ عثمان ابن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا : أن النبيﷺ لما نزل الحديبية أحب أن يبعث إلى قريش يعلمهم أنه إنما قدم معتمراً لا مقاتلاً ، فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جماه عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الأحابيش ، فأتاهﷺ وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن

عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله ﷺ عثمان وكتب له كتاباً إلى أشراف قريش يخبرهم انه لم يأتِ إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ، وأمر النبي ﷺ عثمان ان يأتي رجالاً مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ، ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم بأن الله وشيك أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان ، فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم باذن النبي ﷺ ليزوروا أهاليهم ، ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وكان ابن عم عثمان رضي الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ وجعله بين يديه . فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون : ان محمداً لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضي الله عنه من رسالة رسول الله ﷺ قالوا له : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف .

فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ : وقال المسلمون الذين مع النبي ﷺ : قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا ، فقال رسول الله ﷺ : ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون . قالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه ؟ قال : ذاك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة . فلما رجع عثمان وقيل له في ذلك أي قالوا له : طفت بالبيت ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمراً كذا وكذا سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله ﷺ . واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه ، فبلغ ذلك الخبر ﷺ ، فقال عند بلوغه ذلك : لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ، ودعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة ، قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح وأما الشهادة . وفي رواية : بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققاً بل كان بالأشاعة بايع عنه النبي ﷺ . أي على تقدير حياته وفي ذلك أشارة منه ﷺ الى ان عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القول لأجل اخذ ثأر عثمان رضي الله عنه جرياً على ظاهر تلك الاشاعة تشبتا وتقوية لأولئك القوم ، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال : اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك وفي لفظ : ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لأنه علم عدم

صحة القول بقتله ، وبعد ان جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه تحصيلاً لتلك الفضيلة . وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي ﷺ صاحب الهمزية فقال :

وأبى أن يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبي فناء
فجزته منه ببيعة رضوان يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الأعمال بالترك حبذا الأدباء

ويروى : أن قريشاً بعثت الى عبد الله بن أبي سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضي الله عنه : يا أبت أذكرك الله ان تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ فأبى حينئذ وقال : لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ ، وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ وقال ﷺ : لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة كما تقدم وجاء أنه ﷺ قال : أيها الناس ان الله قد غفر لأهل بدر والحديبية وأول من بايعه ﷺ سنان بن سنان الأسدي . وقيل : انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنهما ، ولما بايعه رضي الله عنه قال : أبايعك على ما في نفسك قال : وما في نفسي . قال : اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان . وقيل : أول من بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وقيل : سلمة بن الأكوع رضي الله عنه . وقيل : ان سلمة رضي الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره ﷺ . في الثانية والثالثة بعد قول سلمة قد بايعت فيقول له رسول الله ﷺ : وأيضاً وذلك ليكون له في ذلك فضيلة لأنه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته في الاسلام ، وشهرته في الثبات . وجاء ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما بايع مرتين .

وقد قيل : في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام ﴾ الى قوله : ﴿ ولا يجر منكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم

ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أي لا تصدّوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله ﷺ ، فبعثت قريش اربعين وقيل خمسين رجلاً عليهم مكرز ابن حفظ الذي قال فيه ﷺ : انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله ﷺ رجاء ان يصيبوا منهم أحداً أو يجدوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزاً فأتى بهم رسول الله ﷺ فحبسوا وبلغ قريشاً حبس اصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وقتل من المسلمين ابن رسيم بسهم ، فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلاً ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس ، فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامري ومعه حويطب بن عبد العزى ، وقيل : معه جمع منهم . وقيل : ان إرسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبي ﷺ ، ولما أقبل سهيل قال رسول الله ﷺ : أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانياً وطالت المراجعة بينه وبين النبي ﷺ ، ومن جملة ذلك أن النبي ﷺ قال له : لِمَ لَمْ تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ؟ فقال له سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة أي بالشدة والإكراه ، ولكن ذلك بالعام القابل ، ثم تم الأمر على الصلح على ترك القتال وأن يوضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضاً وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام ، وأن لا يدخلوا إلا بالسيوف في قربها ، واشترط سهيل على النبي ﷺ شروطاً منها انه قال : لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وقيل : هذا الشرط إنما ذكره عند كتابة الكتاب ـ كما سيأتي ـ فلما تم الأمر ولم يبق إلا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أليس هو برسول الله ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : فعلامَ نعطي الدنية أي الخصلة المذمومة في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا عمر الزم غرزه أي ركابه .

وفي رواية : قال له : أيها الرجل ، انه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه حتى تموت فاني اشهد انه رسول الله فقال عمر : وأنا أشهد انه رسول الله ، ثم أتى عمر رسول الله ﷺ فقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فقال النبي ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني الله . ثم دعا رسول الله ﷺ اوس بن خولة رضي الله عنه وامره أن يكتب بينهم ، فقال له سهيل بن عمرو : ولا يكتب الا ابن

عمك علي او عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضي الله عنه على بعض الروايات فامر النبي ﷺ علياً كرم الله وجهه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا اي الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب باسمك اللهم أي لان قريشاً كانت تكتبها ، فقال المسلمون ، والله لا يكتبها وإنما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وضج المسلمون ثم اسكتهم النبي ﷺ وقال : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : ؛ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم تصدك عن البيت ، ولكن اكتب باسمك واسم ابيك .

وفي رواية لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله ؟ فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : امح رسول الله فقال علي رضي الله عنه : ما أنا بالذي أمحوه .

وفي رواية والله لا أمحوك أبداً فقال : أرينه ، فأراه اياه فمحاه رسول الله ﷺ وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، وقال : أنا رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فجعل علي رضي الله عنه يبكي ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله : فقال له ﷺ : اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مقهور ، وهذا من معجزاته ﷺ واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول ، فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب معاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص ، وكان أحد الحكمين ، وكان من جهة معاوية : لا تكتب أمير المؤمنين . وأرسل معاوية ايضاً رضي الله عنه لعمرو بن العاص يقول : لا تكتب إن علياً أمير المؤمنين ما قابلته فبئس الرجل أنا إن اقررت أنه امير المؤمنين ثم أقاتله ، ولكن اكتب : علي بن ابي طالب وامح امير المؤمنين . فقال : اصحاب علي رضيالله عنه لعلي : يا امير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود إليك فلم يسمع منهم ، وقال للكاتب : امحها . ثم تذكر قول النبي ﷺ له في الحديبية ان لك مثلها تعطيها وانت مقهور . فقال : الله أكبر مثلاً بمثل والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا : لست برسول الله ولا تشهد لك بذلك ، اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضي الله عنه : سبحان الله أنشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع في ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين .

وظهر صدق قول النبيﷺ لعلي رضي الله عنه أن لك مثلها تعطيها وانت مقهور . ولما أبى علي رضي الله عنه يوم الحديبية أن يكتب إلا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين ، منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فاخذا بيد علي رضي الله عنه ومنعاه أن يكتب إلا محمد رسول اللهﷺ وإلا فالسيف بيننا وبينهم ، وضج المسلمون وارتفعت الأصوات وجعلوا يقولون لا نعطي هذه الدنية في ديننا ، فجعل رسول اللهﷺ يخفضهم ويومي بيده اليهم ان اسكتوا ، ثم أمر علياً رضي الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل : أمر محمد بن مسلمة رضي الله عنه فيكتب والحق أن الذي كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب ، لان سهيلاً قال : يكون هذا الكتاب معي فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين .

وجاء في بعض الروايات . ثم أخذ رسول اللهﷺ الكتاب بيده فتمسك بعضهم بظاهر وقال : ان النبيﷺ كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ، وجرى على ذلك ابو الوليد الباجي المالكي ،فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ، وقالوا : ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافي القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ بأن هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن ، وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أمياً . والجمعهور على أن الروايات التي فيها اخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز اي أمر أن يكتب الكاتب وقوله متعلق بيده باخذ وليس متعلقاً بقوله كتب .

قال العلماء : وافقهم النبيﷺ على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم ، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التي أطلع الله نبيهﷺ عليها وحجب المسلمين عنها ، حتى ضجوا وتشوّشوا من ذلك ، ولم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضي به النبيﷺ غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبهذا يتبين علوّ مقامه ، ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبيﷺ فإنه حقيق بذلك رضي الله عنه كيف ، وقد قال النبيﷺ والله ما صبّ الله في قلبي شيئاً إلا وصببته في قلب أبي بكر رضي الله عنه . قال أبو بكر رضي الله عنه : ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ، ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول اللهﷺ وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد ، ولقد رأيت سهيل بن عمرو في

حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرّب لرسول الله ﷺ بدنه ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ، ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره ﷺ ، ويجعل بعضه على عينيه ، وأذكر إمتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم أي ورسالة النبي ﷺ فحمدت الله الذي هداه للإسلام مع أنه لا مفسدة في عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وإنما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ، ثم كتب علي رضي الله عنه : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ، فقال النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، واراد النبي ﷺ بذلك إظهار ما تكلم به مع سهيل أولاً ليطلع المسلمون على أنه ﷺ بذل الجهد للمسلمين في ذلك الصلح . فقال سهيل : والله لا نخلي بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب علي رضي الله عنه ذلك فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل إلا رددته الينا وان كان على دينك ، ومن جاء قريشاً ممن تبعك لم يردّوه اليك .

وفي رواية لمسلم من حديث انس رضي الله عنه : أن قريشاً صالحت النبي ﷺ على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا . فقالوا : يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال : نعم ، فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً .

وفي رواية للبخاري وكان فيما اشترط سهيل على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك إلا رددته الينا وخليت بيننا وبينه ، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا اي غضبوا وأتقوا منه فابى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً . وكان ممن قال ذلك : عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضي الله عنهم وفي رواية : أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله أترضى بهذا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال : من ذهب منا اليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم الينا أي ورددناه فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ومما كتب في كتاب الصلح ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما لا يدخلا مكة بالسلاح إلا السيف في القراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن اراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من اصحابه أحد إن أراد أن يقيم بها ، وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة أي أموراً مطوية في صدور سليمة إشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها ، وأنه لا أسلال ولا اغلال أي لا سرقة ولا خيانة ، والمراد أن يأمن

بعضهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سراً وجهراً . وقيل الأسلال من سل السيوف ، والأغلال من لبس الدروع ، وان من احب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيره ، وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفي رواية اربع سنين فأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اهـ .

فان قيل : ما الحكمة في كونهﷺ وافق سهيلاً على هذه الشروط التي من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الإسلام إلا ويرده اليهم ؟ فالجواب ـ كما نقله النووي ـ عن العلماء : أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي علمها النبيﷺ وخفيت عليهم ، فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ، ولا تظهر عندهم أمور النبيﷺ كما هي ، ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة ، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة ، وخلوا اهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم ، وسمعوا منهم أحوال النبيﷺ ومعجزاته الظاهرة وإعلام نبوّته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته ، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك ، فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيرهما ، وازداد الآخرون اي الذين لم يسلموا ميلاً الى الإسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل ، وكانت العرب من غير قريش ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأي ولانهم كانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به . فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ﴾ ففيه إشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيهﷺ على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس في دين الله جماعات ، وكان الأمر كذلك . فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الأرض طائعين ، وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة ـ كما سيأتي ان شاء الله تعالى ،ـ فالله ورسوله اعلم بالحكمة البالغة ، فان صد المسلمين عن البيت كان في الظاهر هضماً للمسلمين ، وفي الباطن عزاً لهم وقوة ، فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ، ولله

العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون . فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل .

وقال البخاري عند ذكر كتابة الشروط : فبينما هم كذلك ، وقال ابن اسحق : فان الصحيفة لتكتب إذ دخل ابو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمر ويوسف في قيوده ، وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه ، فحبسه ابوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود ، فحين سمع بأن النبي ﷺ وأصحابه بالحديبية ، احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكّب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ، ففرح به المسلمون وتلقوه ، فقام سهيل بن عمرو الى ابنه ابي جندل حين رآه فضرب وجهه ضرباً شديداً حتى رقّ عليه المسلمون وبكوا وتلببه اي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه نحره . وقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك اي اول شيء أحاكمك عليه أن ترده إليّ فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته . فقال سهيل : والله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً فقال له النبي ﷺ : فأجزه لي . قال : ما أنا بمجيز ذلك . قال : بلى ، فافعل . قال : ما أنا بفاعل . فقال مكرز وحويطب : بلى ، قد أجزنا ذلك . فأخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفا اباه عنه فأبى سهيل بن عمرو إجازتهما وقيل : إنما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه ، فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي ﷺ فانه قال ذلك نفاقاً وفي باطنه خلافه . قال ابن إسحق : ثم قال سهيل : يا محمد ، قد لجت القضية اي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش ، فلما رأى ابو جندل أباه مصمماً على أخذه قال : أي معشر المسلمين أردّ الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً .

وفي رواية : جعل ابو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أردّ الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك ما بهم فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر ، وقد تم الصلح قبل أن تأتي . وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى جنب أبي جندل يقول له : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم الكلب ويدنى له السيف . قال عمر رضي الله عنه : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول : ان الرجل يقتل أباه والله أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله ، فقال له أبو

جندل : مالك لا تقتله أنت ؟ فقال عمر : نهانا رسول الله ﷺ عن قتله وقتل غيره . فقال ابو جندل : ما أنت أحق بطاعة رسول الله ﷺ مني ، ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لأبيه لكونه أراد أن يفتنه عن دينه وإن قال له رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب ، ثم رجع ابو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه ، وسيأتي في آخر القصة ان ابا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين ، وانهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبي ﷺ تسأله بالأرحام أن يأويهم عنده ـ كما سيأتي ـ ثم إن سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديماً سراً وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدراً خرج من بينهم ودخل في اصحاب النبي ﷺ وشهد بدراً والمشاهد كلها ، وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشاً أرسلت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ، وقد وقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمناً للصلح الذي وقع بينه ﷺ وبين سهيل بن عمرو ، فحبست قريش عثمان رضي الله عنه فحبس ﷺ سهيلاً .

قال الحلبي : ولا يخفى ما فيه ، ولما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح أشهد عليه رجالاً من المسلمين وهم : ابو بكر وعمرو وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ، ومن المشركين : حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح إلا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبي ﷺ ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لا سيما عمر رضي الله عنه فانه أتى النبي ﷺ وراجعه كثيراً . كما تقدم ـ ومن مراجعته انه قال له : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى ، قال : فلم نعطِ الدنية اي الحالة الدنية الخسيسة في ديننا إذاً ونرجع ولم يحكم الله بيننا . فقال له النبي ﷺ : اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري . قلت : وليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به أي للرؤيا التي رآها ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه هذا العام ؟ قال : لا . قال ﷺ : فانك آتيه ومطوّف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، لأنه كان ﷺ اخبرهم بأنه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ، ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر

عظيم حتى كادوا يهلكون ، وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه : لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي ﷺ مراجعة ما راجعته مثلها قط ، حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : الا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ يقول ما يقول ؟ تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم ، فجعلت أتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم .

وروى البزار عن عمر رضي الله عنه : اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي وما ألوت عن الحق فرضي ﷺ وأبيت ، حتى قال : يا عمر ، تراني رضيت وتأبى . وفي رواية . قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء ابا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : فلم نعطِ الدنية في ديننا إذاً ، فقال أبو بكر : أيها الرجل انه رسول الله ، وليس يعصى ربه ، فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه ، فوالله انه على الحق . قال : قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنا نأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فانك آتيه ومطوّف به . فأجابه بمثل ماأجابه النبي ﷺ ، ثم إن هذه الرواية مصرحة بان إتيانه لأبي بكر كان بعد إتيانه للنبي ﷺ . وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل إتيانه ﷺ ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لأبي بكر وراجعه قبل وبعد ، ودل جواب ابي بكر الموافق لجواب النبي ﷺ ، على أن ابا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علماً ، وأعرفهم باحوال النبي ﷺ ، وأعلمهم بأمور الدين ، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى ، فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله ، وبارع علمه ، وزيادة عرفانه ، ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره .

وقد جاء في بعض الروايات : ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور ، وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه وعنهم فلم يوافقهم ابو بكر رضي الله عنه ، بل كان قلبه على قلب رسول الله ﷺ سواء ومر . في الهجرة ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ، سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكَلّ ، ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء وبجلالة قدر أبي بكر وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحداً بعده ﷺ أو قبله غير الصديق ، وإنما سأله بعد سؤال المصطفى ﷺ لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ ، ولقوّته في نصر الدين وإذلال الكافرين . قال العلماء : لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكاً في

الدين حاشا ، رضي الله عنه .

ففي رواية ابن اسحق : أنه لما قال له إلزم غرزه فانه رسول الله قال عمر : وأنا اشهد أنه رسول الله ، بل كان سؤاله طلباً لكشف ما خفي عليه من المصلحة ، وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام ، كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين . ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى .

وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه : فعملت لذلك اعمالاً . وفي ابن اسحق : فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً . وعند الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً ، وصمت دهراً ، وإنما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الأمر ، وإن كان معذوراً في جميع ما صدر منه ، بل مأجوراً لأنه مجتهد ، وإنما توقف لنظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة . ولما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح والاشهاد ، وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب ، قامﷺ إلى هديه فنحره ، ومن جملته جمل كان لأبي جهل نجيب مهري غنمه المسلمون منه يوم بدر ، ثم صار له ﷺ . وكان يضرب في لقاحه ﷺ . وفي رأسه برة أي حلقه من فضة وقيل : من ذهب ، وإنما أدخلهﷺ في الهدي : ليكون في ذبحه إغاظة للمشركين . وكان قد فر هذاالجمل من الحديبة ودخل مكة وإنتهى الى دار أبي جهل ، وخرج في أثره عمرو بن عنمة الأنصاري فأبى سفهاء مكة أن يعطوه ، حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب فقال رسول الله ﷺ : لولا أنا سميناه في الهدى فعلنا وفي لفظ : قال لهم سهيل بن عمرو : إن تريدوه فأعرضوا على محمد مائة من الإبل فإن قبلها فإمسكوا هذا الجمل وإلا فلا تتعرضوا له ، فعرضوا ذلك عليهﷺ فأبى وقال : لو لم يكن هذا الجمل للهدي لقبلت المائة ، فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدي على الفقراء الذين حضروا الحديبية .

وفي رواية : أنهﷺ بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم . وفي رواية أمهﷺ بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات ، فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت : ما شأنك يا رسول الله ؟ فذكر لها ما لقي من الناس . وقال لها : هلك المسلمون ، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا . وفي لفظ : قال عجباً يا أم سلمة ألا ترين إلى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ؟ قلت لهم : انحروا واحلقوا وحلوا مراراً فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي فقالت : يا

رسـول الله لا تلمهـم فانهـم قد دخلهـم أمـر عظيم ممـا أدخلـت على نفسـك من المشقـة في أمـر الصلـح ورجوعهـم بغـير فتـح . ثم أشـارت اليه أن يخـرج ولا يكلم أحداً منهـم وينحـر بدنـه ويحلـق رأسـه ، ففعـل ذلك أي أخـذ الحربـة وقصـد هديه وأهـوى بالحربـة الى البدنـة رافعـاً صوتـه بسـم الله والله أكبـر ، ثم دخـل قبـة له من أدم ودعا بخراش الخزاعي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة ، فأخذه الناس وتحاصوه ، وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منها ، فكانت تغسله للمـريض وتسـقيه فيبـرأ وكانت بدنهﷺ التي نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قامـوا ونحـروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً للازدحام وإرادة التعجيل اقتداء بهﷺ ، وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهي في الحرم في قول مالك رضي الله عنه وبعضها في الحل ، وبعضها في الحرم في قول الشافعي رضي الله عنه .

وفي رواية أن النبيﷺ أمر بالهدى فساقه المسلمون إلى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فأمرﷺ بنحره . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت : حنت كما تحن الى أولادها ، فنحرﷺ بدنه حيث حبسوه وهي الحديبية ، والمراد نحر أكثره ، فلا ينافي ما رواه ابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال : بعث رسول اللهﷺ من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم ، وبعث الله ريحاً فحملت شعورهم فألقتها في الحرم جبراً لهم في صدهم عن البيت ، فإستبشروا بقبول عمرتهم .

قال الزرقاني : ولعل المراد غير شعرهﷺ أي لأنه اخـذه المسلمـون ـ كما تقـدم ـ ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقية في الحرم ، وحلق رجـال وقصر آخـرون فقالﷺ : يرحم الله المحلقين . قالوا : والمقصرين ، قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين ، قال : والمقصرين وفي رواية : وقال في الرابعة والمقصرين ، وإنمـا توقف الصحابة رضي الله عنهم بعد الأمر لاحتمال أنه للندب ، او لرجاء نزول الوحي بإبطـال الصلح او تخصيصه بمن أذن لهم في دخول مكة ذلك العام لإتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لأنه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم ، فإستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم ، مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة ، أو لأن الامر المطلق لا يقتضي الفوز . ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم أو فهموا انهﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم ، وأنه هو يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه فأشارت اليه أم سلمة بالتحلل ، لينتفي هذا الاحتمال ففعله ، فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به ، إذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره

لهم بالفطر في رمضان ، فأبوا حتى شرب فشربوا وفي سؤاله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها ، حتى قال إمام الحرمين : لا نعلم إمرأة أشارت برأي فاصابت إلا أم سلمة .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أي حين قالت : يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين . وفي قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين أذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ الآية . وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال : قال لنا النبي ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض .

وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية . وروى أحمد باسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما كنا بالحديبية قال ﷺ : لا توقدوا ناراً بليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم . وفي مسلم : أنه ﷺ قال : لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة . وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر ، وأجيب بان هذه البيعة إنما كانت لأجله لما أشاعوا موته وغيبته ، إنما هي لامتثاله أمر الله ورسوله ، وبايع عنه رسول الله ﷺ فقال : هذه عن عثمان وضرب بيده على الأخرى ، ولما رجع بايع - كما تقدم - فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأن عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبي ﷺ لأجل تمريض ابنته رقية رضي الله عنها ، وقد عده ﷺ من أهل بدر ، وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين ، فاخراج . غلط ظاهر . ودل قوله : لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة ، وأما قولهم العشرة المبشّرون بالجنة ، فالمراد انهم ذكروا باسمائهم في حديث واحد حيث قال : أبو بكر في الجنة الى آخرهم . قال ابن عبد البر : ليس في الغزوات ما يعدل بدراً او يقرب منها إلا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان .

قال الزرقاني : لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل ، وكانت إقامته ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً وقيل : عشرين يوماً . وقال بعضهم : كانت مدة غزوته هذه كلها شهراً ونصفاً . ثم رجع ﷺ الى المدينة وفي نفوس

أصحابه رضي الله عنهم شيء من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكوّن فيه . فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم . وقال ابن اسحق : نزلت وهو بضجنان ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف ـ جبل على بريد من مكة .

وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : لقد أنزلت علي سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ :﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ واختلف الناس في المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم : الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح .قال الحافظ ابن حجر :ان الفتح في اللغة فتح المغلق ، والصلح كان مغلقاً حتى فتح الله وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت ، فكانت الصورة الظاهرية ضيماً للمسلمين والباطنة عزاً لهم . فان الناس للأمن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه ، فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً اي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم ، وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها ، وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه ، وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفي . وقيل : المعنى قضينا لك قضاء بيناً على أهل مكة ان تدخلها انت وأصحابك قابلاً من الفتاحة وهي الحكومة .

وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال : تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر : يعني بالفتح قوله تعالى ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ وقد وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق انه يختلف باختلاف المراد من الآيات ، فالمراد بقوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الأمن ورفع الحرب ، وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منهما ، وتتابع الامر الى ان كمل الفتح اي بفتح مكة وأما قوله تعالى ﴿ وأنا بهم فتحاً قريباً ﴾ فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ .

وروى الامام احمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصاري الأوسي

رضي الله عنه قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وهو موضع امام عسفان ، وقد جمع الناس وقرأ عليهم ، انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، فقال رجل : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال أي والذي نفسي بيده أنه لفتح ، وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال : نهنيك يا رسول الله ، فلما هنأه جبريل هناه الناس وروى موسى ابن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال : اقبل النبي ﷺ : راجعاً فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصدَّ هدينا ورد ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه ، فبلغه ﷺ قول ذلك الرجل فقال : بئس الكلام ، بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون ان يدفعكم بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم في الأمان ، ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو اعظم الفتوح ، انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وأنا ادعوكم في أخراكم انسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون : صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبي الله ، ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت اعلم بالله وأمره منا .

وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال : لم يكن في الاسلام فتح قبله اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وامن الناس بعضهم بعضاًوالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، لم يكلم احد ذو عقل في تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك او اكثر ، ويدل عليه انه ﷺ خرج في الحديبية في الف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف ، ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله افواجاً ، فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحاً اذ مقدمة الظهور ظهور ، وجاء أنهم في مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا اي أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع ، وفي الناس ظهر أي ابل فانحره لنأكل من لحمه ولنذهن من شحمه ولنحتذي من جلوده ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يا رسول الله ،لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر امثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غداً جياعاً رجالاً ؟ ولكن ان رأيت ان تدعو الناس الى ان يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعولهم

فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك . فقال رسول الله ﷺ ، ابسطوا انطاعكم وعباءكم ففعلوا ، ثم قال : من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ، ودعا لهم ثم قال : قربوا أوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وملأوا اوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا ، وبقي مثله .

وفي مسلم خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا ان ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبي ﷺ فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز اي كقدر العنز وهي رابضة اي باركة ، وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربا ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله عبده مؤمن بهما الا حجب من النار . وقال ﷺ لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به ؟ فجاء رجل بأدواة وهي الركوة فيها نطفة من ماء أي قليل من ماء ، وقيل للماء اليسير نطفة لأنه ينطف اي يصب ، فأفرغها في قدح ووضع راحته الشريفة ﷺ في ذلك الماء فتوضأنا كلنا أي الاربعة عشرة مائة ند عفقة دغفقة اي نصبه صباً شديداً . وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون ﴾ انه ﷺ رأى وهو بالحديبية ان يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فاخبرهم بذلك فلما صدّوا قالوا له اين رؤياك يا رسول الله ؟ فانزل الله ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ . الآية

قال الحلبي في السيرة : ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه ﷺ لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم ، فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال : ادعو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : هذا الذي قلت لكم . ولما كان في حجة الوداع ووقف بعرفة قال : هذا الذي قلت لكم ، فان قيل انه لم يذكر في الرؤيا انه اخذ المفتاح ولا ان يقف بعرفه اجيب بانه يجوز ان يكون اخبر بذلك بعد الرؤيا او ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله اعلم . والشجرة التي كانت البيعة عندها بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته ان ناساً يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضي الله عنه من اتساع الأمر وظهور البدعة وان تعبد كالأصنام ، فأمر بها فقطعت ولما قدم ﷺ المدينة هاجرت اليه ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط رضي الله عنها ، وكانت اسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر ﷺ ثم خرجت في مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة ، وصحبت

رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة وهي اخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه ، لأن ام عثمان رضي الله عنه تزوجها بعد ابي عثمان عقبة بن ابي معيط ، فولدت له الوليد بن عقبة وام كلثوم بنت عقبة . وذكر بعضهم : انها اول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على ام سلمة رضي الله عنها واعلمتها انها جاءت مهاجرة ، وتخوفت ان يردّها رسول الله ﷺ عملاً بالشرط فلما دخل رسول الله ﷺ على ام سلمة رضي الله عنها . اعلمته فرحب بام كلثوم ، فخرج اخواها عمارة الوليد في ردها بالعهد فقالا يا محمد اوف لنا بما عاهدتنا عليه ، فقالت : يا رسول الله انا امرأة وحال النساء الضعف افتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي ؟ فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط في الرجل فقط ، وان النساء يمتحن قال الله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ الآية فأبى ﷺ ان يرجعها اليهم ، وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت إلا الله ورسوله .

وفي رواية : كانت المرأة إذا جاءت من حلفها عمر بالله أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين ، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ﷺ فإذا حلفت لم ترد ويرد صداقها إلى بعلها . فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشاً بذلك فرضوا بذلك ، ولم يكن لأم كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد بن حارثـة رضي الله عنـه ، فكان ﷺ في مدّة الصلح يرد الرجال ولا يردّ النساء بعد امتحانهن ، وممن جاء من الرجال الى النبي ﷺ أبو بصير ، وكان مسلماً بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب في رده : أزهر بن عبد عوف . وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه كتابا وبعناية رجلاًمن بني عامر يقال لهخنيس ومعه مولى يهديه الطريق ، فقدما على رسول الله ﷺ بالكتاب فقرأه أبي بن كعب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فإذا فيه : فقد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق الى قومك ، فقال : يا رسول الله ، أتردّني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟ قال : يا ابا بصير ، انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلـق معهما وصـار

المسلمون يقولون له : الرجل يكون خيراً من ألف رجل ، يريدون بذلك إغراءه على من معه حتى إذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال ابو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه : اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر ؟ فقال : نعم ، انظر اليه إن شئت ، فاستله العامري ثم هزه وقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً الى الليل . فقال له ابو بصير ، ناولنيه انظر اليه ، فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعني مات ، ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ والحصى يطنّ تحت قدميه . وفي لفظ يطير من تحت قدميه من شدّة عدوه وأبو بصير في أثره قد اعجزه ، فقال ﷺ : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً . وفي رواية : ذعراً .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد قال له : ويحك مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي وافلت منه ولم اكذب اني لمقتول : واستغاث برسول الله ﷺ فأمنه فإذا أبو بصير اناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحاً السيف ، وقال لرسول الله ﷺ ، وقت ذمتك وادّي الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه ، فقال : اذهب حيث شئت . فقال : يا رسول الله ، هذا اسلب العامري الذي قتلته رحله وسيفه ، فخمسه فقال رسول الله ﷺ : إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم ، عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك . وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذوو الميرة ، واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ، فكانوا يتسللون اليه . وانفلت ابو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده ﷺ يوم الحديبية ، وخرج من مكة في سبعين راكباً أسلموا فلحقوا بأبي بصير ، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في مدّة الهدنة خوفاً من ان يردهم إلى أهلهم ، وانضم إليهم ناس من غفار واسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، فقطعوا مارّة قريش لا يظفرون باحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا أخذوها ، حتى كتبت قريش له ﷺ تسأله بالأرحام إلا آواهم ولا ساجة لهم بهم .

وفي رواية : أن قريشاً أرسلت ابا سفيان بن حرب في ذلك ، وان قريشاً اسقطت هذا الشرط وقالت : إن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره . فكتب رسول الله ﷺ الى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم : فقدم كتاب رسول الله ﷺ

عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات ، وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً ، وقدم ابو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وأمنت قريش على عيرهم ، وتحقق قول النبي ﷺ : سيجعل الله لأبي جندل وأصحابه فرجاً ومخرجاً . وعلم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم لدين صعب عليهم رد أبي جندل الى قريش مع وسهيل بن عمرو وأن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه ، وأن رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان المصالحة كانت أولى لهم ـ كما تقدم بيان ذلك ـ والله سبحانه وتعالى أعلم .

غـزوة خيـبَر

بوزن جعفر وهي مدينة كبيرة من حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام . قال ابن إسحق : أقامﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرجﷺ في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع . وقال ابن عقبة عن الزهري . أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها . وقيل : عشر ليالٍ وقيل : خمسة عشر يوماً . وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى أن فتحها في صفر ، وقيل : انها كانت سنة ست وهو منقول عن الإمام مالك ، وبه جزم ابن حزم . لكن قال الحافظ ابن حجر : الراجح ما ذكره ابن إسحق وهو قول الجمهور ، واستعملﷺ على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي ، وقيل : سباع بن عرفطة ، ويمكن الجمع بانه استخلف أحدهما اولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر ، وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ، ومائتا فارس ، وقد استنفرﷺ من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه . وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال : لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيئاً . ثم أمر منادياً ينادي بذلك . قال أنس رضي الله عنه : قال رسول اللهﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه وهو زوج أم أنس رضي الله عنها حين اراد الخروج الى خيبر : التمسوا لي غلاماً من غلمانكم يخدمني ، فخرج ابو طلحة مرد في وانا غلام وقد راهقت ، فكان رسول اللهﷺ إذا نزل خدمته ، فسمعته كثيراً ما يقول : اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال . .

قال الحلبي : وهذاالسياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومهﷺ المدينة جاءت به أمه وقالت : هذا ابني وهو غلام كيّس ، وكان عمره

عشر سنين ، وقيل : تسع سنين . وقيل : ثمان سنين . ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : جاءت بي أمي الى رسول الله ﷺ ، وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت : يا رسول الله ، هذا انيس ابني اتيتك به ليخدمك فادع الله له . فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، وعند غيره مسلم : وأطل عمره وأدخله الجنة . وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون ﷺ إنما قال لأبي طلحة ما ذكر ، رجاء ان يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه ، وكان الله قد وعد رسوله ﷺ عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى : ﴿ وعدك الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ أي مغانم خيبر ، وخرج معه من نسائه ام سلمة رضي الله عنها . وقال ﷺ في مسيره لعامر بن الأكوع ثم سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما : انزل فحدثنا من هنيهاتك اي من أراجيزك وأشعارك . وفي لفظ : انزل حرك بنا الركاب ، وكان يحد وحداء حسنا . وفي رواية : وكان عامر رجلاً شاعراً فقال : يا رسول الله ، تركت قول الشعر . فقال له عمر رضي الله عنه : اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا والقين سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا أنا إذ اصيح بنا أتينا
وبالصياح عوّلوا علينا ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وعند إنشاده الأبيات المذكورة قال له رسول الله ﷺ : يرحمك ربك . وفي رواية : غفر لك ربك وما قال ﷺ ذلك لأحد في مثل هذا الموطن إلا استشهد . فقال عمر رضي الله عنه : وجبت أي الشهادة يا رسول الله هلا امتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر ؟ فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فإنه أراد ان يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك فقال الناس : قتله سلاحه . وفي رواية قتل نفسه ، أي فليس يشهد : فقال رسول الله ﷺ : أنه لشهيد . وفي رواية : قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : يا رسول الله ، فداك أبي وأمي ، زعموا أن عامراً حبط عمله . وفي لفظ : يزعم اسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامراً حبط عمله .

إذ قتل بسيفه فقال رسول الله ﷺ : كذب من قال ذلك أي اخطأ في قوله ، وإن له أجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد ، والجاهد الجاد في أمره ، فلما قام به وصفان كان له اجران .

وفي البخاري عن انس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أتى خيبر ليلاً أي قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ، ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال ، وكان ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم أي لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر ، فان سمع أذاناً كف عنهم وإلا أغار عليهم . فلما أتى خيبراً أصبح ولم يسمعه إذاناً فركب . وفي رواية لابن اسحق : أنه ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه : قفوا . ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله . وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها ، فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم .

وحكى الواقدي : أن اهل خيبر سمعوا بقصده ﷺ لهم ، فكانوا يخرجون في كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون : محمد يغزونا هيهات هيهات ، حتى إذا كان الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ، ولم يصح لهم ديك ، حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحي طالبين مزارعهم ، فوجدوا المسلمين ، فلما رأوهم قالوا : محمد والله والخميس أي جاء محمداً وهذا محمد والله والخميس اي الجيش . فقال النبي ﷺ : الله اكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، قالها ثلاثاً وفي التنزيل : إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ، والثلاثة مبدأ لكثرة ، وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ودفع راية اسعد بن عبادة رضي الله عنه . وذكر ابن اسحق انه ﷺ نزل بوادٍ يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان ، لئلا يمدّوهم وكانوا حلفاءهم ، وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حساً خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم في ذراريهم ، فرجعوا واقاموا وخذلوا أهل خيبر اي تركوهم . وجاء انه ﷺ لما توجه الى خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا اصواتهم بالتكبير يقولون :الله اكبر لا إله إلا الله . فقال ﷺ : اربعوا على أنفسكم اي ارفقوا بانفسكم لا تبالغون في رفع اصواتكم ، انكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم .

وجاء ان عبد الله بن أبيّ بن سلول أرسل الى يهود خيبر يقول لهم : إن محمداً سائر اليكم فخذوا حذركم ، وأدخلوا اموالكم الى حصونكم ، واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ، إن عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون ، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل ، وانما قال ﷺ : الله اكبر خربت خيبر لأنه لما رأى آلة الهدم وهي المساحي والمكاتل تفاءل بأن حصونهم ستخرب ، ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحي وهو الأصح ، وكان يهود خيبرا دخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة ، وكان النبي ﷺ نزل قريباً من حصون النطاة ، فجاءه الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أن تترك منزلك هذا ، فان كان عن امر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان هو الرأي تكلمنا ، فقال رسول الله ﷺ هو الرأي فقال : يا رسول الله ، إن أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمر النخل اي النخل المجتمع بعضه على بعض ، تحوّل يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : أشرت بالرأي اذا أمسينا إن شاء الله تحوّلنا . ودعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فقال : انظر لنا منزلاً بعيداً ، فطاف محمد وقال : يا رسول الله ، وجدت لك منزلاً فقال ﷺ : على بركة الله ، وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول . وفي لفظ : إن راحلته قامت تجرّ بزمامها فأدركت لترد ، فقال : دعوها فانها مأمورة ، فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها ، فتحول رسول الله ﷺ الى الصخرة وتحول الناس اليها ، واتخذوا ذلك الموضع معسكراً ، وكان ذلك الموضع حائلاً بين أهل خيبر وغطفان ، وابتنى هنالك مسجداً صلى به طول مقامه بخيبر ، وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ، ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها .

وقاتل ﷺ يومه ذلك اشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر ، وهو على فرس يقال له الظرب وفي يده قناة وترس ، وما قيل انه ﷺ ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته أكاف من ليف ، فلعله كان في الطريق ، أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل ، وهو ﷺ يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ، وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ناشر ، فكشف الأنصار حتى انتهى الى رسول الله ﷺ في موقفه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وامسى مهموماً . وفي

ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ، ألقاها عليه مرحب اليهودي وقيل : كنانة بن الربيع اليهودي ، ويحتمل أنهما اجتمعا في ذلك . وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح ، وكان الحر شديداً فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى ، فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه ، فأدركه المسلمون فأتوا به النبي ﷺ فسوّى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة . فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة . فقال ﷺ : لا تتمنوا لقاء العدوّ ، وأسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به ، فإذا لقيتموهم فقولوا : اللهم أنت ربنا وربهم وتواصينا وتواصيهم بيدك ، وإنما يقتلهم أنت . ثم الزموا الأرض جلوساً فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا .

ومكث ﷺ سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة ، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإذا أمسى رجع الى ذلك المحل ، ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جروحه ، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل ، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه ، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل ، فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه ، فقال : اذهب الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه ،وانتهى به الى باب رسول الله ﷺ فوجده يصلي، فسمع رسول الله ﷺ كلام عمر رضي الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله ﷺ لليهودي : ما وراءك ؟ قال : تؤمني يا أبا القاسم ؟ قال نعم . خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة . قال : فأين يذهبون ؟ قال : الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤون للقتال ، والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافي ما تقدم ، أنهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وأخبره ان في هذا الحصن يعني حصن الصعب من حصون النطاة ، في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً ، فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله .قال رسول الله ﷺ: إن شاء الله قال اليهودي: إن شاء الله اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري ، وأخرى قيل : وما هي ؟ قال : ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فنفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة . ثم قال : يا أبا القاسم ، احتقن دمي . قال : أنت آمن . قال : ولي

زوجه فهبها لي . قال : هي لك . ثم دعاه الى الإسلام فقال : انظرني وكانﷺ تأخذه الشقيقة في بعض تلك الأيام ، فيبعث أناساً من أصحابه فلم يكن فتح ، ثم قالﷺ لمحمد ابن مسلمة رضي الله عنه : لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يديه ، فيمكنه الله من قاتل أخيك . وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبيﷺ الا ورجا أن يعطاها .

وفي رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : ما احببت الامارة إلا ذلك اليوم . ويروى ان علياً رضي الله عنه لما بلغه مقالتهﷺ قال : اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، فبعثﷺ الى علي رضي الله عنه وكان أرمد شديد الرمد ، وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم ، فقيل للنبيﷺ : انه يشتكي عينيه . فقال : من يأتيني به ؟ فذهب اليه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وأخذه بيده يقوده حتى أتى به النبيﷺ ، وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الأبيض . قال ابن إسحق : لم تكن الرايات إلا يوم خيبر ، فإنهﷺ فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم ، وإنما كانت الألوية وكانت راية رسول الله ﷺ سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها .

وفي سيرة الحافظ الدمياطي : وكانت له راية سوداء . وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الأسود ، ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ، ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات . كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله أي بالسواد ، فلا تنافي بين الروايات . فقال علي يا رسول الله إني أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجرهﷺ ثم بصقﷺ في عينيه . وفي رواية : فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع . وقال علي رضي الله عنه : فما رمدت بعد يومئذ ، وفي رواية : فما رمدت ولا صدعت . وفي لفظ : فما اشتكيتهما حتى الساعة .

وفي هذا السياق لطيفة ، وهو أن من طلب شيئاً او تعرض لطلبه يحرمه غالباً وأن من لم يطلب الشيء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه ، وقد أشار الى ذلكﷺ بقوله : رحم الله أخي يوسف لو لم يقل إجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ، ولكن لأجل

سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه ، وامر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، وضرب له عليه كلمة من استبرق وفوّض اليه امر مصر ، وقد قيل : لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع إلا على رأس من لا يريدها . ثم دعا النبيﷺ لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله : اللهم اكفه الحر والبرد . قال علي رضي الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حراً ولا برداً فكان رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين . وفي لفظ : الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد ، وكان يفعل ذلك إظهاراً لهذه المعجزة وتحقيقاً لها . وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال : دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة اي قطيفة خلقة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا ؟ فقال : والله لا أرزأكم من مالكم فانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة ، وقد يقال : لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك الحمى أصابته في ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل ، وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد علي رضي الله عنه ببركة ريق النبي ﷺ بقوله :

وعلي لما تفلت بعينيه وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظراً بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبيﷺ اعطى علياً رضي الله عنه الراية ليذهب للقتال : فقال علي رضي الله عنه : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : انفد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الإسلام ، فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

وفي رواية : قال علي كرم الله وجهه : علام أقاتلهم ؟ قال علي : أن يشهدوا أن لا إلّه إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم ، وفي رواية : لما أعطاهم الراية قال له : امش ولا تلتفت فسار شيئاً ثم وقف ، ولم يلتفت فصرخ : يا رسول الله علام أقاتلهم ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : لما تهيأ علي رضي الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله ﷺ : يا علي ، والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك ، هذا جبريل عن يمينك بيده

سيف لو ضرب به الجبال لقطعها ، فأبشر بالرضوان والجنة يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم . وفي رواية : انهﷺ كان يعطي الراية كل يوم واحداً من أصحابه ويبعثه ، فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل حتى رجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح . فقال عليه الصلاة والسلام : لأعطين الراية أي اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرّار ، فدعا علياً رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، ودعا له ومن معه بالنصر .

وفي رواية : ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ،ووجهه الى الحصن ، فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن ، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب . قال اليهودي : علوتهم والتوراة التي انزل الله على موسى ، ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث اخو مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه ، وانهزم اليهود الى الحصن . ثم خرج اليه مرحب . وفي روياة ان مرحبا لما علم أن أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن ، وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ، ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروف أقبلت تلهب

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول :

أنا الذي سمتن أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره
أكليكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على علي رضي اللهعنه وضربه فطرح ترسه من يده ، فتناول علي

رضي الله عنه باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ، ثم ألقاه من يده وراء ظهره ، وكان طول الباب ثمانين شبراً ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلاً الا بعد جهد ، ففيه دلالة على فرط قوة علي وكمال شجاعته رضي‌الله عنه. وعن أبي رافع رضي‌الله عنه : لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر ، رواه ابن اسحق والبيهقي والحاكم . وعن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنهم : ان علياً رضي الله عنه حمل الباب يوم خيبر ، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً ، رواه البيهقي . وفي رواية للبيهقي : ان علياً رضي الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب احد ابوابه فالقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً فكان جهدهم ان أعادوا الباب مكانه ، وهذا لا يعارض رواية أربعين لأنهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين : وأما الرواية السابقة التي فيها : لقد رأيتني في سبعة فقال الحافظ ابن حجر : الجمع بينها وبين رواية الأربعين ان السبعة عالجوا قلبه ، والأربعين عالجوا حمله ، والفرق بين الأمرين ظاهر ولو لم يكن إلا باختلاف حال الأبطال . ثم ان علياً رضي الله عنه ضرب مرحباً فتترس فوقع السيف على الترس ، فقدّه وشق المغفر الحجر الذي تحته والعمامتين ، وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس ، والى ذلك اشار بعضهم وقد اجاد بقوله :

وشادن أبصرته مقبلاً فقلت من وجدي به مرحبا
قدّ فؤادي في الهوى قدّة قدّ علي في الوغي مرحبا

وما ذكر من قتل علي رضي الله عنه لمرحب هو الصحيح المروي في صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير : ان الذي قتل مرحباً محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال : ان مرّحباً طلب المبارزة ، فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، فإن أخي قتل بالأمس ولم يأخذ أحد بثاره ، وكان الذي قتله مرحب ، فقال : قم اليه ، اللهم أعنه عليه ، فقام اليه وبارزه فضربه مرحب ، فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها ، فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله . وفي رواية : فضربه في ساقه ، فيحتمل انه بارزه وضربه في ساقه وعلي رضي الله عنه الذي قتله . وقل ان الذي قتله محمد بن مسلمة إنما هو الحرث أخو

مرحب ، فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوباً على سيف مرحب : هذا سيف مرحب من يصبه يعطب . وقول عليّ رضي الله عنه :

أنا الذي سمتن أمي حيدره

أراد بذلك إعلام مرحب برؤية رآها علمها علي رضي الله عنه مكاشفة ، وذلك ان مرحباً رأى تلك الليلة مناماً ، أن أسداً افترسه فأشار بقوله حيدرة ، وهو من أسماء الأسد الى انه الأسد الذي يفترسه . فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه . وهذا الاسم سمت علياً به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أرادت أن يكون اسم ابنها كأسم ابيها ، وكان أبو طالب غائباً . فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه علياً . وقيل : أن علياً كان يلقب بحيدرة وهو صغير ، والحيدرة الغليظ القوي ، فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئاً لحماً . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطل مغادر

وكان أيضاً من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم ، وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، انه يقتل ابني ؟ فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله تعالى فقتله الزبير ، وعند ذلك قال له رسول الله ﷺ : فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواري الزبير .

وذكر الزمخشري : أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة . قال : انه يعني الزبير أول من استحق السلب ، وكان ذلك في بني قريظة برز رجل . من العدو فقال رجل ورجل . فقال النبي ﷺ : قم يا زبير فقالت أمه صفية رضي الله عنها : واحدي يا رسول الله ، فقال ﷺ : أيهما علا صاحبه قتله . فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله ، فنقله رسول الله ﷺ سلبه . وقال : السلب للقاتل هذا كلامه .

قال الحلبي : فليتأمل فاني لم أقف في كلام احد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة . وفي رواية : ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ، ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أي من أنهما اشتركا في ذلك . وكان من جملة قتلى المسلمين الأسود الراعي كان أجبر

الرجل من اليهود يرعى له غنماً ، وكان عبداً حبشياً يسمى أسلم ، وقيل : يسار فجاء الى النبي ﷺ وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله أعرض علي الاسلام فعرضه عليه فأسلم . وفي رواية : قال : أن أسلمت ماذا لي ؟ قال : الجنة . فأسلم ، فلما أسلم قال : يا رسول الله إني أنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها . وفي رواية انها امانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك . قال : اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها . فقام الأسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال : ارجعي الى صاحبك ، فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر . وفي رواية : سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة ، فأتى به الى رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله : لَمْ أعرضت عنه ؟ قال : ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان : ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك . زاد في لفظ : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير ، وقد كان الإسلام من نفسه حقاً ، ثم إن الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم ، وهو أول حصن من حصون النطاة على يد عليّ أبي طالب رضي الله عنه . وعن يزيد بن ابي عبيد قال : رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فقلت : ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر . فقال الناس : أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة ، رواه البخاري .

وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال في رجل ممن يدعى الإسلام : إنه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال حتى كثرت به الجراح ، فكاد بعض الناس يرتاب أي يشك في قوله ﷺ : انه من أهل النار ، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته ، فاستخرج منها سهماً فنحر نفسه . فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعي فقال : يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال ﷺ : قم فأذن في الناس إنَّه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : أنه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكر ومال الآخرون الى عسكرهم ، وفي أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فادة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقيل : ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى فلان . فقال ﷺ : أما أنه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنا صاحبه . فخرج

معه كلما وقف وقف معه ، ! وإذا أسرع أسرعه معه ، فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل الى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ قال الرجل الذي ذكرت آنفاً : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك . فقلت : أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها ، وإنما الأعمال بالخواتيم . وقوله ﷺ في هذا الرجل : انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق في قلبه ، أطلع الله نبيه ﷺ عليه ، أو لأنه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه .

قال العلماء : هذا الرجل أعلمنا النبي ﷺ انه نفذ عليه الوعيد بالنار ، ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضي عليه بالنار ، بل يحتمل أن هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك في الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافراً . ويؤيده قوله ﷺ : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة . وجاء في رواية : إن الذي نادى بلال ، وفي أخرى عمر بن الخطاب ، وفي اخرى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

قال الحافظ ابن حجر : يجمع بأنهم نادوا جميعاً في جهات مختلفة ، ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبي هريرة وسهل بن سعد رضي الله عنهما في بعض الألفاظ فقيل : ان القصة متعددة في موطنين لرجلين مختلفين وقيل : انهما قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة ، وسيأتي أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يحضر قتال خيبر ، إنما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود ، والمسلمون يفتحون حصونهم حصناً بعد حصن حتى أتموها . وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً وقيل : أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصناً حصناً وهي النطاة بوزن حصاة ، وحصن الصعب ، وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار في سهمه بعد ، وكان في قلة جبل والشق والقموص وحصن البري وحصن أبي والوطيح والسلالم ، وهو حصن ابن أبي الحقيق . وأخذ ﷺ كنز آل أبي الحقيق الذي كان

في مسك أي جلد حمار ، فلما كثر جعلوه في مسك ثور ، فلما كثر جعلوه في مسك جمل ، وكانوا قد غيبوه في خربة ، فدل الله رسولهﷺ فأخبر بموضعه . وكان من مال بني النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلي عن المدينة .

روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن أهل خيبر شرطوا لهﷺ أن لا يكتموه شيئاً فان فعلوا فلا ذمة لهم ، فأتى بكنانة والربيع فقال لهما : ما فعل حيي الذي جاء به من النضير ، قالا : أذهبته الحروب والنفقات . فقال : العهد قريب والمال أكثر . وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما : انهﷺ أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال : أين آنيتكم التي كنتم تعيرونها أهل مكة ؟ قالوا : هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شيء فقال : إن كتمتماني شيئاً فأطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما . فقالا : نعم . فدعا رجلاً من الأنصار فقال : اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها ، فجاءه بالآنية والأموال فقوّمت بعشرة آلاف دينار ، فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه . وفي رواية : ان كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعهﷺ الى الزبير فمسه بعذاب فقال : رأيت حيياً يطوف في خربة ههنا ، ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبي الحقيق ، وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون ، وأرسلت أسلم الى رسول اللهﷺ أسماء بن حارثة وأمرته ان يقول لرسول اللهﷺ : ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون : أجهدنا الجوع ، فلامهم رجل وقال : من بين العرب تصنعون هذا ؟ فقال هند بن حارثة أخو أسماء . والله إني لارجو أن يكون البعث الى رسول اللهﷺ مفتاح الخير ، فجاءه اسماء وبلغه ما قالت أسلم ، فدعا لهم أي قال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوّة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه . وقال : اللهم افتح أكثر الحصون طعاماً وودكاً .

ودفع اللواء للحباب بن المندر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم ، بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاماً منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع ، وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل ، وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزاً ، فخرج له الحباب ، فقتله الحباب . فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال : خذها

وأنا الغلام الغفاري . فقال الناس : حبط جهاده . فقال ﷺ لما بلغه ذلك : يؤجر ويحمد ، وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه ، فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحضن ﷺ المسلمين على الجهاد ، فأقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ، ثم أن المسلمين اقتحموا الحصن يقتلّون ويأسرون ، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئاً كثيراً . ونادى منادي رسول الله ﷺ : كلوا واعلفوا ولا تحملوا اي لا تخرجوا به إلى بلادكم . وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : أصبت من في خيبر أي غنيمتها جراباً فاحتملته على عنقي أريد رحلي ، فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب ابن زائد الأنصاري رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال : هلم بهذا حتى نقسمه بين المسلمين . فقلت : لا والله لا أعطيك ، فجعل يجاذبني الجراب ، فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب الغنائم : لا أبالك خلّ بينه وبينه ، فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه . وكل الحصون فتحت عنوة إلا حصن الوطيح وحصن سلالم فانها مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوماً فلم يخرج أحد منهم ، فهم ﷺ ان يحمل عليه وأن ينصب عليهم المنجنيق ، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، وأن لا يصحب أحداً منهم إلا ثوب واحد فصالحهم على ذلك . وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئاً . فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز إلا ثوباً واحداً فمن قال : ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين . ومن قال : صلحاً حمل على هذين . ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ، ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاء يهود تطلبها فأمر ﷺ بدفعها إليهم ، ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله اعطني جارية فقال : ﷺ اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي ، وكانت امرأة حسناء فتنافس ا لناس فيها ، فجاء رجل الى النبي ﷺ قال : خذ جارية من السبي غيرها ، فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الربيع بن أبي الحقيق ، زوج صفية ، وكانت صفية بنت حيي من سبط هرون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاه ﷺ لنفسه ثم اعتقها وتزوّج بها وفي المواهب وإنما أخذ ﷺ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم .

قال الحافظ ابن حجر : ولد صفية مائة نبي ، ومائة ملك ، ثم صيرها إلى نبيه ﷺ ، وليس ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسباً وجمالاً ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه ﷺ بها ، فان في ذلك رضا الجميع ، وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها فلطم وجهها وقال : إنك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها ﷺ فسألها عنه فأخبرته .

وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال : لما نزل ﷺ خيبر كانت صفية عروساً فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها ، فقصّت ذلك على زوجها فقال : ما تمنين إلا هذا الملك الذي نزل بنا ، ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولاً ثم الشمس ثانياً ، فأخبرت بالمنام الأوّل أباها وبالثاني زوجها .

وفي هذه الغزوة سمت اليهودية الشاة للنبي ﷺ وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث ، امرأة سلام بن مشكم . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر واطمأن ﷺ بعد فتحها ، أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظيم أنها مسمومة ، وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال ﷺ : لأصحابه : ارفعوا أيديكم ، ثم قال : اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ : إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال : من أبوكم ؟ فقالوا : أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم . فقال رسول الله ﷺ : كذبتم ، بل أبوكم فلان . قالوا صدقت وبررت . ثم قال : هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم ﷺ : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها زماناً يسيراً ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : اخسئوا فيها ، والله لن نخلفكم فيها أبداً . ثم قال لهم : هل أنتم صادقوني عن الشيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم قال : هل جعلتم في هذه الشاة سماً فقالوا : نعم . فقال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرّك .

وفي رواية : أرسل ﷺ الى اليهودية فقال : هل سممت هذه الشاة ؟ فقال : من

أخبرك ؟ قال : أخبرتني هذه في يدي مشيراً للذراع . قالت : نعم . قال لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت : إن كنت نبياً يطلعك الله وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك ، وقد استبان لي انك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أني على دينك وأن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفي من أصحابه الذين اكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه ، واحتجم رسول الله ﷺ عن كاهله من أجل الذي أكل من الشاة .

وفي رواية : أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل : أي اجزاء الشاة احب الى رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : لها : الذراع ، فعمدت الى شاة لها فذبحتها ، ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم ، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف . وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الأكلة بسبب ذلك السم فدفع ﷺ تلك اليهودية لأوليائه فقتلوها فيه ، وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان في بعضها أنه ﷺ لم يعاقب تلك اليهودية . وفي بعضها : أنه قتلها فيحمل على قتلها قصاصاً في بشر بن البراء ، وما كان ﷺ ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح ، وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلاً ، فتلقى النبي ﷺ جعفراً وقبّل جبهته وعانقه وقام له ، وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدي بن حاتم رضي الله عنهما . ثم قال ﷺ : ما أدري بأيهما أفرح : بفتح او خيبر أم بقدوم جعفر ؟ وقال ﷺ لجعفر رضي الله عنه : أشبهت خلقي وخلقي ، فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ﷺ رقصه ، وجعل ذلك أصلاً لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس ا لذكر والسماع ، وقدم من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وجماعة من قومه .

ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم في ثلاث او اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فالتقينا الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب فقال : ان رسول الله ﷺ بعثنا هنا وأمرنا بالإقامة فاقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهدها معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فانه قسم لهم معنا وكانت اسماء بنت عميس رضي الله عنها متزوجة بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ،

وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضي الله عنه : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم ، فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ليس بأحق بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم انتم أهل السفينة هجرتان .

وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه : انه ﷺ قال : إني لأعرف أصوات رفقة الأشعر بين القرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وقدم على النبي ﷺ في هذه الأيام أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه . قال ابو هريرة رضي الله عنه : قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس فصلينا الصبح ، خلف سباع ابن عرفطة الغفاري رضي الله عنه ، فأخبرنا ان النبي ﷺ بخيبر فزوّدنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة ، فاقمنا حتى فتح الله ، وقدم على النبي ﷺ حجاج ابن علاطٍ السلمي ، وأسلم وكان مكثراً من المال . فقال : يا رسول الله إن مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة ، فأذن لي ان آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا باسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه ، فأذن له رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لا بدّ لي ان أقول أي خلاف الواقع لاحتال على التوصل لآخذ مالي قال : قل قال : فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فإذا رجال من قريش يتشممون الأخبار ، وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعدما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير ، في ان النبي ﷺ يغلب أهل خيبر أو لا ، فقال حويطب بن عبد العزى : وجماعة بالأول . وقال عباس بن مرداس : وجماعة بالثاني . فلما جاءهم حجاج قالوا : حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا بإسلامه . ثم قالوا : يا حجاج بلغنا أن القاطع يعنون رسول الله ﷺ قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر ما يسركم فاجتمعوا علي يقولون : يا حجاج ايه ؟ فقلت : لم يلق محمداً وقالوا : قوماً يسحنون القتال غير خيبر ، فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قطوانهم اسروا محمداً قوالوا : لا نقتله حتى نبعث به ، الى مكة فنقتله بين أظهرهم . وفي لفظ : يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لأهل مكة : قد جاءكم الخبر ، هذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ؟ قال حجاج وقلت لهم : أعينوني على غرمائي ، أريد أن أقدم فأصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار إلى ما هناك فجمعوا لي مالي على أحسن ما يكون ، ثم فشا الخبر بمكة ، وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة ، وحزن من كان بمكة من المسلمين .

وسمع بذلك العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم . ثم

أرسل الى حجاج غلاماً وقال : قل له يقول لك العباس : الله أعلى وأجل من أن يكون الذي جئت به حقاً . فقال له حجاج : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له : ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره وأكتم عني . فأقبل الغلام فقال : ابشر يا أبا الفضل ، فوثب العباس فرحاً كأن لم يكن مسه شيء ، وأخبره بذلك وأعتق العباس ذلك الغلام . وقال : لله علي عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام ، وقال : إني اخشى الطلب ، فإذا مضت الثلاث فأظهر أمرك فوافقه العباس رضي الله عنه على ذلك فقال : إني أسلمت وإن لي عند امرأتي مالاً وديناً على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الي وإني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خيبر ، وجرت سهام الله وسهام رسوله ﷺ فيها ، وتركته عروساً بابنة ملكهم حيي بن أخطب وقتل ابـن أبـي الحقيق ، وأخبره الخبر وتمامه ، فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العبـاس رضي الله عنـه تلك الليالي الثلاث . فلما مضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى حلـه فلبسهـا وتخلـق بخلوق وأخذ بيده قضيباً ثم أقبل يخطو حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، وهذا والله التجلد لحر المصيبة . قال : كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله ﷺ ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وأنه تركه عروساً بها . وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله وإلا فهو من أسلم ، فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون : يا عباد الله ، انفلت عدو الله يعنون حجاجاً أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم ﷺ غنائم خيبر ، فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسـة أجزاء ، ثم دفع ﷺ لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم : إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، ثم استمروا على ذلك إلى خلافة عمـر رضي الله عنه ، ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين ، فأجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم

غزوة وادي القرى

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود . روى ابن اسحق عن أبي هريرة رضي الله عنه : لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله ﷺ وأتينا وادي القرى ، نزلناها أصيلاً مع غروب الشمس ، وحاصرهم ﷺ اربعة أيام ، وهيأ ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وراية الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، وراية الى سهل بن حنيف رضي الله عنه ، وراية الى عباد بن بشر رضي الله عنه ، ثم دعاهم الى الإسلام واخبرهم انهم أن اسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ، ثم آخر فقتله الزبير أيضاً ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ، ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ، ثم اخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلاً ، كلما قتل رجل دعا من بقي الى الإسلام حتى أعطوا ما بأيديهم ، وفتحها ﷺ عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخل بأيدي يهود وعاملهم عليها ، وولاها ﷺ عمرو بن سعيد ابن العاص وصالحه ﷺ أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى ، وولاها ﷺ يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكان إسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة ، وصالحه أيضاً أهل فدك على ان لهم نصفها وله ﷺ نصفها فأقرهم على ذلك ، فكانت له ﷺ خاصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادي القرى لأنه صالحهم بعد أن فتح خيبر ، ثم رجع ﷺ الى المدينة منصوراً مؤيداً والله أعلم .

ذكر خمسة سرايا بين خيبر وعمرة القضاء

سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

إلى تربة ـ بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث ـ وادٍ غرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء ، وهو موضع على أربع ليلٍ من مكة ، وكانت في شعبان سنة سبع . بعث ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ثلاثون رجلاً ، فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوزان الى الطائفة التي كانت منهم بتربة فهربوا ، وجاء عمر رضي الله عنه إلى محالهم فلم يلق منهم أحداً ، بل ترفعوا واخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها ، فانصرف راجعاً الى المدينة . فلما كان بذي الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بني هلال : هل لك في جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد اجدبت بلادهم ؟ فقال عمر رضي الله عنه : لم يأمرني ﷺ بهم إنما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بتربة .

ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

الى بني كلاب قبيلة بنجد بناحية ضربة ـ بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ـ وكانت في شعبان أيضاً سنة سبع . ويقال : الى بني فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين . وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى فزارة وخرجت معه ، حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء ، وقتل من قتل منهم ، ورأيت الذراري فخشيت ان يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ؛ فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي ام قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب ، فجئت بهم اسوقهم إلى ابي بكر رضي الله عنه ، فنقلني أبو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوباً ، فقدمنا المدينة فلقيني ﷺ فقال : يا

سلمة ، هب لي المرأة لله أبوك فقلت : هي لك ، فبعث بها الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين . قال بعضهم : ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لأن ذلك إنما كان في سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم .

ثم سرية بشير بن سعد

الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الى بني مرة بفدك في شعبان ايضا سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلاً فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس ، فقالوا : في نواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون والماء ، فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة ، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل ، فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل اصحاب بشير ، فأصيبوا وولىّ منهم من ولى ، وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق ، فضربوا كعبه اختبار لحاله أهو حي أم ميت ، فلما لم يتحرك قالوا : قد مات ، ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضي الله عنه ، يخبرهم على النبي ﷺ ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر في القتلى حتى أمسى ، فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهود بها أياماً حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة .

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه :

إلى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة ، في مائة وثلاثين رجلاً وقيل : في مائتين وثلاثين . فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما نهيك بن مرداس الأسلمي ، وقيل : الغطفاني بعد أن قال لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة ، من لك بلا إلّه إلا الله ؟ فقال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : هلا شفقت عن قلبه فتعلم أصادق هو ام كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد ان لا إلّه إلا الله وفي رواية : أن قوم مرداس لما انهزموا بقي وحده وكان ألجأ غنمه لجبل ، فلما لحقوه قال لا إلّه إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم ، فقتله أسامة بن زيد رضي الله عنهما . فلما رجعوا نزل قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عَرَضَ الحياة الدنيا ﴾ الآية . وقيل : ان ذلك في سرية أخرى سنة ثمان ،

كان اسمة هو أميرها . وانه لما قدم المدينة قال له النبيﷺ : يا أسامة اقتلته بعدما قال لا إلّه إلا الله . قال أسامة ، قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً فما زال يكررها أي قوله اقتلته الخ ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أي لأن الإسلام يجب ما قبله ، فقيل : ان النبيﷺ دفع لأهل القتيل ديته وأمر أسامة أن يعتق رقبة والله أعلم .

ثم سرية بشير بن سعد أيضاً :

الانصاري رضي الله عنه الى يمن وجبار وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت في شوال سنة سبع من الهجرة : بعثهﷺ ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان وأعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعماً كثيرة فغنمها ، ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم إنهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول اللهﷺ فأسلما فأرسلهما ، والمناوشة تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً .

عمرة القضاء

قال موسى بن عقبة : قال : ابن شهاب انهﷺ خرج في هلال ذي القعدة سنة سبع معتمراً ، وأمر أصحابه أن يعقروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية ، وأمر ان لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضاً فكانوا الفين سوى النساء والصبيان ، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه ، وساق معهﷺ ستين بَدَنه ، وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس ، وإنما فعل ذلك احتياطاً وتوثقاً خوفاً من غدر أهل مكة ، فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضي الله عنه وأحرمﷺ وسلك طريق الفرع ولبى ، ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران ، فوجد بها نفراً من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال : هذا رسول اللهﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى ، فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً وإنا على كتابنا وملتنا فقيم بغزونا محمد في أصحابه ، وبعثوا مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوهﷺ ببطن يأجج في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحق فقالوا : والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلاً بسلاح المسافر . فقال : إني لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز : هو الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال : إن محمداً على الشرط الذي شرط لكم ونزلﷺ بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج ، موضع على أميال من مكة وخلف عليه اوس بن خولي الأنصاري رضي الله عنه في مائتي رجل ، حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضي الله عنهم ، وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال ولم يقدروا على رؤيتهﷺ هو وأصحابه يطوفون بالبيت .

وفي رواية : خرجوا استنكافاً أن ينظروا اليه ﷺ غيظاً وحنقاً أي حسداً وقدم ﷺ الهدى أمامه بذي طوى ، وخرج راكباً ناقته القصواء والمسلمون متوحشون السيوف محدقون برسول الله ﷺ ، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
قد انزل الرحمن في تنزيله بان خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
يا رب اني مؤمن بقيله اني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه : يا ابن رواحة . أبين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال له ﷺ : خل عنه يا عمر فلهي أي هذه الأبيات أي نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل ، وقيل : إن قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ ، من قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما يوم صفين ، ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا ، وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال ﷺ لابن رواحة رضي الله عنه : قل لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ، فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس ، وفي أمره بذلك زيادة إغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور ولا سيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ، ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه وطاف على ناقته . وفي رواية : ماشياً وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم .

وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون قوّتهم فقالوا : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم : لهؤلاء أجلد من كذا وكذا إنهم لينفرون من نفر الظبي ، والمشركون كانوا على جبل قيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لأنهم إنما يرونهم إذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته ، وبعد فراغه نحر هديه عند المروة

وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى اصحابه ببطن يأجج ، يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ، ففعلوا وأقامﷺ بمكة ثلاثاً كما شرطه قريش في المدنة ، فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا : ننشدك الله والعهد إلا ما خرجت من أرضنا ، فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فاسكتهﷺ وأذن بالرحيل . قال الحافظ ابن حجر : كأنه دخل في أوائل النهار فلم تكمل الثلاث إلا في مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق ، وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفي البخاري من حديث البراء : فلما دخلها يعني مكة ومضى الأجل أي الأيام الثلاثة أتوا علياً رضي الله عنه فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبيﷺ فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنها واسمها امامة أو عمارة أو سلمى اوغيرذلك ، تنادي : يا عم يا عم فتناولها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها وهي في هودجها : دونك ابنة عمك . وقال علي رضي الله عنه للنبيﷺ : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أي في أنها تكون عند أيهم ، وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال علي رضي الله عنه : أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين ، وقال جعفر بن أبي طالب : هي ابنة عمي وخالتها اسماء بنت عميس تحتي ، وقال زيد بن حارثة : هي ابنة أخي اي لأن النبيﷺ آخى بينه وبين حمزة رضي الله عنه فكان لكل فيها شبهة ، فقضى بها النبيﷺ لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم . وقال لعلي أنت مني وأنا منك تطيباً لخاطره . وقال لجعفر : أشبهت خلقي وخلقي . وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، وإنما أقرهم النبيﷺ على إخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه ، وان لا يخرج بأحد من أهلها لأنهم لم يطلبوها ، ولأن النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط ، وتزوجﷺ ميمونة رضي الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف . وجاء في رواية : انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال . قال المحققون : إن ذلك وهم ، والصحيح الأول ، واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء ، فقال مالك والشافعي والجمهور : لأنه قاضي قريشاً سنة الحديبية ، فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها ، بل كانت عمرة تامة . وقال ابو حنيفة وأحمد في رواية عنه : ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة

سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع ، في خمسين رجلاً فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم ، فجمعوا لابن أبي العوجاء جمعاً كثيراً فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الإسلام فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا اليه ، فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الأمداد ، وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية ، وقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم ، وفي رواية ، قتلوا جميعاً حتى أميرهم وقيل : تركوه جريحاً ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أوّل يوم من صفر . وقيل : نجامعه اثنان او أكثر فعاونوه في الذهاب الى المدينة والله أعلم .

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه :

الى بني الملوح بالكديد ـ بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال ـ وهو ماء بين عسفان ، وقديد وكانت في صفر سنة ثمان . روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وامره بشن الغارة على بني الملوح بالكديد فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال : إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ فقلنا له : ان تكن مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة ، وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود وقلنا له : ان غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي رئية لهم فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر ، فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في اول يومي ، فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لا تكون الكلاب جرت بعضها ؟ فنظرت وقالت : لا والله أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين ، فناولته فأرسل سهماً فما أخطأ بين عيني فنزعته وثبت مكاني ، فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني فقال لامرأته : لو كان رئية لقوم لقد خالطه سهماي لا أبالك إذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ، ثم دخل وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا

عليهم الغارة ، فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريح القوم ، فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا ، وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد ، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم أن يمر الينا ونحن نحدوها سراعاً ، حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهي امه وقيل : أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه ، سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه . وله حديث واحد وهو قوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله اعلم .

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ : فليس موطن اشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي اني في غير شيء ، وأن محمداً يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله ، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام لا يجهله أحد ، قد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به . فقال : ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيراً له ، ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام .

وسرتني مقالة رسول الله ﷺ ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا ؟ فقال : لو لم يكن يبقى غيري ما اتبعته أبداً ، فقلت : هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان ، قلت : فاكتم ذكر ما قلت لك . قال : لا أذكره . ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت : هذا لي صديق ، فأردت ان اذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربع ، مسافع والجلاس والحرث وكلاب ، فانهم قتلوا كلهم يوم أحد ، فكرهت أن أذكر له ثم قلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب في حجر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، ثم

قلت له لصفوان وعكرمة ، فأسرع الإجابة وواعدني ان سبقني اقام بمحل كذا ، وإن سبقته إليه انتظرته ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة ، وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم ، فقلنا : وبك . قال : أين مسيركم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام . قال : وذلك الذي أقدمني . وفي لفظ : قال عمرو لخالد : يا أبا سليمان أين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وإن هذا الرجل لنبي فاذهب وأسلم . فحتى متى ؟ قال عمرو : وأنا والله ما جئت إلا لأسلم فاصطحبنا جميعاً .

وحدث عمرو بن العاص رضي الله عنه عن سبب إسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره ، قال عمرو : لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : تعلمون والله أن أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب الينا من يد محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي قلت : فاجمعوا ما يهدي له ، وكان أحب ما يهدي اليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمية الضمري رسوله ﷺ في شأن جعفر وأصحابه ، فدخل عليه ثم خرج فقلت لأصحابي ، هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشي فأعطيانه فضربت عنقه لرأت قريش أني أجرت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قلت له : نعم أدماً كثيراً وقربتة اليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : إني رأيت رسول عدوّنا خرج من عندك فأعطينه لأقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا ، فغضب ثم ضرب ألقى ضربة بيده ظننت انه كسره ، فلو اشنقت بي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته . قال : أتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام لتقتله ، قلت : كذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمر ، وأطعني واتبعه ، فأنه والله لعلى الحق وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ ، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح ، فصحبته حتى قدمنا المدينة .

وفي إسلام عمر على يد النجاشي لطيفة ، هي : أن صحابياً أسلم على يد تابعي ولا

يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة ، فأخبر بهم رسول الله ﷺ فسرّ بهم وقال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . قال خالد : فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله ﷺ فلقيت أخي فقال : اسرع فان رسول الله ﷺ قد سر بقدومكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله ﷺ يبتسم حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوّة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت : أني أشهد ان لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله . قال : الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ان لا يسلمك إلا إلى خير . قلت : يا رسول الله ، ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك . فقال ﷺ ، الإسلام يجُبّ ما كان قبله . وتقدم عثمان وعمر فأسلما . وفي رواية عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه ﷺ ، وان لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ﷺ وما استطعت ان ارفع طرفي حياء منه ، قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال : إن الإسلام يجُبّ ما كان قبله ، والهجرة تجبّ ما كان قبلها ، فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة .

وروى الزبير بن بكار : انهم لما قدموا عليه ﷺ قال عمرو : كنت أسنّ منهما فأردت أن أكيدهما ، فقدمتهما قبلي للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما ، فأضمرت في نفسي أن أبياع على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وانسيت أن أقول وما تأخر . وروى الزبير بن بكار : ان رجلاً قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه : ما ابطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ؟ قال : كنا مع قوم لهم علينا تقدم ، وكانوا ممن توازي احلامهم الجبال فلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين فوقع الإسلام في قلبي ، وكان عمرو رضي الله عنه امير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه ، وهو احد دعاة العرب ، توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة .

وروى الخطيب مرفوعاً : يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجراً ، وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فهو أحد الأشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية ،

وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة ـ كما تقدم ـ ثم صار سيف الله ولم يزل ﷺ يوليه أعنة الخيل . روى ابو يعلى : لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله ، صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤته ، ويوم قتال أهل الردّة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى ، إذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل .

وروى ابو زرعة الدمشقي مرفوعاً نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ، سله الله على الكفار . وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال : اعتمر رسول الله ﷺ ولعلها عمرة الجعرانة ، فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالا وهي معي الا تبين لي النصر . ورواه ابو يعلى بلفظ . فما وجهت في وجه إلا فتح ، والأكثر على أنه مات بحمص سنة إحدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة . وقيل : توفي بالمدينة النبوية .

روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال : لما حضرته الوفاة ، لقد طلبت القتل في مظانة فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصّي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والإسلام . ووقع في تفسير الثعلبي بلا سند ، انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح . قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمر وخالد وبه جزم غير واحد ، ثم سكن المدينة وبها مات سنة اثنتين وأربعين ، وقيل : استشهد بأجنادين قال العسكري : وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه أيضاً

لما رجع رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيداً منصوراً بعثه ﷺ الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ، في صفر سنة ثمان . روى ابن سعد أنه ﷺ هيأ الزبير بن القوام رضي الله عنه وقال له : سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير ، فان اظفرك الله بهم فلا تبق فيهم ، وهيا معه مائتي رجل وعقد له لواء . فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم . فقال ﷺ للزبير : اجلس وبعث غالباً ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح ، وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى

محالهم ، فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر ، وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال : بعثني ﷺ في سرية مع غالب الى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح ، وقد أخذ علينا اميرنا ان لا نفترق وآخى بيننا وقال : لا تعصوني فانه ﷺ قال : من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم ، فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، فأصبنا القوم ، وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ثم قال : اما بعد ، فاني اوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمراً ، فانه لا رأي لمن لا يطاع ، ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم : لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه ، وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف ، وكان شعارهم أمت أمت ، وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها ، وكانت سهامهم عشرة ابعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم .

ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيء ـ بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة ـ وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان ، ومعه أربعة وعشرون رجلاً وأمره ان يغير عليهم ، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعماً كثيراً وشاء ، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة ، وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم .

ثم سرية كعب بن عمير :

الغفاري رضي الله عنه الى ذات اطلاح من ارض الشام ، وراء ذات القرى ، في ربيع الأوّل سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً ، فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعاً كثيراً ، وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم ، فأخبر بقلة الصحابة فجاؤوا على الخيل ، فدعاهم المسلمون الى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح في القتلى . قال ابن سعد : هو الأمير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي ﷺ فأخبره الخبر ، فشق عليه

ذلك وهمّ بالبعث اليهم ، فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله اعلم .

ثم سرية مؤتة

وسماها البخاري وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها ، وإن لم يخرج فيها النبي ﷺ وهي ـ بضم الميم وسكون الواو والهمز بدلها آخرها هاء ـ وهي من عمل البلقاء ، وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس ، وكانت في جمادي الأولى سنة ثمان . وسببها أن النبي ﷺ كان أرسل الحرث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى ،من جهةهرقل وهو الحرث بن أبي شمر الغساني ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له : أين تريد ؟ فقال : الشام . فقال : لملك من رسل محمد ؟ قال : نعم ، فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فأمر رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف ، وندب رسول الله ﷺ الناس وقال : ان قتل زيد فالأمير جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلاً من بينهم يجعلونه عليهم أميراً ، وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال : يا محمد ، ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعاً لأن أنبياء بني اسرائيل كانوا إذا استعملوا لرجل على القوم ثم قالوا : أن أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبواجميعاً ثم جعل يقول لزيد : اعهد لي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبياً . قال زيد : أشهد انه رسول صادق بار ، وعقد لهم ﷺ لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك الى الإسلام ، فأن أجابوا وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم ، فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج ﷺ مشبعاً حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم وقال : أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة ، ولا تقربوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء ، ولما ودّع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدينا ولا صبابة بكم . ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الربذا
او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية : ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبي ﷺ وفراقه قال له النبي ﷺ : قل شعراً تقتضبه اقتضاباً أي من غير روية . فقال :

إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة حالفت فيك الذي نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد ازهى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصر كالذي نصروا

فقال له ﷺ : وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبي ﷺ ؟ فلما صلى رآه قال : ما منعك ان تغدو مع اصحابك ؟ قال : أردت ان أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم . فقال ﷺ : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم . وفي رواية : لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها . فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمر والغساني ، فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه ، فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث اخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار ، فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ، ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدوّ فأقاموا على معان ليلتين ، ومعان ـ بفتح الميم ـ موضع او جبل من أرض الشام ، وبلغ المسلمين أن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم ومع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرام يبلغون مائة ألف ، وهم الذين جمعهم شرحبيل . وجاء في رواية : ان القوم كانوا مائتي الف من الروم وخمسين ألفا من العرب ، ومعهم خيول كثيرة . فقال المسلمون : نكتب الى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر فأما أن يمدنا بالرجال وأما أن يأمرنا بأمر فنمضي له ، فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال : يا قوم ، والله ان التي تكرهون للتي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه ، فمضوا إلى مؤنة

ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لا حدبه من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف ، والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب إظهاراً للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم . وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم ، لأنهم باعوها لله تعالى إذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا إنما هو لما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفسوهم من الثقة ، يقول الله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ وقوله : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ وقوله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال ، وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وكان اسنّ من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل : كان عمره أربعين وقيل : إحدى وأربعين ، وكان رضي الله عنه حين أشتد القتال وأحاط به العدوّ يقاتل ويقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم وقد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ اذ لاقيتها ضرابها

وإنما عقر فرسه خوفاً أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان بقاتل ولا يفر ، ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه . ولما أخذ اللواء قاتل قتالاً شديداً فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعه يساره ، فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون . وفي رواية وتسعون جرحاً ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شيء في دبره ولا ظهره ، أي ليس منها شيء في حال الأدبار بل كلها في حال الإقبال لمزيد شجاعته ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه

أن أجلب الناس وشدّوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً :

يا نفسي ألا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً رضي الله عنهما ،.ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال : وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور : أنهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم . وفي الصحيح : وما يسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ، ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الأنصار ، وكان من أهل بدر رضي الله عنهم وقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : انت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه . وفي رواية : ان ثابتاً مشى باللواء الى خالد وقال : أنت أعلم بالقتال مني ، فلم يقبل خالد اللواء وقال : انت أحق به مني لأنك ممن شهد بدراً ، فنادى ثابت : يا معشر المسلمين ، فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه . وفي الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة . قال الحاكم : قاتلهم خالد بن الوليد قتالاً شديداً فقتل منهم مقتله عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة ، وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقي في يده إلا صفيحة يمانية ، وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما رؤي مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا .

وجاء في رواية : أنه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا ، حتى لم ير اثنان جميعاً ، ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين . وفي رواية : انه لما اصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة ، فأنكر العدوّ حالهم وقالوا : جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم ، وكان جملة من قتل من

المسلمين اثني عشر رجلاً وهذا من عناية الله بالإسلام وأهله ومزيد إعزازه ونصره لهم ، إذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف فلا يقتل منهم إلا اثنا عشر رجلاً ، مع أنهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام ، وأما قتلى المشركين فلا يحصون ، فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته ﷺ الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ، ورفعت الأرض يومئذ لرسول الله ﷺ حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه ، وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال : يأيها الناس ، باب خير باب خير باب خير ثلاثاً ، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدوّ فقتل زيد شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ، ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره . وفي رواية : ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله ، سلة الله على الكفار والمنافقين من غير إمرة حتى فتح الله عليهم . وفي رواية ، قال : اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره ، فمن يومئذ سمي خالد سيف الله . وفي لفظ : ثم اخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه .

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى النبي ﷺ فقال : يا خالد ، لم تؤذي رجلاً من أهل بدر لو انفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله ؟ فقال : يا رسول الله انهم يقعون في فأردّ عليهم . فقال : لا تؤذوا خالداً فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار . قال بعضهم : كون ما وقع يوم مؤتة فتحاً ونصراً واضح لإحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف ، وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية ، وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة ، وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم ، فصار أهل المدينة يقولون لهم : انتم الفرارون ورسول الله ﷺ يقول : بل هم الكرارون وفي لفظ : العكارون اي الكرارون . وجاء في رواية : أنا فئتكم يشير الى قوله تعالى : ﴿ إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة ﴾ يعني ان فرارهم كان من الأنحياز الى فئة ، وأيضاً زاد العدوّ على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم ، والحاصل ان المسلمين لما

قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا ، وذهب جماعة منهم الى المدينة . ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس ، وقد مدح رسول الله ﷺ خالداً على ذلك وأثنى عليه . ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي ﷺ بخبر الجيش قال له النبي ﷺ : إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله لأزداد يقيناً . فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ووصف له ما كان فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله : إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم ، وحين رأى ذلك قال : حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل : ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه ، ولا مانع من أن كلاً منهما جاء بالخبر .

وعن اسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال : ائتني بيني جعفر ، فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية : وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر واصحابه شيء قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم قالت : فقم أصبح واجتمع عليّ النساء وجعل رسول الله ﷺ يقول لي : يا أسماء ، لا تقولي هجراً ولا تضربي خداً وقال : اللهم قدمه يعني جعفر الى أحسن الثواب ، واخلفه في ذريته بأحسن ما خلقت أحداً من عبادك في ذريته ، وخرج رسول الله ﷺ الى إهله فقال : لا تغفلوا عن آل جعفر ان تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ : انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول : واعماه ، فقال علي مثل جعفر فلتبك البواكي . ثم قال ﷺ : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن انفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه ، وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى مولاة النبي ﷺ عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً ، قال عبد الله : فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله ﷺ مع اخوتي ثلاثة أيام ، ندور معه ﷺ كلما صار في بيت إحدى نسائه ، ثم رجعنا الى بيتنا ، وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح : ثم أمهل ﷺ آل جعفر ثلاثاً ثم أتاهم فقال لهم :

لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ثم قال : ائتوني ببني أخي فجيء بنا كانا أفرخ ، فدعا الحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال : أما محمد فشبيه عمنا ابي طالب ، واما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ، ثم دعا لهم . قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما : دعا لي وقال : اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعث شيئاً ولا اشتريته إلا بورك لي فيه . وجاء انه ﷺ قال : مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در ، كل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيد وابن رواحة في أعناقهما صدودا أي اعراضاً ، ورأيت جعفراً ليس في عنقه صدود ، فسألت فقيل : انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، وأما جعفر فانه لم يفعل .

وعن قتادة ان رسول الله ﷺ قال : لما قتل زيد اخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد . وفي رواية : رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريري صاحبيه فقلت : مم هذا ؟ فقيل لي : مضينا وتردد عبد الله عبد الله بعض التردد ثم مضى أي فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد في النزول وفي لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضاً فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد . وقال ﷺ : ان الله أبدل جعفراً بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال : إني صائم فضعه في ترسي عند رأسي ، فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال : فمات صائماً قبل الغروب ، ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح .

وكان النبي ﷺ يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال : وعليكم السلام ورحمة الله ، فقال الناس : يا رسول الله ، ما كنت تصنع هذا ؟ فقال مرَّ بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم عليّ وفي رواية : مرّ بي وهو مخضب الجناحين بالدم .

ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبي ﷺ خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابني عبد الله ابن جعفر ، فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت

عميس رضي الله عنها وتزوّجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب ، فولدت له محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ، ثم تزوّجها علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في السماء .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة . وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت . قال السهيلي : إن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران ، لا أنهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ، ولا كونهما مضمخين بالدم ، ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال : إنهما جناحان حقيقيان . وأطال في ذلك والله اعلم . وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال :

يؤوبني ليل بيثرب أعسم	وهم اذا ما نوّم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي لوعة	سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقد ان الحبيب بلية	وكم من كريم يبتلي ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوباً وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا	جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم	الى الموت ميمون التقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أبيّ إذا سم الظلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد	بمعترك فيه فتى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه	جنان وملّتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد	وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
ولا زال في الاسلام من آل هاشم	دعائم عزلا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم	رضام الى طود يروق ويقهر
بهاء ليال جعفر وابن أمه	علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصمر
بهم تفرج اللأواء في كل مارق عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم اولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه

الى بلاد بلى وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى ، بينها وبين المدينة عشرة ايام وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد ابن قضاعة ، وتسمى سرية ذات السلاسل ، سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا ، والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في اول الأمر ، فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا . وقيل : سميت بذلك لأن بها ماء يقال له السلسل ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه ﷺ بلغه ان جمعاً من قضاعة تجمعوا للاغارة وارادوا ان يدنوا من أطراف المدينة ، فبعث ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : بعث إليّ النبي ﷺ يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال : يا عمرو ، أني أريد ان أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت : إني لم أسلم رغبة في المال . قال : نعم المال الصالح للمرء الصالح . فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه ، وكان يكمن النهار ويسير الليل . فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء بعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمره أن يلحق بعمرو ، وان يكونا جميعاً ولا يختلفا فأرضى ابو عبيدة ان يؤم الناس . فقال عمرو وإنما قدمت عليّ مدداً اي معيناً ومقوياً وأنا الامير أي ولا أمارة لك حتى تؤم الناس . فقال ابو عبيدة لا ولكن انا على ما أنا عليه ، وانت على ما انت عليه ، وكان ابو عبيدة رجلاً سهلاً هيناً عليه امر الدنيا فقال : يا عمرو ، ان رسول الله ﷺ قال لي : لا تختلفا وإنك ا ان عصيتني أطعتك فأطاع له ابو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدوّ بلى وعذرة ، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا بعد ان اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون ، فأقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فينحرون ويأكلون ولم يكن في ذلك غنائم

تقسم .

وقال البلاذري : فلقي العدوّ من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم اي فرقهم ، وقتل منهم مقتله عظيمة ، وغنم وهذا يعضده قوله ﷺ ، فيغنمك الله ويسلمك كما مر . وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة : ان عمرو بن العاص رضي الله عنه أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا ناراً فأنكر ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : دعه فان رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب فسكت عنه .

وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : انهم سألوه ان يوقدوا ناراً فمنعهم فكلموا أبا بكر رضي الله عنه فكلمه في ذلك فقال : لا يوقد أحد ناراً ، الا قذفته فيها ، قال : فلقوا العدوّ فهزموهم ، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال : كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره .

وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم ابو بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده ، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة قلت : أني لست أعني النساء أنما أعني الرجال ، قال : ابوها قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعدّ رجالاً فسكت مخافة ان يجعلني في آخرهم ، وقلت في نفسي : لا أعود اسأله عن هذا . وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل ، اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية ، وفضل أبي بكر على الرجال وبنته على النساء ، ومنقبة لعمرو بن العاص رضي الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضي ان له فضلاً في الجملة وقد قال رافع الطائي : وهذه الغزوة هي التي يفتخر بها أهل الشام أي ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية الخبط

وفي سرية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري ، احد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه وعنهم وسماها البخاري غزوة سيف البحر ـ بكسر

السين ـ اي ساحل البحر ، واشتهرت بسرية الخبط ، بعث ﷺ ابا عبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أرض جهينة ليلقي عيراً لقريش ولمحاربة حي من جهينة ، وكانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد، وقبل فتح مكة وزوّدهم رسول الله ﷺ جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل : كان معهم غيره فلما فني ما معهم أكلوا الخبط ـ وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ـ ورق السلم ، قال جابر رضي الله عنه : كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله . وفي رواية : كان الرجل منا يأكل تمرَة تمرة فقالوا لجابر . كيف كنتم تصنعون ؟ قال : نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ، ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما جزراً ونحرها لهم . .

وفي رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس ،من يشتري مني تمراً بالمدينة بجزر تجزر هنا ؟ فقال له رجل من جهينة : من انت فأنتسب فعرفه الجهني فقال : عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق ، وأشهد له نفراً من الصحابة وأمتنع عمر رضي الله عنه لكون قيس لامال له . فقال الأعرابي : ما كان سعد لقصر بابنه وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزوراً ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال : عزمت عليك ان لا تنحر أتريد ان تخفر ذمتك ولا مال لك ؟ فقال قيس : يا ابا عبيدة ، أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله ؟ فكاد ابو عبيدة يلين وجعل عمر يقول : اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران ، فقدم بهما قيس المدينة ظهراًيتعاقبون عليهما ، وبلغ سعداً مجاعة القوم فقال : ان يكر قيس كما اعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال : ما صنعت في مجاعة ؟ قال : نحرت قال : اصبت . ثم ماذا ؟ قال : نحرت قال : أصبت . ثم ماذا ؟ قال نحرت . قال : أصبت . ثم ماذا ؟ قال : نهيت قال : ومن نهاك ؟ قال : ابو عبيده أميري قال : ولم ؟ قال : زعم انه لا مال لي وانما المال لأبيك ؟ فقال : لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقاً وقدم الجهني مع قيس فأوفاه اوسقه وحمله كساه .

فبلغ النبي ﷺ فعل قيس فقال : ان الجود من سمعت أهل ذلك البيت ، وقيل : ان قيسا نحر قبل الثلاث ستاً مما كان معه من الظهر، ثم ثلاثا من التي اشتراها من الجهني ، وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي المكيدة في الحرب ، مع النجدة والبسالة والشجاعة من

وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما ، حين ولاه سيدنا علي رضي الله عنه مصر ، بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لرأي العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم مالا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت : اشكو إليك قلة الجرذان ببيتي ، والجرذان نوع من الفيران فقال : ما أحسن هذا السؤال وقال لها : لأكثرنّ جرذان بيتك ، فملأ بيتها طعاماً وقيل قالت له : مشت جرذان بيتي على العصا . فقال لها لأدعهن يثبن وثوب الأسود ، ثم ملأ لها بيتها طعاماً ، ولا مانع من تعدد الواقعة . وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلاً وكانت الأنصار تقول : وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها . ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط .

قال أهل السير : ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل : ان العنبر المشموم رجيعها . قال الازهري : العنبر سمكة بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعاً . وفي رواية لجابر رضي الله عنه : فألقي لنا البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية : ثمانية عشر يوماً حتى صحت أجسامنا وادهنا من ودكه ، فأخذ ابو عبيده ضلعاً من اضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته براكبه . وفي رواية : ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه اجسم رجل ، فخرج من تحتها وما مست رأسه . وفي رواية فدخل اي الراكب تحتها ما يطاطىء رأسه . وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه : فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه اي حدقتيه الدهن بالقلال ، ونقتطع منه الفدر أي القطع من اللحم كالثور . وفي رواية عن جابر أيضاً . فدخلت أنا وفلان فعد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا ، فسبحان القوي القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا ؟ فكان معنا منه شيء فارسلنا الى رسول الله ﷺ فأكل ، ولم يذكر احد من أهل السير أنهم قاتلوا احد في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو اكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى اعلم

سرية ابي قتادة رضي الله عنه الى نجد

واسم ابي قتادة الحرث وقيل : عمرو أو النعمان بن ربعي الأنصاري السلمي ، بعثه ﷺ الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان ، وبعث معه خمسة عشر رجلاً ، وأمره ان يشن الغارة على غطفان بأرض محارب ، فسار الليل وكمن النهار ، ثم

هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم ، وسبى ابو قتادة ومن معه سبياً كثيراً واستاق النعم ، فكانت الابل مائتي بعير ، والغنم ألفي شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما : بعثﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا إبلاً كثيرة وغنماً فكانت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونقلنا بعيراً ، فرجعنا بثلاثة عشر بعيراً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، وكان السبي أربع نسوة وأطفال وجوار ، وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي وقعت في سهم ابي قتادة ، فجاء محمية ابن جزء الزبيدي فقال : يا رسول الله ، ان أبا قتادة قد أصاب في وجهة هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية ، فأرسلﷺ الى ابي قتادة فقال : هب لي الجارية فوهبها له ، فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية ابي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم

وهو ـ بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم ـ واد على ثلاثة برد من المدينة، وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان ، وذلك انهﷺ لما همّ ان يغزو أهل مكة بعد ان نقضوا العهد كما سيأتي بعث ابا قتادة رضي الله عنه في ثمانية أنفار سرية إلى بطن اضم ليظن ظان انهﷺ توجه الى تلك الناحية ، ولتذهب بذلك الأخبار فلا تستعد قريش لحرية ويدخل عليهم على حين غفلة ، وكان يقول : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، واستجيب له فعميت الأخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ، ولا علموا بذلك إلا ليلة دخولهﷺ كما سيأتي فخرج ابو قتادة ومن معه رضي الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الأشجعي ، فسلم عليهم بتحية الاسلام اي قال : السلام عليكم . وقيل عظمهم بالانقياد ، ومنه كلمة الشهادة التي هي امارة على اسلامه فقتله محلم ابن جثامة ، فأنزل الله ﴿ ولا تقولوا لمن ألقي اليكم السلام لست مؤمنا ﴾ الاية .

روى الامام احمد والطبراني عن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال : بعثنا رسول اللهﷺ الى اضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مربنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ، ومعه متيع له ووطب من لبن ، فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه ، واخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول اللهﷺ واخبرناه الخبر نزل فينا . ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولون لمن ألقى اليكم السلام

لست مؤمناً ﴾ . الى آخر الآية . وتقدم في سرية غالب الليثي أن الآية نزلت في قتل أسامة بن زيد مرداس بن نهيك ، فيحتمل تعدد القصة ، وتكرر نزول الآية ، ثم ان ابا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعاً وبلغهم انه ﷺ خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا ، فاخبروه الخبر فقال لمحلم : أقتلته بعد ما قال آمنت بالله ؟ وفي رواية بعد ما قال اني مسلم ، فجلس محلم بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له وقال :إنما قالها متعوّذا قال : فلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ قال : وهل قلبه لا مضعة من لحم ؟ قال ﷺ انما كان ينبىء عنه لسانه وفي رواية لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال : استغفر لي يا رسول الله ، قال : لا غفر الله لك اي زجراً وتهويلاً لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة ، فقام محمل وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالي حتى مات ، فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ، ثم عادوا ودفنوه فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضغوا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظكم في حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء في بعض طرق هذه القصة : ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الأضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان ، وقام الأقرع بن حابس يدفع عن محمل بن جثامة لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عنده ﷺ وأرادوا الاقتصاص من محلم ، ثم قبلوا الدية ، ثم سأل محلم النبي ﷺ ان يستغفر له فقال : اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم .

غزوة الفتح الأعظم
وهو فتح مكّة شرّفها الله تعالى

وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس بسببه في دين الله افواجاً وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا خرج ﷺ بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية ، فانه كان قد وقع الشرط ان من احب ان يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده ، وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل في ساحات وأقنية من السقاية كانت في يد عبد المطلب ، فأخذها منه نوفل ، فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم احد وقالوا : لا ندخل بينك و وبين عمك ، ثم كتب الى اخواله بني النجار فجاء منهم سبعون وقالوا : ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ، ثم حالف نوفل بني أخيه عبد شمس ، فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفاً ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه وهو : باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ، وما لا ينسى ابداً ، اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء ، وما بل بحر صوفه ولا يزداد فيما بيننا وبينكم . الا تجدداً أبد الدهر سرمداً .

وفي رواية حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد ، وأوثق عقد لا ينقض، ولا ينكث ماأشرقت شمس على ثبير وحنّ بفلاة بعير ، وما أقام الأخشبان واعتمر بمكة انسان ، حلف

أبد لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شدا ، وظلام الليل مدا ، وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة ، لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى به حميلاً .

ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبي ﷺ يوم الحديبية قال ﷺ : ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف ، وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ، ولا حلف في الاسلام ، وهذا الذي نفاه في الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات ، والذي قوّاه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق ، فلا تنافي حينئذ ثم انه قد كان بين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبين خزاعة حروب وقتلى في الجاهلية ، وتشاغلوا عن ذلك ظهر الاسلام ، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر ومعه جماعة من قبيلة بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة ، فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال ، فلما انتهو الى الحرم قالت بنو بكر : يا نوفل انا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة وهي قوله لا إله له يا بني بكرا صيبو اثاركم فلعمري انكم لتسرفون فلا تصيبون ثأركم فيه . وقيل : ان سبب القتال بين بني بكر وخزاعة ان شخصاً من بني بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به ، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه ، فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوه بالرجال والسلاح على خزاعة ، فأمد وهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم ، وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين او ثلاثة وعشرين ، وقاتل مع بني بكر جمع من قريش خفية منهم : صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ولم يشاوروا في ذلك أبا سفيان وقيل : شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا ، وأن هذا لا يبلغ رسول الله ﷺ ، ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة ، فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ندموا .

وفي رواية : ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم في عماية الصبح ، ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ،

وأصبحت خزاعة مقتلوين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمر ولنوفل بن معاوية البكرى ، قد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا مما لا نطاوعك ، عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا أن بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش : ان محمداً غاز بنا فقال ابن أبي سرح : لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوة يرسل اليكم ان دواقتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً او تبرؤوا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء . فقال سهيل بن عمرو تبرأ من حلفهم اسهل . وقال شيبة بن عثمان ندى لدى القتلى اهون وقال قرطة بن عمرو ، لاندى ولا نبرأ لكنا ننبذ اليه على سواء . وقال ابو سفيان : ليس هذا بشيء وما الرأي الاصوب . الاحجد هذا الأمر ، اي كون قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة ، وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأي ولا رأي غيره ، وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيهﷺ على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضي الله عنها صبيحة وقعة خزاعة : لقد حدث يا عائشة في خزاعة امر فقالت : اترى قريشاً تجترىء على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف ؟ فقال : ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى. قالت : يا رسول الله ، خير قال خير .

وروى الطبراني من حديث ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : بات عندي رسول اللهﷺ ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه بالليل : لبيك لبيك لبيك ثلاثاً نصرت نصرت نصرت ثلاثا ، فلما خرج قلت : يا رسول الله ، سمعتك تقول في متوضئك : لبيك لبيك لبيك ثلاثاً ، نصرت نصرت نصرت ثلاثا ، كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد ، فقال : هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزعة يستصرخني ، ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر وهذا علم من اعلام النبوة باهر ، فاما انه اعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوّره الراجز في نفسه ، أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيهﷺ كلامه .

قال اهل السير : ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة خرج عمر بن سالم الخزاعي احد بني كعب ، وهم بطن من خزاعة ومعه اربعون راكباً من خزاعة ، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه ، وقبل قدومهم بثلاث امر النبيﷺ عائشة رضي الله عنها أن تجهزه اي تهيىء له أهبة السفر وما يحتاج اليه في قطع المسافة ، اعتمادا على

ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد ، وأمرها ان لا تعلم أحداً ، فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل ان يخبره النبيﷺ ويستشيره في ذلك فقال : يا بنية ما هذا الجهاز ؟ فقالت : ما ادري ، فقال : والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر فأين يريد رسول اللهﷺ ؟ فقالت : لا علم لي ، وفي رواية لابن أبي شيبة ، انها اعلمته ، وجمع بينهما بانه دخل عليها مرتين الأولى قالت له لا علم لي ، ثم أخبرتهﷺ فأذن لها في إخبار أبيها لكونه عيبة سره ، فدخل عليها ثانياً فأخبرته فقال : والله ما انتقضت الهدنة بيننا ، وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبيﷺ فذكر لهﷺ انهم اوّل من غدر . قالت ميمونة رضي الله عنها : فأفنا ثلاثاً اي بعد قوله لها : هذا راجز بني كعب ، ثم صلى بالناس صلى اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده ، وذلك ان عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبيﷺ وهو جالس بالمسجد فقال منشئاً :

يا رب انـــي ناشـــد محمـــداً حلف أبينـــا وأبيه الا تلدا
ان قريشـــا اخلفـــوك الموعـــدا ونقضـــوا ميثاقـــك المؤكدا
وزعمـــوا ان لســـت تدعـــو أحـــدا وجعلـــوا لى في كداء رصدا
فـــانصر هداك الله نصراً أبـــدا وادع عبـــاد الله يأتـــوا مددا
فيهـــم رســـول الله قد تجـــردا ان سيم خسفـــا وجهـــه تربدا
هـــم بيتونـــا بالوتـــير هجـــدا وقتلونـــا ركعـــاً وسجدا

وفي رواية :

هم قتلونـــا بصـــعيد هجـــدا نتلـــوا القـــران ركّعـــاً وسجّدا
وزعمـــوا ان لســـت ادعـــوا أحـــداً وهـــم أذل وأقـــل عددا

فقال لهَ رسول اللهﷺ نصرت يا عمرو بن سالم . وفي رواية : فقامﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول : لانصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسي . وفي رواية قال : والذي نفسي بيده لأمنعنهـم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها ،

لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب مما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية : انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمر وبن سالم وقال : خزاعة مني وانا منهم ، وسأل ﷺ عمرو بن سالم فيمن تهمنكم قال : في بني بكر قال : كلها قال : لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ، ثم قال ﷺ لعمرو بن سالم وأصحابه ، ارجعوا وتفرقوا في الأودية ، فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق ، وقصد بذلك ﷺ لصفاء مجيئهم للنبي ﷺ ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي ﷺ بعد ذهاب عمرو ابن سالم ومعه نفر من قومه ، فأخبروه ﷺ الخبر ورجعوا ، ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل : ان بديلاً لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران .

وفي رواية انه ﷺ قال لركب خزاعة : انا باعث الى اهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم في خصال ثلاث ، فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤوا من حلف بني نفاثة او ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو : لاندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ، ثم ندمت قريش على ما ردوا به ، فبعثوا ابا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل : ان ابا سفيان توجه مبادراً اقبل ان يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله ، وقيل : ان الحرث بن هشام وعبد الله بن ابي ربيعة مشيا الى ابي سفيان فنالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم . إلا محمد في أصحابه ، فقال ابو سفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها ، قالوا : وما هي : قال رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة ملياً ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال ابو سفيان : هذا أمر ألم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا علي والله ما شوورت فيه ، ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادقي ، وما بد من ان اتي محمداً فأكلمه . فقالت قريش : أصبت . فخرج ومعه مولى له على راحلتين ، وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم : هل ذهبتم الى المدينة ؟ قالوا : لا وتركوه وذهبوا فجاء الى ميركهم بعد ان فارقوه ، فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة . وفي رواية ان أبا سفيان لقي بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان ان يكون بديل قد جاء رسول الله ﷺ ، فقال للقوم اخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها ؟ قالوا : لا علم لنا بها إنما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل .

وفي لفظ ، قال : من أين اقبلت يا بديل ؟ قال : سرت الى خزاعة ي في هذا الساحل . قال : او ما أتيت محمداً قال : لا فلما راح بديل الى مكة اي توجه اليها قال ابو

سفيان : لئن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى ، فجاء الى منزلهم ففتت أبعار اباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان : احلف بالله لقد جاء القوم محمداً وقبل قدوم ابي سفيان المدينة قال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم كانكم بأبي سفيان قد جاء يقول : جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة ، فلما انتهى ابو سفيان الى المدينة دخل على ام حبيبة ام المؤمنين زوج النبي ﷺ ورضي عنها ، فاراد ان يجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه ، فقال : يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وانت رجل مشرك نجس ولم احب ان تجلس على فراش رسول الله ﷺ. قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت : بل هداني الله للاسلام ، فأنت يا ابت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول في الاسلام وانت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ، فقام من عندها فأتى رسول الله ﷺ يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة ، فأبى عليه وقال ابن اسحق : انه كلم النبي ﷺ فلم يرد عليه شيئا . وفي رواية قال : يا محمد ، اني كنت غائبا في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة فقال ﷺ : فلذلك جئت . قال : نعم ، فقال : هل كان من حدث ؟ فقال : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال ﷺ فنحن على ذلك فاعاد ابو سفيان القول فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل وفي رواية : قال لأبي بكر : تكلم محمداً أو تجير بين الناس ؟ فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ فأتى عمر رضي الله عنه فقال : أنا أشفع لكم والله لو لم أجد ، الا الذر لجاهدتكم به .

وفي رواية : قال له عمر رضي الله عنه ما كان من حلفنا جديداً فأخلفه الله وما كان متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال ابو سفيان : جوزيت من ذي رحم شراً . ثم دخل على علي رضي الله عنه وعنده فاطمة رضي الله عنها وحسن رضي الله عنه غلام يدبّ بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك امسّ القوم بي رحما ، واني جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً ، فاشفع لي : فقال علي رضي الله عنه ، ويحك يا ابا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وقال : يا بنت محمد اقل لك ان تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بني هذا ان يجير بين الناس وما كان احد يجير على رسول الله

ﷺ .

وفي رواية : انه جاء عثمان رضي الله عنه قبل علي رضي الله عنه فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، ثم أتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال : يا ابا ثابت ، انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد في المدة . فقال سعد : جواري في جوار رسول الله ﷺ ما يجير أحد عليه ، فأتى اشراف قريش والأنصار فكلمهم وكلهم يقول : جواري في جوار رسول الله ﷺ ما يجير احد علي . فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال : هل لك ان تجيري بين الناس ؟ فقالت : انما انا امرأة وابت عليه فقال : مري ابنك فقالت : ما بلغ ان يجير فقال لعلي رضي الله عنه : يا ابا حسن ، اني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال : والله مااعلم شيئا يغني عنك ولكنك، سيد بني كنانة فقم فأجربين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : او ترى ذلك مغنيا عني شيئاً ، قال : لا والله ما أظنه ، ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال : ايها الناس ، اني قد اجرت بين الناس ولا والله ما اظن ان يخفرني احد ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، اني قد اجرت بين الناس ، فقال ﷺ : انت تقول ذلك يا ابا حنظلة ، ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة ، وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش اشد التهمة وقالوا ، قد صبا واتبع محمداً سراً وكتم إسلامه .

فلما دخل على هند امرأته ليلاً قالت : لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ، ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت : ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر وقال: لم أجد الا ما قال لي عليّ فضربت برجلها في صدره وقالت : فبحت من رسول قوم فما جئت بخير ، فلما اصبح حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما وقال : لا أفارق عبادتكما حتى اموت ، وأراد بذلك ان تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبأ ، فلما صنع ذلك قالوا له : ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد او زياد : في مدة ؟ فانا لا نأمن ان يغزونافقال : والله لقد ابى علي : وفي رواية . فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابا بكر فلم اجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو ، وفي رواية ، اعدى العدو وكلمت عليه اصحابه فما قدرت على شيء منهم ، إلا انهم يرمونني بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً يوماً أطوع لملك عليهم منهم له ، إلا ان علياً لما ضاقت بي الأمور قال : انت سيد بني كنانة فأجر بين الناس ، فناديت بالجوار ، قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا وإنما قال : انت تقول ذلك يا ابا

حنظلة ؟ قالوا : رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً ، ولعمر الله ما جوارك بجائز ، وان اخفارك عليهم لهين ، والله ما زاد عليّ على ان لعب بك تلعباً ، فقال : والله ما وجدت غير ذلك فقالوا . ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن ، وتجهز رسول الله ﷺ وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها .

وروى ابن ابي شيبة عن ابي مالك الاشجعي قال : خرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجلس عند بابها ، وكان إذا جلس وحده لم يأته احد حتى يدعوه فقال : ادع لي ابا بكر فجلس بين يديه فناجاه طويلاً ، ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال : ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلاً ، فرفع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، هم رأس الكفر الذين زعموا أنك ساحر ، وإنك كاهن ، وإنك كذاب ، وإنك مفتر ، ولم يدع شيئاً مما كانوا يقولون إلا ذكره ثم قال : وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال : لا احدثكم بمثل صاحبيكم هذين ؟ قالوا : نعم : يا رسول الله : فأقبل بوجهه الكريم على ابي بكر رضي الله عنه فقال : ان ابراهيم عليه السلام كان ألين في الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال : ان نوحاً كان أشد في الله تعالى من الحجر ، وان الامر امر عمر ، فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا ابا بكر فقالوا : انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ قال قال لي : كيف تأمرني في غزو مكة ؟ قلت : يا رسول الله ، هم قومك حتى رأيت أنه سيطيعني ، ثم دعا عمر فقال : هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه ، وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة .

وجاء في بعض الروايات انه ﷺ تجهز وما اعلم احداً ، والمراد انه ما اعلم عامة الناس ، فلا ينافي انه اعلم كبار أصحابه رضي الله عنهم ، فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه : يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزعة :

عناني ولم اشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتلى كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي	سهيل بن عمرو وحرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن ام مجالد	إذا احتلبت صرفا وأعضل بابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحق : قوله بأيدي رجال يغني قريشاً وابن أم مجالد عكرمة ابن ابي جهل وكان ﷺ يقول : اللهم خذ على أسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ، ولا يسمعون بنا ، الا فلتة . وأمر جماعة ان تقيم بالانقاب ، وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول : لا تدعوا احداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه وفي رواية ثم امر بالطرق فحبست فعمي على اهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتاباً وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرساً ، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب والزبير بن العوّام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، وهو موضع على بريد من المدينة ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها ، قال : فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي كتاب ، فالتمسناه فلم نر كتاباً فقلنا : ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب او لنلقين عنك الثياب . وفي رواية : او لنكشفنك او لنضر بن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها ، فأخرجته من عقاصها . وفي رواية : فلما رأت الجدّ اهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله ﷺ ، فاذا فيه ، من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية . اما بعد ، يا معشر قريش ، فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له وعده ، فانظروا لانفسكم والسلام .

وفي رواية : ان لفظ الكتاب ان رسول الله ﷺ اذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد احببت ان تكون لي عندكم يد ، فدعا النبي ﷺ حاطباً فقال : أتعرف هذا الكتاب ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على هذا قال حاطب : يا رسول الله ، لا تعجل عليّ أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت . وفي لفظ : ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم :ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفاً لهم ، ولم أكن من أنفسها وفي رواية ، ولكني كنت أمرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين ممن له اهل أو مال بمكة لهم قرابات يحمون بها اهليهم وأموالهم ، فأحببت اذ فاتني النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب : والله ما ارتبت في الله

مند أسلمت ، ولكني كنت امرأً غريباً ولي في مكة بنون واخوة فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله ، ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله ﷺ : اما انه قد صدقكم فيما اخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالأنقاب وتكتب الى قريش . وفي رواية انه قال : انه يعلم يا رسول الله انك اخذت على الطريق وأمرت ان لا نرى أحداً يمر ممن تنكره الا رددناه ، يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية ، فقد وجبت لكم الجنة . .

وفي اخرى ، لا يدخل النار احد شهد بدراً ، فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال : الله ورسوله اعلم . وانزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا الا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ فالذي نزل في ذلك الى هنا ، وقيل : الى قوله ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم ﴾ وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به ، لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين ، فظن انه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي ﷺ من إخفاء مسيره عن قريش ، وحرصه على عدم وصول خبره اليهم ، وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقاً لكونه أظهر خلاف ما ابطن ، وحاطب كان معذوراً متأولاً بماذكره من عذره ، وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ﴾ الخ وقوله ﷺ : لعل الله اطلع على اهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة ، وتأملوا لأن يغفر لهم ما سيحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم ، وما أحسن قول بعضهم .

وإذا الحبيب أتـى بذنـب واحد ... جاءت محاسنـه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسولهﷺ في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك ، فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى ، يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ، ولما أرادﷺ الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة ، بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار واشجع وسليم وغيرهم ، فأرسل اليهم يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . وبعث رسلاً في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق ، فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل : اثني عشر ألفا من المهاجرين والأنصار ، وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم ، وقيل : ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ، ثم تلاحق به الفان .

قال الحلبي في السيرة : وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس ، وكانت الأنصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة الفا ومعها مائة فرس ، وكانت اسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرساً ، وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً ، وكان معه ﷺ من زوجاته ام سلمة وميمونة رضي الله عنهما ، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وقيل : ابارهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وجمع بينهما بان أبارهم جعله للقضايا والأحكام وابن ام مكتوم للصلاة ، خرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة ، وقيل : لليلتين خلتا من رمضان وقيل : لست عشرة وقيل : ثمان عشرة قال النووي : لا اعلم خلافا في ان ذلك في شهر رمضان ، اي وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ، ولما بلغﷺ الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر ، لأنه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له : إنما ينظرون فيما فعلت ، فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء ، وقيل ، من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس ، فشرب فأفطر فناوله رجلاً الى جنبه فشرب فلم يزل مفطراً رفقاً بالمسلمين حتى انسلخ الشهر ، لأنه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان في اهبة القتال وبعث السرايا ، ولم ينو الاقامة . ولذا كان يقصر الصلاة وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبيﷺ ، قد خرج بأهله وعياله مهاجراً ، فلقى رسول اللهﷺ بالجحفة وكان إسلامه قديماً ، وكان يكتمه بأمر النبيﷺ ، وكانﷺ امره بالاقامة بمكة ليكتب له اخبار قريش ، وكان العباس رضي الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين ، وما أظهر اسلامه لأهل مكة الا يوم الفتح ، وكان مقيماً بمكة على سقايته ، وكان ينفع المستضعفين

بمكة وبه يثقون ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ . وقيل : انه لقي النبي ﷺ بذي الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبي ﷺ الى مكة للفتح .

وروى الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : استأذن العباس النبي ﷺ في الهجرة فكتب اليه : يا عم أقم مكانك الذي انت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ، ولما لقيه قال : هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة .

ممن لقيه ﷺ في الطريق ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ واخوه من الرضاع من حليمة السعدية . وكان مع ابي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن ابي امية المخزومي ابن عمته ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب ، وهو اخو ام سلمة زوج النبي ﷺ لأبيها ، لان امها عاتكة بنت عامر بن قيس ، وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي ﷺ بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالأبواء ، وهم مسلمون مهاجرون . واسم ابي سفيان كنيته . وقيل اسمه المغيرة ، وكان يألف النبي ﷺ ولا يفارقه قبل النبوة ، فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا ، وكان عبد الله بن ابي امية قبل اسلامه شديداً على النبي ﷺ وعلى المسلمين . وفي لفظ ، وكان كل منهما اي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ ، فأعرض عنهما ﷺ لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو ، فالتمسا الدخول عليه ﷺ فكلمته ام سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، فقال : لا حاجة لي بهما اما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، يعني قوله له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً الى السماء فتعرج فيه وانا انظر ثم تأتي بصك واربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك : فقالت له ام سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال ابو سفيان : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفراً ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ ، رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما ، وانشده أبو سفيان معتذراً مما مضى فقال :

لعمرك اني يوم احمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليله ... فهذا اواني حين اهدى واهتدى
هداني هاد غير نفسي ونالني ... مع الله من طردته كل مطرد

اصـدّوا نأى جانبـا عن محمد وادعـى وان لم انتـسب من محمد

قال ابن اسحق : انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد ، ضرب ﷺ صدره وقال : انت طردتني كل مطرد ، وقال علي رضي الله عنه لأبي سفيان بن الحرث عند أذنه ﷺ له في الدخول عليه : أئت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوه يوسف ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ﴾ فانه لا يرضي ان يكون احد احسن منه قولاً . ففعل ذلك ابو سفيان فقال له ﷺ ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحـم الراحمـين ﴾ . ويقال : انه ما رفع رأسه الى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياً منه ، وكان ﷺ يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي ﷺ يوم حنين ولم يفارقه ، وكان ﷺ يقول فيه : أرجو ان يكون خلفاً من حمزة . وقال له ﷺ : كل الصيد في جوف الفرا . وقيل : قال ذلك لأبي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد ، وتوفي ابو سفيان بن الحرث رضي الله عنه سنة خمس عشرة او عشرين . بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منبرة . يروى انه قال عند موته ولا تبكن عليّ فاني لم انطق بخطيئة منذ اسلمت .

واما عبد الله بن ابي امية المخزومي فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي ﷺ لا يستطيع ان يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه ، وعقد ﷺ الألوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبني سليم لواء وراية ، ولبنـي غفـار راية ، ولأسلم لواءين ، ولبني كعب راية ، ولمزينة ثلاثة الوية ولجهينة اربعة ألوية ، وكان جماعة من بني بكر اسلموا فكانوا معه ﷺ فأعطاهم لواء ولأشجع لواءين ، ورأى ابو بكر الصديق منا ما قبل عقد الألوية وقيل : عند نزولهم بمر الظهران فقال : يا رسول الله ، رأيت في المنام أنا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر اي تصوت ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبناً . فقال ﷺ ذهب كلبهم وأقبل درهـم وهـم يسـاوون بأرحامهم وإنكم لاقون بعضهم ، فان لقيتم ابا سفيان فلا تقتلوه . وقوله : ذهب كلبهم اي شدتهم . وقوله ؟ وآقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام . ثم لما نزل ﷺ مر الظهران امر اصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش او تسمع بها فترعب من كثرتها ، واستجاب الله لرسوله ﷺ فاخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره ، وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون ، وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبي ﷺ وهو مهاجر ، فبعث اهله الى المدينة ورجع مع النبي ﷺ قال العباس : حين نزل النبي ﷺ

مر الظهران رقت نفسي لأهل مكة وقلت : واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهـر ، فجلسـت على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد بعض الحطابة ، او صاحب لبن او ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة وكان من قضاء الله ان خرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء الخزاعي يتجسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به وقيل : انه بلغهم مسيره ﷺ ولم يعلموا . الى اي جهة ، وقيل : ان قريشاً بعثوا أبا سفيان يتجسس الأخبار ، وقالوا : ان لقيت محمداً فخذلنا منه أماناً فأقبل ابـو سفيان وحـكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران ، فقال ابو سفيان ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً هذه كنيران عرفة فقال بديل : هذه نيران بني عمرو يعني خزاعة فقال ابو سفيان . هم أذلّ وأقلّ من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل ابو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله ﷺ . وفي رواية اخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الأنصار وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤوا بهم فلما أخذوا بخطم ابعرتهم قال ابو سفيان : من انتـم ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم لم يعلموا بهم .

وروى الطبراني عن ابي ليلى قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران فقال : ان أبا سفيان بالأراك فخذوه فاخذناه . وفي رواية . وكان ﷺ بعث بين يديه خيلاً تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي ، ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤوا بهم الى عمر رضي الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة ، فقالـوا : جئنـات بنفـر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضي الله عنه وهو يضحك اليهم : والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم . قالوا : والله أتيناك بابـي سفيان فقـال : احبسـوه وفي رواية ان العباس رضي الله عنه كان صديقاً لأبي سفيان ، فلما ركب البغلة ليتوجه الى الأراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أماناً ، اذ سمع صوت أبي سفيان فأخذه وجاء به فأمسكه الحرس فاجاره من الحرس ان يقتلوه . وقال عمر رضي الله عنه لأبي سفيان حين مر به العباس علي : ابو سفيان عدوّ الله ، الحمد لله الذي امكن منك من غير عقد ولا عهد . قال العباس : وقلت له : يا ابا حنظلة فعرف صوبي فقال : ابو الفضل ؟ قلت : نعم

قال : مالك فداك ابي وأمي ؟ قلت والله هذا رسول الله ﷺ في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال : واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وامي ؟ قلت ، والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، فترك صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه ، فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا ، من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ والعباس عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته .

قال العباس : ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر في اثري فقال : يا رسول الله ، هذا ابو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه ، من غير عقد ولا عهد فدعني اضرب عنقه . قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله ، إني قد أجرته ، ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله ﷺ : إنكم لاقون بعضهم فان لقيتم ابا سفيان فلا تقتلوه . قال العباس رضي الله عنه : ثم جلست الى رسول الله ﷺ فقلت : لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما اكثر عمر في شأن ابي سفيان قلت : مهلاً يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا . ولكنك قد عرفت انه من رجال بني عبد مناف فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان أحب اليّ من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله ﷺ من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله ﷺ : اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا اصبحت فأتني به كذا في رواية ابن اسحق وذكر موسى ابن عقبة وغيره ان العباس قال : قلت يا رسول الله ، ابو سفيان وحكيم وبديل قد اجرتهم وهم يدخلون عليك . قال : أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم ، فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا ان لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، فشهد بديل وحكيم . وقال ابو سفيان : ما اعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيئاً بعد فأرجئها اي اخرها وفي رواية ، قال له ﷺ : يا أبا سفيان ، أسلم تسلم قال : كيف أصنع باللات والعزى ؟ فقال له عمر ، أخرأ عليهما ، وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر : اما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها . فقال ابو سفيان : ويحك يا عمر انك رجل فاحش ، دعني مع ابني عمي فإياه أكلم ، فقال ﷺ : إذهب به يا عباس ، فذهب به فلما أصبح أتى به اول النهار على رسول الله ﷺ .

وروى ان ابا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال : ما للناس أمروا

في بشيء ؟ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به ، فلما كبرصلى الله عليه وسلم كبر الناس ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، ثم سجد فسجدوا فقال : ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون ياطوع منهم له يا أبا الفضل ، اصبح ابن اخيك والله عظيم الملك فقال العباس : انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوداك فلما رآه ﷺ بعد فراغه من الصلاة قال : ويحك يا أبا سفيان ؟ ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله إلا الله ؟ فلما رأى ابو سفيان مخاطبة النبي ﷺ له بهذا الخطاب اللين العذب ، وانه ﷺ أغضي وضرب صفحاً عما جرى منه في عداوته ومحاربته ، قال : بأبي انت وأمي، ما أحلمك واكرمك واوصلك ، لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لا غنى عني شيئاً لقد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك ، فوالله ما لقيتك من مرة إلا نصرت عليّ فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً لكنت غلبتك . ثم قال ﷺ : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال : بأني أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه ففي النفس منها شيء ، فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لا سيما مع شدة حنق المسلمين عليه ، فقال له : ويحك أسلم وأشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فاسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه .

وروى الحافظ الذهلي عن سعيد بن المسيب قال : لما دخل ﷺ مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى اصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ ثم أصبح فقال له النبي ﷺ : قلت لهند أترين هذا من الله ؟ فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذه إلا الله وهند .

وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : خرج ﷺ وابو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه : ما أدري بم يغلبنا محمد ؟ فأتاه ﷺ فضرب صدره وقال : بالله لغلبك فقال : أشهد أنك رسول الله . وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : رأى ابو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبة فقال في نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعاً . فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال : إذن يخزيك الله . فقال : أتوب الى الله واستغفر الله ما ايقنت انك نبي إلا الساعة ، إني كنت لأحدث بذلك نفسي ، والحاصل ان أبا سفيان كان في أول

الأمر مستكرهاً فلم يزل ﷺ يترفق به ويتألفه حتى تمكن الإسلام من قلبه . ولقد حضر مع النبي ﷺ غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي ﷺ : فقال له : إن شئت ارجعها الله اليك خيراً مما كانت ، وان شئت خيراً منها في الجنة . فرمى بها وقال : خيراً منها في الجنة ، وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان يحثّ الناس ويحرضهم على القتال ويقول : هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله . قال انس بن مالك رضي الله عنه : لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته . وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة .

قال السيوطي في تحفة الأدب ، روى القزويني في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لطم ابو جهل فاطمة رضي الله عنها في أول بعثة النبي ﷺ فشكت الى رسول الله ﷺ فقال لها : ائت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل فقال لها : الطميه كما لطمك ، ففعلت . فجاءت الى النبي ﷺ فأخبرته فرفع يديه وقال : اللهم لا تنسها لأبي سفيان . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما شككت أن إسلامه كان لدعوة النبي ﷺ ، وقد أوصى ﷺ بأصحابه وأنصاره وأصهاره ، وهو من أصهاره لأن ابنته ام حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي ﷺ : وقال ﷺ : أني سألت الله أن لا يدخل النار أحداً ممن صاهرني او صاهرته ، فإياك أن تصغي لما ينقله بعض المؤرخين ، ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه او في احد من أصحاب النبي ﷺ ، فتكون من الهالكين ، وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد ، وكلهم مأجورون ، ان شاء الله تعالى .

فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي ﷺ ، وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة . قال موسى بن عقبة ، قال أبو سفيان وحكيم بن حزام : يا رسول الله ، جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف إلى أهلك وعشيرتك ؟ فقال ﷺ : أنتم أظلم ، وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالأثم والعدوان في حرم الله وأمنه ، فقالا : صدقت يا رسول الله . وقال بديل : والله يا رسول الله ، لقد غدروا ولو أن قريشاً خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا . ثم قالا : لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحمتفا وأشد عداوة لك . فقال ﷺ : اني لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهزيمة

هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم ، فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك . ثم قال أبو سفيان : يا رسول الله ، ادع الناس بالأمان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، من كف يده وأغلق داره فهو آمن ، ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت إسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث أنه كان متبوعاً فأصبح تابعاً ليس له من الأمر شيء فقال : يا رسول الله ، أن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم ، ثم أعانه ابو بكر رضي الله عنه .

فقد روى ابن أبي شيبة أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيئاً . فقال ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قال : وما تسع دار أراد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن ، وهي من أسفل مكة ، ودار أبي سفيان بأعلاها ، ومن دخل المسجد هو آمن . قال : وما يسع المسجد ؟ قال : ومن اغلق بابه فهو آمن . قال أبو سفيان : هذه واسعة وأمر ﷺ مناديه أن ينادي بذلك كله إلا من استثناهم النبي ﷺ ، وأمر بقتلهم ، كما سيأتي ثم قال له العباس : النجاء الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي - .

وفي رواية : انه ﷺ بعث أبا سفيان وحكيم بن خزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى إذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به أسلموا تسلموا ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه آمن ، فقامت فيه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت اي الزق الضخم الدسم الأحمس ، قبحت من طليعة قوم . وفي رواية : انها أخذت بلحيته ونادت : يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟ فقال لها : ويحك ، اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمين او لأضربن عنقك . وقال لهم : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد .

وروى أنه ﷺ قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه : ان بمكة أربعة نفر أربابهم عن الشرك وارغب بهم في الإسلام : عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو ، وهذا يدل على أن جبيراً أسلم يوم الفتح كمن ذكر معه ، وقيل : ان إسلامه كان قبل ذلك ، وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة

زوج النبي ﷺ ورضي عنها ، فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الإسلام ستين ، وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة ، وكان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وفي الإسلام مثل ذلك ، فانه حج في الإسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها : عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، واهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة ، وأهدى الف شاة رضي الله عنه ، ولما أراد ﷺ السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه : لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر . فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاءَ أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال : يا رسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الأراك .

وفي رواية : ومعه حكيم بن خزام فقال ابو سفيان : غدراً ؟ قال : لا ، ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين .

وفي رواية : قال له : إن أهل النبوّة لا يغدرون وأمر ﷺ كل قبيلة ان تكون عند راية صاحبها ، وتظهر ما معها من القوة والعدة ، فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ، ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها ، فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة ، ـ والكتيبة بالتاء المثناة ـ القطعة من الجيش ، وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم .

وأوّل من قدم خالد ابن الوليد رضي الله عنه في بني سليم وهم ألف وقيل : تسعمائة ، معهم لو أن يحملها العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة ، فحين مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً فقال ابو سفيان للعباس : من هؤلاء ؟ فقال : خالد بن الوليد ، فقال : خالد الغلام ؟ قال : نعم . قال : ومن معه ؟ قال : بنو سليم . قال : مالي ولبني سليم ؟ ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وافناء العرب فكبروا ثلاثاً فقال ابو سفيان للعباس : من هؤلاء ؟ قال : الزبير بن العوام . قال : ابن اختك ؟ قال : نعم . ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم ابو ذر رضي الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : غفار . قال مالي ولغفار ، ثم مرت اسلم في اربعمائة فيها لواءان يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الأعجم ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم . قال : مالي ولأسلم . ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان : فلما

حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال بنو كعب إخوة أسلم . قال : هؤلاء حلفاء لمحمد ؟ قال : نعم . ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحرث ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال : من هؤلاء ؟ قال : مزينة . قال مالي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها . ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن بكيث وعبد الله بن بدر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال : جهينة . قال مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط . ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد ابن بكر في مائتين يحمل لواءهم ابو واقد الليثي ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم . ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان يحملها معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثاً . قال: من هؤلاء ؟ قال : أشجع قال : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد . فقال له العباس : أدخل الله الإسلام في قلوبهم فهذا فضل الله . ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك ، وقيل : ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم .

ثم قال ابو سفيان : أبعد ما مضى محمد ، فقال له العباس : لو أتت الكتيبة التي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة . قال : ومن له بهؤلاء طاقة ، وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة : ما مر محمد : فيقول العباس : لا ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها إذ في كل بطن منها لواء وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله ﷺ . فقال ابو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه ، معه راية الأنصار ، وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضي الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبي ﷺ والأنصار ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رويدا يلحق أولكم آخركم .

وفي رواية : ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون والأنصار ، وفيها الرايات والألوية مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد ، لا يرى منهم الا الحديد ولعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول : رويداً يلحق أولكم آخركم .

وفي رواية : قال ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ في الأنصار : فقال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً . فقال : يا أبا سفيان إنها النبوّة ، فقال : نعم ، إذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي يوم الحرب الذي لا يوجد منه مخلص ، اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من اهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة . فقال ابو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى ابو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمي قومه ويدفع عنهم ، وقيل: معناه هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه . قال : ذلك غلبة وعجزاً وقيل : المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي لقربك من النبي ﷺ .

وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل : سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا : يا رسول الله ، ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش . فقال لعلي رضي الله عنه : أدركه فخذ الراية منه ، ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد ابن عبادة ، ورأى ﷺ أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه ، وقيل : إنما امر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي ﷺ أبا سفيان فانه قال للنبي ﷺ : لما حاذاه وهو مار في جنود الله ، أمرت بقتل قومك قال : لا فذكر له ابو سفيان ما قال سعد بن عبادة ، ثم ناشده الله والرحم أي قال له : أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشاً أي بالإسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين .

وفي رواية : ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، أشار بهذا الى انه ﷺ هو الذي يكسوها ذلك العام ، وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان . ثم أرسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضي الله عنه . وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله ﷺ فقالت :

يا نبي الهدى اليك لجاحيّ قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إلّه السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشيء غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوأة السواء
إذ ينادي بذل حي قريش وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة الأدبار أهل الثواء
ثم ثابت اليه من بهم الخزرج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في أكف الأماء
فانهينه فانه أسد الاسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد لنا الامر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع ﷺ هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فامر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس . وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي ﷺ بتسليمها لابنه ، أبى أن يسلمها إلا بإمارة من النبي ﷺ فأرسل اليه بعمامته فسلمها لأبنه . وجاء في بعض الروايات : انه ﷺ سلمها لعلي . وفي بعضها أنه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر ، والذي يظهر في الجمع بين الروايات انه ﷺ أرسل علياً رضي الله عنه لينزعها ويدخل بها ، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ، ثم أن سعداً خشي ان يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبي سفيان قال له العباس : النجاء الى قومك ، فجاء اليهم يصيح بالأمان فامسكته زوجته وقالت : اقتلوه الى آخر ما تقدم ، وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة بن الزبير : اخبرني نافع بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما في حجة اجتمعوا فيها بمكة في خلافة عمر رضي الله عنه : يا أبا عبد الله ، ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم .

قال الحلبي في السيرة ، وفي ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ، ودخل ﷺ من الثنية العليا ، وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى ، روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : انه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على

راحلته القصواء مردفاً أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه ، وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث اردف في هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضي الله عنهما ، والمتكبر يعد ارادفاً ابنه إذا ركب في السوق عاراً عليه ، ما ذاك إلا تكبر برأ الله منه نبيه ﷺ .

وفي رواية ودخل ﷺ مكة يوم الجمعة معتجراً بشقة برد حبرة حمراء وفي رواية عمامة سوداء خرقانية واضعاً على رأسه الشريف على رحله تواضعاً لله تعالى حين رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة وفي رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما دخل ﷺ عام الفتح أي لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخليل بالخمر ، فتبسم والتفت إلى ابي بكر رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر ، كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

فقال ﷺ : أدخلوها من حيث قال حسان . وروى الطبراني عن العباس رضي الله عنه قال : لما بعث ﷺ قلت لأبي سفيان بن حرب : أسلم بنا . قال : لا والله ، حتى أرى الخيل تطلع من كداء . قلت : ما هذا ؟ قال : شيء طلع بقلبي لأن الله لا يطلع هناك خيلاً أبداً . قال العباس رضي الله عنه : فلما طلع ﷺ من هناك ذكرت أبا سفيان به ، فذكره وتقدم هذا الحديث بأطول من هذا ، وإنهما توجها الى اليمن في تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود ، وسألاه عن النبي ﷺ فسألهما عن صفاته فوصفاه له . فقال : هو هو ، ذبحت يهود وقام وترك رداءه . فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه . فقال له العباس : ألا تسلم بنا ؟ فقال : لا والله ، حتى أرى الخيل تطلع من كداء إلى آخر الحديث .

قال الحافظ ابن حجر : وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقاً واضحاً موافقاً للأحاديث الصحيحة . فقال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير ابن العوّام على المهاجرين وخيلهم ، وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد ـ وأمره أن يركز رايته

بالحجون ، وأن يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل منها : قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أي أقربها الى الثنية التي دخل منها ، وهو أوّل بيوت مكة من الجهة التي دخل منها ، وكان لواؤهﷺ يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها ، وجعل أبا عبيدة على الرجالة أي المشاة ، وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه ، واستمر بلا راية في مقدمة كتيبة رسول اللهﷺ ، وأمرهمﷺ أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، فاندفع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحرث بن عبد مناف ، وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش ، فقاتلوا خلد منعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا : لا تدخلها عنوة . فصاح خالد في أصحابه ، فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بني بكر نحو اربعة وعشرين رجلاً ، ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة ، وكانت سوقاً بمكة ثم دخلوا الدور ، وارتفعت طائفة منهم على الجبال هرباً وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان : يا معشر قريش ، علام تقتلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون .

وروى ابن إسحق : ان أصحاب خالد لقوا ناساً من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمر ، وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئاً من القتال ، فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهني ، وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا وفي ذلك يقول جحاش بن قيس يخاطب أمرأته حين لامته على الفرار ، وقد كان سابقاً يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض أسرى المسلمين يكون خادماً لها ، وكانت أسلمت سراً . وفي رواية : انها رأته وهو يبري نبلاً له فقالت له : لم تبري هذا النبل ؟ قال : بلغني أن محمداً يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لأحد منكم خادماً من بعض من نستأسره ، فقالت : والله لكأني بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه ، لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول اللهﷺ يوم الفتح أقبل اليها . وقال : ويحك هل من مخبأ فقالت له : وأين الخادم : فقال لها : دعيني عنك ، وأنشد يقول :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلقنا وهمهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وقتل من أصحاب خالد أيضاً رجلان : حبيش بن الأشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبيﷺ مهاجراً وكرز بن جابر الفهري ، وهذا أسلم بعد غزوة بدر ، وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرح النبيﷺ في غزوة بدر الأولى ، ثم لما أسلم استعمله النبيﷺ وبعثه في طلب العرنيين ـ كما تقدم ـ ولما وقع القتال بأسفل مكة نظرﷺ الى بارقة السيوف فقال : ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال . فقالوا : نظن ان خالدا قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بدٌّ أن يقاتلهم .

وجاء في رواية إنه قيل له : يا رسول الله ، هذ خالد بن الوليد يقتل فقال : قم يا فلان فقل له فليرفع يديه من القتل . فأتاه الرجل فقال له : إن نبي الله يقول لك : اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين . فأتى رسول اللهﷺ فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك أن تنذر خالداً ؟ قال : أردت أمراً فأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذي كان . فسكتﷺ وما رد عليه . وقوله : قتل سبعين لا ينافي رواية أربعة وعشرين ، لأن زيادة الثقة مقبولة والأقل داخل في الأكثر . وقال موسى بن عقبة : قال رسول اللهﷺ بعد ان اطمأن لخالد رضي الله عنه : قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدأونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت . فقالﷺ قضاء الله خير .

وجاء في رواية : إن قريشاً وبشت أوباشاً لها أي جمعت جموعاً من قبائل شتى ، فنادىﷺ أبا هريرة رضي الله عنه وقال له : اهتف لي بالأنصار فهتف بهم فجاؤوا واطافوا برسول اللهﷺ فقال لهم : ترون الى اوباش قريش وأتباعهم ، ثم قال : بيديه إحداهما على الأخرى ، أحصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه . فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . فعند ذلك قالﷺ : من أغلق بابه فهو آمن اي أمر أن ينادي بذلك ويعلن به ، ووجهﷺ اللوم على خالد بن

الوليد فقال . يا رسول الله ، هم بدأونا بالقتال وقد كففت ما استطعت ، ودعوتهم الى الإسلام فأبوا حتى إذا لم أجد بدّاً قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا في كل وجه . فقالﷺ : قضاء الله خير .

وجاء في رواية : انهﷺ قال : كفوا القتال إلا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر ، وهي الساعة التي أحلت لرسول اللهﷺ ، وكان دخوله ﷺ لعشر بقين من رمضان ، ومعهﷺ زوجتاه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما . وتقدم انهﷺ استثنى أناساً من الدخول في الأمان ، وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبي شرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبيﷺ والمسلمين وعكرمة ابن أبي جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الأسود وكعب بن زهير والحرث بن هشام ، وهو أخو أبي جهل لأبويه ، وزهير بن أبي أمية وسارة هي مولاة لبني المطلب ، وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ، ووحشي قاتل حمزة ، وأكثر هؤلاء أسلموا ـ كما سيأتي ـ بيانه . أما عبد الله بن أبي سرح بن الحرث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة ، وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبيﷺ فأهدر دمهﷺ يوم الفتح . فلما علم بإهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخا له من الرضاع فقال : يا أخي ستأمن لي رسول اللهﷺ قبل أن يضرب عنقي ، فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ، أتى به إليهﷺ وصار يقول عثمان : يا رسول الله ، أمنته فبايعه ، والنبيﷺ يعرض عنه مراراً ثم قال : نعم : فبسط يده فبايعه . فلما خرج عثمان وعبد الله قالﷺ لمن حوله : أعرضت عنه مراراً ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه ، وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر إن رأى عبد الله بن أبي سرح قتله ، وكان قائماً على رأس النبيﷺ وهو متقلد سيفه ينتظر النبيﷺ يشير اليه ان يقتله . فقال له النبيﷺ : انتظرتك ان تفي بنذرك . فقال : يا رسول الله ، خفتك أفلا أومضت إلي ؟ فقال : انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين وهم الايماء بالطرف .

قال الزرقاني : ثم أدركته العناية الأزلية ، وأتته السعادة الأبدية ، فأسلم وحسن إسلامه وعرف فضله وجهاده ، وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر وكان له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين ، وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، وغزا الأساود من النوبة سنة إحدى وثلاثين ، وهادن

باقي النوبة الهدنة الباقية بعده ، وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين ، وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر . ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محموداً في ولايته . واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع آو تسع وخمسين .

وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال : لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح : اللهم اجعل آخر عملي الصبح ، فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يسارهفقبض الله روحه رضي الله عنه . وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لأنه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم ، وكان اسمه عبد العزى فسماه النبيﷺ عبد الله ، وبثعه لأخذ الصدقة وأرسل معه رجلاً من الأنصار يخدمه .

وفي رواية : كان معه مولى يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام . ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئاً وهو نائم فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً وكا شاعراً فجعل يهجو النبيﷺ في شعره ، وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله ﷺ الذي يصنعه . وقد جاء أنه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم : لا يدخلها محمد عنوة . فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة ، فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها ، فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله ﷺ بالحجون ، فأخبره فأمر بقتله وقيل : لما طاف رسول الله ﷺ بالكعبة قيل : هذا ابن خطل متعلقاً بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة حدّ واجب ، فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الأسلمي وقيل : الزبير ، وقيل : سعد بن ذؤيب ، وقيل : سعد بن زيد . والظاهر انهم اشتركوا في قتله جميعاً جمعاً بين الأقوال . وأمرﷺ بقتل قينتيه فقتلت إحداهما واستؤمن رسول الله ﷺ للاخرى فأمنها فأسلمت . وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمرﷺ بقتله لأنه كان من أشدّ الناس أذية للنبيﷺ ، وكان أشد الناس على المسلمين . ولما بلغه ان النبيﷺ اهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر او يموت تائهاً في البلاد ، وكانت امرأته أم حكيم رضي الله عنها بنت عمه الحرث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله . فاستأمنت له رسول الله ﷺ .

وروى ابو داود والنسائي : أن عكرمة ركب البحر أي حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة : أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج من البحر إلا الإخلاص لا ينجي في

البر غيره . اللهم لك عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً غفوراً كريماً ، فجاء وأسلم أي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به . وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ .

وروى البيهقي : ان امرأته قالت : يا رسول الله ، قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فأمنه فقال : هو آمن فخرجت في طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له : أخلص أخلص . قال ما أقول ، قال قل : لا إلّه إلا الله . قال : ما هربت إلا من هذا ، وإن هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتي ما الدين إلا ما جاء به محمد ﷺ قال : وغير الله قلبي . وجاءت أم حكيم تقول : يا ابن عم جئتك من عند أبرّ الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ ، فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول : انت كافر وانا مسلمة ، فقال : ان أمراً منعك مني لأمر كبير . فلما وافى مكة أو المدينة قال ﷺ : يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذي الحي . قال الزهري وابن عقبة : فلما رآه ﷺ وثب قائماً فرحاً به ورمى عليه رداءه ، وقال : مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً ، فوقف بين يديه ﷺ ومعه زوجته ام حكيم بنت الحرث بن هشام رضي الله عنها وهي منتقبة . فقال : إن هذه أخبرتني انك امنتني . فقال ﷺ : صدقت . فأنت آمن . فقال : إلام تدعو ؟ قال : أدعو الى أن تشهد أن لا ألّه إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكذا وكذا ، حتى عد خصال الإسلام . قال : ما دعوت إلا إلى خير وأمر حسن جميل ، قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا وانت اصدقنا حديثاً وأبرنا ثم قال : فأني اشهد ان لا إلّه إلا الله . وان محمداً رسول الله . قال : ثم ماذا ؟ قال : تقول أشهد الله وأشهد من حضرني أني مسلم مجاهد مهاجر . فقال عكرمة ذلك . رواه البيهقي .

وفي رواية ، قال عكرمة : أشهد ان لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله ، وطاطا رأسه من الحياء فقال له : يا عكرمة ما تسألني شيئاً اقدر عليه ، إلا أعطيتكه . قال : استغفر لي كل عداوة عاديتكها . فقال: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها او منطق تكلم به وردّ ﷺ زوجته له اي أبقاها على نكاحها الأوّل حيث اجتمعا في الاحلام قبل تمام عدّتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه .

وروى ابن عبد البرانة ﷺ رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فاعجبه

فقال : لمن هذا ؟ فقيل لأبي جهل ، فشق عليه وقال : لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فلما جاء عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وأوّل العذق بعكرمة، واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى له ، ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد في الشام في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقيل : أنما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وتفصيل ذلك ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال اهل الردّة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم ابا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله ، وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسهيل ابن عمرو رضي الله عنهم ، ووقفوا انفسهم للجهاد وأنهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة . ثم توفى ابو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى ابا عبيدة رضي الله عنه على الجنود ، وأبقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميراً من الأمراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ، ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة ، فاقتتلوا مع المسلمين قتالاً شديداً . ولم يكن أحد في يوم حمص أشد قتالاً وأكثر بأساً من عكرمة ابن أبي جهل ، حتى كان يقصد الأسنة بنفسه ، فقيل له : اتق الله وارفق بنفسك . فقال : يا قوم ، أنا كنت أقاتل عن الأصنام فكيف اليوم وانا أقاتل في طاعة الملك العلام ؟ واني ارى الحور العين يتشوقن أليّ ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر ، ولقد صدقنا رسول الله ﷺ فيما وعدنا ، ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد إلا اقداماً وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله ، فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده ، حربة عظيمة تضيء وتلهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضي الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضي الله عنه وبكى بكاء شديداً ، ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ، ثم فتح الله عليهم حمص . وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم .

وفي الاحياء للامام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن : كان عكرمة بن أبي جهل رضي

الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول : هو كلام ربي هو كلام ربي رضـي الله عنه . ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام ، تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه ، وأراد ان يدخل بها فجعلت تقول : لو أخرت الدخول حتى يقضي الله هذه الجموع تعني الـروم . فقـال خالـد : ان نفسـي تحدثني اني أصاب في جموعهم . قالت : فدونك . فدخل بها في خيمته فما أصبح الصبح إلا والروم قد اصطفت ، فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل . حتى قتل ، فشدت ام حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بهـا فيهـا خالد ، فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم .

وجاء ان عكرمة رضي الله عنه شكا الى النبي ﷺ قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله ﷺ وقال : لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات . وفي رواية : لا تسبـوا الاموات فتؤذوا الأحياء وفي أُخرى : أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ، وقد كان قبل إسلامه رضي الله عنه بارز رجلاً من المسلمين ، فضحك رسول الله ﷺ فقال له بعض الأنصار : ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا ؟ قال : أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيداً في قتل الروم في وقعة اليـرمـوك ، كمـا تقـدم وأمـا الحـويرث بـن نقيـد ـ بنـون وقـاف مصغـراً ـ ابـن وهـب بـن عبـد ابـن قصيّ فانمـا أهـدر دمـه ﷺ لأنـه كـان يعـظـم القـول فيـه ﷺ وينشـد الهجـاء فيـه ويكـثـر أذاه وهـو بمكـة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وام كلثوم رضي الله عنهما بنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الأرض وشارك هبار بن الأسود في نخس جمل زينب رضي الله عنها لما هاجرت ، فأهدر ﷺ دمه فقتله علي رضي الله عنه ، وذلك أنه سأل عنه ، وهو في بيته قد أغلـق عليه بابـه فقيل : هو في البادية ، فتنحى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج يريد ان يهرب من بيت الى آخر ، فتلقاه علي رضي الله عنه فضرب عنقه ، وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصاري فقتله ، وكان الأنصاري قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ، ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ، ورجع الى قريش فأهدر ﷺ دمه ، فقتله غيلة ابن عبد الله الليثي ، وأما هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي فانه كان شديد الأذى للمسلمين ، وكان عرض لزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت ، فنخس بها الجمل حتى سقطت على

صخرة وأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة حتى ماتت رضي الله عنها ، فأهدرﷺ دمه يوم الفتح ، فهرب واختفى ثم جاء الى النبيﷺ وهو بالجعرانة .

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الأسود فقالوا : يا رسول الله هبار بن الأسود قال : قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس ، فوقف هبار فقال : السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمد رسول الله ، وقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك ، عني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي ، فقالﷺ : قد عفوت عنك ، وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام ، والاسلام يُحبّ ما قبله .

قال الزهري : إن هباراً رضي الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له ﷺ فقال : سب من سبك . فكفوا عنه . وأما كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني فانما أهدر دمهﷺ لأنه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبيﷺ ، وصار يعير أخاه بجيراً حين أسلم ، وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيراً قال لكعب : أثبت في غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعني النبيﷺ ، فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، فاقام كعب بابرق العزاف وهو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول اللهﷺ ، فسمع كلامه وآمن به ، وسبب قول بجير لأخيه اثبت في غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ ، أن أباهما زهيراً كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثهﷺ ، ورأى زهير في منامه ان قد مد سبب أي حبل من السماء وإنه مدّ يده ليتناوله ففاته ، فأوّل ذلك بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وإنه لا يدركه ، واخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ، ان ادركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بانه قد ظهر أمره تحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ... على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أبا ... عليه ولا تلفى عليه اخالكا

فان كنــت لم تفعــل فلســت بآسف ولا قاتــل امــا عثــرت لعالكا
سقــاك بهــا المأمــون كأساروية فانهلــك المأمــون منهــا وعلكــا

وكان ﷺ يُسمى في الجاهلية الامين والمأمـون ، ثم ارسـل كعـب بالابيات الى أخيه بجير ، فلما اتت بجيراً كره ان يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده اياها ، فلما سمع ﷺ قوله : سقاك بها المأمون قال : صدق ، وانه لكذوب ، وأنا المأمون ، ولما سمع قوله : على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال : اجل لم يلف عليه اباه ولا امه . ثم قال ﷺ : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بجير ان رسول الله ﷺ قد قتل رجـالاً ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر أي أقبل مسرعا الى رسول الله ﷺ ، فانه لا يقتل أحداً جاء تائباً وان انت لم تفعل فانج الى نجاتك من الأرض اي الى محل ينجيك وكتب له هذه الأبيات :

فمــن مبلــغ كعبــاً فهــل لك في التي تلــوم عليهــا باطــلاً وهــي أحزم
إلــى الله لا العــزى ولا الــلات وحده فتنجــوا اذا كان النجــاء وتسلم
لدي يوم لا ينجــو وليس بمفلت من النــاس الأطاهــر القلــب مسلم
فدين زهير وهــو لا شيء دينه ودين ابــي سلمــى علــى محرم

فلما بلغت الأبيات كعباً وبلغه انه ﷺ امر بقتله وأراق دمه ، ضاقت عليه الأرض وخاف على نفسه ، وأرجف به اي خوّفه من كان حاضراً عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له : إنك لمقتول : فلما لم يجد بداً ومخلصاً يلتجىء اليه إلا الاسلام ، خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي ﷺ من فتح مكة ، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة ، فغدا به الى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، ثم أشار الـى رسـول الله ﷺ وقال : هذا رسول الله ، فقم اليه واستأمنه ، فجاء حتى جلس الى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه : فقال : يا رسول الله ، ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائباً مسلماً فهل انت قابل منه ، ان أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، ثم تشهّد فقال : أشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم أنشده قصيدته المعروفة التي اولّها بأنت سعاد فقلبي اليوم متبول الى ان قال فيها :

تمشى الوشاة بجنبيها وقولهم إنك يا ابن ابي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله لا الهينك إنى عنك مشغول
فقلت خلو سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت ان رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وان كثرت فيَّ الأقاويل

وقال فيها :

إن الرسول لنور يشتضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الأنباري :

انه لما وصل الى قوله .

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه ، وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال : ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله ﷺ الذي أعطانيه أحداً فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فأخذها منهم ، وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم ، وكان الخلفاء يلبسونها في الأعياد وقيل : إنها فقدت في وقعة التتار .

وروى ابن اسحق : انه لما جاء الى النبي ﷺ وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، دعني وعدوّ الله اضرب عنقه ، فقال ﷺ : دعه عنك فانه جاء تائباً نازعاً اي مائلاً مشتاقاً الى الاسلام ، كافاً عن الشرك تاركاً له ، فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما ضنع به صاحبهم ، وخص المهاجرين بمدحته في قصيدته لأنهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الأنصار ، فقال له ﷺ : لولا ذكرت الأنصار بخير فانهم

أهل لذلك .

فقال بعد ذلك يمدح الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقتب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء ، وكذا ابوه زهير واخوه بجير ، وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضي الله عنه . وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعباً لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم ، فدل على ابي بكر رضي الله عنه فأخبره بخبره ، فمشى ابو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدي رسول الله ﷺ فقال : رجل يبايعك يا رسول ارلله ، فمد يده فبايعه . .

قال العلامة الزرقاني : والجمع ممكن بانه لما قدم المدينة نزل على الجهني فأخبره بأن ابا بكر ارق الصحابة ، واتى به اليه فسارا به معا ثم تقدم الصديق وكعب على اثره ، فلما امن عرفه بنفسه والله اعلم .

واما الحرث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه ، فانه كان شديداً على النبي ﷺ والمسلمين ، وكذا زهير بن أبي امية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها ، فانه كان شديداً في كفره ، فأهدردمهما ﷺ يوم الفتح فهربا واختبئا في بيت ام هانيء بنت ابي طالب رضي الله عنها فأجارتهما ، فأجاز ﷺ جوارها ، ثم جاءت بهما فأسلما وحسن إسلامهما رضي الله عنهما وكون الذي اجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن ابي امية هو الصحيح وقيل : الذي اجارته معه هو عبد الله بن ابي ربيعة . وقيل : هو هبيرة بن ابي وهب . قال الحافظ ابن حجر : وهذا ليس بشيء لأن هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركاً حتى مات ، وكانت ام هانيء رضي الله عنها تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي .

روى الامام احمد وغيره عن ام هانىء رضي الله عنها قالت : لما كان يوم الفتح فرَّ إليَّ رجلان من احمائي من بني مخزوم فدخل عليَّ عليٌّ رضي الله عنه فقال : والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ ، فلما رآني قال : مرحباً وهلاً بأم هانىء ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : قد اجرنا من أجرت يا ام هانىء . والمشهور ان اسلام ام هانىء رضي الله عنها كان عام الفتح ، وقيل : اسلمت قديماً وكانت تكتم إسلامها وعن الحرث بن هشام رضي الله عنه قال : لما اجارتني ام هانىء رضي الله عنها وأجاز النبي ﷺ جوارها صار لا يتعرضني احد بعد ذلك وكنت اخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمر علي وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت استحي ان يراني رسول الله ﷺ لما اذكر برؤيته اياي ما كنت افعله في كل موطن مع المشركين ، فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ، ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال : الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه .

وكذا ابن ابنه ابو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وانما اهدر ﷺ دمها لأنها كانت مغنية بمكة ، تغني بهجاء النبي ﷺ ، وهي التي كان معها كتاب حاطب بن ابي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها ﷺ : ما كان في غنائك ما يغنيك ؟ فقالت : ان قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها واوقر لها بعيراً طعاماً ، فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى به ، فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله ﷺ فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها .

واما صفوان بن أمية بن خلف الجمعي فكان أيضاً من اشد الناس عداوة وأذية لرسول الله ﷺ وللمسلمين ، فأهدر دمه ﷺ . فاختفى وأراد ان يذهب ويلقي نفسه بالبحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال : يا نبي الله ، ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والأسود . فقال : أدرك ابن عمك فهو آمن . فقال : اعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال : لأ اعود معك الا ان تأتيني بعلامة اعرفها ، فأعطاه ﷺ عمامته التي دخل بها

مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان : أغرب عني لا تكملني فقال اي صفوان : فداك ابي وامي جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك عزة عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال : انـي اخافـه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك واكرم ، وأراه العمامة التي جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : أن هذا يزعم انك امنتني قال : صدق فقال : امهلني بالخيار شهرين فقال ﷺ : انـت بالخيار أربعـة أشهـر ، ولما اراد ﷺ الخـروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين الف درهم وطلب منه دروعاً كانت عند ه فقال ، أغصباً يا محمد ؟ قال : لا ولكن عارية مرجوعة او مضمونة ، ثم خرج مع النبي ﷺ حـين خرج لحرب هوازن وهو على شركه ، فلما قسم ﷺ غنائم هوازن بحنين اعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ، ثم رآه ﷺ يرمق شعباً مملوءاً ونعماً وشاء ، فقال له ﷺ : يعجبك هذا ؟ قال : نعم . قال : هولك وما فيه .

وفي رواية . ان صفوان رضي الله عنه طاف مع النبي ﷺ ليتصفح الغنائم ، اذ مر بشعب مملوء إبلاً وغنماً فأعجبه وجعل ينظر اليه ، فقال له النبي ﷺ اعجبك هذا الشعب ، يا أبا وهب ؟ قال : نعم : قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما في الشعب . وقال : ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس احد قط بمثل هذا الا نبي أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول : كان النبي ﷺ أبغض الخلق إليّ فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق اليّ ، وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضي الله عنهم فانما أهدر دمها ﷺ لأنها مثلت بعمة حمزة رضي الله عنه يوم أحد ، ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت ابي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته ﷺ بالأبطح وقالت : الحمدلله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد ، اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت : انا هند بنت عتبة فقال ﷺ : مرحباً بك ثم ارسلت اليه بهدية جديين مشويين وقد يدع جارية لها فقالت: انها تعتذر اليك وتقول لك : ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال ﷺ : بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها ، قالت هند : فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه ﷺ : وقالت : كنت أرى في النوم اني في الشمس أبداً قائمة والظل قريب مني لا اقدر عليه ، فلما دنا ﷺ رأيت كأني دخلت الظل ، فكان ذلك هو الدخول في الاسلام . . وجاء انها لما أسلمت عمدت الى

صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول : كنا منك في غرور .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قالت هند بنت عتبة : يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض أهل خباء احب الي أن يذلوا من اهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض اهل خباء احب الي ان يعزوا من اهل خبائك قال النبي ﷺ : وايضاً والذي نفسي بيده اي ستزيدين من ذلك ويتمكن الأيمان في قلبك ، فيزيد حبك لرسول الله ﷺ يقوى رجوعك عن بغضه . ثم قالت : يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان اطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : لا أراه الا بالمعروف . وكان اسلامها بعد إسلام زوجها فأقرهما ﷺ على النكاح الأول لأن الاسلام جمعهما في العدة . بل قيل : ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة . وكانت هند امرأة ذات انفة ورأي وعقل ..

وجاء في رواية انه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة منتقبة خوفاً من رسول الله ﷺ ، فلما دنين من رسول الله ﷺ قال لهن : بايعنني على ان لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وأرجلكن ، ولا تعصينني في معروف . فقالت هند ، لما قال ولا تسرقن قالت : والله اني كنت اصيب من مال ابي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً ، أم لا فقال ابو سفيان وكان حاضراً ، إما ما اصبت فيما مضى ؟ فأنت منه في حل عفا الله عنك. فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال : وانك لهند بنت عتبة قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله ، ولما قال : ولا تزنين ، قالت : او تزني يا رسول الله الحرة ؟ ولما قال : ولا تقتلن اولادكن ، قالت ربينا هم صغاراً فقتلتهم كباراً وفي لفظ : وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر . فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى على قفاه ، وتبسم ﷺ . ولما قال : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن . قالت: والله ان إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال : ولا تعصينني في معروف قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا انا نعصيك في معروف .

وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها ، وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، وكان من

جملة من أسلم وبايعه ﷺ على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان ، وقيل : ان اسلام معاوية كان عام الحديبية . وعن معاوية رضي الله عنه قال : لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت، ذلك لأمي فقالت : اياك ان تخالف أباك فيقطع عنك القوت ، فأسلمت وأخفيت إسلامي فقال لي يوماً أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي : أخوك خير منك هو على ديني . فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته ﷺ فرحب بي وكتبت له بعد ان استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال : استكتبه فانه امين .

وفي البخاري : ان كريباً قال لابن عباس رضي الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال : دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله ﷺ وجاء انه ﷺ اردفه يوماً خلفه فقال : ما يلبني منك ؟ قلت : بطني قال : اللهم املأه حلماً وعلماً . وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه : اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي ﷺ يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول : اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهديه ولا تعذبه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه : انت مني وانا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين ، واشار بأصبعه الوسطى والتي تليها . وقال له النبي ﷺ : إذا ملكت فأحسن .

وفي رواية اذا ملكت من أمر امتي شيئاً فاتق الله واعدل وفي رواية : يا معاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها ، ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله ﷺ وازاره ورداءه وشيء من شعره فقال عند موته : كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بازار ، واحشوا منخري وشدقي من الشعر ، وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال : اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي . اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي ، وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولم يثق بأحد سواك . ثم بكى حتى علا نحيبه . وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل : ثمان وسبعين سنة وكان ابيض جميلاً وهو من الموصوفين بالحلم ، ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة ، وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة إلا ستة أشهر ، وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على احد منهما . وقد قال ﷺ : الله ، الله في أصحابي وأصهاري وانصاري ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

وأما وحشي بن حرب فأهدرﷺ دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه ، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال : فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت : الحق بالشام أو باليمن او ببعض البلاد ، فوالله اني لفي ذلك من همي ، إذ قال لي رجل : ويحك والله انه ما يقتل أحداً يدخل في دينه ، فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم قاى رأسه اشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال : ويحك غيب وجهك عني ، فكنت اتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه ، فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك ، اي أن هذه تكفر تلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا ألي لهب ، فقال النبيﷺ لعمه العباس : اين ابنا اخيك لا اراهما ، يعني عتبة ومعتبا ابني أبي لهب فقال العباس رضي الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال : ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للإسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما .

ثم قامﷺ واخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى اتى الملتزم ، فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه ، فقال له العباس رضي الله عنه أسرَّك الله يا رسول الله ؟ اني أرى السرور في وجهك قال : اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهدا معه حنيناً والطائف ، ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى ايضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلماً فجاء الى النبيﷺ ليأخذ له اماناً فقالﷺ : هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله : من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ فقال سهيل : كان والله براً صغيراً براً كبيراً ، ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ، ثم أسلم بالجعرانه رضي الله عنه ، وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم ، حتى ان الله ثبت به اهل مكة يوم جاءهم خبر وفاتهﷺ ، فكادوا ان يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية ، فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك ، وقيل : توفي بالشام في طاعون عمواس ، ودخلﷺ مكة يوم الاثنين بين ابي بكر وأسيد ابن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطيء رأسه على ناقته القصواء ،

مردفاً اسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهوﷺ يقرأ سورة الفتح .

وعن انس رضي الله عنه قال : لما دخلﷺ مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحلة متخشعا وفي رواية : حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله اي تواضعاً لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله ، حتى جاء البيت فطاف به .

وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني : ان طوافهﷺ إنما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ، ودعا بالقصواء فأدنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وابو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء ، وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه وإستنشده قول حسان الماضي .

يلطمهن بالخمر النساء

الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون ، فاستلم الركن بمعجنة وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ، ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعلﷺ يشير اليهم أن اسكتوا ، والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعاً يستلم الحجر الأسود كل طوفة بمعجنة ، وكان ذلك يوم الأثنين لعشر يقين من رمضان وهو حلال غير محرم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول اللهﷺ مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجاءﷺ ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية : فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير ان يمسه بما في يده ، يقول: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل ، وكان أعظم الأصنام وكان في يدهﷺ قوس ، فجعل يطعن بها في عينيه ويقول ﴿ جاء الحق ﴾ الآية ثم أمر به فكسر . فقال الزبير ابن العوام رضي الله عنه لأبي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل ، أما انك قد كنت يوم احد في غرور حتى تزعم انه قد انعم . فقال ابو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام ، لقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غيرما كان .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح : هذا ما وعدني ربي ، ثم قرأ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال :

واستجابت له بنصر وفتح		بعد ذاك الخضراء والغبراء
توالت للمصطفى الآية الكبرى		عليهم والغارة الشعواء
فإذا ما تلا كتابا من الله		تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ ﷺ من طوافه نزل عن راحلته . روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال : ما وجدنا مناخاً في المسجد لراحلته ﷺ حتى أنزل على أيدي الرجال ، فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى ﷺ الى المقاع فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال : لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلواً فنزع له العباس دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون : ما رأينا ملكاً قد أبلغ من هذا ، ولا سمعنا به ثم جلس ﷺ في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ، ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها ﷺ هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم ، وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين . وفي رواية : جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت على ستة أعمدة . وفي رواية : ان بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريباً من ثلاثة أذرع .

وفي رواية : ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الأحكام منها : لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الامع ذي محرم ، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر . ثم قال : يا معشر قريش ، ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ﴿ يا ايها الناس ان خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً

وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ﴾ ثم قال : يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم ، قالوا خيراً ، أخ كريم وابن اخ كريم .

وقد قدرت وأوّل من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال ﷺ : أقول كما قال اخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله : ايها الناس ، ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيام فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً او يعضد بها شجرة ، فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله ﷺ فقالوا له : ان الله قد اذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون اني فاعل فيكم ؟ الى آخر ما تقدم . وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين اراد الدخول ، والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال : ائتني بالمفتاح . وتقدم انه أسلم في مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم .

فذهب عثمان الى امه سلافة بنت سعيد الأنصارية الأوسية ، وقد أسلمت بعد ذلك رضي الله عنها . فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح ابت ان تعطيه فقال : يا أمه ، ادفعي لي المفتاح فانه رسول الله ﷺ فأبت ان تعطيه وقالت : لا واللات والعزى ، فقال لها لا لات ولا عزى ، ، قد جاء أمر غير ما كنا فيه ، والله لتعطنه وانك ان لم تفعلي قتلت أنا وأخي وأنت قتلتينا ، والله لتدفعنه أو ليأتين غيري فيأخذه منك فأدخلته في حجزتها وقالت : اي رجل يدخل يده هنا ؟ قال الزهري : وأبطأ عثمان على رسول الله ﷺ وهو ينتظر ، حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول : ما يحبسه ، وفي رواية : فجعلت تقول : ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار ، وعمر رافع صوته وهو يقول : يا عثمان ، اخرج فقالت : يا بني ، خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن يأخذه تيم وعدي اي ابو بكر وعمر ، فاخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريباً من وجه رسول الله ﷺ ، عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفي رواية : فاستقبله ﷺ ببشر ففتح له عثمان الباب . وفي رواية فأخذه ﷺ منه وفتح

الكعبة ، فيحتمل انهما تشاركا في الفتح .

فقد روى الفاكهي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت بنو ابي طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله ﷺ المفتاح ففتح بيده .

قال العلامة الزرقاني : ويحتمل الجمع بأنه ﷺ لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له اي فصح اسناد الفتح لكل منهما ، وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبي ﷺ الكعبة على باب الكعبة يذب الناس . ولما خرج ﷺ من الكعبة جلس في المسجد ومفتاح الكعبة في يده ، فقام اليه علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ﷺ ، فقال ﷺ ما معنا : انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، اي وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم ، وهي الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم .

وفي رواية ان العباس رضي الله عنه تطاول يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم ، فقال رسول الله ﷺ اين عثمان ابن طلحة ، فدعي به فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بز ووفاء ، وأنزل الله هذه الآية في شأن عثمان بن طلحة ﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ﴾ وروى الازرقي وغيره عن مجاهد قال : نزلت هذه الآية في عثمان ابن طلحة أخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح ، فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال : خذوها اي الحجابة يا بني أبي طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال : وقال عمر رضي الله عنه : خرج ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك : قال السيوطي : ظاهر هذا انها انزلت في جوف الكعبة وروى الأزرقي عن ابن المسيب : خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها إلا كافر .

وفي رواية عند ابن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه ﷺ دفع المفتاح الى عثمان فقال : خذوها خالدة مخلدة اني لم أدفعها اليكم ، ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم ، الا ظالم ، وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه قال : لقيني ﷺ بمكة قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت : يا محمد ، العجب لك حيث تطمع ان اتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال : وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد ان يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته ، فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال : يا عثمان ، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني ما دامت قريش

انت لا تقدر على ذلك ، فقال : بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت ان الأمر سيصير الي ما قال اي لأنه كان معروفاً بينهم بالصدق والأمانة قال عثمان : فأردت الاسلام ، فإذا قومي يزبرونني زبراً شديداً ، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان ، ائتني بالمفتاح فأتيته به ، ثم دفعه اليَّ وقال : خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ، ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف ، قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال : لم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة ، لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت ؟ قلت : بلى اشهد أنك رسول الله .

وفي تفسير الثعالبي : بلاسند ، ان هذه الآية ﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي ،أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة ، فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال : لو علمت انه رسول الله لم أمنعه ، فلوى عليٌّ يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ، فدخل ﷺ البيت ، فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة ، فأنزل الله هذه الآية فأمر ﷺ علياً ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ، ففعل ذلك علي رضي الله عنه ، فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما : أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال علي رضي الله عنه : لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله ، وأسلم .

قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمر وبن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث ، فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه ، فانّ ذلك كله منكر .

قال الزرقاني : ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لأنه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى ، لأنه لم يمكن من هو أجل منه منع شيء ولا قول شيء يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث ، وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة ، واسم ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب العبدري ، وطلحة ابو عثمان قتل كافراً يوم أحد ! ويقال لعثمان الحجبي ولآل

بيته الحجبة ويعرفون الان بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة .

قال الحافظ ابن حجر : ان ابا طلحة له ولدان : عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان : فلما مات عثمان بن طلحة بن ابي طلحة اخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ، لأن عثمان بن طلحة كان لا ولد له ، وبقي في اولاد شيبة وهم الشيبيون .

قال العلامة الزرقاني : وفي هذه الأخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن . قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي : ولا التفات إلى قول بعض المؤرخين ، ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشرك مع الحجبة في الخزانة أحد لأنها ولاية منه ﷺ ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما ، وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة ، وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى إحدى وعشرين وثمانمائة ، ولا دلالة لزاعم انقراضهم في إخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيداً ، لأن إخدامها غير ولاية فتحها ـ كما هو معلوم ـ وكثيراً ما يقع في كلام المؤرخين كالأزرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى .

وقد تقدم الكلام على إسلام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة في قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وأما شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فأسلم عام الفتح ، وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب إسلامه فيقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ، ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة ثم صار الى حرب هوازن قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله ، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها .

وفي لفظ : اليوم أدرك ثاري من محمد أي لان أباه وعمه وجملة من بني عمه قتلوا يوم أحد ، قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم . قال : وقلت لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما تبعته ، لا يزداد ذلك الأمر عندي إلا شدة . فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل ﷺ عن بغلته ، أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ، ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل ، رفع الي شواظ من نار كالبرق كاد يهلكني ، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه . وفي رواية : فلما هممت به حال بيني وبينه خندق

عن نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك . قال : فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ وتبسم ، وعرف الذي أريد ، فناداني يا شيبة أدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان . قال شيبة : فوالله لهو في الساعة صار أحب إليَّ من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان فيَّ . ثم قال : ادن فقاتل ، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم إني أحب ان أقيه بنفسي وكل شيء ، ولو كان أبي حياً ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به ، فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد ، وقرِّبت اليه بغلته فاستوى عليها قائماً .

وجاء في رواية عن شيبة ابن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله ﷺ إذ قلت : يا رسول الله ، اني لأرى خيلاً بلقاً قال : يا شيبة انه لا يراها الا كافر ، فضرب بيده على صدري ثم قال : اللهم إهد شيبة ، فعل ذلك ثلاثاً فما رفع ﷺ يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحبُّ إليَّ منه . ولما انقضى القتال ورجع ﷺ الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيري ، حباً لرؤية وجهه ﷺ وسروراً به فقال : يا شيبة الذي اراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره لاحد قط فقلت : اني اشهد ان لا إله إلا الله واشهد انك رسول الله . ثم قلت له : استغفر لي فقال : غفر الله لك .

وجاء ان بلالاً رضي الله عنه أمره النبي ﷺ ان يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين ، وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد . وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوساً بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد أوخالد بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ان لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . وقال الحرث بن هشام : اما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره . وفي رواية . انه قال : اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً . وقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيدا قبل ان يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة . وقال الحكم بن أبي العاص . والله ان هذا لحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية ابي طلحة وقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً . لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال : اما انت يا فلان فقلت : كذا . وأما أنت يا فلان فقلت : كذا . واما انت يا فلان فقلت : كذا فقال ابو سفيان : اما انا

يارسول الله فما قلت شيئاً فضحك رسول الله ﷺ ، فقال الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد : نشهد إنك رسول الله ، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول اخبرك ، وصار بعض من قريش يستهزؤون ، ويحكون صوت بلال غيظاً ، وكان من جملتهم ابو محذورة وكان من احسنهم صوتاً ، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئاً سمعه رسول الله ﷺ فأمر به النبي ﷺ فمثل بين يديه ، وهو يظن انه مقتول ، فمسح رسول الله ﷺ ناصبته وصدره بيده الشريفة قال : فامتلأ قلبي والله ايماناً ويقيناً ، وعلمت انه رسول الله ﷺ فالقى عليه رسول الله ﷺ الأذان وعلمه اياه وأمره ان يؤذن لاهل مكة ، وكان سنة ست عشرة سنة واولاده بعده كانوا يتوارثون الأذان بمكة ، ويروى ان جويرة بنت ابي جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة : والله لا نحب من قتل الأحبة ابداً ولقد جاء لأبي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ، ثم اسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها .

وممن جاءه ﷺ يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي ، وقيل : عبد الله بن السائب ، وقيل : السائب بن عويم ، وقيل : قيس بن السائب بن عويم ، وكان شريكا للنبي ﷺ قبل بعثته ﷺ : قال : لما أسلمت اخذ عثمان وغيره يثنون عليَّ فقال ﷺ لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ : لما أقبلت عليه قال : مرحباً بأخي وشريكي كان لايداري ولا يماري ، قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تتقبل منك اي لتوقفها على الاسلام ، وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام . وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوّح حدث نفسه بقتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه رسول الله ﷺ قال : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال • لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة رضي الله عنه يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً احب الي منه .

وفي سيرة ابن هشام قال فضالة : فرجعت الي أهلي فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت : هلم اليّ الحديث فقلت : لا ، وانبعث فضالة رضي الله عنه يقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا   يأبى عليّ الله والاسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله   بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا والشرك يغشي وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبي قحافة يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه ﷺ قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون أنا آتيه وفي لفظ : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر رضي الله عنه . فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : هو أحق ان يمشي اليك من ان تمشي أنت اليه ، فأجلسه بين يدي رسول الله ﷺ فمسح رسول الله ﷺ صدره وقال : اسلم تسلم فأسلم ، ولم يعش لأبي قحافة ابن ذكر الا ابو بكر رضي الله عنه ، وهنأ رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه باسلام أبيه ، وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة ، وذلك ان إسلام أبي طالب كان أقر لعينك وكان رأس ابي قحافة رضي الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب : فقال ﷺ : غير وهما وجنبوه السواد ، وكانت ام أبي بكر بنت عم أبيه أسلمت قديماً حين أسلم ابو بكر رضي الله عنه ، وأخته ام فروة رضي الله عنها اسلمت ايضاً وابناؤه وبناته .

قال بعضهم : لم يكن أحد من الصحابة اسلم هو ووالداه وأخته وجميع اولاده وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه ، وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه ، وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضي الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة : أسماء وهي اكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم ، مات ابو بكر رضي الله عنه وهي في بطن أمها وأخبر بانها انثي قبل وفاته وهي حمل في بطن امها حيث قال لعائشة رضي الله عنها انما هما أخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها اختاً غير أسماء رضي الله عنها ، فسألته عن ذلك فاشار الى الحمل المذكور وقال : اراها انثى فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه ، وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿ ربِّ أو زعني ان أشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم ، في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ قال بعضهم : لا يعرف في الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبي ﷺ وكل واحدا ابو الذي بعده الا في بيت ابي بكر رضي الله عنه ابو قحافة وابنه ابو بكر ، وابنه عبد

الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ، ومن اثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أي فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن اسامة فقد نوزع في ثبوت ان ابن أسامة رآه النبيﷺ ، فاما ابو بكر رضي الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم . وبقي من الأصنام التي كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة ، وكان من صفر . وفي رواية من نحاس موتد أبا وتاد من حديد الى الأرض ، فأمر النبيﷺ علياً رضي الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون .

وروى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : انطلق بيﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال : اجلس فجلست الى جنب الكعبة ، فصعد على منكبي ثم قال : انهض فنهضت ، فلما رأى ضعفي تحته قال : اجلس فجلست ، ثم قال : يا علي اصعد على منكبي ففعلت فلما نهض بي خُيل لي أني لو شئت نلت أفق السماء ، فصعدت فوق الكعبة وتنحىﷺ فقال : ألق صنمهم الأكبر وعالجه ، قال : فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فألقيته ، وقد أجاد القائل :

يا رب بالقدم التي أوطأتها ... من قاب قوسين المحل الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها ... كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما ... قدمي وكن لي منقذاً او مسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له ... ذخراً فليس سخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم رسول اللهﷺ مكة أبى ان يدخل البيت وفيه الآلهة اي بحسب زعمهم وكانت تماثل على صور شتى فأمر بها فأخرجت .

وفي رواية : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضي الله عنه هو الذي أخرجها ، وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام التي كانوا يستقسمون بها. فقال رسول اللهﷺ : قاتلهم الله ، اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قطوفي رواية عن جابر رضي الله عنه : وكان عمر رضي الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام ، فلما دخلﷺ رآها فقال : يا عمر ، ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام ، ثم رأى صورة مريم فقال : امسحوا ما فيها من

الصورة قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون وفي رواية أسامة بن زيد رضي الله عنهما : انهﷺ دخل الكعبة فرأى صوراً ، فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولاً .

وذكر بعضهم ان صورة عيسى وامه بقيتا او بقي بعض أثرهما ، حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان : فقال : انكما لببلاد عربية ، فلما هدم ابن الزبير رضي الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما اثرثم نادى منادى رسول اللهﷺ بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً الا كسره فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضي الله عنها الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه وتقول : كنا منك في غرور ، ثم بعث رسول اللهﷺ السرايا الى كسر الأصنام التي حول مكة لأنهم كانوا اتخذوا لهم اصناماً جعلوا لها بيوتاً يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتي ذكر السرايا اليها ـ ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوا هو مشرك، فقام رسول اللهﷺ خطيباً بعد الظهر مسنداً ظهره الى الكعبة وقيل : كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال : ايها الناس ، ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيام فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دماً ولا يعضد فيها شجرة . لم تحل لأحد كان قبل ولم تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر ، غضباً على اهله إلا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فيبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم . ان رسول اللهﷺ قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد احلها لرسولهﷺ ولم يحلها لكم .

وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ، ان شاؤوا قدم قاتله وان شاؤوا تعقله . ثم ودى رسول اللهﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الأقرع الذهلي ، وكان مع بني بكر . فلما دخل مكة وهو على شركة عرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بشقص في بطنه حتى قتله ، فلامهﷺ وقال : لو كنت قاتلاً مسلماً بكافر لقتلت خراش . والشقص ما طال من النصل وعرض وقالﷺ يوم الفتح : لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة اي لا تغزى على الكفر اي لا يقاتلوا على ان

يسلموا ، واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحاً او عنوة ؟ فقال الأكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي واحمد في رواية عنه : انها فتحت صلحاً وجمع بعضهم بين الروايات بان اعلاها فتح صلحاً اي الذي سلكه النبيﷺ ، وأسفلها فتح عنوة اي الذي سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ولما قربﷺ من دخول مكة اي قبل أن يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضي الله عنهما ، يا رسول الله اين تنزل غداً زاد في رواية أتنزل في دارك ؟ فقال له النبيﷺ : وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور ؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو واخوه طالب ولم يرث جعفر ولا عليٌّ معهما شيئاً لأنهما كانا مسلمين ، وترك لهما النبيﷺ ما يخصه تفضلاً واستمالة وتأليفاً لهما . وقيل : تصحيحاً لتصرفات الجاهلية ، كما تصحح انكحتهم ثم ان عقيلاً اسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل : اختطفته الجن .

وفي رواية للبخارى ، قالﷺ : منزلنا ان شاء الله إذا فتح الله مكة الخيف وفي رواية بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب ، وذلك ان قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب ان لايناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي ﷺ : كما تقدم وانما اختارﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم ، وتمكنه من دخول مكة ظاهراً غالباً على رغم من سعى في إخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين اساؤوا ومقابلتهم بالمنّ والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وعن جابر رضي الله عنه قال : لما رأى رسول اللهﷺ بيوت مكة وقف فحمد الله واثنى عليه ، ونظر الى موضع قبته اي التي ضربت له بعد ، وقال : هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضي الله عنه فذكرت حديثاً كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا . مكة في خيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك ايضاًﷺ في حجة الوداع فعن ابي هريرة رضي الله عنه انهﷺ قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب ، وبعد ان فتح الله مكة جاءﷺ الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء ، وقد احدقت به الأنصار فقال بعضهم لبعض : اما الرجل فقد ادركته رغبة في قريته ورأفه بعشيرته ، فنزل عليه الوحي بما ذكر القوم ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال : يا معشر الأنصار ، قلتم اما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفه بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : فما اسمي اذن ان فعلت ذلك ؟ كيف اسمي

وأوصف باني, عبد الله ورسوله ؟ كلا لا افعل ذلك ، اني عبد الله ورسوله اي من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك ، هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والمهات مماتكم ، فأقبلوا اليه بيكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا الا الضنّ اي البخل بالله ورسوله اي لا نسمح ان يكون رسول الله ﷺ في غير بلدتنا يعنون المدينة . فقال رسول الله ﷺ : فان الله ورسوله يعذر انكم اي يقبلان عذركم ويصدقانكم .

وفي رواية : ان الأنصار قالوا فيما بينهم : اترون رسول الله ﷺ اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلما يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي ﷺ : معاذ الله المحيا محياكم والمهات مماتكم . وتقدم له ﷺ في بيعة العقبة نظير ذلك ، وهو أن الأنصار قالوا : يا رسول الله ، هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، واستقرض ﷺ من ثلاثة نفر من قريش ، اخذ من صفوان بن أمية قبل ان يسلم خمسين ألف درهم ، ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم ، فرقها في أصحابه من أهل الضعف ، ثم وفاهاما غنمه من هوازن واقام ﷺ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً وقيل : ثمانية عشر يوماً واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته بها لأنه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان عمره إحدى وعشرين سنة . وفي رواية ان عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، يعلم الناس الفرائض والسنن ، وجعل رزق عتاب كل يوم درهماً . فكان رضي الله عنه يقول : لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم .

وفي رواية : انه خطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ كل يوم درهماً فلا حاجة لي إلى أحد ، وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه . وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه . وقيل : بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة إحدى وعشرين ، وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وإنما استعمله النبي ﷺ ، لأنه ﷺ كان رأى في المنام ان أسيداً والده ولي على مكة مسلماً فمات كافراً ، فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب

رضي الله عنه حين أسلم ، وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم . وجاء انهﷺ لما ولاه قال له : انطلق فقد استعملتك على أهل الله ، قال ذلك ثلاثاً . وفي رواية : قال له : يا عتاب ، اتدري على من استعملتك ؟ على أهل الله فاستوصِ بهم خيراً يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديداً على المريب ، ليناً على المؤمن . وقال : والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه ، فانه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق . فقال أهل مكة : يا رسول الله ، لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقالﷺ : إني رأيت فيما يرى النائم : كان عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب فقلقلها قلقالاً شديداً حتى فتح له فدخلها ، فأعز الله به الإسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم .

قال ابن الجوزي : إنما استعملﷺ عتاباً حين أراد الخروج الى حرب هوازن .

وفي كلام غيره : ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة ، حين أرادﷺ الذهاب الى المدينة ، ولا تخالف لاحتمال أن يراد أنه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة ، وكان لعتاب رضي الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش ، حضر وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه ، فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها . والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد أشار الإمام البوصيري لبعض ما وقع فيها فقال :

صرعت قومه حبائل بغي مدها المكرم منهم والدهاء
فاتتهم خيل الى الحرب تختا ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافي ال طعن منها ما شأنه الإيطاء
وأثارت بأرض مكة نقعاً ظن أن الغدوّ منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى دون إعطائه القليل كداء
ودهت أوجهاً بها وبيوتاً مل منها الأكفاء والإقواء
فدعوا احلم البرية والعفـ ـو جواب الحليم والإغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ ـه عليهم بما مضى إغراء

وســواء عليه فيما أتاه من سواء الملام والإطراء
قام لله في الأمــور فارضى اللـ ـه منــه تبــاين ووفاء
وإذا كان القطــع والوصــل للـ ـه تســاوي التقــريب والإقصاء
ولــو أن انتقامــه لهــوى النفـ ـس لدامــت قطيعــة وجفاء
فعلــه كلــه جميل وهــل ينـ ـضــح إلا بمــا حواه الإناء

وقد أجاد العلامة ابو محمد عبد الله بن ابي زكريا يحيى بن علي الشقراطيي ، حيث يقول في قصيدته المشهورة بعدما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتاً في قصة الفتح ، لأنهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله ﷺ فيه ، وهذه يوم استيلائه على مكة التي هي من أشرف البقاع ويوم عزه في بلاده التي أوذي فيها ودخل النـاس في دين الله أفواجاً فقال :

ويوم مكة إذ أشرفــت في أمم تضيق عنهــا فجــاج الوعــث والسهل
خوافــق ضاق ذرع الخافقــين بها في قاتــم من عجــاج الخيل والإبل
وجحفــل قذف الأرجــاء ذي لجب عرمــرم كزهــاء السيل منسحل
وأنـــت صلى عليك الله تقدمهم في بهــو إشراق نور منــك مكتمل
ينــير فوق أغــر الوجــه منتجب متــوّج بعــزيز النصر مقتبل
يسمــوا أمــام جنــود الله مرتدياً ثوب الوقــار لأمــر الله ممتثل
خشعــت تحت بهــاء العــز حــين سمت بك المهابــة فعــل الخاضــع الوجل
وقــد تبــاشر أمــلاك السماء بما ملــكت إذ نلــت منــه غاية الأمل
والأرض ترتجف من زهـــو ومــن فرق والجويزهــر إشراقــاً من الجذل
والخيل تختــال زهــواً في أعنتها والعيس تنثــال زهــواً في ثنــي الجدل
لولا الــذي خطــت الأقــلام من قدر وسابــق من قضــاء غــير ذي حول
أهــل ثهــلان بالتهليل من طرب وذاب يذبــل تهليلاً من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت له النبــوّة فوق العــرش في الأزل
شعبــت صدع قريش بعدمــا قذفت بهــم شعــوب شعــاب السهــل والقلل
قالــوا محمــد قد زادت كتائبه كالاســد تزأر في أنيابهــا العصل

فويل مكة من آثار وطأته … وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم … تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم … طولا أطال مقبل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها … تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف … مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقاً وأطهرها … وأكرم الناس صفحاً عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر … أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به … من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس … ثاوٍ بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالأمن أقطار الحجاز معاً … وملست بالخوف عن حيف وعن طلل
وحل أمن ويمن منك في يمن … لما أجابت الى الإيمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه … بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف … وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق في الخلل … وعز دولته الغراء في الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذي صبه على الكفار)

وكانت عقب فتح مكة بخمس ليالٍ بعثﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارساً ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل : هي شجرة وقيل : صنم وضعه سعد ابن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ، ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلها الى نخلة ، وهو موضع على ليلة من مكة ، وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة وحجابها بني شيبان من بني سليم ، وكانوا حلفاء بني هاشم ، وكانت اعظم اصنامهم ، وذلك ان عمرو بن لحي لعنه الله قال لهم : إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً . وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ، ويطوفون وينحرون عندها . ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده . قال ابن اسحق : فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واستند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عز شدي شدة لا سوى لها على خالد ألقى القناع وشمري
أيا عز إن لم تقتلي المرء خالداً فبوئي بإثم عاجل أو تنصري

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه ، وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضي الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ بمكة فأخبره فقال : هل رأيت شيئاً خرج منها حين هدمتها : قال : لا . قال : فانك لم تهدمها أي الهدم الأبدي المزيل لها حقيقة . فان الذي فعلته هو إزالة الصورة الظاهرة وبقي أمر خفي لا تزول إلا بزواله . فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضي الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه ، فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثوا التراب على رأسها ووجهها ، فجعل السادن يصيح بها وهو يقول :

يا عز خبليه يا عز عوريه

ولا تموتي برغم فضربها خالد رضي الله عنه وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

فجزلها اي قطعها اثنتين . وفي رواية : فضرب الشجرة بالفأس فقلعها ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها ، فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : نعم ، تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً .

(هدم سواع وهي سرية عمرو ابن العاص رضي الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة ، وكان بعثه في رمضان ايضا بعد الفتح . قال ابن جرير : سواع بن شيث بن آدم لما مات صوّرت صورته وعظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر ، فلما ماتوا صوّرت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، فاتخذوها آلهة . قال السهيلي : وكان بدء عبادتها في عهد مهلايبل بن قينان قبل نوه عليه السلام . وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما :

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب وهي اسماء قوم صالحين ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم فلم تعبد ، فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت .

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : فانتهيت إلى سواع وعنده السادن قال : ما تريد ؟ فقلت : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه . قال : لا تقدر على ذلك فقلت : لِمَ ؟ قال : يمنعك . قلت : حتى الآن انت على الباطل ويحك ، وهل يسمع او يبصر حتى يمنعني ؟ قال : فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم نجد فيه شيئاً ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ فقال : أسلمت لله رب العالمين ، ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضي الله عنه .

(هدم مناة وهي سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه الى مناة)

وهي صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم ، وقيل : إنها ايضاً لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان . وكانت بالمشلل ـ بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة ـ جبل على ساحل البحر يهبطمنه إلى قديد ، وكان بعثه في رمضان ايضاً بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارساً حتى انتهى اليها وعليها سادن . قال السادن : ما تريد ؟ قال : اريد هدم مناة . قال : أنت وذاك ؟ تهكما لظنه أنه لا يقدر عليها ، فأقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها . فقال السادن : مناة دونك بعض عصاتك ، فضربها سعد فقتلها . وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيئاً ، وانصرف راجعاً الى النبيﷺ . ثم ما ذكرمن ان الذيذهب لهدمها سعد بن زيد الاشبيلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعاً لطبقات ابن سعد . وقال ابن اسحق : إن الذي بعثه النبيﷺ لهدمها ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه . وفي سيرة ابن هشام : أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله اعلم .

غـزوَة حنـين

وهو اسم موضع في طريق الطـائف الى جنـب ذي المجـاز وهـو سوق كان في الجاهلية ، وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى عزوة أوطاس ، وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى ايضاً غزوة هوازن . وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفـة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر . وسببها أنهﷺ لما فتح مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتالهﷺ ، لأنهم خافوا أن يسير إليهم ويغزوهم . وقالوا : قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي ان نغزوه قبل ان يغزونا .

بل جاء في بعض الروايات : انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتالهﷺ . وروي عن ابي الزناد : أن هوازن اقامـت سنـة تجمـع الجمـوع وتسـير رؤساؤهـم في العـرب تجمعهم ، فلما فتح رسول اللهﷺ مكة قالوا : لا ناهية له دوننا ، وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم . وقال بعض منهم : والله ما لاقى محمداً قوم يحسنون القتال ، فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم ، فأجمعوا امرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف بن سعد ابن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ويقال له النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنـه ، فاجتمـع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر ، وهم الذين كان رسول اللهﷺ مسترضعاً فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعاً مجرباً ، لكنه كبر لانه بلغ مائـة وعشرين سنـة وقيل : ما ئة وخمسين وقيل ، مائة وسبعين وقيل : قارب المائتين وقد عمي وصار لا ينتفع إلا برأيه ومعرفته بالحرب ، لأنه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب ، وكان قائـد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف ، وانضم اليهـم من أعـداد سائـر العـرب جمـوع كثـيرة وكان

مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا ، وجعلوا أمر الجميع إلى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة ، واشترطوا عليه أن يأخذ برأي دريد بن الصمة . فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بن الصمة : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر ؟ قالوا : ساق مالك ابن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين هو ؟ فحضر بين يديه فقال له : أنك تقاتل رجلاً كريماً قد أوطأ العرب وخافته العجم ، وأجلى يهود أي غالبهم إما قتلاً وإما إخراجاً عن ذل وصغار . فقال له مالك : لا نخالفك في أمر تراه . فقال : يا مالك ، أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال له : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجر كما تزجر الدابة ، وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به ، وهو معنى قول بعضهم صوت بلسانه في فيه ، ثم قال له رويعي ضأن ، والله ماله وللعرب اي من كانت هذه صفته ماله وللحرب . ثم أشار عليه برد الذرية والأموال وقال : هل يرد المنهزم شيء هي ان كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشي وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد : ما فعلت كعب وكلب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد قال : غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا . ثم قال دريد : إن يومك هذا الذي تلقى فيه محمداً ما بعده يوم ، فقال له مالك : إني لأطمع ان ترى ما يسرك ، ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال : والله لا أطيعك إنك قد كبرت وضعف رأيك . فقال لهوازن : قد شرط مالك ان لا يخالفني وقد خالفني ، فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه ، وقال مالك : والله لتطيعنن يا معشر هوازن أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره ان يكون لدريد فيها رأي أو ذكر : فقالوا : أطعناك . فقال دريد : يا معشر هوازن ، إن هذا فاضحكم في عورتكم يعني النساء والذرية ، وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم ، فانصرفوا واتركوه فأبو ، فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها واضع

أقــود وطفـــاء الزمع كانهـــا شاة صدع

ثم امر مالك بالخيل فجعلت صفوفاً وجعل المشاة خلفهم ، ثم جعل النساء فوق الإبل وراء المقاتلة صفوفاً ، ثم جعل الإبـل والبقـر والغنـم وراء ذلك كي لا يفـروا ، ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس : إذا رأيتموني شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد . ولما بلغ النبي ﷺ اجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم ، وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوّال ، وكان معه ﷺ اثنا عشر الفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤوا معه من المدينة لفتح مكة ، وألفان من الذين أسلموا في فتح مكة الذين منّ عليهم واطلقهم يوم الفتح ، وفصل بعضهم العشرة الآلاف الـذين جاؤوا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال : أربعة آلاف من الأنصار ، والف من المهاجرين ، والف من جهينة ، والف من مزينة ، والف من أسلم ، وألف من غفار ، والف من أشجع . وتقدم أنه ﷺ استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ، ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب بن عبد العزيّ أربعين ألف درهم ، فرقها في اصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها ، وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ، ثم وفاها مما غنمه من هوازن . وقال : إنما جزاء السلف الحمد والأداء ، وكان صفوان بن امية على دين قومه وأخذ أماناً من النبي ﷺ ، وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم إن شاء تبعه ودخل في الإسـلام وإن شاء ذهـب حيث شاء ، فأعطاه اربعة اشهر ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه .

وتقدم الكلام على قصة إسلامه مستوفى عند ذكره في عداد من أهـدر دمهـم ﷺ واستثناهم من الدخول في الأمان ، ثم إنه ﷺ ذكروا له عند عزمه على الخـروج لحرب هوازنٍ ، ان عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً فأرسل اليه فقـال : يا أبـا أمية أعرنـا سلاحك نلقي به عدوّنا غداً . فقال صفوان : أغصباً يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك فقال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفي رواية : أربعمابة درع . وسأله النبي ﷺ أن يكفيهم حملها إلى موضع القتال ففعل .

وذكر بعضهم ان بعض تلك الأدراع فقد ، فأراد النبي ﷺ أن يضمنها له فأبى بعد إسلامه وقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب ، واستعار ﷺ من نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب وهو ابن عمه ﷺ ثلاثة آلاف رمح . وقال : كأني أنظر إلى رماحك هذه

تقصف ظهر المشركين . ثم خرج النبيﷺ وخرج الناس معه وأهل مكة ركباناً ومشاة ، حتى النساء خرجن يمشين على غير وهن رجاء للغنائم ، ومن لم يكمل إسلامه لم يكره أن الصدمة برسول اللهﷺ وأصحابه ، واستعملﷺ على مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه ، وترك معه معاذ ابن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الأحكام والشرائع ، وقد تقدم الكلام على ذلك في غزوة الفتح . وخرج معهﷺ من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلاً منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما ، فانهما أسلما بعد ذلك . وقد تقدم قصة إسلامهما . فلما قرب النبيﷺ من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار ، فلواء المهاجرين أعطاه علياً رضي الله عنه ، وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه راية ، وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راية ، وهكذا ، وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ولواء الأوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه ، وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ، ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الألوية والرايات ، ولبسﷺ درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء . وفي رواية : الشهباء وهي بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء ، لأن بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل ، وارسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيوناً وجواسيس ، ينظرون الى رسول اللهﷺ ومن معه ، فرجعوا إلى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا . رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وإن أطعتنا رجعت بقومك . فقال : أفٍ لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، وحبسهم عنده خوفاً ان يشيع ذلك في جيشه ولم يصرفه ذلك ، ومضى على ما يريد وأرسل اليهم رسول اللهﷺ رجلاً من أصحابه ، وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه ، وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم قوله وطفار ـ بالطاء المهملة ـ سبق قلم ، والصواب بالظاء المعجمة ـ كما في البخاري والقسطلاني عليه ما أجمعوا عليه ، فدخل فيهم ومكث يوماً أو يومين وسمع ما يقولون ، ثم أتى النبيﷺ وأخبره أنه انتهى الى خباء مالك ابن عوف ، وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه : إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة . وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ، ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف ، واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا ان الغلبة لمن

حمل أولاً .

وفي رواية : ان ابن أبي حدرد رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم اي نسائهم ولعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين إن شاء الله . فقال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم عن قلة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وقوله فيما تقدم بعشرين الف سيف حق ، وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقاني في شرح المواهب . وقيل : كانوا ثلاثين الفاً . واما رواية : إنهم كانوا أربعة آلاف فرجوحة ، ولما كان ﷺ بحنين وانحدر في الوادي ، وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قدكمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه ، وذلك باشارة دريد بن الصمة ، فانه قال لمالك بن عوف : اجعل كميناً يكون لك عوناً إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم ، وكررت عليهم انت بمن معك ، وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد . فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة ، فاستقبلوهم بالنبل كانه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم . وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما : كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي احد على أحد .

وفي رواية : فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة ، وذلك في غبش الصبح ، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية ، وكانت مع النبي ﷺ وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل : إن الطلقاء وهم أهل مكة . قال بعضهم لبعض : أي قال من كان منهم إسلامه مدخولاً خذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم ، وتبعهم الناس وسأل رجل البراء ابن عازب رضي الله عنهما فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال البراء : ولكن رسول الله ﷺ لم يفر ، وذلك ان رسول الله ﷺ انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ ، وأسامة بن زيد وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، وأيمن ابن أم أيمن وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وأيمن هذا استشهد يومئذ ، واختلف في عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل : مائة ، وقيل ثمانون ، وقيل اثنا عشر ، وقيل عشرة ، وقيل ثلثمائة ، ولا مخالفة لإمكان الجمع باختلاف اللحظات ، فكانوا تارة قليلاً وتارة كثيراً وتارة يجتمعون

معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله ﷺ على بغلته لم يمض قدماً ، وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ آخذاً بلجام بغلته يكفها أن تتقدم في نحر العدو . وجاء في رواية : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان آخذاً باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة ، وكان ابو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبي ﷺ ورضي عنه آخذاً بركابه ﷺ . قال رضي الله عنه : لما لقينا العدوّ بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتاً ، والله يعلم اني أريد الموت دونه ﷺ ، وهو ينظر إليّ . فقال له العباس رضي الله عنه : يا رسول الله ، أخوك وابن عمك ابو سفيان فارض عنه . فقال ﷺ : غفر الله له كل عداوة عادانيها . قال : ثم التفت اليّ وقال : يا أخي ، فقبّلت رجله في الركاب . وقال ﷺ فيه : ابو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة . وفي رواية : سيد فتيان أهل الجنة . وكان النبي ﷺ يركض ناحية هوازن ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، وأخذ كفاً من تراب فرماه في وجوههم وقال : شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ الله عينيه من تلك القبضة .

وجاء في بعض الروايات : انه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضي الله عنه قريباً منه قال : فقلت ارتفع رفعك الله . فقال : ناولني كفاً من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت تراباً . وقيل : إنه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده .

وفي رواية : قال للعباس ، ناولني من الحصباء ، فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها ليمسّ الأرض فتناول من البطحاء فحنا في وجوههم وقال : شاهت الوجوه حم لا ينصرون . وعن مالك بن أوس قال : حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون : لقد رمى رسول الله ﷺ تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكى القذى في عينيه ، ولقد كنا نجد في صدورنا خفقاً كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان . وعن يزيد بن عامر السوائي ، وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول : إنا كنا نجد في اجوافنا مثل هذا . وعن ابي عبد الرحمن الفهري قال : حدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه

وفمه تراباً ، وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة ، وفي عزوة بدر . وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ارجعوا . قال : فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، ولما رأى رسول الله ﷺ ما رأى من الهزيمة صار يقول : إليّ أيها الناس إليّ . قال الراوي للحديث : فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه : اصرخ يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة ، يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان . وفي رواية : اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، ويا للانصار الذين آووا رسول الله ﷺ ، وكان العباس رضي الله عنه رفيع الصوت ، حتى جاء أنه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال . وفي رواية : قال له : نادِ يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة .

وفي لفظ : نادِ يا انصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج ، ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبي صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه ، وإنه نادى بكل تلك الألفاظ . وفي رواية : إنه ﷺ نادى بنفسه ايضاً بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار ، فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر ، نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك . وفي رواية : فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله ، وصار الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أي لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ، ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله ﷺ . قال بعض الرواة : ما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله ﷺ ، إلا عطفة الابل . وفي رواية لفظ : عطفة البقر على أولادها . وفي رواية : قبلوا كأنهم الابل إذا حنت على اولادها .

وفي رواية : فجاء المهاجرون والأنصار بسيوفهم في أيمانهم كأنها الشهب فأمرهم النبيﷺ أن يصدقوا الحملة ، فاقتتلوا مع الكفار قتالاً شديداً ، فنظر الى قتالهم فقال : الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه ، يضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حر التنور . وهذا من فصيح الكلام ، ولم يسمع من أحد قبل النبيﷺ . فولى المشركون الأدبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم ، وكان في ركوبه ﷺ البغلة في هذا الموطن الذي هو موطن الحرب والطعن والضرب ، تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والأمن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل ، لأن الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والإبل ، فبين عليه الصلاة والسلام أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلاً عليه . وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه ﷺ ما انهزم مع من انهزم ، بل صار يقدم في وجه العدوّ ، بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك .

قال القاضي عياض : من قال انه انهزم يستتاب ، فان تاب وإلا قتل . ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى حدّث بعض من هوازن بعد إسلامه قال : ما خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا ، وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل ستة عشر ألفاً فقيل : إنهم قاتلوا ، وقيل لم يقاتلوا ، وإنما نزلوا لإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة . وجاء انّ النبيﷺ رفع يديه ودعا وقال : اللهم أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي ان يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم ، وأنت حي قيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، يا حي يا قيوم ، اللهم إن تشأ أن لا تعبد بعد اليوم ، اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان ، فقال له جبريل عليه السلام : لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كأن البحر أمامه وفرعون خلفه .

وكان في يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ، إن أدرك من أمامه طعنه برمحه ، وإن فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينا هو كذلك إذا أهوى اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار يريدانه ، فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه ، واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجد والأساري

مكتوفين عند رسول الله ﷺ ، ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من اهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل ان يتمكن الإسلام في قلوبهم وقالوا : لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر ، وقالوا : غلبت والله هوازن ، ولم يرض صفوان ابن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل : ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب . وقال هشام بن كلدة وكان اخا لصفوان لأمة : بطل سحر محمد فقال له صفوان : اسكت فضّ الله فاك ، فوالله لأن ير بني رجل من قريش احب إلي من ان يربني رجل من هوازن . ومر رجل على صفوان فقال له : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : أتبشرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لرب من قريش لي مالك يدبر أمري أحب إلي من رجل من الأعراب . وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال لا يجبرونها ابداً : ليس هذا لك ولا بيدك ، الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شيء ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غداً ، ووصلت الهزيمة إلى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الإسلام في قلوبهم واظهروا الشماتة . وقال قائل منهم : ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغيروا اعماهم عليه، حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبيﷺ وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم .

وعن قتادة قال : مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة ، فسرّ بذلك قوم من أهلها واظهروا الشماتة . وقال قائلهم : ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه . فقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه : إن قتل محمد فان دين الله قائم ، والذي يعبده محمد حي لا يموت . فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصرهﷺ ، فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك . ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا في قتالهم هوازن الى قتل الذرية ، فنهاهم رسول اللهﷺ عن قتل الذرية وقالﷺ : من قتل قتيلاً فله سلبه .

روي ان أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه قتل وحده عشرين قتيلاً وأخذ أسلابهم ، وأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله ، وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ فقال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : ربيعة بن رفيع السلمي ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً . فقال له دريد يسخر به : بئس ما سلحتك أمك ، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل

ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله ، فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له : أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا ؟ فقال : ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله . وقيل : القاتل لدريد الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة زيد بن سهل والأنصاري رضي الله عنه ، وكانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر ، وكانت حاملاً بابنها عبد الله بن أبي طلحة فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك يا أم سليم ؟ قالت : ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به : فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ فاعاد عليه القول ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك . وقالت أم سليم رضي الله عنها للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد كفى وأحسن أي وقد غفر الله لهم كما قال تعالى : ﴿ وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ وجرح خالد بن الوليد رضي الله عنه جراحات أثقلت به . وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : رأيت النبي ﷺ بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول : من يدلني على رحل خالد بن الوليد ؟ حتى دل عليه فوجده قد اسند إلى مؤخرة الرحل لأنه أثقل بالجراحة ، فنقل ﷺ في جراحاته فبرأ لوقته .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئاً أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنه الملائكة ولم تكن إلا هزيمة القوم . وعن جمع من هوازن قالوا : لقد رأينا يوم حنين رجالاً بيضاً على خيل بلق عليهم عمائم صفر ، قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض كتائب لا تستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم ، وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط ، وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين ، قيل : وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة ، وأسر منهم خلق كثير ، ومن النساء ستة آلاف نفس ، وغنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ، ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول

الله ﷺ .

وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال : أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبيﷺ بيده عن وجهي وصدري إلى ترقوتي ، ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ، ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس ، فأرسل اليهمﷺ أبا عامر الأشعري رضي الله عنه كما يأتي على الأثر والله اعلم

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه)

وهو عم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس . بعثﷺ أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبيﷺ ، منهم سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا باوطاس ، وهو وادٍ في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق : فرقة منهم لحقت بالطائف ، وفرقة بنخلة ، وفرقة بأوطاس ، فانتهى اليهم أبو عامر فاذا هم مجتمعون ، فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الإسلام فلم يجب . ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال : اللهم اشهد عليه فقال : اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظناً منه أنه أسلم ، فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه ، فكانﷺ إذا رآه قال : هذا شريد أبي عامر . ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله أخوان ، وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم .

وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله ، وقيل : إن الذي قتله عاشر الإخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ، ثم خلف أبا عامر ابو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمر له . فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ، ودعا النبيﷺ لأبي عامر وقال : اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة . وفي رواية : وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين)

وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي . وذلك انه لما أرادﷺ السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف ، بعث الطفيل لإحراق ذلك الصنم وان يوافيه الطائف ، فخرج سريعاً فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعاً لأنه كان مطاعاً في قومه ، فوافوا النبي ﷺ بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام .

غزوة الطائف

وذلك انه ﷺ حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة ، سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته في الف من أصحابه ، وكانت ثقيف لما انهزموا ادخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم ، بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال ، وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه . ومرّ ﷺ في طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ، ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبي ﷺ . إما أن تخرج وإما أن نحرق عليك حائطك ؟ فأبى أن يخرج منه فأمر رسول الله ﷺ بإحراقه ، ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريباً من الحصن وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات ، وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً منهم عبد الله بن أبي امية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها واصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ وعينه في يده فقال : يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله : فقال النبي ﷺ : إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فعين في الجنة . قال : في الجنة . ورمى بها من يده ، وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدّم الكلام على ذلك .

ولما وصل ﷺ الطائف نزل قريباً من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، بل قيل : انه صنعه بيده . وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ينادي أهل الحصن ويقول : من يبارز ؟ فلم يطلع اليه أحد ، وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فانّ به من الطعام ما يكفينا سنين ، فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا إليك

بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبي ﷺ تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدارِ الحصن ليخرقوه ، ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً والدبابة ـ بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث ـ هي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار ليقبوها ، وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً فسألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال ﷺ : فإني أدعها لله وللرحم ، ونادى منادي رسول الله ﷺ : أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر ، فخرج منهم بضعة عشر ، وقيل ثلاثة وعشرون رجلاً ، ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له : أبو بكرة وكان عبداً للحرث بن كلدة فأعتقهم رسول الله ﷺ ، ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله ﷺ في أن يأتي ثقيفاً في حصنهم ليدعوهم الى الإسلام .

فأذن له في ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم : تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذلّ من العبيد ، ولا تعطوا بايديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر . ثم رجع الى رسول الله ﷺ فقال له : ما قلت لهم يا عيينة ؟ قال : أمرتهم بالإسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : كذبت إنما قلت لهم كذا ، وقصّ عليه القصة . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب الى الله وإليك من ذلك . وكان جملة من قتل من المسلمين اثني عشر ، منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه أخو أم سلمة رضي الله عنها ، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف . قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها : قلت له : يا رسول الله ، ما يمنعك أن تنهض إلى أهل الطائف ، قال : لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم ، وما أظن أن نفتحها الآن . فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت إنك قلته لها ؟ قال : قلته . قال : أو ما أذن الله فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا واستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له ثعلب في حجر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحق : وبلغني انه ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : إني رأيت

أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال ﷺ : وأنا لا أرى ذلك ، وكان الحكمة في انه لم يؤذن له في فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلاً ، فأخر الله أمرهم حتى جاؤوا طائعين مسلمين - كما سيأتي ذكره في الوفود - إن شاء الله . ثم أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن في الناس بالرحيل ، فضجّ الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات ، فقال ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله ، فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك تعجباً من سرعة تغير رأيهم ، لانهم رأوا ان رأيه ﷺ أبرك وأنفع من رأيهم ، فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله ﷺ : قولوا لا إلّه إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحلوا قال : قولوا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون . وقيل له : يا رسول الله ، ادع على ثقيف أهل الطائف . فقال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين . ورحم الله الابوصيري حيث يقول :

جهلت قومه عليه فأغضى ... وأخو الحلم دأبه الأغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذي كتبه له ﷺ عند الهجرة بين اصبعيه وينادي : أنا سراقة وهذا كتابي . فقال ﷺ : هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فادنوه منه فأسلم رضي الله عنه ، وسأل النبي ﷺ عن الضالة من الإبل ترد حوضه الذي ملأه لإبله هل له في ذلك أجر ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم في كل ذات كبد حري أجر . ولما وصل ﷺ الجعرانة أمر باحصاء السبي فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والأسرى ، ومن الإبل أربعة وعشرين آلفاً ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفاً ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الأمتعة . وكان ﷺ قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبي - كما سيأتي - وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصري فقالوا : هو مع ثقيف بالطائف . فقال : اخبروه انه إن أتاني مسلماً رددت عليه اهله وماله وأعطيته مائة من الإبل ، فلما أخبروا مالكاً بذلك ركب مستخفياً فأدرك النبي ﷺ

بالجعرانة ، وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل كما وعدﷺ ، وأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه ، وقال حين أسلم يمدح النبيﷺ :

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا احتدى ومتى تشا يخبرك عما في غد
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباة جاذر في مرصد

واستعمله النبيﷺ على من اسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا ، وشهد فتح القادسية وفتح دمشق في خلافة عمر رضي الله عنه . ولما جاء وفد هوازن الى النبيﷺ بعد أن قسم الغنائم سألوه ان يرد عليهم سبيهم واموالهم فقالﷺ : معي من ترون يعني من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون ، وقد قسمت فاختاروا إما السبي وإما المال فاختاروا السبي ، فكلم رسول اللهﷺ المسلمين في رد سبيهم عليهم فردوه كلهم ، الا عيينة بن حصن ، فانه أبى ان يرد عجوزاً كبيرة . وقال : هذه أم الحي لعلهم ان يغلوا فداءها ، ثم ردها بست قلائص ـ كما سيأتي ـ وكانت في السبي اختهﷺ من الرضاع وهي الشيماء قيل : وامه حليمة رضي الله عنها ، ولما قالت له الشيماء : أنا أختك يا رسول الله . قال : وما علامة ذلك ؟ فأخبرته بعضة كان عضها إياها حين كان مسترضعاً عندهم وأرته إياها فعرفها وتذكر ذلك ، فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضي الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء . لما ان عرفها : سلي تعطي واشفعي تشفعي . وقيل : ان قومها قالوا لها : ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته في قومك لرجونا أن يحابينا . فأتته فقالت : أتعرفني ؟ قال : من أنت ؟ قالت : أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك أني حملتك فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبهم لها ، فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها ، وخيرهاﷺ فقال : إن أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك ؟ قالت : بل تمتعني وأرجع الى قومي ، فأعطاها نعماً وشاءً وغلاماً يقال له مكحول وجارية ، وقيل : أعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعماً وشاء . وقيل : القادم عليه أمه . وقيل : هما معاً جمعا بين الروايات .

وجاءه أبو صرد ويكنى بأبي برقان ، وكان عمالهﷺ من الرضاع ، فقال : يا رسول

الله . أنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، وأنّ فيمن أصبتم الامهات والأخوات والعمات والخالات ، ونرغب إلى الله واليك يا رسول الله . وقال زهير بن صرد : يا رسول الله . ان ما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك أي لأن مرضعته حليمة رضي الله عنها كانت من هوازن ، لو أرضعتنا للحرث بن أبي شمر ملك الشام ، أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ، ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين . ثم أنشده أبياتاً يستعطفه بها منها قوله :

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه ... هذي البرية ان تعفوا وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال ﷺ : ان أحسن الحديث اصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ فاختاروا إحدى الطائفتين أما السبي وإما المال . وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون لأنه ـ كما تقدّم ـ انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة . وفي رواية ، قال لهم : قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الأمرين أحب اليكم السبي أم الأموال ؟ وفي رواية قال لهم : أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم . ثم قال لهم : إذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله ﷺ في ابنائنا ونسائنا ، واظهروا إسلامكم وقولوا : نحن إخوانكم في الدين ، فسأسأل لكم الناس . فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قاموا فتكلموا بالذي امرهم به فقال رسول الله ﷺ بعد ان أثنى على الله بما هو أهله : اما بعد ، فان إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين . واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أوّل ما يفيء الله فليفعل . وفي رواية قال : وأما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل إنسان ست قلائص . وفي رواية : فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ في الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبي نصيبه . وفي رواية : فمن أحب أن يعطي غير مكره فليفعل ، ومن كره أن يعطى وأراد اخذ الفداء فعلي فداؤهم . ثم قال : أماما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : اما انا

وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن الفزاري : اما انا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : اما انا وبنو سليم فلا . فقال بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لله ولرسولهﷺ . فقال لهم العباس . وهنتموني أي اضعفتموني حيث صيرتموني منفرداً . وفي رواية : فقال رسول اللهﷺ : هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرّتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ، ومن أبى فليرد ، ذلك قرضاً علينا بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا . قالوا : رضينا وسلمنا . فردوا عليهم نساءهم وابناءهم .

وفي رواية : إنهﷺ قال : إنا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا ، فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا ، وكانﷺ عند تفريق السبي على المسلمين قد أمر منادياً ينادي : أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة ، وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوهﷺ عن هوازن ومنّه عليهم بقوله :

من فضلا على هوازن إذ كا ن له قبل ذاك فيه رياء
فحباها برا توهمت النا س به إنما السباء هداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه إماء
وأتى السبي فيه أخت رضاع وضع الكفر قدرها والسباء
بسط المصطفى لها من رداء أي فضل حواه ذاك الرداء

والصحيح انهﷺ ردّ عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد إلا عجوز من عجائزهم ، كانت عند عيينة بن حصن كما تقدّم فأبى ان يردّها ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب أن لها في الحي نسباً وعسى ان يعظم فداؤها ، فمرَّ عليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الإبل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ، ثم مر عليه معرضاً فقال له عيينة : خذها بالمائة فأبى وقال : لا أدفع إلا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم مر معرضاً فقال : خذها بالخمسين فقال : لا أدفع إلا خمسة وعشرين ، فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم مر عليه معرضاً فقال : خذها بالخمسة والعشرين . فقال : لا آخذها إلا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم معرضاً فقال : خذها بالعشرة . فقال : لا آخذها إلا بستة والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجدعند قوتها أي حزين ولا درّها بناكد ، أي غزير فقال له عيينة :

خذها لا بارك الله لك فيها ، وذلك بسبب دعائه ﷺ ، فانه دعا على من أبى أن يردّ من السبي شيئاً أن يبخص أي يكسد ثمنه . ولما أخذها ولدها قال لعيينة : إن رسول الله ﷺ كما السبي قبطية . فقال : لا والله ، ما ذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوباً ، والقبطية ـ بضم القاف ـ ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط ، روي ان رسول الله ﷺ أمر رجلاً ان يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً فلا يخرج الحر منهم إلا كاسياً ، وأمر رسول الله ﷺ بحبس اهل مالك بن عوف النصري عند عمته عاتكة ام عبد الله بن ابي امية المخزومي ، حتى جاء مالك فسلم اليه أهله ، وكان الوفد كلموه ﷺ في ذلك فقال : إنما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجري السهمان في مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الإبل كما تقدم .

(ذكر قسمة الغنائم)

لما رجع ﷺ إلى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم ، وهم ناس من قريش اسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً ، وأراد ﷺ أن يتمكن الإيمان في قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم ، كصفوان بن أمية ، ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء ابو سفيان الى النبي ﷺ : لما رأى كثرة المال قال : يا محمد ، اصبحت أكثر قريش ، فتبسم ﷺ ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال : يا رسول الله ، ابني يزيد وكان يقال له يزيد الخير ، وكان أكبر من معاوية ، فأعطى ﷺ لابنه يزيد مائة من الإبل وأربعين اوقية من فضة فقال : يا رسول الله ، ابني معاوية فأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من فضة فأخذ ابو سفيان وابناه ثلثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة . فقال ابو سفيان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت كريم في الحرب وكريم في السلم ، لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، وسالمتك فنعم المسالم كنت ، هذا غاية الكرم جزاك الله خيراً وجاء حكيم بن جزام فسأل النبي ﷺ فأعطاه مائة من الابل ، ثم سأل النبي ﷺ فأعطاه مائة ، ثم سأله فأعطاه مائة ، ثم قال له : يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه . وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها . وقال : يا رسول الله : والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى افارق الدنيا .

فكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء ، فيأبى ان يقبل منه شيئاً ،

ثم كان عمر رضي الله عنه في زمن خلافته يدعوه ليعطيه ، فيأبى ان يقبل ، فكان عمر رضي الله عنه يقول : يا معشر المسلمين ، إني أعرض على حكيم حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى ان يقبله رضي الله عنه ، والذين أعطاهم النبي ﷺ مائة مائة من الابل كثير ، منهم ابو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن جزام والاخنس بن شريق وجبير ابن مطعم والجد بن قيس السهمي والحرث بن الحرث ، والحرث بن هشام اخو أبي جهل ، وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد ابن أسيد وخلف بن هشام وزهير ابن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب ابن أبي السائب وصيفي بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفي وسفيان بن عبد الاسد المخزومي وصفوان بن أمية . وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي ﷺ مائة ثم مائة ثم مائة ثم وادياً مملوءً إبلاً وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضي الله عنه . وتقدمت قصته عند ذكره فيمن أهدر دمهم ﷺ ، وممن أعطاه النبي ﷺ مائة الأقرع بن حابس التميمي وعيينة ابن حصن الفزاري ، وأعطى العباس بن مرداس السلمي دون المائة ، وكان مثلهما رئيساً على قومه كما أنهما رئيسان على قومهما ، فقال يخاطب النبي ﷺ :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرؤ فلم اعط شيئاً ولم أمنع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبي ﷺ : اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل اصحابه . وفي رواية : يا ابا بكر اقطع عني لسانه وأعطه مائة من الإبل ، فأعطي تمام المائة ، والعبيد اسم فرسه ، وأعطى ﷺ جماعة من المؤلفة خمسين من الابل منهم : عثمان بن وهب المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدي بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس السلمي اخو العباس بن مرداس ، ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع وذكر بعضهم : ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوي وابا سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي ﷺ ، وعكرمة ابن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الأهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك ابن

عوف رئيس هوازن ومطيع ابن الأسود القريشي والنضير بن الحرث ـ بالتصغير ـ اخو النضر المقتول ببدر ، ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي . وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن اعطاه مائة ، وقيل : انه لم يكن حاضراً وهو الصحيح لأنه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بأمان من النبي ﷺ ، فرجع كما تقدم ثم قسم النبي ﷺ بقية الغنائم على بقية الأعراب .

قال أهل المغازي : أمر ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من أعظم كتابه ﷺ بإحضار الناس والغنائم ، ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الإبل وأربعتين شاة ، فان كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل ومائة وعشرين شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الأنصار ولا كبار المهاجرين شيئاً . فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله تعالى : فأخبر ﷺ بذلك فغضب وقال : إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما : ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله ، فقال : دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ، فعامل النبي ﷺ ذلك الرجل بظاهر حالة تألفاً للناس ليدخلو في الإسلام . وقال ناس من الأنصار : ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، والله إن هذا العجب إذا كانت شدة فنحن ندعي لها ، وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وإن كان من النبي ﷺ استعتبناه ، فبلغ الخبر النبي ﷺ فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ، فلما اجتمعوا قام ﷺ فقال : ما حديث بلغني عنكم ؟ فقال فقهاء الأنصار : أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسوله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال ﷺ إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وإني أردت أن أخبرهم أو أجبرهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالأموال وفي رواية : بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا .

وفي رواية : فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الانصار فبكى القوم حتى أخضلّت لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً

وحظاً ، وفي رواية : انه خطبهم فقال : يا معشر الأنصار ، لم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وكنتم عالة فأغناكم الله بي ، وكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله امنّ . قال : ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله ؟ لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم ، اتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فواسيناك ، وخائفاً فأمناك . قالوا : بل لمن علينا الله ورسوله ﷺ ، وإنما قال ذلك ﷺ تواضعاً وإنصافاً وإظهاراً لشرف قدرهم والافالجة البالغة والمنة الظاهرة . في جميع ذلك له عليهم ، فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه ، لما بقي فيه من طمع البشر من حب المال ، فكان ذلك سبباً لاجتماع قلوبهم على محبته ﷺ ، لأن القلوب جبلت على حب من احسن اليها ، وإنما لم يعط ﷺ أكابر المهاجرين والأنصار مع استحقاقهم جميعاً لرسوخ الايمان في قلوبهم ، فوكلهم الى قوة إيمانهم فكان في قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم ، فيكون سبباً لإسلامهم ولتقوية قلب من دخل في الإسلام منهم فيتبعهم من دونهم ، فكان فيه مصلحة عظيمة . ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شيء مع احتياج الجيوش الى المال الذي يعينهم على ما هم عليه ، ولما قيل له ﷺ : أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سراقة قال : أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكني أتألفهما ليسلما أي يقوي إسلامهما ، ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه واني لأعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه . وفي رواية : إني لأعطي أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب ، قال عمرو : فوالله ما أحب ان لي بها حمر النعم . وقد جاءت أحاديث كثيرة في مدح الأنصار رضي الله عنهم ، والدعاء لهم ولأبنائهم وابناء ابنائهم وقال حسان رضي الله عنه في مدحهم :

سماهم الله أنصاراً بنصرهم دين الهدى وعد إن الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترضوا للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفي البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه : بينما انا مع النبي ﷺ مقفلة من

حنين إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون : يا رسول الله ، أقسم علينا فيأنا حتى اضطروه اي ألجؤه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف ﷺ فقال : أعطوني ردائي فلو كان عندي عدد هذه العضاة نعماً . وفي رواية : لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجيدوني بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً أي إذا جربتموني لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن . ثم قام ﷺ الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس : والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم أي لأن أكثره كان يصرفه ﷺ في مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر ﷺ من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذي القعدة ، وقيل لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلة الأربعاء ، وقيل ليلة الخميس ، ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتاً بها ، والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد ، وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً سمي باسم امرأة تلقب بالجعرانة ، وكانت مدة إقامته بها ثلاث عشرة ليلة .

وجاء في الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبياً ثم توجه ﷺ الى المدينة ، واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أي تركه باقياً على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما ، يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين ، وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة ، وقيل لست بقين منه . قال الحافظ بن حجران : ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوماً .

قال كثير من أهل المغازي ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأتا جمرة العرب وأنفدتا سهامهم ، وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله ، وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم ، وأنجز الله بها الوعد لرسول الله ﷺ فانه وعده إذا فتح مكة أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً وتدين له العرب بأسرها . فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام ، وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه ﷺ ليظهر الله امره وإعزازه لرسوله ﷺ ونصره لدينه ، ولتكون غنائمهم جبراناً لأهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلي دينهم على سائر الأديان ، بقهر هذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ، حتى لا يقاومهم بعدها أحد

من العرب ،

واقتضت حكمته سبحانه وتعالى : أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعُددهم وقوة شوكتهم ، ليخفض بذلك رؤوساء رفعت بالتفح لمكة والنصر على أهلها ، فابتلاهم الله بقصة حنين منعاً لهم عن الترفع وتنبيهاً على أن المطلوب منهم التواضع وإظهار الشكر ، كما فعلﷺ حين دخل مكة فانه دخل منحنياً على ناقته ، متواضعاً خاضعاً لربه ، وليبين سبحانه لمن قال : لن نغلب اليوم عن قلة إن النصر إنما هو من عند الله ، وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له ، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي تولى النصر لنبيهﷺ ، وهو الذي انزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها : وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الإنكسار كما قال تعالى : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواتهﷺ ولهذا يجمع بينهما في الذكر : فيقال : بدر وحنين ، وفي لبسهﷺ الدرع والبيضة والمغفر دليل على أن من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدراً وشرعاً فانهﷺ اكمل الخلق توكلاً وقوة يقين ، وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ، ولبس يوم حنين درعين ، وقد أنزل الله عليه : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ومن تمام العبودية استعمال الأسباب في مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ، ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الأسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر ، وشقي وسعيد ، فلو كانت جميع الأشياء تجري على خرق العادة لما بقي كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الإسلام بظهور الخوارق ، ولو بقيت الأشياء كلها على ظواهرها من ربطها بأسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للإسلام ، وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الأسباب فأظهر الله بعض الأشياء على وفق العادة وخرق في بعضها العادة . ثم انه كشف ذلك لأناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

وفي صبرهﷺ على جفاء الأعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليهﷺ من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر ، وغير ذلك من صفاته الحميدةﷺ ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

بعث قيس بن سعد الى صداء

بعثﷺ قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنهما إلى ناحية اليمن ، بعد انصرافه من الجعرانة في أربعمائة فارس ، وامره ان يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد ، وفتح الدال والمدوهم حي من اليمن ، فقدم زياد بن الحرث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فأخبرته فقال : يا رسول الله : أنا وافدهم إليك فأردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومي وطاعتهم . فقال : اذهب اليهم فردهم . فقال : ان راحلتي قد كلّت ، فبعثﷺ اليهم خلفهم فردهم ، ورجع الصدائي الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا .

البعث الى بني تميم

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم . وسببها أنهﷺ بعث بشر بن سفيان العدوي الكلبي الى بني كعب من خزاعة ، لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم ، وقد استكثروا ذلك : لم تعطوهم اموالكم ؟ فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة . فقال لهم بنو كعب : نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة . فقال بنو تميم : والله لا ندع بعيراً واحداً يخرج ، فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبيﷺ بذلك ، فعند ذلك بعث رسول اللهﷺ عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فهجم عليهم وأخذ منهم احد عشرة رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً فجاء بهم المدينة ، فأمر بهمﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحرث .

فجاء في أثرهم جماعة من رؤوسائهم منهم : عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر والأقرع بن حابس وقيس ابن الحرث ونعيم بن سعدو عمرو ابن الأهيم ورباح بن الحرث ، فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤوا الى باب النبيﷺ ، بعد أن دخلوا المسجد ووجدوا بلالاً يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول اللهﷺ ، فاستبطؤه فجاؤوا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف : اخرج الينا نفاحرك ونشاعرك : فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد ، اخرج الينا ، فخرج رسول اللهﷺ وقد تأذى من صياحهم ، وفيهم أنزل الله : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾ وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه فوقف معهم فقالوا له : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك ، فقال لهم النبي ﷺ : ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا . ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد ثم قالوا : إن مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله ﷺ : كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ، ثم قالوا : فأْذن لخطيبنا وشاعرنا . قال : أذنت فليقم . وفي رواية : إني لم أبعث بالشعر ولم أؤمر بالفخر ولكن هاتوا ، فقدموا عطارد بن حاجب وفي رواية : قال الأقرع بن حابس لشاب منهم : قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك . فتكلم وخطب فقال : الحمد الله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق عدداً فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤوس الناس وأولى فضلهم ، فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو شئنا أكثرنا ، وإنما أقول هذا لأن يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس .

وفي رواية : انه قال : الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء ، فنحن خير أهل الأرض أكثرهم عدداً وأكثرهم سلاحاً ، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا ، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له : قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت رضي الله عنه فقال :

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط ، الا من فضله ، ثم ان من فضله أن جعلنا ملوكاً اصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم قلباً وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس الى الإيمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس مقالاً ثم كان اول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار الله ورسوله ؟ نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيراً ، أقول هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم . وفي رواية : انه قال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهدُ ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، دعا المهاجرين من

بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظم الناس اخلاقاً ، فأجابوه والحمد لله للذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزاً لدينه ، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ، ومن أباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هيناً . اقول قولي واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات . ثم قال الزبرقان لرجل منهم : قم يا فلان قل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك ، فقام فقال أبياتاً منها :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله ﷺ : علي بحسان بن ثابت رضي الله عنه فحضر فقا له : قم فأجبه ، فقال : يسمعني ما قال : فاسمعه فقال حسان رضي الله عنه أبياتاً منها :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عاتٍ من بعيد وحاضر
واحياؤنا من خير من وطىء الحصا وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضي الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله ﷺ افتقده رسول الله ﷺ يوماً فقال : من يعلم لي علمه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فذهب فوجده في منزله جالساً منكساً رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال : أخشى أن أكون من أهل النار لأني رفعت صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ أي وقد انزل الله : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبطا أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وكان ثابت بن قيس رضي الله عنه يرفع صوته لثقل في سمعه فكان يظن أن الناس لا يسمعونه إلا أن رفع صوته ، فرجع الرجل الى رسول الله ﷺ فأعلمه بما قال ثابت ، فقال : اذهب اليه فقل له : لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة . وقال ﷺ فيه : نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، ولم يزل رضي الله عنه في عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه . وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ رآه في منامه يقول له : إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول حلم فتضيعها إني لما قتلت مربي رجل من المسلمين فأخذ

درعي ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة ، وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره فليأخذها فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له : إن علي من الدين كذا وكذا وأن فلاناً من رقيقي عتيق . فاستيقظ الرجل فأتى خالداً فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ما وصفه ، ثم لما قدم المدينة اخبر ابا بكر رضي الله عنه برؤياه ، فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ، ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه ، كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخرة فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا   من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها :

إنا أبينا ولن يأبى لنا أحد   إنا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس : إني والله يا محمد قلت شعراً فاسمعه فقال : هات فانشده :

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا   إذا حالفونا عند ذكر المكارم
وإنا رؤوس الناس من كل معشر   وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ : قم يا حسان فأجبه ، فقال حسان رضي الله عنه :

بني دارم لا تفخروا إن فخركم   يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم   لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله ﷺ للأقرع : لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم ، ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه ، فكان هذا القول من رسول الله ﷺ أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الأقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي ﷺ : اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من

شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي ﷺ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : ما يضرك ما كان قبل هذا ؟ روي ان الأقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن ابن علي رضي الله عنهما فقال : يا رسول الله ، إن لي من الولد عشرة ما قبّلت واحداً منهم . فقال رسول الله ﷺ : من لا يَرْحم لا يُرْحم ، واسم الأقرع فراس ، وإنما لقب بالأقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر ، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام . ووقع ان عمرو بن الأهيم مدح الزبرقان للنبي ﷺ فقال : إنه لمطاع في انديته سيد في عشيرته . فقال الزبرقان : لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ، ولقد علم افضل مما قال . فقال عمرو : انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال .

وفي رواية : ان الزبرقان قال : يا رسول الله ، أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم وامنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهيم . فقال عمرو : انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في ادانيه . فقال الزبرقان : والله لقد كذب يا رسول الله وما يمنعه ان يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو : أنا أحسدك والله إنك لئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد ، مبغض في القبر فعرف عمرو الإنكار في وجه رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، والله لقد صدقت في الأولى ، وما كذبت في الثانية ، رضيت فقلت : أحسن ما علمت وسخطت فقلت : اقبح ما علمت ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : أن من البيان لسحراً ، ثم أنه ﷺ ردّ عليهم الأسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد أن أسلموا كلهم ، وأعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية من الفضة ، واختلف في عدد هذا الوفد فقيل : كانوا سبعين رجلاً وقيل : ثمانين ، وقيل تسعين . قال ابن عبد البر في الاستيعاب : أن القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ، ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي ﷺ أموالهم ونساءهم . وقال : أما بقي منكم أحد ؟ وكان عمرو بن الأهيم في ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناً له : لم يبق منا إلا غلام حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم ، وقيل : بل أعطاه خمس اواق فقط ، ولما بلغ عمرو بن الأهيم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتاً تتضمن لومه على ذلك ، وكان عمرو خطيباً بليغاً شاعراً ، يقال ان شعره كان حللاً م ستورة ، وكان جميلاً يدعى الكحل لجماله ، وهو القائل :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى اعلم .

بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق

بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ الصدقات من بني المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة ، وكان بينهم وبين الوليد عداوة في الجاهلية ، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد ، فلما سمعوا بدنوّ الوليد خرج منهم عشرون رجلاً بالإبل والغنم ، يؤدّونها عن زكاتهم فرحاً وتعظيماً لله ولرسوله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله لرؤية السلاح ، معهم مع أنهم انما خرجوا بالسلاح تجملاً ، فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه ، وأخبر النبي ﷺ مستنداً لظنه أنهم لقوه بالسلاح ، يحولون بينه وبين الصدقة . وفي رواية : أخبره أنهم ارتدوا فهمّ ﷺ أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم . وفي رواية : انه ﷺ بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية في عسكر معه ، وأمره أن يخفي عنهم قدومه ، فلما دنا منهم بعث عيوناً ليلاً فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون ، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة وخيراً ، فرجع اليه ﷺ فأخبره .

وفي رواية : بعث ﷺ اليهم بعثاً فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعي وكان رئيس القوم فقال : الى أين بعثتم ؟ قالوا اليك . قال : ولمَ ؟ قالوا : ان رسول الله ﷺ بعث الوليد فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله فقال : لا والذي بعث محمداً بالحق ، ما رأيته ولا أتاني . ثم قدم على النبي ﷺ ، فلما دخل عليه ﷺ قال له ﷺ : منعت الزكاة واردت قتل رسولي : قال : لا والذي بعثك بالحق ، وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبي ﷺ الخبر على وجهه ، فبعث ﷺ معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات اموالهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن ، والوليد بن عقبة ابن ابي معيط كان اخا لعثمان رضي الله عنه لأمه ، ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله ، ولما مات عثمان رضي الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع علي رضي الله عنه ولا غيره ، وأقام بالرقة الى أن توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه

سرية عبد الله بن عوسجة

رضي الله عنه الى بني عمرو بن حارثة وقيل : حارثة ابن عمر . وفي مستهل صفر وقبل ربيع الأول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الإسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا

بصحيفة النبي ﷺ فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم . فأخبر ﷺ بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال : ما لهم ذهب الله بعقولهم ؟ فهم الى اليوم أهل رعدة اي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم ، وكلام مختلط لا يفهم . قال الواقدي : رأيت بعضهم ذاعي لا يحسن الكلام . .

سرية قطبة بن عامر

الخزرجي رضي الله عنه إلى خثعم قريباً من تربة ـ بضم الفوقية وفتح الراء ـ من اعمال مكة على يومين او أكثر ، وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلاً وأمره أن يشنّ الغارة عليهم فجاؤوهم واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت الجرحى في الفريقين ، ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة ، والله أعلم .

سرية الضحاك بن سفيان

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع بجيش ، فجاءهم ودعاهم الى الإسلام فأبوا ، فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم .

سرية علقمة بن مجزر

ـ بضم الميم وفتح الجيم ـ ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريباً من جدة ، بعثه في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر ، فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيداً . ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش ، وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، فأمّره علقمة عليهم وكان فيه دعابة اي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها . فقال لهم عبد الله بن حذافة : عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار . فلما همّ بعضهم بذلك قال : امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ لما قدموا فقال : من أمركم بمعصية فلا تطيعوه . وفي رواية : انهم لما اوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون : فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها ؟ وفي رواية : انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقالوا : لو دخلوها ما خرجوا منها .

أي ان كانوا مستحلين الدخول . وجاء في بعض الروايات وصف الأمير المذكور بالأنصاري . قال الحافظ ابن حجر : يحتمل حمله على المعنى الأعم أي انه نصر النبيﷺ ، في الجملة فلا ينافي ان عبد الله ابن حذافة من المهاجرين . وفي رواية ان الذي أمّره عليهم النبيﷺ فيحتمل أنه أسند اليهﷺ في هذه الرواية لأن تأمير أميره كتأميرهﷺ ، وعبد الله ابن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدراً ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه .

ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال : وجه عمر رضي الله عنه جيشاً الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم : تنصر وأشركك في ملكي ، فأبى فأمر به أن يصلب إن لم يتنصر ، فلما ذهبوا به بكى فقال : ردّوه فقال له : لم بكيت ؟ قال : تمنيت ان لي مائة نفس تلقي هذا في الله ، فعجب منه ثم قال له : قبل رأسي وأنا أخلي عنك . فقال : وعن جميع أسارى المسلمين قال : نعم . فقبّل رأسه فخلى سبيلهم ، فقدم به على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبّل رأسه رضي الله عنهما .

سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لهدم صنم طيء بموضع يسمى الفلس ـ بضم الفاء وسكون اللام ـ بعثه ، ﷺ في ربيع الأول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار . وفي رواية : كانوا مائتي رجل فأغار على احياء من العرب وشنّ الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر ، وحرّق الصنم بعد هدمه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، وغنم سبياً ونعماً وشاء وفضة وقدم بذلك الى المدينة وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وهي ـ بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث ـ فأسلمت وحسن إسلامها رضي الله عنها . ومنّ عليهاﷺ فدعت له فقالت : شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سبباً لردّها عليه . وكان المنّ عليها سبباً لإسلام أخيها عديّ بن حاتم رضي الله عنه . وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتدّ من العرب بعد وفاة النبيﷺ ، بل ثبت على الإسلام وكان يبعث بصدقات قومه إلى الصدّيق رضي الله عنه ، وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل : مائة وثمانين سنة .

وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق في قصة سبي اخت حاتم أصابت خيله ﷺ : ابنة حاتم في سبايا فجعلت في حظيرة في المسجد ، فمرّ بها ﷺ فقامت اليه وكانت جزلة فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فقال : ومن وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ فمضى حتى كان الغد قالت : مرّ بي فقلت له وقال لي مثل ذلك ، حتى كان بعد الغدر مر بي ويئست فأشار إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خلفه ، أن قومي اليه فكلميه فقمت فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن عليّ من الله عليك . قال : قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنين فقدم رهط من طيء قالت : فأخبرته ان لي فيهم ثقة وبلاغاً فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي فقال : ما ترين في هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فان يك نبياً فللسابق اليه فضيلة ، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت ، فقلت : والله هذا هو الرأي ، فقدم فأسلم ، والقصة طويلة .

وروى ابن المبارك في الزهد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه : ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا اشتاق اليها . وفي رواية : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء ، وكان جواداً . وقد روى الامام أحمد أن رجلاً سأله مائة درهم فقال: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم ؟ والله لا أعطيك . وروى ابن سعد : ان الذي سبى أخت حاتم خالد بن الوليد ، وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالداً كان في جيش علي رضي الله عنهما وتوزع بان الجيش كله كان من الأنصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الأنصار فلا ينافي كون خالد معهم ، او يكون منهم نظر المعنى النصرة بالمعنى الأعمّ والله أعلم .

ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه

الى الجباب ـ بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف ـ أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة ـ وبلى ـ بفتح الباء وكسر اللام وشدة التحتية ـ وهما قبيلتان من قضاعة ، وقيل : ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك ، وكانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ما جرى والله أعلم .

غـزَوَة تـبُوك

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتـأنيث وجـوز بعضهـم صرفه على إرادة المكان ، وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة ، وبينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة ، وقيل اثنتا عشرة مرحلة . وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق ، وهي غزوة العسرة بمهملتين ، الأولى مضمومة بعدها سكون مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ وتعرف بالفاضحـة لافتضاح المنافقين فيها قالوا : لا تنفروا في الحر وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة كقوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ﴾ وكقوله تعـالى : ﴿ ولئـن سألتهـم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابـن حجر : وذكر البخاري لها بعد حجـة الـوداع من خط النسـاخ . قال بعضهـم : ولعـل البخاري تعمد تأخيرها للإشارة الى انها آخر مغازيهﷺ . وكان الوقت حين خروجهﷺ حراً شديداً وقحطاً كثيراً ، ولذلك لم يروّ عنها كعادته في سائر الغزوات .

وقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن ﷺ يريد غزوة ، الأوري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً وغزا عدوّاً كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذي يريد والتورية . ذكر لفظ : يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع إرادة القريب والمتكلم يريد البعيد .

وروى عبد الرزاق : أنهم خرجوا في قلة من الظهر مع كثرتهم وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، فسـميت غزوة العسرة أي الشـدة والضيق ، واختلف في سببها فقال بعضهم : سببها أنهﷺ بلغه من الإنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم ،

واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه ﷺ ذلك ، ندب الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبو لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب .

وروى الطبراني ، من حديث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما قال : كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ، ان هذا الرجل الذي يدّعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباذاً وجهز معه أربعين ألفاً ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يكن للناس قوة في الذهاب لتلك الأرض لفقد الظهر والنفقة ، وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيراً إلى الشام فلما سمع النبي ﷺ يحثّ على النفقة والحملان قال : يا رسول الله ، هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية .

قال عمران رضي الله عنه : فسمعته ﷺ يقول : لا يضر عثمان ما عمل بعدها ، وهذا إشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة إنفاقه في سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنباً إن وقع ، ولا يلزم من الصلاحية وجوده ، وقد أظهر الله صدق رسوله ﷺ ، فانّ عثمان رضي الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا . وقيل : سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش : لتقطعنّ ع:ا المتاجر والأسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهم الله بالأمر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نحبص ﴾ الى قوله : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ فعزم ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس اليه ، وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الإسلام ، ولما أراد ﷺ الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤوا بصدقات كثيرة ، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم : فقال ﷺ : هل أبقيت لأهلك شيئاً : قال : أبقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله : هل أبقيت لهم شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالي . وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية اليه ﷺ ، وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر ، وجهز عثمان رضي الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم . قال ابن إسحق : أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم

ينفق أحد مثلها . وروي عن قتادة انه قال : حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً ، وروى الإمام أحمد والبيهقي عنن عبد الرحمن ابن سمرة رضي الله عنه قال : جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجرهﷺ ، فرأيت رسول اللهﷺ يقلبها في حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم .

وجاء في رواية عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما : أنّ الذي جاء به عثمان رضي الله عنه عشرة آلاف دينار . قال بعضهم : يمكن أن الألف جاء بها والعشرة بعث بها . وجاء في هذه الرواية زيادة : ان الدنانير صبت بين يديهﷺ فجعلﷺ يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن الى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان بعدها ، ففيه بشارة عظيمة بأن الله غفر له الذنوب أي سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ، ونفقته في سبيل الله فليس يبالي بما عمل ، إذ لا يقع منه إلا الخير وفي بعض الروايات : قالﷺ : اللهمّ ارضَ عن عثمان فاني عنه راضٍ .

وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : خطبﷺفحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان : علي مائة بعير باحلاسها وأقتابها ، ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان : علي مائة بعير أخرى باحلاسها واقتابها ، ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان : علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول اللهﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب . وقال : ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها ، وأرسلﷺ إلى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم . وجاء البكاؤون يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون عليه فقال : ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم ابن عمير الأنصاري وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الأنصاري والعرباض ابن سارية السلمي وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصاري وعمرو بن عثمة الانصاري وعبد الله بن مغفل المزني وآخرون غيرهم ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون ﴾ ومنهم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ففي البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه : أنه أرسله أصحابه الى النبيﷺ يسأله الحملان فقال : والله لا أحملكم . وفي رواية : وما عندي ما أحملكم عليه . فرجع حزيناً الى قومه . ثم جاء النبيﷺ ذود من الإبل فبعث اليه وأعطاه إياها واستخلفﷺ على

المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلفه أيضاً على أهله وعياله ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً ، فأخذ عليّ رضي الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال : يا بني الله زعم المنافقون انك إنما خلفتني لأنك استثقلت مني وتخففت مني فقال : كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي . فرجع الى المدينة .

وفي رواية : فقال علي رضي الله عنه رضيت ثم رضيت ، قال أهل السنة ، إن هرون عليه السلام إنما كان خليفة في حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات ، فدل ذلك على تخصيص خلافة علي رضي الله عنه بحياة النبي ﷺ فقط ، فلا حجة فيه للشيعة على أن الخلافة لعلي وأنه أوصى له بها وكفّرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره . وزاد بعضهم : فكفّر علياً لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم في الحديث المذكور ولا متمسك لهم به ، لأنه إنما قال هذا حين استخلفه بالمدينة في هذه الغزوة ، فالحديث إنما دل على أن علياً رضي الله عنه خليفة على أهل النبي ﷺ مدة غيبته بتبوك ، كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة ، وقد استخلف ﷺ في مرات أخر غير علي رضي الله عنه ، فيلزم أن يكون مستحقاً للخلافة ، ولما سئل علي رضي الله عنه في زمن خلافته : هل أوصى لك النبي ﷺ بالخلافة ؟ قال : لا . ولو أوصى لي بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معي إلا سيفي وردائي ، ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وقول الرافضة إن ذلك كان منه تقية كذب وزور ، فانه كان رضي الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بني هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة ، فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل ، وحاشاه الله من ذلك ورضي عنه وكرم وجهه .

ولما ارتحل ﷺ عن ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر رضي الله عنه ، ورايته العظمى للزبير رضي الله عنه ، ودفع راية الأوس لاسيد بن خضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار وقبائل العرب لواء أو راية ، أي لبعضهم لواء ولبعضهم راية ، وسار بالناس وهم ثلاثون ألفاً . وقيل أربعون ألفاً ، وقيل سبعون ألفاً ، وكانت الخيل عشرة آلاف ، وقيل اثني عشر ألفاً ، وقع له ﷺ في هذه الغزوة كثير من الأخبار بالمغيبات وغيرها من

المعجزات وخوارق العادات ، وسيأتي إن شاء الله التعرض لكثير منها ، وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، بعد أن كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ، ثم قال : يغزو محمد بني الاصفر أي وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا طاقة له به ، يحسب محمد أن قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال ، يقول ذلك إرجافاً برسول الله ﷺ وبأصحابه ، ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي ، فقال بعضهم : أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأني بهم يعني الصحابة غداً مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافاً وترهيباً للمؤمنين ، والجلاد الضراب بالسيوف ، فأوحى الله الى النبي ﷺ اجتماع القوم وما قالوا . فقال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما : أدرك القوم فأسألهم عما قالوا . فان انكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا ، فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه وقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وقال ﷺ للجد بن قيس : يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر ؟ قال : يا رسول الله ، أوتأذن لي في التخلف ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني وإني اخشى أن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا ﴾ والفتنة التي سقطوا فيها هي التخلف عن رسول الله ﷺ والرغبة عنه .

وفي رواية : أنه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له : والله ما يمنعك إلا النفاق ، وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه ، فلما نزلت الآية قال له : ألم أقل لك ؟ فقال له : اسكت يا لكع ، فوالله لانت أشد علي من محمد وفي رواية إن الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي ﷺ : ولكن أعينك بمالي فأنزل الله تعالى : ﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴾ والمحققون على أن الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه ، وعاش الى الخلافة عثمان رضي الله عنه . وقال بعض المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، فانزل الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ .

وجاء المعذرون من الأعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم في التخلف ، فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلاً ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله ، وقد عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾

وتخلف جمع من المسلمين منهم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر ، وكانوا ممن لا يتَّهم في إسلامهم وستأتي قصتهم إن شاء الله تعالى . وكان ممن تخلف ابو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه ، فلما ان سارﷺ ومضت أيام دخل ابو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبرد تا فيها ماء وهيئتا طعاماً . وكان اليوم يومئذ شديد الحر ، فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله ﷺ : في الحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ؟ ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله ﷺ فهيأ لي زاداً ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى ادركه نزل بتبوك ، وقد كان ابو خيثمة أدرك عمير بن وهب في الطريق يطلب رسول الله ﷺ فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال ابو خيثمة لعمير : إن لي ذنباً فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل ، فلما دنا ابو خيثمة قال الناس : هذا راكب مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ، فلما دنا ونظروه قالوا : يا رسول الله ، هو والله ابو خيثمة ، فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أولى لك يا أبا خيثمة ، وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله ﷺ خبره فقال له رسول الله ﷺ : خيراً ودعا له بخير ، ولما مرﷺ بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحثّ راحلته وقال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وانتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم ، وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار ، فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم فيها مدة طويلة ثم أيقاع نقمته بهم وشدة عذابه ، وهو سبحانه مقلّب القلوب فلا يأمن المؤمن ان تكون عاقبته مثل ذلك . ونهى ﷺ الناس أن يشربوا مائها شيئاً وأن يتوضئوا به للصلاة ، وان يعجن منه عجين ، وان يحاس به حيس ، وان يطبخ به طعام . والعجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الإبل ، والطعام الذي طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئاً ، ثم ارتحلﷺ بالناس ولم يزل سائراً بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة . وأخبرهم ﷺ أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال : من كان له بعير فليشد عقاله . ونهى الناس في تلك الليلة عن أن يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه . فخرج شخص وحده لحاجته فخنق ، وخرج آخر في طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى القته في جبل طيء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ : فقال : ألم أنهكم أن يخرج

احد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا للذي خنق فشفي والذي القته الريح بجبل طيء ارسلته طيء له ﷺ حين قدم المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس ، واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر ، فكان يطوف في أصحابه على العسكر ، وأصبح الناس يوماً ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم ، حتى حملهم ذلك على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها .

فعن عمر رضي الله عنه ، خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل ليخر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده . وفي لفظ : على صدره فشكوا ذلك للنبي ﷺ فقال له ابو بكر : يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيراً فادع الله لنا . فقال : اتحب ذلك ؟ قال : نعم . فرفع يديه ﷺ فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه . وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر ، وان رجلاً من الأنصار قال لأخر منهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال : إنما مطرنا بنوء كذا وكذا ، فانزل الله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ أي وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للأنواء ، وقيل : انه قال له : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

وفي لفظ : انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلي : لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا ، فقالوا : يا نبي الله ، ما هذا بحين أنواء ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ثم قام فصلى ، فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد ، فمر رسول الله ﷺ برجل يغترف بقدحه وهو يقول : هذا نوء كذا ، فنزلت الآية ، وضلت ناقته ﷺ يوماً فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه : إن محمداً يزعم أنه نبي وأنه يخبركم بخبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته : فقال ﷺ : إن رجلاً يقول كذا وكذا ، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، ولقد دلني الله عليها إنها في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤوا بها .
قيل : وقع نظير هذا في غزوة بن المصطلق ، وان الواقعة تعددت وقيل : انه من الاشتباه على بعض الرواة . ولما قال ﷺ ، إن رجلا يقول كذا وكذا الخ . جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن في الرحل : والله لعجب في شيء حدثناه رسول الله ﷺ عن مقالة رجل قال كذا وكذا ، وأخبر الله نبيه ﷺ به فقال له بعض من في الرحل : هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتي بيسير يعني شخصاً حاضراً في رحله فقال : يا عباد الله ، في رحلي داهية وما أشعر

أخرج أي عدو الله من رحلي ولا تصحبني فيقال إنه تاب ، ويقال : إنه لم يزل على شر حتى هلك . وتباطأ حمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الإعياء فتخلف عن الجيش ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً فأدركه نازلاً في بعض المنازل ، وقبل مجيئه قالوا له : تخلف أبو ذرّ يا رسول الله ابطأ به بعيره فقال : دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه .

ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال : يا رسول الله ، هذا رجل يمشي على الطريق وحده . فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر . فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، وكان كما قال ﷺ فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه ، سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض ألفاظ القرآن ، وتفسير بعض من معانية ، فخشى عثمان وأبو ذر رضي الله عنهما اتساع الأمر فاستأذن ابو ذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقي بها حتى توفي وحده ، كما اخبر ﷺ ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله ﷺ لحاجته بعد الفجر ، وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ، ولم يأتهم رسول الله ﷺ فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم ، فانتهى رسول الله ﷺ بعد أن توضأ ومسح خفيه إلى عبد الرحمن بن عوف ، وقد صلى ركعة فصلى رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية ، وقال لهم بعد فراغه : احسنتم او أصبتم . ثم قال : لم يتوف ، نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته ، وهذا لا ينافي انه ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه ، بل قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يصلّ النبي ﷺ خلف أحد من أمته إلا خلف أبي بكر ، والمراد صلاة كاملة فلا ينافي صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ، ولم ينقل انه ﷺ صلى خلف أحد غير ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما . وتقدم انه ﷺ كان يستخلف أبا بكر رضي الله عنه على عسكره يصلي بالناس ، فلعل ذلك في بعض الأيام فلا ينافي صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم أو أنه كان يصلي مع ابي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي ﷺ بعض لكثرة القوم . فلما تأخر ﷺ في قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي ﷺ والله أعلم . ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففاوت عينها حتى امتلأت .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : بلغ رسول الله ﷺ أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك ، وقد قال لهم : إنكم تأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي . وأمر منادياً نادى بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك ، تبضّ من ماء وقد سبق اليها أربعة . وقيل : رجلان من المنافقين ومسّا من مائها فسبهما رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك ، ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء في شن ، فغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ومضمض ، ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير .

وفي رواية : فجعلوا فيها سهاماً دفعها اليهم فجاشت بالماء . وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملىء جناناً اي بساتين ، فرأى ذلك . وروى ابن عبد البرعن بعضهم قال : أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا خضرة نضرة ، وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، وقد كان قال لبلال رضي الله عنه : اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه ، ثم قال له ﷺ : ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر . وفي رواية : ان بلالاً قال لهم : ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا إلا بحر الشمس . فقال له رسول الله ﷺ : يا بلال أين ما قلت ؟ قال : يا رسول الله ، ذهب بي مثل الذي ذهب بك . وفي رواية : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . وقال ﷺ للصديق رضي الله عنه : إن الشيطان صار يهدي بلالاً للنوم كما يهدي الصبي حتى ينام ، ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً وسأله عن سبب نومه ، فأخبر بما قاله النبي ﷺ للصديق . فقال الصديق رضي الله عنه للنبي : أشهد أنك رسول الله . ثم انتقل ﷺ غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء . وفي منصرفه ﷺ من تبوك قال ابو قتادة رضي الله عنه : بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ وهو قافل من تبوك وأنا معه ، إذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال : يا أبا قتادة . هل لك في التعريس أي النزول للنوم ؟ فقلت ما شئت يا رسول الله ، قال : انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم . فقلت : أجيبوا رسول الله ﷺ فجاؤوا فعرسنا .

وفي رواية : قال أبو قتادة : فبينا رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه ، فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة اخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار ، حتى

إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال : من هذا . قلت : أبو قتادة قال : متى كان هذا مسيرك معي ؟ قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة . قال : حفظك الله بما حفظت به نبيه ﷺ .

وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أوانه من الاشتباه على بعض الرواة . قال أبو قتادة رضي الله عنه ، ثم قال رسول الله ﷺ : هل ترى من أحد يعني من الجيش ؟ قلت : هذا راكب ، ثم قلت : هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة . وفي رواية : خمسة برسول الله ﷺ ، فمال رسول الله ﷺ عن الطريق ثم قال : احفظوا علينا صلاتنا ، فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره ، فقمنا فزعين ثم قال : اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء . وفي رواية : جرعة من ماء ثم قال لي : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله ﷺ الفجر بعد طلوع الشمس ، أي بعد أن ارتحلوا . ففي رواية : ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان .

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : كنا في سفر مع النبي ﷺ وانا لنسير حتى كنا في آخر الليل وقعناوقعة ولا وقعة احلى للمسافر منها ،فما ايقظنا إلا حر الشمس ، وكان النبي ﷺ اذا نام لم يوقظه احد حتى يكون هو استيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه اي من الوحي ، فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما اصاب الناس اي من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي ﷺ وفي رواية : ان الصديق استيقظ اولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ ، عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فلما استيقظ شكوا اليه الذي أصابهم اي من فوات صلات الصبح فقال ﷺ : لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس .

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ماكفارة ما صنعنا من تفريطنا في صلاتنا ؟ فقال النبي ﷺ : ما هذا الذي تهمسون دوني ، فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا قال امالكم في اسوة ثم قال ليس في

النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى ، وقد اختلفت الروايات في حكاية هذه القصة فرواها بعضهم في غزوة خيبر وبعضهم في الحديبية ، وبعضهم في تبوك ، فاختلف العلماء في توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة ، وجزم بعضهم بانها في غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله ﷺ ، نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واجيب بان القلب انما يدري المعاني المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ، واجيب ايضا بانه ﷺ كان له نومان : نوم تنام فيه عينه وقلبه ، ونوم تنام فيه عينه فقط ، ينبغي ان يكون هذا الثاني اغلب احواله وان الأنبياء مثله في ذلك ، ثم ان اكثر الجيش كان قد تقدم وما بقي معه ﷺ الا سبعة او خمسة كما تقدم فقال ﷺ لمن كان معه : ما ترون الناس ، يعني الجيش . فعلوا قالوا : الله ورسول اعلم فقال : لو اطاعوا ابا بكر وعمر رشدوا وذلك ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ارادا ان ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما ، فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الأرض لا ماء بها ، وقد كادت اعناق الخيل والركاب تنقطع عطشاً . فقال ﷺ : اين صاحب الميضأة ؟ قيل هوذا يا رسول الله قال : جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شيء من ماء وفي رواية عاد رسول الله ﷺ بالركوة فأفرغ ما في الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين اصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ، وروت خيلهم وركابهم .

قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ فنزل المطر وفي كلام بعضهم ، ان رسول الله ﷺ لما حصل للقوم العطش ارسل نفراً من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم ان علياً رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك ، فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي ﷺ ، او ان ذلك كان في غزوة اخرى بعث ﷺ اولئك النفر لطلب الماء وامرهم ان يستعرضوا الطريق واعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم : اشتروا منها ماءها بما عز وهان وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان إذا بالمرأة ومعها السقاء .

وفي رواية : اذا بأمرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت : انا وأهلي احوج اليه منكم فسألوها ان تأتي رسول الله ﷺ مع الماء فأبت وقالت : هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابيء وخير الاشياء ان لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم : حلوا عنها . ثم قال لها اتأذنين لي في الماء ولتضبين ماءك كما جئت به ؟ قالت :

سأنكم فقال لأبي قتادة رضي الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضأة ماءً قليلاً ثم وضع يده فيه ثم قال : ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملأوه وارووا إبلهم وخيلهم ، وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث ، لأن الثاني وضع ﷺ يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وفي هذا وضع يده في الميضأة بعد ان لم يجدوا في الميضأة شيئاً .

وفي رواية ان تلك المرأة اخبرته ﷺ انها مؤتمة اي لها ايتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لهامن كسر وتمر ، ثم قال لها اذهبي واطعمي هذا عيالك ، وفي رواية ايتامك . وصارت تعجب مما رأت ، ولما قدمت على اهلها قالوا لها لقد احتبست علينا ؟ فقالت ، حبسني إني رأيت عجباً أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهم قريب من سبعين نفراً وملأوا من القرب والزاد والمطاهر ما لا احصى . . ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما ان يكون ذلك الرجل اسحر اهل الأرض او هو نبي كما يقول ، فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ، ما رأينا امرأة دخلت على قومها من البركة مثل ما ادخلت هذه المرأة على قومها .

وفي صحيح مسلم : لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصها جماعة يتناوبونها فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فتنحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يا رسول الله ان فعلت ففي الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك البركة فقال ﷺ نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء اخرّ بكف تمر ويجيء الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضله فقال رسول الله ﷺ اشهد ان لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة .

وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية . ولا مانع من التعداد او هو من خلط بعض الرواة ، ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزور فأطعمهم وسقاهم فقال له ﷺ : انت طلحة الفياض وسماه يوم أُحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر .

وعن بعض الصحابة قال : كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي ﷺ طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت، فانتبهت لخرير النحي فقمت فاخذت رأسه بيدي فقال ﷺ ، وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادي سمناً وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء ؟ فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا. فقال ، انظر عسى ان تجد شيئا فاخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال : كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة انفس واحصبت اربعاً وخمسين تمرة اعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال : يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعاً فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع ﷺ يده عليهن ثم قال : كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رعفنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله ﷺ لولا اني استحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينةمن آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل ﷺ تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة فارس إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني ، وكان ملكاً عظيماً من قبل هرقل بدومة الجندل ، وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له : إنك ستجده ليلاً يصيد البقر ، فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان ، فشدت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حساناً ، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله ﷺ قبل قدومه ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيعجبون منه فقال ﷺ : أتعجبون من هذا ، فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما ، فدخلوا الصحن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ ، على أن يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفي بعير ، وثمانمائة فرس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسة ، ثم قدم باكيدر على النبي ﷺ فحقن ﷺ دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله ، وكان هرقل مقيماً بحمص . وفي هذه الغزوة كتب له ﷺ يدعوه الى الإسلام ـ وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في مكاتباته ﷺ ، وأتاه ﷺ وهو بتبوك صاحب أيلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب يمد ويقصر . وهي قرية بالشام وأهل أذرح ـ بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء

المهملة ـ مدينة هناك ، وأهدى صاحب أيلة لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه رسول الله ﷺ برداً فصالح رسول الله ﷺ على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم .

وكتب له ولأهل أيلة كتاباً صورته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا منة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم في البر ، والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي ﷺ ، ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن احدث منهم حدثاً فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي ﷺ لأهل أذرح وجرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ﷺ ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل بالنصح والإحسان الى المسلمين ، وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم ، وأقام ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ، وقيل عشرين ليلة ، ولم يلق كيداً ، وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعباً منه ﷺ عند سماعهم بمسيره ، فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من إغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين وإذلالهم ، واستشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، أن كنت أمرت بالسير فسر ، فقال رسول الله ﷺ : لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه . فقالوا : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك ، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمراً .

وأخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن غنم : ان اليهود قالوا له ﷺ وهو بالمدينة : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء ، فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك انزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ الآيتين ، فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث ، فرجع ﷺ ، فقال جبريل : سل ربك ، فان لكل نبي مسئلة ، وكان جبريل له ناصحاً . وكان النبي ﷺ له مطيعاً . قال : فما تأمرني أن أسأل ؟ فقال جبريل : ﴿ قل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ الآية . ثم انصرف ﷺ قائلاً الى المدينة وبنى في طريقه عشرين مسجداً ، وكان في بعض الطريق ماء قليل جداً فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ،

فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذي فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يجد فيه شيئاً فقال : من سبقنا الى هذا الماء : فقيل فلان وفلان ، فقال : ولم أنههم ان يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ، ثم لعنهم ودعا عليهم .

ثم نزل في موضع الماء ومسح بيده ودعا بما شاء ان يدعو به ، فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو بقي منكم أحد لتسمعن بهذا الوادي ، وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أي هذا خلاف عين تبوك التي تقدم له فيها ما يشبه هذا ، حيث قال لمعاذ : يا معاذ يوشك إن طالبت بك حياة أن ترى ما هنا مليء جناناً لأن تلك العين كانت عين تبوك ، وهذا عند منصرفه من تبوك .

واجمع رأي من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلاً ، وقيل اربعة عشر ، وقيل خمسة عشر رجلاً على أن يؤذوا رسول الله ﷺ في العقبة التي بين تبوك والمدينة ، فقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي ، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك ، فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد ، واسلكوا بطن الوادي فانه أسهل لكم وأوسع ، فلما سمع المنافقون النداء اسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادي ، وسلك رسول الله ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته ﷺ ، وأمر حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن يسوق من خلفه .

وفي دلائل النبوة للبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنت ليلة العقبة آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقودها وعمار بن ياسر يسوقها وانا أسوقها وعمار يقودها أي يتناوبنان ذلك ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه ، فنفرت ناقة رسول الله ﷺ حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم ، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن ، فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول : إليكم اليكم يا اعداء الله ، فإذا هو بقوم ملثمين .

وفي رواية : انه ﷺ صرخ بهم فولوا مدبرين ؛ فعلموا ان رسول الله ﷺ اطلع على مكرهم به ، فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة

رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ قال : لا ، كان القوم متلثمين والليلة مظلمة .

وفي رواية : أن حذيفة رضي الله عنه قال : عرفت راحلة فلان وفلان . قال : هل علمت ما كان من شأنهم وما ارادوه ؟ قال : لا . قال : انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني ويطرحوني منها الى الوادي ، وأن الله أخبرني بهم وبمكرهم ، وسأخبركما بهم فاكتماهم ، ولما أصبح ﷺ جاء إليه أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ؟ فقد كان أسهل من العقبة . فقال : أتدري ما أراد المنافقون ؟ وذكر له القصة . فقال : يا رسول الله ، قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا وإن أحببت فبين أسماءهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم فقال : إني أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم وأقبل عليهم يقتلهم : فقال . يا رسول الله ، هؤلاء ليسوا بأصحاب . فقال رسول الله ﷺ : أليسوا يظهرون الشهادة ؟ ثم جمعهم ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه ، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر . فأنزل الله : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ الآية .

وقال ﷺ للمسلمين عند انصرافهم من تبوك : ان بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : نعم . حبسهم العذر ، ولما قرب ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء ويقولون أن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا ، فلما بلغتهم سلامة النبي ﷺ وأصحابه وبان كذبهم ، ساءهم ذلك وانزل الله : ﴿ ان نصبك حسنة تسوءهم ﴾ الآية . وخرج مع الناس لتلقيه ﷺ النساء والصبيان والولائد ، وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمة الى المدينة ، ولا مانع من تعدد ذلك ، ولما أشرف

ﷺ على المدينة قال : هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ، والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع ، وقيل : المراد يحبنا أهله ونحبهم . ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : أتأذن لي يا رسول الله أن أمتدحك ؟ قال : قل لا يفضض الله فاك فقال :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لأبشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتماً في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله ﷺ : لا تكلموا رجلاً منهم فأعرض عنهم رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف . من المنافقين بضعة وثمانون رجلاً ، وتخلف أيضاً كعب بن مالك رضي الله عنه ، وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما ، وكانا من الأوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق ، فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون ، فقبل رسول الله ﷺ ظاهرهم وعلانيتهم ، واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى ، وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم ، وأنزل الله فيهم : ﴿ وآخرون مرجون لأمرار ما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ ونزلت هذه الآية في أول أمرهم ونزل في آخر أمرهم عند قبول توبتهم : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلفوا ﴾ الآية .

وكان كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه في غزوة تبوك قال كعب رضي الله عنه : لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك . غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاقب ﷺ أحداً ممن تخلف عنها ، انما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد ، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام ، وما أحب ان لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس ، وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها

راحلتين قط حتى جمعتهما ما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل ﷺ سفراً بعيداً ومفاوز واستقبل عدواً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان : قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك يخفي ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى ، وغزا ﷺ حين طابت الثمار والظلال ، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً . وأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض شيئاً فهممت ان ارتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ، ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ ، يحزنني أن لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق او رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ ، حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه حب برديه والنظر في عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : بئسما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب : فلما بلغني ان رسول الله ﷺ توجه قافلاً من تبوك طفقت اتذكر الكذب ، وأقول بم اخرج من سخط الله غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل : ان رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء ابداً فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء ، المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له ، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت: يا رسول الله ، اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، يوشك ان الله يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ﷺ : اما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ، فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني . وقالوا : ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت ان تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله ﷺ ، وما زالوا يؤنبونني حتى كدت أرجع الى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي احد ؟ فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت : وقال لهما النبي ﷺ مثل ما قال لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً فقلت لي فيهما أسوة ومضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيتها الثلاثة من بين من تخلف عنه ؟ وتغير علينا الناس حتى انكرت في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، واما انا فكنت اشد القوم وأجلدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق فلا يكلمني احد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي هل حرك شفته برد السلام ام لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فان اقبلت على صلاتي نظر إليّ واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائطاً لأبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس اليّ فسلمت عليه فوالله ما ردَّ علي السلام .

فقلت : يا ابا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم : ففاضت عيناي وتوليت ، فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط أهل الشام ، ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع لي كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فاذا فيه : اما بعد ، فانه بلغنا ان صاحبك قد جافاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا بضيعة . فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأته : وهذه الرسالة ايضاً من البلايا فألقيتها في التنور فسجرتها حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي ، فاذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال :

ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تعتزل امرأتك . قال : فقلت الحقي بأهلك فكوني معهم حتى ينقضي هذا الأمر . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنك فقالت : والله ما به حركة الى شيء فوالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما

كان الى يومه هذا قال كعب : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في اهلك . قال : قلت وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، وضاقت علي نفسي اذ سمعت صارخاً او في على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك ، فخررت ساجداً لله تعالى وعلمت ، انه قد جاءني فرج . قال : وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرساً ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه . وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الي من الفرس وجاء في رواية ان الذي ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضي الله عنه . وفي رواية فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي له فكسوته إياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله ﷺ وتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنوني بالتوبة ، يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله ﷺ حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني ، والله ما قام لي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور قال : ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك قال : قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله ؟ قال : بل من عند الله ، وكان ﷺ اذا سرّ استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال • وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، انما نجاني الله بالصدق ، وان من توبتي ان لا احدث إلا صدقاً ما بقيت قال : فوالله ما زلت في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا ، واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي .

وجاء في رواية قلت يا رسول الله ، ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله . قال رسول الله ﷺ امسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك قال فأنزل الله ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ حتى بلغ ﴿ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا

ان الله هو التواب الرحيم ، يا أيها الذين آمنـوا اتقـوا الله وكونـوا مع الصادقـين ﴾ قال كعب : والله ما أنعم الله علي بنعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله ان لا اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لأحد فقال سبحانه وتعالى ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم . انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبـون يحلفـون لكم لترضـوا عنهـم فان ترضـوا عنهـم فان الله لا يرضى عن القـوم الفاسقين ﴾ .

وفي رواية عن كعب رضي الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر؛ فما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبيﷺ ؛ او يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي ولا يسلم علي قال وأنزل الله توبتنا على نبيهﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول اللهﷺ عند ام سلمة رضي الله عنها ، وكانت ام سلمة محسنة في شأني معتنية في امري فقال رسول اللهﷺ يا ام سلمة تتيب على كعب فقالت : يا رسول الله ، أفلا أرسـل اليه ابشرة ، قال : اذن يحطمـكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل ، حتى إذا صلى رسول اللهﷺ صلاة الفجر ، اذنﷺ بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضي الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وانزل الله توبته في قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ والصحيح ان قصة ابي لبابة انما كانت في غزوة بني قريظة لما استشاروه في النزول على حكم النبيﷺ فأشار لهم الى عنقه يعني انه الذبح قال : فما برحت قدماي من موضعهما حتى علمت اني خنت الله ورسوله ، فذهب وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى نزلت توبته .

وتقدمت القصة بتمامها في غزوة بني قريظة وأن الله انزل في ذنبه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسـول وتخونـوا اماناتـكم وانتـم تعلمـون ﴾ الآية وأنـزل في توبتـه ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الآية ولما رجعﷺ من تبوك قبل ان يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه ان يأتي مسجده ليصلي فيه ، وهو مسجد الضرار الذي بنوه الاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم ، فدعاﷺ بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ﴾ الآية الى قوله ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه ابداً ﴾ فدعاﷺ مالك بن الدخشن ومعن بن عدي بن عارم بن السـكن ووحشياً .

وقال : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ، فخرجوا مسرعين حتى اتو بني سالم بن عوف وهم رهطمالك ابن الدخشن فقال مالك : انظروني حتى آتيكم بنار، فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد ، وفيه أهله فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله ﷺ ان يتخذوا ذلك الموضع كناسة فلقى فيه الجيف والقمامات وقدمﷺ من تبوك في رمضان سنة تسع ، وبعد قدومهﷺ وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى ، فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهماﷺ في المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة في الصحيحين وغيرهما .

سرية ابي سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما .

وكانت هذه السرية بعد ان رجعﷺ من تبوك ، وذلك انه وفد عليهﷺ ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتي قصة وفدهم فأرسلﷺ ابا سفيان والمغيرة بن ثعلبة رضي الله عنهما الهدم اللات بالطائف ، فذهبا في بضعة عشر رجلاً فهدموها حتى سووها بالأرض وفي رواية ان المغيرة ، اراد ان يقدم أبا سفيان في هدمها فأبى ذلك ابو سفيان عليه ، وقال : ادخل انت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول اي الفأس العظيم التي يقطع بها الصخر ، وقام قومه دونه يحمونه خشية ان يرميه احد بسهم ، وخرج نساء ثقيف من الحجال حسراً أي مكشوفات يبكين على الطاغية ، وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لأنها تمنع من ذلك .

وفي رواية وأراد المغيرة ان يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفي لفظ : اخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا : ابعد الله المغيرة قتلته الراية وقالوا : والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم : فيحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدرفا فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم اخذ في هدمها فهدمها الى ان كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابه لما سمع سادنها يقول : ليغضبن الأساس فليخسفن بهم ، ثم اخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليهﷺ فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله اعلم .

سرية جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

الى ذي الخلصة ـ بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة ـ وذو الخلصة اسم بيت كان فيه

صنم لقوم جرير ، وكانت هذه السرية قبل وفاته ﷺ بنحو شهرين . قال جرير رضي الله عنه : قال لي النبي ﷺ : الأ تريحني من ذي الخلصة ؟ فقلت : بلى ، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من احمس ، وكانوا اصحاب خيل ، وكنت لا اثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب في صدري وقال : اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً فما وقعت عن فرس بعد . وكان ذو الخلصة بيتاً في اليمن لخثعم وبجيلة يقال له : الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها . ثم بعث الى رسول الله ﷺ فقال رسول جرير : والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، فبارك في خيل احمس ورجالها خمس مرات .

وروى الطبراني عن جرير قال : بعثني النبي ﷺ الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم ان يقولوا لا إله الا الله قال الحافظ بن حجر : والذي يظهر انه غير بعثه الى الصنم ، ويحتمل انه بعثه الى الجهتين على الترتيب ، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث جرير : انه ﷺ قال له : يا جرير : انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جداً ، وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ، ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي ﷺ : وحكى بعضهم ان موضع ذي الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم .

سرية اسامة بن زيد رضي الله عنهما

الى ابني ـ بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فالف مقصورة ـ وهي ناحية بالبلقاء من ارض الشام وهي آخر السرايا ، كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لأربع ليال يقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ، امر ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال : سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحاً على اهل ابني وأحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك ، فلما كان يوم الأربعاء بداية ﷺ وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد ﷺ لأسامة لواء بيده ثم قال : اغز بسم الله وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق احد من المهاجرين الأولين والأنصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم ابو بكر و عمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين

والأنصار هذا الغلام ، وكان سن أسامة سبع عشرة سنة ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرين فبلغ رسول الله ﷺ مقالتهم فغضب غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال .

اما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة أبيه من قبله ، وأيم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة ، وان كان من أحب الناس الي ، وانه ما ظنه لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم . ثم نزل فدخل بيته ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله ﷺ ويخرجون الى المعسكر بالجرف ، وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول : نفذوا بعث أسامة واستثنى ابا بكر وأمره بالصلاة بالناس ، فلا منافاة بين من روى ان ابا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لأنه كان من الجيش اولا ثم تخلف لما استثناه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس .

وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعناً في ابي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة ، وانه ﷺ لعن المتخلف عن جيش اسامة ، لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه ﷺ لأجل صلاته بالناس ، وفيه إشارة الى انه الخليفة بعده ، واما اللعن الذي ذكروه فلم يرد في حديث فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فجاء اسامة رضي الله عنه فطأطأ فقبله ﷺ وهو لا يتكلم ، ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ثم رجع اسامة الى معسكره ثم دخل عليه ﷺ يوم الاثنين فقال له : اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل ، فبينما هو يريد الركوب وفي رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل فان رسول الله ﷺ ثقيل فأقبل واقبل معه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما وانتهوا على رسول الله ﷺ وقد توفي حين زاغت الشمس . فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقوداً حتى أتى الى رسول الله ﷺ فغرزه عنده ، فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان يمضي اسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله ﷺ ظهر النفاق وقويت شوكة اهله ، وقويت نفوس اهل النصارنية واليهودية ومن كان يرغب فيهم ، وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، وارتدت طوائف من العرب وقالوا : نصلي ولا ندفع الزكاة وكل

ذلك ظهر قبل ان يتوجه جيش اسامة ، فعند ذلك كلم الناس ابا بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من السفر وقالوا : كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فأبى ابو بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من الخروج وقال : والله الذي لا إله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل ازواج رسول الله ﷺ ما ارد جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده .

وفي لفظ والله لأن يخطفني الطير أحب الى من ان ابدأ بشيء قبل تنفيذ امر رسول الله ﷺ يعني تنفيذ جيش اسامة .

وفي رواية ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعمر : ارجع الى خليفة رسول الله ﷺ واسأله يأذن لي ان أرجع بالناس ، فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ ، وثقله وأثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون . وقالت الأنصار لعمر رضي الله عنه : فان أبى ابو بكر رضي الله عنه إلا ان يمضي الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه ان يولي امرنا رجلاً اقدم سنا من اسامة فقدم عمر الى ابي بكر رضي الله عنهما فأخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لو تخطفتني الذئاب والكلاب لم ارد قضاء قضي به رسول الله ﷺ : قال عمر رضي الله عنه : فان الأنصار أمروني ان ابلغك انهم يطلبون ان تولي رجلاً اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر رضي الله عنه وكان جالساً فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال : ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني ان انزعه .

فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الأنصار لم يكونوا اسمعوا من النبي ﷺ الأنكار على من طعن في ولاية اسامة رضي الله عنه ولا بلغهم او جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك ، حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوز ذلك ايضاً ثم كلم ابو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه ان يأذن له في التخلف ، ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل ، وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطبيبا لقلبه ، فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج اسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيه الف فرس ، وودعه ابو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشياً وأسامة رضي الله عنه راكب ، وعبد الرحمن

ابن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه ، فقال اسامة يا خليفة رسول الله ، اما ان تركب واما ان انزل . فقال : والله لست بنـازل ولسـت براكب ثم قال له الصديق : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، ثم ان اسامة رضي الله عنه سار الى أهل ابني ، فشن عليهم الغارة اي فرق الناس عليهم ، وكان شعارهم ، يا منصور أمت . فقتل من قتل وأسـر من أسر وحرق منازلهم وحرث ارضها ، فازال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ، ولـم يقتل من المسلمين احد وكان اسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل ابيه . وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهماً واخذ لنفسه مثـل ذلك ، فلما أمسى امر الناس بالرحيل وأسرع السير ، وبعث مبشراً الى المدينة بسلامتهم . وخرج ابو بكر في المهاجرين والأنصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون اسامة ومن معـه وسروراً بسلامتهم . ودخل اسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ، فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته . وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب ارادوا ذلك ، وقالوا : لولا قوة اصحاب محمدﷺ ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، فثبتوا على الاسلام . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد ان ولي الخلافة اذا رأى اسامة رضي الله عنه قال : السلام عليك أيها الأمير ، فيقول اسامة : غفر الله لك يا امير المؤمنين ، تقول لي هذا فيقول : لا ازال ادعوك ما عشت الأمير . مات رسول اللهﷺ وانت علي امير وقد كان اسامة رضي لله عنه يدعى حب رسول اللهﷺ وابن حبه .

وفي الصحيحين : انهﷺ كان يأخذ اسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول : اللهم احبهما فاني احبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وارادﷺ قطع يدها : فلم يجسر احد ان يكلمهﷺ غير اسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه . فقالﷺ : اشتفع في حد من حدود الله ومناقبة رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة او بوادي القرى سنـة خمس أو اربـع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله اعلم ، ومما ينبغي ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثهﷺ .

بعث الصديق رضي الله عنه .

بعثﷺ ابا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس ، واما في السنة الثامنة فأمر عتاب بن اسيد رضي الله عنه ان يحج بالناس ، وكان اميراً على اهل مكة كما

تقدم في قصة فتح مكة ، فخرج ابو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة ، وبعث ﷺ معه بعشرين بدنة قلدها واشعرها بيده الشريفة وساق ابو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه : استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني اقرأ براءة على الناس ، وانبذ الى كل ذي عهد عهده ، وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عاماً وخاصاً ، فالعام ان لا يصدّ احد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف احد في الأشهر الحرم ، والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب الى آجل مسماة ، وكانت عادة العرب ان لا ينبذ العهد ، إلا من كان قريباً ممن اراد النبذ ، لذلك بعث ﷺ علياً رضي الله عنه ولم يكتف بأبي بكر رضي الله عنه ، فمضى ابو بكر رضي الله عنه فحج بالناس . قبل : كان الحج ذلك العام في ذي القعدة للنسيء الذي كانوا يصنعونه والصحيح انه كان في ذي الحجة .

وجاء في رواية انه بعد ان توجه ابو بكر رضي الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له ﷺ : لو بعثت بها ابا بكر ، فقال ﷺ : لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علياً رضي الله عنه فقال : اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى ، فقرأ علي بني ابي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر وقال : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، لأنهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون اصواتهم بقولهم : لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ، ويقول الواحد منهم : اطوف بالبيت كما ولدتني امي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم ، وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره او يكتريه ، واذا طاف بثوب من ثيابه القاه بعد طوافه فلايمسه وقيل : كانت المرأة تلبس درعاً مفرجاً وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قلبها وهي تقول . اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا احله .

وفي ايجاب ستر العورة انزل الله تعالى ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾ الآية وفي رواية لما لحق علي ابا بكر رضي الله عنه قال له اميرا ومأمور قال : بل مأمور فكان علي رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف ابي بكر الى ان رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبي ﷺ عزل ابا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي ، وقد تواتر أن ابا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس ، وكان علي من جملة رعيته في

تلك السفرة ويصلي خلفه الى ان رجعوا الى المدينة .

وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام ابو بكر رضي الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى اذا فرغ قام علي رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة، وجاء في رواية ؟ انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ، ثم يوم النحر ، ثم يوم النفر ، فيحمل على تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في السنة التاسعة في ذي القعدة ، وجاء ابنه الى رسول الله ﷺ وقال : ان أبي احتضر فأحب ان تشهده وتصلي عليه قال : ما اسمك ؟ قال : الحباب ، فقال : بل انت عبد الله الحباب اسم الشيطان . وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وكان يحمل امر أبيه على ظاهر الاسلام ، وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي ﷺ وسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه بعهد من ابيه .

بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال: ارسل عبد الله بن أبي الى النبي ﷺ : فلما دخل عليه قال : اهلك حب يهود ؟ فقال : يا رسول الله ، انما ارسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتوبخني ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ابن أبي جاءه ﷺ فكلمه فقال : قد فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ، فأعطاه القميص ثم لما أراد ﷺ ان يصلي عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، اتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ وعدد عليه اشياء مثل قوله : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله : ليخرجن الاعز منها الأذل .

وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ، وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ فقال له النبي ﷺ : انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه ، فقال ﴿ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه : انه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ لأنه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ، ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام ، واستصحا بالظاهر الحكم ولإكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافاً لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم ، لما رأوا عبد

الله يسأل النبي ﷺ ان يكفنه في قميصه وان يصلي عليه ، وصلى عمر مع النبي ﷺ وترك رأي نفسه ، وأطال ﷺ في تلك الصلاة واكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي ، وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال : ما رأيت رسول الله ﷺ أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس : ومشى معه ﷺ حتى قام على قبره حتى فرغ منه ، وانما فعل ﷺ ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطيب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم ، فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه ، فاستعمل ﷺ أحسن الأمرين في السياسة الى ان كشف الله الغطاء وقيل : انما اعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن ابي اعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين اسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي ﷺ ﴿ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ . فكان في ذلك لتأييد لرأي عمر رضي الله عنه، فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه ، وكان نزولها بعد فراغه ﷺ من امره على الصحيح وقيل : بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت .

وروى الطبراني عن قتادة قال : ذكر لنا انه ﷺ قال : وما يغني عنه قميصي من الله واني لأرجو بذلك ان يسلم الف من قومه فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله .

وفي شرح القسطلاني على البخاري : اسلم الف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه ﷺ ، ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

البعث الى اليمن

بعث ﷺ ابا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان ، كل واحد منهما على مخلاف ، واليمن مخلافان والمخلاف ـ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ، ـ بلغة أهل اليمن الناحية . ويقال له : الكورة ـ بضم الكاف ـ والاقليم والرستاق ، وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن ، وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون ـ بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى .

وقال لهما النبي ﷺ يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا .

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذا : انك ستأتي قوماً اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا إلّه الا الله وأن محمداً رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم . واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب .

وروى الامام احمد عن معاذ رضي الله عنه قال : لما بعثني ﷺ الى اليمن قال : قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن اطاعك من عصاك وروى الامام احمد ايضاً وابو يعلى : انه ﷺ لما بعث معاذاً الى اليمن ، خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت ظل راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك ان تمر بمسجدي وقبري : فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه .

وروى ابن عساكر انه ﷺ مشى معه ميلا ومعاذ رضي الله عنه راكب لأمره ﷺ بذلك : قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذاً رضي الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا وقاضياً فقال ابن عبد البرانة كان قاضياً وقال الغساني : انه كان اميراً على المال ، وحديث ابن ميمون فيه التصريح : بانه كان اميراً على الصلاة وهذا يرجح انه كان والياً .
وقد جاءت احاديث كثيرة في فضله رضي الله عنه منها : اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ومنها معاذ بن جبل ، امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم - بكسر همزة - امام وبعضهم - بفتحها - وأما أبو موسى رضي الله عنه فقدم على النبي ﷺ في حجة الوداع والتقى به بمكة ، واستدل العلماء بارساله على انه كان عالماً فطناً حاذقاً ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الامارة ، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين ، والحق انه لم يصد منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى ان يجعل الأمر شوري بين من بقى من الصحابة من اهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الأمر الى ما آل اليه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

بعث خالد بن الوليد

بعث النبي ﷺ خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر ، وقيل في ربيع الآخر ، وقيل في جماد الأولى سنة عشر الى بني عبد المدان ، ـ بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم ـ وعبد المدان الذي نسبت القبيلة اليه هو جدهم الأعلى ، واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ، ويقال لتلك القبيلة ، بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمي باسم نجران بن زيد بن سبأ فأمر ﷺ خالداً ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثاً قال : فان استجابوا فاقبل منهم ، وان لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون : ايها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه ، فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبي ﷺ يعلمه بذلك ، فكتب اليه ﷺ ان يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية شوّال اوصدر ذي القعدة وسيأتي في الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى .

بعث علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن .

بعث رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر ، وعقد له لواء وعممه بيده ، وقال له : امض ولا تلتفت : فقال علي رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما اصنع ؟ قال : اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، وادعهم الى قول لا إله إلا الله فان قالوا نعم ، فمرهم بالصلاة فان اجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت وروى ابو داود وغيره من حديث علي رضي الله عنه قال : بعثني النبي ﷺ الى اليمن فقلت : يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني ، وانا حديث السن لا ابصر القضاء ، قال : فوضع يده ﷺ في صدري وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه : وقال : يا علي ، اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال علي : والله ما شككت في قضاء بين اثنين فخرج علي رضي الله عنه في ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق اصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال ، وكانت الغنائم نعماً وشاء ، ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وخرج

منهم رجل من مذبح يدعو الى المبارزة ، فبرز اليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود واخذ سلبه ، ثم صف علي رضي الله عنه اصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان الأسلمي فقتل منهم عشرين رجلاً ، فتفرقوا وانهزموا فكفّ عن طلبهم قليلاً ، ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام ، فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ، وجمع على الغنائم فجزأها خمسة اجزاء فكتب في سهم منها لله ، واقرع عليها فخرج اول السهام سهم الخمس ، وقسم على أصحابه بقية المغنم ، ثم قفل علي رضي الله عنه فوافى النبيﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر .

وجاء في بعض الروايات انه ﷺ بعث علياً رضي الله عنه الى اليمن ، وذلك في رمضان سنة عشر ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، فكتب بذلك اليهﷺ فخرّ ساجداً لله ، ثم جلس فقال : السلام على همدان وتتابع اهل اليمن على الاسلام لكن قوله في التاريخ سنة عشر وهم لأن بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر ، انما كان سنة عشر بعثه الى بني مذحج ، واما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث علي رضي الله عنه الى اليمن حصل مرتين .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : بعثنا رسول اللهﷺ مع خالد الى اليمن ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال : مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقب معه فغنمت اواقي ذوات عدد زاد الاسماعيلي ، فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول اللهﷺ ، فأسلمت همدان جميعاً فكتب علي الى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قر بالكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان ، وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف ، وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح في ان البعث الأول كان في اواخر سنة ثمان وانه الى همدان واما الثاني فكان في رمضان سنة عشر الى مذحج .

أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الثالث

دار القلم العربي

السِيرة النبَويّة
٣

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُوريَة - حَلَبْ - خلفَ الفُنْدُقِ السيّاحِي

شارع هدى الشِعْرَاويْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

حجّة الوداع

وفي سنة عشر من الهجرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع ،وسميت بذلك لأنه ودّع الناس فيها وبعدها وما عرف وداعه حتى توفي بعدها بقليل ، فعرفوا المراد وأنه ودّع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفاراً ، وأكد التوديع بإشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا أنه بلغ ما أرسل اليهم به ، وتسمى حجة الإسلام لأنه ﷺ لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها ، وحجة البلاغ لأنه بلغ الناس الشرع في الحج قولاً وفعلاً ، وتسمى حجة التمام والكمال ، لنزول قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، وكان ﷺ بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ، ويغزو المغازي ويبعث السرايا والبعوث ، من حين أذن له في القتال ، فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج ، فتجهز وأمر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة .

قال ابو اسحق السبيعي : وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة ، وليس كذلك بل حج قبلها مراراً وقيل : حج وهو بمكة حجتين ، وقيل : ثلاث حجج ، والحق الذي لا ارتياب فيه كما في شرح الزرقاني على المواهب : انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج ، وإنما يتأخر منهم من لم يكن بمكة ، أو عاقه ضعف وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامة الحج ، ويرونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب ، فكيف يظنّ به ﷺ أنه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه في الجاهلية رأى النبي ﷺ واقفاً بعرفة وأنه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان ﷺ يخالفهم ويصل إلى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح أنه ﷺ كان يدعو قبائل العرب إلى

الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقاني : فلا يقبل نفي ابن سعد انه لم يحج بعد النبوة إلا حجة الوداع لأن المثبت مقدّم على النافي خصوصاً وقد صحبه دليل إثباته ولم يصحب النافي دليل نفيه ولذلك .

قال ابن الجوزي : حج ﷺ حججاً لا يعرف عددها وقال ابن الأثير في النهاية : كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه ﷺ لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفاري وكان نساؤه كلهنّ معه وقد طاف عليهنّ كلهنّ ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانياً لإحرامه غير غسل الجماع ، وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذي الحجة يوم الأحد ، وخرج معه ﷺ تسعون ألفاً ويقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ويقال : أكثر من ذلك وهذه عدّة من خرج معه وأمّا الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي وأبي موسى رضي الله عنهما .

وجاء في حديث أن الله وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور في كتب السنة شهير شائع فلا حاجة إلى الإطالة به .

بَاب يُذكر فيهِ مَا يتعَلق بالوُفوُد

التي وفدت على رسول الله ﷺ غير ما تقدّم قد تقدّم أنه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصري وذلك في أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم في سرية عيينة بن حصن وكان ذلك في المحرّم سنة تسع .

وفد نصارى نجران

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكباً جاؤه يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن تشمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوي بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال ﷺ : دعوهم تألفا لهم ورجاء لإسلامهم ولدخولهم بالأمان فأقرّهم على كفرهم سياسة فليس فيه إقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوي عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ، ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال ﷺ : أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فإن تعطونيها آخذها فقالوا : نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزيّ الحسن تشوّقت نفوسهم إلى الدنيا فأنزل الله تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلك للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ ولما فرغوا من صلاتهم عرض ﷺ عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا : قد كنا مسلمين قبلك ، فقال رسول الله ﷺ : كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم أن لله ولداً وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رهطاً

من نجران قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ما شأنك تذكر صاحبنا قال : من هو قالوا : عيسى تزعم أنه عبد الله قال : أجل قالوا : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له : قل لهم إذا أتوك إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين .

وفي رواية : أنّ واحداً منهم قال له المسيح ابن الله : لانه لا أب له وقال آخر : المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيراً وقال له : أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال : هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فغضبوا وقالوا : إنما يرضينا أن تقول : هو إله وقالوا : إن كنت صادقاً فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص ويخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ثم قال لهم : إنّ الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أباهلكم أي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له : يا أبا القاسم ترجع فننظر في أمرنا فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم : والله قد علمتم أنّ الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبياً إلا استؤصلوا أي اخذوا عن آخرهم وإن أنتم أبيتم إلا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم .

وفي لفظ أنهم ذهبوا إلى بني قريظة وبني قينقاع واستشاروهم أي شاوروا من بقي منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ أنهمواعدوه على الغد فلما أصبح ﷺ أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وعند ذلك قال لهم الأسقف : إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى : أن يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني فقالوا له ﷺ : لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال : آخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى : ﴿ ونساءنا ونساءكم ﴾ .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : وأما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولا ضرم الوادي عليهم ناراً ولاستأصل الله نجران

وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم أنهم صالحوا النبي ﷺ على الجزية على ألف حلة في صفر وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتاباً وقالوا : أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم : هذا أمين هذه الأمة .

وفي رواية : هذا القوي الأمين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك وفي أهل نجران وفي الردّ عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوّركم في الأرحام كيف يشاء أي بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون في أوّل الكلام إشارة إلى الردّ عليهم وذلك براعة استهلال وهي من المحسنات البديعية .

وفد تميم الداري وأصحابه

وفد عليه ﷺ الداريون أبو تميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن إسلامهم رضي الله عنهم وكان وفدهم عليه مرّتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرّة بعدها وفي المرة الأولى سألوا رسول الله ﷺ : أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام فقال لهم رسول الله ﷺ : سلوا حيث شئتم . قال أبو هند وهو من أصحاب تميم : فنهضنا من عنده نتشاور في أي الأراضي نأخذ فقال تميم : نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند : هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا قال تميم : نسأله بيت جيرون وكورتها فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتاباً نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين أعطاه الله الأرض فوهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم إلى الأبد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتاباً وقال : إنصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت قال أبو هند : فانصرفنا فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدّد لنا كتاباً آخر فكتب لنا كتاباً نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه أني أنطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونهيت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبداً لابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب .

ومن فضائل تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ روى عنه حيث خطب فقال في

خطبته : حدّثني تميم الداري وذكر خبر الجساسة أي لأنّ فيما أخبر النبيﷺ أنه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء فلقي إنساناً يجر شعره فقال له : من أنت قال : أنا الجساسة قالوا : فأخبرنا قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال : من أنتم قلنا ناس من العرب قال : ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال : ذلك خير لهم قال : افلا تخبروني عن عين زعر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال : ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال : أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال : فأخرجه رسول اللهﷺ فحدث الناس فقال : هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر : وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير : ولما فتحت مكة ودانت لهﷺ قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول اللهﷺ ولا بعداوته لأن قريشاً كانت قادة العرب فلما أسلموا دخل الناس في دين الله أفواجاً وتتابعت الوفود عليهﷺ .

وفد كعب بن زهير رضي الله عنه وقد تقدمت قصته في فتح مكة

وفد ثقيف

ولما قدمﷺ المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما إنصرفﷺ من محاصرتهم تبع أثره عروة ابن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم رضي الله عنه وسأل رسول اللهﷺ : أن يرجع إلى قومه يأمرهم بالإسلام فقال له رسول اللهﷺ : إنهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم أي أولادهم .

وفي رواية : من أبصارهم فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم لأنه كان محبباً مطاعاً وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف فتوجه الى قومه فلما أشرف لهم على عليه دعاهم إلى الإسلام وأظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله .

وفي لفظ : أنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان

السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره : وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه ﷺ : أن مثله في قومه كمثل صاحب يّس أنه قال لقومه : إتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يسٓ .

وقد قال ﷺ : مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصن أو ابن الحرث بعثه ﷺ إلى بني هلال بن عامر يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه فقال ﷺ : مثله مثل صاحب يّس ، ثم أن ثقيفاً أقامت بعد قتل عروة أشهراً ثم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمر وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال : وفد عليه ﷺ تسعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة ابن شعبة الثقفي فذهب مسرعاً ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحبون رسول الله ﷺ فأبوا إلا تحية الجاهلية وهي عم صباحاً ثم قدموا على رسول الله ﷺ فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه إذا رجعوا ذهب إلى النبي ﷺ يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن وإذا وجد النبي ﷺ نائماً ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك رسول الله ﷺ فأحبه .

وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : إستعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لأني كنت قرأت سورة البقرة في مدّة إقامتهم وعنه رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله إن القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال : يا شيطان أخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده أريد حفظه وعنه

رضي الله عنه قلت : يا رسول الله أدع الله أن يفقهني في الـدين ويعلمنـي قالَ : ماذا قلتَ : فأعدت عليه القول فقال : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك إذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله أن الشيطان حال بيني وبـين صلاتـي فقـال : ذاك الشيطان يقال له : خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه وأتفل على يسارك ثلاثاً قال : ففعلت فأذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فأرسل ﷺ يقول له : أنا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لا تديموا النظر إلى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله ﷺ لا عدوى ولا طيرة .

وبما جاء في أحاديث أخر : أنه ﷺ اكل مع المجذوم طعاماً و خذ يده وجعلها مع يده في القصعة وقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأجيب بأن الأمر باجتناب المجذوم إرشادي ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوى إيمانه وعدم جوازها في حق من ضعف إيمانه ومن ثم باشر ﷺ الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوي الايمان بطريق التوكل ضعيف الايمان بطريق التحفظ والإحتياط ولا تأثير إلا لله وما يتخيل من العدوى في أمثال ذلك من جملة الأسباب العادية التي لا تأثير لها بل يحصل الشيء عندها لا بها والفعل لله وحده الله خالق كل شيء .

وعند إنصراف وفد ثقيف قالوا : يا رسول الله أمر علينا رجلاً مؤمناً فأمر عليهم : عثمان بن أبي العاص فما رأى من حرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقـال الصديق للنبي ﷺ : يا رسول الله إنـي رأيت هذا الغـلام من أحرصهـم على التفقـه في الإسلام وتعلم القرآن . وفي رواية : أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إجعلني أمام قومي قال : أنت أمامهم وقال له : إذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذناً لا يأخذ أذانه أجراً وكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وهو الذي يمشي بينهم وبينه ﷺ حتى كتب لهم كتاباً وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين إن عضـاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ووج وادياً بالطائف وقيل هو الطـائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود وغيره ألا إن صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج المدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه ، والمشهور عنه في وج وحرم المدينة أنه يحرم التعرض لصيديهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول

الله ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله ﷺ : أن يترك لهم الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه .

وفي لفظ لا ركوع فيه وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهي اللات وكانوا يقولون لها : الربة فأبى رسول الله ﷺ فسألوه : أن يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهراً واحداً وأرادوا بذلك ليدخل الإسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله ﷺ وعند خروجهم قال له كنانة : أنا اعلمكم بثقيف أكتموا إسلامكم وخوّفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمداً سألنا أموراً عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أموراً شداداً وذكروا ما تقدم قالوا : والله لا نعطيه ولا نقبل هذا أبداً فقالوا لهم : أصلحوا السلاح تهيؤوا للقتال ورموا حصونكم فكنت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ، ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا : والله ما لنا به من طاقة فارجعوا إليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم : قد قاضينا وأسلمنا فقالوا لهم : لم كتمتمونا قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا أو مكثوا أياماً فقدم عليهم رسل رسول الله ﷺ بعث ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلى فلما قدما على رسول الله ﷺ أمر ﷺ أبا سفيان أن يقضي بين عروة وأخيه الأسود من مال الطاغية فقضاه وذلك أن أبا مليح ابن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الأسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله ﷺ : في ذلك وكان قدما على رسول الله ﷺ مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد بني عامر بن صعصعة

وفيهم عدوّ الله عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى ـ بضم السين وفتحها ـ وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر ابن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راحل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي ﷺ فقال : لاربد وهو أخو لبيد الشاعر إذا قدمنا على

الرجل فأني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال : والله لقد كنت آليت على نفسي أي حلفت أن لا أنتهي حتى تتبع عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني أي إجعلني خليلاً وصديقاً لك قال ﷺ لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال : يا محمد خالني وجعل يكلم النبي ﷺ وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء ويبست يده على السيف فلم يستطع سله .

وفي رواية : لما جاءه عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له : أسلم يا عامر فقال عامر لي : إليك حاجة قال : أقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله ﷺ وقال لرسول الله ﷺ : أتجعل لي الأمر بعدك ؟ إن أسلمت فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك لك ولا لقومك أي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر وقال : لا .

وفي رواية : قال له : يا محمد مالي إن أسلمت فقال له : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . وفي رواية : خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله عز وجل ومكث ﷺ أياماً يدعو الله ويقول اللهم : أكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله وأهد قومه ثم قال ﷺ : والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنوا عامر لزاحمت قريشاً على منابرها فحينئذ دعا رسول الله ﷺ وقال : يا قوم أمنوا ثم قال : اللهم إهد بني عامر وإشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت وأني شئت وفي البخاري أنه قال للنبي ﷺ أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء ، فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر : لاربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به وما كان على وجه الأرض رجل أخافه على نفسي غيرك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً فقال : لا أبالك لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف .

وفي رواية : ألا رأيت بيني وبينه سوراً من حديد . وفي رواية : لما وضعت يدي على السيف يبست فما أستطيع أحركها . وفي رواية : لما أردت فصل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل فاغر فاه بين يدي يهوي إلي فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسي ولا مانع من

تكرير عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحداً مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى إلى بيت إمرأة من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم فسار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول : يا بني عامر غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول إئتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتاً وكان يقول : وهو يجول أبرز يا ملك الموت .

وفي لفظ : يا موت أبرز لي لأقاتلك، فلم يزل كذلك حتى أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته ، وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر ابن الطفيل على الإسلام إلى أن مات وذلك إنما هو عامر بن الطفيل الأسلمي فإنه صحابي رضي الله عنه قال : يا رسول الله زوّدني كلمات أعيش بهن قال : يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحيي من الله كما تستحي من رجل من أهلك ، وإذا أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات . وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات على كفره ، وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقال : لاربد ما وراءك يا أربد قال : لا شيء والله لقد دعانا إلى شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك في يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ وأما جبار بن سلمى الذي هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر وحسن إسلامه رضي الله عنه .

وفد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

قيل أنه وفد على النبيﷺ في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر أنه سنة تسع قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وفي رواية : أيكم محمد : قالوا : هذا المتكيء فقال إلى سائلك فمشدّد عليك فلا تجد علي فقال : سل عما بدا لك فقال : يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق فقال : أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك .

وفي رواية : أنشدك بالذي خلق السموات والأرض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن

تأمرنا أن تعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان أباؤنا يعبدونها قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من إثني عشر شهراً قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من إستطاع إليه سبيلاً . قال : اللهم نعم . قال : آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما رجع إلى قومه كان أوّل شيء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه : يا ضمام إتق البرص إتق الجذام إتق الجنون فقال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً إستنقدكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فلم يبق من القوم رجل ولا أمرأة إلا وأسلم .

وفد عبد القيس

وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال : أبياتاً يخاطب بها النبيﷺ منها قوله :

يا نبي الهدى أتاك رجال قطعت فدفد أو آلافا
لا تتقي وقع يوم عبوس أو جل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة وآلافا ما يرفع الشخوص في أوّل النهار وفي آخره وقيل بالسراب قيل : كان مجيئهم سنة عشر فعرض ﷺ على الجارود بعد إنشاده الأبيات فقال : يا محمد ، إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبيﷺ : نعم أنا ضامن أن قد هداك إلى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء في رواية أنه كان مع الجارود سلمة بن عياض الأسدي وأن الجارود قال لسلمة : إنّ خارجاً خرج يزعم أنه نبي فهل لك أن تخرج إليه فإن رأينا خيراً دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها ، لا يخبر بها صاحبه فلعمري إن أخبرنا بها إنه لنبي يوحي إليه فلما قدما عليه ﷺ قال له الجارود : بم بعثك ربك يا محمد ؟ قال بشهادة أن لا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ندّ يعبد من دون الله

وبإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير إلحاد من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

قال الجارود : يا محمد ، إن كنت نبياً أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله ﷺ وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدّر عنه فقال : أما انت يا جارود فإنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وإنّ دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الإسلام ألا وإنّ أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة وأما أنت يا سلمة فإنك أضمرت أن تسألني عن عبادة الأوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الأوثان فإن الله تعالى يقول : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ وأما يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيراً من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأخير من رمضان فإنها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها الإشعاع لها وأما عقل الهجين فإنّ المؤمنين أخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم له فقالا : نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإنك عبده ورسوله ، وذكر بعضهم أن وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن أن وفادتهم تكررت وجزم بذلك في المواهب .

وجاء في رواية : أنه ﷺ بينما هو يحدّث أصحابه إذ قال لهم : سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق . وفي رواية : يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم أغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكباً وقيل : كانوا عشرين راكباً وقيل كانوا أربعين رجلاً فقال : من القوم قالوا : من بني عبد القيس ؟ فقال : أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفا فقال : خيراً ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده ﷺ ورجله ، وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سناً فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي ﷺ وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها وكان رجلاً دميماً ففطن لنظر رسول الله ﷺ إلى دمامته فقال : يا رسول الله إنه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم إنما يحتاج من الرجل إلى أصغر به لسانه وقلبه ، فقال له رسول الله ﷺ إن فيك خلتين .

وفي رواية : خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والإناة فقال : يا رسول الله أنا التخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال : بل الله تعالى جبلك عليهما فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والإناه كقناة التؤدة أي التأني في الأمر وقد جاء في الحديث التؤدة والإقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوّة . وفي رواية : أنهم لما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم : من القوم قالوا : من ربيعة فقال : مرحباً بالقوم .

وفي رواية : بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا : يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة أي لأن مساكنهم بالبحرين أي وما والاها من أطراف العراق وأنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل إليك إلا في شهر حرام .

وصرّح في بعض الروايات : بأنه رجب فمرنا بأمر نأخذ به ونخبر به من وراءنا وندخل فه الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الإمام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير .

وفي رواية : والمقير والمراد النهي عن نتباذ النبيذ في هذه الأشياء لأنها تسرع بالتخمر الذي هو سبب الإسكار والدباء والقرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والمقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر والمقيد ما طلي بالقار وهو الزفت .

وجاء في رواية بدل المقير والزفت . وفي رواية قال : واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الأواني فقالوا يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقي فيها أسقية الأدم قال : وإن أكلها الجرذان قال : ذلك مرتين أو ثلاثاً فقال له الأشج : يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة واخمة وإنا إذا لم نشرب هذه لا شربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه واوماً بكفه ، فقال ﷺ يا أشج إن أرخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه أي سكر قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال : فلما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ جعلت أسدل ثوبي لأغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه ﷺ . وفي رواية : أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا : يا رسول الله إن أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا إلا النبيذ قال : قال : فلا تشربوا في النقير فكأني بكم إذا شربتم في النقير

قام بعضكم إلى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها إلى يوم القيامة فضحكوا فقال : ما يضحككم قالوا : والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا إلى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال : لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال : إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من أدناها إلى أقصاها وقال لهم : خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وإنما إقتصر في المناهي على شرب الأنبذة في الأوعية المذكورة مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم أن النهي عن إنتباذ في هذه الأواني إنما كان في أوّل تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة في شربها معتادة لها ثم لما إستقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها . قال ﷺ : كنت نهيتكم عن الإنتباذ في هذه الأواني فانتبذوا في كل إناء واجتنبوا المكر فالنهي عن الإنتباذ فيها منسوخ ، والقصد إجتناب المسكر فقط والله أعلم .

وفد بني حنيفة

ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وفدوا عليه ﷺ وكانوا سبعة عشر رجلاً ومعهم مسيلمة الكذاب قيل : جاء بنوا حنيفة إلى رسول الله ﷺ ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيماً له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيراً وكان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه معه عسيب من سعفة النخل في رأسه خويصات فلما إنتهى مسيلمة إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلم النبي ﷺ وسأله أن يشركه معه في النبوّة فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل إن بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فأمر له ﷺ بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا إلى اليمامة إدّعى مسيلمة أن النبي ﷺ أشركه معه في النبوّة وقال لمن وفد معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني أما أنه ليس بشركم مكاناً ما ذاك إلا لما كان يعلم أني أشركت معه في الأمر أي وهو ﷺ إنما أراد بذلك أنه حفظ ضيعة أصحابه .

وفي الصحيحين : انه ﷺ أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقد بلغه ﷺ أن مسيلمة قال :

إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته فقال له النبي ﷺ : إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها وإني لاراك الذي رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم إنصرف عنه ﷺ والذي رأى منه ﷺ هو أنه رأى في المنام أن في يده سوارين من ذهب قال : فافهمني شأنهما فأوحى الله إليّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطار فأوّلتهما كذا بين يخرجان من بعدي أي وهما الأسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فإن كلاً منهما إدّعى النبوّة في حياته ﷺ وكان العنسي يقول : إن ملكاً يقال له : ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمداً فلما بلغه ﷺ ذلك قال : لقد ذكرنا ملكاً عظيماً في السماء يقال له : ذو النون .

وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى : كان فيها تابعاً ومن ثم جاؤوا به مستوراً حتى إنتهى إلى النبي ﷺ أو قام في حفظ الرحل كما تقدم والثانية : كان متبوعاً لم يحضر أنفة واستكبار وعامله ﷺ معاملة الكرام تألفا له فأتاه إلى قومه وهو فيهم ولما خرج الأسود العنسي بصنعاء وإدّعى النبوّة غلب عامل النبي ﷺ على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية . ويقال أنه مرّ به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادّعى الأسود أنه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له : شيئاً فقام وكان مع الأسود شيطانان يقال لأحدهما : سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغـرا وكانـا يخبرانـه بكل شيء يحـدث من أمـور النـاس وكان بأذان عاملاً للنبـي ﷺ أيضـا بصنعـاء فمات فجـاء شيطـان الأسـود فأخبـره فخـرج في قومه حتـى ملك صنعـاء وتـزوّج المرزبانـة زوجـة باذان فواعـدت فـيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلاً وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحترز رأسه وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافاهم عند وفاته ﷺ قال أبو الأسود عن عروة : أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر إلى أبي بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ .

وقصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي مشهورة رواها جملة من أصحـاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم : إنها من المشهور المستفيض وحاصلها أن الأسود العنسي بعث إلى أبي مسلم الخولاني لما ادّعى الأسود النبوّة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له : أتشهد أني رسول الله قال : ما أسمع قال : أتشهد أن محمداً رسول الله قال : نعم فردّ ذلك عليه مراراً وهو يقول : كما قال أولاً . فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضرّه فقيل له : أنفه عنك وإلا أفسد عليك من إتبعك فأمره بالرحيل فأتى

المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ا لصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال : من أهل اليمن قال : ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال : أنا هو قال : أنشدك الله أنت هو قال : اللهم نعم . فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمّة محمد ﷺ من فعل له كما فعل بإبراهيم خليل الله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنا أدركت أمداد خولان يقولون للأمداد من بني عبس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضرّه ونقلة هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى الإستفاضة ثم أن مسيلمة حين إدّعى النبوّة صار يتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلي أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعاً ومراده أن يكون على منوال سورة الكوثر فقال : إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن مبغضك رجل فاجر .

وفي رواية : إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر . وفي رواية : إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر فظنّ اللعين المخذول أنّ الجواهر تعادل الكوثر فجهل اللغة مع أنّ الكوثر الخير الكثير فليت شعري ما الذي جاء به فإنه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر أتى الفجور في لسانه وصرف عن الإتيان بمثله ولم يعرف المخذول أنه محروم عن الوصول إلى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوي أقل كلام من كلام الفصحاء فضلاً عن كلام رب العالمين ثم إنّ اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيباً لهم في إتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بالنبوّة ويدّعي أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله إذ النبي لا يبيح المحرّمات وكانت دعوى مسيلمة النبوّة في حياة النبي ﷺ لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته إلا في زمن الصدّيق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة جمع جموعاً كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصدّيق رضي الله عنه جيشاً أمّر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني ، وقيل عدي بن سهل ، وقيل أبو دجانة رضي الله عنه ، وقيل وحشي والأول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي

ضربه أوّلاً وكمل عليه الآخرون .

وفي البخاري ، عن وحشّي : لما خرج مسيلمة قلت : لأخرجنّ إليه لعلي أقتله فأكافىء به حمزة فخرجت مع الناس فإذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الأنصار بالسيف على هامته وكان عمر حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

لهفي عليك أبا ثمامة لهفي على ركن اليمامة
كم آية لك شبهها كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي : وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم أنه دعا لأبنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبيّ فقرع قرعا فاحشاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد طيء

وفد عليهﷺ وفد طيء وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك الخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جوداً وخلقاً وأحسنهم وجهاً وشعراً وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخطرجلاه في الأرض كأنه راكب حمار فقال له النبيﷺ ، وهو لا يعرفه : الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للإيمان ثم قبض على يده فقال : من أنت فقال : أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله . فقال له : بل أنت زيد الخير وعرض الإسلام على من معه فأسلموا وحسن إسلامهم وقالﷺ ، في حق زيد الخيل : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل إثني عشر أوقية ونشا وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتاباً ولما خرج من عند رسول اللهﷺ متوجهاً إلى قومه . قال رسول اللهﷺ : إن ينجو زيد من حمى المدينة أي ما ينجو منها ففي أثناء الطريق أصابته الحمى وفي لفظ قال له : يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الأسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول اللهﷺ الذي أقطعه فيه محلين بأرضه

فلما رأت إمرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت وإحترق الكتاب وقيل : إن زيد الخير بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنه وأنه لما ارتدّت العرب عند موت النبيﷺ ثبت على الإسلام وكتب إلى أبي بكر بهذين البيتين :

أما تخشين الله بيت أبي نصر فقد قام بالأمر الجليّ أبو بكر
نجيّ رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في معظم الأمر

وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : كنت أمرأ شريفاً في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول اللهﷺ كرهته ما رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعياً لابلي لا أبالك أعزل لي من إبلي إجمالاً ذللاً سمانا فاحبسها قريباً مني فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني ثم إنه أتاني ذات يوم فقال : يا عدي ، ما كنت صانعاً إذ أغشيك محمد فاصنعه الآن فإني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد فقلت له : قرّب لي إجمالي فقرّبها فاحتملت أهلي وولدي وإلتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول اللهﷺ وبلغ رسول الله هربي إلى الشام منّ عليها رسول اللهﷺ وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت إلى أن قدمت على الشام فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تؤمّناً فقلت : إبنة حاتم فإذا هي هي فلما وقفت عليّ قالت : القاطع الظالم إحتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت : أي أخية لا تقولي إلا خيراً فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها : وكانت إمرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكاً فأنت أنت فقلت : والله إن هذا للرأي قال : فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال : من الرجل فقلت عدي بن حاتم مقام رسول اللهﷺ وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لقائدني إليه إذ لقيته إمرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت : ما هذا بملك .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم حشوها ليف فقدّمها إلي وقال : إجلس على هذه فقلت : بل أنت فاجلس عليها قال : بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ بالأرض فقلت : والله ما هذا بأمر ملك ثم قال له : ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دين لأنه كما تقدم كان نصرانياً فقلت : بلى فقال : ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الإشارف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت : بلى قال : فإنّ ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت : أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال : لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي : وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد عروة المرادي

وفد على رسول الله ﷺ عروة مفارقاً لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها همدان من مزاد ما أرادوا في يوم يقال له : الردم فقال له رسول الله ﷺ : هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله ﷺ : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً وإستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

وفد بني زبيد

ـ بضم الزاي وفتح الموحدة ـ وفدوا على النبي ﷺ وفيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهوراً بالشجاعة شاعراً مجيداً قال لإبن أخيه قيس المرادي إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له : محمد قد خرج بالحجاز يقول : إنه نبي

فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لا يخفي عنك إذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيساً تواعد عمرا فقال عمر : وفي قيس أبياتا منها :

فمــن ذا عاذري من ذي سفاه يردّ بنفســه شدّ المرادي
أريد حياتــه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته ﷺ أسلم قيس فليس له صحبة وقيل : بل أسلم قبل موته ﷺ فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد كندة

وكندة قبيلة باليمن ينسبون إلى كندة لقب جدّهم نور بن عفير وله ﷺ جدة منهم وهي أم جدّه كلاب وفد عليه ﷺ ثمانون من كندة وقيل : ستون فيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه ﷺ سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحيرة قد سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قالـوا : أبيت اللعن فقال رسول الله ﷺ : لست ملكاً أنا محمد بن عبد الله قالوا : لا نسـميك باسمك قال : أنا أبو القاسم فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك خبئاً فما هو ؟ وكانو خبؤوا لرسول الله ﷺ عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا : كيف نعلم إنك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال : هذا يشهد أني رسول ا لله فسبح الحصى في يده فقالوا : نشهد أنك رسول الله قال رسول الله ﷺ : إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا : أسمعنا منه فتلا ر سول الله ﷺ : ﴿ والصافات صفاً ﴾ حتى بلغ ﴿ ورب المشارق ﴾ .

ثم سكت رسول الله ﷺ وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا : إنا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك قال : خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت ثم تلا : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي

أوحينا إليك ﴾ الآية . ثم قال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى قال : فما بال هذا الحرير ؟ فعند ذلك شقوه وألقوه ولعل سجفهم جاوزت الحدّ الجائز شرعاً وكان على النبي ﷺ حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال : إنها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان ﷺ إذا أقدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك . وقال الأشعث ابن قيس : له ﷺ نحن بنو آكلة المرار وأنت بن آكلة المرار ويعنون جدته أم كلاب لما تقدم إنها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمر ولقب بذلك لأكله شجراً يقال له : المرار في غزوة وغزاها ولما قال له الأشعث : ما ذكر؟ قال ﷺ : لا نحن بنو النضر بن كنانة لانفقوا أمناً وننتفي من أبينا أي لا ننتسب إلى الأمهات ونترك النسب إلى الآباء فقال الأشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين والأشعث هذا ممن إرتد بعد النبي ﷺ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فإنه حوصر وجيء به أسيراً فقال للصديق حين أراد قتله : إستبقيني لحروبك وزوّجني أختك فزوّجه أخته أم فروة وعاد إلى الإسلام فدخل سوق الإبل بالمدينة وإخترط سيفه فجعل لا يرى جملاً إلا عرقبه فصاح الناس كفر الأشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوّجني أخته ولو كنا ببلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال : يا أهل المدينة إنحروا وكلوا وأعطى أصحاب الإبل أثمانها وقال ﷺ للأشعث : هل لك من ولد : فقال : لي غلام ولد عند مخرجي إليك لوددت أن لي به سبعة قال : إنهم لمجبنة مبخلة وأنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الأشعث اليرموك بالشام ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل : مات سنة ثنتين وأربعين .

وفد أزدشنوءة

وفد على رسول الله ﷺ جمع من الأزد وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي وكان افضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره ان يجاهد بمن أسلم من بليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش - بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة - وهي مدينة بها قبائل اليمن ، فحاصرها المسلمون قريباً من شهر ثم رجعوا عنها حتى إذا كانوا بجبل يقال له : شكر - بالشين المعجمة والكاف المفتوحين - فلما وصلوا ذلك المحل ظنّ أهل جرش أن المسلمين إنما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى إذا أدركوهم عطف المسلمون

عليهم فقتلوهم قتلاً شديداً وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان أي ينظران الأخبار فبينما هما عند رسول الله ﷺ إذ قال ﷺ : بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له : كشر فقال : إنه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال إن بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الإستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما أي يخبركما بموتهم فقوما إليه فأسألاه أن يدعوا الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال : اللهم إرفع عنهم .

ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله ﷺ ما قال ، ثم بعد ذلك وفد عليه ﷺ وفد جرش فأسلموا فقال لهم ﷺ مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً أنتم مني وأنا منكم وحي لهم حول بلدهم .

وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه

وذلك أن الحارث بن كلال ـ بضم الكاف ـ والنعمان ومعافر ـ بالفاء مكسورة ـ وهمدان ـ بإسكان الميم وفتح الدال المهملة ـ وهي قبيلة كتبوا إلى النبي ﷺ بإسلامهم فكتب اليهم رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن كلال وإلى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فإني أحمد الله إليكم الذي لا آله إلا هو أما بعد فإنه وقع بنا رسولكم فقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا عن غزوة من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وإن الله قد هداكم بهداه وإنكم أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فإن محمد النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وإن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً ولا تخونوا ولا

تجادلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته إنما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله .

وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على رسول الله ﷺ يخبره بإسلامه وأهدى فروة له ﷺ بغلة بيضاء يقال لها : فضة وحماراً يقال له : يعفور وفرسا يقال لها : الظرب وثياباً وقباء مرصعاً بالذهب فقبل ﷺ الهدية وأعطى الرسول إثنتي عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملاً للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان ـ بفتح الميم وضمها ـ إسم جبل فلما بلغ الروم إسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له : الملك إرجع عن دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك قال : لا أفارق دين محمد فإنك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك .

وفد الحارث بن كعب

قد تقدّم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين إجتمعوا به ﷺ قال لهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال : صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ .

وفد رفاعة بن زيد الخزاعي

ـ بالخاء المعجمة والزاي ـ وفد على رسول الله ﷺ فأسلم وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد أني بعثته إلى قومه عامة من دخل منهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله ورسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضي الله عنهم .

وفد همدان

وفد على رسول الله ﷺ جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات ـ بكسر الحاء ثياب مخططة من

برود اليمن والعمائم العدنية نسبة إلى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لأن تبعاً كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهربة والأرحبية والمهرية نسبة إلى قبيلة يقال لها : مهرة باليمن والأرحبية نسبة إلى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله ﷺ :

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

ومن شعره :

حلفت برب الراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره ﷺ على من أسلم من قومه ، وتقدّم ان النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد اليهم ، ثم بعث علياً رضي الله عنه ، وأمر خالد بالرجوع وإن من كان مع خالد إن شاء بقي مع علي وإن شاء رجع ، وأنه ﷺ لما جاء خبر إسلامهم خرّسا جداً ثم رفع رأسه ثم قال : السلام على همدان . وجاء انه ﷺ قال : نعم الحي همدان ، وما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الإسلام .

وفد تجيب

- بضم المثناة فوق - وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله ﷺ منهم ثلاثة عشر رجلاً ، وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسرّ رسول الله ﷺ بهم وأكرم مثواهم . وقالوا : يا رسول الله ، إنا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله ﷺ : ردّوها فأقسموها على فقرائكم . قالوا : يا رسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد . فقال رسول الله ﷺ : إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيراً شرح صدره للدين ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله ﷺ رغبة

فيهم ، وأرادوا الرجوع الى أهليهم ، فقيل لهم : ما يعجلكم ؟ قالوا : انرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ ، وملاقاتنا له وكلامنا إياه وما ردّ علينا . ثم جاؤوا الى رسول الله ﷺ فودعوه فأرسل اليهم بلالاً ، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم ﷺ : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً . فقال أرسلوه إلينا فأرسلوه ، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي . قال : وما حاجتك ؟ فقال : يا رسول الله ، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الإسلام ، والله ما أخرجني إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . وقد قال ﷺ : من أراد الله به خيراً جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه ، واذا أراد الله بعبد شراً جعل فقره بين عينيه ، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم إنهم بعد ذلك وافوا رسول الله ﷺ بمنى في الموسم إلا ذلك الغلام ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا مثله قطولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله إني لأرجوا أن يموت جميعاً . فقال رجل منهم : أوليس يموت الرجل جميعاً ؟ قال ﷺ : تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ؟ فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك . قالوا : فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق . فلما توفي رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام ، قام في قومه فذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن الوليد يوصيه به خيراً ، وكان زياد والياً على حضرموت .

وفد بني ثعلبة

وفد على رسول الله ﷺ مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة مقرّين بالإسلام ، فاذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء . قال بعضهم : فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا : يا رسول الله . إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام ، وقد قيل لنا ان رسول الله ﷺ يقول : لا إسلام

لمن لا هجرة له . فقال رسول الله ﷺ : حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم . ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته ، فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال : كيف بلادكم ؟ فقلنا : مخصبون . فقال : الحمد لله : فأقمنا أياماً وضيافته تجري علينا . ثم لما جاؤوا يودعونه قال لبلال : أجزهم ، فأعطى كل واحد منهم خمس أواقي فضة ، والأوقية أربعون درهماً .

وفد بني سعد هديم من قضاعة

عن النعمان رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي ، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد أي جعلها موطوءة قهراً وغلبة ، واستولى عليها والناس صنفان : إما داخل في الإسلام راغب فيه وإما خائف السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤمّ المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة في المسجد ، وهي سهيل بن بيضاء ، فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ﷺ ونبايعه . ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر الينا فدعا بنا فقال : ممن أنتم ؟ فقلنا : من بني سعد هذيم . فقال : أمسلمون أنتم ؟ قلنا . نعم . فقال : هلا صليتم على أخيكم ؟ فقلنا : يا رسول الله ، ظننا ان ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك . فقال رسول الله ﷺ : أينما أسلمتم فأنتم مسلمون . قال : فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ على الإسلام ثم انصرفنا الى رحالنا ، وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا . فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا ، فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام فقلنا : يا رسول الله ، إنه أصغرنا وانه خادمنا . فقال : أصغر القوم خادمهم ، بارك الله عليه . قال النعمان : فكان والله خيرنا واقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ . ثم أمرّه رسول الله ﷺ علينا فكان يؤمنا ، فلما أردنا الانصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا ، فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الإسلام .

وفد بني فزارة

وفد عليه ﷺ بضعة عشر رجلاً من بني فزارة ، فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة ابن حصن وابن أخيه الحد بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالإسلام ، وهم مسنتون اي توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف اي هزال ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم فقال رجل منهم : أي وهو خارجة يا رسول الله ، أسنت بلادنا

وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وجاعت عيالنا ، فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا إلى ربك فصعد ﷺ المنبر ورفع يديه حتى رأى بياض إبطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسقِ بلدك غيثاً مغيثاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إن التمر في المريد ثلاث مرات ، فقال عليه السلام اللهم : اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بإزاره . قال : فلا والله ، ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء ، وقام ابو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه ، فوالله ما رأوا الشمس سبعاً ، ثم قام الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى بياض ابطيه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر ، فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب .

وفي السيرة الحلبية : إن هذا المطر كان عاماً للمدينة وما حولها إلى محل هؤلاء الوافدون . أحاديث الاستسقاء تعدّدت وتكرّرت فهذه القصة غير قصة الأعرابي الذي سأله السقيا وهو ﷺ على المنبر ، وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه ﷺ حيث يقول :

ودعا للأنام إذ دهمتهم	سنة من محولها شبهاء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا	م عليهم سحابة وطغاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ	ـي وحيث العطاش توهي السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها	ورخاء يؤذي الأنام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في	وصف غيث إقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون	بقراها وأحييت أحياء
فترى الأرض غبه كسماء	أشرقت من نجومها الظلماء
تجعل الدر واليواقيت من نو	ر رباها البيضاء الحمراء

وحديث الاعرابي رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه ، قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ ، فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة ، فدار السحاب أمثال الجبال . ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال : فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي اوغيره فقال : يا رسول الله ، تهدّم البناء وغرق المال ادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال : فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا ، فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود أي المطر الكثير . وجاء في احاديث : انه ﷺ خرج مرة أخرى الى المصلي بعد أن وعد الناس يوماً أن يخرج فيه ، ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر . وجاء اليه مرة أعرابي فقال : يا رسول الله ، أتيناك ومالنا بعير يئط ، ولا صغير يغط ، ثم أنشد أبياتاً منها قوله :

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال : لو كان أبو طالب حياً لقرّت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟ فقام علي فقال : يا رسول الله ، كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال ﷺ أجل ، وفي رواية : لما جاءه المسلمون وقالوا : يا رسول الله ، قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس ، فاستسق لنا ربّك . فخرج ﷺ والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى ، فتقدم ﷺ فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة ، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية ، فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكثر تكبيره ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً واسعاً طبقاً مغدقاً عاماً هنيئاً

مريئاً مريعاً مربعاً ، وابلاً شاملاً مجللاً داراً نافعاً غير ضارعاً عاجلاً غير آجل ، اللهم غيثاً تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منا والباد ، اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها ، اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهوراً ، تحيي به بلدك الميت وتسقيه مما خلقت أنعاماً وأناسّي كثيراً ، فابرحوا حتى قبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة ، فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا ؛ قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل ، فادع الله يصرفه عنا . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم ، ثم رفع يديه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على رؤوس الظراب ومنبت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام ، فتقشعت عن المدينة ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله ؟ فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال أجل فهذه الأحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرّره منه ﷺ . وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له ﷺ ، ثم أجاز ﷺ بني فزارة بما يجيز به الوفود ، ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد بني اسد

وفد عليه ﷺ جماعة من بني أسد فيهم حضرمي ابن عامر ، فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، أنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا : جئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثاً ونحن على من وراءنا .

وفي رواية : أن حضرمي بن عامر قال : أتيناك بتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا . وفي رواية : يا رسول الله ، أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب ، فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يمنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين ﴾ وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة ، وهي زجر الطير والكهانة وهي الأخبار عن الكائنات في

المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا : يا رسول الله ، خصلة بقيت . قال : وما هي ؟ قالوا : الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه . فقال : علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم . وفي رواية : في مسلم : فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح إلا بتبين الموافقة . وفي شرح مسلم : أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لأنه لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة ، وكأنه ﷺ قال : لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياماً يتعلمون الفرائض . ثم جاؤوا رسول الله ﷺ فودّعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم .

وفد بني عذرة

قبيلة باليمن وفد على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً من بني عذرة ، وسلموا إسلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحاً . فقال لهم رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال قائل منهم : نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة ، فلنا قرابات وأرحام . فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بكم وأهلاً ما أعرفني بكم أي لقيتم مكاناً رحباً وأتيتم أهلاً فاستأنسوا ولا تستوحشوا . ثم قال : فما يمنعكم من تحية الإسلام ؟ قالوا : يا محمد . كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا ، ثم قالوا : إلام تدعوا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تشهدوا أني رسول الله إلى كافة الناس . فقال متكلمهم : فما وراء ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : الصلوات تحسن طهورهن وتمليهن لمواقيتهنّ فانه أفضل العمل ، ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا ، وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ، ونهاهم عن سؤال الكاهنة ، لأنهم قالوا له : يا رسول الله ، إن فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور ؟ فقال لا تسألوها عن شيء ، ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لأصنامهم . وقالوا : نحن أعوانك وأنصارك ، ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسا أحدهم برداً .

وفد بليّ

ـ على وزن عليّ ـ مكبّرا وهم حي من قضاعة ، وفد على رسول الله ﷺ جمع من بليّ منهم وهو شيخهم أبو الضبيب ـ تصغير الضب ـ الدابة المعروفة ، فنزلوا اعلى رويفع بن ثابت البلوي ، فقدم بهم على رسول الله ﷺ فقال له : هؤلاء قومي : فقال له رسول

الله ﷺ : مرحباً بك وبقومك ، فأسلموا . وقال لهم رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم الإسلام فكل من مات منكم على غير الإسلام فهو في النار .

وفي رواية : عن رويفع قال : قدم وفد قومي فأنزلتهم عليّ ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله ﷺ ، وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع ، فقلت : لبيك . قال : من هؤلاء ؟ قلت : قومي . قال : مرحباً بك وبقومك . قلت : يا رسول الله ، قدموا وافدين عليك مقرّين بالإسلام وهم على من وراءهم من قومهم . فقال رسول الله ﷺ : من يرد الله به خيراً يهده للإسلام ، فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حقاً ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار . وقال له أبو الضبيب : يا رسول الله ، إن لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر ؟ قال : نعم . وكل معروف صنعته إلى غنيّ أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله ، ما وقت الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام . قال : فما بعد ذلك ؟ قال : فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك اي يضيق عليك . وفي لفظ : فيؤثمك اي يعرضك للإثم بأن تتكلم بسيء القول . قال : يا رسول الله لا ، أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض ؟ قال : لك أو لأخيك أو للذئب . قال : فالبعير . قال : مالك وله دعه حتى يجده صاحبه . قال رويفع : ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي فاذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي يحمل تمراً فقال : استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله ﷺ وأجازهم ورجعوا إلى بلادهم .

وفد بني مرة

وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً من بني مرة ورأسهم الحرث بن عوف ، فقال : يا رسول الله ، إنا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤيّ بن غالب ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال له : أين تركت أهلك ؟ قال : بسلاح وما والاها : قال : فكيف البلاد ؟ قال : والله إنا لمسنتون وما في المال صوت يردّده ، فادع الله لنا . قال رسول الله ﷺ : اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياماً ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤوا رسول الله ﷺ مودعين له ، فأمر بلالاً أن يجيزهم فأجاز كل واحد بعشر أواق فضة ، وفضل الحرث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة ،

فسألوا قومهم ، متى مطرتم ؟ فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ وأخصبت بعد ذلك بلادهم .

وفد خولان

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله ﷺ عشرة من خولان فقالوا : يا رسول الله ، نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله ، قد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها ، وحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض والمنة لله ولرسوله علينا ، وقدمنا زائرين لك . فقال رسول الله ﷺ : أما ما ذكرتم من مسيركم اليّ فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة ، وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة . ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا : بدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى ، فقد كنا منه في غرور وفتنة . فقال لهم رسول الله ﷺ : وما أعظم ما رأيتم من فتنته ؟ قالوا : لقد أصابتنا سنة مسنتة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع ، فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا : كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعاً آخر حجراً اي ناحية لله ، فإذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ، ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله أنزل عليه في ذلك : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا الشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان الله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ وقالوا : كنا نتحاكم اليه فيتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الشياطين تكلمكم ؟ وسألوه ﷺ عن فرائض الدين فأخبرهم بها ، وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا ، وأن لا يظلموا أحداً ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفاً ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس .

وفد بني محارب

وفد على رسول الله ﷺ عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد ، وكانوا أغلظ العرب وأشدّهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى ، فجلسوا عنده يوماً من الظهر إلى العصر وأدام ﷺ النظر لرجل منهم وقال له : قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم ؟ فقال له ذلك الرجل : إنك والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس : فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : يا رسول الله ، ما كان في أصحابي أشدّ عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني ، فأحمد الله الذي جاء بي حتى صدّقت بك ، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم . فقال رسول الله ﷺ : ان هذه القلوب بيد الله عز وجل . فقال : يا رسول الله ، استغفر لي من مراجعتي إياك . فقال رسول الله ﷺ : إن الإسلام يجُبّ ما قبله من الكفر ، ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن شواد فصارت له غرة بيضاء ، وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم .

وفد صداء

وهم حي من عرب اليمن وفد عليه ﷺ خمسة عشر رجلاً من صداء ، وسبب ذلك أنه ﷺ هيأ بعثاً أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء ، فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم وعلم بالجيش ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، جئتك وافداً عمن ورائي فأردد الجيش وأنا لك بقومي ، فرد رسول الله ﷺ قيس ابن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله ﷺ بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، دعهم ينزلون عليّ ، فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا ، فرجعوا الى قومهم ففشا الإسلام فيهم فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة في حجة الوداع ، ويسمى ذلك الرجل الذي كان سبباً في رد الجيش ومجيء الوفد بزياد بن الحرث الصدائي ، وقال له ﷺ : يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك قال : فقلت بل منّ من الله عز وجل ومنّ رسوله .

وفي رواية : بل الله هداهم للإسلام . فقال رسول الله ﷺ : أفلا أؤمّرك عليهم ؟

فقلت : بلى يا رسول الله ، فكتب لي بذلك . فقلت : يا رسول الله ، مر لي بشيء من صدقاتهم . قال . نعم ، فكتب لي كتاباً آخر . قال زياد : وكنت معه ﷺ في بعض أسفاره وكنت رجلاً قوياً فلزمت غرزه اي ركابه ، وجعل أصحابه يتفرقون عنه . فلما كان السحر قال : أذن يا أخا صداء ، فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال : يا أخا صداء ، هل معك ماء ؟ قلت : معي شيء في أدواتي أي وهي إناء من جلد صغير .

وفي رواية إلا شيء قليل لا يكفيك . قال : هاته ، فجئته به قال : صب ، فصببت ما في الأداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ، ثم وضع كفه على الإناء فرأيت من بين كل أصبعين عيناً تفور . ثم قال : يا أخا صداء ، لولا إني أستحيي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا اي من غير نهاية . ثم توضأ وقال : أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء ـ بفتح الواو ـ فليرد قال : فورد الناس من آخرهم . ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله ﷺ : إن أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال : فأقمت ، ثم تقدم رسول الله ﷺ فصلى بنا ، فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بكل شيء كان بيننا وبينه في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : لا خير في الإمارة لرجل مسلم ، ثم قام رجل آخر فقال : يا رسول الله ، أعطني من الصدقة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل ، جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وإن كنت غنياً عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن . ثم قال له رسول الله ﷺ : دلني على رجل من قومك أستعمله ، فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت : يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها وإن كان الصيف قلّ علينا ، فتفرقنا على المياه والإسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف ، فادع الله عز وجل لنا في بئرنا . فقال رسول الله ﷺ : ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن إليّ وقال : إذا انتهيت اليها فألق فيها حصاة حصاة وسمّ اللهِ قال : ففعلت فما أدركنا لها قعراً حتى الساعة .

وفد غسان

اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة ، وقيل : غسان قبيلة وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا : لا ندري هل يتبعنا قومنا أم

لا ؟ لأنهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز ، وانصرفوا راجعين إلى قومهم . فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا إسلامهم .

وفد سلامان

ـ بفتح السين وتخفيف اللام ـ وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الأزد ، وبطن من طيء ، وبطن من قضاعة ، ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله ﷺ سبعة نفر من سلامان ، فيهم خبيب بنُ عمر والسلاماني فأسلموا . قال خبيب رضي الله عنه : صادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد الى جنازة دعي اليها ، فقلنا : السلام عليك يا رسول الله فقال : وعليكم . من أنتم ؟ قلنا : نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الإسلام ونحن على من وراءنا من قومنا ، فالتفت الى ثوبان غلامه فقال : أنزل هؤلاء ، قال خبيب : قلت يا رسول الله ، ما أفضل الاعمال ؟ قال : الصلاة في وقتها ، وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له جدب بلادهم ، فقال رسول الله ﷺ بيده : اللهم اسقهم الغيث في دارهم . فقلت : يا رسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله ﷺ ، ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قام وقمنا معه ، وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجري علينا ، ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة ، واعتذر الينا بلال رضي الله عنه وقال : ليس عندنا اليوم مال . فقلنا : ما أكثر هذا وأطيبه . ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ .

وفد بني عبس

وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة من بني عبس فقالوا : يا رسول الله ، قدم علينا قرّاؤنا فأخبرونا ، أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواشي هي معاشنا ، فان كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا . فقال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب ؟ فأخبروه بأنه لا عقب له ، كانت له ابنة فانقرضت . وأنشأ رسول الله ﷺ يحدّث اصحابه عن خالد بن سنان وقال : إنه نبي ضيعه قومه لكن ورد ليس بيني وبين عيسى نبي ، ويمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بيني وبينه نبي مرسل فلا ينافي أنّ خالداً نبيي مرسل .

وفد مزينة

وهي قبيلة تنسب الى مدينة امرأة عمر وبن أدّ بن طابخة بن الياس ابن مضر . روى البيهقي عن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل . . وفي رواية : غير النعمان ان فيهم رجالاً من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم : يا رسول الله : سألنا من طعام نتزوّده . فقال : يا عمر زود القوم . قال : ما عندي ما أزوّدهم به الا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعاً . قال : انطلق فزوّدهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية ، قال عمر رضي الله عنه : فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق ، فأخذ القوم منه حاجتهم . قال النعمان : وكنت في آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها ، وفي هذا معجزة له ﷺ : فان التمر كان قليلاً فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته . وفي رواية : وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه اي ننقصه .

وفد الاشعريين

قوم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وهم منسوبون الى أشعر ابن أدد ، وفدوا عليه ﷺ قيل : وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبأ وفيهم إياس ابن عمرو الحميري فقالوا : يا رسول الله ، أتيناك لنتفقه في الدين والمحققون على أن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى سنة سبع عند فتح خيبر ، وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ، ولذا اجتمعوا مع بني تميم . روى يزيد بن هرون عن حميد عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين :

غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه

وروى الإمام أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من في الأرض ،فقال رجل من الأنصار :إلا نحن ، فسكت ﷺ ثم قال : إلا نحن فسكت ، ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ، قال : إلا أنتم . ولما القوا رسول الله ﷺ أسلموا وبايعوا فقال ﷺ : الأشعريون كصرة فيها مسك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : جاء أهل اليمن هم

أرقّ أفئــدة وألــين قلوبــاً الايمــان يمــان والحكمــة يمنية ، والسكينــة في اهــل الغنــم والفخــر والخيلاء في الفــدّادين ـ بالتشــديد ـ جمــع فدّاد وهــو من يعلــوا صوتــه ، وهــم المكثــرون من الابــل أهــل الوبــر قبــل مطلــع الشمس ، وقولــه : الايمــان يمــان أي منســوب لأهــل اليمــن لأن صفــاء القلــب ورقته ولين جوهره تؤدّي إلى عرفان الحق والتصديق به ، وهو الإيمان والانقياد . وقال أبو عبيدة وغير معناه : إن مبدأ الإيمان من مكة ، لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن ، وقبل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبي ﷺ وسلم وهو بتبوك ، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذي هو فيه يمانية ، وقيل المراد الأنصار لأنهم يمنيون في الأصل ، فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره ، وقيل غير ذلك . ومعنى الحديث وصف الذين جاؤوا بقوّة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على أن المخاطبين من الصحابـة وليسـوا كذلك . ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن في كل زمان . والحديث يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد في جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان ، بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والأبدان .

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ان نفراً من بني تميم جاؤوا الى رسول الله ﷺ فقال : ابشروا يا بني تميم ، فقالوا : بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله ﷺ وجاء نفر من اهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر : فقال كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وروى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا رسول الله ﷺ بالمدينة اذ قال : الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ، الايمان يمان والحكمة يمانية .

وروى الطبراني ان النبي ﷺ قال لعيينة بن حصن : اي الرجال خير ؟ قال : اهل نجد ، قال : كذبت ، بل هم اهل اليمن الايمان يمان ، الحديث والله سبحانه وتعـالى اعلم .

وفد دوس

وهم قوم أبي هريرة رضي الله عنه ، ينتهي نسبهم الى الأزد ، وكان قدومهم بخيبر سنة سبع ، قال ابن إسحق ، كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يحدث انه قدم

مكة ورسول الله ﷺ بها قبل الهجرة ، فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً كثيرا لضيانة فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا ، وإنما قوله ، كالسحر يفرق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا من الكلام ، فلا تكلمه ولا تسمع منه . قال فوالله ما زالوا بي حتى عزمت أن لا اسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت اليه كرسفاً أي قطفاً فرقاً من أن يبلغني شيء ، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً فقلت : واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان ما يقول حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت . قال : فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوّفوني امرك حتى سددت أذني بكرسف لأجل ان لا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسناً فردّ الله كيدهم في نحورهم ، وقلب مكرهم عليهم فأعرض علي أمرك ، فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن قال : فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا امرءاً أعدل منه ؛ فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا رسول الله ، إني امرؤ ومطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية . فقال : اللهم اجعل له آية .

وفي رواية : اللهم اجعل له نوراً . قال الطفيل : فخرجت الى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : اللهم في غير وجهي اني أخشى أن يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة ؛ فكان الطفيل يسمى ذاك النور ، فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال : فلما أصبحت فيهم جاءني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت : اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك . قال : ولِمَ يا بنيّ ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . قال : يا بني ، فديني دينك . قال : فقلت : فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال أعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ، ثم اتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت لها : اليك عني فلست مني ولست منك . قالت : ولم ؟ قلت : فرق الإسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت محمداً . قالت :

فديني دينك ، ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليه الإسلام ، فأسلمت ثم دعا دوساً إلى الإسلام فأجابه ابو هريرة رضي الله عنه وأبطأ الباقون . قال : فجئت رسول الله ﷺ بمكة وقلت : يا رسول الله ، قد غلبني علي دوس الزنا أي حبهم له وعلمهم بأنهم ان أسلموا منعوا منه فادع الله عليهم ، فقال ﷺ : اللهم اهد دوساً وائت بهم . ثم قال : ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم ، فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الله ، حتى هاجر النبي ﷺ الى المدينة ، ثم قدمت على النبي ﷺ وهو بخيبر ، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً وكانوا في العدد أربعمائة ، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر ، فلما رآهم النبي ﷺ قال : مرحباً بأحسن الناس وجوهاً وأطيبهم افواها أي كلاماً وأعظمهم امانة .

وروى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري ، فقرأ في الركعة الأولى بسورة مريم وفي الأخيرة بويل للمطففين ، فلما قرأ إذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت : تركت عمي له مكيالان إذا اكتال اكتال بالأوفى ، وإذا كال كال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله ﷺ بخيبر وهو قادم عليكم فقلت : لا أسمع به في مكان أبداً الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة ، فأقمنا حتى فتح الله علينا فأسهم لنا مع المسلمين .

ويروى ان الطفيل بن عمرو رضي الله عنه قال : لم أزل مع النبي ﷺ حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت : يا رسول الله ، ابعثني الى صنم عمرو بن حممة يعني صنم دوس حتى أحرقه ، فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى ﷺ حتى قبض ، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردّة من اهل اليمامة وغيرهم ، وكان وهو متوجه إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لأصحابه : إني رأيت رؤيا فاعبروها لي إني رأيت أن رأسي قد حلق وأنه خرج من فمي طائر ، ولقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها وان ابن يطلبني طلباً حثيثاً ثم رأيته حبس عني قالوا خيراً . قال : أما والله فقد أوليتها . قالوا : بماذا ؟ قال : ما

حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجهد ان يصيبه ما أصابني ، فاستشهد الطفيل باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفي منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضي الله عنهم . وقال بعض أهل المغازي : ان الطفيل استشهد باليرموك ، وجزم بهذا ابن حبان ، وقال موسى بن عقبة : انه استشهد بأجنادين ، وأخرج البغوي عن الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه قال : أقرأني أبيّ بن كعب القرآن فأهديت له فرساً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفد طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه

روى البيهقي عن جامع بن شداد المحاربي قال : حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربي قال : إني لقائم بسوق ذي المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب ، إذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إلّه إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة ، وقد أدمى كعبيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا : غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله . قلت : من هذا الذي يفعل به هذا الأذى ؟ قالوا : عمه عبد العزى أبو لهب . قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهي موضع معروف ، به قبر أبي ذر رضي الله عنه نريد بالمدينة نختار من ثمرها ، فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا : لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال : من أين أقبل القوم ؟ قلنا : من الربذة . قال : وأين تريدون ؟ قلنا . نريد المدينة . قال : ما حاجتكم فيها ؟ نمتار من تمرها . قال طارق بن عبد الله : ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم . فقال : أتبيعوني جملكم هذا ؟ قلنا : نعم ، بكذا ، وكذا صاعاً من تمر ، فأخذ بخطام الجمل فانطلق به ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمناً فعرضناه للضياع . قال طارق : فقالت المرأة التي معنا : والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر أناضا منه لثمن جملكم وفي رواية : قالت الظعينة : فلا تلاوموا أي لا يلم بعضكم بعضاً ، لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم هذا تمركم الذي بعتم به جملكم ، فكلوا واشبعوا وأكتالوا واستوفوا اي فلا تسامحوا في الكيل في مقابلة أكلكم . قال : فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة ، فلما دخلنا

المسجد إذ هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول : تصدقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول ، أمك فأبـاك ، وأختك وأدناك فأدناك فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ،هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلاناً في الجاهلية فخذلنا بثأرنا ، فرفع ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطه فقال : لا تجني أم على ولد مرتين ، ،وأسلم القوم على يديه ﷺ ثم رجعوا الى أهلهم ، والله أعلم .

وفد بهراء

ـ بالمد ـ قبيلة من قضاعة ، روي الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت : سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول : ٠ قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ، فأقبلوا يقودون رواجلهم فلما انتهوا الى باب المقدان ونحن في منازل الأنصار ، خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس ، وهو تمر يعجن بسمن وأقـط فأكلوا منها حتى نهلوا ، وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة ، فأرسل بها إلى رسول الله ﷺ مع سدرة مولاة ضباعة وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها فأصاب منها وهو ومن معه فق البيت حتى نهلوا ، ثم قال : اذهبي بما بقي الى ضيفكم ، فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أي مدة إقامتهم يرددون ذلك وما تنقص ، فجعلوا يقولون للمقداد : يا أباد معبد إنك لتنهلنا من أجب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين ، فأخبرهم أبو معبد بر رسول الله ﷺ ، وأنه أكل منها وردّها فان هذه بركة أصابعه، عليه الصلاة والسلام ، فجعل القوم يقولون : نشهد أنه رسول الله وازداد يقينـاً وذلك الذي أراد ﷺ فأظهروا الإسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أيامـاً ، ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهليهم باليمن .

وفد غامد

قبيلة من الأزد باليمن ، قدم عليه ﷺ سنة عشر ، عشرة من غامد فنزلوا في بقيع الغرقد وفيه يومئذ اثل وطرفا ، ثم انطلقوا الى النبي ﷺ وخلفوا أصغرهـم في رحالهـم ، فأقروا بالإسلام وسلموا على النبي ﷺ وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام ، وقال لهـم النبي ﷺ : من خلفتم في رحالكم ؟ قالوا :أحدثنا سناً قال : فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم ، فقال أحدهـم : ما لأحد عيبة غيري . فقال رسول الله ﷺ ،

قد أخذت وردّت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رسلهم فسألوا الذي خلفوه فقال : فزعت من نومي ففقدت العيبة فقمت في طلبها ، فإذا رجل كان قاعداً فنار يعدو مني فانتهيت الى حيث ينتهي فإذا أثر حفر وإذا هو قد غيب الغيبة فاستخرجتها فقالوا : نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا وأنها قد ردّت فرجعوا وأخبروه ﷺ ، وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم وأمر النبي ﷺ أبي بن كعب أن يعلمهم قرآناً ثم أجازهُم كما يجيزوا الوفود ، انصرفوا الى بلادهم .

وفد الأزد

قدم عليه ﷺ قوم من الأزد ينسبون الى جدهم الأعلى وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبابن يشجب بن يعرب بن قحطان . روى أبو نعيم عن سويد بن الحرث الأزدي رضي الله عنه قال : وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ أي ما صفتكم ، قلنا : مؤمنون . فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال : ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم ؟ وايمانكم ؟ قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلاّ أن تكره شيئاً منها فنتركه فقال ﷺ : ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نقول لا إلّه إلا الله أي مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا اليه سبيلاً . قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمرّ القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء . فقال ﷺ : حكماء علماء أي هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم غداً عنه زائلون ، واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون ، فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقاً من الله تعالى ببركته ﷺ .

وفد بني المنفق

وهي قبيلة من عامر بن صعصعة ، قدم عليه ﷺ جماعة من بني المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق . قال : فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أي الصبح ، فقام في الناس خطيباً فلما فرغ قلت : يا رسول الله ، علام ، نبايعك ، فبسط ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن لا تشركوا بالله شيئاً . قال قلت : يا رسول الله ، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب فقال : تحل منها حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك فلما انصرفنا عنه قال : انهم من أتقى الناس لله في الدنيا والآخرة ، فقال له بعض أصحابه : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق ، قالها ثلاثاً .

وفد النخع

ـ بفتح النون والخاء المعجمة ـ قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود ، وكان وفودهم سنة إحدى عشرة في النصف من المحرم ، وفد على رسول الله ﷺ مائتا رجل من النخع مقرِّين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه . فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو : يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجباً . وفي رواية : رأيت رؤيا هالتني . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت أتانا نركبها في الحي ولدت جدياً أي وهو ولد المعز أسفع أحوى ، والأسفع الذي سواده مشرب بحمرة ، والأحوى الذي ليس شديد السواد فقال رسول الله ﷺ : هل تركت لك أمة مصرة على حمل ؟ قال : نعم : قال فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك . فقال : يا رسول الله ، فما له أسفع احوى قال : ادن مني فدنا منه فقال : هل بك برص تكتمه ؟ قال : فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك . قال : هو ذاك . قال : يا رسول الله ، ورأيت النعمان ابن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان ، والقرط ما يكون في شحمة الأذن ودملجان ـ بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ـ ومسكان ـ بفتح الميم والسين المهملة ـ قال : ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته . قال : يا رسول الله ، ورأيت عجوزاً شمطاء أي يخالط شعر رأسها الأبيض شعر أسود خرجت من الأرض قال : تلك بقية الدنيا . قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين إبن لي يقال له عمرو ، وهي تقول : لظى لظى بصير وأعمى أطعموني آكلكم وأهلكم ومالكم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون في آخر الزمان . قال : يا رسول الله ، وما الفتنة ؟ قال : يقتل الناس إمامهم

ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أي يشتبكون في الفتنة إشتباك أطباق الرأس . وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل .

وفي رواية : أحلى من شرب الماء ، وإن مات ابنك أدركت الفتنة ، وان مت أنت أدركها ابنك . قال : يا رسول الله ، ادع الله أني لا أدركها . فقال رسول الله ﷺ : اللهم لا تدركها إياه ، فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به ﷺ ، فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه .

وفي رواية : أن النخع بعثوا رجلين ارطاة بن شرحبي من بني حارثة والأرقم من بني بكر الى رسول الله ﷺ باسلامهم ، فلما قدما على رسول الله ﷺ وعرض عليهما الإسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما ، وأعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما . وقال لهما : خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما . قالا : يا رسول الله ، قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم افضل منا وكلهم يقطع الأمر وينفذ من الأشياء ما يشاء ، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير . وقال : اللهم بارك في النخع وعقد لا رطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ ، لكن قوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم إن وفد النخع كان قدومه في المحرّم سنة إحدى عشرة إلا أن يقال : ان هذين وفد أقبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم .

بَابُ بيَان كتبه ﷺ

التي أرسلها الى ا لملوك يدعوهم فيها الى الإسلام أي في الغالب وإلا فمنها ما ليس كذلك ، ولما أرادﷺ أن يكتب للملوك قيل له : يا رسول الله ، انهم لا يقرأون كتاباً إلا إذا كان مختوماً أي ليكون في ذلك إشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم ، وفيه أن هذا واضح إذا كان الختم عليها بعد طيها ، ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك . والظاهر أن ذلك لم يكن ، وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم . فاتخذﷺ خاتماً من فضة أي بعد أن اتخذ خاتماً من ذهب ، فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ، ولما لبس رسول اللهﷺ ذلك لبس أصحابه خواتيهم ، فأخبره جبريل عليه السلام من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك ، فطرح رسول الله ﷺ ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم ، وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق ، محمد آخر الاسطر ، ورسول في الوسطوالله فوق ، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يدهﷺ ، ثم في يد أبي بكر في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم ، حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي عثمان رضي الله عنه ، فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه . واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يدهﷺ فقيل : في خنصر اليسار ، وهو المروي عن عامة الصحابة ، وقيل : في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ، وجمع البغوي بأن النبيﷺ فعل كلاً من الأمرين تختم في يمينه وفي يساره ، لكن قال : التختم في اليسار كان آخر الامرين .

وروى أشعب الطائع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، بأن رسول اللهﷺ

كان يتختم في اليمين . قال الإمام النووي والتختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح ، نقله عن النبي ﷺ لكنه في اليمين أفضل ، لأنه زينة واليمين به أولى ، ونقل ابن أبي حاتم على أبي زرعة : انه ﷺ كان في يمينه أكثر منه في يساره ، وكان يجعل فصه مما يلي كفه ، وعند عزمه ﷺ على إرسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك ، خرج على أصحابه يوماً فقال : أيها الناس ، إن الله بعثني رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا عليّ كما اختلفت الحواريون على عيسى ابن مريم . فقال أصحابه : وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يا رسول الله ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً رضي وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً كره وأبى ، فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم .

ذكر كتابه ﷺ الى قيصر

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير ، لأنه بقر أي شق عنه لأن أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر ، وكان يفتخر بذلك ويقول : لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسماً لكل من ملك الروم ، وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية ، وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع ، وكان إرساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه ، وأمره ﷺ أن يدفع الكتاب الى قيصر ، وكان ﷺ قال قبل ذلك : من ينطا- بكتابي هذا فيصير الى هرقل وله الجنة ؟ فقال دحية : أنا يا رسول الله ، فأعطاه ذلك الكتاب ، وقيل انه ﷺ أمر دحية رضي الله عنه أن يدفعه الى عظيم بصرى ، وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ، فلما انتهى دحية الى الحرث أرسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر ، فذهب به اليه فقال قومه لدحية : إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبداً حتى يأذن لك . قال دحية رضي الله عنه : لا أفعل هذا أبداً ، ولا أسجد لغير الله تعالى . قالوا : إذاً لا يؤخذ كتابك . فقال له رجل منهم : أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له ، فقال دحية : وما هو ؟ فقال : إن له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحداً لا يحركها حتى يأخذها هو ، ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال : انظر لنا من قومه أحداً نسأله عنه ؟ وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام قبل إسلامه أي كان بغزة

مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية ، وكان أول الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل : ان النبي ﷺ كتب لقيصر من تبوك في السنة التاسعة ، وجمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين . قال أبو سفيان : فأتانا رسول قيصر وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس ، فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه : أيهم أقرب نسباً لهذا الذي يزعم انه نبي .

وفي رواية : لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم انه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً أي لأنه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيره ، وعبد مناف هو الأب الرابع له ﷺ وكذا لأبي سفيان . زاد في رواية : ما قرابتك منه ؟ قلت : هو ابن عمي . فقال لترجمانه : ادنه مني ، ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه أني قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ، وإنما جعلتكم خلف كتفيه لتردّوا عليه الكذب إن قاله اي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب إذا كذب . قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثروا علي كذباً لكذبت ، ولكني استحييت فصدقت وانا كاره . وفي رواية : لولا مخافة أن ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه ، وبه يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية وإسلاماً ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب قال : قل له هل قال هذا القول احد منكم قبله ؟ قلت : لا . قال : قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . وفي رواية : هل كان حلافاً كذاباً مخادعاً ؟ قلت : لا . قال هل كان من آبائه ملك ؟ قلت : لا . زاد في رواية : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب عليه عقلاً ولا رأياً قط . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت ، بل ضعفاؤهم ، والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال ، فانهم من ذوي الأنساب الكريمة ، لكنهم ليسوا من أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار .

وفي رواية عند ابن اسحق : تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث ، وأبى ذوو الأنساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر والأغلب أي الأكثر ، والأغلب أن اتباعه الضعفاء . قال : فهل يزيدون او ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون .

قال : فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه اي كراهية له وعدم رضا به بعد أن دخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر إذا عاهد ؟ قلت : لا .ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف حربكم وحربه ؟ قلت : دول وسجال نداك عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر ، وقد تقدّم في غزوة أحد أن أبا سفيان قال في يوم أحد : يوم احد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب .

وفي لفظ : قال ابو سفيان لقيصر : علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والأنوف والفروج ، وأشار بذلك ليوم أحد . قال : فما يأمركم به ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف ، اي ترك المحارم وخوارم المروءة والوفاء بالعهد ، وإداء الأمانة . فقال لترجمانه : قل له إني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله ، فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك هل كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت : ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أي لأن الغالب ان اتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار ، وسألتك هل يزيدون او ينقصون ؟ فزعمت انهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك هل يرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي إذا حصل به انشراح الصدر ، وسألتك هل قاتلتموه ؟ فقلت : نعم . وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك ماذا يأمركم به ؟ فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وإداء الأمانة . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت ان لا ، وكذلك الرسل لا تغدر لأنها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه إلا بالغدر فعلمت انه نبي . وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وإن كان ما حدثتني به حقاً فيوشك اي يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين وهذه الأشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته ﷺ ، ثم قال قيصر ، ولو أعلم أني أخلص اليه أي أصل لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقبه . وفي رواية : لا

أستطيع أن أفل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم .

قال الإمام النووي : ولا عذر له في هذا لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ وإنما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الإسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة . قال الحافظ ابن حجر : لو تقطن هرقل لقوله ﷺ في الكتابة أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة ، وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله . ثم قال هرقل : ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه اي مبالغة في خدمته ، والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصباً . قال أبو سفيان : ثم دعا قيصر بكتاب النبي ﷺ فقرىء فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ . وفي لفظ : عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فأني أدعوك بدعاية الإسلام أي بالكلمة الداعية للإسلام وهي كلمة التوحيد ، أي أدعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لإيمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام ، فان توليت فإنما عليك اتم الإريسيين اي الفلاحين في القرى .

وفي رواية : ثم الأكارين ، والأكار هو الفلاح ، والمراد إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . وخص هؤلاء بالذكر لأنهم أسرع انقياداً من غيرهم ، لأن الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين ، والمراد عليك مع إثمك إثم رعاياك لأنه إذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا ، فهو متسبب في عدم إسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ ولا يتخد بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ قال ابو سفيان : فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا تفهم فلا أدري ما قالوا ، وأمر بنا فأخرجنا ، فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الأصفر يخافه ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام أي فأظهرت ذلك اليقين .

وفي رواية : ما زلت مرعوباً من محمد حتى أسلمت ، وقوله بن أبي كبشة قيل انه جدّ لآمنة بنت وهب ام النبي ﷺ كان يكنى ابا كبشة .

وجاء في رواية : ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله : هل تتهمونه بالكذب ؟ فقال : لا ، ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبراً تعرف به انه قد كذب ، قال : وما هو ؟ قال :

يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح ، فقال بطريق اي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر : صدق ايها الملك اي في أنه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال : وما أعلمك بهذا ، قال : إني كنت لا أنام ليلة ابداً حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني ، فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه كأنما نزاول جبلاً فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا : لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح ، فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر : فقال قيصر لقومه : يا قوم ، الستم تلمون ان بين يدي الساعة نبياً بشركم به عيسى ابن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم ؟ قالوا : بلى قال : فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ، ثم أمر بانزال دحية واكرامه .

وجاء في رواية ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه : ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم التى به يعني الكتاب فقال له : والله ، انك لضعيف الرأي أترى ارمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر هو احق ان يبدأ بنفسه، ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ، إن اخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ : من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان يقطعه فقال قيصر : ما شأنك ؟ فقال : تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم ، وماذا كرملك الروم ؟ فقال له قيصر : انك أحمق صغير او مجنون كبيراً تريد ان امزق كتاباً قبل ان انظر ما فيه ؟ ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق أن يبدأ بها مني ، ولئن سماني صاحب الروم فلقد صدق ما انا الا صاحبهم ولا أملكهم ولكن الله سخرهم لي ، ولو شاء لسلطهم عليّ كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ، ولما جاءﷺ الخبر عن قيصر قال : ثبت ملكه وفي رواية : سيكون لهم بقية ، وقد صدق الله ورسولهﷺ .

فقد ذكر الحافظ ابن حجزان الملك المنصور قلاوون ارسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له : لا تحفنك بتحفة سنية ثم اخرج صندوقاً مصفحاً بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب

فأخرج منها كتاباً قد زالت اكثر حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير فقال : هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن ، وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما زال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه ﷺ : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لأن المراد اذا ازال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه احد ، وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم .

يروى أن قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذران يأتي بيت المقدس ماشياً شكراالله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشياً بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس ، فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر منادياً ينادي الا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل اليهم ، اني اردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه ، والذي في البخارى : ان قيصر لما سار الى حمص ، اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ؟ وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ، فوجدوها قد اغلقت وقالوا له : اتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيداً لأعرابي ؟ فلما رأى نفرتهم وايس من ايمانهم قال : ردوهم عليَّ وقال : اني قلت مقالتي اختبربها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه ، وعند ذلك كتب كتاباً وأرسله مع دحية الى رسول الله ﷺ يقول فيه : اني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ ﷺ الكتاب قال : كذب عدوا الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين .

وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كتب اليه أيضاً من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى كسرى ملك فارس

كتب اليه ﷺ كتاباً وبعث به مع عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، لأنه كان يتردد على كسرى كثيراً وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، ادعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس أي الذين هم اتباعك .

قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرىء عليه فأخذه فمزقه .

وفي رواية : ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله ﷺ أذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال : لا حتى أدفعه اليه كما أمرني رسول الله ﷺ فقال كسرى: ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه ، فقرأه فاذا فيه : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح ، ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده ، فلما وصل اليه ﷺ وأخبره الخبر قال ﷺ : مزق ملك كسرى .

وفي رواية : مزق الله ملكه وفي رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى امير له باليمن يقال له باذان انه بلغني ان رجلاً من قريش خرج بمكه يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فإن تاب والا فابعث اليّ برأسه يكتب الى بهذا الكتاب اي الذي بدا فيه بنفسه وهو عبدي : وفي رواية قال له ان لم تكفني رجلاً خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتيا به ، فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي ﷺ مع قهرمانه وبعث معه رجلاً آخر من الفرس وبعث بهما الى رسول الله ﷺ وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى بعث الى الملك باذان ان يبعث اليك من يأتي بك ؛ وقد بعثنا اليك فان أبيت اهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكان على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره ﷺ النظر اليهم ثم قال لهما ، ويلكما من امركما بهذا . قال : أمرنا ربنا يعنيان كسرى ، فقال ﷺ : ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ، ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا اي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من

جمادي الأولى سنة سبع ، فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله ﷺ الى باذان ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا ، فلما أتـي باذان الكتاب توقف ، قال : ان كان نبياً فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ على يده ولده شيرويه قيل : قتله ليلاً بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت .

وفي رواية : انه ﷺ قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ، ثم جاء الخبر بان كسرى قتل تلك الليلة فكان كما اخبر ﷺ ، فلما جاء ﷺ هلاك كسرى قال : لعن الله كسرى أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب ، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه ﷺ قال : لتقتحن عصابة من المسلمين او من المؤمنين او رهط من امتى كنوز كسرى التي في القصر الأبيض ، فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك الف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه اما بعد فقد ، قتلت كسرى ولم اقتله الا غضباً لفارس فانه قتل اشرافهم فتفرق الناس ،فاذاجاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك امري فيه ، فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله ﷺ ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقاً لدعوته ﷺ ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ للنجاشي ملك الحبشة

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتاباً فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة ، سلم انت اي انت سالم لأن السلم يأتي بمعنى السلامة ، فانى احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول اي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم او المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت

فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم ، وفي رواية انه ﷺ ارسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام وفي الاخر يأمره ان يزّوجه ام حبيبة فاخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله الا هو الذي هداني للاسلام ، اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى ، فورب السماء والأرض ان عيسى لا يزيد على ماذكرت وقد عرفنا ما بعث به الينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ، فأشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك اي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يده لله رب العالمين .

وفي رواية : وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت اتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم إنه أرسل ابنه في ستين نفسا في اثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده ، فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين ، وعند وصول كتابه قال النبي ﷺ : اتركوا الحبشة ما تركوكم .

وفي رواية ان عمر وبن امية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب : يا أصحمة ان عليّ القول وعليك الاستماع كأنك منا اي في الرقة علينا ، وكأنا منك اي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيراً قط الا نلناه ، ولم نخفك على شر قط الا امناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الجد وأصابة الفصل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد فرّق النبي ﷺ رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه الخير سالف وأجر ينتظر ، فقال النجاشي : اشهد بالله انه للنبي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأنه ليس الخبر كالعيان ولكن اعواني من الحبشة قليل فأنظرني

حتى اكثر الأعوان وألين القلوب .

وفي رواية : ولو استطيع ان آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبيﷺ وأصحابه ، فهذا النجاشي هو الذي أسلم وأكرم اصحاب النبيﷺ ، وأما النجاشي الذي ولي الامر بعده فكان كافراً لم يعرف اسلامه ولا اسمه .

وجاء في بعض الروايات : انهﷺ كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام ، فقد روى البيهقي عن ابن اسحق قال : هذا كتاب من النبيﷺ الى النجاشي عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فاني رسوله فاسلم تسلم ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك .

قال في المواهب : وقد خلطبعضهم فلم يميز بينهما اي بين النجاشيين فظنهما واحدا وفي صحيح مسلم ما يدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابهﷺ للمقوقس

ومعناه المطوّل البناء ، وهو لقب لكل من ملك القبطوهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني إسرائيل بعثﷺ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنه الى المقوقس ، وذلك انهﷺ عند منصرفه من الحديبية قال : ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله ، فوثب اليه حاطب وقال : انا يا رسول الله ، قال : بارك الله فيك يا حاطب . قال حاطب : فأخذت الكتاب وودّعتهﷺ وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت اهلي وسرت .

وفي رواية انه ارسل مع حاطب جبراً مولى ابي رهم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله . وفي رواية : عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبطسلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم

تسلم ، وأسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فإنما عليك اثم القبط اي الذين هم رعاياك ﴿ ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ ثم ان حاطباً رضي الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد ان ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر انه في مجلس مشرف على البحر ، فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه ، فلما رآه امر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب : ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها ؟ فقال له حاطب : ألست تشهد ان عيسى ابن مريم رسول الله ؟ فماله حيث اذاه قومه وأرادوا ان يصلبوه ان لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه ؟ قال : أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب : انه كان قبلك رجل يزعم انه الربّ الا على يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ، ان هذا النبيﷺ دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمدﷺ ، وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوماً فهم أمته فالحق عليهم ان يطيعوه ، فانت ممن أدرك ذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به فقال : اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه اي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة ، وينهى عما ترغب عنه ، ولم أجده بالساحر الضارّ ولا بالكاهن الكذاب ، ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء اي ـيّـ ء الغائب والاخبار بالنجوى اي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبيّﷺ وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب الى النبيﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقي وقد كنت أظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك اي فانه دفع له مائة دينار وخمسة اثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين وبثياب وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر .

وفي رواية : وارسل له عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ، ومع قدح من قوارير فكانﷺ يشرب فيه ، ثم قال : وأهديت لك بغلة لتركبها

والسلام عليك ، ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفي رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية اخرى اسمها قيس وهي اخت مارية .

وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وان النبيﷺ اهدى واحدة من تلك الجواري لأبي جهم بن حذيفة العدوي وهي ام ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر ، وأهدىﷺ اخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي ام عبد الرحمن بن حسان .

وفي رواية : ان المقوقس أهدى للنبيﷺ مع الجواري غلاماً اسود خصباً يقال له مأبور . وفي رواية : انه اهدى مع البغلة حماراً اشهب يقال له يعفور ، وأما البغلة فتسمى الدلال وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها ، وأهدى له أيضاً فرساً وهو اللزاز . ففي رواية ان المقوقس قال لحاطب ، ما الذي يحب صاحبك من الخيل ؟ فقال له حاطب : الأشقر . وقد تركت عنده فرساً يقال له المرتجز ، فانتخب له فرساً يقال له المرتجز ، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلاً من عسل بنها ـ بكسر الموحدة ـ قرية من قرى مصر فأعجب بهﷺ ودعا بعد الكلام عن بعض في عسل بنها بالبركة ، ولما أكل منه قال : ان كان عسلكم اشرف فهذا أحلى ، وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا .

وفي رواية انه ارسل مع العدية طبيباً . فقال له النبيﷺ : ارجع الى اهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع ، ثم ان المقوقس قال لحاطب : ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً قال حاطب : فرحلت من عنده وبعث معي جيشاً يحرسني الى ان دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فردا الجيش وارتفقت بالقافلة وفي بعض كتب السير : ان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل إسلام المغيرة ، فلما دخلوا على المقوقس قال : ما صنعتم فيا دعاكم اليه محمد ؟ قالوا : ما تبعه منا رجل واحد : قال : كيف صنع قومه ؟ قالوا : اتبعه احداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال : فالى ماذا يدعو؟ قالوا : الى ان نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر ، فقال المقوقس : هذا نبي

مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى ، وهذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه احد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر ، فقالت ثقيف ، لو دخل الناس كلهم مع ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال : انتم في اللعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لأبي سفيان ثم قال لهم : ما فعلت يهود بيثرب ؟ قلنا : خالفوه ، فأوقع بهم فقال : هم حسد ، أما انهم يعرفون من امر مثل ما نعرف .

وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق ابان بن صالح قال : ارسل المقوقس الى حاطب اي حين جاءه بكتاب النبي ﷺ فقال : أسألك عن ثلاث فقال : لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال : الام يدعو محمد ؟ قلت : الى ان يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن اكل الميتة والدم الى ان قال : صفه لي : فوصفته فأوجزت قال : بقيت أشياء لم تذكرها أفيعينيه حمرة ؟ قلت : ما نفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم ؟ قلت : هذه صفته : قال : قد كنت اعلم ان نبياً قد بقي وكنت اظن ان مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه ، وأنا اضن بملكي ان افارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما ههنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً ولا أحب ان تعلم بمحاورتي اياك احداً قال حاطب رضي الله عنه : فذكرت قوله لرسول الله ﷺ فقال : ضن الخبيث بملكه ولا بقاء الملكة ، فكان كما قال : ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمز على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى المنذر بن ساوى التميمي

وكان بالبحرين بعث ﷺ اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام .

قال في شرح المواهب : ولم نر أحداً ذكر لفظ ذلك الكتاب ، فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله : اما بعد يا رسول الله ، فإني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي

يهود ومجوس اي باقين على كفرهم ، فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى المنذر بن سلوى سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله اما بعد ، فاني اذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وأن رسلي قد اثنوا عليك خيرا اي من قبولك للحق وانقيادك للايمان ، واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه اي من مال وزوجات اربع يحل نكاحهن وعفوت عن اهل الذنوب اي المتقدمة منهم في الكفر ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه ان اقرض على كل رجل ليس له أرض اربعة دراهم وعباءة .

وفي رواية كتب اليه ان أعرض عليهم الاسلام فإن أبوا اخذت منهم الجزية على ان لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم .

وذكر السهيلي في الروض : انّ العلاء لما قدم على المنذر قال له : يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم اهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ان لا نصدقه ولمن لا يخون ان لا تأمنه ولمن لا يخلف ان لا تثق به ، فان كان هكذا فهذا هو النبيّ الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول : ليته ما أمر به نهى عنه او ما نهي عنه امر به اوليته ، زاد في عفوه او نقص من عقابه ، اذ كل ذلك منه على امية اهل العقل وفكر اهل النظر فقال المنذر ، قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ، والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت امس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه وأن من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر اي سأنظر فيما اصنع من الذهاب اليه او مكاتبته .

وروى الطبراني وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدي عن أبيه قال : وفد المنذر بن سلوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبي ﷺ ووضع المنذر سلاحه ولبس ثياباً كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبي الله ﷺ

وأنا مع الجمال انظر الى نبي الله ﷺ قال المنذر : قال لي النبي ﷺ : رأيت منك ما لم أر من أصحابك فقلت : اشيء جبلت عليه واحدثته ؟ قال : لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى . قال بعض اهل السير : ان ذلك اشتباه وانّ هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن سلوى لم تعرف له وفادة وذكر ابو جعفر الطبري انّ المنذر بن سلوى مات بالقرب من وفاته ﷺ وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو : كم جعل ﷺ للميت من ماله عند الموت ؟ فقال : الثلث قال : فما ترى أن أصنع في ثلث مالي ؟ قال : ان شئت قسمته في سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت قال : ما أحب ان جعل شيئاً من مالي كالسائبة ولكني أقسمه والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر كتابه ﷺ إلى ملكي عمان

ـ بضم العين المهملة وتخفيف الميم ـ بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبأ وأمّا عمان بفتح العين وشدّ الميم ـ فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ رجلاً الى قوم فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك .

وروى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إني لأعلم أرضاً يقال لها : عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا بحجر ، وكان بعث كتابه ﷺ إلى ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضي الله عنه وكتب له فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر ـ على وزن جعفر ـ وعبدا بني الجلندي سلام على من إتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما وتظهر نبوّتي على ملككما وكتب الكتاب أبي بن كعب وختمه ﷺ قال عمرو : فخرجت حتى إنتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك بهذا الكتاب أي وبالدعاء إلى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخي جيفر هو المقدّم عليّ بالسنّ والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال : وما تدعوا إليه ؟ قلت : أدعوك إلى

عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمداً عبده ورسوله قال : يا عمرو إنك كنت ابن سيدقومك فكيف صنع أبوك ؟ فإن لنا فيه قدوة قلت : لم يؤمن بمحمدﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام فسألني اين كان إسلامك قلت : عند النجاشي .

وأخبرته أنّ النجاشي قد أسلم . قال : كيف صنع قومه بملكه قلت : أقروه وإتبعوه قال : والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت : نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال: أنظر يا عمرو ما تقول فإنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب قلت : وما كذبت وما نستحله في ديننا ؟ ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلامه أي النجاشي قلت : بلى . قال : بأيّ شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمدﷺ قال : لا والله ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله فقال : أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ؟ فقال هرقل : رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به ؟والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال : أنظر ما تقول يا عمرو؟ قلت : والله صدقتك قال : عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهي عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجلّ وينهي عن معصيته ويأمر بالبرّ وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدّق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً أي طرفاً وتابعاً ، بعد أن كان رأساً ومتبوعاً قلت : إن أسلم ملكه رسول اللهﷺ على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردّها على فقرائهم قال : إنّ هذا الخلق حسن أي لما فيه من مواساة الفقراء قال : وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال ، حتى انتهيت الى الإبل فقال : يا عمرو ، ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه قلت : نعم . قال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا . قال : فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري .

ثم إنه دعاني يوما لأدخل معه على أخيه فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال : دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجم ، في أنّ رسول الله شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك ، فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك فدفعت إليه

الكتاب مختوماً ففض ختمه فقرأه حتى إنتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أني رأيت أخاه أرق منه فقال : جيفر ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه أمّا راغب في الدين وأمّا مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام وإختاروه على غيره وعرفو بعقولهم مع هدى الله إنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحد أبقى غيرك في هذه الحرجة ، وهي الشجر الملتف والمراد التجوز وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أي جماعتك ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الإسلام ، ولا تدخل عليك الخيل والرجال وفي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال .

وفي هذا دليل على قوّة نفس عمرو رضي الله عنه ، وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب ،وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة أعوانه ، مع أنه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ، ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته ﷺ فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال : دعني يومي هذا وإرجع إليّ غداً قال عمرو : فرجعت إلى أخيه فقال : يا عمرو إني أرجوا أن يسلم أخي إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله ههنا أي لبعد الدار وإن بلغت خيله ههنا وجدت قتالاً ليس كقتال من لاقى .

قال عمرو : قلت : وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلابه أخوه فقال له : ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل إليه أجابه : فأصبح فأرسل إليّ فأجاب للإسلام : وهو وأخوه جميعاً وصدقا النبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا عوناً على من خالفني . وأسلم معهما خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم . قال بعضهم : ثم إن عمراً لم يزل بعمان حتى توفي النبي ﷺ .

قال ابن سعد ولعل إقامته كانت بأمر النبي ﷺ حين بعثه أو بإشارة فهم منها ذلك أو بإجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ الى هوذة بن علي الحنفي

صاحب اليمامة وهي بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من

مكة ، كتب ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي الحنفي ، وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه ، وكان ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد بدراً وغيرها وإستشهد باليمامة في قتال أهل الردة . وفي الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة ابن علي سلام على من اتبع الهدى وإعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم وإجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوماً أنزله وحباه ، وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف .

قال السهيلي : وقال له : سليط يا هوذة إنك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار وإنما السيد من متع بالايمان ، ثم زوّد بالتقوى إن قوماً سعدوا برأيك فلا يشقون به وإني آمرك بخير مأمور به ، وأنهاك عن شر منهي عنه ، آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار ، فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت ، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطالع ، فقال هوذة : يا سليط سوّدني من لو سودك شرقت به وقد كان لي رأي اختبر به الأمور ففقدته ، فموضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع إلي فيها رأيي فأجيبك به إن شاء الله .

وذكر الواقدي : أن أركون دمشق الرومي من عظماء النصارى كان عند هوذة . فقال له هوذة : جاءني كتاب من النبي يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه فقال الأركون : لم لا تجيبه ؟ قال : ضننت بديني وأنا ملك قومي ولئن تبعته لن أملك قال : بلى والله لئن إتبعته ليملكنك وإن الخير لك في إتباعه وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ثم إن هوذة كتب للنبي ﷺ جواب كتابه وقال فيه : ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب نهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك وكأنه أراد الشركة في النبوة أو الخلافة بعده ﷺ ، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر ، فقدم بكتابه على النبي ﷺ وأخبره بخبره ، فلما قرأ الكتاب على النبي ﷺ قال : لو سألني سبابة من الأرض أي قطعة منها ما فعلت باد وباد ما في يديه أي هلك وهو خيراً ودعاء ، فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره . فقال ﷺ : أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل .

وفي رواية : فقال قائل : يا رسول الله من يقتله : قال : أنت وأصحابك . قال بعضهم : والظاهر ان المخاطب من الذين اشتركوا في قتله تراجع وخالد بن الوليد أي فإنه رضي الله عنه كان أمير الجيش الذي قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ إلى الحرث بن أبي شمر الغساني

وكان أميراً بدمشق من جهة قيصر وكان إقامته بغوطتها ، وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر ، وبعث ﷺ إليه شجاع بن وهب الأسدي من أسد بن خزيمة رضي الله عنه ، وكان من السابقين الأولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحرث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك ، وختم الكتاب . قال شجاع : فانتهيت فوجدته مشغولاً بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص إلى أيليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكر الله تعالى . قال شجاع : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله ﷺ فقال حاجبه : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه يسألني عنه ﷺ وما يدعوا إليه ، فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول : إني قرأت في الإنجيل واجد صفة هذا النبي بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام ، فأراه خرج بأرض القرظ فأنا أؤمن به وأصدّقه ، وأنا أخاف من الحرث بن أبي شمران يقتلني ، وكان هذا الحاجب رومياً إسمه مري . قال شجاع : وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحرث ويقول : هو يخاف قيصر قال : فخرج الحرث يوماً فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه ، فدفعت إليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالساً حتى الليل ، وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بابليا وعنده دحية رضي الله عنه ، وقد بعثه ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب إليه أن لا تسر إليه واله عنه ووافقني بابلياً قال : ورجع إليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك : قلت : غداً فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ، ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال : إقرأ على رسول الله مني السلام وأخبره بأني متبع دينه ، فقدمت فأخبرته ﷺ بخبر الحرث فقال : باد ملكه واقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال ، فقال ﷺ : صدق .

وفي كلام بعض أهل السيار انّ الحرث أسلم ولكن قال : أخاف أن أظهر إسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع ابن وهب إنما توجه إلى جبلة بن الأيهم ، ويقال أرسل إلى الحرث وإلى جبلة وأن شجاعاً قال له : يا جبلة إن قومك يعني الأنصار ، نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه ، وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فإن أسلمت إطاعتك الشام ، وهابتك الروم ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة ، وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع ، والأذان بالناقوس ، والجمع بالشعانين ، وكان ما عند الله خيراً وأبقى . فقال جبلة : والله إني لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي إجتماعهم على من خلق السموات والأرض ، وقد سرني إجتماع قومي به وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ولكني لست أرى حقاً ولا باطلاً وسأنظر .

وذكر بعضهم : أنه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله ﷺ وأعلمه بإسلامه ، وأرسل له هدية وكان ثابتاً على إسلامه لزمن خلافة عمر رضي الله عنه ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته ، حتى إذا قارب المدينة عمد إلى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ، ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيه وزينته ، ولما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه ، وأقام عنده بالمدينة مكرماً فخرج عمر حاجاً فخرج معه ، وحين تطوف بالبيت وطيء رجل من فزارة أزاره فغضب فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه .

وفي رواية : ففأ عينه فشكى الفزاري إلى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له : لم هشمت أنفه ؟ وقال له : لم فقأت عينه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين وطيء على أزاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف . فقال له عمر رضي الله عنه : أمّا أنت فقد أفريت إما أن ترضيه وإلا قدته منك .

وفي رواية : قال : والحكم إما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة : فيصنع بي ماذا ؟ قال : مثل ما صنعت به : فقال : أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقة ؟ فقال له

عمر رضي الله عنه : الإسلام سوّي بينكما ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى ، قال : إن كنت أنا وهذا الرجل في الدين سواء ، فأنا أتنصر فإني كنت يا أمير المؤمنين أظنّ إني أكون في الإسلام أعزمني في الجاهلية ، فقال له عمر رضي الله عنه : إذا تنصرت أضرب عنقك . قال : فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال : ذلك إلى خصمك . فقال الرجل : أمهلته يا أمير المؤمنين ؟ فأذن له عمر في الإنصراف ثم ركب في بني عمه وهرب إلى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك ، وكان مع الروم في قتالهم المسلمين حتى هلك على النصرانية ، وقيل عاد إلى الإسلام ومات مسلماً ولم يصح . وكان جبلة رجلاً طوالاً طوله إثنا عشر شبراً ، وكان يمسح الأرض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوّجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيها قبر إبراهيم بن أدهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ إلى بني نهد

وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب ، وكان ﷺ يخاطب كل قوم بكاتبهم بلغتهم ،وذلك من انواع بلاغته ﷺ فكان يتكلم مع كل ذي لغة غريبة بلغته ، ومع كل ذي لغة بليغة بلغته إتساعاً في الفصاحة واستحداثاً للالفة والمحبة ، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام أرسي من الهضب وأردف من العضب فانظر إلى دعائه ﷺ لأهل المدينة حين سألوه ذلك .

فقال : اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم . وفي رواية : اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا اللهم إني آدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة . ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب إليه فقال : يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة باكوار الميس ، ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ، ونستخيل الرهام ، ونستجيل الجهام ، من أرض غائلة النِطاء ، غليظة الوطاء ، قد نَشَفَ المُدهُن ، وييس الجِعْثِن وسقط الأملُوج ، ومات العسلوج ، وهلك الهَدِيّ ، ومات الوَدي ، برئنا اليك يا رسول الله من الوَثن والعَتَن وما يحدث الزمن لنا دعوة الإسلام وشرائع الإسلام ما طمى البحر وقام تِعَار ولنا نعم هَمَل أغفال ما تبلّ ببلال ، ووقير كثير

الرَسل قليل الرسل أصابتها سنة حمراء مؤزلة ليس لها علل ولأنهل فقال رسول الله ﷺ في الدعاء لهم : اللهم بارك لهم في محضها أو مخضها ومذقها وابعث راعيها في الدَثر ببائع الثمر وأفجر له الثَمدْ وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن أتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إلّه إلا الله كان مخلصاً لكم يا بني نهد ودائع الشرك ، ووضائع المِلك ، لا تُلطِطفي الزكاة ، ولا تُلْحِد في الحياة ، ولا تتثاقل عن الصلاة . ثم كتب معه كتاباً إلى بني نهد .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله ، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفَريش ، وذو العِنان الركُوب والقَلُوّ الضَبيس لا يُمْنَع سرّحكم ، ولا يعضد طلحَكم ، ولا يحبس دركم ، مالم تضمروا إلا مآق وتأكلوا الرِباق ، من أقرّ بما في هذا الكتاب ، فله من رسول الله ﷺ الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الرُبوة . وروى العسكري عن عليّ رضي الله عنه قلنا : يا بني الله نحن بنو أب وأحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تتكلم بلسان العرب ما لا نعرف أكثره . قال : إنّ الله عز وجل أدّبني فأحسن تأديبي أي علمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت في بني سعد بن بكر أي فجمع لي بذلك قوّة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .

قال : في المواهب : ونحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى التفسير فغوري تهامة ما انحدر منها والأكوار الرحل ،والميس ـ بفتح الميم وسكون التحتية ـ شجر صلب يعمل منه رحال الإبل ، ونستحلب بالحاء المهملة الصبير ـ بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب بتكاثف أي نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب في الأرض شبه بخبير الإبل وهو وبرها وإستخلابة احتشاشه بالخلب وهو المنجل وقيل : نستخلب الخبير أي نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أي نقطعه والبرير ثمر الأراك وكانوا يأكلونه في الجدب لقلة الزاد ، ونستخيل الرهام ـ بكسر الراء وهي الأمطار الضعيفة واحدتها رهمة أي نتخيل الماء في السحاب القليل ، ونستجيل بالجيم الجهام أي نراه حائلاً يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام ـ بفتح الجيم ـ السحاب الذي فرغ ماؤه . ويروى ونستخيل ـ بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال إذا ظننت أراد لا نتخيل في السحاب إلا المطر ، وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا اليه فنظنّ مالاً

وجود له موجوداً . ويروى ونستحيل ـ بالحاء المهملة ـ والمراد لاننظر من السحاب في حال إلا إلى الجهام من قلة المطر . وقوله : من أرض غائلة النطا ـ بكسر النون ـ أي المهلكة للبعد يقال : بلد نطي أي بعيد والمدهن ـ بالضم ـ نقرة في الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة الدهن وقارورته .

وهذا كناية عن جفاف الماء في جميع نواحيهمم والجعثن ـ بالجيم والمثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون ـ أصل النبات والأملوج ـ بضم الهمزة واللام بالجيم ـ ورق شجر يشبه الطرفاء ، والعلوج ـ بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم ـ هو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الأغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله : وهلك الهدري ـ بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشدّ الياء كالهدي ـ بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدي إلى البيت الحرام من النعم لينحر ، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هدياً لصلوجها له تسمية للشيء ببعضه . وقوله : ومات الوديّ ـ بشد الياء ـ هو فسيل النخل بريد هلكت الإبل ويبست النخيل ، ويرئنا إليك من الوثن أي الصنم يعنون إنهم تركوا عبادة الأصنام والإلتجاء إليها والعنن أي الإعتراض يقال : عن لي الشيء إذا اعترض كأنه قال : برئنا إليك من الشرك والظلم وقيل : أراد به الخلاف والباطل . وقوله : ما طمي البحر ـ بالطاء المهملة ـ أي ارتفع بأمواجه وتعار ـ بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فألف فراء ـ بزنة كتاب اسم جبل بصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله: ولنا نعم همل ـ بفتحتين ـ أي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويديها فهي كالضالة والإبل الإغفال التي لا لبن فيها والوقير القطيع من الغنم .

وقوله : كثير الرسل ـ بفتح الراء اي شديدة التفرّق في طلب الرعي قليل الرسل ـ بكسر فسكون ـ للبن وقوله : سنية ـ بالتصغير للتعظيم ـ وقوله : حمراء أي شديدة أي أصابها جدب شديد وقوله : مؤزلة أي آتية بالأزل أي القحط ليس لها علل هو الشرب ثانياً : ولا نهل هو الشرب أولاً أي لشدّة القحط ، وقوله ﷺ اللهم : بارك لهم في مخضها ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة ـ أي خالص لبنها ومخضها ـ بالمعجمتين ـ ما مخض من اللبن ، وهو الذي حرك في السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء ، والضمائر لأرضهم أو إنعامهم المذكورة في كلام طهفة .

فدعا النبي ﷺ لهم في ألبانهم باقسامها ، والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم

وسقيها فكأنه قال : اللهم إسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها الى الدثر - بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء - المال الكثير وقيل : الخصب والنبات الكثير لأنه من الدثار ، وهو الغطاء لأنها تغطي وجه الأرض وأفجر له الثمد - بفتح المثلثة وإسكان الميم - وتفتح الماء القليل أي صيره كثيراً وقوله : ودائع الشرك فيل : المراد بها العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ، وضائع الملك بكسر الميم هي الوظائف التي تكون على الملك ، وهوما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة أي لكم الوظائف التي تلزم ا لمسلمين لا تتجاوز عنكم ولا تزيد عليكم فيها شيئاً ، بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله : لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الأولى مكسورة والثانية ساكنة أي لا تمنع الزكاة يقال : لط الغريم إذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية ، وإسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة ، أي لا تمل عن الحق ما دمت حياً ، والخطاب لطهفة بن رهم .

ويروى : ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بصيغة التفعل ولا تتثاقل عن الصلاة أي لا تتخلف عنها وعن أدائها في وقتها وقوله : في الكتاب في الوظيفة الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هي : الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والإنتفاع بها أي لا نأخذ في الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المرضة أي فهي : لكم لا نأخذها في الزكاة أيضاً والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة - وهي من الإبل الحديثة العهد ، بالنتاج كالنفاس من بني آدم أي لكم خيار المال كالفريش لأنها لبون نفيسة ، ولكم شراره أيضاً كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقاً بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أي الفرس الذلول أي المذلل المركوب أي لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب ، أي بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح القاء وضم اللام وشدّ الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب أمتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ، وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلوّ الضبيس أي اظهر المنة عليهم في ذلك لأنّ الله ما أوحى إليه بأخذ الزكاة في ذلك ، فهي غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله : لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي أي لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم ، والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها . وقوله : ولا يعضد طلحكم أي لا

يقطع شجركم الذي لا ثمر له فغيره من باب أولى وقوله : ولا يحبس دركم أي لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى إلى أن تجتمع الماشية ، ثم تعدّ أي بعدّها الساعي لما في من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا تأخذ ذات الدر لما في ذلك من الأضرار وقوله : مالم تضمروا الاماَق أي ما لم تحلفوا وتكتموا الا مآق أي الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف برنة الإكرام .

وفي رواية : الرماق وهو الغدر أيضاً . وقال الزمخشري في تفسير الا مآق : المراد إضمار الكفر والعمل على ترك الإستبصار في دين الله وقوله : وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذي يجعل فيه عري وتشدّ به البهيمة لتتخلص من الرباط ، أي إلا أن تنقصوا العهد فاستعار الأكل لنقض العهد إستعارة تصريحية أو تمثيلية ، وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الأكل لنقضه ، والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الإسلام ، فإن فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله : فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أي الزيادة يعني من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له ، وهو صادق بأي زيادة كانت أي يزاد في عقوبته ولو بقتاله فإن مانع الزكاة يقاتل .

قال في الموهب : فانظر إلى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم أي من حيث المماثلة في غرابة الألفاظ مع أنه زاد عليها في الجزالة أي حسن النظم والتأليف ، وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها ، فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الألفاظ استعملها معهم ، فاستعمالها مع من هي لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها ، وإن كان فيها ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم ، حتى إن كلام البادية الوحشي فصيح بالنسبة لهم ، وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي ، وما ذلك منه ﷺ إلا بقوّة إلهية وموهبة ربانية ، لأنه بعث إلى الكافة طرّاً وإلى الناس سوداً وحمراً فعلمه الله جميع اللغات . قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ أي لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون ، فكان ذلك من معجزاته ﷺ ، وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت في كتب السنة .

وفي شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء أن جماعة وفدوا على النبيّ ﷺ حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا والنبيّ ﷺ ، وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أسران أي أبكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله ، فقال النبي ﷺ : اشكدّ أور معنى أشكدّ تعال وأقبل وهلم وأور معناه هنا أو الينا . وجعل رسول الله ﷺ يجيبه بلغته ولا يفهم القوم ، فأسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي ﷺ قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته ، فسبحان من علمه ذلك إنه المنعم الكريم وإمّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة ، فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، فلا توازي فصاحة ولا تباري بلاغاً فلا حاجة الى الإطالة بها وفي المواهب والشفاء وشروحها كثير من ذلك .

ذكر كتابه ﷺ لذي المشعار الهمذاني

المشعار - بكسر الميم وإسكان الشين المعجمة وعين مهملة فألف فراء - إسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمداني وهمدان شعب عظيم أي قبيلة من همدان ويكنى مالك بابي ثور وفد على النبيّ ﷺ مقدمه من تبوك فقال : يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ما حل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور وبصلع ، فكتب لهم النبيّ ﷺ أي أمر بكتابة ما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ، وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها أي المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه ، على أنّ لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والداجن والكبش الحوري ، وعليهم فيها الصالغ والقارح .

فقوله : نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصي من القوم ويختار وهم الرؤوس والإشراف ويقال : للإشراف نواص كما يقال : للإتباع إذ ناب وقوله : أتوك على بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة ولا تزال قلوصاً حتى تصير بازلاً وهي ما تم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة

والنواجي السراع جمع ناجية وقوله : متصلة بحبائل الإسلام أي عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال : أيام قبيلتان من همدان وقوله : ولا ينقض عهدهم عن سنة ما حل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والإفساد والسنة الطريقة ، ويروى عن وشية ما حل والماحل هو الواشي والساعي بالإفساد والعنقفير ـ بفتح العين المهملة وسكون النون ـ وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل ، وقوله : سوداء اي شديدة فهو من إضافة الصفة للموصوف اي لا ينقض عن داهية شديدة ، ولعلع بلا مين وعينين جبل وما جرى اليعفور ـ بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ـ ولد الظبية وقوله بصلع ـ بضم الصاد المهملة وتشديد اللام ـ الأرض التي لا نبات فيها ، فالمراد أنّ عهدهم لا ينقض أصلاً لأنّ لعلعاً مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالأرض القفراء .

وقوله ﷺ لمخلاف : هو الناحية وطرف الإقليم . وقوله : خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب ـ بكسر الجيم ـ والهضب ـ بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة ـ جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضاً وحفاف الرمل ـ بحاء مهملة مكسورة ـ ففاءين بينهما ألف اسم موضع أيضاً وهذه المواضع ببلادهم وفراعها ـ بكسر الفاء ـ وبراء وعين مهملة جمع فرعة ـ بفتح فسكون ـ اي ما علا من الجبال أو الأرض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو ابن العاص رضي الله عنه بالطائف على ثلاثة اميال من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة .

وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهلمة ثم زاءين مخففتين ما صلب من الأرض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله : يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أي تأكل ماشيتهم أو أن يأكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهلمة وتخفيف الفاء وبالمد أي المباح الذي ليس لأحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشيء ، إذا ندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء بالهمز نتاج الابل وألبانها أو الإنتفاع بها وسماها دفئاً لأنه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به ، وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أي لنا من نخلهم ما بصرم اي بقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ما هرم بكسر

الراء من ذكور الإبل وتكسرت أسنانه والأنثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها ، والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر ، والداجن الدابة التي تألف البيوت والكبش الحوري بحاء مهملة فواو مفتوحتين ، وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذي في صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها إذا اتم سنها ، وذلك إذا دخلت في السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة أو السادسة وفي النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ، وذلك في السنة السادسة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابه ﷺ لقطن بن حارثة العليمي

وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بمهملة مصغر نسبة لبني عليم الكلبي ، وقد قطن مع قومه على النبي ﷺ فأسلم وأنشد النبي ﷺ قوله :

رأيتـك يا خـير البـرية كلها ... نبـت نضـارا في الأرومـة من كعب
أغـرّ كأن البـدر سنـة وجهه ... إذ لصـايدا للنـاس في خلل العضب
أقمـت سبيل الحـق بعـد اعوجاجها ... ودنـت اليتامـى في السقـاية والجدب

فقال له النبي ﷺ : خيراً وكتب كتاباً وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وإحلافها ومن ظأره الإسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي بإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار ، والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشويّ الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر . وفي العثرى شطره بقيمة الأمين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله ، وكتب ثابت بن قيس بن شماس .

وتفسير ذلك أن العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والأحلاف المحالفون

لهم ، ومن ظأره الإسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخرها على وزن منعه أي ومن جمعه الإسلام عليهم من غيره ، والهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة في كلاء مباح والبساط التي معها أولادها ، والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو إسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله : ناقة بالرفع فاعل ليجب مقدراً وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع أصناف الإبل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله : عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام ، والمعنى أن الإبل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة ، لأنها عوامل وبه قال قوم : وقوله وفي الشوي : بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة إسم جمع للشاة ، والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة مالها سنتان لكن الذي في الفروع أن الواجب في الغنم جذعة ضأن لها سنة وأجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معزلها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والإبل ، لأنهما غالب أموالهم والجدول النهر الصغير ، والعين المعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض بلا تعب والعثري الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر . وقوله : بقيمة الأمين أي بتقويم الخرّاص العدل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر كتابة ﷺ لوائل بن حجر

ـ بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء ـ الحضرمي رضي الله عنه ونسبه ينتهي الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمي ، كان أبوه من أقيال اليمن ووفد هو على النبي ﷺ واستقطعه أرضها فأقطعه إياها ، وأرسل النبي ﷺ معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ليسلمه إياها ، وكان معاوية رضي الله عنه حافياً فأحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فأبى ، ورأى أنه لا يكون كفؤاً لأن يكون رديفه فقال له : لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه أن يلبسهما فأبى وقال : دونك ظل ناقتي فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك ، فعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه . قال وائل : فوددت لو كنت حملته بين يدي وكان له قبل الإسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوماً في الظهيرة فسمع صوتاً هائلاً فأتى فسجد له فسمع هاتفاً يقول :

وإعجبا لوائل بن حجر يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا ترجى من نحيت صخر ليس بذي عرف ولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال :

إرحل إلى يثرب ذات النخل وسر إليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلي محمد الرسول خير الرسل

ثم خرَّ الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتاً ، ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبي ﷺ وبسط له رداءه وأجلسه معه ، ثم صعد المنبر وقال : أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الأقيال أتاكم من أرض بعيدة راغباً في الإسلام فقال : يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال : صدقت ، اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ، ثم إنه نزل الكوفة في آخر عمر . وتوفي بها في خلافة معاوية رضي الله عنه وله بها عقب ووقع في الشقاء إنه ﷺ وصفه بالكندي ، فقيل إنه غلط والصواب الحضرمي . وقال ابن الجوزي الحضرمي أو الكندي : فلا مانع من كونه حضرمياً كندياً .
ثم كتب له ﷺ كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب ، في البيعة شاة لا مقورة الإلياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوف الخمس ، ومن زني مم بكرٍ فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً ومن زنى مم يثب فضرجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ، ووائل ابن حجر يترفل على الأقيال وتفسيره الأقيال هم الرؤساء دون الملوك . وقيل : الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقرّوا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الإبل إذا تركتها ترعى متى شاءت ، والإرواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذووا الهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤوس الحسان الوجوه ، فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادات فلا يردانه مساً ولمفهوم الإرواع .

وقوله : وفي التبعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة

أربعون من الغنم وفي القاموس التبعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان ، أي غير البقر وقوله : ولا مقوّرة بضم الميم وفتح القاف وشدّ الواو والإلياط بفتح الهمزة وسكون اللام بعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة ، أي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع لبط بكسر اللام وهو قشر العود ، فاستعير للجلد من لاطه يلوطه إذ ألصقه وقيل المقدرة المقطوعة والمعنى بها : الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله : ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله : وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أي أعطوا بلغة اليمن أو بني سعد وقرىء شاذاً إنا أنطيناك ، وروى في الدعاء لا مانع لما أنطيت والثجية بمثلثة ، فموحدة فجيم مفتوحات ، وقد تكسر الموحدة أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من دينه ، وفي السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين ، لأن الأصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً وهي ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل في الرسم تخفيفاً ، فلذلك اتصلت النون بالميم لفظاً وخطاً فأدغمت ، إذ لم يبق مانع من الإدغام بخلاف ما لو رسمت فإنها تكون فاصلة وقوله : فاصقعوه بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أي أضربوه وأصله الضرب على الرأس ، وقيل الضرب ببطن الكف .

ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال : صفعت فلانا أصفعه إذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب ، أي غربوه وأنفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة والجيم المضمومة من التضريح وهو التدمية أي أرجموه حتى يسيل دمه ويموت وقوله : بالأضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أي بالحجارة وقوله : ولا توصيم في الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم ، وهو العيب والعار أي لا عار في إقامة الحدود أي لا تحابوا فيها أحداً وهذا بمعنى قوله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ . وقوله : ولا غمة في فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أي لا تستر ولا تخفي بل تظهر ويجهر بها إقامة وإظهار الشعائر الدين ويروى ولا عمه في الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردّد فيه ، وقوله : يترفل بشد الفاء المفتوحة أي يتسوّد ويترأس إستعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه أي تطويله وإسباله للفخر والعظمة فاستعير ، أو هو كناية عن جعله رئيساً عليهم محكماً فيهم .

فهذه نبذة من مكاتباته ﷺ ومخاطباته يعلم منها إنه كان يكلم كل ذي لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته ﷺ ، ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقاً ، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه يسلب الأرواح ، ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ، ومنزلة لا يداني منتهاها . ولذا قال بعضهم : كلامه ﷺ معجز .

قال الزهري : قال رجل من بني سليم : يا رسول الله أيدا لك الرجل إمرأته قال : نعم إذا كان ملفجاً . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما قال لك وما قلت له ؟ فقال ﷺ : قال : أيماطل الرجل أهله قلت : نعم إذا كان مفلساً ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال : أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه ابن عساكر وغيره قال : في القاموس دالكة أي ماطلة والمفلج بضم الميم وإسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم إسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج إذا كان فقيراً وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله في الخروج عن القياس أحصن ، فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل إذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر في الجميع وقيل إن الكلام كناية عن مماطلة الرجل إمرأته في الإيلاج عند إرادة الوقاع أي أيداعب الرجل إمرأته قبل الجماع فقال ﷺ : نعم إذا كان ملفجاً أي مفلساً كناية عن كونه عاجزاً ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركاً لشهوته ، ولعجزه سمى مفلساً تشبيهاً بمن لا يملك مالاً لعجزه وقيل : معناه أيماطلها بمهرها إذا كان فقيراً فقد أجاب ﷺ السائل بجواب محتمل لتلك المعاني كما أن سؤاله كان كذلك ، فهذا من بلاغته ﷺ ومن جوامع كلمة التي اختص بها صلوات الله وسلامه عليه .

وفي حديث عطية السعدي رضي الله عنه قال : قدمت وافداً على رسول الله ﷺ مع قومي فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا ، وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة . وقال : الله مسؤول ومنطي .

وفي شرح الشهاب على الشفاء روى باسناد صحيح : أنه ﷺ بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقالوا : يا رسول الله ، هذه سحابة فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكنها . قال : وكيف ترون رحاها قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها قال : وكيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استقامتها

قال : وكيف ترون برقها أوميضاً أم خفقاً ؟ أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقـاً قال : وكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده . فقالﷺ : الحيا فقالوا : يا رسول الله ما رأينا أفصح منك . قال : وما يمنعني من ذلك وإنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أساسها ، وأخذتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطهـا ، ومعظمهـا حيث استدار القوم .

وقال الجوهري : مستدارها وبواسقها ما علا منها وإرتفع وكل شيء علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال : أومض إيماضاً وأومض بعينه غمز والخفـق بزنـة الضرب البرق الضعيف . قال الجوهري خفق إذا لمع لمعاً ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم فإن لمع قليلاً ثم سكن فهوالوميض والذي يشق شقاً هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها وهو من الأضداد لأنه يكون بمعنى الأربض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء ، وبعد أن بث ﷺ كتبه في الآفاق أمر أمراء في كل تطر دخل في طاعته وانقاد لشريعته . فمن امرأئه ﷺ باذان بن ساسان كان نائباً لكسرى على اليمن ، فلما هلك كسرى بإخبار النبـي ﷺ كما تقدم ، أسلم باذان لظهور صدق النبيﷺ له في إخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات ، وأرسل للنبيﷺ بإسلامه وإسلام من معه فأمّرهﷺ على اليمن وفاء بقولهﷺ لرسولي باذان . حين أراد الرجوع إليه قولا له : إن أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير في الإسلام على اليمـ وأوّل من أسلم من ملوك العجم ، ثم مات واستعمل النبي ﷺ ابنه شهر بن باذان وقيل : إن باذان خرج للوفود على النبيﷺ فلحقه العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل : ان الذي قتله الأسود إنما هو ابنه شهر لاهو وإن العنسي تزوّج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة ، فأعانت فيروز الديلمي على قتل الأسود فإنها مكنته من الدخول عليه ليلاً فقتله وأمرﷺ على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن ، وولى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها ، وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن .

قال بعضهم إنه لما توفي النبيﷺ كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ، ثم أن أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أوّل أمير عقد رايته يزيد بن أبي سفيان ، ثم ولى الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة

رضي الله عنه ، وقيل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنـه بالشـام ، وهـو أكبـر من معاوية . قال بعضهم : إن يزيد ابن أبي سفيان أفضل آل أبي سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وولى ﷺ عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن ، وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عمان إلى غير ذلك مما بسطه أهل السير ، وفي هذا القدر كفاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بَابٌ فِي ذِكرِ شيءٍ مِن مُعْجزاتِهِ ﷺ

اعلم ان معجزاته ﷺ كثيرة لا يمكن حصرها ، ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شيء مما تقدم في اول بعثته أو مما إندرج في غزاوته وسراياه ، فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لأن بتكراره تزداد الفائدة :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي أي بطلب المعارضة ، كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الأصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، لأنها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة ، وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة ، أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الأمر الخارق للعادة إلى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام ، فلا حاجة الى الإطالة به .
ثم إن دلائل رسالة نبينا ﷺ كثيرة والأخبار عن شأنه شهيرة .

فمن ذلك ما وجد في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدي مولده ومبعثه من الأمور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما أحل الله بأصحابه . فإن تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوّهة بذكرهم مشيرة إلى أنه سيصير لهم نبأ عظيم ، وذلك بظهور هذا النبي الكريم ﷺ ، وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها إلى ما حولها من البلاد والمدن ، فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها شيء من الماء .

ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده ﷺ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى : أي شيء يكون هذا ؟ قال : حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير رافع لها من أمكنتها إلى غير ذلك مما روي ونقل في الأخبار المشهورة من ظهور العجائب ، في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبياً ، ومن تأمل في جميع مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته ، وقد اكتفى كثير ممن عاصره ﷺ بتلك الأشياء فآمن وإنقاد له ﷺ وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبي فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه ، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوباً في التوراة إسمه وصفته ، وإني أؤمن به وأصدقه .

وعن أبي رمنة التميمي رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فلما رأيته قلت : هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه ﷺ . وروى مسلم أن ضماد ابن ثعلبة الأزدي كان صديقاً للنبي ﷺ قبل البعثة ، وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافداً إلى مكة تقدم مرة في أوّل مبعثه ﷺ ، وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون ، وكان ضماد عاقلاً يطب ويرقى في الجاهلية ، فلما سمعهم يقولون : إن محمداً مجنون جاءه وقال : إني راق فهل بك من شيء فأرقيك ؟ فأجابه ﷺ بقوله : إن الحمد الله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال له ضماد : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغت قاموس البحر أي وسطه أو لجته ثم قال : هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم ، وانقاد من غير تردّد وإكتفي بهذه الكلمات الدالة على صدقه ﷺ ، البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتها مع ما شهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾ هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ يقول : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يقرأ قرآناً أي وإن لم يظهر معجزة

كما قال ابن رواحة رضي الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينة لكان منظـره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معهﷺ ما يستميل به القلوب من مال ، فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذي أظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام ، مقيمين على عادة الجاهلة في العصبية والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات ، لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر في عاقبة ، ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم ، فألفﷺ بين قلوبهم وجمع كلمتهم اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وتتابعت الأيدي في التعاون والتناصر على إظهار الحق ، فصاروا جمعاً واحداً في نصرته ناظرين إلى طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما يريد ، وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته ، وبذلوا أرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ، ووطنوا أنفسهم على إصابة ذلك لوجوههم وصدورهم ، لأجل إعزاز كلمته وإعلاء دينه وإظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض في العاجل اطعمهم في نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو أشرف في الدنيا يحوزونه .

بل كان من شأنهﷺ أن يجعل الغني فقيراً لأنه كان يحمل الأغنياء على صرف أموالهم في الجهاد ونحو من أنواع القرب ، ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر ، والإعراض عن الأسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الأمور او يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله بالإختيار العقلي والتدبير الفكري ، لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الأمور ، ما يشك عاقل في شيء من ذلك وإنما هو أمر إلهي ، وشيء غالب سماوي ، ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوي البشر ، ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، ثم إن معجزاتهﷺ أكثرها متواتر ، رواها جمع عن جمع وكانت تظهر في مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات ، وفي محافل المسلمين ومجتمع العساكر والجند ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا إنكار على من روى ذلك ، مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق ، لأنهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة في الكذب ، كلهم عدول

لا يخافون في الله لومة لائم ، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير ، وبعض ألفاظ في القرآن . ثم نقلت إلى من بعدهم قرناً بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة ، وجماعة عن جماعة .

قال القاضي عياض في الشفاء فمن إعتنى بطرق النقل لم يشك في صحة هذه القصص المشهورة أي من المعجزات وخوارق العادات كالأخبار بالمغيبات ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ، ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد ، وأنها مدينة عظيمة وأنها دار الإمامة والخلافة ، وآحاد من الناس لا يعلمون إسمها فضلاً عن وصفها أي فجهل الجاهل بذلك لا ينفي التواتر ، فكذا ما نحن فيه ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان أمياً لا يخط كتاباً بيده ولا يقرؤه ولد في قوم أميين ونشأ بينهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصداً إلى عالم يعكف عليه ليتعلم منه ، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية ، وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن موضعها ولم يبق من المتمسكين بها ، وأهل المعرفة بصحيحها إلا القليل ولقلتهم لم يجتمع ﷺ بأحد منهم ، حتى يظن انه اخذ عنهم . ثم إنه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين ، وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شيء على أنه أمر جاءه من عند الله تعالى لاصنع لأحد فيه . ومن أعظم دلائل نبوته ﷺ القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الإعجاز ودعاهم الى معارضته والإتيان بسورة من مثله ، فعجزوا عن الإتيان بشيء منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمة الأبرص ، لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم ، فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند إحياء الموتى ، لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في إبراء الأكمة والأبرص .

وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة ، وإنشاء الكلام البليغ ارتجالاً في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة ، فيأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون بديهة في المقامات وفي كل موضع شديد الخطب ، ويرتجزون بين

الطعن والضرب ، ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ، ويرفعون من مدحوه بمدحهم ، ويضعون من ذموه بقدحهم ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون الأعناق بأحسن من عقد اللآل ، فيخدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ، ويذهبون الأحسن ، ويهجون الدمن ، ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملاً ، ويتركون النبيه خاملاً ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل ، والقول النصل ، والكلام الفخم ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة ، والألفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف في القول ، القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوي والحضري لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة ، لا يرتابون إن الكلام طوع مرادهم .

والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، وإستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتنادرت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه .

جاءهم وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً ، وأشهر في الخطابة رجالاً ، وأكثر في السجع والشعر ارتجالاً ، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صار خلبهم في كل حين ومقرعاً لهم من الأعوام بضعاً وعشرين ، على رؤوس الملا أجمعين فأتوا بسورة مثله وإدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذاك إلا ليصير علماً على رسالته وصحة نبوته ، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح ، وهو باق دون غيره . من المعجزات ، ومنه تستنبط الأحكام الشرعية ، والعلوم العقلية ، ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الأنبياء ، انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وقد قطع ﷺ بأنهم لا يقدرون على معارضته القرآن حيث تحداهم به وقال لهم :

كما أمره الله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ . فلولا علمه ﷺ بأن ذلك من عند الله علام الغيوب ، وأنهم لا يقدرون لما قال لهم : ولن تفعلوا لأنه . كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الإطلاق ، فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بشيء من مثله وهذا من أحسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأبينه ، فانه أدى عليهم بالعجز عن معارضته ونفي قدرتهم في المستقبل حيث قال : ولن تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار صارخاً بعجزهم على رؤوس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به ، مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد ، وهم في كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء ، يقولون إن هذا إلا سحر يؤثر ، وسحر مستمر ، وإنك افتراه ، وأساطير الأولين ورضوا بالدنية كقولهم : ﴿ قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ﴾ أي صمم : ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ ولو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ .

وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم ، فلوا استطاعوا مما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعاً وعشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصاً في الفصاحة وقال تعالى اظهاراً لعجزهم ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ اي معينا فهذا نزل ردا لقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيماً لاعجاز القرآن والا فالتحدي انما وقع للانس دون الجن لأنهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، وإذا فرض اجتماع الثقلين وأعانة بعضهم بعضاً ومع ذلك عجزوا عن المعارضة ، كان الفريق الواحد اعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزاً عن الاتيان بمثله وعناداً فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من اهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر احد على معارضته وانه ليس من كلام البشر ، فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبي ﷺ فقال : يا ابن اخي ، ان كنت تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا ، او

تطلب الشرف فنحن نسودك علينا ، وان كان الذي يأتيك رئياً بذلنا اموالنا في طلب الطلب لك . فلما فرغ قال ﷺ : اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ حتى انتهى ﷺ الى قوله تعالى ﴿ فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فوضع عتبة يده على فم النبي ﷺ وقال له : لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش : ما وراءك ؟ فقال : والله لقد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة سلام حمزة رضي الله عنه عند ذكر ما وقع له ﷺ من الأذية .

وروى من حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم : انه حين بلغه بعثة النبي ﷺ بمكة بعث أخاه انيساً ينظر له في أمر النبي ﷺ وكان ابو ذر بصف اخاه بقوله : والله ما سمعت بأشعر من اخي أنيس قد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية اي عارضهم في قصائدهم اي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال : فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر بخير النبي ﷺ فقال : رأيت رجلاً بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر ، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بتولهم ، ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد وانه لصادق وانهم لكاذبون .

وروى البيهقي في قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش في الفصاحة انه قال للنبي ﷺ : اقرأ علي شيئاً لأنظر فيه فقرأ عليه ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فقال الوليد : اعد علي قراءتك فأعاد ﷺ الآية فقال : والله ، ان له الحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر وان ، أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر ، ثم قال لقومه ، والله ما فيكم رجل اعلم بالأشعار مني ، ولا بأقوال الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من ذلك ، والله ، ان لقوله الذي يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه ، مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته . وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به ﷺ ان الوليد بن المغيرة هذا قال في حق النبي ﷺ : ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطاً .

وروى ابو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من

الأنصار قال : لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ : اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل ؟ وكان معاذا أسلم قبل ابيه ، فقرأ عليه : الحمدلله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم ، فقال عمرو لابنه : ما احسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا ، قال يا أبت وأحسن من هذا .

قال في المواهب نقلاً عن بعضهم : انّ هذا القرآن لو وجده مكتوباً في مصحف في فلاة من اررض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت لعقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى ، وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك ، فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرّهم وأتقاهم ؟ وقد قال : انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يفقى مع هذا شك .

ذكر وجوه اعجاز القرآن .

اعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أي قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة لعادة العرب ، حتى كان في الحد الأعلى مثل قوله ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ فجمع في كلمتين عدد حر فهما عشرة احرف معاني كثيرة ، وحكى ابو عبيد ان أعرابياً . سمع رجلاً يقرأ ﴿ فأصدع بما تؤمر ﴾ فسجد وقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام اي انما كان سجوده لأنه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب . وسمع أعرابي آخر رجلاً يقرأ ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً ﴾ فقال : اشهد ان مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام اي لاعجاز بلاغته ، وخروجها عن طوق البشر .

وحكى الأصمعي : انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أو ستاً وهي تقول : استغفر الله من ذنوبي كلها . قال الأصمعي : فقلت لها مم تستغفرين وانت صغيرة لم يجر عليك قلم اي لم تبلغي الحلم ؟ فقالت :

استغفر الله لذنبي كله قتلت إنسانا لغير حله
مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك . فقالت : او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى

﴿ وأوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، فالأمر ان ارضعيه وألقيه ، والنهيان ولا تخافي ولا تحزني ، والخبران وأوحينا وفاذا خفت ، وقيل الخبر ان والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فهو خبر من جهة وبشارة من جهة .

وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد فإذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق ، فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم ، وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون قال : فتأصلتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ فكان ذلك سبباً لاسلامه ، وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفاً من البلاغة وحظاً من البيان أن يضعوا شيئاً يلبسون به على الناس ، يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ، ورأوه ، مكان النجم من يد المتناول ، ومنهم من أراد ان يصنع كلاماً قليلاً يحاكى به نحو سورة الكوثر ، ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عفولهم عن تمييز الحسن من القبيح ، فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله ، وظهر لأهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم ، فولوا عنه مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله : يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين، ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى ﴿ والنازعات غرقاً ﴾ قال : والزارعات زرعاً والحاصدات حصدا والذاريات قمحا ، والطاحنات طحناً والحافرات حفراً ، والناردات نرداً ، واللاقمات لقماً ، لقد فضلتم على اهل الوبر ، وما سبقكم اهل المدرالي غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله ، بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التي ألقوها فيكون حجة على خزية . ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تركيف فعل ربك بالحبلى ، خرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين شراسيف وأحشا . وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وثيل ، اي ممتد ومشفر طويل ، وان ذلك من خلق ربنا لقليل . ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا يخفى على من لا يعلم ، فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يمحه ويعلم ضرورة هجانته

ولكنته .

ومن وجوه اعجازه

الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع ، فلا يشبه نظماً ولا نثراً ولا خطبة ولارسالة ولا سجعاً . مع انه يشاركها في انه مؤلف من كلماتهم ، ونزل على أساليب كلامهم في البلاغة ، وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكبهم ، وغرائب اساليبهم وبدائع انشاءاتهم ، وروائع اشارتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ، ووقفت عليه تقاطيع اياته وانتهت اليه فواصل كلماته ، لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ، ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم ، فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه ، وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ، ودليله القاهر وبرهانه الباهر ، ما رام معارضته شقي الا تهانت تهافت الفراش في الشهاب ، وذل ذلّ الغنم بين الليوث الغضاب .

وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيى بن حكيم الأندلسي ، وكان بليغ الأندلس في زمانه قيل : انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين انه رام شيئاً من المعارضة للقرآن ، فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثلها ، وينسج على منوالها ، فاعتز به خشية ورقة في قلبه حملته على التوبة عما كان رامه ، وعلم انه أمر لا يقدر عليه البشر .

ويحكى ان المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان افصح اهل وقته ، وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها ، فنظم كلاماً وجعله مفصلاً وسماه شوراً فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ فقال : اشهد ان هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض ابداً . ثم رجع ومحاما عمله وأبطله . وعلم انه لا مناسبة بينه وبين كلام الله في شيء ، وبالتأمّل في القرآن

المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمّل في مثل قوله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويا أرض ابلعي ماءك ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من اغرقنا ﴾ وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك ان تحت كل لفظة جملاً كثيرة وفصولاً جمة ، ووجدت فيها علوماً زواخر مع ايجاز الألفاظ وكثرة المعاني ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد ، والتحليل والتحريم والعظة والتقويم ، والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها .

كل شيء في موضعه بحيث لا ترى محلاً اولى من محل ، واذا تأمّلت ايضاً القرآن وجدته مودعاً فيه مثلات أخبار القرون الماضية ، منبئاً بالحوادث المستقبلة ، جامعاً للحجج والمحتج له ، واستيفاء هذه الأمور منتسقة احسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل ، فادعاء أنه من عند النبيﷺ وانه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة انه جاء على لسانه من عنده الله فانه عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة، كما ان كونه خارقاً للعادة معلوم بالضرورة . كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته ، مع اعترافهم باعجاز بلاغته . ثم هواية معجزة في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئام مرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب ، وأبدع تهذيب مرتبطاً أوّلها بآخرها ، لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ، ثم ان قصصه اذا كرّرت فيه وذكرت مرة بعد اخرى اختلفت فيها العبارات ، وذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر ، وحكيت بعبارات مختلفة النظم والألفاظ ، وان كان المعنى واحداً حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى في البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ، ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها .

قال في الشفار من تفنن في علوم البلاغة وأرهب خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته ، فهو كاحياء الموتى وقلب

العصا حية وتسبيح الحصى ، بل اعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال ، بل صبروا على الجلاء والقتل ، وتجرعوا كاسات الصّغار والذل ، وكانوا شمخ الأنوف اباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختياراً ولا يؤثرونه الا اضطراراً ، فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها اهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر ، وافحام الخصم لديهم وهم اهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الأنام وما منهم احد الا جهد جهده واستفرغ ما في وسعه في اخفاء ظهوره واطفاء نوره ، فما اظهروا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم ، مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا .

ومن وجوه اعجازه

ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان في وقت نزوله ، ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما اخبر على الوجه الذي به اخبر كقوله تعالى ﴿ لتدخلّن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴾ أخبرﷺ أصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية ، فظنوا انه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول ، شق عليهم ذلك ، فانزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بانه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر ، فلما وقع ذلك قال لهم ﷺ : ذلك الذي قلت لكم وكقوله تعالى ﴿ لغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ فأخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ، فكان كما اخبر الله وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين ، فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلاً بغلبتهم للمسلمين ، فبعث كسرى جيشاً الى الروم فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ، ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله ﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ وأخبر أبو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال : ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبيناﷺ بذلك ، فقال له امية بن خلف ، وقيل أبي بن خلف : كذبت ، فقال له أبو بكر : بل أنت كذبت يا عدو الله ، فقال اجعل بيني وبينك اجلاً على عشر قلائص يأخذها الصادق منها ، فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، وجعلوا الموعد

بينهما ثلاث سنين ، واخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك : فقال له : مدّ الاجل وزد في الرهان ، فانّ الله قال في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل ، فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك اي غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه من ورثة امية او أبي لأن امية قتل يوم بدر ، وأبي قتله النبي ﷺ بيده يوم أحد ، فتمام الأجل . انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما اخذت من ورثتهما فقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : تصدق بها وإنما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكراً لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم .

ومن الأخبار بالغيب الواقع في القرآن قوله تعالى ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ فهذا وعد من الله بأن دين رسوله ﷺ سيظهر يغلب سائر الأديان ، وتقهر امته ﷺ جميع الأمم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ اي ليجعلنهم خلفاء في ارضه مالكين لها منصورين على أعدائهم ، والآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم ، فكانت الغلبة لهم على اهل الردّة في خلافة الصديق رضي لله عنه ، وعلى الروم وفارس في خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم في البلاد وأبدلهم بعد خوفهم امناً كما اخبر سبحانه وتعالى ، ومكن دينهم في مشارق الأرض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيهـا ، كما قال ﷺ : زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها . وكقوله تعالى ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله ﷺ ، ولما نزلت وتلاها رسول الله ﷺ عليهم ، بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال : ما يبكيك يا عم ؟ قال : نعبث اليك نفسك : فقال : انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً اي جماعات كثيرة بعد جماعـات كثـيرة ، لما اعـزّ الله الـدين ونشر أعلامـه في الخافقين ، فما توفي رسول الله ﷺ وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم اسلموا . ثم انتقل ﷺ الى الدار الآخرة فكان الأمر كما اخبر الله . وكقوله تعالى ﴿ انا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى بانه تولى حفظ القرآن من التبـديل

والتغيير في سائر الأزمان بذليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات ، فكان في المستقبل كما اخبر فلا مبدّل لكلماته بخلاف سائر الكتب ، فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ اي طلب حفظه منهم ، فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها ، فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن ، وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شيء من التبديل في القرآن بعد ان أجمعوا كيدهم وحولهم قوتهم ، في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ، ولا تغيير كلمة من كلامه ، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه ، فكان الحفظ حاصلاً بالله كما اخبرالله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه ، وخيبة سعي من سعي في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه .

ومما اخبر الله به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية ، فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبسﷺ درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ، قال عمر رضي الله عنه : فعلمت المراد منها حينئذ ، اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب ، فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها اعجاز لفظاً ومعنى وكقوله تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ ففيها اخبار بالغيب ، وذلك ان ناساً من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد ان هاجر النبيﷺ وكثير من أصحابه ، فلقوا من المشركين اذى شديداً فارسلوا وشكوا الى رسول اللهﷺ فقال : اصبروا وأبشروا بفرج قريب . وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الأمر بالجهاد ومنها هذه الآية ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾الى آخرها، فكان بعدها ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم ، حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم ، وكقوله تعالى ﴿ لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم لا يقدرون عليكم الا بأذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وانهم ان ياقتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم ، فكان الأمر كذلك .

ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ، ما فيه من كشف اسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم ، مما لا يعلم علمه الا الله ، وكشف اسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه

فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم ، وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله ﷺ على مقالتهم انها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى ﴿ والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبياً لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم ، وزاد ذلك بقوله ﴿ حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ﴾ وقال تعالى ﴿ يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك ﴾ يعني انهم يسرون في ضمائرهم غيرما يظهرونه لك اذا اتوك ، وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم وللذي اخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم أحد ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ﴾ فأعلم الله رسوله ﷺ بذلك فاخبرهم بما قالوه ، فهو من جملة الاخبار بالمغيبات ، وكقوله تعالى ﴿ سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ وكقوله تعالى ﴿ من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ﴾ اي بالتكذيب والسخرية فاخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم ، وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به ﷺ ، ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة التماس نظره ورعايته مكراً منهم ولياً بألسنتهم ، وهو من الأخبار بالغيب فضيحة لهم .

ومن الأخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه ، وهو مغيب عن النبي ﷺ فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية ، وذلك ان الله وعد نبيه ﷺ بأحد الأمرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش ، أو قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال ، فقدر الله انهم يلقون العدوّ وبقطع دابر الكافرين ، فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين .

ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وهم خمسة أو سبعة من الكفار كانوا يؤذونه ﷺ اشد الأذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه ، فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه ﷺ بشر اصحابه بهلاكهم ، وقد تقدم الكلام

عليهم في مباحث البعثة .

ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءاً . وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونه ﷺ في اسفاره ، فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة ، وما أصابه يوم احد لا ينافي هذا ، لأن الآية نزلت بعدها او المراد من هذه الآية حفظه من القتل ، فكان محفوظاً مع كثرة من رام ضره وقصد قتله ، والاخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ كبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه ، فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي ليستظلوا بالشجر ، فأتاه رجل وهو ﷺ نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده ، فقال له : من يمنعك مني ؟ قال : الله . ثم قال ذلك ثانياً فقال : الله ، فسقط السيف من يده ووقعت له روعة ، فاخذ السيف ﷺ وقال : من يمنعك مني ؟ فقال : كن خير آخذ فعفا عنه ﷺ : فقال ﷺ للصحابة : ها هو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال : والله لا أكون في قوم هم حرب لك . وامثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك .

ومن وجوه اعجازه القرآنية

ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من اخبار اهل الكتاب ، الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيه ﷺ على اتم حال يليق به وينبغي له ، وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته ، فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدق معه أنه لم ينله بتعليم ، ومع انه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب ، ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به ، ولا جهل حاله احد منهم من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب ، وقد كان اهل الكتاب من احبار اليهود والنصارى كثيراً ما يسألونه ﷺ عن اخبار الأمم السالفة ، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً ، كقصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم ، فيذكرها لهم ﷺ مفصلة بأبلغ عبارة وألطف . اشارة كخبر موسى والخضر ، وخبر يوسف وإخوته ، وكقصة اصحاب الكهف وذي القرنين ، ولقمان وابنه واشباه ذلك من الأنباء والقصص المذكورة في القرآن ، عمن مضى من الأمم السالفة ، وكبيان ابتداء الخلق وما

جرى في ذلك وخلقه للسموات والأرض وآدم وحواء وما في التوراة والأنجيل من الأحكام والشرائع والتوحيد ، وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى ، مما صدقه فيه العلماء بها من اهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها ، بل اذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الأزلية ، ومنهم من خذله الله فكفر عناداً وحسداً .

ومع هذا العناد والحسد الذي اظهروه لم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شيء من ذلك مع شدة عداوتهم له ﷺ ، وحرصهم على تكذيبه في شي من كلامه ، ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم ، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ، وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه في طلب أخبار أنبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم ، فكان يعلمهم بمكنون وشرائعهم وما تضمنته كتبهم ، مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سألوه وعن حكم الرجم للزاني المحصن ، وكانوا قد انكروه في شريعته فبينه ﷺ لهم واخبرهم بانه مذكور في التوراة ، وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه ،واسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، وكان اليهود سألوا النبي ﷺ امتحاناً له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم : لحوم الابل وألبانها فصدقوه ، وذلك ان يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليماً من الأمراض والآفات ان يذبح آخر اولاده ، فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكاً وكز فخذه فمرض بعرق النسا ، حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده ، لانه اشترط في النذر الدخول الى بيت المقدس سليماً من الأمراض والآفات ، فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مر لأنه يضر عرق النسا ، وكان ذلك باجتهاد منه والأنبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح .

وسألوه ﷺ ايضاً عما حرم على بني اسرائيل من الطيبات والأنعام التي كانت احلت لهم ، فحرمها الله عليهم ببغيهم اي عقوبة لهم بسبب ظلمهم ، وانزل الله في ذلك ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما او الحوايا ، او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون ﴾ فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والأوز والبط ، وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب ، وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة

الانعام وقوله : ببغيهم اي بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبيﷺ : لم يحرّم الله علينا شيئاً فان حرم علينا شيئاً فبينه ، فأنزل الله هذه الآية الصريحة في تكذيبهم فافتضحوا وجاء ان اليهود قالوا لهﷺ : تزعم أنك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم في شرعه ، فأنزل الله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ﴾ فكبتوا لما لم يجدوا فيها ما ادعوه .

ومن الاخبار بما في الكتب السابقة قوله تعالى في وصف اصحاب نبيناﷺ ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ﴾ الآية ، والاشارة لقوله تعالى ﴿ سيماهم في وجوههم من اثر السجود ﴾ ولم يذكر عن احد منهم انه كذبه في شيء من ذلك ، بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته، وبأنهم انما حجدوا نبوته حسدا وعناداً كأهل نجران وعبد الله ابن صوريا وحيي بن اخطب وغيرهم من اخبار اليهود والنصارى ، حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهاتهم امتعنوا وخافوا من نزول العذاب عليهم ، واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهراً بغياً وعناداً وصالحوه وانصرفوا كما سيأتي وعن صفية ام المؤمنين رضي الله عنها وكانت بنت حيي بن أخطب قالت : كان عمي أبو ياسر احسن رأيا من ابي كان يقول لأبي : أليس هو الذي تجده في كتبنا فيقول : نعم هوهو ، فيقول له : فما في نفسك منه ؟ فيقول : معاداته وقد فضح الله اهل الكتاب الذين حسدوهﷺ وأظهر كثيراً مما اخفوه . قال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ اي لحمله وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى .

ومن وجوه اعجازه .

ما ذكره تعالى من عجز قوم في قضايا واعلامهم بانه لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا ﴿ ان يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى ﴾ فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال خطاباً لنبيهﷺ ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ﴾ اي ان كنتم صادقين انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم، فتمنوا الموت لأن من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ، ومن أحبّ لقاءَ الله أحب الله

لقاءه ، قال الله تعالى ﴿ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت ايديهم ﴾ فنفي عنهم تمنى الموت في جميع الأزمنة المستقبلة بقول : لن وأبداً وما قدمت ايديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ،ففي هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب ، وهو انتفاء تمنيهم الموت في المستقبل فكان كما اخبر إذا لم يتمنوه ولو تمناه احد منهم لمات لم يقع التمني من احد منهم مع توفر الدواعي على نقله لو وقع ، والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية ، الا ان النطق بقولهم تمنيناً ممكن .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ، والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غصّ بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ، ليظهر صدق رسوله ﷺ وصحة ما اوحي اليه ، ولم يتمنه احد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه احرص ، لو قدروا على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد ، فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته .

وفي الشفاء : من اعجب امر اليهود انه لا يوجد منهم احد يقدم على تمني الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ، ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ﴿ ولتجد نهم احرص الناس على حياة ﴾ وهذا المذكور من امتناعهم من التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنهم به ، ومثل ما تقدم في الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم .

ومن وجوه اعجازه

الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار ، قال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ﴾ وهذا لما فيه من الروعة التي تهدّ الجبال فما بالك بالرجال ؟ وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ، ويزيدهم سماعه نفوراً عن الحق والإصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له الخبث طبائعهم : قال تعالى ﴿ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا

على أدبارهم نفوراً ، وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ولهذا قال ﷺ القرآن : صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل ، والبر والفاجر ، وأما المؤمن فلا تزال روعته به أي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه إجلالاً وهيبة توليه عند تلاوته انجذاباً ، فيميل قلبه وسمعه لحبه استماعه ويزداد هشاشة ونشاطاً لميل قلبه اليه وتصديقه به ، قال تعالى ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ اي يعرض لجلد ذي الخشية عند القرآن قشعريرة من الخفو من هيبته ، فاذا تأمله وتدبره لأن قلبه وجلده لأنسه وسروره به ، ولذا ترى الصالحين أذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ، ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضي الله عنهم ، لان مقامهم مقام تمكين ، ومما يدل على انه ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شيء خص به القرآن دون غيره من الكلام ، انه امر يعتري من لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفاسيره وماذاك الا لسرفيه ، وامر رباني ولذلك يتاب قارئه وسامعة ، وان لم يفهمه بخلاف غيره.

وفي الشفاء للقاضي عياض : ان نصرانياً مرَّ بقارىء يتلو القرآن جهراً ، فوقف ليسمع قراءته وهو يبكي فقيل له : مم بكيت ؟ فقال : للشجا والنظم ، والمراد بالشجا الطرب ، وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه ، فأثر ذلك في نفسه وهو لايفهم حتى ابكاه . وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن ، فمنهم من اسلم لهذه الروعة لأول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر .

روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عن قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه ، حين جاء الى المدينة ليكلم النبي ﷺ في أسارى بدر قال : فلما بلغ هذه الآية ﴿ ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ﴾ كاد قلبي ان يطير اي حدث عنده فزع وخوف شديد ، حتى ظن ان قلبه يفنى ويطير زاد في رواية : وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي اي لانه لماسمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع ، لعرف الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله ، فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه ، وفي رواية : فصدع قلبي .

وفي رواية : انه لما سمع قوله تعالى ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ تحير واندهش ، فلما سمع ﴿ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ جلس وخاف ان العذاب ينزل به ، فلما سمع ﴿ يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً فويل يومئذ للمكذبين ﴾ اخذه خوف شديد ، فلما وصل الى قوله ﴿ ام هم المسيطرون ﴾ قال : كاد قلبي يطير الى آخر الحديث . ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه ، وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه .

ومن وجوه اعجازه :

ان قارنه لا يمله ولو اعاده مراراً مع ان القلوب جبلت على معادات المعادات ، وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه ، بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسناً وبهجة وقبولاً ، ولا يزال غضاً طرياً لا تتغير بهجته ونضارته ، فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ، ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يملّ مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات ، وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى احدث لها اصحابها لحوناً وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ، والمراد ان غير القرآن يخترع له اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ، ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه ﷺ بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال : انها ستكون فتنة قيل : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ﴿ قالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنابه ﴾ من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

ومن وجوه اعجازه جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد ﷺ قبل نزول الوحي عليه ، بل ولا يحيط احد من علماء الأمم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على فرق الأمم

ببراهين قوية بينة سهلة الألفاظ رام المتحذلقون ان ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى ﴿ لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ﴾ وكقوله تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم ﴾ وكقوله تعالى ﴿ قل يحييها الذي انشأها اول مرة ﴾ وكقوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا ﴾ وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى ﴿ والقمر قدرنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ﴾ ومن دقائق علم الطب ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ من دقائق علم الهندسة ﴿ انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب ﴾ ففيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة ، وفيه جمل من علوم السير والاخلافق الحميدة وتزكية النفس ، وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم ، واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم ، والأمثال والأشياء التي دلت على البعث وآياته ، والاخبار بماكان ومايكون ، وما فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الأرحام الى غير ذلك ، قال تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ وأخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبي ﷺ : اني منزل عليك توراة اي كتاباً يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه ، تفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وفيها ينابيع الغلم وفهم الحكمة وربيع القلوب ، وعن كعب الأحبار عليكم بالقرآن ، فانه فهم العقول ونور الحكمة . وقال الله تعالى ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ وقال ﴿ هذا بيان للناس وهدى ﴾ فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجومع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظه على الضعف منه مرات .

ومن وجوه اعجازه

ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز ويحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهذا دليل ، وفي اثناء هذه البلاغة امره ونيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارىء يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة .

ومن وجوه اعجازه

تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه . قال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول أعمارهم وامتداد ازمنتهم . قال سعيد بن جبير : ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرأونها الا نظرا في صحفها غير موسى وهرون يوشع بن نون وعزيز . وقد من الله تعالى على هذه الأمة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ، ويسر حفظه للغلمان في اقرب مدة .

ومن وجوه اعجازه

مشاكلة بعض اجزائه بعضاً وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى ، والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه ، وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد ، واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع ، وترغيب وترهيب الى دير ذلك من فوائده ، كضرب الأمثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه ، فتأمل اول صّ وما جمع فيها من اخبار الكفار ، وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم ، وما ذكر فيها من تكذيبهم بمحمدﷺ وتعجبهم ما أتى به والخبر عن انطلاق الملأ منهم واجتماعهم على الكفر ،وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجزيهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيب الأمم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم ، وتصبير النبيﷺ على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ، ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الأنبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا في اوجز كلام واحسن نظام على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل فصاحته .

ومن وجوه اعجازه

ان الله وسع على الأمة بقراءته على اوجه متنوعة وطرق متعددة وهي طرق القراءات المشهورة ، ومع ذلك لا يختل شيء من بلاغته وجميع انواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه ، وهذا لا يمكن مثله في كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد في انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شيء من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على اوجه متنوعة ، بخلاف القرآن العزيز قال تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت

الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فلم يقدر احد ان يأتي بمثل القرآن في زمن رسول الله ﷺ ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه احد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها ، فعجز غيرهم اولى وهم قد عرفوا ، انه ﷺ من قبل نبوته بأربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيئاً ، ولم ينشد شعراً لغيره فضلاً عن انشائه ، ولا يحفظ خبراً ولا يروي اثرا حتى أكرمه الله بالوحي المنزل ، والكتاب المفصل ، فدعاهم اليه وحاجهم به ، قال تعالى ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ وشهد له سبحانه وتعالى في كتابه بذلك ، قال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ﴾ ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضي ولا تتناهى ، واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصي عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا اكثر ، لانه ﷺ قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور: انا اعطيناك الكوثر ، فكل آية او آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسهامعجزات كما تقدم .

وجاء في حديث قدسي : من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين ، اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ، ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به ، العاملين بما فيه ، التالين له حق تلاوته إنك على كل شيء قدير والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

انشقاق القمر ، اعلم ان معجزاته ﷺ ترجع الى ثلاثة أقسام ما من وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله ، فأما القسم الماضي وهو ما كان قبل وجوده فكثير ، كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به ، وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته ، وهذا القسم سماه بعضهم إرهاصاً وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة ، وأماالقسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته ﷺ فكثير جداً اذ في كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات تسببه مالا يحصى ، فكرامات الأولياء من تتمات معجزات ﷺ ورحم الله الأبوصيري حيث يقول :

والكرامات منهم معجزات حازها من توالك الأولياء

وأما القسم الثالث : وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته ، فما وجد قبل البعثة يسمى أيضاً ارهاصاً وذلك كالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رات أمه قصور بصرى .

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما : انّ آمنة قالت لما فضل مني تعني النبيﷺ : خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه إنما كان قبل البعثة ، وكذا كل ما كان قبل بعثته ، وما وجد بعد البعثة فكثير جداً ، فمنه انشقاق القمر ، وقد نطق القرآن به قال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وروى أحاديثه أهل السنن كالبخاري ومسلم والامام أحمد والبيهقي وبقية اهل السنن رووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم : علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر . قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكي: ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبيناﷺ : وهو من أمهات معجزاتهﷺ: قال في المواهب : وقد أجمع اهل السنة والمفسرون على وقوعه لأجلهﷺ قال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها شيء من آيات الأنبياء ، ولذا اختصر بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول اللهﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول اللهﷺ اشهدوا ، وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : أن أهل مكة سألوا رسول اللهﷺ ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين ، وكان أنس بالمدينة صغيراً ، فروايته كانت عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا رواية ابن عباس رضي الله عنهما لأنه اذا ذاك لم يولد .

وفي رواية للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال قد كان ذلك على عهد رسول اللهﷺ انشق فلقتين : فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل اي فوقه كما في الحديث قبله ، فقالﷺ : اشهدوا وفي رواية للامام أحمد

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا اي الكفار سحرنا محمد ، فقال رجل منهم اي وهو أبو جهل : ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس .

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه : فقال كفار قريش : سحركم ابن ابي كبشة ، فقال رجل منهم : ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره ان يسحر الأرض كلها ، فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فخبروهم انهم رأوا . مثل ذلك وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة ، ثم قالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمداً لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك ، رواه ابو داود والطيالسي .

وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فسلوا الكفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم ، وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا الكفار ، وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأينا فقال الكفار : هذا سحر مستمر .

وفي رواية لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ منهم الوليد ابن المغيرة وابو جهل والعاص ابن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحرث ونظراؤهم ، فقالوا للنبي ﷺ : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فانشق .

وفي رواية فقال لهم : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا . ورواه البخاري مختصراً عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ وابن عباس رضي الله عنهما : وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود رضي‌الله عنه‌وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه : رأيت القمر منشقاً شقتين شقة على ابي قبيس وشقة على السويداء ، والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج . مكة عندها جبل .

وفي شرح المواهب : ان التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقا إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر ، ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر : رأيت الجبل بينهما اي بين الفرقتين لأنه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة

عن يساره صدق انه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره صدق عليه انها عليه أيضاً . ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه ان انشقاق القمر كان والنبي ﷺ بمنى وفي روايات أنس : ان ذلك كان بمكة ولا تعارض ، لأن مراد انس رضي الله عنه : ان ذلك كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى انها من جملة مكة .

بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل ان يصير الى المدينة ، فظهر ان المراد بذكر مكة في رواية انس الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة ، وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة ، وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل ، فيحتمل انهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا ابا قبيس . فقد روى ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انشق القمر ليلة اربع عشرة نصفاً على الصفا ونصفاً على الروة قدر ما بين العصر الى الليل .

وجاء انه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبي ﷺ احدى الفرقتين ، وقال : اشهدوا ثم أراهم الفرقة الأخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التي فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرير الانشقاق ، وانه وقع مرتين فلا تنافي بين الروايات : قال القاضي عياض في الشفاء : وحيث اجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على اهل الأرض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم ، وحاصل الردعليه انه لم ينقل لنا عن اهل الأرض انهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروه انشق ، بل لو فرض انهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الأرض لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض ، فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض ، وقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين ، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض او يحول بين قوم وبينه سحاب ، ولهذا توجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية ، وفي بعضها لا يعرفها الا ذو المعرفة . ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس في الليل السكون واغلاق الأبواب وقطع التصرف ، ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئاً الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء ، وكثيراً ما يكون خسوف القمر في البلاد واكثر الناس لا يعلم به حتى يخبر وكثيراً ما

يتحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وامور عظام ، تظهر بالليل في السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ، ومع ذلك قد سألت قريش كثيراً من أهل الآفـاق فأخبروهم بانهم شاهدوا ذلك ، فقالوا : سحـر مستمـر اي عام ، وكان المخبـرون هم السفار لان المسافرين في الليل غالباً يكونون في ضوء القمر ، ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم ، فان الغالب عليهم ان يكونوا نياماً ويكفي ذلك في ثبوت التواتر وان خفي على كثير من اهل الآفاق . وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ، ان الأجرام العلوية لملاستها الا يتهيأ فيها الأنخـران والالتئـام ، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الأسراء الى دير ذلك من افكارهم ما يكون يوم القيام من تكوير الشمس وغير ذلك ، وأجيب بانـه لا انـكار للعقل في ذلك فان القمر مخلـوف ان يفعـل فيه ما يشـاء .

يحكى ان ابا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية وأخبر ملك الروم بأن هذا اجلّ علماء الاسلام ، احضر بعض بطارقته ليناظره فقال : تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم ؟ فقال له : وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ، ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فأفحم ولم يحر جواباً .

تنبيه

ما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه ، فليس له اصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال احدهما : انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر . وقال الآخر : بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه ، فأجاب : الاثنان مخطئان ، بل الصواب انه انشق وهو في موضعه من السماء ، وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه ، هكذا انبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنـه انتهـى ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ومن معجزاته

ﷺ رد الشمس له روت اسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وهي زوج جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم تزوجها ابو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي

الله عنه ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه : قالت : ان النبي ﷺ كان يوحي اليه ورأسه في حجر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : أصليت يا علي ؟ قال : لا فقال رسول الله ﷺ : اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعده أغربت ، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهبا في خيبر رواه الأمام ابو جعفر الطحاوي ، وقال : ان احمد بن صالح المصري كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لأنه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار ائمة الحديث الثقات ، وحسبه ان البخاري روى عنه في صحيحه : ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث . في الموضوعات ؛ فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة ، قال السيوطي :

ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم

قال في المواهب : في حديث ردّ الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض : قال الزرقاني : وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ، ورواه ابن مردويه من حديث ابي هريرة باسناد حسن ايضا . ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ السلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن اسماء ، ولفظه ان رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر ، فوضع رسول الله ﷺ رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت ؟ قال : لا فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم ان عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس كي يصلي قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض ، وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء .

ورواه الطبراني أيضاً عن اسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت : اشتغل علي مع رسول الله ﷺ في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس ، فقال ﷺ : يا علي ،

اصليت العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ، فتوضأ ﷺ وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين او ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر ، فنام علي فتوضأ وصلى العصر ، ثم تكلم ﷺ بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها ، فسمعت لها صريراً كالمشار في الخشبة ، وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني ايضاً في الكبير : كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه ، فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ لما سري عنه : صليت العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ، فدعا الله بكلمتين او ثلاث فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر . قالت اسماء : فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ، ومن القواعد ان تعدد الطرق يفيد ان للحديث أصلاً .

قال الزرقاني في شرح المواهب : ومن لطائف الاتفاقات الحسنة ان ابا المظفر الواعظ ذكر يوماً قريب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ، ورد الشمس له والسماء مغيمة غياء مطبقاً فظنوا انها غربت وهموا بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراف ، فأشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالاً .

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
وأنني عنانك ان اردت ثناءهم انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ امر الشمس ان لا تغرب ، حتى تقدم عير قريش التى رآها ليلة الاسراء وأخبرهم انها تقدم يوم كذا ، وولي النهار ولم تجيء فتأخرت ساعة من نهار الى ان قدمت وروى يونس بن ابي بكر عن ابن اسحق امام المغازي قال : لما اسرى بالنبي ﷺ واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا : له متى تجيء ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار اي قارب ذلك اليوم ان يتم ، ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجيء العير ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس اي امسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون عليه السلام ، فهو محمول على ان

المعنى لم تحبس على احد من الأنبياء غيري الا ليوشع .

وقال الحافظ ابن حجر : الحصر محمول على الماضي للأنبياء قبل نبينا وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي ، وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه ، لأنه في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب ، وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب ، وقوله إلا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهرون عليهما السلام ، وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده ، فدعا الله تعالى أن يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر ، وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ، قيل : كان علم النجم صحيحاً قبل ذلك ، فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه .

ومن معجزاته

ﷺ كلام للشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة ، وأحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة ، رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم : عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وأنس بن مالك ويعلي بن مرة وغيرهم ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين . قال القاضي عياض في الشفاء : فصارت في انتشارها من القوّة حيث هي . قال الشهاب الخفاجي : يعني أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

روى البيهقي والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدنا منه أعرابي فقال له النبي ﷺ : أين تريد يا أعرابي ؟ قال : أهلي . قال : هل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه السمرة وهي بشاطيء الوادي ، فأقبلت تخدّ الأرض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه ﷺ ، فاستشهدها ثلاثاً اي طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله ﷺ فشهدت له بأنه رسول الله حقاً ، ثم رجعت إلى مكانها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : يا رسول الله ، إن يتبعوني

آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك .

وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : سأل أعرابي النبيﷺ آية أي علامة تدل على أنه رسول الله فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها ، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تخدّ الأرض تجرّ عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول اللهﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله : قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت ، فقال الأعرابي : أئذن لي أسجد لك أي بعد أن آمن به كما صرح به في رواية فقال له ﷺ : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها . فقال الأعرابي : فاذن لي اقبل يديك ورجليك ، فإذن له .

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : آذنت أي أعلمت النبيﷺ بالجنّ ليلة استمعوا له شجرة ، وان الجنّ قالوا له : من يشهد لك اي بأنك رسول الله ؟ فقال : هذه الشجرة . ثم دعاها للشهادة فجاءت تجرّ عروقها لها قعاقع ، وتقدم في مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين ، قصة ركانة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ، وفيها أنهﷺ لما طلب منه أن يسلم قال : لا إلا أن تريني آية . فقال له : إن أريتك آية تسلم ؟ قال : نعم ، وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها : أقبلي باذن الله تعالى : فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديهﷺ ويدي ركانة . فقال : أريتني أمراً عظيماً فمرها فلترجع ، فقال : أن أمرتها فرجعت تسلم ؟ قال : نعم ، فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر ، فقال له : أسلم فأبى ، وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضي الله عنه ، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين .

وروى البيهقي عن الحسن أن النبي : شكا إلى ربه من قومه في أوائل البعثة قبل قوة الإسلام وأهله ، وأنهم يخوّفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخالفة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادي كذا من أودية مكة ، فان فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ، ففعل فجاء يخط الأرض خطاً حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ، اي جعله مدة قائماً عنده ثم قال له : ارجع كما جئت ، فرجع فقال : علمت ان لا مخافة علي . ورواه بنحو هذا البزار وابو يعلى والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذكر فيه أنّهﷺ قال : أرني آية لا أبالي من

كذبني فذكر نحوه .

وروى البخاري في تاريخه ، والبيهقي والدارمي والترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ فقال : إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بي ؟ قال : نعم ، فدعا فجعل ينقز أي يثب حتى أتاه فقال : ارجع ، فعاد إلى مكانه ، فاسلم الأعرابي . وفي رواية : فجعل ينزل من النخلة شيئاً فشيئاً حتى سقط على الأرض فأقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبي ﷺ ثم قال له : ارجع فعاد فأسلم الأعرابي وقال : أشهد أنك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ .

وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له : مالك ؟ فقال رسول الله ﷺ : فعل بي هؤلاء وفعلوا ، فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية أي تزيل حزنك ؟ فقال : نعم ، فنظر الى شجرة من وراء الوادي أي الذي كان فيه مع جبريل فقال : ادع تلك الشجرة فدعاها . قال : فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال : مرها فلترجع إلى مكانها ، فأمرها فرجعت الى مكانها ، فقال ﷺ حسبي حسبي .

وفي رواية : لا أبالي من كذبني من قومي بعد هذا أي لأن الجماد إذا أطاع دعوته دلّ ذلك على أن الناس تطيعه ، لكن تأخير ذلك لحكم خفية ، ورواه الدارمي من حديث أنس والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنهما ، وروى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في مسير فذكر الحديث إلى أن قال : ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته . وفي رواية : طافت به ثم رجعت الى مكانها ، فلما استيقظ ﷺ ذكرت له ذلك فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي ، فاذن لها .

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ في غزاة حتى نزلنا وادياً أفيح أي واسعاً فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فاذا شجرتان في شاطيء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ الى إحداهما فاخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي معي

باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، والمخشوش الذي وضع له الخشاش ، وهو عود يجعل في أنف البعير لينقاد بسهولة ، ثم فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال : ألتئما علي باذن الله ، فألتأمتا ، والمنصف ـ بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة أخره فاء ـ الموضع الوسط بين الموضعين ، والالتئام الاجتماع .

وفي رواية : أنه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر : قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت احضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الأمر الغريب العجيب ، فالتفت فاذا رسول الله ﷺ والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف ﷺ وقفة فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً ، وهو حديث واحد طوّله بعض الرواة واختصره بعضهم .

وروى البيهقي وابو يعلى عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في بعض مغازيه هل تعني مكاناً لحاجة رسول الله ﷺ اي تقصده وتعينه ؟ فقلت : إن الوادي ما فيه موضع خال عن الناس . فقال : هل ترى من نخل أو حجارة ؟ قلت : أرى نخلات متقاربات . قال : انطلق وقل لهن إن رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك ، فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاماً فقضى حاجته ، ثم قال لي : قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن يفترقن ، حتى عدن الى مواضعهن .

وروى الإمام أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عن يعلى بن سيابة رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في مسير وذكر نحواً من هذين الحديثين . وقال في رواية : فأمر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا . وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله في غزوة حنين ، ولله در البوصيري حيث يقول :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطراً لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللقم

اي الطريق .

ومن معجزاته

ﷺ تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له . روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، وأني لأعرفه الآن ، قال بعضهم : هو الحجر الأسود ، وقال آخرون : هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة ، والناس يتبركون بلمسه ويقولون : إنه هو الذي كان يسلم على النبي ﷺ متى اجتاز به . ذكر ذلك في المواهب ، ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الإمام ابو حفص الميانشي قال : أخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبني في الجدار المقابل لدار أبي بكر رضي الله عنه المشهورة ، هو الذي كلم النبي ﷺ .

وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله قال العلماء : وإنما كان هذا في بدء نبوّته تطميناً لقلبه وتبشيراً له بانقياد الخلق له بعد ذلك ، وإجابتهم لدعوته . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة : جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وروى أبو نعيم عن بريرة رضي الله عنها قالت : لما أراد الله كرامة نبيه ﷺ كان يمضي الى الثعلب وبطون الاودية ، فلا يمر وبشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان يرد عليهم وعليكم السلام ، قال بعضهم : فهذا أمر يقربه الحجر فكيف ينكره البشر ؟ رواه البزار وابو نعيم .

وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال : لم يكن النبي ﷺ اي في ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ، ومن ذلك تأمين أسكفه الباب أي عتبته وحوائط البيت على دعائه ﷺ .

وروى البيهقي وابن ماجه عن أبي أسد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه

وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : يا أبا الفضل لا ترم - بكسر الراء - أي لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى أتيك ، فان لي فيكم حاجة ، فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير بحمد الله تعالى . فقال لهم : تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى إذا أمكنوه اي اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال : يا رب هذا عمي وصنو أبي أي مثله ، وهؤلاء أهل بيتي أي من أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه ، قال : فأمّنت أسكفه الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين ، وبنو العباس هؤلاء هم : الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد وأختهم أم حبيبة رضي الله عنهم ، وفيهم يقول عبد الله الهلالي :

ما ولدت نجيبة من فحل بجبل نعلمه أو سهل
كسبعة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الإمام أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهما أحداً فرجف بهم فقال : اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان .

وروى مسلم مثل هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه في حراء . وزاد وقال : ومعه علي وطلحة والزبير . وفي رواية : وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم . وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد وأو للتقسيم .

وروى مسلم أيضاً والترمذي والنسائي في حراء أيضاً عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : ومعه عشرة من أصحابه ، وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد . وفي رواية : أنه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ، ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طرباً بصعودهم عليه أو خوفاً وهيبة وإجلالاً وليست رجفة غضب كرجفته ببني إسرائيل لما حرفوا الكلم .

وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قرأ على المنبر : ﴿ وما

قدروا الله حق قدره ﴾ ثم قال يحمد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال ، فرجف المنبر حتى قلنا ليخرّنّ عنه .

وروى البخاري ومسلم والبزار والطبراني وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، قال : قال : كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ، وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه : فجعل يطعنها ويقول : جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعبد ، ولا تنافي بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه يشير اليها من غير مس ، ليوافق ما قبله أو أنها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضي سقوطها عادة ، فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له ﷺ .

وروى الترمذي والبيهقي في حديث بحيرا الراهب وهو ـ بفتح الباء ـ مقصوراً في ابتداء أمره ﷺ وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه ابي طالب في تجارة ، وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرّة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : من أين عرفت هذا ؟ فقال : لأنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً له ولا تسجد إلا لنبي ، ولأنه أقبل وعليه غمامة تظلله ، ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فيء الشجرة جلس ﷺ فمال الفيء اليه .

ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه ﷺ في الحجارة وإلانة الصخر له . قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء : وهذا مما شاع في الأقطار ونظمه الشعراء في فصيح الأشعار ، فمن ذلك أنه ﷺ كان في بعض الأحيان إذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك إلى الآن ، وارتسم فيها مثاله بعينه ، والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس . ونقل منه لمصر في أماكن متعددة حتى قيل : إن السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار ، وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن ، وانه ﷺ إذا مشى على الرمل أحياناً لا يكون لقدمه أثر .

وقال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية : كانﷺ إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديماً وحديثاً على الألسنة ، ونطق به الشعراء في قصائدهم النبوية ، والبلغاء في منثورهم ، مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ البالغ تعيينه ، وأنه أثره مبلغ التواتر . وفيه يقول أبو طالب :

وموطىء ابراهيم في الصخر وطؤه على قدميه حافياً غير ناعل

وبما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستاً او سبعاً لما فرّ بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي إلا ولنبيناﷺ مثلها ، ويؤيده وجود أثر حافر بغلتهﷺ في مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة إلى الآن ، وما ذاك إلا من سرهﷺ الساري في البغلة ليكون أوضح في الدلالة ، على أنه أوتي مثل ما أوتي الخليلﷺ ، على وجه أعلى منبه .

وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني : إن أثر قدمه ﷺ وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس . وذكر السيوطي في الخصائص أن من خطائصهﷺ انه ما وطىء على صخر إلا وأثّر فيه . قال بعضهم : كان ذلك قبل البعثة ، وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الأئمة الجهابذة من أهل الحديث ، فلا وجه لإنكار بعض القاصرين لها . وفي فتاوى الجلال السيوطي : من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة . إن أبا جهل قال : يا محمد إن أخرجت لنا طاوساً من صخرة في داري آمنت بك ، فدعا النبيﷺ ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ، ثم انشقت عن طاوس من صدره من ذهب ، ورأسه من زبرجد ، وجناحاه من ياقوت ، ورجلاه من جوهر ، فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى .

قال بعض المحققين . وفي معجزات نبيناﷺ ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف ، فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاتهﷺ : تسبيح الحصى في كفه ﷺ ، وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من

أهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي ذر وأنس ابن مالك رضي الله عنهما . ففي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت أتتبع خلوات النبي ﷺ فرأيته يوماً خالياً فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكاني أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قلت : الله ورسوله أي حبهما ، فأمرني أن أجلس ، فجلست الى جنبه لا أسأل عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعاً فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قال : الله ورسوله . فأشار بيده أن أجلس ، فجلس الى ربوة مقابل النبي ﷺ ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه . ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك ، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ، ثم وضعهنّ بالأرض فخرسن ثم أخذهن وناولهنّ أبا بكر رضي الله عنه ، فسبحنّ في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم تناولهنّ وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحت في كفه كما سبحت في كف أبي بكر رضي الله عنه .

وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ثم تناولهن من الأرض وناولهن عثمان رضي الله عنه ، فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا . وفي رواية أنس رضي الله عنه : ثم وضعهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن ، واستشكل قوله ثم وضعهن في أيدينا بأن ما تقدم يقتضي أنه لم يحضر غير أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر رضي الله عنهم ، وأجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الأمر ، ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه خصوصاً وقد كان خادم النبي ﷺ فتقل مفارقته له ، ولم يذكر عليّ رضي الله عنه لأنه لم يكن حاضراً معهم في ذلك المجلس ، وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ، ولو كان حاضراً السبحت في كفه قطعاً .

و من معجزاته ﷺ : تسبيح الطعام وهو يؤكل . روى البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام .

وفي الشفاء للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمّان وعنب ، فأكل منه ﷺ فسبح . وروى ابو الشيخ عن انس رضي الله عنه قال : أتى النبي الله ﷺ بطعام ثريد فقال : إنّ هذا الطعام يسبح ؟ قالوا : اوتفقه تسبيحه ؟ قال : نعم ، ثم قال لرجل : أدن هذه القصعة من هذا الرجل ، فأدناها فقال : نعم يا رسول الله ، هذا الطعام يسبح ، ثم قال ردها فردّها ، وظاهر هذا انه كان يسبح وهو في الإناء ، وظاهر حديث البخاري أنه كان يسبح بعد وضعه في الفم ولا مانع منهما . وفي قوله : كنا دليل على تكرره وأنه وقع مراراً عديدة وهو آية للنبي ﷺ أعظم من تسبيح الجبال مع داود ، وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام ، وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهي بيد داود عليه السلام ، بخلاف الحصى فانها سبحت بيده ﷺ ، ويد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما إذ لم يعهد مثله ، والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع ، وإنما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لأن الطير ناطق في الجملة بخلاف الطعام .

وروى النبيهقي أن أبا الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما كانا إذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة ، وذلك أنهما بينما هما يأكلان في صحفة إذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبي ﷺ ، مع ظهور صوت دالّ على ذلك الشوق ، والجذع واحد جذوع النخل ، وهو بالذال المعجمة وقد روي حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك ، حتى صار متواتراً .

قال القاضي عياض والتاج السبكي والحافظ ابن حجر وغيرهم : إن حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة نقلت نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ، ممن لا ممارسة له في ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا ﷺ .

وقال الشافعي رضي الله عنه : ما أعطى الله نبياً مثل ما أعطى نبينا محمداً ﷺ ، فقيل له : أعطي عيسى عليه السلام ، إحياء الموتى ، فقال : أعطي نبينا محمداً ﷺ حنين الجذع حين سمع صوته فهي أكبر من ذلك .

وقال القاضي عياض في الشفاء حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أي لكثرة طرقه الصحيحة . ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب اخرجه أهل الصحيح ، أي الذين التزموا إخراج الأحاديث الصحيحة في كتبهم كالشافعي والإمام احمد والبخاري وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والطبراني والحاكم والدارمي . ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أُبيّ بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة السهمي .

فما رواه الشافعي في مسنده حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي مستنداً الى جذع اذ كان المسجد عريشاً أي مسقوفاً بالجريد ، وكانت الجذوع له كالأعمدة وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه أي وهو تميم الداري رضي الله عنه : هل لك أن تجعل منبراً تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر أي في خلافة معاوية رضي الله عنه ، لأنه مروان زاد فيه ست درجات ، وقال : إنما زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك إلى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له ﷺ موضعه الذي هو فيه فكان إذا بد الرسول الله ﷺ أن يخطب فتجاوز الجذع الذي يخطب عليه خار ، فنزل رسول الله ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكت ، ثم رجع الى المنبر .

وفي رواية للبخاري عن جابر رضي الله عنه : فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة رفع أي النبي ﷺ الى المنبر فصاحت النخلة . زاد في رواية : صياح الصبي حتى كادت أن تنشق ، فنزل رسول الله ﷺ فضمها أي النخلة . وفي رواية : فضمه أي الجذع اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن . قال عليه الصلاة والسلام : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها . وفي رواية للبخاري عن جابر أيضاً رضي الله عنه ، كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت ، والعشار ـ بكسر العين ـ النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة أشهر .

وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه : اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج - بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم - الناقة التي انتزع ولدها . وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه : فحنت الخشبة حنين الواله . وفي رواية للإمام أحمد والدارمي وابن ماجة عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه . فلما جازه خار الجذع حتى تصدع وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد ، فلم يزل عنده حتى بلى وصار رفاتاً ، وهذا لا ينافي أنه جاء في رواية : فأمر به نبي الله ﷺ فدفن تحت المنبر لاحتمال أنه ظهر بعد الهدم عند التنظيف ، فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه . وفي رواية لأبي يعلى عن أنس رضي الله عنه : خار كخوار الثور ، وارتج المسجد لخواره حزناً على رسول الله ﷺ .

وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية : حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت . وقال : والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة . وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه فقال : يعني النبي ﷺ للجذع حين سمع حنينه : إن شئت أن أردك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى له يستمع ما يقول . فقال : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يليه : فقال النبي ﷺ قد فعلت . ثم قال النبي ﷺ : اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا .

قال القاضي عياض في الشفاء : وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بهذا بكى ، وقال : يا عباد الله ، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه . قال في المواهب : إن الله خلق في الجذع حياة وعلما حتى صوّت واشتاق ، وقد عامله النبي ﷺ معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته ، يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ، ولله در القائل :

وحنّ اليه الجذع شوقاً ورقة ورجع صوتاً كالعشار مردّدا
فبادره ضماً فقر لوقته لكل امرىء من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني : يعني أنه أمر مسطر في كل من اعتاد أمراً وانقطع عنه ، فانه يتألم لذلك ويحزن ، فاذا رجع اليه فرح واطمأن . وهذا الجذع لما ألف مقامه ﷺ عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته ، فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفراً طويلاً ، لا سيما إذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ، ولله در القائل :

وألقى حتى في الجمادات حبه فكانت لإهداء السلام له تهدي
وفارق جذعاً كان يخطب عنده فأنّ أنين الأم إذ تجد الفقدا
يحنّ اليه الجذع يا قوم هكذا أما نحن أولى أن نحنّ له وجدا
إذا كان جذع لم يطق فقد ساعة فليس وفاء أن نطيق له بعدا

ومن معجزاته ﷺ : سجود الجمل له ، وشكواه كثرة العمل وقلة العلف . روى الإمام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون أي يسقون عليه ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فدخل الحائط اي البستان والجمل في ناحية : فمشى رسول الله ﷺ نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله ، قد صار مثل الكَلْب الكَلِب أي العقور ، وإنا نخاف عليك صولته . فقال رسول الله ﷺ : ليس علي منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه أي واضعاً مشفره باركاً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قطحتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك ، فقال رسول الله ﷺ : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .

وروى الإمام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلي بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع النبي ﷺ في سفر إذ مررنا ببعير يسني عليه فلما رآه البعير

جرجر أي صوت كثيراً فوضع جرانه ، وهو بالكسر مقدم العنق ، فوقف النبيﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء فقالﷺ له : بعنيه . فقال : بل نهبه لك يا رسول الله ، وأنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال : أما إذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسن اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف .

وروى الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه ان جملاً جاء الى رسول الله ﷺ فلما كان قريباً منه خرَّ الجمل ساجداً ، فقالﷺ : يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا . قال : فما شأنه ؟ قالوا : سنوناً عليه عشرين سنة ، فلما كبر سنه أردنا نحره . فقالﷺ : تبيعونه ؟ قالوا : هو لك يا رسول الله . فقال : أحسنوا إليه حتى يأتي أجله . فقالوا : يا رسول الله ، نحن أحق أن نسجد لك من البهائم . فقال : لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان النساء لأزواجهنّ . وفي رواية : أنه قال لصاحب الجمل : ما لبعيرك يشكوك زعم أنك شنأنه حين كبر تريد أن تنحره ؟ فقال : صدقت ، والذي بعثك بالحق لا أفعل .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما إن رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطاً فسد عليهما الباب ، ثم جاء رسول اللهﷺ فأراد أن يدعو له والنبي ﷺ قاعد معه نفر من الأنصار فقال : يا رسول الله ، إني جئت في حاجة وإنه كان لي فحلان فاغتلما وإني أدخلتهما حائطاً وسددت عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله عزوجل . فقالﷺ لأصحابه : قوموا معنا ، فذهب حتى أتى الباب فقال : إفتح ، فشفق الرجل على رسول اللهﷺ فقال : افتح ففتح ، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب ، فلما رأى رسول اللهﷺسجد له ، فقالﷺ : ائتني بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه ، فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجداً فقال: ائتني بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه ، فجاء بخطام فشدّ به رأسه وامكنه منه . وقال : اذهب فانهما لا يعصيانك .

وروى الإمام أحمد وابو داود ابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : أردفني رسول اللهﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس . قال : وكان أحب ما استتر به النبيﷺ أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شيء مرتفع على الأرض ، أو حائش نخل أي وهو النخل المجتمع ، فدخل حائط رجل من

الأنصار أي لحاجته فإذا جمل ، فلما رأى الجمل النبيﷺ حنّ فذرفت عيناه ، فأتاه النبيﷺ فمسح ذفراه أي وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي يا رسول الله ، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل .

وفي رواية : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل ، فلما دخل النبيﷺ دعاه فوضع شفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه ، أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه . وقالﷺ : ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجنّ والأنس .

ومن معجزاتهﷺ : سجود الغنم وطاعتها لهﷺ . روى الإمام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل رسول اللهﷺ حائطاً أي بستاناً لأنصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ورجل من الأنصار . وفي الحائط غنيم فسجدت له أي تعظيماً له لما شاهدت نور نبوته ، وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك منْ الغنم ، فقال رسول اللهﷺ : لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد .

وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . أن رجلاً أتى النبيﷺ وآمن وهو على بعض حصون خيبر ض ، وكان الرجل في غنم يرعاها لأهل خيبر . فقال : يا رسول الله ، كيف لي بالغنم ؟ قال : أحصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل ، فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة لهﷺ ، فهذا من طاعات الحيوانات له .

ومن معجزاتهﷺ : كلام الذئب وإقراره برسالتهﷺ . روى الإمام أحمد بإسناد جيد ، والترمذي والحاكم بإسناد صحيح ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي ، فقال الراعي : يا عجباً ذئب مقع على ذئبه يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ، محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . وفي رواية رسول الله في النخلات بين الحرتين : يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك . وفي لفظ : يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه . قال ابو سعيد : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، ثم أتى رسول

الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للأعرابي : أخبرهم أي بما شاهدته يسروا ، ويزداد إيمانهم فأخبرهم .

وفي رواية : وكان الرجل يهودياً فجاء وأسلم وأخبر النبي ﷺ وصدقه ، ثم قال ﷺ : إنها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج ، فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده . وفي رواية أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال الذئب للراعي : أنت أعجب مني واقف على غنمك وقد تركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه قدراً عنده ، وقد فتحت له أبواب الجنة وأشراف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب ، فتصير في جنود الله ؟ قال الراعي : من لي بغنمي ؟ قال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع ، فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته وإسلامه ، ووجوده النبي ﷺ يقاتل ، فقال له النبي ﷺ : عد الى غنمك تجدها بوفرها أي لم ينقص منها شيء ، فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها .

وروى قصة كلام الذئب أيضاً الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه ، وروى سعيد بن منصور عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي ﷺ ، وجعل يبصبص بذنبه أي يحركه ، فقال ﷺ : هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً . قالوا : والله لا نفعل ، وأخذ رجل من القوم حجراً ورماه به فأدبر الذئب وله عواء . فقال ﷺ : الذئب وما الذئب ؟ وهذا الاستفهام مفخم أمره .

قال القاضي عياض في الشفاء : وقد روى ابن وهب أن الذئب كلم أبا سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية قبل إسلامهما ، وذلك أنهما وجدا ذئباً يريد أخذ ظبي فجرى الذئب خلف الظبي من الحل ، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك ، فقال الذئب لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار . فقال ابو سفيان لصفوان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أي لأهلها ليتركنها خلوفاً ـ بضم الخاء المعجمة ـ اي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها بإسلامهم وهجرتهم الى المدينة ، وسمى ذلك فساداً باعتبار زعمهم الذي كانوا يعتقدونه قبل إسلامهم .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الحمار ، أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضي الله

عنه قال : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حماراً أسود فكلم رسول الله ﷺ الحمار فكلمه الحمار ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كل منهم لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لانه لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك ، وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمداً وكان يجيع بطني ويضرب ظهري ، فقال له النبي ﷺ : فأنت يعفور ، وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته ، فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه ، فإذا أخرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء الى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهاب فتردى فيها جزعاً على رسول الله .

وقال الواقدي : مات يعفور منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع ، وبه جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي ﷺ . وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه إبن حبان وغيره وأنكره بعضهم . وقال : إنه موضوع . وقال بعضهم : انه ضعيف وقد تعددت طرقه .

قال العلامة الزرقاني : وليس فيه ما ينكر شرعاً فلا يدع في وقوعه له ﷺ فنهايته الضعف لا الوضع .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الضب ـ بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بريّ يشبه الورل . قال ابن خالويه : لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعداً ، يقال انه يبول كل أربعين يوماً ما قطرة ، ولا يسقط له سن ، ويقال : إن أسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الألسنة ، وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابي من بني سليم ، قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة أي الصحابة قال : من هذا ؟ قالوا : نبي الله .

وفي رواية الدارقطني : فقال علي : من هؤلاء الجماعة ؟ فقيل له : على هذا الذي يزعم انه نبي فأتاه فقال : يا محمد ، ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك فلولا أن تسميني العرب عجولاً لقتلتك ولسررت الناس أجمعين فتلك ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أقتله . فقال ﷺ : أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبياً . ثم أقبل الاعرابي على رسول الله ﷺ فأخرج الضب من كمه وقال : واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن

هذا الضب ، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : يا ضب ، فأجابه بلسان بين . وفي رواية : فكلمه الضب بلسان فصيح عربي مبين يسمعه . وفي رواية : يفهمه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . قال : من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابي .

زاد الدار قطني وابن عدي فقال : الاعرابي : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله حقاً ، ولقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلي منك ووالله لأنت الساعة أحبّ إليّ من نفسي وولدي ، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال ﷺ : الحمد الله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ولا يقبله الله إلا بصلاة ، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن . قال : فعلمني فعلمه ﷺ الفاتحة والإخلاص ، فقال : يا رسول الله ، ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا . فقال ﷺ : هذا كلام رب العالمين وليس بشعر ، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن ، وإن قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن ، وان قرأتها ثلاثاً فكأنما قرأت القرآن كله ، فقال الاعرابي : نعم الإلّه إلهنا ، يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال ﷺ : ألك مال ؟ فقال : ما في سليم قاطبة أفقر مني . فقال ﷺ لأصحابه : أعطوه فأعطوه حتى أثروه .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إني أعطيه يا رسو ل الله ناقة عشراء أهديت إليّ يوم تبوك تلحق ولا نلحق ، اتقرب بها الى الله دون البختي وفوق الغربي . فقال ﷺ : لقد وصفت ما نعطي فأصف لك ما يعطيك الله ؟ قال : نعم ، قال ، لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمرّ بك على الصراط كالبرق الخاطف ، فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فتلقاه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة بألف رمح وألف سيف ، فقال لهم : اين تريدون ؟ فقالوا : هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبي . فقال الأعرابي : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالوا : صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم : لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ثم أتوا النبي ﷺ فتلقاهم بلا رداء ، فنزلوا عن

ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . وقالوا : يا رسول الله مرنا بأمرك . فقال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد . قال ابن عمر رضي الله عنهما : فلم يؤمن في أيامه ﷺ من العرب ولا من غيرهم الف غيرهم ، وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود ، كيف ؟ وقد رواه الأئمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذه البيهقي : وهو لا يروي موضوعاً . والدارقطني وناهيك به ولحديث ابن عمر طرق .

ورواه ابو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومن حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما غاية الأمر ، أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوي بعضها بعضاً والله أعلم .

ومن معجزاته ﷺ : حديث الغزالة اي كلامها له ، روى حديثها البيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوي بعضها بعضاً فيعلم أن له أصلاً فيكون حسناً لغيره ، وذكر القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض ، فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له . ورواه ابو نعيم في الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضاً رضي الله عنهما قالت : بينما رسول الله ﷺ في صحراء من الأرض إذ هاتف يهتف : يا رسول الله ثلاث مرات ، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي مجندل في شمله نائم في الشمس ، فقال لها : ما حاجتك ؟ قالت : صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل ، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وارجع قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أرجع فأطلقها فذهبت فارضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها النبي ﷺ كما كانت فانتبه الأعرابي من نومه فقال : يا رسول الله ، ألك حاجة ؟ قال : نطلق هذه الظبية فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله .

وفي رواية لزيد بن أرقم رضي الله عنه قال فيها : فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول : لا إلّه إلا الله محمد رسول الله . وراه الطبراني بنحو هذا ، وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة ، وأنكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال : لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض ،

أوردها شيخنا شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر الكبير في الأصول لابن الحاجب . وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب ، وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وإن لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواتراً إذ ذاك .

وقال الحافظ ابن حجر : والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن معجزاتهﷺ : تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها وشهادتها عندهﷺ ، والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة . وقد روى ذلك الإمام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الأندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول اللهﷺ قرّ أي سكن وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب ، وإذا خرج رسول اللهﷺجاء وذهب أي مشى في البيت وتردّد فيه ، لأنه ليس ثمة من يهابه ، وقيل : معناه لم يقر لعدم رؤيتهﷺ شوقاً له ، وكلاهما أي ألف الحيوان الذي لا يعقل لهﷺ ومهابته عنده آية ظاهرة .

وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضاً وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال : قرب إلى رسول اللهﷺ بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها يوم عيد .فازدلفن اليه بأيتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليهﷺ رغبة في أن يذبحها وانقياداً له بإلهام من الله تعالى ، رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم .

وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : غزونا مع رسول اللهﷺ حتى إذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا بأعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على النبيﷺ فقال : السلام عليك يا نبي الله ، فرد عليه السلام ، فجاء رجل وقال : إن هذا الأعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهوﷺ منصت له ثم قال للرجل : انصرف فان البعير يشهد بأنك كاذب وعبارة الشفاء : ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبيﷺ لصاحبها أنه ما سرقها وإنها ملكه .

وفي الشفا أيضاً ومن هذا القبيل ما روي أنهﷺ قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره ، والفرس غير مربوط : لا تبرح بارك الله فيك ، حتى نفرغ من صلاتنا ،

وجعله في قبلته فما حرك عضواً حتى ﷺ ففيه معجزة له ، حيث فهم الحيوان كلامه ، ومما يندرج في تسخير الحيوانات له ﷺ ما رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي في سننه ، من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله ﷺ إذ وجهه الى معاذ باليمن ، فلقي الأسد فقال له : أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ ومعي كتابه ، فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق ، وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك . وفي رواية للبزار والبيهقي صححهما السيوطي : ان سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به ، فخرج الى جزيرة فإذا الأسد قال فقلت له : أنا مولى رسول الله ﷺ ، فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق ، وأخذ ﷺ مرة بأذن شاة أي أمسكها بأصبعيه ثم خلاها ، فصار ذلك مبسماً فيها ، وفي نسلها .

ويلتحق بهذا المبحث ما روى الواقدي ان النبي ﷺ لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم ، والواقدي إمام جليل من أئمة السير وثقة بعضهم وتكلم فيه بعضهم . قال الشهاب الخفاجي : وكفى برواية الشافعي عنه دليلاً على صحة ما رواه ، وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفاء : والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ : نبع الماء الطهور من بين أصابعه ﷺ ، قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض : هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة ، متصلة بالصحابة . وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ، ولم يرد عن أحد منهم ، إنكار على الراوي ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته ﷺ .

وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر عندهم من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الإمام أحمد والطبراني من طريقين ، فقول ابن بطال لم يرد إلا من طريق أنس مردود ، وهذه المعجزة لم يسمع أنها وقعت لغير نبينا ﷺ وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام ، حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة

عينا لأن خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة ، بخلاف نبع الماء بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم :

إن كان موسى سقــى الأسبــاط من حجر فان في الــكف معنــى ليس في الحجر

قال في المواهب : وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم : أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنه ، فأما حديث أنس ففي الصحيحن قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، زاد في رواية وهو بالزوراء ، موضع بسوق المدينة ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فرفع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه ، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم ، وكانوا سبعين أو ثمانين . وفي رواية : فقلنا لأنس كم كنتم : قال : كنا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة ، وأنهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعاً أنس رضي الله عنه . وقوله : حتى توضؤوا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كان الآخر هو الذي ابتدىء به ، إشارة الى أن الآخر أسبغ الوضوء من غير نقص مثل إسباغ الأول ، بل كأنه هو الأول ، وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فقال المسلمون : يا رسول الله ، عطشت دوابنا وإبلنا ، فقال : هل من فضله ماء ؟ فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشيء من ماء . فقال : هاتوا صحفة ، فصب ، الماء ثم وضع راحته في الماء : قال أنس رضي الله عنه فرأيتها اي الصحفة تخلل عيوناً أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا إبلنا ودوابنا وتزوّدنا ، أي حملنا الماء معنا . فقال ﷺ : أكفيتم ؟ قلنا : نعم ، يا رسول الله . فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء .

وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ الى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح ، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه ، ثم قال للقوم : هلموا الى الشراب . قال أنس رضي الله عنه : بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه ، فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعاً . وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ

منها فجهش الناس حوله أي أسرعوا فقال : مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه إلا ما بين يديك . فوضعﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قال سالم : قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وروى هذه القصة البخاري أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وقال : كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة ، فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ، ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري : كنا ألفاً وأربعمائة أو أكثر ، واعتمد النووي هذا الجمع . قال لصحة الروايات كلها . عن جابر رضي الله عنه : انه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع ولفظه ، قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله : ناد ألا وضوء ، فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء ، قال : ثم قلت : يا رسول الله ، ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول اللهﷺ وأصحاب له ما في أشجاب على حمارة من جريد ، قال : فقال لي انطلق الى فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء ؟ فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم أجد إلا شيئاً يسيراً لو أني أفرغه لشربه يابس الإناء ، فرجعت فأخبرته . قال أذهب فأت به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه فقال : يا جابر ، ناد بجفنة ، فقلت : يا جفنة الركب ، فأتى بها تحمل فوضعها بين يديه فقالﷺ بيده هكذا ، فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر ، فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابعهﷺ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت . فقال : يا جابر ، ناد من كانت له حاجة بماء . قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفعﷺ يده من الجفنة وهي ملأى .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه . وقوله في أشجاب جمع شجب وهي القربة البالية . وروى حديث جابر رضي الله عنه الإمام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول اللهﷺ العطش ، فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيئاً من الماء ، ووضع رسول اللهﷺ فيه يده وقال : استقوا فاستقى الناس ، فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعهﷺ . وفي

لفظ : عن جابر أيضاً قال : فوضع رسول الله ﷺ كفه في الإناء ثم قال : باسم الله . ثم قال : اسبغوا الوضوء . قال جابر : فوالذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لأنه عمي آخر عمره رضي الله عنه ، لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه ﷺ ، فما رفعها أي يده حتى توضؤوا اجمعون : ورواه أيضاً عن جابر البيهقي في الدلائل . قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر أي وهو الحديبية ، فأصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا الى رسول الله . قال جابر : فوضع رسول الله ﷺ يده في تور من ماء . وهو ـ بفتح المثناة الفوقية ـ إناء من حجارة أو صفر بشرب فيه قيل : إنه يشبه الطست ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون . قال : خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا ، قلت لجابر : كم كنتم ؟ قال : كنا ألفا وخمسمائة ، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ أي في سفر ، قيل هو الحديبية ، وجزم أبو نعيم بان ذلك كان في غزوة خيبر . ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا : أطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء .

وفي رواية : فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ . قال ابن مسعود رضي الله عنه : فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله في جوفي أي لطلب البركة .

وفي رواية : قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك والبركة ، من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبي ﷺ يطلب ماء قليلاً ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ، ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى ، اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصل ، ولئلا يظنّ بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء ، وللإشارة إلى أن الله تعالى أجرى العادة في الدنيا غالباً بالتسبب ، وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضاً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . قال : دعا النبي ﷺ بلالاً لطلب الماء ، فقال بلال : لا والله ما وجدت الماء ، فقال : هل من شن ، فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين ، فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه

الدارمي وأبو نعيم ، ورواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى ، ورواه أبو نعيم أيضاً من طريق القاسم بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه أبي رافع مولى النبيﷺ والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاتهﷺ تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركتهﷺ وبمسه لمحله وبدعوته ، فمن ذلك ما تقدم ذكره في غزوة تبوك أنهﷺ مع أصحابه جاؤوا عين تبوك فوجدوها تبضّ بشيء من ماء مثل شراك النعل . قال معاذ بن جبل ، الراوي لهذه القصة : فعرفنا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء ، ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير .

وفي رواية : فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام : يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جناناً أي بساتين وعمراناً ، فكان كما أخبرﷺ .

وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنهما ومروان بن الحكم : ان النبيﷺ وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ، فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول اللهﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، والثمد ـ بفتحتين ـ حفرة فيها ماء قليل .

وفي رواية للبخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : انهﷺ توضأ فتمضمض ودعا ومج في بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك . وفي مغازي أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدي المدني يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضي الله عنه : أنهﷺ توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج في الدلو وأمر أن يصب في البئر ، ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ، ودعا الله تعالى ففارت إلى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس عل شفيرها ، فجمع في هذه الرواية بين التوضؤ والمج والقاء سهم من كنانته .

ففي رواية البخاري اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه ﷺ ، وهذه القصة غيرالقصة السابقة قريبا في ذكر نبع الماء من بين اصابعهﷺ ، مما رواه البخاري ومسلم في المغازي من حديث جابر رضي الله عنه ، لأنه قال في حديثه فجعل الماء

يفور من بين أصابعه . وفي حديث البراء : انه صب ماء وضوئه في البئر فالقصة متعددة فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ما هو اعم من ذلك كشرب وسقي دواب ، ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها .

قال في فتح الباري : وفي حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين ، وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما مما رواه البخاري ومسلم في قصة الحديبية ، وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله ﷺ على شفيرها . قال البراء وأتى ﷺ بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ، ثم قال : دعوها ساعة . قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا . وفي رواية : فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعنا بهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر قيل هو الحديبية ،وقيل تبوك ، وقيل غيرهما ، فاشتكى الناس اليه ﷺ العطش ، فنزل ﷺ ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال : اذهبا فابتغيا الماء ، فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين ، فجاآبها الى النبي ﷺ فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين وأوكاء افواههما ، ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في الناس اسقوا واستقوا ، ففعلوا والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ، ثم قال ﷺ لاصحابه : اجمعوا لها اي للمرأة اي تطيبا لخاطرها ، في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن السير الى قومها ، وما نالها من خوف اخذ مائها .

قال بعضهم : انما اخذوها واستجازوا اخذ مائها لانها كانت حربية ، وعلى فرض ان يكون له عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض ، على ان نفس الشارع ﷺ تفدى بكل نفس ، فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيراً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها ، وقال لها ﷺ : تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي سقانا فأتت اهلها وقد احتبست عنهم فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ فقالت : العجب ، اي حبسني العجب ، لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابىء ، ففعل كذا وكذا ، وحكت له ما

فعل ثم قالت : فوالله انه لأسحر الناس كلهم ، او انه لرسول الله حقاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوماً لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم عمداً فهل لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام ، وتقدمت هذه القصة في غزوة تبوك ، وتقدم فيها ايضاً انه ﷺ توضأ من ميضأة لأبي قتادة رضي الله عنه ، وبقي فيها شيء من ماء ثم قال ﷺ لأبي قتادة : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ . ثم اصابهم عطش شديد فشكوا عليه ﷺ ذلك ، فدعا بالميضأة فجعل ﷺ يصب في قدحه وأسقيهم راد الامام احمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركائبهم وملؤوا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ ثم صب الماء فقال لي : اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ، قال : ان ساقي القوم آخرهم شرباً قال : فشربت وشرب رسول الله ﷺ .

وتقدم في الوفود عند ذكر وفد بني فزارة انهم شكوا اليه القحط فدعا لهم ﷺ ، فأمطرت السماء عليهم سبعاً حتى قالوا : يا رسول الله ، تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادي قناة شهراً ، وقناة يمنع الصرف بدل من الوادي وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية احد به مزارع ،ولم يجيء احد من ناحية الاحدث بالجودة بفتح الجيم اي المطر الكثير وتقدم في غزوة تبوك انهم عطشوا عطشاً شديداً فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيراً فأدع الله لنا ان يسقينا قال : اتحبون ذلك ؟ قال نعم ، فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء اي غيمت وظهر فيها سحاب فانكبت ، فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر .

وروى ابن اسحق في مغازيه عن عمر وبن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن ابيه عن جدّه عبد الله ان ابا طالب قال : كنت بذي المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة ، كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية فأدركني العطش ، فشكوت الى ابن اخي يعني النبي ﷺ فقلت : يا ابن اخي عطشت وقلت له ذلك وانا لا أرى عنده شيئاً فثنى وركه ثم نزل عن الدابة ، وكان ﷺ رديفاً لأبي طالب ، وقال : يا عم عطشت فقلت نعم ، فأهوى بعقبه الى الأرض اي ضرب الأرض بقدمه فاذا بالماء فقال : اشرب يا عم ، فشربت ورواه أيضاً ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في قصة حفر الخندق قال : رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً وهو ضمور البطن من الجوع ، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغراً ، وهي الصغيرة من أولاد المعز . وفي رواية عناق داجن اي لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفي رواية : فأمرت امرأتي فطحنت لنا الشعير .

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه : انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤوا الى النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقال : انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، و ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقاً ، فاخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم فقلت : يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافي كادت ان تنضج فقالت امرأته : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه فجئته فسار رنه فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير فتعال انت ونفر معك يعني دون العشرة .

وفي رواية : فقلت طعيم لنا صنعته فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان وكنت اريد ان ينصرف وحده قال : كم هو ؟ فذكرت له فقال : كثير طيب ، قل لها الا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، فصاح النبي ﷺ يا اهل الخندق ان جابراً صنع سوراً فحيهلا بكم اي هلموا مسرعين والسور الطعام الذي يدعى اليه وفي رواية : فقال قوموا ، فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم : قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم وفي رواية قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله تعالى ، وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق ، فدخلت على امرأتي اقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند اجمعين : فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ فقلت : نعم: فقالت : الله ورسوله اعلم ، نحن اخبرناه بما عندنا .

وفي رواية : انها خاصمته في اول الامر وقالت : بك وبك ، فلما اعلمها بانه اعلم به النبي ﷺ سكن ما عندها وقالت : الله ورسوله اعلم لعلمها بامكان خرق العادة ، ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية

فقال النبيﷺ : لا تنزلن برمتكم ولا تخبرن عجينكم حتى اجيء ثم جاء وفي رواية فجئت وجاء النبيﷺ يقدم الناس ، فأخرجت المرأة له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك ، اي دعا بالبركة ثم قال لجابر ادع خابزة فلتخبز مع زوجتك . ثم قال لها : واقدحي اي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهي اي القوم الـذين جاؤوا معـه الف واقعدهم عشرة عشرة يأكلون فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا اي مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط اي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو .

وفي رواية : فقالﷺ لأصحابه : ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال : كلي هذا وأهدي فان الناس أصابتهم مجاعة وفي رواية : فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا فقال : كلي واهدي فلم نزل ونأكل ونهدي يومنا اجمع وفي رواية : فاكلنا واهدينا لجيراننا فلما خرجﷺ ذهب ذلك وصريح هذا ان الذي باشر الغرف النبيﷺ فيخالف ظاهر قوله : واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على ان مباشر ذلك المرأة ، ويمكن الجمـع بينهما فإنها كانـت تساعده في الغرق .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال ابو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه وهو زوج ام انس لام سليم رضي الله عنها ، وهي ام أنس رضي الله عنهما : لقد سمعـت صوت رسـول الله ﷺ ضعيفـاً اعـرف فيه الجوع . وفي رواية لمسلم ، قال ابو طلحة : جئت رسـول الله ﷺ وقـد عصـب بطنـه بعصابة ، فسألت قالوا : من الجوع وفي رواية للامام احمد : ان ابا طلحة رأى النبيﷺ طاوياً فدخل على ام سليم فقال : هل عندك من شيء يأكله النبيﷺ ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم اخرجت خماراً فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ، اي تحت ابطي ولاثتني اي ببعض الخمار اي ادارت بعض الخمار على رأسـه كالعمامـة ، ثم ارسلتني الى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعـه النـاس فسلمت عليه .

وفي رواية فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ : أأرسلك ابو طلحة ؟ قلـت : نعم ، قال الطعام اي لأجله ؟ قلت : نعم فقال رسول الله ﷺ لمن معه من اصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون او ثمانون رجلاً ، وانطلقت بين ايديهم ولأبي نعيم اخذﷺ

بيدي فشدها ثم اقبل باصحابه ، حتى إذا دنوا أرسل يدي فدخلت وانا حزين لكثرة من جاء معه ، حتى جئت ابا طلحة فأخبرته بمجيئهم قال : يا انس ، فضحتنا . وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة ثم قال ابو طلحة ، يا ام سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم اي قدر ما يكفيهم . فقالت : الله ورسوله اعلم ، كأنها عرفت انه فعل ذلك عمداً ليظهر المعجزة في تكثير الطعام ، ودل ذلك على فضل ام سليم رضي الله عنها ورجحان عقلها ، فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وقال : انما أرسلت أنساً يدعوك وجدك ولم يكن عندناما يشبع من أرى ؟ فقال : ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك ؟ فأتت بذلك الخبز الذي كانت ارسلته مع انس رضي الله عنه ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت اي كسر وعصرت ام سليم عكة .

وفي رواية ، فقال : هل من سمن ؟ فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى خرج ، ثم مسح ﷺ به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال : باسم الله ، فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته في الجفنة يتسع فأدمته اي صيرت ما خرج من العكة اداماً له ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء ان يقول . وفي رواية للامام احمد فقال : باسم الله وفي مسلم فمسحها أو دعا فيها بالبركة وفي رواية للامام احمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : باسم الله اللهم اعظم البركة فيها ، ثم قال : ائذن لعشرة اي بالدخول لانه ارفق ، ثم العشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون او ثمانون ، ثم اكل النبي ﷺ وأهل البيت ، وتركوا سوراً اي بقية وفي مسلم : وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا ولأبي نعيم : حتى اهدت ام سليم لجيرانها . وهذه القصة قبل انها جرت ايام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة ، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي ﷺ للصلاة فيه حين حاصره الأحزاب بالمدينة في غزوة الخندق . ووقع في هذه القصة اختلاف في الألفاظ في روايات كثيرة وفي بعضها انهم صنعوا له ﷺ عصيدة وهو محمول على تعدد القصة ، وتكرر ذلك وتقدم في غزوة الحديبية وفي غزوة تبوك ايضاً ان الصحابة اصابتهم مجاعة فاستأذنوه ﷺ في نحر بعض ظهورهم ، فأذن فقال عمر رضي الله عنه : يا نبي الله ، لو امرتهم ان يجمعوا فضل ازوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة . فقال ﷺ : نعم ؟ فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملؤه . فقال ﷺ اشهد ان لا اله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير

شاك فيحجز عن الجنة .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها ، فقالت لي امي ام سليم : لو اهدينا الى رسول الله ﷺ هدية ، فقلت لها : افعلي فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت حيساً فجعلته في تور ، وهو اناء من صفر او حجارة .

وفي رواية للبخاري : في برمة فقالت : يا انس اذهب بهذا الى رسول الله ﷺ فقل : بعثت بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام . فقال ﷺ : ضعه اي التور ، ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالاً سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاصّ بأهله قيل لأنس : كم كان عددكم ؟ قال : زهاء ثلثمائة فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحبسة وتكلم بما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه ويقول لهم : اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه ، قال : فأكلوا كلهم حتى شبعوا ، ثم قال لي يا أنس : اوقع فرفعت فما أدري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : ان ام مالك الأنصارية كانت تهدي الى النبي ﷺ في مكة لها سمناً فيأتيها بنوها ، فيسألون الأدم وليس عندهم شيء ، فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمناً فما زال يقيم لها أدم بنيها حتى عصرنه فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال : اعصرتيها ؟ فقالت : نعم : قال : لو تركتيها ما زال قائماً .

وروى ابن ابي عاصم وابن ابي خيثمة عن ام مالك الأنصارية انها جاءت بعكة سمن الى النبي ﷺ فأمر بلالاً بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة فجاءت فقالت : انزل في شيء . قال : وما ذاك ؟ قالت : رددت عليّ هديتي فدعا بلالاً فسأله فقال : والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت ، فقال : هنيئاً ، لك هذه بركة يا ام مالك هذه بركة ، عجل الله لك ثوابها ثم عملها ان تقول دبر كل صلاة : سبحان الله عشراً والحمدلله عشراً ، والله اكبر عشراً .

واخرج الطبراني عن انس بن مالك رضي الله عنه عن امه رضي الله عنها قالت :

كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الى النبيﷺ فقال : افرغوا لها عكتها ، ففرغت وجاءت بهافجاءت ام سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمناً فقالت : يا زينب الست امرتك ان تبلغي هذه العكة لرسول اللهﷺ يأتدم بها ؟ قالت : قد فعلت فان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الى النبيﷺ فأخبرته فقال : جاءت بها فقلت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمناً تقطر . فقال : اتعجبين يا ام سليم ان الله اطعمك .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : ان رجلاً من أهل البادية اتى النبيّﷺ يستطعمه فأطعمهاي أعطاه مشطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله ، فأتى النبيﷺ فأخبره فقال له : لو لم تكله لاكلتم منه اي دائما ولقام بكم اي مده حياتكم من غير نقص ، وهذا الرجل . قال بعضهم : هو جد سعيد بن الحرث استعان بالنبيﷺ في إنكاحه فأنكحه امرأة ، فالتمسﷺ ما سأله فلم يجد ، فبعث ابا رافع وأبا ايوب بدرعه فرهنها عند يهودي في شطر وسق من شعير ، فدفعهﷺ إليه قال : فأطعمنا منه واكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه ، فأتى النبيﷺ فأخبره فقال له : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ، والحكمة في ذهاب السمن حين عصرت ام مالك العكة واعدام الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله .

قاله النووي في شرح مسلم ، وقيل : انما كان ذلك لافشائه سرّاً من أسرار الله ينبغي كتمه ولا يعارض هذا قولهﷺ كيلو طعامكم يبارك لكم فيه لأنه فيمن يخشى الخيانة او كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه ، لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل شرط بقاء الباقي مجهولاً أو كيلوا عند الشراء او ادخاله المنزل .

وروى الترمذي وشيخه الدارمي عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال : كنا مع النبيﷺ نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة ، قلنا فما كانت تمد اي ايّ شيء كانت تزاد به ؟ قال : من أي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا ؟ وأشار بيده الى السماء ، والمراد من احسان الله معجزة لهﷺ .

وفي رواية عن سمرة ايضاً رواه الترمذي والدارمي وابن ابي شيبة والحاكم والبيهقي وابو نعيم قال : اتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقبوها . اي قعد عليها عشرة بعد عشرة ، من غدوة حتى الليل ، يقوم قوم ويقعد آخرون ، فقال رجل لسمرة هل كانت تمد ؟ فقال : ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء .

وروى الامام احمد والترمذي والنسائي عن سمرة أيضاً رضي الله عنه نحو ذلك .

وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ : هل مع احد منكم طعام ؟ فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مشعانّ اي ثائر الرأس شعثه طويل جداً بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ ابيعاً ام عطية ، او قال : ام هبة ؟ قال : لا بل بيع ، فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن ان يشوى ، وايم الله ما في الثلاثين ومائة إلا وقد حز له النبي ﷺ جزة من سواد بطنها ، ان كان شاهداً اعطاه اياه وان كان غائباً خبأ له ، فجعل منها قصعتين فأكلوا اجمعون وشبعنا ، ففاضت القمعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهر وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل .

وروى الامام احمد والبيهقي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال : لما نزل قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب اي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا اربعين رجلاً منهم جماعة الواحد منه يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، وهو اناء يسع اثني عشر صاعاً ، وذلك ستة عشر رطلاً فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن العس قدح من خشب يروي الثلاثة والأربعة ، فشربوا منه حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه ، فلما أراد ﷺ ان يتكلم قال ابو لهب : سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم ، فلما كان الغد اعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فأعاد ذلك ثالثاً ثم دعاهم الى الله وحذرهم عنا به فقال ابو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ الى آخر السورة .

وروى ابن ابي شيبة والطبراني وابو نعيم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : امرني رسول الله ﷺ ان ادعوا أهل الصفة لطعام يأكلونه عنده ، فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت

بين ايدينا صحفة فيها طعام فأكلنا ما شئنا ، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت اي لم تنقص شيئاً ، الا ان فيها اثر الأصابع .

قال ابو نعيم في الحلية : كان اهل الصفة نيفاً ومائة . وفي عوارف المعارف : انهم كانوا نحو الأربعمائة .

وروى الطبراني والبيهقي عن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنه : انه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما ، اي طعاماً يكفي رجلين فقط . فقال له النبي ﷺ : ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام ، ثم قال : ادع ستين فكان مثل ذلك ، ثم قال : ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج احد منهم حتى اسلم ، وبايع رسول الله ﷺ على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم .

قال ابو ايوب : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين ، والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي ﷺ أشراف الأنصار ليتألفهم وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه ، وقد كان ذلك وسماهم أنصاراً لعلمه ﷺ بأنهم سينصرونه وتفاؤلاً بذلك .

وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين العابدين رضي الله عنهم : ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدراً لغدائهما ووجهت علياً رضي الله عنه الى النبي ﷺ ليتغدى معهما ، فأمرها ﷺ فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ، ثم رفعت القدر وأنها تفيض اي لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته ﷺ ، فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ما شاء الله .

وروى ابو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان النبي ﷺ أمره ان يزوّد اربعمائة راكب من احمس من تمركان في علية ، فقال : يا رسول الله ، ما هي الأصوع اي ليس ذلك التمر يكفي هؤلاء القوم لقلته قال : اذهب وافعل ما آمرك به اي ولا تبال بقلة التمر ، فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل اي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شيء .

ورواه البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا انه قال : اربعمائة

راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة ، او انـه كان بعضهـم من احمس وبعضهـم من مزينة .

وروى البخاري : حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة قضاء دين ابيه لما استشهد يوم احد وعليه دين أراد اداءه لغرمائه ، وكان قد بدل الغرماء ابيه اصل ما له اي ببستاناً له ونخلاً كان يتقوت منه ، فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم ، فكلم رسول الله ﷺ في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهوداً فلم يرضوا فجاء النبي ﷺ بعد ان امره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها اي جعلها كوماً كوماً في أصول النخل ، فمشى ﷺ في ارضها ودعا الله تعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت، فأوفى منها جابر الغرماء وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك ، وقال النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه: ائت ابا بكر وعمر فأخبرهما اي ليسرّ بذلك ويزدادا ايماناً .

وروى البيهقي والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : أصاب الناس مخمصة اي جوع زاد في رواية : في بعض غزواته ﷺ وفي اخرى ، انها غزوة تبوك فقال لي رسول الله ﷺ : هل من شيء : قلت : نعم شيء من التمر في المزود قال : فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية انها بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال : ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال : ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ، وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي : خذ ما جئت به وأدخـل يدك واقبض منـه ولا تكبـه ، فقبضت على اكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت اهلي ومن اردت اطعامه حياة رسول الله ﷺ وابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، الى ان قتـل عثمان رضي الله عنـه فانتهـب منـي فذهب ، وانما قال له : خذ ما جئت به لانه بقي بعد أكلهم ما جاء به كحاله ، فأمره برده الى محله وان يأخذ منه كل ما أراد .

وفي رواية الترمذي : فقد حملت من ذلك التمركذا وكذا من وسق في سبيل الله اي جعلته محمولاً معي في اسفاري وانا غاز في سبيل الله .

وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه: ان ابا هريرة رضي الله عنه اصابه الجوع مرة فاستتبعه النبي ﷺ اي طلب منه ان يتبعه فتبعه فوجد ﷺ في بيته لبناً في قدح قد اهدى اليه ﷺ ، فأمر ابا هريرة رضي الله عنه ان يدعوا اهل الصفة قال : فقلت ما موقع

هذا اللبن منهم اي ما مقداره القليل كاف منهم كنت احق به . منهم لشدة جوعتي ، ولا بد من امتثال امر النبي ﷺ فدعوتهم اليه ﷺ : فأمرني ان اسقيهم فجعلت اعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروي ، ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم ، قال ابو هريرة رضي الله عنه : فاخذ النبي ﷺ القدح وقال : بقيت انا وانت اقعد فاشرب ، فشربت ثم قال : اشرب ، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكاً ، فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة .

وروى البيهقي من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى ابن قصي اسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات في الطريق ، وهو ابن اخي خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها ، واخو حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فمر به النبي ﷺ مرة فأعطى النبي ﷺ شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له ، وكان عيال خالد كثيراً ما يذبح الشاة لأجلهم فلا تكفيهم عظماً عظماً لكثرتهم ، فأكل النبي ﷺ من تلك الشاة وجعل فضلتها في دلو لخالد ، ودعا له بالبركة .

وفي رواية انه قال : اللهم بارك لأبي خناش فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ببركته ﷺ وبركة دعائه قال القاضي عياض في الشفاء : واكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح اي من الأحاديث ، وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم اضعافهم من التابعين ، ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ، ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن ان يسكت من حضرها على ما انكره . ويلتحق بهذا ما ذكره في الشفاء مما اخرجه البيهقي وابن سعد وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، انهم كانوا في غزوة مع النبي ﷺ وكانوا زهاء ثلثمائة ، فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبي ﷺ اي امر بحلبها فأروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ، ثم قال ﷺ الرافع مولاه ، املكها وما اراك مالكا لها ، فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت اي انحل وثاقها وغابت وفي رواية قال رافع : ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فأخبرت النبي ﷺ فقال : يا رافع ، ذهب بها الذي جاء بها .

ومن معجزاته ﷺ : احياء الموتى وكلامهم له ﷺ . روى البيهقي في الدلائل انه ﷺ دعا رجلاً الى الاسلام فقال : لا اؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي ﷺ : ارني قبرها

فأراه اياه ، فقال ﷺ : يا فلانة ، فقالت : لبيك وسعديك ، فقال ﷺ : اتحبين ان ترجعي ؟ فقالت : لا والله يا رسول الله ، اني وجدت الله خيراً لي من ابوي ، ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا . وهذه القصة اوردها القاضي عياض في الشفاء بلفظ . وعن الحسن اي البصري أتى رجل النبي ﷺ فذكر انه طرح بنية له في واد كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة ، احيي باذن الله ، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك . فقال لها : انّ ابويك قد اسلما فان أحببت ان اردّك عليهما : قالت : لا حاجة لي فيهما ، وجدت الله خيراً الي منهما .

وروى ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم عن انس رضي الله عنه قال : كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته عجوز عمياء مهاجرة ، ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان اصابه وباء المدينة فمرض اياماً ثم قبض فغمضه النبي ﷺ وأمره اي انساً بجهازه ، فلما اردنا ان نغسله قال ÷ يا أنس ، ائت امه فأعلمها قال : فاعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : مات ابني فقلنا : نعم فقالت : اللهم انك تعلم اني اسلمت اليك طوعاً وخلعت الأوثان ، زهداً ، وخرجت اليك رغبة ، اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ، ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله ، فوالله ما انقضي كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي ﷺ وهلكت امه ، وهذا وان كان كرامة لأمة فانما اعطيتها ببركته ﷺ لدخولها في دينه ، وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه .

وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها : انه ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً ، فأقام بها ما شاء الله ثم رجع مسروراً قال : سألت ربي عزوجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردّها الى الموتى ، وكذا روى من حديث عائشة رضي الله عنها إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أوّل السيرة مستوفى ، فارجع اليه ان شئت .

ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : كان خارجة بن زيد من سراة الأنصار أي أشرافهم ، فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر إذ خرَّ فتوفي ، فأعلمت به الأنصار فأتوه فاحتملوه إلى بيته وسجوه بكساء وبردين ، وفي البيت نساء من نساء الأنصار يبكين

عليه ، ورجال من رجالهم . فمكث على حاله مسجى لأنهم شكوا في موته لكونه مات فجأة ، فأخروا تجهيزه ودفنه حتى إذا كان بين المغرب والعشاء إذ سمعوا صوت قائلا يقول : أنصتوا أنصتوا فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسوا عن وجهه الغطاء فإذا هو قائل : محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الأوّل . ثم قال : صدق . صدق . ثم قال : هذا رسول الله ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة بركاته ، ثم عاد ميتاً كما كان . وكأنه رأى روحه ﷺ حاضرة عنده ، لأن ما ذكره بعد وفاته .

وفي رواية : وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي اثني عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ، ولم يذكر علياً رضي الله عنه لأن ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وإنما ألحق هذا بما نحن فيه ، وإن كان بعد وفاته ﷺ ، لأن هذا الكلام بعد الموت كرامة ، وكرامات أمته ﷺ من معجزاته . أو يقال : انه إذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه ﷺ ؟

ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الأنصار ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة ، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم ، فنظرنا اليه فإذا هو ميت .

وتقدم في غزوة خيبر حديث الشاة المسمومة ، وذلك أن يهودية أهدت له ﷺ شاة مشوية قد سمتها ، فأكل ﷺ منها وأكل القوم فقال : ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني انها مسمومة .

وفي المواهب عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من الأنصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال : محمد رسول الله ، أخرجه ابو بكر بن الضحاك ، وأخرج ابو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذبح شاة وطبخها ، وتردَّ في جفنه وأتى به رسول الله ﷺ ، فأكل القوم وكان ﷺ يقول لهم : كلوا ولا تكسروا عظماً ثم إنه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام ، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال : خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها ، فأخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذ أنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة : ما هذا يا جابر ؟ قلت : والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ﷺ ، دعا الله فأحياها فقالت : أشهد أنه رسول الله . ورواه أيضاً الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب .

ومن معجزاته ﷺ كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوّته ﷺ ، وإبراء ذوي العاهات ببركته ﷺ . روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادي عن معرض ـ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة ـ معيقيب اليماني قال : حججت مع النبي ﷺ في حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيته ﷺ فيها ووجهه مثل دائرة البدر .

وفي رواية لابن قانع : كأن وجهه القمر ، ورأيت منه عجباً ، جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله ﷺ : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال : صدقت ، بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى ﷺ : بارك الله فيك .

قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى : قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن ، وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال :

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الاخدود يريه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي ﷺ فتقدم في أوّل السيرة ، أنه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى ، وكان يناغي القمر ويكلمه ، وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير ، فلا حاجة الى الإطالة به .

وروى البيهقي : مرسلاً أن النبي ﷺ أتى بصبي قد شب أي كبر وصار شاباً وهو لم يتكلم أي لأنه خلق أخرس ، فقال له النبي ﷺ : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، فأنطقه الله معجزة بعدما كان أبكم فهو بمنزله الميت والجماد ، لعدم القدرة على النطق .

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابني به جنون وانه

ليأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فمسح رسول الله ﷺ صدره بيده الشريفة فثع ثعة ـ بفتح المثلثة وشد العين ـ يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجر والأسود يسعى ، وشفاه الله .

وروى ابن ابي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها ، انه ﷺ أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسحه به ، فبرأ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس . وتقدم في غزوة أحد أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذه بيده ، فجاء بها الى النبي ﷺ فقال له : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها . فقال : يا رسول الله ، إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ، ولكن تردّها وتسأل الله لي الجنة ، فأخذها ﷺ بيده وردّها الى موضعها وقال : اللهم اكسه جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الاخرى .

روى البيهقي : انه ﷺ بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحرث بن ربعي الأنصاري السلمي رضي الله عنه ، قال رضي الله عنه : فما ضرب علي ولا قاح أي ما أوجعني ولا سال منه قيح .

وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً أعمى قال : يا رسول الله أدع لي أن يكشف عن بصري يعني يزيل عني العمى ، فقال له رسول الله ﷺ : انطلق فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري ، اللهم شفّعه فيّ ، فما قام القوم من مجالسهم ، إلا ورجع الرجل وقد أبصر ، وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى ، وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة . قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء : فلم يبق فيه شبهة فاحفظه .

وروى أبو نعيم : ان ملاعب الأسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبي ﷺ قاصداً يلتمس منه ، الدعاء وأن يشفيه الله ببركته فأخذ ﷺ بيده الشريفة حشوة من الأرض فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجباً يظن أن قد هزىء به ، فأتاه بها وهو على شفا أي قريب من الموت ، فشربها اي بعد أن وضعها في ماء فشفاه الله ببركته ﷺ .

وروى ابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني : أن فديك بن عمرو السلاماني جيء به الى النبي ﷺ وعيناه مبيضتان ، وهو عبارة عن العمى ، فسأله عما أصابه فقال : كنت أقود جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصبت في بصري فلا أبصر شيئاً ، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر ، فكان يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة .

وتقدم في غزوة خيبر أنه ﷺ قال : لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، ثم بعث الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان به رمد فجيء به الى النبي ﷺ فوضع رأسه في حجره ﷺ ثم بصق في عينيه . وفي رواية : فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع .

وروى البخاري في صحيح عن المكي بن ابراهيم قال : حدثني يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة . وهذا من ثلاثيات البخاري .

وفي الشفاء ورمي كلثوم بن الحصين رضي الله عنه يوم أحد في نحره ، فبصق رسول الله ﷺ فيه أي في نحره ومحل جراحته فبرأ .

وروى الطبراني : انه ﷺ تفل على شجة عبد الله أبن أنيس ، فلم تمد أي لم يبق فيها مدّة وقيح .

وروى أبو القاسم البغوي باسناده عن معاوية بن الحكم قال : كنا مع النبي ﷺ يعني في غزوة الخندق كما قال السيوطي ، فأنزى أخي علي بن الحكم فرساً له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق ، فدقها فأتى النبي ﷺ وما نزل عن فرسه فمسحها له وقال : باسم الله فما آذاه شيء ، وقد عُدّ أبو حاتم البغوي في الثقبات .

وروى ابن اسحق وغيره : ان معاذ بن عفراء رضي الله عنه قطعت يده يوم بدر ، فجاء بها الى النبي ﷺ فبصق عليها وألصقها ، فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف لذي تفله عليها .

وروى ابن اسحق وغيره أيضاً : ان خبيب بن اساف رضي الله عنه أصيب يوم بدر

بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه ، فرده رسول الله ﷺ ونفث عليه حتى صح .

وروى البيهقي والنسائي والطيالسي باسناد صحيح : ان قدراً انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحي وهو طفل ، فمسح عليه ﷺ ودعا له وتفل عليه فبرىء لحينه .

وروى الطبراني والبيهقي : أن شرحبيل الجعفي رضي الله عنه كانت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف ، وعنان الدابة فشكاها للنبي ﷺ فجعل يطحنها أي يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر ، ففي قوله يطحنها استعارة لطيفة .

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه : انه ﷺ سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذي بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت : إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ، ولم يكن ﷺ يسأله أحد شيئاً فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها الحياء ، فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ :

ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره ، وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة ، وانقلاب الأعيان له ﷺ ببركته وبآثاره ﷺ .

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة كان به بطء في السير ، فلما رجع ﷺ قال لأبي طلحة : وجدنا فرسك بحراً أي كالبحر في شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجاري .

وروى البخاري ومسلم : أنه ﷺ نخس جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه . قال جابر رضي الله عنه : أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة أي وهي غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ، ومر به ﷺ فقال له : ما شأنك ؟ فقال له : أبطأ بي جملي وأعيا فتخلفت ، فنزل ونخسه بمحجن وقال له : أركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله ﷺ ثم اشتراه ﷺ منه ، ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ، ثم وهب نه البعير مع الثمن .

وروى البيهقي : أنه ﷺ صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الأشجعي رضي الله

عنه قال : كنت في بعض غزواته ﷺ على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس ، فقال لي رسول الله ﷺ : ما شأنك ؟ قلت : إنها عجفاء ضعيفة ، فضربها بجحفة كانت في يده وقال : بارك الله فيها ، فلقد رأيتني أوّل الناس ما أملك رأسها وبعث من بطنها عدة كثيرة .

وفي رواية : فحفقها بمخفقة كانت معه قيل : انها الدرة وقيل : العصا والخفق الضرب .

وفي رواية : انه باع من بطنها باثني عشر ألفاً يعني من أولادها وأولاد أولادها .

وروى ابن اسحق وابن سعد عن عبد الله بن أبي طلحة أنه ﷺ ركب حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة الأنصاري فرده هملاجاً أي سريع السير لا يساير .

وروى البيهقي : ان خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت في قلنسوته شعرات من شعره ﷺ ، فكان لا يشهد قتالاً إلا رزق النصر .

وروى مسلم وأبو داود النسائي وابن ماجة عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : أنها أخرجت جبة طيالسة أي ذات أعلام خضر وقالت : كان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها نستشفي بها .

وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : انه ﷺ سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه . وفي رواية : انه تفل فيها .

وروى أبو نعيم : أنه ﷺ بزق في بئر كانت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ، ؛ ومر على ماء في بعض أسفاره فسأل عن اسمه فقيل له : اسمه بيسان وماؤه ملح ، فقال : بل هو نعمان وماؤه طيب ، فطاب ببركته ﷺ .

وروى ابن ماجة والبيهقي : انه ﷺ أتى بدلو من ماء زمزم فمجّ فيه أي ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك .

وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه : انه ﷺ أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشاً فسكتا .

وروى البيهقي أنه ﷺ كان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى

الليل . وفي رواية : أنه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء .

وتقدم في باب ما جاء في شأنه ﷺ عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه انه ﷺ أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب . وقال أدّها لغرمائك عما عليك ، وكان عليه أربعون أوقية . فقال سلمان : وأين تقع هذه مما علي ؟ فأخذها ﷺ فقلبها على لسانه وقال : خذها فان الله سيؤدي بها عنك : قال سلمان : فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقي عندي مثل ما أعطيتهم .

وروى الإمام قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل ، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : سقاني رسول الله ﷺ شربة من سويق شرب ﷺ أولها وشربت آخرها يعني انه ﷺ شرب منها أولاً لتحصل البركة فيها ثم ناوله الإناء فشرب بقيته . قال : فما برحت أجد شبعها إذا جعت ، وريها إذا عطشت .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ أعطى قتادة بن النعمان رضي الله عنه ، وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً ، وقال لقتادة أنطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشراً ، ومن خلفك عشراً ، فإذا ادخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ، ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته ، كما أخبر به ﷺ .

وروى البيهقي :انه ﷺ دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جدل حطب وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال : اضرب به فعاد في يده سيفاً صارماً طويل القامة ؛ أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلباً ، فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يقال له العون .

وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه ﷺ دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد ، وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفاً . وقصة شاة أم معبد مشهورة ، رواها أصحاب السنن السير وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي ﷺ مرّ على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها ، وطلب منها زاداً فقالت : ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها ، فمسح ﷺ ضرعها فدرّت ، فحلب ما كفاه ومن معه

وبقي في الإناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ، ثم قدمت عليهﷺ المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضي الله عنها ، وتقدم عند ذكر رضاع حليمة لهﷺ ، أن حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها لشارفها وهي الناقة المسنة ، فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم ، وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة : إنها نسمة مباركة فقالت : إني والله أرجو بركته الى آخر القصة .

وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وملخصها : انه كان وهو صغير يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول اللهﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، فقال لهﷺ : هل عندك لبن ؟ قال : نعم ، لكني مؤتمن فقال : ائتني بشاة لم ينزل عليها الفحل ، فأتيته بجذعة فاعتقلتها ومسح ضرعها ودعا الله ، وأتاه ابو بكر رضي الله عنه بصحفة فحلب فيها وقال لأبي بكر رضي الله عنه ، اشرب ، ثم قال للضرع ، أقلص ، فعاد كما كان ، وكان هذا هو سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه ، قال : كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع ، فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول اللهﷺ فلم يقبلنا أحد ، فأتينا النبيﷺ فانطلق بنا الى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال : احتلبوا منها لبناً بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبيﷺ نصيبه ، فيجيء من الليل ويشربه ، فوقع في نفسي ذات ليلة أنهﷺ يأتيه الأنصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ، ثم ندمت خشية أنه إذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم ونام صاحباي ، فجاءﷺ كعادته فكشف الإناء فلم يجد شيئاً فرفع بصره الى السماء فقلت : يدعو علي ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لأذبح ما سمن منها ، فإذا هنّ حفل كلهن فحلبت في إناء حتى علت الرغوة ، وجئت اليهﷺ به فشرب ثم ناولني ، فلما علمت أنه روي وأصبت دعوته ، ضحكت حتى استلقيت ، فقالﷺ : إحدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي ؟ فقلت : يا رسول الله ، كان مني كذا وكذا . فقال : ما هذه إلا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها . فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبت فضلك ، من أخطأها من الناس .

وروى ابن سعد ، أنهﷺ أعطى بعض أصحابه وقد أرادوا السفر سقاء فيه ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه بالبركة ، فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فإذا هو لبن حليب

وزبـدة في فمـه .

وفي الشفا : إنه ﷺ مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة في عمـره وصحبته ، فمات وهو ابن ثمانـين فما شاب أي ببـركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم .

وروى ابن حبان أنه ﷺ مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فمكان ما مسته يده أسود وسائر رأسه أبيض ، يعني أنه لم يشب موضع المس .

وروى الطبراني والبيهقي : انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه أي أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه ، حتى قالت زوجته أم عاصم : كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحاً من صاحبتها ، وعتبة لا يمس طيباً فكان أطيب منا ريحاً فقلت له في ذلك فقال : أصابتني الضرى على عهد النبي ﷺ .

وفي رواية قال : أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالأخرى ، ثم أمرّهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون ، والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالباً وتشتد ليلاً .

وروى الطبراني : انه ﷺ سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين ، أي مسح ﷺ وجهه بيده متكئاً عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من أثـر يده الشريفة ﷺ .

وروى ابن الكلبي ، انه ﷺ مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض إلا موضع كف النبي ﷺ ومـا مرت عليه ، فانه أسود أي لم يشب ببركته ﷺ وكان يدعى الأغر لما في وجهه من النور .

وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ، ولا مانع من التعدد . وجاء أنه ﷺ مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء ، وروى انه مسح أيضاً بناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة وما زال على وجهه نور من آثار أنواره ﷺ ، ومسح ﷺ وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه ، فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ، أي يقابل الناظر اليه وجهه

بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة ، لشدة صفاء بشرته .

وروى البيهقي انه ﷺ وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو ـ بالحاء المهملة والذال المعجمة ـ بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتي بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها ، فيضع الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه كف النبي ﷺ فيذهب الورم الذي كان أصابه .

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه ﷺ نفح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله ﷺ وهو يغتسل ، فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت ، وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له ، وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم .

وفي الشفا : أنه ﷺ مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرأوا .

وفي الشفا أيضاً : وأتاه رجل ذو أدرة وهي انتفاخ في الخصيتين ، فأرمه أن يتضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ .

وروى الطبري : أن المهلب بن يزيد الطائي وفد على رسول الله ﷺ وبه قرع ، فمسح برأسه فنبت شعره .

وروى عن طاوس بن كيسان اليماني : لم يؤت النبي ﷺ باحد به مسٌّ أي جنون فصك في صدره إلا ذهب المس .

وروى الإمام أحمد عن وائل ابن حجر : انه ﷺ مج في دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك ، وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ودعا له ، وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ، ومسح ﷺ على رأس عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دمياً أي حقيراً ودعا له بالبركة في خلقته وسائر أموره ، ففرع الناس طولاً وتماماً أي زاد عليهم في الطول وتمام سائر الأعضاء وكمل الله خلقته بدعائه ﷺ .

وفي الصحيحن : أن أبا هريرة رضي الله عنه شكا اليه ﷺ النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه أي فعل فعلاً يشبه من يغرف من شيء ما يضعه في آخر ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئاً . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فما كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله ﷺ إلا عبد الله بن عمر ولتقدم إسلامه ، ولأنه كان يكتب وأنا لا أكتب .

ومن معجزاته ﷺ : اجابة دعائه لأناس دعا لهم أو عليهم ، وهذا باب واسع جداً . قال القاضي عياض في الشفا : إجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة .

وقد جاء في حديث رواه الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا دعا لرجل أدركت ولده وولد ولده أي وصل أثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده .

وروى البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قالت أمي لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله تعالى له ، فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس : فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة أي يزيدون عليها .

وفي رواية : وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطاً ولا ولد ولد ، فقد أجاب الله دعوته ﷺ وجاء انه مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولداً . وفي رواية انه ﷺ قال في دعائه له : وأطل حياته وان أنساً قال : فأكثر الله مالي حتى أن لي كرماً يحمل في السنة مرتين . وولد لصلبي مائة وستة .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : دخل رسول الله ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي : يا رسول الله ، خويدمك أنس ، ادع الله له ، فدعا لي بكل خير ، وكان في آخر ما دعا لي : اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيه . وفي رواية : وأطل عمره واجعله رفيقي في الجنة ، فكان أنس رضي الله عنه يقول بعد أن طال عمره وكثر ماله وولده : وأنا أرجو هذه يعني كونه رفيقه ﷺ في الجنة . ومن دعائه ﷺ كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة أي بأن يبارك الله له فيما رزقه .

قال عبد الرحمن رضي الله عنه : فلو رفعت حجراً من مكانه بيدي لرجوت ببركة دعائه ﷺ أن أصيب تحته ذهباً ، وفتح الله له أبواب الخيرات ، وكان حين قدم المدينة فقيراً لا يملك شيئاً فآخى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فأراد سعد بن الربيع أن يطلق إحدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله . فقال : لا حاجة لي في ذلك بارك الله لك في زوجتيك ومالك ، ثم قال : دلوني على السوق فصار يتعاطى التجارة ، ففي أقرب زمن رزقه الله مالاً كثيراً ببركة دعائه ﷺ ، حتى أنه لما توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفوس ، حتى جرحت الأيدي من كثرة العمل ، وأخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين الفاً وقيل : إن نصيب كل واحدة من الأرفع مائة الف ، وقيل : بل وصلحت إحداهن على نيف وثمانين الفاً من الدنانير ، وأوصى رضي الله عنه بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله ، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن بيعت بأربعمائة ألف ، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار ، وكانوا مائة فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ ، وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته ،وعوارفه العظيمة ، فقد أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق مرة بعير وهي الجمال التي تحمل الميرة ، وكانت تلك العير فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان أرسلها للتجار ، فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها . وجاء أنه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم بأربعين ألف دينار ، ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم بخمسمائة راحلة . وروى انه رضي الله عنه لما حث رسول الله ﷺ على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال : يا رسول الله ، كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة آلاف وأمسكت لعيالي أربعة ، فقال : ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، فبارك الله له في ماله . ومن دعائه ﷺ دعاؤه لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافة . وجاء أنه ﷺ قال : لن يغلب معاوية ، وقد بلغ علياً رضي الله عنه هذه الرواية فقال : لو علمت لما حاربته . ذكره ملا علي في شرح الشفا .

وروى ابن سعد : انه ﷺ قال لمعاوية رضي الله عنه : اللهم علمه الكتاب ، ومكّن له في البلاد ، وقه العذاب ، ودعا له مرة وقال : اللهم اجعله هادياً مهدياً . وورد في فضائله أحاديث أخر ، فكان أوّل التمكين له أن استعمله أميراً أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم فكان أميراً على الشام عشرين سنة ، وانعقد الأمر على استخلافه حين

نزل له الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة ، فبايعه الناس ، وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغي الكف منه لأنه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران ، وللمخطىء أجر واحد ، وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من اصحاب النبي ﷺ أو تنقص أحداً منهم . وقد قال تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين يتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بأنه رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فلا ينبغي لمؤمن أن يتعرض لأحد منهم ، بل يفوّض ما وقع بينهم الى الله ، ويترك الخوض فيه ويعتقد انهم مجتهدون مأجورون . وقال تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم في الجنة رضي الله عنهم . وقال ﷺ : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أي لا فرضاً ولا نفلاً . والأحاديث في ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبتهم ، وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة ، وان يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين .

وعن المقداد رضي الله عنه أنّ سعداً رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يستجيب دعائي . فقال : يا سعد ، إنّ الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته . فقال : ادع الله أن يطيب طعمتي فاني لا أقوى إلا بدعائك . فقال : اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته . وقد خرج أهل الصحيح كثيراً من دعوات سعد رضي الله عنه المستجابة ، وهي مشهورة مأثورة ، فمنها أنّ رجلاً نال من علي رضي الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال : اللهم ان كان كاذبا فأرني فيه آية ، فجاء جمل فتخبطه حتى قتله .

ومنها ما رواه البخاري أن سعد رضي الله عنه دعا على أبي سعدة بقوله : اللهم اطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن .

قال الراوي : فلقد رأيته شيخاً كبيراً سقط حاجباه على عينيه ، يتعرض للجواري

بغمزهن فيقال له : فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد .

وروى الترمذي : أنه ﷺ دعا بعزّ الإسلام أي بأن الله يعز الإسلام أي يقوّيه وينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه ، فكانوا قبل إسلام عمر رضي الله عنه ، لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفاً من المشركين ، فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روى من طرق ، أنه ﷺ خصّ عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، اللهم أيد الإسلام بعمر ، وجمع بين الروايتين بانه اولاً دعا بأن الله يعز الإسلام بأحدهما ، ثم لما تبين له بإعلام من الله وإلهام منه أن اللائق بذلك عمر ، خصه بدعائه ثانياً وكرّره حتى استجيب له .

وتقدمت قصة إسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ، ودعا ﷺ لأبي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله : افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره ، فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوّته لم يتغير بدنه ، ولم يشب شعره ودعا ﷺ للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي ﷺ بها فلما وصل قوله فيها :

فلا خـير في حلـم إذا لم يكن له بوادر تحمـي صفـوه أن يكدرا
ولا خـير في جهـل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمـر أصدرا

فقال له ﷺ : لا يفضض الله فاك ، فما سقطت له سنّ .

وفي رواية : فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سنّ نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة ، وقيل مائة وأربعين ، وقيل مائتين وثمانين .

وروى البخاري ومسلم : أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله : اللهم فقه في الدين ، وعلمه التأويل ، فسمي بعد دعائه ﷺ الحبر وترجمان القرآن ، وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ، ببركة دعائه ﷺ .

وروى البيهقي : أنه ﷺ دعا لعبد الله بن جعفر بن طالب رضي الله عنهما

بالبركة في صفقة يمينه ، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

وروى أبو نعيم : أنهﷺ دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال . قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد : خرج المقداد يوماً لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ، ولم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى بلغ سبعة عشر ، فجاء بها المقداد للنبيﷺ وأخبره بخبره فقال له : أدخلت يدك في الحجر؟ قال : لا ، والذي بعثك بالحق . فقال : صدقة تصدّق الله بها عليك ، بارك الله لك فيها . قالت ضباعة : فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائهﷺ .

وروى البخاري والإمام أحمد أنهﷺ دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد . قال عروة : فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة اي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً .

وقال البخاري في حديث عروة : فكان لو اشترى التراب ربح فيه .

وروى مسلم : أنهﷺ دعا لأمّ ابي هريرة رضي الله عنهما بأن يهديها الله للإسلام فأسلمت ، وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها ، وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصاً على إسلامها فدعاها للإسلام فأبت وأسمعته ما يكره في حق النبيﷺ ، فأتاه وهو يبكي وقال : إني كنت أدعوها للإسلام فتأبى ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهديها . فقال : اللهم اهد أم ابي هريرة ، فخرج مستبشراً بدعائه . فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت : مكانك يا أباهريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب ، فلما دخل قالت : يا أبا هريرة ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول اللهﷺ ، فرجع أبو هريرة رضي الله عنه إلى رسول اللهﷺ فرحاً ، وقال : ابشر يا رسول الله ، فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمي للإسلام ، فحمد الله تعالى فقال : يا رسول الله ادع ، الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم الينا . فقال : اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك وحببهم لهما ، فكان لا يسمع به أحد ولا يراه إلا أحبه . ورواه البيهقي ايضاً في الدلائل .

وروى البيهقي عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ، وقال : كنت مع النبيﷺ وأقبلت فاطمة ووقعت بين يديه فنظر اليها وقد اصفرّ وجهها من الجوع ، فوضع

يده على صدرها وقال : اللهم شبع الجماعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد . قال عمران : فرأيت وجهها وقد احمرّ وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت : ما جعت يا عمران بعد أي بعد دعائه ﷺ لها . قال البيهقي : وكان هذا قبل نزول آية الحجاب .

وروى ابن إسحق والبيهقي وابن جرير : أنه ﷺ دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال : اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال : يا رب إني أخاف أن يقولوا مثله ، فتحوّل الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة ، فسمي الطفيل ذا النور . وتقدّمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم : أنه ﷺ دعا على مُضرَ حين تأخر إسلامهم فقال : اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فاقحطوا حتى اكلوا الجلود والدم والعظام . فقال له ابو سفيان : انك تأمر بصلة الرحم وأن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال : اللهم اسقنا غيثاً مريعاً طبقاً غدقاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار ، فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه ﷺ دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه ، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا .

وروى ابو داود البيهقي : أنه ﷺ دعا على صبي قطع عليه صلاته اي مر بينه وبين سترته ان يقطع الله أثره فأقعد . قال ابن مهران : رأيت مقعداً بتبوك يسمى يزيد بن بهرام فسألته أي عن سبب إقعاده فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وهو يصلي فقال : اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد .

وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : أنه ﷺ قال لرجل رآه يأكل بشماله : كل بيمينك ، فقال : لا أستطيع . فقال له ﷺ : لا استطعت ، فلم يرفعها إلى فيه .

وروى الحاكم والبيهقي وابن إسحق من طرق صحيحة : أنّه ﷺ دعا على عتيبة بالتصغير بن أبي لهب وقال : اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك ، فاكله الاسد ، وقيل إنّ المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير ، لكن الصحيح الأول لأن عتبة المكبر ومعتباً أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضي الله عنهما ، وعقير الأسد إنما هو عتيبة المصغر ، وتقدمت

قصته في باب بمراتب الوحي عند تعداد ما وقع له ﷺ من الأذية ومن دعائه ﷺ دعاؤه المشهور على أبي جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من عتاة قريش ، حين وضعوا السلى على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم ، فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر . وتقدم الكلام على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ما وقع له ﷺ من الأذية .

وروى البيهقي بإسناد صحيح : أنه ﷺ دعا على الحكم بن ابي العاص بن أمية وهو أبو مروان ، وكان يختلج بوجهه أي يحرّك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبي ﷺ ، فقال ﷺ : كن كذلك فلم يزل يختلج إلى أن مات . وتقدم الكلام عليه مبسوطاً في الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم .

وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه ﷺ دعا على محلم بن جثامة الكناني الليثي ، فمات بعد سبع ليال من دعائه ، ولما دفنوه لفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات ، فألقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه ﷺ بعثه في سرية أمر عليها عامر بن الأضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامراً غدراً لأمر كان بينهما ، فلما بلغه ﷺ دعا عليه ، ولما أخبروه ﷺ بأنّ الأرض لفظته قال : إنّ الأرض لتقبل من هو شرّ منه ولكنّ الله أراد أن يجعله لكم عبرة . وهذا الباب واسع جدّا لأن أدعيته ﷺ المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر ، وما ذكر قطرة من بحر وفيه كفاية ، والله سبحانه أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

إخباره بكثير من المغيبات . قال في الشفاء : وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أي ماؤه الكثير ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ، ولا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى . فمن ذلك ما تقدّم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً أي خطب فما ترك شيئاً مما يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثنا به : حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، ورواه البخاري أيضاً لكن رواية أبي داود أبسط ، وفيها أنه ليكون منه الشيء أي يوجد الشيء مما حدثنا به قد نسيته ، فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه . ثم قال حذيفة : ما أدري أنسي أصحابي أن تناسوه أي

اظهروا نسيانه خوف الفتن ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلا قد سماه باسمه وإسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة .

وروى الإمام أحمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرّك طائر جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً أي يذكرنا من طيرانه علماً يتعلق به فكيف بغيره .

وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب السنن ما أعلم به.اصحابه ﷺ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه لغلبتهم ، وفل شوكتهم كفتح مكة ، فانه أخبرهم به قبل وقوعه . ولما فتحت قال لهم : هذا الذي قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس ، وأخبر تميماً الداري رضي الله عنه حين إسلامه بانّ الله سيفتح بيت المقدس ، وأقطعه أرضاً بها ، فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه أعطى تميماً إعطاءه تحقيقاً لوعد النبي ﷺ ، وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشام واليمن والعراق وظهور الأمن في المالك الاسلامية ، حتى تظعن المرأة اي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف إلا الله ، والحيرة مدينة بقرب الكوفة ، وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بانّ المدينة ستغزى ، فكان ذلك في وقعة الحرّة وأعلمهم بفتح خبير على يد علي رضي الله عنه ، فكان ذلك كما تقدّم واخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ، ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر ، فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء ، وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والأختلاف وبأنّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأنّ الناجية منها واحدة وأنّ الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي ، فكان ذلك كما أخبر ، وأخبر بأنّ أمته ستتبع سنن من قبلها شبراً بشبره ذراعاً بذراع ، قال حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم قيل : يا رسول الله ، اليهود والنصارى قال : فمن إذن .

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه : انه ﷺ قال : سيكون لأمته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط ، يعني أنّ أمته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق ، بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق العيشة ، وأنهم يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ، وتوضع بين يدي أحدهم صحفة وترفع أخرى ،

وأنهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة . ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي : وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أي لأنّ الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن ، كما يشاهده من ابتلى به .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنهﷺ : إنّ أمته إذا مشوا المطيطا أي مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم ردّ الله بأسهم بينهم . والمراد به : وقوع العداوة والقتال بينهم ، وسلط الله شرارهم على خيارهم . وأخبر أنّ الروم ذات قرون أي جماعات وملك قائم بديارهم الى آخر الدهر ، بخلاف فارس فانّ الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوتهﷺ ، وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل أي الأشرف فالأشرف من الناس ، وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر ، لا يباليهم الله اي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كالضرمة بالنار ، وهي حشيش يحترق بسرعة . والمراد ارتفاع البركة من الأعوام والأيام ، وأخبر بقبض العلم وظهور الفتن .

وروى الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها : أنهﷺ قال : ويل للعرب من شرّ قد اقترب . وأخبر بأنه زويت له الأرض أي جمعت وضم بعضها الى بعض ، فأري مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك أمته ما زوى له منها ، فكان كذلك . فامتدت مملكتهم في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة وهي بلدة بساحل بحر المغرب .

وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : أنهﷺ قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية رضي الله عنه ، ووصاه إذا تملك بالعدل والرفق وقال له : إذا ملكت فأسجح اي ارفق . قال معاوية رضي الله عنه : فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول اللهﷺ .

وفي رواية : انه قال له : يا معاوية إذا ملكت فأحسن .

وروى الترمذي والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه : أنهﷺ قال : إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً

اي يتداولونه واحداً بعد واحد . والمراد أنهم يستأثرون بالمال ويمنعون الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين ، فكان كذلك .

وروى البيهقي والإمام أحمد أنه ﷺ أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار .

وفي رواية : تخرج الرايات السود من خراسان لا يردّها شيء حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس . وأخبر العباس بأنّ الخلافة قد تكون في ولده فلكانوا يتوقعون ذلك .

وروى الحاكم : أنه ﷺ قال : إنّ اهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً . وأخبر بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما رواه الإمام أحمد والطبراني . وان أشقى هذه الامة الذي يخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه من هذه يعني رأسه ، يشير إلى أنه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته .

وروى الشيخان : أنه ﷺ أخبر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف فكان كذلك .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه ﷺ ذكر فتنة فقال : يقتل فيها هذا مظلوماً يعني عثمان رضي الله عنه ، وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً وأنهم يريدون خلعه ، وانه قال لعثمان رضي الله عنه فلا تخلعه .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : انه سيقطر من دمه على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ وتكلم في هذا الحديث بعضهم . لكن قال المحب الطبري إن أكثرهم يروى إن قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ .

ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال : أوّل الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره ، أخرجه الحافظ السلفي .

وأخبر ﷺ : ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه حياً ، ولقي عمر رضي الله عنه يوماً أبا ذر رضي الله عنه فأخذ بيده وعصرها فقال : دع يدي يا

قفل الفتنة . فقال له : ما هذا يا أبا ذر ؟ قال : جئت يوماً ونحن عند رسـول الله ﷺ فكرهت أن تتخطى الناس فجلست في أدبارهم . فقال ﷺ : لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم .

وروى الشيخان : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً : أيكم يحفظ ما قال رسول الله ﷺ في الفتنة التي تموج كموج البحر ؟ فقال حذيفة رضي الله عنه : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال : أيفتح أم يكسر ؟ قال : يكسر . قال : إذن لا يغلق أبداً . فقيل لحذيفة : من الباب ؟ قال : هو عمر . قيل له : أكان عمر يعلمه ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة . إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام ، فقال له رجل : اصبر أيهـا الأمير فان الفتن قد ظهرت ، فقال : أما وابن الخطاب حيّ فلا إنما ذاك بعده .

وروى البيهقي : انه ﷺ أخبر بمحاربة الزبير لعلي ، وهو أي الزبير ظالم وكان ﷺ رآهما يوماً وكل منهما يضحك . فقال لعلي رضي الله عنه : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني ؟ فقال للزبير : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني ؟ فقال : أما انك ستقاتله وأنت له ظالم ، فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال له : ناشدتك الله أسمعت من رسول الله ﷺ قوله : إنك ستقاتلني وأنت لي ظالم ؟ قال : نعم ، ولكن نسيته منذ سمعته منه ﷺ ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع يشق الصفوف راكباً فعرض له ابنه عبد الله فقال : مالك ؟ قال : ذكرني عليّ حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : لتقاتلنه وأنت ظالم له . فقال له ابنه : إنما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته . فقال : قد حلفت أن لا أقاتله . قال : أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل ، فلما اختلف الأمر ذهب . فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن قاتل الزبير في النار .

وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا علياً لما بايعه الناس ولم يرض بمبايعتهم ، لكنه خشي الفتننة لكثرتهم ولغلبهم ، وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم إياه ، وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان ، وأرادت عائشة رضي الله عنها أن تساوي الأمر بين علي ومعاوية رضي الله

عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضي الله عنه ، فسارت في هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير رضي الله عنهما ، حتى التقوا مع عليّ رضي الله عنه ، وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية ، فلم يتم الأمر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد ، وكانوا كلهم مجتهدين رضي الله عنهم ثم تبين لعائشة رضي الله عنها ان الحق مع عليّ رضي الله عنه في عدم تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم ، فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم ، فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة في عز وإكرام .

وكان النبي ﷺ أشار الى هذا القتال وأخبر به ، وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت مع نساء النبي ﷺ يوماً ، والنبي ﷺ جالس وهن يتحدثن فقال : أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ـ بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة ـ اسم ماء أو موضع في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة .

وفي حديث آخر : أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت ، فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضي الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه ، فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب ، فهمّت بالرجوع فحلوا لها انه ليس الحوأب ، ثم تبين لها الأمر فعادت بعد الصلح كما تقدم .

وروى الحاكم والبيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ذكر رسول الله ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها أي تعجباً من خروج المرأة على الخليفة فقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ، ثم التفت الى علي رضي الله عنه فقال : ان وليت من أمرها شيئاً فارفق بها ، وقد امتثل الأمر رضي الله عنه فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد ، وشيعها علي رضي الله عنه بنفسه أميالاً وسرح بنيه معها يوماً . ومما أخبر به ﷺ من المغيبات أن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية أصحاب معاوية ، وكان هو مع عليّ بصفين وكان كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مجتهداً ، لكن علياً رضي الله عنه هو المصيب في تأخير أمر قتله عثمان ، ومعاوية رضي الله عنه هو المخطىء في طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم ، لكن حيث كان ذلك ناشئاً عن اجتهاد فلا لوم عليه للحديث المشهور أن المجتهد إذا أصاب له أجران وإذا أخطأ له أجر

واحد ، فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، وما عداه زيغ وضلال ، نسأل الله الحفظ منه .

ومن إخباره ﷺ بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ويل للناس منك وويل لك من الناس ، وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك . وسبب قوله ذلك أنه ﷺ احتجم وأعطى دمه لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه ، وكان صغيراً فتوارى وشربه فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال له : أما أنك لن تمسك النار ، وقال له أيضاً : ويل للناس منك وويل لك من الناس ، حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان إلى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله ، وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يكرّ على الصفوف فيهزمها ، وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم .

ومن إخباره ﷺ بالغيب قوله في حق قزمان أنه من أهل النار . وذلك أن قزمان قاتل في بعض الغزوات أي غزوة خيبر وقيل : حنين قتالاً شديداً حتى أعجب الصحابة رضي الله عنهم ، وكان شجاعاً وهو مولى لبعض الأنصار ، فلما رأى الصحابة إقدامه وشجاعته أخبروا النبي ﷺ بخبره فقال : إنه من أهل النار ، ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة ، فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات ، وقيل أنه أخرج من كنانته سهماً فنحر به نفسه . فأخبر النبي ﷺ به فقال : إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وأمر منادياً أن ينادي في الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن . وقوله ﷺ فيه : إنه من أهل النار ، إما لكونه منافقاً ، وأنه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة ، أو أنه استحل قتل نفسه فلا ينافي أن قتل الشخص نفسه لا يقتضي كفره .

وروى الطبراني والبيهقي : انه ﷺ قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب : آخركم موتاً في النار ، فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتاً ، كبر سنه فأصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه ، فأوقدت له نار ليصطلي بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة ، فعلم صحة ما أخبر به ﷺ وأبهم لهم النار حيث لم يبين لهم أنها نار الدنيا ، ليجدوا في أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة ، أو أنه لم يؤذن له في ذلك ، وذلك من الحكم الخفية .

قال ابن حكيم الضبي : كنت إذا لقيت أبا هريرة رضي الله عنه سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك فقال : كنا عشرة في بيت فقالﷺ : آخركم موتاً في النار ، فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره . وكان إذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله . وفي رواية للبيهقي كان إذا أراد أحد أن يغيظ أبا هريرة قال : مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة رضي الله عنهما .

وروى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة : انه ﷺ قال في حنظلة بن ابي عامر الإنصاري الغسيل الذي استشهد يوم أحد ، إني رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه ، فسألوها فقالت : انه خرج جنباً أعجله الحال عن الغسل وكان عروساً ابتنى بجميلة بنت عبد الله بن أبي سلول المنافق ، وكانت امرأة صالحة .

قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه : ووجدنا رأسه تقطر ماء اي وذلك من أثر تغسيل الملائكة .

ومن إخبارهﷺ بالغيب ما رواه الإمام أحمد والترمذي بل وأصحاب الكتب الستة من قوله ﷺ : الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً ، فكانت كذلك بمدة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ، وقال : الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما أقاموا الدين ، أي فاذا غيروا غيرهم الله ، وقد وقع كما قالهﷺ .

وروى مسلم والبيهقي أنهﷺ قال : يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل . قال العلماء : إن المراد بهما الحجاج والمختار بن أبي عبيد قال النووي : أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج : والكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم انه يوحي اليه ، وكان له كرسي يضاهي به تابوت بني إسرائيل ، فهو ضال مضل . وكان في أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم انه يأخذ بثأر الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقاً كثيراً ، واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير . وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر .

ومما أخبر بهﷺ من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن مسيلمة الكذاب يعقره الله . وفي رواية : يقتله . وكان ادّعى النبوّة في آخر حياة النبيﷺ ، فجهز اليه الصديق رضي الله عنه جيشاً وأمّر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا

مسيلمة وقومه حتى قتله الله ،وكان قتله على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ، وشاركه فيه ناس . ففي التعبير عن قتله بالعقر إشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية .

ومما أخبر به ﷺ من ا لمغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنته ﷺ أوّل أهله لحوقاً به أي أول أهل بيته لحوقاً به ، فماتت بعده بستة أشهر .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات : أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم ، فوقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فارتد بعد انتقاله ﷺ كثير من العرب ، إلا أهل الحرمين وأهل البحرين ، فكفى الله أمر المرتدّ بن بأبي بكر رضي الله عنه بعد أن قاسى منهم أموراً شديدة ، فما توفي رضي الله عنه حتى رجعت العرب الى الإسلام .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات ما رواه البزار عن أبي عبيد رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قوله ﷺ : ان هذا الأمر أي دين الإسلام بدأ نبوّة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ، ثم يكون عتواً وجبرية من الجبر ، وهو الإكراه والقهر وفساداً في الأمة ، فكان الامر كما أخبر .

ومما أخبر به من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرني رضي اي الله عنه ،وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبي ﷺ ، وإلا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبي ﷺ ، وعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن ، كان به بياض أي برص فبرأ منه إلا موضع درهم أي لانه دعا الله تعالى أن يزيله إلا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه ، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ، ووصفه ﷺ لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الأدمة ضارب بذقنه الى صدره ، رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ، ذو طمرين لا يؤبه به ، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء . لو أقسم على الله لأبره ، تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء إلا وأنه إذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة ، وقيل لأويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر ، يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما ، فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه ، فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه قام علي أبي قبيس فنادى : يا أهل

اليمن ، هل فيكم أويس ؟ فقام شيخ وقال : لا ندري ما أويس ولكن انه أخ لي أخمل ذكراً وأهون من أن نرفعه اليك وهو في إبلنا يرعاها فعمي عليه عمر رضي الله عنه كأنه لا يريده ثم قال : أي هو؟ فقال : بأراك عرفات . فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي ، فسلما عليه وقالا : من الرجل ؟ قال : راعي إبل أجير . فقالا : لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ فقال : عبد الله . فقالا : كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : ما تريدان مني ؟ فأخبراه بما قاله رسول الله ﷺ لهما . وسألاه أن يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الأيسر لتتحقق العلامة ، فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف ، كما أخبر ﷺ ، وسألاه الدعاء كما أمرهما ﷺ ، ثم سألهما من هما ؟ فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما : جزاكما الله خيراً عن أمة محمد ﷺ ، واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله ﷺ . فقال له عمر رضي الله عنه : مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي ، وكسوة من ثيابي ، فقال : لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم ، وما أصنع بالنفقة والكسوة ؟ ثم أقبل على العبادة .

وجاء في حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرني : وقال الامام احمد : ان سعيد ابن المسيب افضل التابعين : قال القرافي : لعل الامام احمد لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وقال النووي : أفضلية أويس شدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه ، فلا منافاة وقيل : أفضلهم الحسن البصري وقيل : حفصة بنت سيرين : قال بعضهم : ولا شك ان الأفضلية على الاطلاق لأويس ، وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله اعلم .

ومما أخبر به ﷺ من المغيبات ما رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه من اخباره بانه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل معهم ، فانها لك ناقلة ، وقد وقع ذلك كما اخبر ﷺ .

ومما اخبر عنه ﷺ من المغيبات ما رواه البزار والطبراني بسند صحيح : انه ﷺ قال : يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون افياءكم ويضربون رقابكم ، وقد وقع ذلك كما اخبر ﷺ .

وروى الشيخان انه ﷺ قال : خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ،

ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ،وينـذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثـرة اكلهـم وشربهم وترفههم ، وعـدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الأمور .

وروى الشيخان : انه ﷺ قال : هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش . قال أبو هريرة رضي الله عنه : راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان ، وأراد يزيد وبعض بني مروان ولم يسمعهم خوف الفتنة . وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول : اعوذ بالله من رأس الستين وأمارة الصبيان . فتوفي قبل ذلك ، وكانـت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي أراده أبو هريرة رضي الله عنه . وكان ذلك ياعلام من النبي ﷺ .

واخبر ﷺ بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم ، واخبر انهم مجوس هذه الأمة ، وكذا أخبر بظهور الرافضة في احاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله ﷺ : يكون في امتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون .

وأخبر ﷺ في حديث رواه البغوي وغيره: بأنها لا تذهب هذه الأمة حتـى يلعـن آخرها اولها ، وقد وقع ذلك من كثير من اهل البدع يتناولون كثيراً . من الصحابة وأهل البيت ، وكثـير من السفهـاء يتعاطـون سب كثـير من الأولياء كسيدي محيي الـدين بن العربي ، وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما ، فنعوذ بالله من امثال ذلك ، فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله ان ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم . وقال ﷺ : ان الأنصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئاً يضرّ فيه قوماً وينفـع آخرين فيقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم : انكم ستلقون اثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، فكان ذلك كله كما اخبر ﷺ وأخبر بشأن الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه .

وجاء ذلك في احاديث رواها الشيخان وغيرهما اخبر بان آيتهم رجل اسـود احدى ثدييه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم عليّ رضي الله عنه خطب الناس وذكروا الحديث وقال • اطلبوا ذا الثدية ، فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤوا ، به فقال : شقوا قميصه ، فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكراً لله ، اذ

صدق نبيه ﷺ ، وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل اي زاده ذلك يقيناً ، واخبر ان سيماهم التحليق ، اي حلق رؤوسهم ولم يكن في الصدر الأول حلق الرؤوس الا في نسك .

واخبر ﷺ ان من اشراط الساعة ان ترى رعاء الشاة رؤوس الناس ، والعراة الحفاة يتطاولون في البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها ، وعلوه على غيره حتى يصير رئيساً بعد فقره وذله .

ومما اخبر عنه من المغيبات ما رواه الشيخان : ان قريشاً لا يغزونه بعد غزوة الأحزاب ، وانه هو الذي يغزوهم فكان كذلك .

وروى الشيخان انه ﷺ اخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس . والموتان على زنة البطلان ، والمراد منه الموت الكثير ، فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح بين المقدس ، ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس ، نزل بها عسكر المسلمين ، وهو اوّل طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : اتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من ادم فقال : اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ، ثم استفاضة المال وفتنه وهدنة بينكم وبين بني الأصفر .

وروى ابو داود عن انس رضي الله عنه انه ﷺ قال له : يا انس ، ان الناس يمصرون امصاراً وان مصراً منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها ، فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها ، وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ ، وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها . ففي هذا الحديث من اعلام نبوته .

ومن الأخبار بالغيب ما لا يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة ، بناها عتبه بن غزوان رضي الله عنه ، وسكنت سنة ثماني عشرة ، وكان أنس رضي الله عنه ممن سكنها ، ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم .

ومن أخباره ﷺ بالغيب ما رواه الشيخان ، ان امته يغزون في البحر كالملوك على

وروى ابن عدي والبيهقي : انهﷺ قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه : يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد .

وروى مسلم انهﷺ قال في الذين كانوا معه على حرا حين تحرّك بهم وهم : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير اثبت فما عليك الا نبي أو صديق او شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم • وعد بعضهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ، وقد مات بالطاعون ، وهو نوع من انواع الشهادة .

وروى البيهقي : انهﷺ قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ وتقدمت قصة تعرضه للنبيﷺ وانه اخذا أماناً ، ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، فلما سلب الله كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه اتى بسواريه لعمر رضي الله عنه فألبسهما سراقة رضي الله عنه ، تحقيقاً لما اخبر بهﷺ وقال :الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ، وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرّم لأنه انما فعل ذلك تحقيقاً وتصديقاً لقول رسول اللهﷺ من غير ان يقرهما بعد ذلك ، ومثل ذلك لا يعد استعمالاً محرماً .

وروى ابو نعيم في الدلائل والخطيب البغدادي في تاريخه : انهﷺ قال : تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهو نهر بالعراق مشهور ـ تجبى اليها خزائن الأرض يخف بها يعني بتلك المدينة وهي بغداد ، وقد وقع ما أخبر بهﷺ من بنائها في الدولة العباسية ، وجباية الأمول اليها ، وبقي امر الخسف وسيظهر كما اخبر بهﷺ .

وروى الامام احمد والبيهقي : انهﷺ قال : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شرّ لأمتي من فرعون لقومه .

قال الأوزاعي فكانوا يرون إنه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار ، الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الأمة ، وكان سفيهاً مدمناً للخمر ، تفاءل يوماً في المصحف فخرج له ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول :

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد   اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الأسود : فقال ابو سفيان : لا أقول شيئاً ولو تكلمت لأخبرته هذه الحصباء ، فخرج عليهم النبيﷺ وقال : علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم : فقال الحرث وعتاب : نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك .

ومن اخباره بالغيب في الصحيحين . من اعلامهﷺ بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم اليهودي ، وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه في بئر ذروان ، والمشاطة ما يسقطمن الشعر ، والجف وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشاء فكان كما قالﷺ ، ووجد على تلك الصفة فأرسلﷺ بعض اصحابه فاستخرجوه وصارماء البئر كنقاعة الحناء .

وروى البيهقي وغيره : انهﷺ اعلم عمه ابا طالب بأكل الأرضة ما في صحيفة قريش التي تظاهروا بها على بني هاشم حين امتنعوا من تسليم النبيﷺ لقريش يقتلونه ، وان الأرضة ابقت فيها اسم الله تعالى : فوجدوها كما قالﷺ : وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ما اخبر به من الحوادث التي تكون بعده فجاء كثير منها كما اخبر ، وبقي بعض سيظهر كما اخبرﷺ فمما اخبر به مما يكون بعده ما رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان رسول اللهﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء اعناق الابل ببصرى اي وهي مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفي كامل ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبيﷺ : لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من اودية الحجاز بالنار تضيء له اعناق الابل ببصرى .

قال الحافظ بن حجر في شرحه على البخاري ، وكذلك العلامة القسطلاني . وهذا ينطبق على النار التي ظهرت بالمدينة في المائة السبعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادي الاخرة من سنة اربع وخمسين وستمائة ، وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر المذكور ، وجمع بإن الأول نظر لابتدائها الخفي على بعض الناس ، والثاني نظر الى ظهورها للخاص والعام ، واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الأرض بمن عليها ، وعجت الأصوات لباريها تتوسل ان ينظر اليها ، ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن اهل المدينة بالهلكة ، وزلزلوا زلزالا شديداً ، فلما كان يوم الجمعة في نصف النهار ثار في الجوّ

الأسرة ، ولم يكن ذلك في حياتهﷺ فكان ذلك كما اخبر ، والحديث مروى في الصحيحن عن انس بن مالك رضي الله عنه . عن خالته ام حرام بنت ملحان ، وكان رسول اللهﷺ نام عندها يوماً ،ثم استيقظﷺ وهويتبسم فقالت له : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : اناس من امتي عرضوا علي يركبون ثبج البحر اي وسطه كالملوك على اسرة قالت : ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام ، فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال اولاً فقالت : ادع الله ان يجعلني منهم فقال لها : انت من قوله قيل : والصواب انه لا اصل لهذا القيل كما يعلم بالوقوف على عبارة القاموس الأولين ، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنهما ، فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا الهادابة لتركبها . فوقعت وماتت شهيدة رضي الله عنها ، وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر ، فلما سمع هذا الحديث اذن للناس في ركوبه وام حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس ، وقبرها معروف يزار .

وأخبرﷺ ان الدين لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس ، وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي والامام آبي حنيفة والبخاري وأمثالهم رضي الله عنهم ، وظهر فيهم من الأولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعدو ولا يحصى .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : هاجت ريح والنبيﷺ في بعض غزواته اي وهي غزوة تبوك ، وقيل غزوة بني المصطلق ، فقال : انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت ، وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين ، وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما اخبرﷺ ، ووجدوا هلاكه وقت اخبارهﷺ .

وروى الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه انه ﷺ قال يوماً لقوم من جلسائه : ضرس احدكم في النار مثل احد . قال ابو هريرة رضي الله عنه ذهب القوم كلهم اي ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتداً يوم اليمامة ، ولم يعينه لكراهته او طلباً للستر .

وروى ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : انه ﷺ اخبر بالذي غل خرزاً من خرز يهود خيبر ، وكان قد توفي فأخبرﷺ به ليصلي عليه فقال : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه الناس فقال : ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا متاعه وما معه فوجدت تلك الخرزات التي غلها في رحله .

وروى البيهقي : ان ناقته ﷺ ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين : كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي ؟ فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال ﷺ : ما أزعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي ، فهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا ، فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف ، فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد ابن اللصيب .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما اعلم به اصحابه حين تجهز عام الفتح ، وقد اراد اخفاء امره من ان حاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه كتب الى اهل مكة يعلمهم بمسيره ﷺ اليهم ، واخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها : اخفيه ما استطعت، وقال ﷺ لعلي والزبير والمقداد رضي الله عنهم : انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به ، فانطلقوا وجاؤوا بالكتاب فسأل ﷺ حاطباً فاعتذر وحلف انه ما فعل ذلك نفاقاً ولا ارتداداً ، فقبل ﷺ عذره كما تقدم ذلك مبسوطاً في غزوة الفتح .

ومما اخبر به ﷺ من المغيبات ، ما اظهره ﷺ من شأن عمير بن وهب بن خلف لما قدم المدينة ، وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الأسرار وقد توافق مع صفوان بن أمية في الحجر على ان صفوان يتحمل ديناً كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي ﷺ ، فلما قدم المدينة سأله ﷺ ما جاء بك ؟ قال : جئت لهذا الأسير فأحسنوا فيه فقال ﷺ : بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله ، فتحمل دينك وعيالك ، وجئت لتقتلني فقال : اشهد انك رسول الله ، وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان ، فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمدلله الذي هداني للاسلام اشهد ان لا اله إلا الله وأنك رسول الله : فقال ﷺ : فقهوا أخاكم ، وتقدم ذلك في غزوة بدر عند تعداد الاسراء .

ومن اخباره بالغيب قوله ﷺ لأبي بن خلف : انا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبيّ : عندي فرس اعلفها كل يوم فرقاً اقتلك عليها ، وقد حقق الله قول نبي ﷺ : فانه قتل أبياً يوم احد كما تقدم في غزوة احد .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما رواه مسلم : انه ﷺ قام ببدر قبل قتالهم ، وقال : هذا مصرع فلان ووضع يده على الأرض ، ثم قال : هذا مصرع فلان ووضع يده عليها

وذكرهم واحد واحداً مشيراً ، الى مصارعهم فصرعوا كذلك ، ما تجاوز احد منهم موضعه الذي اشار اليه .

ومن اخباره ﷺ بالغيب : ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فكان كذلك وذلك انه لما قتل عليّ كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت ، وكان الذين بايعوه اكثر من اربعين الفاً ، وكانوا اطوع له وأحب من ابيه فبقي نحو سبعه اشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه ، فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن رضي الله عنه انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين ، وعلم معاوية رضي الله عنه مثل ذلك ، فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقا ابيض وقال : اكتب فيه ما شئت وأنا التزمه فاصطلحا ، على انّ الحسن يفوّض الأمر له بشرط ان لا يطلب احداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في أيام أبيه ، فأجابه معاوية رضي الله عنه الى ذلك ، واشترط ان يكون الأمر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين ، وحقق الله قول نبيه ﷺ : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية : ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

ومن اخباره ﷺ بالغيب ما رواه الشيخان من قوله ﷺ لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون ، وذلك ان سعداً رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالأرض التي هاجر منها ، واشتد مرضه حتى أشفى اي اشرف على الموت ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال : يا رسول الله أوصي بمالي كله قال : لا إلى ان قال الثلث والثلث كثير ، وهو حديث مشهور ثم قال له ﷺ : لعلك تخلف اي تعيش حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون ، فشفاه الله من ذلك المرض ، وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناساً أسلموا على يديه ، وغنموا معه وأضر الله به ناساً من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة .

قال النووي : فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما اخبر به فيه .

ومن اخباره ﷺ بالغيب : ما رواه البخاري عن انس رضي الله عنه من اخباره ﷺ

بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر او ازيد ، وذلك انه بعث جيشاً جهة الشأم وقال : اميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب ، فان اصيب فعبد الله بن رواحة ، فان اصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم .

وجاء في رواية : انهﷺ قال : ان الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال : اخذ الراية زيد فأصيب ، ثم اخذها جعفر فأصيب ، ثم اخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناهﷺ تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم ، فلما أتاه بعلي بن امية رضي الله عنه وكان رسولاً من الجيش قال له رسول اللهﷺ : ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال : اخبرني فأخبره ووصفهم له فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً

وروى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انهﷺ اخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني ارض الحبش وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات .

وروى البيهقي : انهﷺ اخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات : فلما تحقق ذلك اسلم .

وروى الماوردي في اعلام النبوّة ان النبيﷺ اخبر أصحابه بان فيروز الديلمي قتل الأسود العنسي الذي ادّعى النبوّة بصنعاء فكان كذلك .

وروى الامام احمد انهﷺ اخبرأبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وانه يعيش وحده ويموت وحده ، فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها .

وروى مسلم انهﷺ اخبر ان اسرع زوجاته لحوقا به اطولهنّ يداً اي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام ، وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها اكثرهن صدقة ، فكانت اوّل الزوجات موتاً .

وروى البيهقي ، انهﷺ اخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف ، وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلاء ، وأخرجﷺ بيده تربة وقال : فيها مضجعه : وفي رواية : انّ جبريل عليه السلام جاء بها .

وفي هذا الحديث معنى لطيف وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب ، فشاركه في التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ، ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى .

وروى الشيخان انه ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وكانت دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا .

وروى البيهقي والحاكم : انه ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه : عسى ان يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك . فان سهيلاً رضي الله عنه قام في أهل مكة يوم بلغهم موت النبي ﷺ وخطبهم وثبتهم بنحو قيام ابي بكر رضي الله عنه في اهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم ، كما تقدم بيان قيام سهيل لأهل مكة عن ذكره في جملة أسرى بدر .

وروى ابن اسحق والبيهقي : انه ﷺ قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله لأكيدر دومة : انك تجده يصيد البقر : فخرج خالد بن الوليد ومعه اربعمائة وعشرون فارساً فأتو ، في ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان ، فشدوا عليهما فقتلوا اخاه حسان وأسروا اكيدر فقدموا به على النبي ﷺ فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ، ومات على نصرانيته ، وقيل أسلم وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة والله اعلم .

ومن اخباره

ووكلوا ﷺ بالغيب ما كان يخبر به اصحابه عن المنافقين مما اسرّوه واخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ، ومن أقوالهم فيه ﷺ وفي المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه ﷺ امر بلالاً رضي الله عنه ان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل ان يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله اسيداً اذ لم ير هذا اليوم : وقال الحرث : اما

دخان متراكم أمره متفاقم ، ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشى الأبصار .

ونقل العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكرته : انه كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادي الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ، وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة ، فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرّة ترى في صورة البلد العظيم ، عليها سور محيط ، بها عليه شراريف كشراريف الحصون وابراج ومآذن ، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الادكته واذابته ، ويخرج من مجموع ذلك نهر احمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد ، ياخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي ، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، وانتهت النار الى قرب المدينة ، وكان يأتي المدينة ببركة النبي ﷺ نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، وانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها .

قال القرطبي : وقال لي بعض اصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة ، وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى : وقال ابو شامة : وردت كتب من المدينة في بعضها انه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتى حاذى جبل احد . وفي آخر سال منها وادٍ مقداره اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال ، يجري على وجه الأرض يخرج منها مهاد وجبال صغار .

قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة : ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل وفنيت من نزول الاجل وعج المجاورون بالجؤار بالاستغفار . وعموا على الاقلاع عن الاصرار وعلى التوبة عما اجترحوا من الأوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال ونالهم من الخوف والفزع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا ﷺ في امته ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته .

وفي المواهب : ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوماً ، وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج .

وفي شرح البخاري للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة ، كما فهمه القرطبي وغيره ، وكذلك قال النووي في شرح مسلم : وكان ظهورها في ايامه وقد تضمن الحديث ثلاثة امور خروجها من الحجاز

وسيلان وادٍ منه بالنار وقد وجدا ، وأمّا الثالث وهو اضاءة اعناق الابل ببصرى .

قال العلامة القسطلاني : فقد جاء من اخبربه فاذا ثبت هذا فقد صحت الأمارات وتمت العلامات ، ثم ذكر انه جاء من اخبر انه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة ، فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد ، وأما النار التي تسوق الناس الى ارض المحشر ، فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن .

ومن اخباره ﷺ عما سيقع ما رواه ابو داود في سننه من قوله ﷺ عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية .

ومن ذلك اخباره باشراط الساعة وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى علبه السلام ، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة . وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار ، والجنة والنار ، وعرصات القيامة وغير ذلك ، وحسبك هذا الفصل ان يكون مؤلفاً مفرداً يشتمل على اجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم .

ومن معجزاته ﷺ .

ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوّته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه ، وكل ما اكرمه الله به وميزه به على غيره من الأخلاق الزكية والأوصاف المرضية ، ومعرفة ذلك كله من تمام الأيمان ، فان من الايمان التصديق بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبل ولا بعده خلق آدمي مثله ، فكل ما يشاهد من بدنه ﷺ آيات ومعجزات لمن شاهده ، وهي تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن ، وذلك الباطن دليل على ما أورد في قلبه من العلوم والمعارف ، ولله درّ البوصيري حيث يقول :

فهوالذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره ، والمراد انه ﷺ اعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره

في الانصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركاً ،وتميز المصطفى ﷺ بالزيادة التي لم يؤتها غيره . واما قوله ﷺ : اعطى يوسف شطر الحسن ، فالمراد منه ان اوتى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ، وفي الاثر ، ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي : صف لنا محمداً ، فقال : اما اني أفضل فلا : اي لأن صفاته لا يمكن الاحاطة ، بها فقال : الرجل اجمل فقال خالد رضي الله عنه : الرسول على قدر المرسل اي على حالة تليق به ، وهو رسول الله بعثه لتبليغ احكامه ، فمن لازمه انه بالغ الغاية فكل ما تصوّر فيه من كمال دون ما ثبت له ، فان الملك اذا بعث رسولاً لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرّف تام ، ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل ، لأن عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما اعطي ﷺ .

وفي المواهب نقلاً عن القرطبي عن بعضهم انه قال : لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته ﷺ لعجزنا عن ذلك . ولقد احسن البوصيري رحمه الله حيث قال :

اعيا الــورى فهــم معنــاه فليس يرى ‏ ‏ في القــرب والبعــد منــه غــير منفحم

كالشــمس تظهــر للعينــين من بعد ‏ ‏ صغــيرة وتــكلّ الطــرف من امم

وهذا مثل قوله في الهمزية :

انمـــا مثلـــوا صفاتـــك للنا ‏ ‏ س كما مثـــل النجـــوم الماء

يعني ان واصفيه لم يبلغوا حقيقته ﷺ لأنهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك الا مجرّد صورها لا غير .

ولنشرع في ذكر جملة من اوصاف ذاته الشريفة فنقول اما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ احسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً .

وروى الترمذي والامام احمد والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : ما رأيت

شيئاً احسن من رسول الله ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، ومعناه ان جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه اي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ، ولا تختص ببعض/منه دون باقيه ، فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل :

لم لا يضيء بك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق ... وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري : سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ فقال : لابل مثل القمر ، فكأن السائل اراد مثل السيف في الطول فردّ عليه البراء رداً بليغاً . فقال : بل مثل القمر اي في التدوير ، او ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال : بل فوق ذلك ، وعدل الى التشبيه ، بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو ردّ لتوهم السائل ان لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان، لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم : يحتمل أنّ التشبيه ممن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لأنّ السائل شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف ، ولو شبه بالقمر لكان أولى فلذلك ردّ عليه البراء فقال : بل مثل القمر ، وأبدع في تشبيهه ، لأنّ القمر يملأ الأرض بنوره يؤنس كل من يشاهده ، ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما : ان رجلاً قال له : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ فقال : لابل مثل الشمس والقمر ، والمراد انه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور ، فقد كان مستديراً لا طويلاً ، والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان ﷺ أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه : كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ، ولم يكن كثير السمن ولا نحيفاً والمراد انه ما كان في غاية التدوير ، بل كان فيه سهولة وهي احل عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم ، وطبع قويم ، فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن .

وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو في عيني احسن من القمر وفي رواية : بعد قوله حمراء فجعلت اماثل بينه وبين القمر فهو عندي احسن من القمر .

وروى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ اذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها ، دخل على النبي ﷺ يوماً مسروراً تبرق أسارير وجهه ، وهي جمع أسرار جمع سر بكسر السين . وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ، ولذلك قال كعب : كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين ، وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء لمشبه بضياء الشمس ونور القمر .

وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : التفت الينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات ، أو أنه كان متلثماً فلا ينافي ان وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة ، وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها . كأنه دارة قمر .

وروى ابو نعيم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر .

وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي ﷺ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن ، عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه ، اذا مر بالحجر استمله بالمحجن ، ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال ابو اسحق البيهقي الراوي عنها فقلت : لها شبيهي. فقالت : كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله .

روى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوّذ رضي الله عنهما : صفي لنا رسول الله ﷺ قالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

وروى مسلم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي رضي الله عنه ، وهو آخر الصحابة موتاً ولد عام الهجرة وتوفي عام مائة ، حدث يوماً في آخر عمره فقال : رأيت رسول الله ﷺ وما بقي على وجه الأرض احد رآه غيري ، فقيل له صف لنا رسول

الله ﷺ فقال : كان أبيض مليح الوجه .

وروى الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : سألت خالي هند بن أبي هالة وهو اخو السيدة فاطمة رضي الله عنها من امها خديجة رضي الله عنها ، وابوه ابو هالة واسمه النباش ، وقيل مالك ، وقيل زرارة ، وكانت خديجة متزوجة به قبل النبي ﷺ ثم مات عنها ، واما هند ابنه فصحابي رضي الله عنه اسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل ، وهو مع علي رضي الله عنه.، وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما . قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : كان خالي هند بن أبي هالة وصافاً لحلية النبي ﷺ : وكنت أشتهى ان يصف لي منها شيئاً اتعلق به . فقال لي يوماً . كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً اي عظيماً في نفس الأمر ، معظماً في صدور الصدور ، وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، وقالت ام معبد حين وصفته لزوجها : مبلج الوجه تعني مشرقة مضيئة ومنه تبلج الصبح اذا اسفر .

قال في المواهب : وما احسن قول السيد علي وفي رضي الله عنه حيث قال :

ألا يا صاحب الوجه المليح سألتك لا تغيب فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني رجعت فلا ترى الا ضريحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي وداوى لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم في الحب أمسي وأصبح في الهوى دنفاً طريح
محب ضاق بالأشواق ذرعاً وآوى منك للكرم الفسيح

وفي المواهب نقلاً عن النهاية لابن الاثير ، انه ﷺ كان اذا سرَّ فكان وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه ، والملاحكة شدة الموافقة ، والمراد انه يرى شخص الجدر في وجهه ﷺ لشدة ضيائه ، وقول ابن ابي هالة رضي الله عنه في حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر ، وهو أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر لأن البدر هو القمر وقت كما له ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما رأى النبي ﷺ يتمثل بهذا البيت :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنوّر ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه ﷺ معناه الحقيقي أيضاً فمن اسمائه ﷺ البدر ، فقد روى ان الله قال لموسى ﷺ ان محمداً هو البدر الباهر ، والنجم الزاهر ، والبحر الزاخر ، ولهذا أنشد نساء الأنصار لما قدم ﷺ المدينة في الهجرة ومن غزوة تبوك :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

ومن احسن قول ابن الحلاوى في صفته ﷺ :

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه   وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه   لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا

اي فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته ﷺ انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در سيدي محمد وفى رضي الله عنه حيث قال :

كم فيه للابصار حسن مدهش   كم فيه للأرواح راح مسكر
سبحان من أنشأه من سبحاته   بشرا بأسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلاً بالغزال تغزلاً   هيهات يشبهه الغزال الأحور
هذا وحقك ماله من مشبه   وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتى عظيم الذنب في تشبيهه   لولا لرب جماله يستغفر
طلب الملاح بحسنه وجماله   وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة   وله منار كل وجه نير
جنات عدن في جنى وجناته   ودليله ان المراشف كوثر
هيهات ألهو عن هواه بغيره   والغير في حشر الأجانب يحشر
كتب الغرام علي في أسفاره   كتباً تؤوّل بالهوى وتفسر
فدع الدعيّ وما ادعاه في الهوى   فدعيه بالهجر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجر الأذى والهلاك ، ويقال :

تهجر سار وقت الهاجرة اي شدة الحر فكأنه قال مدعي المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر في شدة الحر فأتعب نفسه وآذاها بلام عليه عاجلاً وآجلا .

وأما بصره الشريف ﷺ .

فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ اي ما مال بصره عما رآه ليلة الاسراء وما تجاوزه بل اثبته اثباتاً صحيحاً وما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها ، وقد قال تعالى في علة الاسراء ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ فقوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ يفيد انه ﷺ اعطى قوة البصر بحيث انه لا يحصل له تخيل في شيء رآه حتى يكون على خلاف الواقع ، بل متى تعلق بمبصر أدركه على ما هو به في الواقع ، وان كان في غاية الخفاء .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ، والمعنى ان رؤيته في النهار الصافي والليل المظلم متساوية ، لأن الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك في مدركات العيون .

وروى البيهقي وابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء ، وصح انه ﷺ كان يرى المحسوس من رواء ظهره كما يراه من أمامه .

فقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه : انه ﷺ قال : هل ترون قبلتي ههنا ؟ فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفي رواية ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم ، اني لأراكم من وراء ظهري . وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه : انه ﷺ قال : ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ، فاني أراكم من أمامي ومن خلفي .

وعن مجاهد انه ﷺ كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه ، وهذه الرؤية ادراك وإبصار حقيقية خاصة به ﷺ ، انخرقت له فيها العادة فهي من المعجزات والرؤية عند اهل السنة لا تتوقف عقلاً على مقابلة ، ولا على انفصال أشعة من الرائي متصلة بالمرئي ، نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه ﷺ كما يخرقها

للمؤمنين يوم القيامة ، فيرون وبهم من غير شرط من تلك الشروط .

ومما يدل على قوة بصرهﷺ ، وان الله اعطاه قوة خارقة للعادة انه كان يرى في الثريا اثني عشر نجماً لم يتحقق للناس منها غير ستة أو سبعة ، فلم ير جميعها غير النبيﷺ لقوة جعلها الله في بصره ، ومن قوة بصرهﷺ انه كان يرى الملائكة والشياطين ، ورفع له النجاشي حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ، ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ، ورأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح .

وجاء في حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه انهﷺ كان اذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة فقوله : اذا التفت جميعاً اراد انه لا يسارق النظر ، ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطائش الخفيف ، ولكنهﷺ كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً ، وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الي شيء خفض بصره ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب ، بل لم يزل مطرقاً متوجهاً الى عالم الغيب مشغولاً بحاله متفكراً في أمور الآخرة ، لأن هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه ، وقيل هو كناية عن شدّة حيائه ولين جانبه ، او عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله : نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء أي حال السكوت وعدم التحدث ، لأنه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن واعماله جنانه فيما بعث لأجله او لكثرة حيائه وأدبه مع ربه اولانه بعث لتربية اهل الأرض لا اهل السماء ، والأوّل أحسن : وقوله جل نظره الملاحظة معناه انه يلحظ الشيء بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافي في قوله : واذا التفت التفت جميعاً ، وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد ان نظره الى الاشياء لم يكن كنظر اهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملاً بقوله تعالى ﴿ ولا تمدّن عينيك ﴾ . الآية .

وفي حديث الشمايل في وصف علي رضي الله عنه للنبيﷺ قال : كانﷺ ادعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر ، والمراد انه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهي عروق حمر رقاق .

وفي رواية لجابر بن سمرة رضي الله عنهما : انهﷺ أشكل العينين ، والشكلة هي الحمرة تكون في بياض العين وذلك محبوب محمود ، قال الحافظ العراقي : وهي احدى

علامات نبوته ﷺ ، ولما سافر مع ميسرة الى الشأم سأل عنه الراهب فقال : افي عينيه حمرة ؟ فقال : ما تفارقه فقال الراهب : هو هو .

وفي رواية عن علي رضي الله عنه : انه ﷺ كان ادعج العينين اهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفي رواية : ازج الحواجب سوابغ من غير قرن يعني ان طرفي حاجبيه قد سبغا اي طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا ، وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافي بين الروايتين : وفي رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يحركه ، ويظهره اي يظهر ويرتفع عند الغضب .

وفي المواهب عن علي رضي الله عنه قال : بعثني النبي ﷺ الى اليمن فقمت لأخطب يوماً اي أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن ، فخطبت وحبر من احبار اليهود واقف بيده سفر اي كتاب كبير ينظر فيه ، فلما رآني قال لي : صف لي ابا القاسم . فقلت : ليس بالطويل البائن : ولا بالقصير الحديث يعني المذكور ، فيه جملة من أوصافه ﷺ قال علي رضي الله عنه : ثم سكت فقال الحبر : وماذا فقلت : هذا ما يحضرني الآن اي من صفته قال الحبر ، في عينيه حمرة حسن اللحية ، فقال علي : قده والله صفته . قال الحبرقاني اجد هذه الصفة التي وصفتها يا علي والتي ذكرتها لك في سفر آبائي ، وان اشهد انه رسول الله الى الناس كافة .

وأما سمعه الشريف ﷺ .

فحسبك انه قال : اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع ، الا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى ، رواه الترمذي والامام احمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية ابي ذر رضي الله عنه . وقوله : اطت بفتح الهمزة وشد الطاء ، اي صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها .

وروى ابو نعيم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه اذ قال لهم : تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما تسمع من شيء قال : اني لأسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم .

وأما جبينه ﷺ فقد جاء في وصفه : انه كان واضح الجبين ، والمراد جنس الجبين لان

لكل انسان جبينين وهما مكتنفان الجبهة يميناً وشمالاً . وفي رواية صلت الجبين اي واسع الجبينين : والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم ، وذكر ابن ابي خيثمة انهﷺ كان أجلى الجبين اذ طلع جبينه اي اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ ، وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضي الله عنه :

متى بيد في الليل البهيم جبينه بلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أومن قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكاد لملحد

وروى البيهقي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم : ولا ضرر في ابهامه لأن الصحابة كلهم عدول . قال : رأيت رسول اللهﷺ فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدي محمد وفي رضي الله عنه حيث يقول في وصفهﷺ :

جبينه مشرف من فوق طرته يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته من فوق نوناتها سينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فإياي فاعبدواعليّ فتوكل ،فسر لأهل سور آن اني انا الله الحي القيوم لا أزول ، فصدّقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ، والنعلين والهراوة الجعد الرأس ، الصلت الجبين المقرون الحاجبين الأهدب الاشفار ، الأدعج العينين الاقنى الانفق الواضح الخدّين ، اي سهل الخدّين ليس فيهما نتو ولا ارتفاع ، الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه ، كأن عنقه ابريق فضة .

وفي حديث عن ابي هريرة رضي الله عنه في وصفهﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة .

وفي حديث آخر من رواية هند بن أبي هالة رضي الله عنه : كأن علقه جيد دمية في صفاء الفضة ، والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج في الاشراق والاعتدال وظرف الشكل

وحسن الهيئة والكمال ، لأن صورة العاج يتأنق الناس في صنعتها وبالفضة في اللـون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق افتى الأنف القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه ، وهو معنى قول ابن الأثير وهو السائل الأنف المرتفع وسطه ، ووصف ﷺ بأنه دقيق العرنين اي اعلى الانف حيث يكون الشمم ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين .

وقال ابن ابي هالة رضي الله عنه : اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم اي وليس هو بأشم ، والأشم الطويل قصبة الأنف مع استواء أعلاه .

وأما رأسه الشريف ﷺ

فقد دل على وصفه قول غير واحد انه ﷺ كان عظيم الهامة اي الرأس .

وفي رواية البيهقي عن عليّ رضي الله عنه ضخم الرأس اي عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لأنه اعون على الادراكات ونيل الكمالات ، اما مع الافراط في العظم فهو آية البلادة .

وأما فمه الشريف ﷺ :

ففي مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه ﷺ كان ضليع الفم اي عظيمه أو واسعة من غير افراط ، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفـم لدلالـة السعـة على الفصاحة والصغر على ضدها ، والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم او لمعنى لا يلتفت اليه او ان ذلك بالنسبة للنساء .

وزاد في حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه : كان يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه أي جوانب فمه .

وفي حديث عن البزار والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ واسع الفم أشنب مفلج الأسنان والشنب رونـق الاسنـان وماؤهـا وتحديدهـا ، ومفلـج الاسنان متفرقها : وقال علي رضي الله عنه : مبلج الثنايا بالموحدة اي براقها .

وجاء في رواية : براق الثنايا أي مضيئها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان ﷺ أفلج الثنيتين اي بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين

ثناياه ، وكان ﷺ قوي الأسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان ، فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ، ولا يتوهم في سياق المدح غير هذا ، او كان عليه الصلاة والسلام احسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان ﷺ ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام ، وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى .

وفي رواية جليل المشاش والكتد ، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين اي عظيمها وفي الصحاح : المشاش رؤوس الاصابع اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين .

وفي المواهب عن ابي قرصافة اي وهو جندرة بن خيشنة الكناني الليثي الصحابي رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي ، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي : يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل اي خلقاً وخُلُقاً لا أحسن وجهاً ، ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً ورأينا كالنور يخرج من فيه .

وأما ريقه ﷺ .

فحسبك ما تقدم في قصة فتح خيبر لما بصق في عيني عليّ رضي الله عنه وهو أرمد جيء به يقاد فشفي حتى كأن لم يكن به وجع .

وروى الطبراني : انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الأنصارية هي وأخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديداً اي لحماً مقدداً فمضغ لهن قديدة فأخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها ، فلقين الله اي متن وما وجد لأفواههن خلوف اي تغير رائحة ، وتقدم في معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقه ﷺ .

وروى ابن عساكر : انه ﷺ اعطى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى .

وروى الطبراني : ان امرأة بذية اللسان جاءته ﷺ وهو يأكل قديداً فقالت : الا تطعمني ؟ فناولها من بين يديه فقالت : لا إلا الذي فيك . فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شيء مما كانت عليه من البذاءة .

وأما فصاحة لسانهﷺ وجوامع كلمة وبديع بيانه وحكمه فكانﷺ أفصح خلق الله كلاماً واعظمهم نظاماً وأسرعهم أداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ، ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ، ومنزلة لا يداني منتهاها ، وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانة سيفاً من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ، ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره ؟ فهو أفصح خلق الله اذا لفظ ، وأنصحهم اذا وعظ ، لا يقول هجراً ، ولا ينطق هذراً اي لا يخلط في كلامه ، ولا ينطق بمالا ينبغي لأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، كلامه كله يثمر علماً وشرعاً وحكماً لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته ولا أجزل منه في عذوبته ، وخلق بمن عبر عن مراد الله بلسانه ، وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه ، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ، ان يكون احكم الخلق جناناً ، وأفصحهم لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذر ، مسرع لا يحفظ .

وروى مسلم والبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول اللهﷺ يسرد الحديث سرداً وفي رواية : انما كان حديث رسول اللهﷺ فهماً ، تفهمه القلوب ، كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه ، والمراد المبالغة في الترتيل والتفهيم .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : انهﷺ كان يعيد الكلمة ثلاثاً حتى تعقل عنه .

وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: يا رسول الله ، ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها .

وروى العسكري ان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما قدم بنو نهد على النبي ﷺ وذكر الحديث المتقدم في المكاتبات ، وفيه ذكر خطبتهم وما أجابتهم به النبيﷺ وكلمهم بما هو معروف من لغتهم ، قال علي : فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد ، وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف اكثر قال : ان الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، وتقدم في المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباتهﷺ لقبائل العرب ، وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب .

قال في المواهب : وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند ، وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين .

وفي كتاب الشفا للقاضي عياض : من ذلك ما يشفي العليل . ثم ذكر في المواهب جملة من ذلك كقوله ﷺ : المرء مع من احب كقوله ، الذنب لا ينسى ، والبر لا يبلى ، والديان لا يموت . فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

وفي رواية : ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق : وقوله : الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه . وقوله : القناعة مال لا ينفد وكنز لا يغني وقوله ، الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودّد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم ، وحسن الخلق نصف الدين .

وقوله : لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ، ولا حسب كحسن الخلق ، وقوله لمسلم : من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله . وقوله : التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزاً وصنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال . من صدقة وقوله : أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله : ان من كنوز البر كتمان المصائب . وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ، ومن عير اخا ، بذنب لم يمت حت يعمله ، وقوله من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة . وقوله لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقوله : السعيد من وعظ بغيره ، وقوله : انما الاعمال بالنيات : وقوله نية المؤمن خيره من عمله ، ونية الفاجر شر من عمله ، وأمثال هذه الأحاديث الجوامع مما أطال العلماء في شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعاني والأحكام .

روى الترمذي عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً ، فان اليد العليا هي المنطبة والسفلى هي المنطاة ، ومال

الله مسؤول ومنطي . قال : فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا ، وقد كان من معجزاته وخصائصه ﷺ ان يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب ، وتركيب الفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي ، وما ذلك منه ﷺ الا بقوة آلهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طراً والى الناس سوداً وحمراً فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ اي لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه ﷺ بأي لغة يقع في غاية البيان ، ولا يوجد غالباً متكلم بغير لغته الا قاصراً في الترجمة نازلاً عن الأصيل في تلك اللغة الا نبينا ﷺ ، فانه زاده الله تكريماً وشرفاً اذا تكلم بأي لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والأجناس مما لا يضبطه قياس ، ولا يدخل في تحقيقه الباس ، ومن تكلمه ﷺ بلغة الحبشة ما رواه البخاري من قوله ﷺ : لام خالد وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه .

وفي رواية سنة سنه يعني حسنة يصف لها خميصة اعطاها اياها ، وام خالد رضي الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيئاً من كلامهم ، وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة ، وقوله في قصة طعام جابر رضي الله عنه ، ان جابراً قد صنع لكم سوراً ومعناه بالفارسية الطعام الذي يدعى اليه .

وروى ابن ماجه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : هجر النبي ﷺ وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت اليّ وقال : شكم درد ؟ فقلت : نعم يا رسول الله فقال : قم فصل فان في الصلاة شفاء ، وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ، ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ، ومعناه بالفارسية الوجع ، وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف . فقوله: شكم درد معناه وجع بطن ، والمعنى على الاستفهام أي أبك وجع بطن ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه : نعم ، فقال له قم فصل فان في الصلاة شفاء .

ورواه بعضهم ، دردم بزيادة ميم في آخره ، وهذه الميم في اللغة الفارسية ضمير المتكلم . قال العلامة منلا علي القاري في شرحه على الشفا انه لا يظهر لي وجه خطاب أبي هريرة رضي الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ، يعني كما اذا رأيت إنساناً يشكو شيئاً فأظهرت له ان بك مثل ما به من الشكوى ، اظهاراً

للمطايبة في المخاطبة لزيادة المحبة . وضبطه بعضهم اشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن الا ان يقال ان الكرش قد تطلق ، ويراد بها البطن .

قال مثلا علي : وحديث العنب دودو يعني اثنين اثنين والتمر يك يك يعني واحدة واحدة فمشهور على ألسنة العامة ، ولا أصل له عند الخاصة ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

وأما صوته الشريف ﷺ

فقد روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : ما بعث الله نبياً قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم ﷺ ، فبعثه حسن الوجه حسن الصوت ، وروى نحوه عن علي رضي الله عنه .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قرأ النبي ﷺ في العشاء والتين والزيتون فلم أسمع صوتاً أحسن منه .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه . كان ﷺ حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وروى الطبراني والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : انه ﷺ كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثنايا وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره .

وروى البيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العوانق في خدورهنّ .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس : اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة في بني غنم فجلس في مكانه .

وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ابن عم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا .

وروى ابن ماجه عن ام هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت : كنا نسمع قراءة النبيﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي اي سريري .

قال العلامة الزرقاني : فسماعها له وهي على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته .

وأما ضحكهﷺ

ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول اللهﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً اي ضحكاً تاماً بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته ، انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلى الحنجرة من أقصى الفم . .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه اي اضراسه فهذا كان منه نادراً ولم تره عائشة رضي الله عنها ، ورآه ابو هريرة رضي الله عنه فرواه .

وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام أي بيدي أسنانه ضاحكاً وحب الغمام هوالبرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة .

قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث انهﷺ كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم ، وربما زاد على ذلك فضحك اي ولم يقهقه ، والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار ، فالذي ينبغي ان يقتدى بهﷺ من أفعاله ما واظب عليه من ذلك ، وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز .

وقد روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ : لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه : واذا ضحكﷺ يتلألأ اي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقاً كاشراق الشمس عليها ، وكانﷺ اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاماً له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه ، او إعتباراً وتفكرا بما اتاه به ، وكانﷺ اذا

خطب او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما .

وأمّا بكاؤه ﷺ .

فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ، ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ، ويسمع لصدره ازيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته ، وشفقة من خشية الله ، وعند سماع القرآن وأحياناً في الصلاة ، وقد حفظه الله من التثاؤب ، ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم ابن اخت ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : ما تثاءب النبي ﷺ قط . وفي رواية : ما تثاءب نبي قط .

وفي البخاري مرفوعاً ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب .

وأما يده الشريفة ﷺ :

فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين اي غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة ، وذلك جمال في الرجال وذم في النساء ، وبأنه عبل الذراعين اي قويهما ضخمهما رحب الكفين اي وأسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم ، وقد مسح ﷺ بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيساً وشفقة . قال جابر فوجْدت ليده برداً وريحاً كأنما اخرجها من جونة عطار ، والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب .

قال ابن الاثير : كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم : ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لا سيما في الزمن الحار ، ولا بعد في انه خاص به ﷺ مع كمال حرارته الغريزية .

وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر رضي الله عنه ، لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ او يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف اثره بعد مفارقته لي وأنه لأطيب رائحة من المسك .

وقال يزيد بن الأسود رضي الله عنه ناولني رسول الله ﷺ يده فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك ، رواه البيهقي .

وروى الطبراني عن المستوردين شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال : اتيت النبي ﷺ فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير ، أبرد من الثلج .

وروى الامام احمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه ﷺ دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع ، قال سعد ، فوضع يده ﷺ على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل اليّ اني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة .

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : في صفة النبي ﷺ قال : ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ : ولا شممت ريحاً قط او عرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما اي الكفين في خشونة اي في العظام اي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته ، فكانت كفه ﷺ ممتلئة لحماً غير انها مع ضخامتها كانت لينة ، كما في حديث أنس رضي الله عنه .

وروى الطبراني والبزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أردفني النبي ﷺ خلفه في سفر فما مست شيئاً ، قط ألين من جلده ﷺ ، وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي ﷺ الدم اي أزاله بيده عن وجهه وصدره ، ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس ، رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما .

وتقدمت جملة من بركات يده ﷺ في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه .

وأما بياض ابطه ﷺ

فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة . قال الحافظ ابن حجر ، واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل : كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر ، وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة

ابطيه ولا تنافي بينهما لأن الأعفر ما بياضه ليس بناصع ، وهذا شأن المغابن يكون لهـا في البياض دون بقية الجسد .

وقال الطبري من خصائصه ﷺ ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام . .

قال الولي العراقـي : الخصـائص لا تثبـت بالاحتمال ولـم يثبـت ذلك بوجـه من الوجوه ، ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده ، فان الشعر اذا نتف بقى المكان أبيض ، وان بقى فيه آثار الشعر .

وقال عبد الله بن أرقم الخزاعي رضي الله عنه : كنت أنظر الى عفرة ابطيه ، والعفرة بياض ليس بالناصع ، فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذي جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خالياً عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذي نعتقده انه لم يكن لإبطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولي الدين العراقي .

قال العلامة الزرقاني : وقد يمنع دلالته على ما قال بما تقدم عن الحافـظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضاً من باقي الجسد .

وروى البزار عن رجل من بني حريش وهم بطن من الأنصار قال : ضمني رسـول الله ﷺ فسال علي من عرق ابطيه مثل ريح المسك .

وأما بطنه وظهره ﷺ

فقد جاء انه ﷺ كان مفاض البطن اي مستوى البطن مع الصدر ، عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤوس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره ﷺ بقوله : اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة .

وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : انه ﷺ كان بعيد ما بـين المنكبين اي عريض الصدر ، فقد روى ابن سعد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه ﷺ رحب الصدر أي واسعه .

وأما قلبه الشريف ﷺ

فقد ثبـت له من الـكمال ما لم يثبـت لغـيره وقـد جعـل الله القلـوب محـل السر

والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده ، فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد ﷺ لأنه أوّل مخلوق ، وصورته ﷺ آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء ، فهو أوّلهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الأنبياء كلها وآخرهم ظهوراً في هذا العالم ، إذ لا نبي بعده ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القولب اعلاماً على أسرار القلوب ، فمن تحقق قلبه بسرّ الله اتسعت اخلاقه ، لجميع خلق الله ، فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال ، فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق ، حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ فإذا لم يفد في كفهم عن المعاصي الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ، ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم ، وذلك من سعة الخلق لأنه نفع لهم ، بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا ﷺ جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظم خلقه ، وتكون أحواله وأخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر، ولما كان قلبه ﷺ أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الأولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى : ما وسعني أرضي ولا سما اي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي ، والا فمن قال : ان الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصار الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده .

وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبي ﷺ : ان لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها ، وكان ﷺ قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به ، كما قال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ فلما أسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره ، وقد صحح ان جبريل عليه السلام شق قلبه ﷺ واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك اي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ، ثم غسله في طست وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لأنها من جملة الاجزاء الانسانية التي اقتضت الحكمة وجودها في الانسان ، فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ، ونزعها امر رباني طرأ بعد خلقها ، فخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها ، وأيضا لو خلق سلياً منها لم يكن للآدميين إطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال

باطنه ، كما برز لهم مكمل الظاهر ، وهذا الشق وقع له ﷺ أربع مرات : الأولى : في بني سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضي الله عنها : والثانية : وهو ابن عشر والثالثة : عند البعثة والرابعة : عند المعراج . وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالأولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة ، والثالثة ليتقوى لتحمل اعباء الوحي والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الأرض والسماء ، والشق بأقسامه هو المراد بقوله تعالى ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ فانه لو لم يشرح لكان ضيقاً ، والقلب إذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة ، واذ طرد العدو في الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع ، وتيسر له القيام بأداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة .

وههنا نكتة دقيقة لطيفة هي انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ وقال لنبينا محمد ﷺ ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ فاعطي بلا سؤال .

قال الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه : كان موسى عليه السلام مزيداً اذ قال رب اشرح لي صدري ، ونبينا ﷺ مراداً اذ قال الله له : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ وفرق بين المريد والمراد .

وأما جماعه ﷺ

فقد كان يدور على نسائه اي يجامعهن في الساعة الواحدة من النهار أو الليل وهنّ احدى عشرة ، قال قتادة بن دعامة لأنس بن مالك رضي الله عنه : او كان يطيقه اي الدوران عليهنّ ؟ فقال أنس : كنا نتحدث انه أعطي قوة ثلاثين وفي رواية أربعين رجلاً زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة .

وروى ابو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ اعطيت قوة اربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة .

وروى الامام احمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه ﷺ قال : ان الرجل من اهل الجنة ليعطي مائة قوة في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف ، وبهذا يندفع ما استشكل من كونه ﷺ أعطي قوة أربعين فقط . وسليمان عليه السلام أعطي قوة مائة رجل او الف رجل فان مثار الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس

كذلك ، بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد ، وذلك بأربعة آلاف ، فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير ، وزال الاشكال .

وذكر ابن العربي : انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق ، وكان له في الأكل القناعة فأكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتيادية . كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية ، وهما ما شارك امته فيه من التكاليف ، وما خص به منها ومن كل ما يقرّبه الى الله تعالى ، مما لم يطلع عليه احدا من الخلق حتى يكون حاله كاملاً في الدارين . .

وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه انه ﷺ طاف على نسائه التسع في ليلة وروى مرسلاً انه ﷺ قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً من رجال الجنة ، ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولم يعين فيه ما في القدر.

وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله ﷺ الى جبريل قلة الجماع ، فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل عليه السلام فقال له : اين انت من أكل الهريسة ؟ فان فيها قوة أربعين رجلاً وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوى شهوته لاستكثار الوقاع كالأدوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام ، وكالادوية المثيرة للشهوة .

وأورده الغزالي بانه ﷺ انما فعله لأنه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهنّ أو مات عنهنّ ، فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شيء فلا تقاس الملائكة بالحدادين . قال : وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلي بسباع ضاربة وبهائم عادية فتنام عنه أحياناً فحيتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها ، فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها .

وروى الدار قطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ . أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها .

وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضي الله عنهم وكلها أحاديث واهية ، اوردها ابن الجوزي في الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين ايضاً بأنها موضوعات في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبيﷺ من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما احتلم نبي قط أي لأنه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم .

وأمّا صفة قدمه الشريفﷺ

فقد وصفه غير واحد كعلي وهند وأنس رضي الله عنهم بأنه كان شأن القدمين اي غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذي وغيره وفي رواية ضخم القدمين .

وجاء من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انهﷺ منهوس القدمين اي قليل لحم العقب فيهما ، وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضي الله عنها قالت : رأيت رسول اللهﷺ فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه ، رواه الامام احمد والطبراني ، وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبيﷺ كانت اطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس انّ ذلك في يديه .

قال الحافظ ابن حجر : لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في أصابع رجليه ، وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال : كانﷺ أحسن البشر قدماً رواه ابن سعد .

وامّا طولهﷺ

فقال علي رضي الله عنه انهﷺ لا قصير ولا طويل ، وهو الى الطول أقرب ، رواه البيهقي ورواه الترمذي بلفظ : لم يكن بالطويل ولا بالقصير .

وروى عبد الله ابن الامام أحمد عن علي رضي الله عنه : كان رسول اللهﷺ ليس بالذاهب اي المفرط طولاً وفوق الربعة ، اذا جاء مع القوم غمرهم اي زاد عليهم في الطول فكان فوق كل من معه .

وروى البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه : كان رسول اللهﷺ ربعة وهو الى الطول أقرب . وفي رواية عند الترمذي عن علي رضي الله عنه : لم يكن بالطويل الممغط اي المتناهي في الطول ولا بالقصير المترذذ ، وكان ربعة من القوم ، وفي رواية : عن عائشة

رضي الله عنها : ولم يكن بماشية احد من الناس ينسب الى الطول إلاّ طاله او زاد عليه ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما اي يزيد عليهما طولاً إكراماً من الله حتى لا يزيد عليه احد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي ، واختلف في زيادة طوله ﷺ هل هو باحداث الله له طولاً حقيقة حينئذ ولا مانع منه ، او ان ذلك يرى في اعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته ؟ على حدّ قوله تعالى ﴿ واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم .

قال الزرقاني : وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولي وذلك كيلا يتطاول عليه احد صورة وكما لا يتطاول معنى ، فمثل ارتفاعه المعنوي في عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته ﷺ .

وروى ابن سبع في الخصائص : انه ﷺ كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، وحكمته ان لا يزيد احد عليه صورة كما تقدم . ووصفه ابن أبي هالة بأنه ﷺ بادن متماسك اي معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضاً من غير ترجرج . وفسره بعضهم : بأنه ليس بمسترخي البدن .

وأما شعره الشريف ﷺ

فعن قتادة قال : سألت انساً رضي الله عنه عن شعر رسول الله ﷺ فقال : شعر بين شعرين لارجل ولا سيط اي مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية في الجعودة وهي تكسره الشديد ، ولا في السبوطة وهي عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطاً بينهما ، وخير الأمور اوساطها . .

قال الزمخشري : الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد احسن الله برسوله ﷺ الشمائل وجمع فيه ما تفرق في الطوائف من الفضائل ، وكان شعر رأسه ﷺ يضرب الى منكبيه وفي رواية الى أنصاف اذنيه ، وجمع بانه تارة يكون الى نصف الأذن وتارة الى المنكب . وفي رواية : كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين ، والوفرة ما نزل الى شحمة الأذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافى بين الروايات .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ كان يسدل شعره وكان المشركون

يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء تألفاً لهم ، ثم فرقﷺ رأسه .

قال القرطبي : حبه لموافقتهم كان اولاً في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به ، فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك امر بمخالفتهم في امور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ، وسدل الشعر ارساله . والمراد انه يتركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص ، وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض .

روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : انا فرقت لرسول اللهﷺ رأسه اي شعر رأسه : قال العلماء : والفرق سنة لأنه الذي رجع اليهﷺ : والصحيح جواز الفرق والسدل معاً ، لكن الفرق أفضل .

وروى الترمذي عن ام هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت : قدم علينا رسول اللهﷺ قدمه تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر اي ذوائب . وفي رواية لها : رأيت رسول اللهﷺ ذا ضفائر أربع .

قال في شرح المصابيح : لم يحلق رأسهﷺ في سني الهجرة الاعام الحديبية ، ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع ، فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الأزمنة ، وأقصرها ما كان بعد حجة الواداع ، فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر .

وأما شعر لحيتهﷺ : فقد كانﷺ أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي .

وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال : سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : هل كان رسول اللهﷺ يخضب ؟ فقال : لم يبلغ الخضاب ، كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض . وفي رواية له لم ير من الشيب ، الا قليلاً لو شئت ان أعد شمطات كنّ في رأسه فعلت ، وجاء انّ الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة او ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة . وفي رواية : ما شأنه الله ببيضاء وانما كان كذلك ، لأن النساء يكرهن الشيب غالباً ومن كره من النبيﷺ شيئاً كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولانّ فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه ، والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالاً على ضعف القوة ، ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه

الاعتبارات فلا ينافي انه وقارونور .

روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً الشيب نور من خلع الشيب ، فقد خلع نور الاسلام .

وروى الديلمي عن أنس مرفوعاً ايما رجل نتف شعرة بيضاء متعمداً صارت رمحاً يوم القيامة بطعن به .

وروى ابن سعدان حجاماً أخذ من شاربه ﷺ فرأى شيبة في لحيته فأهوى اليها ، فأمسك ﷺ بيده وقال : من شاب شيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه ﷺ ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما : انه رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة ، فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته ، وحمله بعضهم على عمومه وقال : يصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان بصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما ، والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبي ﷺ شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك ، اي فوافق أنساً على الانكار ، وتأوّل حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر .

وقال النووي : المختار انه صبغ شعره حقيقة لأن التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الأوقات فأخبر كل بما رأى وكان ﷺ اذا ادّهن لم يتبين شيبه لتفرقه ، وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء ، وقد وصفه علي بن ابي طالب رضي الله عنه بانه ذو مسربة ، وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ، ووصفه ايضاً ابن ابي هالة رضي الله عنه بانه كان ﷺ موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ، اي لم يكن عليهما شعر . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل أي تيمناً وتبركاً . وجاء انه ﷺ

لم يحلق رأسه في غير نسك فتبقيه الشعر في الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتـداء بهﷺ سنة .

قال في المواهب : ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته . وعن محمد بن سيرين قال : قلت لعبيدة السلماني عندنا شيء من شعر النبيﷺ أصبناه من قبل انس ؟ فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحب اليّ من الدنيا وما فيها .

وأما مشيهﷺ

فعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ اذا مشى تكفأ تكفؤاً اي تمايل الى قدّام كأنما ينحط من صبب اي كأنما تنزل في موضع منحدر ، والمراد ان مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع ، رواه الترمذي .

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه انهﷺ كان اذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ، وعند الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ما رأيت احداً أحسن من رسول الله ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت احدا اسرع في مشيه من رسول اللهﷺ كأنما الأرض تطوي له اي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه ، مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة اي بالنسبة له لا لمن يماشيه ، بدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه : وإنا لنجهد انفسنا وانه لغيره مكترث اي غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة اي فكان يمشي على هينته ، ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه .

وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال : كان رسول اللهﷺ إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

قال الزمخشري اراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وأقصد في مشيك ﴾ اي اعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين ، لا يدب دبيب المتماوتين ، ولا يثب وثب الشياطين ، وروى انه كان اذا مشى يمشي مجتمعاً اي قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي .

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان يمشي مشياً يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان ، وكان أصحابهﷺ يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول : خلوا ظهري للملائكة ، ولم يكن لهﷺ ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نوراً ، رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان .

وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن للنبي ﷺ ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوؤه ضوء السراج .

قال ابن سبع : كان ﷺ نوراً فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لأن النور لا ظل له ، ويشهد له قوله ﷺ في دعائه : واجعلني نوراً .

وأما لونه الشريف الازهر ﷺ

فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي ابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم . ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها : كان أبيض مليحاً وفي بعضها أبيض مليح الوجه . وفي رواية لأبي الطفيل : ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره ، وفي شعر ابي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وفي رواية عن علي رضي الله عنه : ابيض مشرب بحمرة ، وقال ابو هريرة رضي الله عنه : كان ﷺ ابيض كأنما صيغ من فضة اي كأنما خلق منها ، والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الأنوار والبريق الساطع فلا ينافى انه مشرب بحمرة .

وفي رواية الأنس : ازهر اللون وهو بمعنى قول على ابيض مشرب بحمرة . وفي رواية لأنس : أزهر اللون ليس بابيض امهق اي شديد البياض كلون الجص . وفي رواية ولا آدم اي شديد السمرة .

قال الحافظ ابن حجر ، مبيناً لجموع ما يؤخذ من الأحاديث المتفرقة ، انه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الأدمة وانما يخالط بياضه حمرة ، والعرب قد تطلق على من كان كذلك اسمر ، ولهذا جاء في بعض روايات انس رضي الله عنه : كان اسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل إلى السمرة اي فيه حمرة قليلة .

وفي الشفاء : من قال ان النبيﷺ كان اسود يقتل .

واما طيب ريحه وعرقه ودمه وفضلاتهﷺ

فقد كانت الرائحة الطيبة صفتهﷺ وان لم يمس طيباً . روى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ منذ أسرى به ريحه ريح عروس واطيب من ريح عروس ، والمراد انه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافي انه طيب الرائحة من حين ولد ، كما رواه ابو نعيم والخطيب ان امه آمنة لما ولدته قالت : ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول اللهﷺ .

وفي رواية للبخاري ومسلم : ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبيﷺ ، وإذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرّة ، فلا بدع في أن يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك في نفس حلقته .

وفي رواية للترمذي : ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول اللهﷺ .

وروى أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبيﷺ فقال : يا رسول الله ، إني زوّجت ابنتي وأنا أحب ان تعينني بشيء فقال : ما عندي شيء ولكن إذا كان غداً فأتني بقارورة واسعة الرأس ، وعود شجرة ، وآية ما بيني وبينك ان أجيف ناحية الباب ، فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبيﷺ يسلت العرق عن ذراعيه حتى إمتلأت القارورة فقال : خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة فتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين .

وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان في رسول اللهﷺ خصال أي خارقة للعادة منها : أنه لم يكن يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ، ولم يكن يمرّ بحجر الا سجد له ، ولله در من قال :

ولــو أن ركبــا يممــوك لقادهم　　نســميك حتــى يستــدل به الركب

وروى ابو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه أي الطريق رائحة الطيب ، وقالوا : مرّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق قال بعض العرافين : إن القلب الطاهر الحي يشم منه رائحة الطيب . كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن ، لأن نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره ، والعرق يفيض من الباطن ، فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدوا على الجسد ، والخبيثة بضدها . وما أحسن قوم من قال :

يروح على غــير الطــريق التــي غدا　　عليهــا فلا ينهــى علاه نهاته
تنفســه في الوقــت أنفــاس عطره　　فمــن طيبــه طابــت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تنسمت　　له سحــراً من حبــه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنهما قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهتت فقال : مالك بهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول :

ومبــرأ من كل غبــر حيضة　　وفســاد مرضعــة وداء مغيل
وإذا نظــرت إلى أسرة وجهه　　برقــت بروق العــارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب ، وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضي الله عنها : فقام النبي ﷺ وقبّل بين عيني وقال : ما سررت بشيء كسروري بهذا ، وقوله غبر حيضة ـ بضم الغين وشد الباء ـ ومعناه أن أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به ، يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة ـ بكسر الحاء ـ وقوله : وفساد مرضعة أي ولا حملت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه ، والمغيل يوزن مكرم ـ بالكسر ـ من الغيل ـ

بفتح المعجمة وسكون التحتية ـ وهي أن ترضعه وهي حامل .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤة اي في البياض والصفاء ، وأطيب من المسك الإذفر أي طيب الرائحة .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ فقال : عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنها بقارورة ، فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها . قال القاضي عياض : كانت محرماً له من قبل الرضاع فاستيقظ ﷺ فقال : يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا . وفي رواية : لطيبنا وهو أطيب الطيب . وفي رواية : كان ﷺ يدخل بيت أم سليم وليست فيه ، فينام على فراشها اي لعلمه برضاها وفرحها به . قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك ، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عبيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ قالت : يا رسول الله ، نرجو بركته لصبياننا قال : أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعدها للطيب . وفي رواية قالت : هذا عرقك أدوف أي أخلط به طيبي .

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت كفه ﷺ ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أو لم يمسها ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أي طيباً خليقاً خصه الله به معجزة وتكرمه ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها .

وروى الطبراني عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال : كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وأنه لأطيب من ريح المسك .

وفي الشفاء والمواهب : انه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوّط انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه ، وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط يعني إذا بال أو تغوط على الأرض ، فلا ينافي ذلك ما رواه الحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم عن أم أيمن

رضي الله عنها قالت : قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها ، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر أنه بول أي لطيب ريحه ، فلما أصبح النبي ﷺ قال : يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة فقلت : قد والله شربت ما فيها فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . ثم قال : أما والله لا يجعنك بطنك أبداً .

وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن عبد الله التميمي وأمها رقية بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها ،فرقية خالة السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وكانت أميمة رضي الله عنها صحابية من المبايعات قالت : كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ، وعيدان ـ بفتح المهملة واسكان التحتية ومهملة مفتوحة ـ جمع عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل ، وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما ، وكانت أم حبيبة من أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبي ﷺ : أين البول الذي كان في القدح ؟ قالت : شربته . قال صحة يا أم يوسف اي جعله الله صحة فما مرضت قط ، حتى كان مرضها الذي ماتت فيه .

وصحح ابن دحية انهما قصتان إحداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف . قال في المواهب : وقد وضح ان بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن لأن أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها ، وجاءت معها من الحبشة وأم أيمن هي مولاته ﷺ وحاضنته .

قال القاضي عياض والنووي : حديث شرب المرأة البول صحيح ، وفيه دلالة على طهارة بوله ، وكذا سائر فضلاته ﷺ ، وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياساً ، وكذا حديث الدم الذي شربه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئاً من الأذى . فقال : يا عائشة ، وما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء .

وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : صحبته ﷺ في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته قد دخل مكاناً فقضى حاجته ، فدخلت الموضع الذي خرج منه

فلم أر له أثر غائط ولا بول ، ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهنّ رائحة طيبة وعطراً أي طيباً ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه ﷺ وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره .

وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال : اذهب يا عبد الله فغيبة . وفي رواية : اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد ، فذهبت فشربته ثم أتيته ﷺ فقال : ما صنعت ؟ قلت : غيبته . قال : لعلك شربته ؟ قلت : شربته . وفي رواية قلت : جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس . قال : لعلك شربته ؟ قلت : شربته . قال : ويل لك من الناس وويل للناس منك . فقوله : ويل لك للتحسر والتألم وذلك إشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج . وويل للناس منك إشارة لما أصابهم من حروبه وحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ، وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الإثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه ، فانه بضعة من النبوّة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الإنقياد لغيره ، ممن لا يستحق امارة فضلاً عن الخلافة .

وفي رواية فقال له رسول الله ﷺ : فما حملك على ذلك ؟ قال : قد علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله ﷺ : لا تمسك النار ومسح على رأسه .

وجاء في رواية : إن ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه ﷺ تضوع فمه مسكاً وبقيت رائحته في فمه الى أن صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، وكانت خلافته بمكة تسع سنين .

قال الإمام مالك رضي الله عنه : وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان .

وروى الزبير بن بكار أنه حين ولدته أمه رآه ﷺ فقال : هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال : أرضعيه ولو بماء عينيك كيس كيس بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه ، وهذا مما أخبر به ﷺ من المغيبات ، ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين

وخراسان ، وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان ، فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً حتى لم يبق معه أحد ، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام .

وروي الشعبي قال : هاج الدم برسول الله ﷺ فجمعه أبو طيبة فقال النبي ﷺ : اشكموه فاعطوه ديناراً . وقال لابن الزبير واره يعني الدم ، فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما فشرب الدم ، فبلغ رسول الله ﷺ فعله فقال : أما أنه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار .

قال الشعبي : فقيل لابن الزبير . كيف وجدت طعم الدم ، فقال : أما الطعم فطعم العسل ، وأما الرائحة فرائحة المسك ، وهذا من باب قلب الأعيان الذي عدٌ من معجزاته ﷺ .

وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حجم النبي ﷺ غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فحسا أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر ﷺ في وجهه فقال : ويحك ما صنعت ؟ فقلت : غيبته في بطني . فقال ﷺ : اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ، ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة .

وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي ﷺ في وجهه يوم أحد ، مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال : مجه . فقال : لا والله ، لا أمجه أبداً ثم ازدرده اي ابتلعه . فقال النبي ﷺ : من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا ، فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله ﷺ انه من أهل الجنة . وفي رواية : أنه قال : من سره أن ينظر إلى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك ابن سنان .

وكان ﷺ يتستر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط ، رواه ابن ماجه والترمذي . وعن علي رضي الله عنه قال : أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله غيري ، فانه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه .

وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما بال رسول الله ﷺ قائماً منذ أنزل عليه القرآن . وفي رواية قالت : من حدثكم أن رسول الله ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه ما كان يبول إلا قاعداً . وفي رواية إلا جالساً والمراد من حدثكم أن تلك عادته فلا ينافي ما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ سباطة قوم نبال قائماً ، والسباطة المزبلة وموضع القمامة والأوساخ ، فهذا كان منه ﷺ للتشريع وبيان الجواز ولكونه لم يجد في السباطة المذكورة موضعاً خالياً عن الأوساخ يجلس فيه . وأيضاً عائشة رضي الله عنها : ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة وعادته الدائمة . وقيل السبب في بوله قائماً ما روي عن الإمامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما ، أن العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائماً فلعله كان به وجع صلب .

وروى البيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنما بال ﷺ قائماً لجرح كان بمأبضه ، والمأبض ـ بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة ـ باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود ، وكان ﷺ إذا أراد ان يدخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث أي ذكر ان الشياطين وإناثهم ، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ إظهاراً للعبودية وإلا فهو معصوم من الشياطين كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويجهر بذلك للتعليم وكان إذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنوا من الأرض ، وإذا خرج من الخلاء قال : غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني منه ، وكان يقول : إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره ، وبقية الآداب شهيرة فلا حاجة الى الإطالة بها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن معجزاته ﷺ

ما اكرمه الله به من الأخلاق الزكية والأوصاف المرضية زيادة على ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوّة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوّة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته وسكناته . فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة ، والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار ، والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التي جماعها حسن الخلق . وقد اتصف بها جميعها ﷺ ونحن إذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الأمثال ويتقرر له بذلك الوصف في

القلوب مكرمة يتفرّد بها كما تراه في اشتهار حاتم بالكرم ، وكسرى بالعدل ، وحسان بالفصاحة ، وعنتر بالشجاعة ، فيقولون . أجود من حاتم ، وأعدل من كسرى ، وأفصح من حسان ، وأشجع من عنتر ، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة إلى مالاً يأخذه عدولاً إحصاء ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة وإنما يكون بتفضل الكبير المتعال ، ومن تأمل في صفاته ﷺ وجده حائز الجميع صفات الكمال ، محيطاً بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الأخبار من ثقات الرجال ، بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه إلا مخذول مستغرق في بحار الضلال ، وناهيك بقوله تعالى له : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ ولنشرع في ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول :

اما وفور عقله وحلمه وذكائه ﷺ

فلا مرية إنه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهماً ومن تفكر في تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه ، وقد اطلعه الله على ظواهر احوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد ، داع الى الله وهذا إنما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم ، وهو يتوقف على معرفة ذلك ، فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر في أحكام أمته بالظاهر ، والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الأمر والنظر اليه ، ونبيناﷺ أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن ، فكان ينظر الى ظواهر الخلايق وبواطنهم ، ويعامل كل إنسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه ، فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى أنه يأتيه الأعرابي الجلف فيتلطف به ويسوسه ، حتى ينطق بالحكمة في أقرب زمن ، وكانت الأعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم ، إلى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه ، وقاتلوا دونه أهلهم وأباءهم وآبناءهم ، واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم ، وكانﷺ يخاطب كل إنسان منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله ، وهذا مع ما أفاضهﷺ عليهم من العلم وقرّره لهم من الشرع ، وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشيء من ذلك ، ولا مطالعة للكتب . فمن تأمل ذلك كله تحقق أنهﷺ أعقل العالمين .

قال وهب بن منبه : قرأت في أحد وسبعين كتاباً من كتب الله المنزلة فوجدت في

جميعها أنّ النبيﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

وفي رواية : فوجدت في جميعها أنّ الله تعالى لم يعطجميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا ، أي لم يعطهم جميعاً منه شيئاً نسبته إلى عقله إلا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ، ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول ، اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء ، فمن ذلك اتساع خلقه في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره ، وغير ذلك من كريم أخلاقه .

امّا صبره

فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له ، مع ما ناله منهم من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف ، فصار ينشفه ويقول : لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ، وشق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال : إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة أي لمن أراد الله إخراجه من الكفر إلى الإيمان . ثم قال : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية : اللهم اهد قومي وهو المراد من قوله اللهم اغفر لهم . فانّ المغفرة لا تكون إلا بعد الهداية ، فالدعاء بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية .

وفي الشفاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا ، فلقد وطيء ظهرك ، وأدمي وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . وههنا دقيقة وهي أنّ حلمهﷺ وعفوه إنما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة ، وأمّا إذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ، ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال : اللهم املأ بطونهم ناراً . وفي رواية : ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، فالصلاة عماد الدين فرجح حتى خلقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه ﷺ فعفا ، فالصبر على الأذى هو جهاد النفس الأكبر وقد جبل الله النفس الأكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها ، وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه ﷺ كثيراً من

الأذى فكان يصبر ويعفو اذا كان في حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين ، وأمّا إذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ .

وأمّا حلمه ﷺ

وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي انّ زيد بن سعنة ـ بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء ـ أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال : لم يبق من علامات النبوة شيء .

وفي رواية : ما بقي شيء من نعت محمد في التوراة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه إلا اثنتين ، لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أتلطف له توصلاً لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أي اشتريت منه تمراً إلى أجل .

وفي رواية لأبي نعيم : فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالاً ذهباً في تمر معلوم إلى أجل معلوم ، قال زيد بن سعنة : فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ، ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت : الا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل .

فقال عمرو في رواية أبي نعيم : فنظر اليه عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، فقال : أي عدوّ الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى ؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ﷺ ينظر الى عمر بسكون وتؤدة ، وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، وفي رواية : تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث فتكرّم ﷺ بالتعجيل ، وقال : اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روّعته أي في مقابلة ترويعك له . ففعل ذلك عمر رضي الله عنه . قال زيد : فقلت يا عمر ، كل علامات النبوّة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرتهما أي بما رأيت من فعله ﷺ ، فاشهد يا عمر اني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .

وفي رواية ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلا أني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها إلا الحلم ، فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة ، وإني أشهدك أنّ هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم إلا شيخاً غلبت عليه الشقوة .

وروى أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته ، وكان رداء خشناً فالتفت اليه ﷺ فقال له الأعرابي : احملني على بعيري هذين اي حملهما لي طعاماً من مال الله الذي عندك ، فانك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك فقال له ﷺ : لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، اي لا أحملك من مالي ولا من مال أبي .

وفي رواية : المال مال الله وأنا عبده أي أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرني باعطائه ثم قال : لا أحملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني أي تمكنني من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلت معي من جبذ ردائي . قال الأعرابي : والله لا أقيدكها . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة ، فضحك ﷺ أي تطميناً لقلبه إذا بدى بالمسرّة بمقالته وسروراً بما رآه من حسن ظنه به ، وانه لم يفعل ذلك تنقيصاً له ، وهذا يقتضي انه كان مسلماً غير منافق ، غير أنّ فيه جفاء البادية ، ثم دعا ﷺ رجلاً . وفي رواية : دعا عمر فقال : احمل له على بعيريه هذين على بعير تمراً وعلى الآخر شعيراً .

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة . قال أنس رضي الله عنه : فنظرت الى صفحة عانقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته .

وفي رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته في عنقه ثم قال : يا محمد ، مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء ، والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفاً ، ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى ، وفي هذا بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام .

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلقه ﷺ فقالت : لم

يكن فاحشاً ولا متفحشاً أي متكلفاً للفحش أي لم يقم به فحش طبعاً ، ولا تكلفاً ولا يجزىء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها : ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر صريح اسمه ، وما ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسئل مأثماً . ولا انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضباً ، وقد وصفه الله بحسن الخلق في قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾ وأمر بقوله : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ الآية .

روى أنّ اعرابياً جاء الى النبي ﷺ وكان فصيح اللسان ، قوي الجنان ، وكان قد صنع شعراً مشتملاً على حكمة وظنّ أن احداً لا يقدر أن يأتي بما فيه من الحكمة ، فقال للنبي ﷺ : اصغ اليّ اوصك ، ثم قال :

فحيّ ذوي الأضغان تسلى نفوسهم ... تحيتك الحسنى فقد ترفع الثقل
فان هتفوا بالقول فاعف تكرّما ... وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه استماعه ... كأنّ الذي قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه ﷺ : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فقال الأعاربي : ليس هذا من كلام البشر ، وكان سبب اسلامه رضي الله عنه . ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه ﷺ اتساع خلقه للمنافقين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه ﷺ إذا غاب ويتملقون إذا حضر ، وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية ، وكان ﷺ كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم باباً

من الرحمة لأنه ﷺ رحمة للعالمين ، فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ . فقال عليه الصلاة والسلام : خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم قال ﷺ : فوالله لازيدنّ على السبعين . وفي رواية : فأنا استغفر سبعين سبعين سبعين إلى أن أنزل الله عليه في سورة المنافقين : ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ فترك الاستغفار .

وروى ابن منده أنّ الحباب بن عبد الله بن أبي ابن سلول جاء يستأذن ا لنبي ﷺ في قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته في النبي ﷺ لنفاقه ، وكان ابنه صحابياً صالحاً ، فأبى ﷺ أن يأذن له في قتله وأمره ببرّه وحسن صحبته .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلمه فقال : قد فهمت ما تقول فامنن عليّ وكفني في قميصك وصل عليّ ففعل ، فكان طلب ذلك منه نفاقاً لا عن حقيقة ايمان ، ولما مات كفنه النبي ﷺ في ثوب خلعه عن بدنه ﷺ ، وصلى عليه تطبيباً لقلب ابنه وتألفاً لبقية المنافقين ، ولم قيل له ﷺ في ذلك قال : وما يغني عنه قميصي وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه . روى أنّ ألفاً من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه ، وجاء أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد النبي أن يصلي عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول : يا رسول الله ، أتصلي على رأس المنافقين ؟ فنثر ثوبه من عمر رضي الله عنه أي جذبه منه بقوّة وقال : اليك عني يا عمر وصلى عليه ، فخالف مؤمناً في حق عدوّ منافق ، كل ذلك رحمة منه لأمته لكما شفقته ﷺ على من تعلق بطرف من الدين ، وليطيب قلب ولده الصحابي الصالح ، ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لو لم يجب ابنه الى ما سأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه ، فاستعمل ﷺ أحسن الأمرين في السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل : ﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ الآية . فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره . وهذه من الآيات التي جاءت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه . وقيل : إنما كفنه ﷺ في قميصه مكافأة له لأنه ألبس العباس عم النبي ﷺ قميصاً حين أسر يوم بدر ، فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة . وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه ﷺ ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله : ﴿ ليخرجنّ الأعز منها الأذل ﴾ وقوله : ﴿ لا تنفقوا على

من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ وتوليه كبر الإفك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفناً ، وصلى عليه واستغفر له .

قال مجمع بن جارية رضي الله عنه : ما رأيت رسول الله ﷺ أطال الصلاة على جنازة قطما أطال على جنازة ابن أبي ،ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه . وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه : لما صلى النبيﷺ على ابن أبي قال : فصلينا معـه . قال أبـو نعيم : ففيه أنّ عمر رضي الله عنه ترك رأي نفسه وتابعهﷺ ، ومن مكارم أخلاقه ﷺ عفوه عن لبيد بن الأعصم اليهودي حين صنع لهﷺ سحراً فأعلمه الله به ، فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال : قد شفاني الله وكرهت أن أثير شراً . وعفا عن اليهودية التي سمت له الشاة بالنسبة لنفسهﷺ ، فلا ينافي أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصاً . وتقدمت القصة بتمامها في غزوة خيبر ، ورحم الله القائل في حقهﷺ :

ومـا الفضـل الاخاتـم انـت فصه وعفـوك نقش الفص فاختـم به عذري

وحسبك ما نقل في كتب السنة الصحيحة نقلاً متواتراً بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة ، الى ان أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح ، وهم لا يشكون في استئصاله جماعاتهم وقطعه دابرهم ، فما زاد على ان عفاروصفح وقال : ما تقولون اني فاعل بكم قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : أقول كما قال أخي يوسف ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : هبـط ثمانـون رجـلاً من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول اللهﷺ بغتة ، فأمسكهم أصحاب النبيﷺ وجاؤوا بهم اليهﷺ فأعتقهم وأطلقهم ، وأنزل الله تعالى ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ﴾ الآية وقد لاطفﷺ أبا سفيان فقال له : ويحك يا ابا سفيان ، ألم يأن لك ان تعلم وتشهد ان لا اله إلا الله فقال : بأبي انت وامي يا رسول الله ، ما احلمك وأوصلك فانظر الى هذه اللطافة منهﷺ لأبي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الأحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن

رحمته ﷺ ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنهـا : انـه ﷺ كان يصغي اي يميل الى الهرة الأناء حتى ، تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال : من ابتلى بهذه القاذورات فليستتر ، وأمر أمته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال : قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه .

وأما تواضعه ﷺ وحسن عشرته مع أهله وخدمه واصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام ، فأمر لا تدرك له غاية كما يأتى وصفه قال بعضهم : ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهـدة في قلبـه ، وانمـا يحصـل ذلك برياضـة النفس ومجاهدتها في الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتنـاب نواهيه ، فعنـد ذلك تذوب النفس وتفنى قواعها عن ميلها الى الشهوات ، ويتيسر لها استعمال القوى والجـوارح في الطاعات كل الأوقات ، وعند ذلك تصفو من غش الكبر ، وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها ، فلم يبق لها تعلق بشيء من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها ، وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الأوفر من التوضع لنبينا ﷺ ، فكلما ازداد قرباً ازداد تواضعاً وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ان خيرَّه ربه بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً ، فاختار ان يكون نبياً عبداً تواضعاً لربه ، مع انه لو كان نبياً ملكاً ماضره ولكن رأى التواضع يزيده قرباً من ربه ، فأعطاه الله بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأوّل شافع وأوّل مشفع ، فلم يأكل متكئاً بعـد ان اختار العبودية حتى فارق الدنيا ، وكان يقول : آكل كما يأكل العبـد ، وأجلس كما يجلس العبـد ، وقـال عليه الصـلاة والسلام فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما ، لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ، والمعنى لا تتجاوزوا الحد في مدحي بان تقولوا ما لا يليق بي كما تجاوزنه النصارى ولكن قولوا الخ : فأثبت لنفسه ما هو ثابـت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواء .

ومن تواضعه ﷺ انه كان لا ينهر خادماً .

روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط .

وفي رواية لأبي نعيم : فما سبني قط ، وما ضربني من ضربة ولا انتهزني ولا عبس

في وجهي ، ولا أمرني بامر فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فان عاتبني احد قال : دعوه ولو قدر شيء كان .

وفي رواية البخاري ؛ ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وفي رواية ؟ ولكن يقول : قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان ، وكذلك كان ﷺ مع عبيده واماثه ما ضرب منهم احداً قط ، وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ، ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية ، وما ذاك الا لكمال معرفته ﷺ انه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله ، وان الخلق آلات ووسائط ، فالغضب على المخلوق في شيء فعله كالاشراك المنافي للتوحيد . وقيل سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه فيه ، وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل ما يفعله الحبيب محبوب .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ، ما رأيت احداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطولا ضرب امرأة ولا خادماً الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ، الا ان ينتهك شيء من محارم الله فتنتقم لله ، نعم يستثنى من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه : ان النبي ﷺ ضرب فرسه لما رآه متخلفاً عن الناس وقال : اللهم بارك فيها قال طفيل : فلقد رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعث من بطنها باثني عشر الفاً اي وذلك من بركة قوله ﷺ : اللهم بارك فيها . ووكز جمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخراً عنهم ، وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب شيئاً قط .

وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت : كيف كان رسول الله ﷺ اذا خلا في بيته ؟ قالت : كان ألين الناس بساماً ضحاكاً لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه .

وروى ابو نعيم عن عائشة ايضاً رضي الله عنها : ما كان أحد احسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك .

وروى ابو داود والترمذي عن انس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما : ما التقم أحد أذن رسول الله ﷺ فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما اخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ .

وروى الامام احمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويرقع دلوه ، ويفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ، ويفعل ذلك إرشاداً للتواضع وترك التكبر ، ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات ، وتفلية الثوب إنما كانت للتعليم او لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه او لما علق به من نحو شوك او وسخ ، لأنه ﷺ نور ولا عفونة فيه ، وأكثر القمل من العفونة ، ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من النفلية وجرد القمل وقيل : كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذاراً له ، وقيامه بخدمة نفسه ﷺ دليل على كمال تواضعه ، وهذا لا ينافي انه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الأوقات ، فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته ، وبيان نذب الإنسان الى خدمة نفسه ، وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفاً وتارة عرياً ليس عليه شيء وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد ، وبيان ان ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة ، بل فيه غاية التواضع وكسر النفس ، وكان يردف خلفه الذكر والأنثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر ، وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزو استقبله الصبيان فيركبهم معه ، ويأمر أصحابه باركاب من بقى وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف ، وهذا نهاية التواضع وأيّ تواضع أعظم من هذا ، وقد ظهر له ﷺ من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ما هو معروف .

وروى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد ابن عبادة رضي الله عنهما قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فلما اراد الانصراف قرب له سعد حماراً ليركبه ووطأ عليه بقطيفة ، وركب رسول الله ﷺ ثم قال سعد : يا قيس ، اصحب رسول الله ﷺ اي كن معه في خدمته : قال قيس : فقال لي رسول الله ﷺ اركب فأبيت ان اركب اي تأدباً معه لا لمخالفة لأمره فقال: أما ان تركب واما ان تنصرف اي ترجع ولا تمشي معي ، فوافقه على الركوب فقال له : اركب

امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها .

وفي رواية لابن منده فأرسل ابنه معه ليرد الحمار ، فقالﷺ احمله بين يدي قال سعد سبحان الله اتحمله بين يديك ؟ قال: نعم ، هو احق بصدر حماره قال : هو لك يا رسول الله ؟ قال : أحمله اذن خلفي .

وجاء في بعض روايات هذه القصة انهﷺ جاء على حمار مردفاً اسامة خلفه ، فعلى هذا تتريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبهاﷺ ، بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء عليه .

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول اللهﷺ من خيبر واني لرديف أبي طلحة ، وهو يسير وبعض نساء رسول اللهﷺ رديف رسول الله ﷺ ، يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة اي وقعت ، او أوقعتها الدابة ، فقالﷺ : انها أمكم تذكيراً لهم بوجوب تعظيمها ، فشددت الرَّحْل وركب رسول اللهﷺ وركبت خلفه . وصح من معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينا انارديف النبيﷺ ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم النبيﷺ مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب ، فجعل واحداً بين يديه وآخر خلفه .

وروى البخاري ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى رسول اللهﷺ مكة وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه ، او قثم خلفه والفضل بين يديه ، شك الراوي .

وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها بأنهﷺ ركب حماراً عرياً الى قباء ؛ وأبو هريرة رضي الله عنه معه قال : يا أبا هريرة ، أأحملك ؟ قال : ما شئت يا رسول الله اي فافعله فقال : اركب فوثب ابو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك اي تعلق برسول اللهﷺ فوقعا جميعاً ثم ركبﷺ ثم قال : يا أبا هريرة ، أأحملك ؟ قال : ما شئت يا رسول الله فقال : اركب فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه ، فتعلق برسول اللهﷺ فوقعا جميعاً ثم ركبﷺ ثم قال : يا ابا هريرة أأحملك ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق لارميتك ثالثاً .

وذكر المحب الطبري ايضاً في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة اي تهيئتها للأكل فقال رجل : يا رسول الله ، على ذبحها ، وقال آخر : يا رسول الله ، علي سلخها ، وقال آخر: يا رسول الله ، علي طبخها فقال رسول الله ﷺ علي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال : قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزاً بين أصحابه .

وروى ابن اسحق والبيهقي عن ابي قتادة رضي الله عنه قال : وفد وفد النجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه نحن نكفيك قال : انهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وأنا أحب أن أكافئهم .

وروى ابو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ بالجعرانة وأنا غلام أذا قبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من عنده من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته رواه أبو داود .

وروى أيضاً ان رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه .

وفي الصحيحين : انه ﷺ جاءته امرأة كان في عقلها شيء فقالت : ان لي اليك حاجة فقال : اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضى حاجتك ، فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها .

وروى النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة .

وفي رواية للبخاري : كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت .

وفي رواية للامام أحمد : ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت ، والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد ، فقد اشتمل ذلك على انواع من المبالغة في التواضع لذكره والمرأة دون الرجل ، والأمة دون الحرة ، وحيث عم الأماء اي أمة كان وبقوله حيث

شاءت اي من الأمكنــة ، والتعبــير باليد اشــارة الى غاية التصرف حتــى لو كانــت حاجتهاخارج المدينة ، والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة اعدها على ذلك بالخروج معها ، وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبرﷺ .

ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءتهﷺ منه ووصفـهﷺ بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له .

وفي رواية : وكان لا يخرج شيئاً من اطرافه وهو بين أصحابه اي كقطع ظفره أو قلع وسخه ، او طرح بزاقه أو مخاطه ، وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعـزم عليه في الجلـوس عليهـا ان امتنع ، ويكنـى أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه ، وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فاذا افرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليهﷺ وهو يصلي : وقد سجد فركب على ظهره فأبطأﷺ في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه ، فلما فرغ قال له بعض أصحابه : يا رسول الله ، قد أطلت سجودك ، قال : ان ابني ارتحلني فكرهت ، ان أعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ودخل عليه مرة جابر بن عبـد الله رضي الله عنهما والحسـن والحسين رضي الله عنهما على ظهرهﷺ راكبين فقال لهما جابر رضي الله عنه : نعم الجمل جملكما ، فقال لهﷺ : ونعم الراكبان هما وتقدم إنه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ، ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع ، وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة ، فهم كائنون بائنون قريبون غريبـون عرشيون فرشيون ، بحسب الأرواح اللطيفة والأشباح الشريفة ، فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى ، كيف يشغل قلبه قطعة من لحمه ، وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقهﷺ .

ومن تواضعهﷺ انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع ، والحر والعبد ، حتى عاد مرة غلاماً يهودياً كان يخدمهﷺ فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه : اطع ابا القاسم ، فأسلم فخرجﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي انقذه من

النار ، رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه ، والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب .

ففي الترمذي مرفوعاً من عاد مريضاً ناداه منادٍ طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً ولأبي داود ، من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسباً بوعد من جهنم سبعين خريفاً وانما كان فيها تواضع لأن فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى ما دون ذلك ، وكانﷺ يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع . فيتأكد التأسي بهﷺ وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير .

وروى البيهقي وابن اسحق عن أنس رضي الله عنه : انهﷺ لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعاً لله تعالى .

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رثّ وعليه قطيفة اي كساء له خمل لا يساوي اربعة دراهم ، وذلك لأنه في أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجردوا قلاع ، وخروج من المواطن وسفر الى الله ، ألا ترى الى ما فيه من الإحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبيهاً بالفارين الى الله ، وليكون تذكرة للموقف الحقيقي . وقال في تلبيتهﷺ : اللهم اجعله حجاً لارياء فيه ولا سمعة . وهذا قاله تخشعاً وتذللاً وعداً لنفسه كواحد من الآحاد ، فيكون دالاً على عظيم تواضعه لأن الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث ، وإنما يكون ممن حج على مراكب نفيسة ، وملابس فاخرة ، واغشية محبرة ، وأكوار مفضضة ، هذا مع انهﷺ أهدى في هذه الحجة مائة بدنة ، وأهدى اصحابه مالاً يسمح بمثله ، فمن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعير أعطي فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه ابو داود ، ومن تواضعهﷺ : انه كان إذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء ، يريدون التبرك بأثر يده الشريفة ﷺ ، فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه ، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ، ولا يمتنع لأجل البرد ، وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعهﷺ ، رواه مسلم والترمذي وغيرهما وفي ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ، ليصل كل ذي حق لحقه ، وليعلم الجاهل ويقتدى بأفعاله ،وهكذا ينبغي للأئمة بعده .

وروى ابو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه : كانﷺ أشدّ الناس لطفاً والله

ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا امة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه ، وما كلمه احد قط إلا أصغى اليه ، فلا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه ، وما تناول أحد يده قط إلا ناوله اياها ، فلا ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها ومن تواضعهﷺ : انه كان حسن العشرة مع ازواجه ، فكان ينام معهن في فراش واحد ولو كانت حائضاً مع مواظبته على قيام الليل ، فينام مع احداهنّ فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها ، فيجمع بين وظيفته من قيام الليل واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا أن اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل من نوم كل في فراش ، اذ القصد الأنس لا الجماع ، لا سيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروهاً ، ولا يلزم من نومه معها الجماع .

ومن تواضعهﷺ ما رواه الشيخان : انهﷺ كان يسرب اي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الأنصار يلعبن معها وذلك في أوّل تزوّجه بها لأنها كانت صغيرة .

وروى مسلم : انهﷺ اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الأناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها ، وهذا من شدة تواضعهﷺ ، واذا تعرقت عرقاً بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها ، وكان يتكي في حجرها ويقبلها وهو صائم ، رواه الشيخان .

وروى اصحاب السنن الستة انهﷺ كان يقبل نساء وهو صائم ، كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن ، وهذا لا يكون الا ممن حسنت ، أخلاقه وكمل تواضعه ، وجاء انهﷺ وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهي متكئة على منكبة ، قالت : فقال لي اما شبعت ، اما شبعت ، فجعلت أقول لا لا رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع رسول اللهﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقالﷺ للناس : تقدموا افتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم ، وبدنت وسمنت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : تقدموا ثم قال تعالى أسابقك فسبقني ، فجعل يضحك ويقول : هذا بتلك وانما قال ذلك لها تلطفاً بها وتطبيباً لخاطرها رضي الله عنها ، وذلك من كمال تواضعهﷺ .

وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن أنس رضي الله عنه : انهم يعني الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوماً عند رسول اللهﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، ثم أتى رسول الله ﷺ بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها ، فوضعت بين يدي النبيﷺ فقال : ضعوا أيديكم اي للأكل فوضع النبيﷺ يده ، ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة رضي الله عنها نصنع طعاماً عجلته حين رأت الصحفة التي أتى بها من بيت ام سلمة رضي الله عنها ، فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها ، فقال رسول اللهﷺ : كلوا باسم الله اي من صفحة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها ام سلمة رضي الله عنها وقال : طعام مكان طعام وأناء مكان اناء .

وهذا الحديث رواه البخاري بلفظ : كانﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى امهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبيﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبيﷺ فلق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول : غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت ، واتفقوا على ان التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها ، واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها ، فجاء في رواية : انها ام سلمة ، وفي أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه .

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت : ثم رجعت الى نفسي وندمت فقلت : يا رسول الله ما كفارته ؟ قال : إناء كاناء ، وطعام كطعام.

وجاء في بعض الروايات : انهﷺ حين كسرت لم يثرب عليها اي لم يلمها ولم يعبها ، فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور اصحابه لمزيد حلمه وعلمه ، بما تؤذي اليه الغيرة وقضي عليها بحكم الله في التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها ، وهكذا كانت أحوالهﷺ مع أزواجه لا يؤاخذ عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن ، وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رؤوف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن ، عزيز عليه اي شديد عليه ما يعنتهم اي ما يشق عليهم .

وفي الحديث إشارة الى أن المرأة ينبغي ان لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في

تلك الحالة يكون عقلها محجوباً لشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

وقد أخرج ابو يعلى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : ان الغيري اي المرأة الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه .

وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة ، فقام اليها رجل فألقى عليها ثوباً وضمها اليه فتغير وجهه ﷺ ، فقال بعض جلسائه احسبها اي اظنها امرأته فقال ﷺ أحسبها غيري ان الله كتب اليه على النساء والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن كان له أجر شهيد .

وفي المواهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتيت النبي ﷺ بخزيرة طبحتها له ، وقلت لسودة ام المؤمنين رضي الله عنها والنبي ﷺ بيني وبينها كلي فأبت. فقلت لها ، كلي فأبت فقلت لها لتأكلن اولا لطخن بها وجهك ؟ فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها ، فضحك رسول الله فوضع رأسي على فخذه وقال لسودة الطخي وجهها قصاصاً فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله ﷺ . والخزيرة لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق . وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى رواءها لمخلوق ، وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه ، حتى قطع يد السارق وحد الزاني الى غير ذلك . وقد كان ﷺ يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يولج حبه في القول تطميناً لهم وتقوية لايمانهم وتعليماً لهم ان يباسطوا بعضهم بعضاً ، لأنهم اذا رأوا ذلك من أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ اطمأنت قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم .

وروى عبد الرزاق والترمذي عن انس رضي الله عنه : ان رجلاً من البادية يسمى زهيراً ، وفي رواية ، زاهر بن حرام الاشجعي ، وكان يهادي النبي ﷺ بموجود البادية اي بما يستطرف ويستملح منها ، وكان ﷺ يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة اي بما يستطرف منها ، وكان ﷺ يقول : زهير باديتنا ونحن حاضرته . وكان ﷺ يحبه فمشى ﷺ الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه ، فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ قال : فجعلت أمسح ظهري في صدره وجاء حصول بركته .

وفي رواية : فاحتضنه ﷺ من خلفه وهو لا يبصره فقال : ارسلني من هذا ؟ فالتفت فعرف انه النبي ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في إلصاق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه تبركاً وتلذذاً ، فجعل رسول الله ﷺ يقول ملاطفة معه ، من يشتري العبد ؟ فقال زهير : يا رسول الله ، اذن تجدني كاسداً . فقال له ﷺ : أنت عند الله غالٍ : وفي رواية لكن عند الله لست بكاسد ، فهذا من تواضعه ﷺ وشدة تلطفه بأصحابه .

وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم ان رجلاً يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن تارة والعسل أخرى ، فاذا جاء صاحبه يتقاضاه اي يطلبه الثمن ، جاء به الى النبي ﷺ فقال : اعط هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي ﷺ على ان يتبسم ويأمر فيعطى الثمن .

وفي رواية : وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها : ثم جاء فقال : يا رسول الله ، هذا أهديته لك ، فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول : أعط هذا الثمن فيقول : الم تهده لي ؟ فيقول : ليس عندى ما أعطيه فيضحك ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه ووقع نحو ذلك للنعيان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الأنصاري رضي الله عنه .

ذكر الزبير بين بكار في كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي ﷺ فيقول : هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب نعيان بثمنه احضره الى النبي ﷺ فيقول ؛ اعطهذا ثمن متاعه فيقول : اولم تهده لي ؟ فيقول : والله لم يكن عندي ثمنه ولقد احببت ان تأكله ، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه ، وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه ، فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس ، لآخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء ، فمزح ليمزحوا . قال بعض السلف : كان للنبي ﷺ مهابة فلولا أنه كان يتبسط لأصحابه ويداعبهم لما استطاعوا مكالمته . ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال .

روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله ، إنك تداعبنا قال : إني لا أقول إلا حقاً .

وروى الترمذي وابو داود وغيرهما أن رجلاً كان به بله اي غفلة في أمور الدنيا قال :

يا رسول الله إحملني اي مر لي ببعير أركب عليه لأغزو معكم . فباسطه ﷺ فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال : يا رسول الله ، ما عسى ان يغني عني ابن الناقة ؟ فقال ﷺ : ويحك ، وهل يلد الجمل إلا الناقة ؟ اي لو تدبرت وتأملت لأدركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير . وجاءته امرأة فقالتْ : يا رسول الله ، احملني على بعير فقال : احملوها على ابن بعير . فقالت: وما أصنع به وما يحملني يا رسول الله ؟ فقال : هل يجيء بعير إلا ابن بعير ؟

وروى الترمذي وغيره انه ﷺ باسط عمته صفية بنت عبد المطلب ام الزبير بن العوّام رضي الله عنه حين قالت : يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان إنّ الجنة لا يدخلها عجوز فجزعت ، فقال لها : انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول ﴿ ان أنشناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾وكان عليه الصلاة والسلام يمازح اصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تأنيساً لهم وجبراً لقلوبهم ، ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجرة جاءته ام قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام ، فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بما فنضحة ولم يقل شيئاً وهو ﷺ مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به . وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين ، وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه ، بل كثيراً ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير.

قال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الإفراط ولذا قيل :

فاياك إياك المزاح فانه يجرّي عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد ويورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدّي إلى حرام ولا إلى مكروه ، فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله ﷺ فهو مستحب .

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن

الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له ابو عمير ، وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبي ﷺ ذات يوم حزيناً فقال : ما شأنه ؟ فقالوا : مات نغره . فقال : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ملاطفة وتأنساً له وتسلية ، وذلك من حسن الخلق وكرم الشمايل والتواضع . وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : إنّ كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي يا أبا عمير ما فعل النغير ، والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور ، والجمع نغران كصرد وصردان ، ومع ذلك كله كان ﷺ قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدراً عظيماً ، حتى إن قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة إذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقي عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وغيرها فمن رآه بديها هابه ، قال الابوصيري :

كأنه وهو فرد من جلالته   في عسكر حين تلقاه وفي حشم

أي فجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته ، وهو مع عسكره وحشمه ، ولقد جاء اليه ﷺ رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له : هوّن عليك فاني لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أي اللحم المقدد ، فنطق الرجل بحاجته فقام ﷺ فقال : يا أيها الناس إني أوحي إليّ أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد ، وكونوا عباد الله إخواناً . وإنما قال ذلك لأنه لما رأى تواضعه كان سبباً في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم ، والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق ، حتى لا يرى له عند أحد حقاً بل يرى الحق لغيره . وقوله ﷺ : فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار . وقال : أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعاً لأن القديد طعام أهل المسكنة ، فكأنه قال : أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الأكل فكيف يخاف مني .

وروى أبو داود وغيره أنّ قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالساً في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع ، فقال لها ﷺ : يا مسكينة ، عليك السكينة . فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : صحبت رسول الله ﷺ وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيماً له ، لو قيل لي صفه أي بجميع أوصافه لما قدرت ، وإذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ؟ ويبين ذلك ويوضحه ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض ، ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك إلا أنه ﷺ كان يتهجد ليلاً ويشتغل بما يقرّبه من الله ، فيظهر عليه حال حتى يظنّ أنه ليس من البشر ، فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه ، وغير ذلك من الأحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه . فكان عليه الصلاة والسلام يتحدّث مع عائشة ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم ، وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الأرض ، ثم يخرج اليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه ، وما كان يفعل ذلك إلا رفقاً بهم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً .

وقد جاء في الحديث : أنه لما أخبر على لسان إسرافيل بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، نظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل إلى الأرض يشير الى التواضع .

وفي رواية : فأشار اليّ جبريل أن تواضع فقلت : نبياً عبداً فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعاً ، فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء ، وأطلعه الله على الملكوت الأعلى .

وفي البخاري : أن محمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي ﷺ وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم يمازحه بها ، فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية ﷺ إلا تلك المجة فعد بسبب ذلك من الصحابة ، فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ، ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب ، حتى يظنّ كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع الصغير والكبير أحياناً إذا اقتضاه المقام ، ويجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه إلا واجباً أو مستحباً أو مباحاً ، فكان يباسط الخلق

ويلابسهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه ﷺ ، وكانت مجالسته ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى ، وترغيب وترهيب إمّا بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والمواعظ الحسنة ، وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ، ما كنت أظنّ أحداً من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ومن تواضعه ﷺ أنه ما عاب ذواقاً قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله وإلا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بأنه لم يكن بأرض قومه ، وهذا من حسن الأدب ، لان المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه ، أمّا اذا كان حراماً فانه يعيبه ويذمه وينهي عنه للمنع منه شرعاً لا من حيث ذاته ، فقد يكون حسن المذاق والصنعة ، فالعيب إن كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز ، وإمّا من حيث صنعة الله فالعسب لا يجوز .

قال النووي : ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله : مالح حامض ، قليل الملح ، غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك . ومن تواضعه ﷺ أنّ هذه الدنيا شاع سبها في العالمين قديماً وحديثاً فقال ﷺ : لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجوا من الشر ، فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها ، مع أنه خلاف الواقع لأن الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير ، فمدحه ﷺ لها ونهيه عن سبها فيه إظهار للمحقق من احتياج من فيها اليها . وقال ﷺ : لا تسبوا الدهر .

وفي رواية : لا تقولوا خيبة الدهر فانّ الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه ، والمعنى أنكم إذا سببتم الدهر وقع السب على الله ، لأنه الفعال لما يريد لا الدهر ، فجالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره .

وجاء في رواية : أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبر ما فيهما كيف أريد ، فهو كالتفسير لقوله : أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً فان كان إثماً كان أبعد الناس منه . ومن تواضعه ﷺ أنه لم يكن له بوّاب راتب .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : مرّ النبيﷺ بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال لها : اتقي الله واصبري . فقالت : اليك عني فانك خلو من مصيبتي .

وفي رواية : فانك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولم تعرفه ﷺ فجاوزها ومضى ، فمرّ بها رجل وهو الفضل ابن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول اللهﷺ ؟ قالت ما عرفته أي لأنهﷺ ، من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء ، وأيضاً فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة : أنه لرسول اللهﷺ .

زاد مسلم في رواية : فأخذها مثل الموت من شدّة الكرب الذي أصابها لما عرفت انه رسول اللهﷺ ، فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوّاباً أي فكأنها تعجبت لأنها لما قيل لها إنه رسول اللهﷺ استشعرت خوفاً وهيبة في نفسها ، فتصوّرت أنه كالملوك له حاجب وبوّاب ، يمنع الناس من الوصول اليه ، فوجدت الأمر بخلاف ما تصوّرته فقالت لهﷺ معتذرة : لم أعرفك . فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى وكونه ﷺ ليس له بوّاب إنما هو باعتبار أغلب الأحوال فلا ينافي أنهﷺ لما جلس على بئر أريس ، كان أبو موسى الاشعري رضي الله عنه جالساً على باب الحائط كالبوّاب لا يدخل أحد عليهﷺ حتى يستأذن له ، وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام إذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ، ويبرز لطالب الحاجة اليه . وإذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوّاباً .

وأمّا حياؤهﷺ فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه وهو إشارة الى أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه ، بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك .

وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانﷺ يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أي وهذا من شدّة حيائه ﷺ .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه ، فدخل عليه يوماً رجل وعليه أثر صفرة ، فلما قام قال لأصحابه لو عير

او نزع هذه الصفة .

وفي رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة ، وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه في الدارين تكون فيه قوّة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب أي من فقد صفاته المقتضية للكمال ، وكلما كان القلب احيا كان الحياء أتم ، ولذا كان تمام الحياء في النبي ﷺ إذ لا قلب أحيى من قلبه . وفي الشرع : الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق . ولذا جاء في الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت ، والحياء أقسام كثيرة منها : حياء الكرم كحيائه ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما تزوّجها : وطولوا المقام بعد الأكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا إلا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق ﷺ إلى أزواجه فسلم عليهنّ ثم قاموا فأخبره أنس رضي الله عنه بقيامهم ، فجاء فدخل على زينب رضي الله عنها وأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ﴾ ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل ، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ، ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون ، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه حتى كأنّ له نفسين ، يستحيي باحداهما من الأخرى ، وهذا من أكمل ما يكون من الحياء ، فانّ العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر وأحق ، والحياء لا يأتي لا بخير لأنّ من استحيا أن يراه الناس يأتي بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ ، فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي . وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله ، وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة ، والحياء غريزي ومكتسب ، فالمكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به غير انّ من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب ، حتى يكاد يكون المكتسب غريزة ، وكان ﷺ قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، حتى روى انه ﷺ كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد أي لا يديم نظره فيه ولا يتأمله .

وأمّا خوفه ﷺ من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها ، وكان أتقى الناس وأشدّهم خشية ، وكان ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية . وكان يصلي ويبكي وتسيل دموعه من غير صوت ، ويسمع لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس . وفي رواية : أنين كأنين الرحا ، وكان ﷺ يقول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وخوفه ﷺ كان خوف هيبة وتعظيم وإجلال ، وهذا لا يكون إلا مع كمال المعرفة والمحبة ، فهو تعظيم مقرون بالحب .

قال بعضهم : الخوف لعامّة المؤمنين ، والخشية للعلماء العاملين ، والهيبة للمحبين ، والاجلال للمقرّبين فهو ﷺ أكمل المحمبين المقرّبين ، فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الأشياء عياناً مع الخشية القلبية ، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ﷺ ، ولذا قال : إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا .

وأمّا شجاعته ﷺ فانه قد كان أشجع خلق الله ، وقد تواترت بذلك الأحاديث والأخبار ، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم الى الصوت على فرس عري لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا .

وفي رواية : كان فزع من عدوّ وبالمدينة فاستعارن النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له المندوب ، فركبه عليه الصلاة والسلام ، فلما رجع قال : ما رأينا من شيء أي يوجب الفزع وإن وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري .

قال الراوي : وكان فرساً يبطيء أي لا يسرع في مشيه . وفي رواية : أنّ أهل المدينة فزعوا مرّة أي ليلاً فركب ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء ، فلما رجع قال : وجدنا فرسكم هذا بحراً فكان بعد لا يجارى .

وفي رواية : فما سبق بعد ذلك ، ففي هذا الحديث بيان شجاعته ﷺ ، وذلك مأخوذ من شدّة عجلته في الخروج الى العدوّ قبل الناس كلهم ، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان بطيئاً .

قال القاضي عياض : وقد كان في أفراسه ﷺ فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد .

وقال النووي : يحتمل انهما فرسان إتفقا في الأسم .

قال الزرقاني : وهذا أولى .

وروى الإمام احمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله ﷺ ، والنجدة الشجاعة والشدّة .

وفي رواية : ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ ، وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر ، والشجاع لا يخاف الموت ، ولأنّ النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود .

وروى ابن إسحق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له . ركانة وكان شديد القوة ، يحسن الصراع ، وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم ، فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله ﷺ فقال له : يا ركانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ فتؤمن بالله ورسوله . فقال له ركانة : يا محمد ، هل لك من شاهد يدل على صدقك ؟ فقال : أرأيت إن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم يا محمد . فقال له : تهيأ للمصارعة . فقال : تهيأت فدنا منه رسول الله ﷺ فأخذه ثم صرعه ، فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الإقالة والعودة ، ففعل به ذلك ثانياً وثالثاً ، فوقف ركانة متعجبا وقال : وإن شأنك لعجيب .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي .

روى البلاذري : أنه قدم من سفر فأخبر خبر النبي ﷺ اي دعواه النبوّة وكان أشد الناس ، فجاء الى النبي ﷺ وقال : يا محمد ، إن صرعتني آمنت بك فصرعه فقال : أشهد أنك ساحر ، ثم أسلم بعد وأطعمه النبي ﷺ خمسين وسقاً . وقيل لقيه في بعض جبال مكة فقال : يا ابن أخي ، بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت أنك صادق ، فصارعه فصرعه وأسلم ركانو في فتح مكة ، وقيل عقب مصارعته . ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل عاش الى سنة إحدى وأربعين .

وجاء في بعض روايات : هذا الحديث انهﷺ صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعدّدت ، فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولـكل منهما صحبة رضي الله عنهما .

وروى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء يزيد بن ركانة الى النبيﷺ ومعه ثلثمائة من الغنم فقال : يا محمد ، هل لك ان تصارعني ؟ قال : وما تجعل لي إن صرعتك ؟ قال : مائة من الغنم ، فصارعه فصرعه ثم قال : هل لك في العود ؟ قال : وما تجعل لي ؟ قال : مائة أخرى ، فصرعه . وذكر الثالثة فقال : يا محمد ، ما وضع جنبي في الأرض أحد قبلك وما كان أحد أبغض إلى منك وأنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله . فقام عنه وردّ عليه غنمه ، فاتضح بهذا أنهﷺ صارع ركانة وابنه جميعاً ، وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمعي كما قاله السهيلي ، ورواه البيهقي . وكان شديداً بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوا من تحت قدميه فيتفرّى الجلد أي يتقطع ، ولم يتزحزح عنه . فدعا أبو الأسود رسول اللهﷺ الى المصارعة وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول اللهﷺ مراراً فلم يؤمن به ، وقد حضرﷺ المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفرّ الكماة والأبطال عنه ، وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرّة وحفظت عنه جولة إلا النبيﷺ .

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول اللهﷺ ؟ قال : لكن رسول اللهﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا .

وفي رواية : انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس ، ولقد رأيت النبيﷺ على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهوﷺ يقول :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لأنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى ، وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بشريعة ولا تصلح لكرّ ولا فرّ ولا

هرب ، وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة ، فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات ، وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه ، وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدوّ .

وروى مسلم من حديث البراء أيضاً رضي الله عنه قال : كنا إذا احمر البأس أي اشتدّ تقينا برسول الله ﷺ ، وأن الشجاع منا الذي يحاذيه ، ومعنى قوله : اتقينا به ، جعلناه قدامنا واستقبلنا العدوّ به وقمنا خلفه .

وروى الإمام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه : كنا إذا حمى البأس . وفي رواية : إذا اشتدّ البأس واحمرّت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ : فما يكون أحد أقرب الى العدوّ منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً .

وروى أبو الشيخ في الأخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال : ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب اي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم ، وبالجملة فقد كان ﷺ أشجع الناس كما يومي اليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ مع ما ورد من إعطائه قوّة أربعين رجلاً وربما يقاوم بعض الرجال ألفاً كبعض أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، بل له من القوّة الإلهيّة ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية .

وأما كرمه ﷺ فكان لا يوازي ولا يباري فيه ، وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر .

وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه : ان النبي ﷺ كان أجود الناس ، أي وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ، ومزاجه أعدل الأمزجة ، وشكله أملح الأشكال ، وخلقه أحسن الأخلاق ، لا بدّ أن يكون فعله أحسن الأفعال ، فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يداً . وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه ،

فجاءه رجل فأعطاه ﷺ غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : ، يا قوم ، أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوّته ﷺ ، وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل : هو صفوان بن أمية وقيل : غيره .

وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال : لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وأنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ .

قال ابن شهاب الزهري : أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ، ثم مائة ثم مائة . وجاء أنه طاف معه ﷺ يتصفح الغنائم وكان على دين قومه ، إذ مر بشعب مملوء إبلاً وغنماً فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال ﷺ : أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب ؟ قال : نعم . قال : هو لك بما فيه . فقال صفوان : أشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نفس نبي ، ثم أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وعاش الى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ، وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين ، والحكمة في كون إعطائه لم يكن دفعة واحدة ، بل تدريجاً إن هذا العطاء دواء لدائه ، والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجاً لأنه أقرب الى الشفاء . وقد علم ﷺ أن داءه لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان ، فعالجه به حتى برىء من داء الكفر ، وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته ﷺ ورحمته ورأفته ، إذ عامله بكمال الإحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا وصف النبي ﷺ قال : كان أجود الناس كفاً ، وأصدق الناس لهجة رواه الترمذي .

وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم عن الأجود الله الاجود وأنا أجود وله آدم وأجودهم من بعدي رجل تعلم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل فهو ﷺ بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق ، كما انه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة ، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في أظهار دينه وهداية عباده ، وإيصال النفع اليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم .

قال في المواهب : ويرحم الله ابن جابر حيث قال في وصف كرمه ﷺ :

هذا الـذي لا يتقـي فقـراً إذا أعطـى ولـو كثـر الأنـام وداموا
وأدمـن الإنعـام أعطـى آملاً فتحـيرت لعطائـه الأوهام

وقال ابن جابر أيضاً في وصفهﷺ :

يروى حديث النـدى والبشر عن يده ووجهـه بـين منهـل ومنسجم
من وجـه أحمـد لي بدر ومـن يده بحـر ومـن فمـه در لمنتظم
يمم نبياً تبـارى الـريح أنمله والمزن من كل هامـي الـودق مرتكم
لو عامـت الفلك فيما فاض من يده لم تلـق أعظـم بحـراً منـه إن تعم
تحيط كفـاه بالبحـر المحيط فلذ به ودع كل طامـي الموج ملتطم
لو لم تحـط كفـه بالبحـر ما شملت كل الأنـام وروّت قلـب كل ظمى

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحائـب من غمائـم يمينه .

وروى الترمذي أنهﷺ حمل اليه تسعون ألف درهم . قال بعضهـم : هي التـي جاءته من البحرين ، وقيل غيرها فوضعت على حصير ، ثم قام اليها يقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها .

وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رجـلاً جاء الى رسـول اللهﷺ يسأله أن يعطيه فقال : ما عندي شيء ولكن ابتـع عليّ اي اشتـروا حسـب على الشراء . وفي رواية : ما عندي شيء أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك . وفي رواية : فاذا جاء ناشيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر أي ما ليس حاصلاً عندك ، فكره النبيﷺ قول عمر رضي الله عنـه لما فيه من حرمـان السائل . فقال رجل من الأنصار حين رأى كراهة النبيﷺ للمنع : يا رسول الله ، أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً ، فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه . وقال : بهذا أمرت وقيل : أن القائل لرسول اللهﷺ ما ذكر هو بلال رضي الله عنه ، ولعل القصة تعدّدت وإنما قال عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليهﷺ ، لعلمـه بكثـرة

السائلين له ، وتهافتهم عليه ، والأنصاري راعي حاله ﷺ ، فلذا سره كلامه فقوله : بهذا أمرت إشارة إلى أنه أمر خاص به وبمن يمشي على قدمه .

وذكر ابن فايس انه ﷺ جاءته امرأة يوم حنين فأنشدت شعراً تذكر فيه أيام رضاعه في هوازن ، فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيراً حتى قوّم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف .

قال ابن دحية : وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود .

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه : أنه ﷺ أتى بمال من خراج البحرين فقال : انثروه يعني صبوه في المسجد ، وكان أكثر مال أتى به ﷺ أي من الدراهم أو الخراج فلا ينافي انه غنم في حنين ما هو اكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم .

قال انس رضي الله عنه : فخرج ﷺ الى المسجد ولم يلتفت اليه : فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاء العباس عمه ﷺ فقال : يا رسول الله ، أعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر ، وفاديت عقيلاً . فقال له : خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله ، مر بعضهم يرفعه عليّ . فقال : لا . قال : فارفعه أنت عليّ فقال : لا . وإنما فعل ذلك تنبيهاً له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال ، فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع . فقال : يا رسول الله ، مر بعضهم يرفعه علي . قال : لا . قال : فارفعه أنت عليّ . قال : لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله .

قال ابن كثير : كان العباس رضي الله عنه شديداً طويلاً نبيلاً ، فاحتمل شيئاً يقارب أربعين ألفاً وانطلق وهو يقول : إنما أخذت ما وعد الله فقد أنجز يشير الى قوله تعالى : ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ قال أنس رضي الله عنه : فما قام ﷺ من ذلك المجلس وثم أي هناك منها درهم ، واشترى ﷺ من جابر رضي الله عنه جملاً ثم أعطاه ثمنه ، وزاده عليه ثم قال له : اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما . وقد كان جوده ﷺ كله لله في ابتغاء مرضاته ، فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج ، وتارة ينفقه في سبيل الله ، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام باسلامهم ، وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى ما بيده للمحتاجين ، ويتحمل المشقة هو وعياله ، فيأتي

عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار ، وبما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع ، حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى ، وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه فطلبت منه خادماً فقال : لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ، وأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد ، فمنع أحب أهله شفقة على الفقراء .

وهذه القصة رواها الإمام أحمد وغيره عن علي رضي الله عنه أنه قال لفاطمة رضي الله عنها : لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي - بفتح الجيم وكسرها - اي نفطت من كثرة الطحن ، فأتت رسول الله ﷺ فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك واستحيت ان تسأله ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله فأتيا جميعاً النبي ﷺ فقال علي : يا رسول الله ، لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا فقال : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم ، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما اذا غطت رؤوسهما كشفت أقدامهما ، وإذا غطت أقدامهما كشفت رؤوسهما ، فثارا فقال : مكانكما . ثم قال : ألا أخبركما بخبر مما سألتماني ؟ قالا : بلى ، قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام : تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين . والحديث في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه .

وفي شرح الزرقاني على المواهب : ان من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لأن فاطمة رضي الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه .

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه انه ما ترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له : ولا يوم صفين ؟ قال : ولا يوم صفين .

ومن كرمه ﷺ ما رواه البخاري : ان امرأة اتته ﷺ ببردة فقالت : يا رسول الله أكسوك هذه ؟ قال : نعم ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من

الصحابة فقال : يا رسول ، الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقالﷺ : نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيئاً فيمنعه . وفي رواية لا يرد سائلاً فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبيﷺ لعلي اكفن فيها وفي رواية فقال : الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، فكانت كفنه .

وروى الطبراني : انهﷺ أمر أن صنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها ، والرجل الذي سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص كما قيل بكل ، ويحتمل تعدد القصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركاً بهم وبلباسهم ، كما إستدلوا الالباس الشيخ للمريد بحديث انهﷺ ألبس ام خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنهما خميصة سوداء ذات علم ، رواه البخاري .

قال في الشفاء : وهذه الخصال الممدوحة كانت حالهﷺ قبل ان يبعث اي لأن هذا الفضائل والشمائل طبعت في أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته ، بل قبل حصول ولادته كما ورد ، كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضي الله عنها : وكذا ورقة ابن نوفل ، وهو إبن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم .

وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال : اتيت النبيﷺ بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقاً وأجر زغب اي قثاء صغار ، فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً .

وفي مسند الامام احمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت : بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكانﷺ يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حلياً أو ذهباً .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ لا يدخر شيئاً لغد اي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه ، وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنه لعياله اي تسكيناً لقلوبهم ، وهذا وقع في بعض السنين دون بعض .

وفي الشفاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل النبيﷺ يسأله اي شيئاً من

العطاء فاستلف له نصف وسق ، فلما جاء الرجل اي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبيﷺ بوفاء الثمن اعطاه وسقاً بكماله ، وقال : نصفه قضاء ونصفه نائل اي عطاء .

قال الشيخ ابو علي الدقاق : الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبيﷺ : فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهوﷺ يقول امتي أمتي .

وأما امانتهﷺ وعدله وعفته وصدق لهجته . فقد كانﷺ أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ، ولقد اعترف له بذلك اعداؤه ، وكان يسمى قبل النبوّة الأمين .

روى الامام أحمد والحاكم والطبراني : انه حين اختلفت اكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا ان يكون الواضع أوّل داخل عليهم فاذا بالنبي ﷺ داخل ، وذلك قبل نبوّته فقالوا : هذا محمد الامين قد رضينا به ، ففرشﷺ رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ، ثم أخذه فوضعه في موضعه ، وكانوا قبل بعثتهﷺ يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم . وقالﷺ والله اني لأمين في السماء وأمين في الارض .

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه : ان أبا جهل قال للنبيﷺ : أنا لا نكذبك اي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله ﴿ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب .

وروى البيهقي والطبراني وغيرهما ان الأخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا اخبرني عن محمد صادق ام كاذب ؟ فقال أبو جهل : والله ان محمداً الصادق وما كذب محمد قط : زاد في رواية ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة : فماذا يكون لسائر قريش ؟ فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه ، فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق ، والأخنس ابن شريق اختلف فيه فقيل له : اسلام وصحبة وقيل : قتل كافراً يوم بدر وقيل : الذي قتل كافراً شريق لا الاخنس .

وجاء ان هرقل لما سأل أبا سفيان رضي الله عنه فقال له : هل كنتم تتهمونه

بالكذب ؟ قال : لا

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما : ن النضر بن الحرث العبدري قال لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم اي اكثركم افعالاً مرضية واصدقكم حديثاً وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر ، لا والله ما هو بساحر . وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد ان يرضخ رأس رسول الله ﷺ بحجر وهو يصلى تحت الكعبة ، فتمثل له جبريل في صورة فحل ففر هارباً ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحرث قال : يا معشر قريش ، والله قد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الى آخر ما تقدم .

زاد في رواية وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن ، والله ما هو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم ، وقد قلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته ، فانظروا في شأنكم ، والله قد نزل بكم امر عظيم وهذا غاية منه في الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبي ﷺ عليه وسلم وكان يقول في القرآن أساطير الأولين فأخذ أسيراً يوم بدر ، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة . وأما النضير بالتصغير فهو وأخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبي ﷺ يوم حنين مائة من الأبل ، فاحذر ان يتصحف ويلتبس عليك ومن امانته ﷺ ، ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما لمست يده ﷺ يد امرأة قد لا يملك رقها اي لا يملكها نكاحاً وملكا ، فان التزويج يسمى رقاً ، قال ﷺ لأسماء رضي الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقمها ، ومن عدله ﷺ قوله : ابلغوا عني حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر .

وفي رواية : ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة ، وكان ﷺ لا يخير في امرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ، وكان لا يؤاخذ أحداً بذنب احد ، ولا يصدق احداً على احد ، رواه أبو داود عن الحسن البصري مرسلاً ومن عفته ﷺ ما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممت

بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي يرعى لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفاً اي لعباً بالمعازف ، وهي الملاهي من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست انظر فضرب على أذني اي انامني الله قمت فما ايقظني الامس ، الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك اي مثل ما هممت في المرة الاولى ، فعصمني الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط ، وكان ﷺ يعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تنتهك فيه الحرم ، اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير .

وأما زهده ﷺ في الدنيا فقد تقدم من الأخبار ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وكان يقصد بذلك التشريع لأمته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى ، وكان يقول في دعائه : اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً ، وفسر القوت بما يمسك رمتى الانسان . والمراد قدر الكفاية .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة ايام تباعاً حتى مضى سبيله .

وفي رواية ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين ، ولو شاء لأعطاه ما لم يخطر ببال .

وفي رواية اخرى . ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بر حتى لقي الله .

وروى مسلم عن عائشة ايضاً رضي الله عنها : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً .

وفي رواية للبخاري عن جويرية ام المؤمنين رضي الله عنها : ما ترك ﷺ الا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : ولقد مات وما في بيت شيء يأكله ذو كبد الاشطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني فيا ليتني لم أكله ، وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب أجوع يوماً فأصبر واشبع

يوماً فاشكر . فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك واثني عليك .

وفي حديث آخر : ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال : ان الله يقرئك السلام ويقول لك : اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت ؟ فأطرق ساعة ثم قال : يا جبريل ، ان الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له اي لقلة معرفته بحقيقة الدنيا ، من سرعة فنائها وكثرة عنائهاوقلة غنائها وخسة شركائها ، ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها فقال له جبريل : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .

وفي رواية للبيهقي : انه ﷺ قال يوماً لجبريل : ما أمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل فقال : ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الأرض وأمرني ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت .

وفي رواية للامام احمد والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة .

وفي رواية لابن عساكر : لو شئت لسارت معي جبال الذهب .

وفي أخرى للطبراني لو سألت الله ان يجعل لي تهامة كلها ذهباً لفعل .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء .

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير .

وروى ابن ماجه والترمذي عن عائشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم : كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء .

وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط ، والخوان ما يؤكل عليه كالكرسي على عادة المترفهين لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم ، فالصحابة انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة في الأرض والسكرجة فارسي معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء انا صغير

يؤكل فيه القليل من الأدم ، وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ، ونحوها من المهضمات والمرغبات في أطراف المأكولات ، والمرقق الرغيف الأبيض اللين الواسع ، والسميط بمعنى المسموط المشوي بجلد بعد اخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات ، فان لم تخرج كان حراماً وكذا حكم الرؤوس والدجاج ، وانما يحسن السمط في صغار الغنم .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : انما كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أدماً اي جلداً مدبوغاً .

وروى الترمذي عن حفصة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان فراش النبي ﷺ في بيتي مسحاً اي من شعر أبيض ، وقيل أسود نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال : ما فرشتم لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له فقال : ردّوه بحاله فان وطاءته اي لينته منعتني اي كمال حضوري في طاعتي او شغلتني عن القيام لصلاتي وقراءتي ، ولم يسألهم ﷺ في ابتداء ليلته لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره .

وروى الشيخان والترمذي : انه ﷺ كان ينام أحياناً على سرير مرمول اي منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة الشريط في جنبه ، لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعاً قط ، ولم يبث شكوى لأحد قط ، اي لاحد من اصحابه وزوجاته ،
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى ، وان كان ليظل جائعاً طول ليله فلا يمنعه اي جوعه صيام يومه ، وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضي الله عنها ولقد كنت أبكي له رحمة مما ارى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول : نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول : يا عائشة ، مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم ، فقدموا على ربهم فأكرم مابهم وأجزل ثوابهم فأجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم ، وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي . قالت رضي الله عنها : فما اقام اي في الدنيا بعد اي بعد قوله ذلك الا شهراً حتى توفي ﷺ .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ظل رسول الله ﷺ

صائماً ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ، وقال : يا عائشة ، ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها ، والصبر عن محبوبها ، ولم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال ﴿ اصبر كما صبر ألو العزم من الرسل ﴾ واني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله .

قال العلماء : من قال مالي صدقة على اعقل الناس يعطي للزهاد ، لانّ العاقل من طلق الدنيا كما قيل :

طلق الدنيا ثلاثا واطلبن زوجا سواها ... انها زوجة سوء لا تبالي من أتاها
انت تعطيها مناها وهي تعطيك قفاها ... فاذا نالت مناها منك ولتك وراها

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال ﷺ ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غداً في الآخرة ، اي لان من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل ما يأكله من غير وجهه فيجازي بالجوع في الآخرة اما في الموقف اوفي النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها ، والجوع عذاب .

وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : ان اكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة وذلك لأن شأن المؤمن الكامل ان يشتد خوفه ويكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله ، كما ورد في حديث لأبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ :من كثر تفكره وقل مطعمه ، ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه اي لأنّ كثرة المطعم تورث قسوة القلب . وقال جمع من الصحابة ، منهم عمر وبن العاص رضي الله عنه البطنة : تذهب الفطنة ومن قل طعام قل شر به وخف نومه ، ومن خف منامه ظهرت بركة عمره اي لما يباشره من الطاعات في يقظته ، ومن امتلأ بطنه كثر شربه ، ومن كثر شربه ثقل نومه ، ومن كثر نومه محقت بركة عمره ، ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاماً ، فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ، ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه ، فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة .

روى ابو نعيم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لم يمتلىء جوف النبيﷺ شبعاً قط ، كان اذا تغدّى اي أكل في غدوة النهار وبكرته لم يتعش اي لم يأكل في المساء ، واذ تعشى لم يتغد وكان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ، ان اطعموه أكل اي ان قدموه له ليأكل أكل ، وما أطعموه قبله منهم وما سقوه اي من الأشربة لبن أو غيره شرب .

وروى مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها . ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضيء الى النوم والكسل والبطر والاشر ، وقد تنتهي كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة .

روى البخاري ومسلم ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير لتحمله على التأسي بالنبيﷺ والاقتداء به في التقلل : والله يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ، ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة اهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول اللهﷺ : نار قال : قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت : الأسودان التمر والماء .

وروى مسلم عنها رضي الله عنها : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين ، خصت الزيت لأنهم كانوا يأتدمون به كثيراً ، ومع ذلك لم يأكله في اليوم الا مرة زهداً في الدنيا .

وعن ابي حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : هل رأيتم في زمان النبيﷺ التقى بعني الخبز الحواري ؟ قال : لا قلت : كنتم تنخلون الشعير ؟ قال : لا ولكنا كنا ننفخه ، رواه البخاري .

وفي رواية : هل أكل رسول اللهﷺ النقي ؟ قال :ما رأى رسول اللهﷺالنقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت : هل كان لكم في عهد رسول اللهﷺ مناخل ؟ فقال : ما رأى النبيﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثرّينا فأكلناه أي نديناه وليناه ثم خبزناه فأكلناه .

وروى مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول اللهﷺ ذات يوم في ساعة لا يخرج فيها احد ولا يلقاه فيها احد فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما : اخرجنا الجوع يا رسول الله قال : وانا والذي نفسي بيده أخرجني الذي اخرجكما ، وهذا قاله تسلية وتأنيساً لهما

فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري رضي الله عنه وكان رجلاً كثير النخل والشياه واذا هو ليس في بيته ، فلما رأت امرأته النبيﷺ قالت : مرحباً وأهلاً وفي رواية مرحباً بنبي الله وبمن معه . فقال لها رسول اللهﷺ : اين فلان ؟ يعني زوجها قالت : ذهب يستعذب لنا الماء اي يستقي لنا ماء عذباً من بئر بعيدة وكانت اكثر مياه المدينة مالحة ، فبينما هم على ذلكاذ جاء الانصاري فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبيﷺ ويفديه بأبيه وأمه .

وفي رواية فنظر الى رسول اللهﷺ وصاحبيه فقال الحمد لله اي على هذه التي لم يظفر بها غيري في هذا اليوم ما احد اليوم اكرم أضيافاً مني فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال : كلوا وأخذ المدية اي السكين ليذبح لهم فقال له النبيﷺ : اياك والحلوب اي باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها ، فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه ، وأتاهم به فلما وضع بين يديهﷺ اخذ من ذلك فجعله في رغيف وقال للأنصاري : ابلغ بهذا فاطمة رضي الله عنها ، فانها لم تصب مثله منذ ايام ، فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب ، فلما ان شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم .

وفي رواية انه قال : هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ، ثم انطلق أبو الهيثم بصنع لهم طعاماً وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة .

وفي رواية فكبر ذلك على أصحابه اي كون هذا من النعيم الذي يسئلون عنه فقال : اذا أصبتم مثل هذا فصار بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمدلله الذي أشبعنا وأنعم علينا وأفضل ، فان هذا كفاف فقال عمر رضي الله عنه ، يا رسول الله انا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة قال : نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته ، او ثوب يستر به عورته ، او حجر يدخل فيه من القر والحر .

وفي هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار ابي الهيثم رضي الله عنه لا ينافي شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهم السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم ، وان يسقنوا بهم ففعلوا ذلك تشريعاً للأمة وفي قول امرأة ابي الهيثم يستعذب لنا ماء دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافي الزهد وان السبب لا ينافي التوكل اذ التوكل اعتماد

القلب على الله وان لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه بالحركة الظاهرة لا تنافيه ، وقصده ﷺ بيت الأنصاري رضي الله عنه من هذا القبيل ، ومن زهده ﷺ ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال : اخذ رسول الله ﷺ بيدي ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال : ما من أد م؟ اي هل عندكم شيء من الأدم آكل الخبز به ؟ قالوا : الا الا شيء من خل . قال : نعم الأدم الخل .

قال جابر : فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله ﷺ .

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن بجير رضي الله عنه قال : اصاب النبي ﷺ الجوع يوماً فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم .

وروى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن ابي طلحة زوج امة رضي الله عنهما قال : شكونا الى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين ، وإنما رفع لهم ليعلمهم ان ليس عنده ما يستأثر به عليهم ، وتسلية لهم لا شكاية ، ان ما بهم من الجوع اصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين .

وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق ، قام ﷺ الى الكدية وبطنه معصوب بحجر ، وما أحسن قول البوصيري رحمه الله .

وشد من سغب احشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

والكشح ما بين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع في بعض الأوقات ليحصل له تضعيف الأجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه ، حتى ان من رآه لا يظن به جوعاً وانما يعرفه بعض الخواص كأبي طلحة بالصوت ونحوه لأن جسمه ﷺ كان يرى اشد نضارة وحسناً من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم في الدنيا ، وهذا المعنى هو الذي قصده البوصيري رحمه الله بقوله : مترف الأدم اي حسن الجلد ناعمة ، وهو من باب الاحتراس والتكمبل لأنه لما ذكر انه شد من سغب او جوع خاف ان يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه اثر الجوع وهو النعف فاحترس ، ورفع ذلك الأبهام بقوله : مترف الأدم . وحصول الجوع في بعض الأوقات لا ينافي قوله ﷺ حين سألوه عن مواصلته في الصوم لست كأحدكم

ان ربي يطعمني ويسقيني لأن كلا منهما حصل له في وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغني عن الطعام والشراب في بعض الأوقات ، وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها. وفي بعض الأوقات يحصل له شيء من الجوع حتى يظهر لبعض اصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الأجر والثواب وليقتدوا به ويتصبر وا اذا حصل لهم شي من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا في الدنيا ويتفللوا منها . وقيل : ان عصب الحجر على البطن ليس لأجل الجوع بل لأن عادة العرب أو اهل المدينة ان يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ، ففعل ذلك ﷺ تطبيقاً لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله ، وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم .

ومن زهده ﷺ انه اوتي مفاتيح خزائن الأرض فأعرض عنها وفتح كثير من البلاد في حياته ﷺ وجاءته اموالها فقسمها بين اصحابه وما إستأثر بشيء منها اولا أمسك ديناراً ولا درهماً . بل صرفها في مصارفها ، وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف ﷺ بأكمله وأعلاه .

وفي الشفاء عن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته اي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال : المعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي ، وذكر الله انيسي ، والثقة بالله كنزى ، والحزن رفيقي ، والعلم سلاحي ، والصبر ردائي ، والرضي غنيمتي ، والفقر فخري ، والزهد حرفتي ، واليقين قوت روحي ، والصدق شفيعي ، والطاعة حسبي ، والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة .

وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمى لأجل امتي وشوقي الى ربي .

قال ملا علي القارئ في شرحه على الشفاء والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها اي هذه الألفاظ الا عن بينة اهـ .

ومن معجزاته ﷺ

التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤية اصحابه لهم وقتالهم معه ، ومع اصحابه يوم بدر ، حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها ، وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون

الضارب ، ورأى ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالاً بيضا على خيل بلق بين السما والأرض ، وأرى النبيﷺ مرة جبريل لعمة حمزة رضي الله عنه فخر مغشياً عليه من عظمته وهيئته وحديثه ، رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما ، وروى ابن سعد انها كانت تصافحه .

ومن دلائل نبوّتهﷺ

ما تتابعت به الاحبار عن الرهبان والاخبار وعن الكهان على السنة الجان وعلى غير ألسنتهم ، وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحش ، وما جاء من علماء أهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته ، كما تقدم بسطه اول الكتاب في مواضعه ، قال كعب الاخبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار ، مولده بمكة وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام ، وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء .

قال وهب بن منبه في الزبور : ياداود سيأتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقاً سيداً الا اغضب عليه ابداً وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخروا ، وأمته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء .

وروى البيهقي : انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان اسقفا للنصارى على النبيﷺ رآه وتحقق صفاته . قال : والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق ، والذي بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الانجيل ، وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين ، مد يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله .

وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود اسلموا على يد النبيﷺ بخيبر ، وأخبروا ان حبراً من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبيﷺ بسنتين ، فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤوه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى ارض البؤس . قالوا : انت اعلم قال : انما خرجت اتوقع

مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذا البلاد فاتبعوه ، فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شباناً احداثاً يا معشر يهود ، والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان : قالوا : ما هو به ؟ قالوا : بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا اموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن ، فردها عليهم رسول الله ﷺ . . .

ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات امته قال موسى : رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتي :قال : تلك امة محمد . قال : اني اجد فيها امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي : قال تلك امة محمد قال : اجد امة انا جيلهم في صدورهم يقرؤونها فاجعلهم امتي قال : تلك امة محمد .

وفي الزبور : يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمداً صدوقاً سيداً أمته مرحومة ، افترضت عليهم أن يتطهّروا والكل صلاة كما افترضت على الأنبياء ،وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها أعطيتهم ستاً لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب فعلوه عمداً إذا استغفروني منه غفرته لهم ، وما قدّموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ولهم في المدخور عندي أضعاف مضاعفةً وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم ، فان دعوني استجب لهم فإما أن يروه عاجلاً جو أصرف عنهم سواء أو أدخره لهم في الآخرة .

ومما أخبر الله به في القرآن : أنه مذكور في التوراة والإنجيل من صفاته ﷺ قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسل النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك المفلحون ﴾ ولو لم يكن هذا مكتوباً عندهم في التوراة لكان الأخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته ﷺ ، لأن الكذب والبهتان من أعظم المنفرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله ، فلما قال لهم هذا دل على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة

والإنجيل ، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته ، لكن أهل الكتاب كما قال تعالى :

﴿ يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرّفون الكلم عن مواضعه ﴾ وإلا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمداً ﷺ كما عرفوا أبناءهم ، وحرفوا ما وجدوه في التوراة والإنجيل وبدلوه ﴿ ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ : قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وحرز للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بلفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً .

وفي رواية لابن اسحق : ولا صخب بالأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوّال للخنى أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقولة ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة ، واعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، واسمى به بعد النكرة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وامم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وأخرج ابن سعد عما هو مذكور في بعض الكتب المنزلة : أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بإخراج هاجر حملها على البراق لكان لا يمر بأضر عذبة سهلة إلا قال : أنزل ههنا يا جبريل ؟ فيقول له : لا حتى أتى مكة فقال جبريل : إنزل يا ابراهيم ؟ قال : حيث لا ضرع ولا زرع ؟ قال : نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا .

وفي التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في أعلام النبوّة تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران فسيناء ،

هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ، وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى ، فظهرت فيه نبوّته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبيﷺ يتحنث في أحدها ، وفيه فاتحة الوحي وهو حراء . قال ابن قتيبة ولا إشكال في هذا لان تجلي الله من سيناء إنزاله التوارة على موسى عليه السلام بطور سيناء ، ويجب أن يكون إشراقه من ساعير انزله على المسيح الإنجيل ، وإن يكون استعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمدﷺ ، وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف ، فان قال قائل منهم : إن جبال فاران ليست بمكة ؟ قلنا له : أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران ؟ وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح ، أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد ؟ وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

قال في المواهب ، وفي التوراة أيضاً مما ذكره ابن ظفر في اثناء خطاب لموسى عليه السلام ، والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته ، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني انتقم منه . وفي هذا الكلام أدلة على نبوّة سيدنا محمدﷺ لقوله نبياً من إخوتهم ، وموسى وقومه من بني إسحق واخوتهم بنو إسمعيل ، ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من أنفسهم لا من إخوتهم ، ولقوله نبياً مثلك وقد قال في التوراة : لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفي ترجمة أخرى : مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً ، فذهبت اليهود إلى أن هذاالنبي الموعود به هو يوشع بن نون ، وذلك باطل ، لأن يوشع لم يكن كفؤاً لموسى عليه السلام ، بل كان خادماً له في حياته ومؤكداً لدعوته بعد وفاته ، فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدﷺ فانه كفء موسى لأنه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرح الأحكام ، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه واضح في ان المقصود به سيدنا محمدﷺ ، لأن معناه أوحى اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ، ولا أنزل صحفاً ولا ألواحاً لأنه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب . وفي الإنجيل عن عيسى عليه السلام . إني أطلب إلى ربي فارقليط يكون معكم الى الأبد . وفيه أيضاً على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي النبوة ، يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم ما قلته وأني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون ، حتى إذا كان تؤمنوا

وفيه أيضاً : أقول لكم الآن حقاً انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم إلى ربكم لم يأتكم الفارقليط ، وان انطلقت أرسلت به اليكم ، فإذا جاء يفيد العالم يؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق ، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه .

وفيه أيضاً : مما ذكره ابن ظفر بأن في الدار المنظم عن المسيح عليه السلام : أنه قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم فارقليط آخر ، يثبت معكم الى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه ، فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه ، وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبداً ، فهل هذا إلا محمد ﷺ ؟ وقد اختلفت النصارى في تفسير الفارقليط فقيل : هو الحامد وقيل : المخلص فان وافقناهم على أنه المخلص أفضى بنا الأمر الى أن المخلص رسول يأتي بخلاص العالم ، وذلك من غرضنا لأن كل نبي مخلص لأمته من الكفر ، ويشهد له قول المسيح في الإنجيل إني جئت لخلاص العالم ، فإذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذي سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر ، ففي مقتضى اللفظ ما يدل على أنه قد تقدم فارقليط أوّل حتى يأتي فارقليط آخر ، وإن نزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا .

وفي بعض تراجم الإنجيل : ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس ، وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شيء ويذكرهم . وفي الإنجيل : الفارقليط إذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ، ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث .

وفيه أيضاً . فإذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذي أرسله ، وهذا كما قال تعالى في حقه ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ، ومن ذا الذي أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب إلا محمد ﷺ ، ولله رد أبي محمد الشقراطي حيث قال :

توراة موسى أنــت عنــه فصدقها إنجيل عيسى بحــق غــير مفتعل
أخبـار أحبـار أهــل الكتـب قد وردت عما رأوا ورووا في الاعصر الأول

ويعجبني قول العارف الرباني أبي عبد الله بن النعمان :

هذا النبــي محمــد جاءت به توراة موسى للإمــام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ذكر لأحمــد معــرب ومذكر

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبي امامة الباهلي ، عن هشام بن العاص الأموي قال : بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الإسلام فذكر الحديث ، وانه أرسل اليهما ليلاً قال : فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة ، فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فإذا فيهـا صورة حمراء ، فإذا رجل ضخم العينين عظيم الأليتين ، لم ير مثل طول عنقـه وإذالـة ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال : أتعرفون هذا ؟ قلنـا : لا قال : هذا آدم عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل أحمر العيني ضخم الهامة حسن اللحية فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا نوح عليه السلام . ثم فتح باباً آخر وأخرج حريرة فإذا فيها صورة بيضاء ، فإذا فيها والله رسول الله ﷺ قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم . محمد رسول الله ونبينا . قال : والله إنه لهو . ثم قام قائماً ثم جلس وقال : إنه لهو : قلنا نعم : إنه كأنه ينظر اليك فأمسك ساعـة ينظـر اليها . ثم قال : أما والله إنه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم الحديث . وفيه ذكر صور الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له : من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل الله عليهم صورهم فكانت في خزانـة آدم عليه السـلام عنـد مغـرب الشـمس ، فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام .

وفي الزبور في مزبور أربعة وأربعين : فاضت النعمة من شفتيك من أجـل هذا باركك الله الى الأبد ، تقلد أيها الجبار لسيف فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة وجميع الأمم يخبرون بحبك ، فهذا المزبور ينوّه بمحمد ﷺ ، فالنعمة

التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله ، وهو الكتاب الذي أنزل عليه والسنة التي سنها .

وفي قوله : تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبي العربي إذ ليس يتقلد السيوف أمة من الأمم سوى العرب ، فكلهم يتقلدونها على عواتقهم .

وفي قوله : فان شرائعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه ، والجبار هو الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبراً .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب نوراً يملأ ما بين المشرق والمغرب ، ولأخرجن من ولد إسمعيل نبياً عربياً أمياً يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض ، كلهم يرضى بالله رباً وبه رسولاً ، يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها . قال موسى : سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته . قال الله : يا موسى ، إني أنتقم من عدّوه في الدنيا والآخرة ، وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته ، بالعدل ربيته وللقسط أخرجته ، وعزتي لاستنقذن به أمماً من النار ، فتحت الدنيا بابراهيم وأختمها بمحمدﷺ ، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء نقله في المواهب عن ابن ظفر .

ومن دلائل نبوتهﷺ :

خبر ورقة بن نوفل ابن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان ، وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بما رأته منه من أعلام النبوة ، وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب ، وانه رأى ملكين يظلانه فقال : إن كان هذا حقاً فمحمد نبي هذه الأمة ، وقد عرفت ان لها نبياً ينتظر وهذا زمانه ، ثم أنه كان يستبطيء الأمر حتى قال :

تبكر أم أنت العشية رائح ... وفي الصدر من اضمارك الحزن فادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم ... كأنك عنهم بعد يومين نازح
فاخبار صدق خبرت عن محمد ... يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فذاك الذي يعتام يا خير حرة ... بغوره بالنجدين حيث المسامع

الى سوق بصرى والـركاب التـي غدت ... وهـن من الأحمـال قعص ذوابح
يخبرنـا عن كل خـير يعمله ... وللحـق أبـواب لهـن مفاتح
بأن ابـن عبـد الله أحمـد مرسل ... إلى كل من ضمـت عليه الأباطح
وظنـي به ان سوف يبعـث صادقاً ... كما بعـث العبـدان هود وصالح
ومـوسى وابـراهيم حتـى يرى له ... بهـاء وميسـور من الـذكر واضح
وتتبعهـا حبـاً لؤى جماعة ... شبابهم والأشيبـون الحجاجح
فان أبقـى حتـى يدرك النـاس دهره ... فإنـي به مسـتبشر الـود فارح
وإلا فإنـي يا خديجـة فاعلمـي من ... أرضـك في الأرض العريضـة سائح

وهذه شواهد صدق بإيمانـه مع ما ذكره بعضهـم من انـه صحابـي ، بل هو أوّل الصحابة بناء على أنه أجتمع به بعد الرسالة ، إذ صح أنه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه ، واخباره له عن ربه بأنه رسول هذه الأمة بعد إنزال : ﴿ اقرأ باسم ربـك الـذي خلق ﴾ عليه ، وبعد قول ورقة له : أبشر فأنا أشهد أنك الذي لبشر به ابن مريم ، وإنك على ناموس عيسى ، وانك نبي مرسل . وقد ورد انهﷺ رآه في الجنة وعليه ثياب خضر .

وفي مستدرك الحاكم : انهﷺ قال : لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا على القارىء في شرح الشفاء : وأما ما نقله الذهبي عن ابن منده انه قال : الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالـة قواه جداً ، ويرده ما في صحيح البخـاري عنـه صريحاً ، وبالجملة فأخبار الأحبار والرهبان الواردة في ذكرهﷺ وشهادتهم بأنه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر ، وإنما امتنع من امتنع منهم من الدخول في الإسلام حسـداً وعنـاداً واختياراً للبقاء على الشقاء ، وقد قرع أسماعهم بأنه مذكور في كتبهم ، وأن صفته عندهم كذا ، وصفة أصحابه كذا ، كقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفـار ﴾ الى قولـه : ﴿ ذلك مثلهـم في التـوراة ﴾ ثم قال : ﴿ ومثلهـم في الإنجيل كزرع ﴾ الآية ، فقد احتج عليهمﷺ بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتخـريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ، ودعاهم الى المباهلة فما منهم إلا من فرّعن معارضته وعن إبداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس وتخريب الديار ونبذ القتال .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

ما سمع من أجواف الأصنام وما وجد من اسم النبي ﷺ والشهادة له بالرسالة، مكتوباً في الحجارة والقبور بالخط القديم ، وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أوّل هذا الكتاب وكان ذلك سبباً لإسلام كثير ممن شاهدواه .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفي أيام رضاعه عند حليمة رضي الله عنها ، وما حكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها ، وما حكاه من حضر مولده من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطاً في باب ذكر الخوارق ، التي ظهرت في رضاعه وقبله وبعده أيضاً فارجع اليه إن شئت .

ومن دلائل نبوته ﷺ :

انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نوراً وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه . قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة ، وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية ، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا بحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديواناً جامعاً يشتمل على مجلدات عديدة ، ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين : أحدهما كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا ﷺ مثلها أو ما هو أبلغ منها ، أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة ، وكل آية منه كذلك .

وقال بعضهم : جمل جملة منه معجزة ، وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف وإعجازه من طريق بلاغته وطريق لفظه وطريق نظمه ، فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه إعجاز آخر من الأخبار بعلوم الغيب ، فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد ، وإن نظرت الى بقية وجوه الإعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العدّ معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه . ثم أن الأخبار والأحاديث الواردة عنه ﷺ في أبواب خوارق العادات والأخبار بالمغيبات ، تبلغ نحو ذلك من التضعيف ما ما في معجزاته ﷺ من الشهرة والوضوح، وكانت معجزات

الرسل على حسب حال أهل زمانهم ، فلما كان زمن موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه ، فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم . وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب ، فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص دون معالجة للطب ، وهكذا سائر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم . ثم ان الله بعث سيدنا محمداًﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة : البلاغة المقروة بالفصاحة ، والشعر والأخبار بانساب العرب وأيامها ووقائعها ، والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات وإظهارها ، وإدعاء معرفة أسرارها ، فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الأربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ، ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ، ومن الأخبار عن الحوادث والأسرار والمخبآت التي كانت كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب .

وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة ، والحوادث الماضية ما يعجز من تفرع لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه ، وتأمل وجوه إعجازه منضماً الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقة بظهور ما أخبر به ، على ما وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان ، وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منهاالى علم اليقين ، وإن كان كل عندها حقاً ، وجميع معجزات الرسل انترضتت بانقراضهم ، وعدمت بانتقالهم ، ومعجزة نبيناﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل .

وإلى هذا أشارﷺ بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة . وقوله : ما من الأنبياء نبي إلا اعطي ما مثله آمن عليه البشر ، معناه ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئاً الجأ من شاهده الى الايمان به ، فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه ، وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ، ولم يلمع برهانه كقلب

العصا لموسى حية تسعى ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً معجز في أعلى طبقات البلاغة ، وأقصى غايات الفصاحة ، كريم الفائدة ، عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الأمة قرناً بعد قرن على مرور الأزمنة ، فلذا رتب عليه قوله فأرجو أي بسبب بقائه وظهور ضيائه أني أكثرهم تابعاً وقيل : المراد انه وحي وكلام لا يمكن فيه النخيل ولا النحيل فان غير معجزة نبيناﷺ قد قصد المعاندون إبطالها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء ، كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر ، او يتحيل فيه .

والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات ، كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعراً أو خطيباً بضرب من الحيل والتمويه ، ثم إن عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ، ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم ، والسبي والأذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال ، والتقريع والتوبيح والتعجيز والتهديد والوعيد ، فذلك أبين آية ، وأظهر علامة ، وأبهر دلالة للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته ، فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها ، كقلب العصا حية ونحوه ، فانه قد يسبق الى بال المناظر مبادرة قبل التأمل إن ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة في ذلك الفن ، كما توهم فرعون حيث قال : ﴿ انه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ بخلاف ما لا يعرف انه معجز إلا بالتأمل والفكر ، فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحي ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر ، إذ هو فعل الفاعل القويّ القادر والتحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ، ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعي على المعارضة أبلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ، ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الإدراك ما ليس لغيرهم ، جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة ، بوجوه الإعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبني اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب ، فإنهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم ، فاستخف قومه فأطاعوه : ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ وجوز عليهم السامري ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم ، وعبدت طائفة من بني اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للأبصاربقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ، ومع هذا قالوا لموسى : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة ﴾ ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع ، وإنما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده ، قبل بعثة الرسول ﷺ كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ، ومنهم من أدرك بعثته ﷺ فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم ، وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيماناً واكتسبوا إحساناً وايقاناً ، ورفضوا الدنيا كلها في صحبته ويمن همته وبركة متابعته ، وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته .

فجميع هذه الأشياء لم توجد في غير القرآن من بقية المعجزات ، ولم تكن لغير نبينا ﷺ ممن أوتي خوارق العادات ، وأما كونه لم يؤت أحد من الأنبياء شيئاً من المعجزات إلا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها ، فقد تصدّى العلماء لبيان ذلك فقالوا : انه ﷺ أعطي ما أعطيه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واختص باشياء لم يعطها أحد غيره ، فمن ذلك أنه أوتي جوامع الكلم وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً الا في حال نبوّته أي بعد بعثته وزمان رسالته ، ولما أعطي ﷺ هذه المنزلة علمنا أنه الممدّ لكل إنسان كامل مبعوث ، فمنه أفاض الله على جيمع من تقدّمه من الأنبياء والمرسلين أحوالاً كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل ويرحم الله الأبوصيري حيث يقول :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يعني ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد ﷺ الذي أوجده الله قبل وجوده في هذا العالم ، وما أحسن قوله : فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي أن نوره ﷺ لم يزل قائماً به ولم ينقص منه شيء . ولو قال : فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شيء ، وإنما كانت آيات كل واحد من نوره ﷺ لأنه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس ، يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم ، فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي ، عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل

وجوده عليه الصلاة والسلام ، كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانها وصلت اليهم من نوره ﷺ ، والحاصل ان جميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام الذي قبله ﷺ من الأنوار ، فإنما هو من نوره الفائض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء ، فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة ، فنورها لم ينقص منه شيء ، ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بمحله ، وأوّل ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة ، وأمدّه بالأسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمد ﷺ ، فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ثم توالت الخلفاء في الأرض اي تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام ، فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا ﷺ لاظهاره منزلته وشرفه عند الله ، ظهر اندراج كل نور في نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء ، ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوّته والنبوّات كلها تحت لواء رسالته ، فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطي ﷺ مثلها ، فجمع فيه ما فرق فيهم فآدم عليه السلام أعطي أن الله خلقه بيده ، فأعطي سيدنا محمد ﷺ شرح صدره ، فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي . قال تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودي ، ومن سيدنا محمد ﷺ الخلق النبوي ، مع ان المقصود من خلق آدم خلق نبينا في صلبه ، فسيدنا محمد ﷺ المقصود وآدم الوسيلة ، والمقصود سابق على الوسيلة .

وأما سجود الملائكة لآدم فقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره : إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور نبينا ﷺ كان في جبهته ظاهراً . ولله در القائل :

تجليت جل الله في وجه آدم فصلى له الأملاك حين توسل

وفي المواهب عن الإمام سهل بن محمد قال : هذا التشريف الذي شرف الله به سيدنا محمداً ﷺ بقوله : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ الآية ، أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود ، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف لاستحالته في حقه سبحانه ، إذ السجود من صفات الاجسام ، فالتشريف الذي يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة

وهو السجود .

وأما تعليم آدم الأسماء فقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها ، بل هو ﷺ علم الأسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها ، فذات العلوم وحقائقها له ﷺ ، والذي لآدم ذلك بالنسبة له ﷺ الأسماء فقط ، ولله در الأبوصيري حيث يقول :

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب منها لآدم الاسماء ولا ريب

أن المسميات أعلى من الأسماء لأن الأسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات واليه الايماء بقوله : لك ذات العلوم والأسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهي دونها ، ففضل العالم بحسب فضل معلومه ، فنبينا ﷺ أفضل من آدم عليه السلام . وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكاناً علياً ، وأعطى لسيدنا محمد ﷺ المعراج ورفع إلى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك . وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آدم معه من الغرق . وأعطى سيدنا محمداً ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود برداً وسلاماً ، فأعطى سيدنا محمد ﷺ نظير ذلك ، وهو إطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أي ابطال مكايد الكفار التي كانوا يدبرونها لحربه ، وناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الجسد ومطلبها الروح والجسد . قال تعالى : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﴾ فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يحمد شرورهم ، ويحفظ لمحمد ﷺ سروره وظهوره .

وفي المواهب : انه ﷺ ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه .

وروى النسائي : ان محمد بن حاطب رضي الله عنه قال : كنت طفلاً فانصبت القدر عليّ واحترق جلدي كله ، فحملني أبي . وفي رواية : أمي الى رسول الله ﷺ ، فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال : أذهب البأس رب

الناس فصرت صحيحاً لا بأس فيّ .

ورواه الامام أحمد أيضاً والبخاري في تاريخه ، وقد خمدت نار فارس لنبيناﷺ وكان لها ألف عام لم تخمد .

وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكانﷺ يمر به ويمر يده على رأسه فيقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على ابراهيم .

وروى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد قالت : أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال : يا جارية هلمي المائدة نتغدى ، فأتت بها ، ثم قال : هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال : أسجري التنور فأوقدته ، فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا : ما هذا ؟ قال : هذا منديل كان رسول اللهﷺ يمسح به وجهه ، فإذا اتسخ صنعنا به هكذا لأن النار لا تأكل شيئاً مر على وجوه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد ألقى غير واحد من أمتهﷺ في النار فلم تؤثر فيه .

روى ابن وهب عن ابن لهيعة : ان الأسود العنسي لما ادّعى النبوة وغلب على صنعاء ، أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبيﷺ ، فلم تضره النار . فذكر ذلك النبيﷺ لأصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل ابراهيم الخليل .

وروى ابن عساكر ان الأسود بن قيس العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما اسمع . قال : أتشهد ان محمداً رسول الله ؟ قال : نعم فأتى بنار عظيمة فألقاه فيها فلم تضره ، فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم المدينة ، وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر : الحمد لله الذي ألبثني حتى أراني في أمة محمدﷺ من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأما ما أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة ، فقد أعطيه نبيناﷺ وزاد بمقام المحبة ، ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر ، وقد أعطى سيدنا محمدﷺ كسرها بمحضر من أولى نصرها عام الفتح ، وهم اذلاء لا يستطيعون

نصرها . وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة ربانية ومادة إلهية ، اجتزأ فيها بالأنفاس عن الفاس وما عول على المعول ، ولا عرض في القول ، بل قال جهراً غير سر : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وقد دخل ﷺ مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً ، فجعل بطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت ، رواه الشيخان ، وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذي بوأه الله له ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الأسود ، بل هو سويداء القلب ، بل جاء انه يمين الرب ، وذلك على التمثيل ولله المثل الأعلى .

روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ، ومسحه كناية عن إستلامه كما تستلم الأيمان ـ بفتح الهمزة ـ جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود ، والمعنى أنه يستلم باليد كما يستلم من أراد عهداً أو يميناً يمين صاحبه عند المعاهدة ، والحلف كما كانت عادته ، وقد أعطى الله سيدنا محمداً ﷺ أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء في شأنه عن أحبار اليهود ، وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ حين الجذع ، وقد مرت قصته مفصلة ، وكذا مشي الأشجار بين يديه وتكليمها له ، فان ذلك أعجب من العصا . ولما أراد أبو جاهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه ﷺ ثعبانين ، فانصرف مرعوباً كما انصرف فرعون مرعوباً عند إلقاء العاص ، وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أي برص ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه ، ثم منه الى أمه آمنة ، وكان بيناً ظاهراً في جباههم ، وتقدم تفصيل ذلك ، وأعطى النبي ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال : انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً ، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج ، رواه أبو نعيم والإمام أحمد والطبراني .

وأخرج البيهقي وصححه الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال : كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ في حاجة فتحدثنا عنده حتى ذهب من

الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا ، فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها إكراماً لهما ببركة نبيهما ﷺ ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ مقصده ، رواه البخاري وغيره .

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء ، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم أي ركابهم وما سقط من متاعهم ، وإن أصابعي لتنير أي تضيء ، ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضاً انفلاق البحر ، فأعطى نبينا ﷺ انشقاق القمر ، فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم ، فموسى تصرف في عالم الأرض بضربه البحر بعصاه فانفلق ، وسيدنا محمد ﷺ تصرف في عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه ، والفرق بينهما واضح ، فإذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الأرض .

وذكر ابن حبيب ، ان بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف تكون بحار الأرض بالنسبة اليه كالقطرة ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا ﷺ ليلة الإسراء ، حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام ، لأن بحار الأرض قد يقع فيها زوال الماء في مواضع منها بحيث يمكن المشي في الأرض التي بينها ، والبحر الذي بين السماء والأرض لا مقر له من الأرض حتى يسلك فيه ، بل هو على صفة الله أعلم بها .

ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام : أجابه دعائه في قوله : ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ الآية . قال تعالى : ﴿ قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ وقال : ﴿ ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ قد أجبت دعوتكما ﴾ وأعطى نبينا ﷺ من ذلك أعني إجابة الدعاء ما لا يحصر ـ كما تقدم ـ كثير من ذلك ، ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ وأعطي سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة ، لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع الماءَ منها ، بل قال تعالى : ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾ ولم تجر العادة

بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى ﷺ : ويرحم الله القائل :

وكل معجـزة للرسـل قد سلفت ... وافى باعجـب منهـا عنـد إظهار
فما العصـا حية تسعـى بأعجـب من ... شكوى البعـير ولا من مشي أشجار
ولا انفجـار معـين الماء من حجر ... أشـد من سلسـل من كف جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام ، فأعطى سيدنا محمد ﷺ مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنـوي مع الـرؤية التـي منعهـا موسى عليه السلام ، وأما ما أعطيه هرون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان ، فقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، وتقدم تفصيل ذلك ، وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن ، فقد أعطي نبينا ﷺ الحسن كله ، ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله ﷺ تبين له التفضيل لنبينا ﷺ على كل مشهور بالحسن في كل جيل . وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضاً من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا ﷺ من ذلك ، لأنه أعطي من ذلك ما لا يدخله الحصر ، ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب ، وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يمزقه كيف شاء من غير إحماء ولا طرق بآلة ولا قوة ، فأعطى نبينا ﷺ أن العـود اليابس اخضر في يده وأورق ، ومسح ﷺ شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرّت وقد تقدمت قصتها . وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك ، فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون ، وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان ، وكلمه ذراع الشاة المسمومة ـ كما تقدم ـ تفصيل ذلك ، وذلك أقـوى في الاعجـاز وأبلـغ من إحياء الإنسان لأنه جزء حيوان دون بقيته ، فهو معجزة لو كان متصلاً بالبدن فكيف وقد أحيا الله وحده منفصلاً عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حياً قادراً على النطق ، ولم يكن حيوانه يتكلم ، فهو أبلغ من إحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإحياء الطيور لابـراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب ، وشكا اليه البعير ، وتقدم كل ذلك مفصلاً .

وروى أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ﷺ ويكلمه فقال : أيكم فجع

هذا بولده ؟ فقال رجل : أنا . فقال : أردده ، رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت ، وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهراً ورواحها شهراً وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الأرض ، فقد أعطي سيدنا محمدﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف ، فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة ، وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك لا يعلمه إلا الله وهذا كله ببناء على ان العروج الى السموات كان على البراق ، والذي اختاره السيوطي أن العروج كان على المعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، والإسراء على البراق إنما كان لبيت المقدس ، وأيضاً فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحي الأرض ، ونبيناﷺ زويت له الأرض حتى رأى مشارقها ومغاربها ، وفرق بين من يسعى الى الأرض ومن تسعى اليه الأرض . وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين ، فقد روى أن أبا الشياطين أبليس اعترض سيدنا محمداًﷺ وهو في الصلاة فأمكنه الله منه ، وربطه بسارية من سواري المسجد وهذا أمكن ، ومما زاد بهﷺ على سليمان إيمان الجن بهﷺ فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به ، والنبيﷺ استسلمهم ولا شيء أعلى من الإسلام ، وأما عد الجنّ والطير من جنود سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وحُشر لسليمان جنود من الجنّ والإنس والطير﴾ فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة أجناده باعتبار الجهاد في بدر العظمى ، وباعتبار تكثير السواد في غيرها الإرهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمياتها له من عدوه ، إذا الغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية من الأعداء ، وقد حصلت حمايتهﷺ منهم بذلك التعشيش ، وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك ، فنبيناﷺ خيرٌ بلا طلب بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فاختارﷺ أن يكون نبياً عبداً ، ولله در القائل :

* يا خير عبد على كل الملوك ولي *

أي جعلت له الولاية عليهم ، وكفى بذلك شرفاً . وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى باذن الله ، فقد أعطى سيدنا محمدﷺ أنه رد العين لقتادة رضي الله عنه إلى مكانها بعدما سقطت فعادت أحسن ما كانت .

وروي أن امرأة معاذ ابن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله ﷺ فمسح عليها بعصا ، فأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لأنها أجنبية ، وتقدم تسبيح الحصى في كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه ، وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم ، فحلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه ﷺ أبلغ من حياة الحيوان ، لأنه كان محلاً للحياة في وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية .

قال أبو نعيم : ونظير خلق الطين طيراً جعل العسيب سيفاً ـ كما تقدم ـ وفي دلائل النبوّة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي ﷺ : أرني قبرها فأراه إياه فأتاه فقال : يا فلانة ، فقالت : لبيك وسعديك ، وتقدمت القصة بتمامها والحاصل : أن النبي ﷺ شارك عيسى في إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ، وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما في كلام ذراع الشاة المسمومة ، ولم يعهد مثله لغيره ﷺ . وأما نزول المائدة فكانت محنة لبني إسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها ، وعلى تقدير الكرامة فهي إجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا ﷺ إجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ، ولا خفاء إنه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله ، وهم زهاء ألف ونيف ، فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان ، بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة ، بتقدير كفران النعمة ، بل كانت نعمة محضة .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة ، فخرج الى البرية يلتمس شيئاً فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز ، فإذا الجفنة ملأى خميراً والرحى تطحن والتنور مملوء شواء ، فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال : ماذا كنت تطحنين ؟ فأخبرته ، وان رحاهما التدور نصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء إلا ملىء فرفع الرحى وكنس ما حولها ، فذكر لرسول الله ﷺ قال : ما فعلت بالرحى ؟ قال : رفعتها ونفضتها . فقال ﷺ : لو تركتموها ما زالت كما هي لكم حياتكم . وفي رواية : لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة . وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون

وما تدخرون في بيوتكم ﴾ أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها ، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل ، بعد فقد أعطي نبيناﷺ من ذلك ما لا يحصى ، وتقدم جملة من أخباره بالمغيبات . وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حي : فقد أعطى نبيناﷺ ذلك ليلة المعراج . وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة وبزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات ، فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الأنبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمداًﷺ من خصائص التكريم بما لم يعطه أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر .

وروى الإمام أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما عنه ﷺ ، انه قال : أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ حيث كان زاد في رواية : وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم . وفي رواية : ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر . زاد في رواية : يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر ، وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقاً حتى لو كان وحده بلا عسكر ، وأعطيت الشفاعة أي العظمى في إراحة الناس من هول الموقف وفي رواية : وأعطيت الشفاعة فاخترتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً . وفي رواية : فهي لكم ولمن يشهد أن لا إلّه إلا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة ، لأنّ العدد لا مفهوم له فلا ينافي ما ورد من خصائصهﷺ .

بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس .

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون . وفي رواية : وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش . وفي رواية : وأعطيت مفاتيح الأرض وجعلت أمتي خير الأمم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر . وأعطيت الكوثر . وفي رواية : وإن

صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ، والحاصل ان خصائصه ﷺ كثيرة ، فكان كلما أعلمه الله بشيء منها أعلم أمته به ، وقد أفردت خصائصه ﷺ بالتآليف ، وفيما ذكر كفاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

بَابٌ فِي وجُوب طاعَته وَمَحبَّته وَاتبَاع طَريقته وَسنته

قال الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ وقال تعالى: ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ وقال تعالى: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ يعني من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله ، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله ، ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فأن أحداً لا يقدر على إرشاده ، وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم في جميع الأوامر والنواهي ، وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى: لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى . وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴾ الآية . وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول ﷺ ومن بعدهم ، وعام في المعية في هذه الدار ، وإن فات فيها معية الأبدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه ، وعرف الحزن في وجهه ، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فقال: يا رسول الله ، ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لإني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين ، فلا أراك فنزلت هذه الآية .

وروي أيضاً عن عكرمة مرسلاً قال: أتى فتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ، أن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك ، فانك في الجنة في الدرجات العلا ، فأنزل الله هذه الآية . فقال له رسول الله ﷺ: انت معي في الجنة ، والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب . ففي الآية الحثّ على الطاعة والترغيب فيها ، وهي عامة لجميع المكلفين ، وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى ، وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين وإلا لدخل الفساق والكفار ، بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الإستطاعة ، وليس المراد أن الكل في درجة واحدة لأنه لا يجوز أن يسوّي بين المفضول والفاضل ، بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة ، وإن بَعُدَ المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك ، وقد قالﷺ : المرء مع من أحب ، والمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالروح لا بمجرّد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ، ولهذا كان النجاشي معهﷺ ومن أقرب الناس اليه ، وهو بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبيّ من أبعد الخلق عنه ، وهو معه في المدينة وذلك أن العبد إذا أراد بقلبه أمراً من طاعة أو معصية أو شخص من الأشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه ، فالارواح تكون مع الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم .

قال بعض السلف : ادعى قوم محبة الله فأنزل الله : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطاً بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم ، ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة ، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم ، الكائن بترك المتابعة لرسول اللهﷺ ، ولا يكفي في العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ، ولا يهديه الله ، قال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ، ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله ، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله ، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وإن قال بلسانه فهو كذب منه . وأخبار بما ليس هو عليه . وقال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله

النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ فجعل رجاء الإهتداء أثر الأمرين الايمان بالرسول وأتباعه تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة ، وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه إلا ما خصه الدليل ، ثم إن محبته ﷺ هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تفاني المحبون ، وبروح نسيمها تروّح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الايمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصليها ، ونبوّتهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم سراهم في ظهورها دائماً الى الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأول من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ، أذلهم من معية محبوبهم أو فر نصيب ، وقدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ، أن المرء مع من أحب ، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة ، لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ، ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون :

من لي بمثل سيرك المذلل ... تمشي رويداً وتجيء في الأول

أجابوا مؤذن الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم ، وكان بذلهم بالرضا والسماح ، وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ، ولقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وإنما يحمد القوم السري عند الصباح ، وقد وضعوا للمحبة رسوماً بإعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها ، فمنها قول بعضهم : المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، وقال آخر هي محو المحب لصفاته وإثبات المحب لذاته وقال آخر : هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك . وقال آخر : هي استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك . وقال آخر : هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وقال آخر : أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقي لك منك شيئاً . وقال

آخر : أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وقال آخر : هي ميلك الى الشيء بكليتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . وقال آخر : هي سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبة . وقال آخر : هي الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود إحسان أو إنعام ، وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة ، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، فإذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفاً فانياً منقطعاً ، أو استنقذه من هلكه أو مضرة لا تدوم ، فما بالك من منحه منحاً لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول ، وإذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة ، فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم المانع لنا جوامع المكارم والفضل العميم ، ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والإيقان ، فهو السبب في وصولنا للبقاء الأبدي في النعيم السرمدي . فأي إحسان أجل قدراً وأعظم خطراً من إحسانه الينا فلا منّة لأحد بعد الله كما له علينا ، ولا فضل لبشر كفضله لدينا ! فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشرة ،فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة ، وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لا نفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين ، بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه ، لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده ولده .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : والناس أجمعين . وفي رواية أخرى : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه .

قال القرطبي : كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو حاله من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله ولده ، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ﷺ ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر ، لما وقر

في قلوبهم من جهته ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته ﷺ ، بسبب استحضار ما وصل اليهم من جتته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ، ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم ، لأن هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم .

روى إبن اسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظره ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل .

وفي بعض روايات هذا الحديث : لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى ، لا تدري بأيهم استقبلت ، وكلما مرت بواحد منهم صريعاً قالت : من هذا ؟ قالوا : أخوك وأبوك وزوجك وابنك . قالت : فما فعل النبي ﷺ ؟ فيقولون : أمامك حتى ذهبت الى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذا أسلمت من عطب .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ما كان أحد أحب اليّ من رسول الله ﷺ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ .

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب : أنشدك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ؟ وأنك في أهلك . فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

وفي المواهب : أن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي ﷺ توفي . فقال : اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحداً فكف بصره .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال : ثلاث من كنّ

فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

وقالﷺ : ذاق طعم الإيمان من رضي الله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فعلق ذوق الإيمان بالرضا بالله رباً الخ ، وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به ، وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الأشياء الى العبد ، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ، ويؤثر ذلك على أغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : حلاوة الإيمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك .

وقال العارف بالله ابن أبي جمرة : اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية ؟ فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأوّلوه وهم الصوفية ، ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله ، فانه حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه ، حين صنع به ما صنع في الرمضاء إكراهاً على الكفر وهو يقول : أحد أحد ، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان ، وكذلك أيضاً عند موته أهله يقولون : واكرباه وهو يقول : واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه ، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الإيمان .

ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة ، فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته ، فقيل له في ذلك فقال : ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك إلا لحلاوة الإيمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ، وأمثال ذلك كثير .

قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله : أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة ، والهوى تتنعم بملذوذت المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الأطعمة ، وإنما ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً لأنه لما رضي بالله رباً استسلم له وانقاد لحكمه ، وألقى قياده اليه ، فتوجد لذة العيش وراحة التفويض ، ولما رضي بالله رباً كان له الرضا من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما منّ الله به عليه وليعرف إحسان الله عليه ، ولما سبقت

لهذا العبد العناية عوفي قلبه من المرض فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته لصحة إدراكه وسلامة ذوقه .

وقوله ﷺ : وبالإسلام دينا معناه أن من رضي بما رضي به المولى فقد رضي بالإسلام ديناً ، ولازم لمن رضي بمحمد نبياً أن يكون له ولياً وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهداً في الدنيا ، وخروجاً عنها وصفحاً عمن جنى عليه ، وعفوا عمن أساء اليه ، الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ، فمن رضي بالله استسلم له ، ومن رضي بالإسلام عمل له ، ومن رضي بمحمد ﷺ تابعه ولا يكون واحد منها ، إلا بكلها إذ محال أن يرضى بالله رباً ولا يرضى بالإسلام ديناً أو يرضى بالإسلام ديناً ولا يرضى بمحمد نبياً ، وتلازم ذلك بين لا خفاء به ، ومحبة الله على قسمين : فرض وندب ، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي على حسب الاستطاعة ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله تعالى ، حيث قدم هوى نفسه . والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحثات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل في الرجاء ، فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات ، والمتصف بذلك في عموم الأوقات والأحوال نادر .

وفي البخاري من حديث أبي أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال : ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه . وفي رواية : بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددّت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففي الحديث دلالة على أن العبد إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى ، وقد استشكل قوله : كنت سمعه الخ ، بأنه كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ ، وأجيب بأجوبة منها ، أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت كسمعه وبصره في إيثار أمري فهو يحب خدمتي ويؤثر طاعتي كما يحب هذه الجوارح ، ومنها أن المعنى أن كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا لي بما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به ، ومنها

ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوّه ومنها أنه على حذف مضاف أي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه ، وحافظ بصره كذلك ، ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم : فلان أملي بمعنى مأمولي ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ، ولا يأنس إلا بمناجاتي ، ولا ينظره إلا في عجائب ملكوتي ، ولا يمدّ يده فيما فيه رضاي ، ولا يمشي برجله إلا لما فيه رحمتي ، وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستيعن بها ويدخل في ذلك سرعة إجابته في الدعاء ومنحه في الطلب .

قال أبو عثمان الحيري : معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع ، وعينه في النظر ، ويده في اللمس ، ورجله في المشي ، والمراد بالحديث حصر أسباب محبته في أمرين : أداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل ، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً لله ، فإذا صار محبوباً لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الأولى ، فتغلب هذه المحبة قلبه ، فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه ورحه ، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبة التبة ، فصار ذكر محبوبه مالكاً لزمام قلبه مستولياً على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته ، الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ، ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه ، وإن أبصر أبصر به ، وإن نظر نظر به ، وإن مشى مشى به ، فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه ، فالباء في قوله : نبي يسمع الخ ، للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها ، فالمسألة حالية لا علمية محضة ، ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه . فقال : ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بإمتثال أمري والتقرب الى محابي ، فأنا أوافقه في رغبته وقوي أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في أمانته ، لأنه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ، ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ، ولكن مصلحته في إماتته ، فإنه ما أماته إلا ليحييه ، وما أمرضه إلا ليصلحه ، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده اليها على أحسن أحواله ، فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه ، والقصد بقوله : وما ترددت الخ ، بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه ، وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بمحبهم وسكنت نفوسهم اليه ، واطمأنت به قلوبهم ، واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ، ففي القلب طاقة لا يسدها

الا محبة الله ورسوله ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ، ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله إليه ، ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ، ثم يقوم حارساً على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة ، فيصفوا لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والإنابة اليه ، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره ، فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق اليه ، فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول ، واستولت روحانيته على قلبه ، فجعل النبيﷺ إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه ، كما جعل الله نبيه ورسوله وهاديه ، فيطالع مبادىء أموره وكيفية نزلو الوحي إليه ، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لأهله وأصحابه ، إلى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه ، فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليهم بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه ، وماذا أريد بها أو حظه المختص به ، منها من الصفات والاخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من الأمراض

ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات :

أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ما حدلنا من شريعته . قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فجعل تعالى متابعة الرسولﷺ آية محبة العبد لربه عز وجل ، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسولﷺ محبة الله تعالى إياه قال الشاعر :

تعصي الإلــه وأنــت تظهــر حبه ... هذا لعمــري في القياس بديع
لو كان حبــك صادقــاً لأطعته ... إن المحــب لمن يحــب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة ، فبقدر مطالعة ذلك تكون قوّة المحبة ، ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ، ومعرفته ومتابعة حبيبهﷺ ، وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد ، فإذا دام ذلك النور

أشرقت له ذاته ، فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته ، وتقوى عزيمته ، وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه ، لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرح أحدهما الآخر ، فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والأنس الى الحبيب الاول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وبحسب هذا الإتباع توجد المحبة والمحبوبية معاً ، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن ان يحبك الله ، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبراً وأطعته أمراً وأجبته دعوة وآثرته طوعاً ، وفنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته .

قال المحاسبي : علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله ﷺ ، فإذا أذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه ، فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى ، وما والاة وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد في اليوم الشديد الحرّ للظمآن الشديد العطش ، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسروراً له وقرة عين في حقه ، ونعيماً لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية ، فلا يجد في الاوراد والأذكار وبقية الأعمال كلفة .

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة .

قال ابن عطاء : من ألزم نفسه آداب السنة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وقال ابو اسحق الرقى ، وكان من أقران الجنيد ، علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ . وقال بعضهم : لا يظهر على أحد شيء من نور الايمان إلا بإتباع السنة ومجانبة البدعة ، فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه

الصلاة والسلام ، فان ادعى علماً لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان ، وإنما يعرف كون العلم الدنيا روحانياً بموافقته ، لما جاء الرسول به من ربه تعالى ، وإلا فهو من الشيطان والنفس . فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحرين . ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ فسلب اسم الايمان عمن وجده في صدره حرجاً مما قضاه ولم يسلم له .

قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه : واذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الايمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ، ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما ، فأحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد واحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان إلا بأمرين لامتثال لأمره والاستسلام لقهره ، ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجدوا الحرج في نفسه ، حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله ﷺ رأفة وعناية وتخصيصاً ورعاية لانه لم يقل فلا الرب ، إنما قال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ﴾ ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علماً منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة ، سواء كان الحق عليها . وفي ذلك إظهار لعنايته برسول الله ﷺ إذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه ، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا الاحكام رسوله ﷺ ، ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط أن لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه ﷺ سواء كان الحكم موافقاً لما في أهوائهم أو مخالفاً لها ، وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار ، ففيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الايمان ملأ قلوبهم ، فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ، ممدودة بوجود فضله العظيم ، مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه .

وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه : من لم يرَ ولاية الرسولﷺ في سائر الأحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته ، لأنهﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه .

قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيئاً ، فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ، ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه .

ومن علامات محبتهﷺ :

نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ، ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين ، وآثر ذلك على أعراض الدنيا .

ومن علامات محبتهﷺ :

التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره ، حتى كأنه أكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق ، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته ، والذوق والوجود شاهد بذلك . فكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة ، فإذا فقد تلك الحلاوة اشتاق إلى تلك الكرب كما قيل :

تشكي المحبون المصائب ليتني ... نحلت بما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبتهﷺ :

كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

قال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب . وقال آخر : ذكر المحبوب على عدد الانفاس . وقال آخر : للمحب ثلاث علامات : أن يكون كلامه ذكر المحبوبه ، وصمته فكراً فيه ، وعمله طاعة له .

وقال المحاسبي : علامة المحبين : كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام ، لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون . وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين ، لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم ، وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات ، وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ، ورقت الى معادن الدخائر وبغية الطلبات ، وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين ، وباح الأنين ، وتحركت المواجيد ، وتغير اللون ، وفتر البدن ، واقشعر الجلد ، وربما صاح وربما بكى وربما شهق ، وربما وله ، ؛ وربما سقط ، وربما زاد الوجد على المحب فقتله .

ومن علامات محبته ﷺ :

تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والإنكار مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا . وكذلك كان كثير من التابعين ، ! فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقاً أو تهيباً وتوقيراً .

قال بعض السلف ، واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ، ويأخذ من هيبته وإجلاله ، بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به ، وكان أيوب السختياني رحمه الله إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى نرحمه . وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر لونه ، وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم إذ اذكر عنده النبي ﷺ ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم ، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينه دموع . وكان الزهري إذا ذكر عنده النبي ﷺ يتغير ، وكأنك ما عرفته ولا عرفك . وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه .

ومن علامات محبته ﷺ :

كثرة الشوق الى لقائه ، إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه . قال بعضهم : المحبة

الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه : المحبة الشوق المشاهدة الصفات ومشاهدة أسرار الصفات ، فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ، ولهذا كانت الصحابة إذا اشتد بهم الشوق وأرعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله ﷺ ، واستشفعوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه ، والنظر اليه ، والتبرك به ﷺ . وعن عبيدة بن خالد بن معدان : ما كان خالد يأوى الى فراش . إلا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول : هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي ، طال شوقي اليهم ، فعجل رب قبضي اليك ، فالقلب إذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ، ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل :

الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا ونقول :

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوّاماً بكاء بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ ، فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال : السلام عليكم ثلاث مرات : وقال لها : أعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال : وعمر لا تنسيه يرحمك الله ، فقالت :

وعمر فاغفر له يا غفار

ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لي . قيل : بماذا ؟ قالت : بحبي لرسول الله ﷺ وشهوتي النظر اليه ، فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه .

ومن علامات محبته ﷺ :

حب القرآن الذي أتى به وتخلق به وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ فانظر محبة القرآن من قلبك ، فانه من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه احب شيء اليه . وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه ؟ قال النبي ﷺ لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه : اقرأ علي . : قال : اقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال : فاني أحب أن اسمعه من غيري ، فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ قال : حسبك ، فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله ﷺ تذوقان من البكاء ، رواه البخاري . وهذا يجده من استنار قلبه ورقَّ عند سماع الكتاب العزيز . قال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ .

قال صاحب عوارف المعارف إذا قنا الله حلاوة مشربه هذا السماع ، هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية ، وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع ، لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار ، وتارة يثير شوقاً والشوق حار ، وتارة يثير ندماً والندم حار ، فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملؤ ببرد اليقين بكى وأدمع ، لأن الحرارة والبرودة إذا اضطر بنا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد . قال الله تعالى : ﴿ تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتتدفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجاً تكاد تضيق منه ، فيكون من ذلك الصياح والاضطراب ، وهذه كلها أحوال يجدها أربا بها من أصحاب الاحوال ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما يمرّ بآية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ، ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب أنه مريض ، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا اجتمعوا يقولون لأبي موسى رضي الله عنه : ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني ، فإذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الأبيات دون سماع الآيات ، وفي سماع الألحان دون سماع القرآن ، فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر ، وإذا انشد

بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان ، فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ، ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته .

ومن علامات محبته ﷺ :

محبته سنته وقراءة حديثه ، فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله ﷺ تسرّ منها روحه وقلبه ونفسه ، ونعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعاً وكل ذرة بصراً فيسمع الكل بالكل ويبصر الكمل بالكل ويقول :

لي حبيب خياله نصب عيني وسره في ضمائري مدفون
إن تذكرته فكلي قلوب أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ، ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشدّ للهيبة وحريقه من إعراضه عنه ، ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عندهم أشد عليهم من العذاب الجسماني . كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني ، لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب .

ومن علامات محبته ﷺ :

أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف ، وقد يوجب له ذكر سكراً يستغرق قلبه ورمحه وسمعه ، وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل ، وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام ، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك هذا المحبوب قوياً كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين فصوّر في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمناً مطمئناً ، كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم ، فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله ، وقد كسب اضعافه ومما يقوي هذه اللذة سماع الأصوات الحسنة المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية إذ صادفت محلاً قابلاً فلا تسأل عن سكرة السامع . وسبب

ذلك اجتماع لذة الألحان ولذة الأشجان فتسكر الروح سكراً عجيباً ألذ وأطيب من سكر الشراب .

وفي الحديث : أن داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويسجد الله فإذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع ، وأعظم من ذلك إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم ، فإذا انضاف الى ذلك رؤيه وجهه الكريم التي تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تذكره العبارة ، ولا تحيط به الاشارة ، وهذه صفة لا تلج كل أذن وصيب لا تحيي به كل أرض وعين ، لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ، ومائدة لا يجلس عليها طفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن علامات محبته ﷺ :

محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته ، وذلك أن الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمداً ﷺ على جميع من سواه ، وخصه بما فضله به وحياه أعلى ببركته من انتمى اليه نسباً أو نسبة ، ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة الزم الله مودّة قرباه كافة بربته ، وفرض المحبة لأهل بيته المعظم وذريته ، فقال تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وهذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ بحسب سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ، ولكنها دلت على ذلك ، فمن ذلك انه ﷺ جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل ، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق ، رواه الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع . زاد في رواية : قال واثلة : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي . قال واثلة : وانها من أرجى ما ارتجى .

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة ، فدخلت عليه بها فقال : إدعي زوجك وابنيك قالت : فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك

الخزيرة وتحته كساء ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ،! ثم أخرج يده فأومأ بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اي خاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة رضي الله عنها : فأدخلت رأسي من البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال : إنك إلى خير إنك إلى خير .

وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور ، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكر الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات . فقيل لزيد من أهل بيته اليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس . قيل : كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم ، والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس ، وهو كل شيء نفيس مصون ، ومراد زيد بن أرقم : أن لا يقتصر على الأزواج فقط ، بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في الآية الكريمة أعني : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ لأن سياق الكلام معهنّ ، ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ .

وروى الإمام أحمد أيضاً : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أني أوشك أن أدعي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا بما تخلفوني فيهما ، وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه .

روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : أيها الناس ، ارقبوا محمداً في أهل بيته أي احفظوهم فلا تؤذوهم .

وروى البخاري أيضاً عن أجبي بكر الصديق رضي الله عنه إنه قال لقرابة رسول

الله ﷺ : احب إلي أن أصل من قرابتي .

وروى الترمذي : انه ﷺ قال : احبوا الله لما يغذوكم به ، وأحبوني بحخب الله وأحبو أهل بيتي بحبي . وقال ﷺ : من احبهم فيحي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم .

وروى الإمام أحمد عنه ﷺ : من أبغض أهل البيت فهو منافق .

وروى ابن سعد عنه ﷺ من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفاً فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافىء له يوم القيامة ، ولله در القائل :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى بتبليغه إلا المودّة في القربى

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أنه ﷺ قال في حسن وحسين : اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

وروى الترمذي : من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

وروى الإمام أحمد عنه ﷺ : من آذى علياً فقد آذاني .

وأخرج الذهبي عنه ﷺ : من أحب علياً فقد أحبني . وقال ﷺ : العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه ، لا تؤذوا العباس فتؤذوني ، من سب العباس فقد سبني .

وروى الترمذي : أنه ﷺ قال للعباس : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ورسوله .

وأخرج البغوي : انه ﷺ قال لعقيل بن أبي طالب : إني أحبك حبين حباً لقرابتك مني وحباً لما كنت أعلم به من حب عمي لك .

وروى الدارقطني : انه ﷺ قال : أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب خير أهلي أو من خير أهلي .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار ، وأما أصحابه رضوان الله عليهم فمحبتهم من محبته ﷺ ، وتوقيرهم من توقيره ، وبرهم من بره ، فالمؤمن الكامل هو الذي يحبهم ويوقرهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ، ويحسن الثناء عليهم ، ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادي من يعاديهم ، ولا يلتفت إلى أخبار المؤرخين وجهله الرواة ، ولا إلى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح في واحد منهم ، بل ينبغي له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ، ويحمله على أصوب المخارج لأنهم أهل لذلك ولا يذكر أحداً منهم بسوء لأن الله قد أثنى عليهم في كثير من الآيات . قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدآء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الخ السورة .

وعن الإمام مالك قال : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة اللهين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين ، واستنبط الإمام مالك من قوله تعالى : ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة . قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ، ووافقه على ذلك جماعة من السلف . وقال تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرون والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجراً عظيماً ، ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم . وقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ وقال تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه

ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر . ورواه الحاكم أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام ، لا يصلح الطعام الا به . وقال ﷺ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه .

وروى مسلم وغيره : لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .

وروى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا » .

وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار لي منهم أربعة : أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي . وفي أصحابي كلهم خير .

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : من أحب عمر فقد أحبني ، ومن أبغض عمر فقد أبغضني .

قال الإمام مالك رضي الله عنه وغيره : من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق .

وقال عبد الله بن المبارك : خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ .

وقال أيوب السختياني رحمه الله ، من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ، ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى . ومن أحسن الثناء على أصحاب محمدﷺ فقد بريء من النفاق ، ومن أبغض أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً .

وروى الطبراني عن سهل ابن يوسف بن سهل أبن أخي كعب ابن مالك عن أبيه عن جده قال : لما قدم النبيﷺ من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك ، أيها الناس إني راضٍ عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك ، أيها الناس ، إن الله غفر لأهل بدر والحديبية ، أحفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمطلبه فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غداً وقوله : اصهاري هم آباء زوجاته كأبي بكر وعمر وأبي سفيان رضي الله عنهم . وقوله : وأختاني : هم أزواج بناته كعثمان وعلي وأبي العاص بن الربيع رضي الله عنهم .

وروى ابو نعيم عن أنس رضي الله عنه عن النبيﷺ : احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ، ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه .

وروى سعيد بن منصور عن النبيﷺ من حفظني في أصحابي كنت له حافظاً يوم القيامة .

وروى الطبراني : من حفظني في أصحابي ورد عليَّ الحوض ، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد عليَّ الحوض ، ولم يرني الا من بُعْد .

وروى عن كعب الأحبار : ليس أحد من أصحاب محمدﷺ إلا وله شفاعة يوم القيامة .

قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ، فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب في ذكر وفاته ﷺ

وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ، ويجلب الفجائع لإثارة الإحزان ، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان ، ولما كان الموت مكروهاً بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة ، لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير ، وقد عرف الله النبي ﷺ اقتراب أجله بنزول سورة : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد ، إذا فتح الله عليك البلاد ، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجاً ، فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار ، فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ ، وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا .

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل : نعيت إليَّ نفسي ، فقال له جبريل : ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ .

وروى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال : فعجبنا . وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال النبي ﷺ : أن أمنّ الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ، فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر رضي الله

عنه ، وما زالﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض ، وكان مرضه في أواخر شهر صفر ، وكانت مدّة مرضه ثلاثة عشر يوماً ، وكان ابتداء مرضه يوم السبت ، وقيل الاثنين ، وقيل الأربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقيل في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها . وكان ينتقل في بيوت زوجاته رضي الله عنهن على حسب ما كان في صحته ، ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، فأذنّ له فخرج يهادي بين العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها .

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما دخل بيتي واشتد وجعه قال : أهرقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهنّ لعلي أعهد الى الناس ، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبيﷺ ، ثم طفقنا نصبّ عليه الماء من تلك القرب ، حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ، الحديث ، وفيه أنه قال : ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، وهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم ، وأصابتهﷺ حمى شديدة .

روى ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنهﷺ كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها ، فقيل له في ذلك فقال : إنا معاشر الأنبياء كذلك يشددّ علينا البلاء وتضاعف لنا الأجور .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبيﷺ وهو يوعك أي يحم وعكاً شديداً فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً . قال : أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم . قلت : ذلك أن لك لأجرين ؟ قال : أجل ، ذلك كذلك .

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبيﷺ فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت ، فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت : سارني النبيﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أوّل أهل بيته يتبعه فضحكت ، ولما اشتد بهﷺ مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، قال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فعاودته مثل مقالتها . فقال : إنكن صواحبات

يوسف ، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس .

وفي بعض روايات الحديث : ان عائشة رضي الله عنها قالت : لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وجملة الصلوات التي صلى فيها الصدّيق بالناس سبع عشرة صلاة ، فكان في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة إشارة إلى أنه الخليفة بعدهﷺ ، فقالوا : إن النبيﷺ رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ ولما رأت الأنصار رسول اللهﷺ يزداد وجعاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضي الله عنه على النبيﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه عليّ رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرجﷺ متوكئاً على عليّ والفضل رضي الله عنهما ، وتقدم العباس أمامهم والنبيﷺ معصوب الرأس ، يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر ، وثار الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلف نبيّ قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ؟ إلا أني لاحق بربي وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسلا إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ، فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألالا ولا تستأثروا عليهم ، ألاواني فرط لكم وانتم لاحقون بي ، ألا فان موعدكم الحوض إلا فمن أحب أن يرده علي غداً ، فلكيفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي .

وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا : ما يبكيكم ؟ فقالوا : ذكرنا مجلس النبيﷺ منا فدخل أحدهما على النبيﷺ فأخبره بذلك ، فخرج النبيﷺ وقد عصب رأسه بحاشية برد ، فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم بالأنصار فانهم كرشي وعيبتي ،

وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ، وقوله كرشي وعيبتي أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته ، وانهم الذين يعتمد عليهم في أموره وقيل : أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي وصحابتي .

وفي المواهب عن الواحدي بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نعى رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة رضي الله عنها فقال : حياكم الله بالسلام ورحكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم واحذركم الله إني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساد والعاقبة للمتقين ﴾ وقال : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ ؟ قلنا : يا رسول الله ، متى أجلك ؟ قال : دنا الفراق والمنقلب الى الله ، وإلى جنة المأوى . قلنا : يا رسول الله : من يغسلك ؟ قال : رجال من أهل بيتي ، الأدنى فالأدنى . قلنا : يا رسول الله : فيم نكفيك : قال في ثيابي هذه ، وإن شئتم في ثياب مضر ، أو حله يمنية . قلنا : يا رسول الله ، من يصلي عليك ؟ قال : إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ، ثم أخرجوا عني ساعة ، فان أول من يصلي عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ، ثم أدخلوا عليّ أفواجاً فصلوا عليّ وسلموا تسليماً ليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ، ثم نساؤهم ثم أنتم ، وأقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة . قلنا : يا رسول الله ، من يدخلك قبرك ؟ قال : أهل بيتي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ، ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى ، فقلت إذاً لا يختارنا ، فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح .

وفي رواية : أنها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول : اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى .

وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبي ﷺ قال : خيرت بين أن أبقى حتى

أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل ، فاخترت التعجيل .

وروى ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : اسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل وظاهره أن الرفيق الأعلى المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين .

وقال ابن الأثير : أراد جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين . وقيل : المراد به الله تعالى ، يقال : الله الرفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة ، وقيل : المراد به حضرة القدس .

قال في المواهب : لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية ، فكانت أحواله ﷺ في زيادة الترقي ، ولذلك روي عنه ﷺ : انه قال : كل يوم لا أزداد فيه قرباً من الله فلا بورك لي في طلوع شمسه ، وكلما فارق مقاماً واتصل بما هو أعلى منه لمح الأول بعين النقص ، وسار على ظهر المحبة ، ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال ، والسفر الى حضرة ذي الجلال الذي كل شيء هالك إلا وجهه .

قال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه ﷺ ، بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان ، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره إذا كان قلبه عامراً بالذكر .

قال الحافظ بن رجب : وقد يروى ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده في الجنة ثم ردّت اليه نفسه ثم خير ، ففي المسند عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت النبي ﷺ يقول : ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير ، فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حين إرتفع ونظر فقلت : إذاً والله لا يختارنا فقال : مع الرفيق ألاعلى في الجنة : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ .

وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : أغمي على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري ، فجعلت أمسه وأدعو له بالشفاء ، فلما أفاق قال : اسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ، ولما احتضر ﷺ واشتد به الأمر قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ قالت : وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول : اللهم أعني على سكرات الموت .

وفي رواية : وجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات ، قال العلماء : وكانت تلك السكرات منشدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدي به أمته في الصبر .

وروى الحافظ ابن رجب : انه عليه الصلاة والسلام قال : اللهم إنك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والأنامل ، فأعني عليه وهوّنه عليّ والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما . قالت عائشة رضي الله عنها : ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها وأكرب أبتاه ، فقال لها : لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت .

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه : أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة رضي الله عنها ، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك ، فنكص ابو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف ، وظنّ أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج الى الصلاة . قال أنس : وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ ، فأشار اليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر .

زاد في رواية : فتوفي من يومه . وفي رواية : لم يخرج الينا ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم فقال : نبي الله ﷺ بالحجاب . فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله ﷺ ، حين وضح لنا فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدّم وأرخى الحجاب .

وروى مسلم : أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى كان يوم الاثنين وهم في صفوف الصلاة ، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظرنا اليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم ﷺ ضاحكاً أي فرحاً باجتماعهم على الصلاة ، واتفاق كلمتهم وإقامة شريعته .

وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله قد أرسلني اليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً . ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك . ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك

الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك . قال : ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال : يا رسول الله ، إن الله عزوجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به إن أمرتني أنْ أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها . فقال جبريل : يا محمد ، إن الله قد اشتاق الى لقائك . قال ﷺ ، فامض يا ملك الموت الى ما أمرت به فقال . جبريل : يا رسول الله ، هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه . فلما توفي ﷺ سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته : ﴿ كل نفس ذائقة الموت إنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال علي رضي الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هو الخضر عليه السلام .

ورواه أيضاً غير البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ، ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت ، فبكى على رسول الله ﷺ ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت الحديث ، وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر : عليّ بالرجل فنظروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لعل هذا الخضر جاء يعزينا . قالت عائشة رضي الله عنها : توفي رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري . والسحر موضع القلادة من الصدر ، والمراد أنه ﷺ توفي ورأسه بين حنكها وصدرها .

قال السهيلي : أن أوّل كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة : الله أكبر . وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الأعلى .

وفي رواية : جلال ربي الرفيع ويمكن أنه تكلم بهما ، ولما توفي ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه غائباً بالسنح يعني العالية وهي منازل بني الحرث بن الخزرج ، عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجي رضي الله عنهما . وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له في الذهاب اليها فسلّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول

الله ﷺ وقال : إنما أرسل أليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم . فأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضي الله عنها ، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي ويقول : توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حياً وميتاً ، بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين ، وأشار بذلك الى الرد على من يزعم أنه سيجيء فيقطع أيدي رجال لأنه لو صح ذلك لزم أن يموت موتة أخرى فأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين ، وقيل : أنه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك .
وعن عائشة رضي الله عنها : ان عمر رضي الله عنه قام يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله وقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً . والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله موتتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال : ألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقال تعالى : ﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . فنشج الناس يبكون ، رواه البخاري . يقال : تشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

وعن سالم بن عبيد الأشجعي رضي الله عنه قال : لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخذ بقائم سيفه وقال : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا . قال : فقال الناس يا سالم أطلب صاحب رسول الله ﷺ قال : فخرجت الى المسجد فإذا بأبي بكر رضي الله عنه فلما رأيته ، أجهشت بالبكاء فقال : يا سالم أمات رسول الله ﷺ ؟ فقلت : إن هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستثنى الريح ثم سجاه ، والتفت الينا وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ وقال : ﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ يأيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال عمر : فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط .

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : سجيت رسول الله ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنوا فأذنت لهما ، وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال : واغشياه ثم قاما فقال المغيرة : يا عمر ، مات . قال : كذبت ، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ .

وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس اليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أما بعد ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال الله عز وجل : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . قال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم . فلما سمع بشر من الناس إلا يتلوها .

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن أبا بكر مرَّ بعمر رضي الله عنهما وهو يقول : ما مات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين . قال : وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم فقال : أيها الرجل : إن رسول الله ﷺ قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ ثم أتى المنبر الحديث .

وروى الطبراني : ان العباس رضي الله عنه لما سمع عمر رضي الله عنه يقول : من قال إن محمداً قد مات ضربته بسيفي ، قال له : هل عندكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك ؟ قال : لا ، قال : فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء ، وهذا من موافقة العباس للصديق رضي الله عنهما .

وفي المواهب لما توفي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ،ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل ، وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان علي رضي الله عنه ممن اقعد فلم يستطع ان يتحرك ، وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه ، جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ، فدخل على النبي ﷺ فأكبّ عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال : طبت

حياً وميتاً ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولتكن على بالك .

وفي رواية : قبّل جبهته وقال : واصفياه واخليلاه . وفي رواية : فجعل يقبّله ويبكي ويقول : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً . ثم خرج الى الناس ، الحديث .

قال القرطبي وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه ، ين الشجاعة هي ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مصيبة أعظم من موت النبيﷺ ، فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه .

وذكر الوائلي أبو عبد في كتاب الإبانة عن أنس رضي الله عنه : انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول اللهﷺ واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام ، وتشهّد ثم قال : أما بعد ، فاني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت ، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده إليّ رسول الله ﷺ ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتاً ، فاختار الله لرسولهﷺ الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله رسوله به ، فخذوا به تهتدوا ، والمقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي ﷺ لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين . وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ، ولكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين ، فلما شاهد قوّة يقين الصديق الأكبر وتفوّهه بقول الله عزوجل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقوله : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة ، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم ، رجع عن مقالته المذكورة .

وروى البخاري : أن فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول اللهﷺ قالت : يا أبتاه . أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، من الى جبريل ننعاه . زاد في رواية رواها الطبري : يا أبتاه من ربه ما أدناه . وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعدهﷺ ستة أشهر ، فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك .

وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ صعد ملك

الموت باكياً إلى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتاً من السماء ينادي : وامحمداه ، وهذه مصيبة أصيبها المسلمين لم يصابوا قط بمثلها ، كل مصيبة تهون عندها .

روى ابن ماجه : أنه ﷺ قال في مرضه : أيها الناس ، إن أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصينة فليتعزّ بمصيبة بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي .

قال ابن الجوزي : كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه وقال له : يا عبد الله ، اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة ورحم الله القائل :

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها ... نوب تنوب اليوم وتكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر :

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها : إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته ﷺ ، فكيف بقلوب المؤمنين ، ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حنّ اليه وصاح . وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يبكي ويقول : هذه خشبة تحنّ الى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا اليه .

وروى أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه ، فإذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله : ارتج المسجد بالبكاء والنحيب . فلما دفن ﷺ ترك بلال الآذان .

ما أمر عيش من فارق الاحباب ... خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب
لو ذاق طعم الفراق رضوى ... لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق ... يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته ﷺ حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته ﷺ ، وكانت يوم الاثنين بلا خلاف ، وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل : ليلة الأربعاء وقيل : يوم الاربعاء ، ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها قولها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافياً
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ... لبيك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكنني أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس ابقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسناً أيتمته وتركته ... يبكي ويدعو جدّه اليوم ثانياً

ورثاه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال :

أرقت فبت ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحي اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم أن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله :

ودعنا الوحي إذا وليت عنا ... فودعنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضاً بقوله :

لما رأيت نبينا متجندلاً ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك إن حبك قد ثوى فالصبر عنك لما نعيت يسير
يا ليتني من قبل يهلك صاحبي غيبت في جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده يعني بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضي الله عنه بمراثي كثيرة منها قوله :

كنت السواد لناظري نعمي عليك الفاظ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاته ﷺ بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورجع الى قومه قال وهو يبكي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك إن أجعل طاعتك طاعته فقال : ﴿ من يطع الرسول فقد اطاع الله ﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى : ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ الآية . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : ﴿ يا ليتنا أطعنا الله واطعنا الرسولا ﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنيه وطول عمره ، فقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل .

وأخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال : بلغنا أن النبي ﷺ عليل فأوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف يقول :

خطـب أجـل أنـاخ بالإسلام بـين النخيل ومقعـد الآطام
قبض النبـي محمـد فعيوننا تذري الدمـوع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعاً فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبيﷺ قبض أو هو ميت ، أي قريب الموت ، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت : مسه فقيل : قبض رسول اللهﷺ ومن عجيب ما إتفق انهم حين أرادوا غسل النبيﷺ قالوا : لا ندري انجرد رسول اللهﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ؟ أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمه مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو ؟ أغسلوا النبيﷺ وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يضعـون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص ، رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد ، وغسلهﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف ، وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول اللهﷺ ، يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة أن يبدو ما لم يؤذن في النظر اليه وقوله : وأعينهم كلهم معصوبة أي إلا علياً رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً .

وروي أن علياً رضي الله عنه نودي وهو يغسله : أن أرفع طرفك نحو السماء خوفاً أن يديم النظر اليه .

وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال : غسلتهﷺ فذهبت انظر ما يكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيئاً كان طيباً حياً وميتاً ، وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط .

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال : كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي ﷺ فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه ، وكفنوهﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ، واختلف في معنى هذا الحديث فقال الجمهور : ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلاً . وقال آخرون : منهم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه معناه : كفن في

ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة . ثم لما فرغوا من جهازه ﷺ وضع على سريرة في بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً أي جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤمّ على رسول الله ﷺ أحد .

وفي رواية : أن أول من صلى عليه الملائكة أفواجاً ، ثم أهل بيته ، ثم الناس فوجاً فوجاً ، ثم النساء . واختلفوا في موضع دفنه فقال أناس : عند المنبر وقال أناس : بالبقيع . فقال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مات نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه . فقال علي وأنا أيضاً سمعته ، رواه الترمذي وابن ماجه .

وفي رواية الموطأ : ما دُفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه ، فحفر له ﷺ في المكان الذي توفي فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه ، حفر لحداً في موضع فراشه حيث قبض ﷺ ، واختلف الناس فيمن أدخله قبره ، وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي والفضل وقثم ابنا عباس رضي الله عنهم . ويقال : دخل معهم أوس بن خولي رضي الله عنه ، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس رضي الله عنهما لأنه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله .

وروى أنه بُني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها ﷺ ، فرشها شقران رضي الله عنه وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفراش خصوصية له ، أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ، ولما دفن ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟ وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ... إن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

وقالت رضي الله عنها ترثيه :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كثيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مصر وكل يمان

ورش قبره ﷺ بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراً وبيضاً ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ، ولما قبض ﷺ تزينت الجنـان ليوم قدوم روحـه المقدسة ، وأظلمت الدنيا . قال أنس رضي الله عنه : ما رأيت يوماً كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله ﷺ ، ولا أظلم من يوم مات رسول الله ﷺ .

وفي رواية لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء . فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب ، وإنا لفي دفنه حتى أنرنا قلوبنا ، يريد أنهم وجدوها تغـيرت عما عهـدوه في حياتـه ، من الالفـة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد .

ومن آياته ﷺ :

بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردّى أي ألقى نفسه في بئر ، وكذا ناقته ، فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت .

ومن ذلك ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته مما لا نهاية له ، ولا عد يحصيه وقد تقدم في المعجزات كثير من ذلك .

روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه : أنه ﷺ قال : إن الله ، إذا أراد بأمة خيراً قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لأمة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام ، وإنما كان قبض النبي قبل أمته خيراً لأنهـم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم ، وإذا أراد الله بهم خيراً جعـل خيرهـم مستمـراً ببقائهـم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات ، نسلاً بعد نسل ، وعقباً بعد عقب .

هذا ما يسره الله من سير النبي ﷺ ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به ، وأن يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته ، وأن يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين ، وأن يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .